McGill University Libraries
31013895388

McGill University Libraries
3 101 389 538 8

AP .M266
INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES
22387 ★ v. 34
McGILL
UNIVERSITY

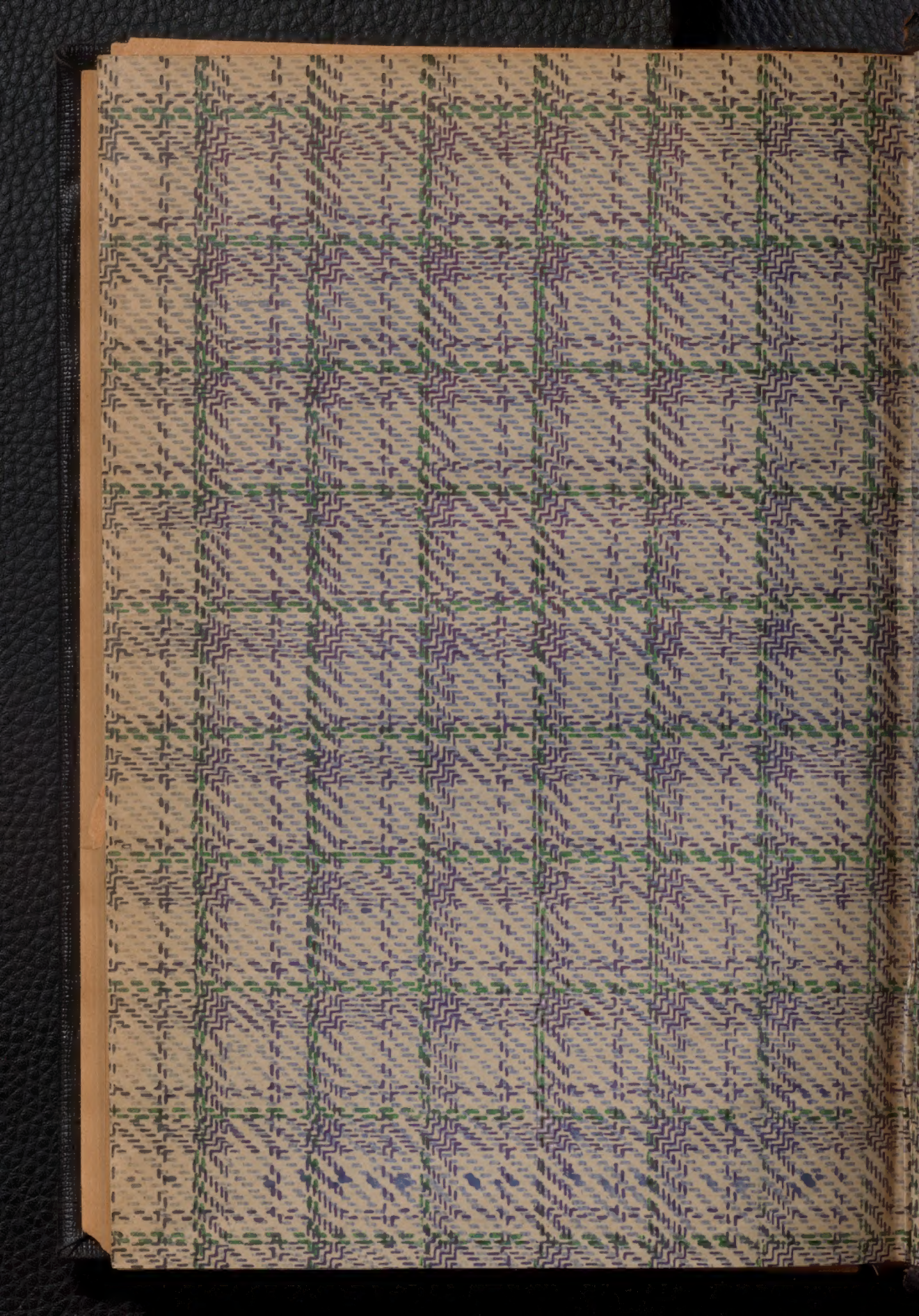

﴿ الجزء الاول ﴾ ١٣٥٣ ﴿ المجلد الرابع والثلاثون ﴾

المنار

١٣١٥

تنبيه : يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشىء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

الاشتراك : عن سنة ١٠٠ قرش صحيح ذهبا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة

كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤

والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩

الجزء الحادى عشر من تفسير المنار

نبشر أهل القرآن وأنصاره ، ودعاته المستضيئين بأنواره، بصدور هذا الجزء من تفسيره الحكيم، وفيه ما ليس في شيء مما قبله مما يحتاج اليه العالم في الملخص الاجمالي لسورتي التوبة المدنية ويونس المكية، وفي مباحث إثبات الوحي ورسالة محمد خاتم النبيين ﷺ واعجاز القرآن اللفظي من نواحي النظم والاسلوب والبلاغة والتأثير ، والمعنوي من مناحي التشريع والعلم الغيبي والكوني والاجتماعي والاصلاح الديني والمدني والسياسي ، وتفنيد شبهات المعطلين والملحدين والمبشرين

﴿ فهرس الجزء الأول من مجلد المنار ٣٤ ﴾

فاتحة المجلد وفيها خلاصة أحوال العالم الاسلامي وخاصة الامة العربية

﴿ باب التفسير ﴾

سورة هود عليه السلام. مناسبتها لما قبلها ٩

« الحروف المقطعة فيها وفيما قبلها وبعدها ١٠

أحكام آيات القرآن وتفضيلها ١١

المحكم والمنسوخ والمتشابه والمؤول في الاصطلاح غيرهن في القرآن ١٢

النهى عن الشرك والامر بتوحيد العبادة أول دعوة الرسل ١٣

الاستغفار والتوبة. جزاؤهما في الدنيا ١٤

جزاء الأمم والافراد في الدنيا والآخرة ١٥

البعث والجزاء. عقيدته ١٦ و ٢١

وصف بليغ للاستخفاء من الدعوة ١٧

رزق كل دابة إلا على الله ١٩

سنة الله في الرزق وجهل منكري الاسباب لها ٢١

علمه تعالى بمستقر كل دابة ومستودعها ٢٢

خلق السموات والأرض في ٦ أيام « قوله ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ وخلق كل شيء من الماء ٢٣

بلاء الناس ليظهر أيهم أحسن عملا ٢٤

آيات التكوين وما فيها من اعجاز القرآن العلمي ٢٥

سنن التكوين وخلق كل شيء من الأزواج في المقصورة الرشيدية ٢٩

﴿ فتاوى المنار ﴾

كتمان القرآن ٣٣

١ من يرى منع القرآن من المحافل ممن لا يفهم ٣٤

«٢» منع ما نزل في أهل الكتاب عنهم ٣٤

«٣» منع النساء من سماع سورة يوسف ٣٥

قصة يوسف أعظم أسوة في العفة ٣٥-٣٨

جزيرة العرب والوحدة العربية ٣٩

سعينا للاتفاق بين الامامين ٤٠

المكتوبات بيننا وبين الامام يحيى ٤٢-٥٢

تقريظ الشيخ عبد الحميد السائح لكتاب الوحي ٥٣

« الامير شكيب لكتاب الوحي ٥٦

« الدكتور حسين الهراوي « ٦٤

دقائق العلوم العصرية في القرآن ٦٥

حرية الفكر في الاسلام ٦٦

مسألة الخوارق والاسلام ٦٧

العبرة بسيرة الملك فيصل ٦٨

قرار المؤتمر السوري العام الذي بني عليه اعلان الاستقلال ٦٩

الاسس التي وضعها المؤتمر لاستقلال سورية ٧٠

فوائد جعل الاسلام الدين الرسمي لحكومة سورية المستقلة ٧١

حركة النازي اللادينية ٧٣

خروج المانية النازية على الكنيسة ٧٥

البابا يتهم المانية النازية بالوثنية ٧٦

المعارك الدينية في ألمانيا ٧٦

الشقاق الديني بين طوائف البروتستانت في المانية ٧٧

محاولة هدم الدين في ألمانيا بعد تركيا وروسية ٧٨

نتيجة حرب الجزيرة وما تجب مراعاته في الصلح ٧٩

المنار

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المجلد الرابع والثلاثون

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى ومنارا كمنار الطريق

٢٩ المحرم سنة ١٣٥٣ برج الثور سنة ١٣١٢ هـ ش مايو سنة ١٩٣٤

﴿فاتحة المجلد الرابع والثلاثين من المنار﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى * الذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَى) أحمده وأصلي وأسلم على محمد رسوله المصطفى ، وخاتم أنبيائه المجتبى ، وعلى آله الطيبين ، وخلفائه الراشدين ، وسائر أصحابه الهادين المهديين ، وأوليائه الائمة الوارثين ، الذين استخلفهم في الارض لاقامة أمر الدنيا والدين ، ومن اتبعهم الى يوم الدين (٦ : ١٦٥ وهو الذي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)

أما بعد فانني أذكر قراء المنار في فاتحة مجلده الرابع والثلاثين بفاتحة المجلد الذي قبله إذ عرضت عليهم فيها حال شعوب الاسلام كلها بعد حرب الامم الكبرى ، ليجعلوا نصب أعينهم ماوقع على بعضها من الغبن والخسار ، وما أصاب

22387

بعضها من الربح والانتعاش، وما هي عرضة له من الامرين تجاه دول الاستعمار، اذا وقعت الواقعة، وجاءت الطامة الكبرى بالحرب الثانية المتوقعة، وما يجب عليهم في دينهم ودنياهم، وما لكل منهما من الصلة والتأثير في الآخر، فان أكثر المسلمين عن هذا غافلون، (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى *) (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)

لقد عرفوا من تلك الفاتحة أن وطأة دولتي الاستعمار الكبيرتين على الشعوب العربية التي نصرتهما في الحرب وجاهدت معهما بأموالها وأنفسها، كانت أشد وطأة منها على الشعوب الاعجمية التي قاتلتهما والتي سالمتهما، وكذلك تكون في الحرب الآتية المتوقعة، لان هذه الدول دول مادية، قد فقدت جميع الفضائل الانسانية

وقد انقضى العام وحال الشعوب الافريقية معهما على شر مما كانت عليه من مصر إلى مراكش، ولهي في آسية أشر، وأدهى وأمر

إن انكلترة لا تزال ممعنة في إرهاق عرب فلسطين وانتزاع وطنهم منهم واعطائه لليهود الصهيونيين، لتجدد لهؤلاء ملكا في قلب البلاد العربية حاجزا بين مصر وبين الحجاز وفلسطين، وإن فرنسة لا تزال جادة في جعل عرب سورية مللا متعادية في الدين، وشعوبا متفرقة في الدنيا، ومصرة على إبقاء الأكثرين من مسلميهم محصورين في سجون المدائن الاربع داخل البلاد لا منفذ لهم إلى البحر، ولا متسع أمامهم في طلب الرزق، ولا حرية لهم في عمل ولا علم ولا حكم

ولم تكن انكلترة في وقت ولا في مكان شرا من فرنسة وأظلم مما هي الآن في فلسطين، فقد لانت فرنسة في إرهاقها للمغرب الاقصى بعض اللين، إلا قتالها لقبائل السوس التي لم تخضع لها باسم حماية المخزن، ولا تزال (انكلترة) بارزة أمام الامة العربية بروز الفاتح الظافر، المستعمر القاهر، تنازعها حقها القومي والديني في جزيرتها المقدسة، بأساليب دسائسها وكيدها المعروفة، فهي قد ربحت في العام المنقضي أن خدعت الامام يحيى حميد الدين حتى غلبته على طبعه في شدة الحذر من الاجانب وفي صلابته في السياسة السلبية، فأمضى لها معاهدة أقرها

فيها على حمايتها للمقاطعات اليمانية التسع ، إلى مدة جيل اجتماعي كامل هو أربعون سنة كاملة كمدة تيه بني اسرائيل ، يمكنها أن تنشيء جيلا جديداً في هذه المقاطعات بجميع وسائل التمكين ، يكون بينه وبين سائر اخوانه في المقاطعة اليمانية الامامية بعد المشرق والمغرب : عقيدة وثقافة ورأيا وذوقا الخ

هذا ما فعلته في الجنوب، وانها لتفعل في الشمال ماهو أشد خطراً على الامة العربية في دينها ودنياها: انها لتمكن لنفسها النفوذ في منطقة شرق الاردن بحيلة الانتداب، وفي العقبة الحجازية التي سلبت من الحجاز بعد عقد صك الانتداب، وهي حبل الوريد للجزيرة العربية ، ومجرى دمها ودهليز حياتها الحربية والسياسية والمدنية، لكيلا تتجدد لهذه الامة حياة مستقلة فتعجز الدولة البريطانية عن خنقها متى شاءت، وقد تواترت الروايات من فلسطين وشرق الاردن أنها افترصت الشقاق بين ملك السعودية العربية وإمام اليمن فعادت إلى ما كانت بدأت به في أثناء فتنة ابن رفادة من تحصين خليج العقبة المنيع وامتلاك رقبة أرضه لأن صاحب الحجاز أيضا لا يستطيع أن يعارضها في ذلك (وقد بينا هذا في الجزء الماضي من المنار)

ان انكلترة لا تجهل أن عجز صاحب الحجاز عن معارضتها اليوم أو غداً لا يسقط حق الحجاز وحق الامة الاسلامية وحق الدين الاسلامي نفسه في هذا الحصن الحصين من سياج الحرمين الشريفين ، بل لو فرضنا أن ملك العربية أجاز (لاسمح الله) هبة علي بن حسين هذا الموقع لاخيه عبد الله بن حسين إجازة رسمية لما كانت إجازته لهذه الهبة إلا مثل بدء إنشائها أو أضعف منها ، فالانكليز يعلمون أنها هبة باطلة في الشرع الاسلامي وفي أصول القوانين الدولية ، فهي لا تفيدهم إلا فرصة عجز الحجاز الموقت عن منع ما يعملون فيه ، وأنه متى سنحت الفرصة لأية حكومة حجازية إلى استعادته فلا يمكنها أن تضيعها، ولا سيما إذا قام الشعب العربي بتأييد العالم الاسلامي لمطالبتها به ، وان ذلك لقريب واقع ، ما له من دافع

هذه الجرأة من الدولة البريطانية على عداوة العرب والاسلام ستكون من أكبر أسباب زوال سلطانها من الشرق الادنى والشرق الاوسط أيضاً، وإن خليج العقبة لهو أكبر هذه الاسباب، فهو خطر على الشرق الأدنى كله ، كما بيناه في الجزء الماضي وغيره،

وماذا تفعل الامة العربية والشعوب الاسلامية في طغيان هذه الدولة القوية ؟

الامة العربية في طور يقظة وسعي حثيث للوحدة والاستقلال ، والشعوب الاسلامية كلها على استعداد نفسي وعملي لتأييدها ، وناهيك بمحافظتها على مهد دينها ، وتنفيذ وصية نبيها مصلح البشر الاعظم ﷺ في مرض موته بأن لا يبقى في جزيرة العرب دينان ، وهذا التفرق بين البلاد العربية والشعوب الاسلامية لا يدوم ، وبشائر الفوز والفلاح ، تبتسم له بجميع الثغور في جميع النواحي ، فعلى الامة الانكليزية إن كان فيها بقية من تلك العقول الناضجة ، والاخلاق الحكيمة الماضية ، لم تسلبها منها الافكار المادية كما قال حكيمها الأكبر (هربرت سبنسر) أن تفكر في هذا الخطر عليها قبل وقوعه وتعذر تداركه

ماذا تجدد في العام الماضي من وسائل النجاح للعرب وللاسلام ، ويجب عليهم أن يوجهوا اليه أفكارهم وأفعالهم في هذا العام ؟

أما في جزيرة العرب فقد تبين أن التنازع بين إمامي الجنوب والشمال الذي خشينا أن يكون هادما أو مضعفا لما كان فيها من بقايا القوة القديمة ، قد أثبت لنا دلالته على قوة عصرية جديدة ، وأن القتال الذي نشب بين جيوشهما سيكون فصداً يخرج به ما في عروق الامة من الدم الفاسد الذي ولدته الجهالة والتقاليد المذهبية والموضعية ، التي فرقت الامة وجعلت أقوامها شيعا متعادية ، فمن الجهل أن نحزن لخروج هذا الدم وإن كرهنا سببه ، وأن نبرم الصلح قبل خروجه فيكون صلحا على دخن ، لا يعقبه إلا عدوان شر منه ، ربما يتجدد في وقت يكون فيه الطامعون في الامة العربية أقدر على الاستفادة منه مما هم الآن ، فلقد كان أخوف ما خفنا من العاقبة أن يتذرع به الاجانب لإضعافنا والدخول فيما بيننا ، فظهر أن هذا الوقت غير موات لهم ولله الحمد ، وأمنا هذا الخطر الآن فيجب أن نقطع عليه الطرق فيما بعده

وظهر لنا من خلال هذه الفتنة أن القوة العربية السعودية حية صحيحة المزاج ، سليمة من الامراض والآفات ، وأنها على درجة من النظام العسكري والمدني فوق ما كان يتصوره الاقارب والاجانب ، وان كانت لا تزال دون الواجب ، كما ظهر من قبل ذلك قدرة امامها ومجددها على حفظ الامن في الحجاز كنجد على أكمل وجه ، وعلى إيجاد أسباب

الحضارة العصرية من أنواع المواصلات والصحة بأعظم مما تخوله إياه الموارد المالية والرجال العاملون، فثبت بهذا وذاك أن الامة العربية مستعدة أتم الاستعداد لتجديد دولة اسلامية مدنية في مهد الاسلام ومنبت أرومة العرب، فعلى طلاب الوحدة العربية والتجديد الاسلامي الذي يعيد الحياة الاسلامية المادية والمعنوية سيرتها الاولى من حيث أشرق نورها، وأتم الله ظهورها، أن يؤيدوا هذا التجديد ويمدوه ويعلموا أنه مصداق قول رسول الله وخاتم النبيين، الذي فضلهم الله باتباعه ماصدقوا فيه على جميع العالمين، إن الاسلام ليأزر الى جزيرة العرب، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل

وأما القوة اليمانية العربية فانها على قدم تأسيسها، وكثرة عددها وعددها، وسعة ثروة إمامها وقائدها، وكثرة مانوه به العرب والافرنج من وصفها، قد ظهر أنها ملتاثة بعلل من التربية الادارية والسياسية في بلادها، واختلاف التقاليد المذهبية بين شيعة الزيدية الحاكمة والسنة الشافعية المحكومة فيها، وتجلت للامة العربية الحقيقة التي يجب أن تعرفها من هذا القسم المهم من قومها ووطنها، لتكون على بصيرة من علاجه، وإعداده للاتحاد بغيره، بدلا من وقوعه موقف العداء له وتربص الدوائر به، كما عني الدعاة المفسدون بتصويره، بل لم يستح بعضهم أن ينشر في الصحف بعد هزيمة جيشه أن يذيع أن الامام ينظم جيشا لجبا يقوده بنفسه لفتح نجد واحتلال الرياض، كما أذاعوا في أول الفتنة أنه سيفتتح الحجاز !! ولعلنا ننشيء مقالا خاصا نبين فيه حقيقة حال الزيدية، وما ينبغي أن يكونوا عليه لاصلاح شأنهم، وتأمينهم والامن منهم، مع النظر في شروط إمامتهم، وحكم قتال البغاة عندهم، وكنا منذ سنين قد كتبنا تقريراً أرسلناه إلى مولانا الامام الهمام مع وفد خاص فيما يجب عليه من الاصلاح والادارة، فشكر ذلك لنا، ولم ينفذ منه شيئا

هذا وإن من بشائر الاستعداد للوحدة العربية القريبة أن لاح لنا من جانب حكومة العراق بارقة أخرى صغيرة في صورتها كبيرة في معناها، هي قصة تمثيلية، في بث الدعوة الى الوحدة العربية، أطلق عليها اسم (مثلنا الاعلى) كانت وضعت في آخر مدة المرحوم الملك فيصل وحضر تمثيلها أول مرة معجبا به، ثم طبعت منذ

شهر أو شهرين في مطبعة الحكومة العراقية بايعاز وزارة معارفها، وتوجت باهدائها إلى (روح فيصل بن الحسين) ونشرت في هذا الشهر (المحرم سنة ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م) فكانت بهذا وذاك دعاية رسمية أو شبه رسمية للوحدة العربية، عرفنا بها ما كنا نجهل من رأي هذه الحكومة في الوحدة من بعد فيصل رحمه الله تعالى

فهذه خلاصة ما نجدد في سبيل الوحدة العربية وحياتها الجديدة في العام الماضي نستقبله في هذا العام راجين مستبشرين

وقد حدث فيه من الاحداث المؤسفة أن كلا من دولتي العراق والافغان قد خسرت ملكها المحبوب المحنك، بيد أنه حل محل كل منه نجله الشاب المثقف، فسارت الدولتان معهما سيرتها الاولى مع والديهما بحنكة رجالها واستقرار النظام فيهما

ومن الانباء السارة أن حكومة الجمهورية اللادينية التركية قد رجعها الاختبار عن بعض الاعمال التي خالفت بها شريعة الاسلام وهدايته، وأن رئيسها مصطفى كمال حضر صلاة العيد مع رجال دولته الرسميين في المسجد، وانها لفاتحة خير تدل على ما يرجوه كثير من عقلاء الترك وغيرهم من رجوع هذه الحكومة إلى كل ما هو قطعي من هداية الاسلام

وحدث في أحد الشعوب الاسلامية التي كانت مستعبدة للاجنبي أن استقلت في إثر ثورة حامية الوطيس، ألا وهو شعب تركستان الصينية، وانها لقوة اسلامية حربية، تدل على ان المسلمين لم يفقدوا هذه المزية القديمة، وانهم لا ينقصهم في هذا العصر الا السلك الجامع ينتظمون فيه كما قال حكيمهم السيد جمال الدين قدس الله روحه، ولن تعيده لهم الا هداية القرآن، ولتأطرنهم عليه موقظات الزمان أطرا، بدعاية المصلحين المجددين، وبالرغم من أنوف الملحدين والجامدين

رب رجل مستشرق من رجال الدول القاهرة لا أنوف الانوف من المسلمين، ورب رجل شرقي متفرنج يائس من حياة الشرق والشرقيين، يقرأ هذه الجوائب التي تبتسم للعرب والاعاجم من المسلمين، وتبشرهم بوحدتهم وجامعتهم فيضحكان من غرور كاتبها وتغريره بقومه وأهل ملته (التغرير والتغرة بالشخص أو الشيء تعريضه للهلاك) بزعمهما أنه يخيل اليهم امكان تأسيس الوحدة العربية، والجامعة الملية بالرغم من الدولة البريطانية التي تقطع جميع سبل الحياة في وجوههم بل بالرغم من

أنوف الدول الثلاث الكبرى المتعاونة على استعبادهم ، مستعينات بجميع وسائل القوة الحربية والعلمية والمدنية والسياسية التي عندهن ، وجميع وسائل الضعف الموروثة ، التي ما زالت تفرق بين المسلمين ، من المذاهب والاوطان والزعامات والآراء الالحادية ، والشهوات الحيوانية ، فلئن قضى ابن السعود السني الحنبلي ، على قوة ابن حميد الدين الشيعي الزيدي ، فليزيدن قضاؤه هذا سعير الشقاق بين السنة والشيعة ضراما ، ولتكونن رواية « المثل الاعلى » للوحدة العربية في العراق ، مهزلة من المهازل المضحكة لأهل الآفاق ، ولتجدن من حزب الشرفاء آل الرسول (ص) من يزداد إيمانا بفضل السيطرة الانكليزية ، على هذه الوحدة العربية الاسلامية ، ويستعين بالوطن اليهودي ، على الوطن السعودي ، فلا تكون هذه الوثبة السعودية التي تجددت بها آمال العرب والمسلمين في نجد والحجاز ، وخفقت لها القلوب وشخصت اليها الابصار في مصر والشام ، الا حافزة للهمم ومغرية للدول وصنائعهم من العرب بالكيد لها ، والاسراع الى القضاء عليها

مهلا أيها الافرنجي المستشرق ، والشرقي المتفرنج ، ما أنا بجاهل لقوى الدول المعادية للعرب والاسلام ، وما أنا بمغرور بما نوهت به من المبشرات الجديدة لقومي وامتي ، ولا بغافل عن مساويهما الراسخة بطول العمر فيهما ، ولكنني أنظر إلى الشرق والغرب نظراً جديداً فأرى أن الشرق كان مريضاً فدخل في طور الشفاء ، وأرجو له سرعة لا بلال ، وأنه ضعيف نفخت فيه روح القوة الصورية والمعنوية فأتمنى بلوغها أوج الكمال ، وأرى أن الغرب كان صحيحاً سليم المزاج فدبت في بنيته سموم الانحلال ، وبلغت قواه ما قدر لها من وسائل الكمال ، ثم عرض لها من ضعف القوى الروحية والهرم ما ينذرها الزوال ، من حيث تتجدد قوى الشرق المادية والروحية وتدخل في سن الشباب

أما القوة المادية من حربية ومالية فقد نبغت في الشرق الاقصى دولة سبقت بها دول الغرب كلها ، ووقفت في وجهها وقفة المضارع المنازع لها ، فوجل منه قديمها وجديدها ، وصفعت عصبة أممهم المنافقة صفعة على وجهها أضحكت منها أمم الارض كلها ، وإنما ينقص هذه الامة (اليابان) أن تعزز قوتها المادية التامة من جانبيها الحربي والمالي بالقوة المعنوية من طرفيها السياسي والروحي ، في هذا العهد الذي عقدتهما فيه أوربة بشدة تعاديها ، وتربص دوائر السوء بينها ، وانفصام عرى الدين

والفضيلة التي كانت تستمسك بها ، وأن اليابان لفاعلة ذلك إن شاء الله تعالى

وأما القوة المعنوية فحسبنا من آيات تجددها في الشرق شعور شعوبه كلها بالآلام ومايزيلها ، وبالآمال وما ينيلها ، ألا وإن في الشرق قوة هي فوق جميع قوى العالم الجامعة لكل ما تحيا به الامم الحياة المعنوية والمادية من جميع جوانبهما وأرجائهما ، ألا وإنها روح الوحي الالهي الذي نزل به الروح الامين من السماء ، فألقاه الى محمد الامي في غار حراء ، فأحيا به الامة العربية الامية ، فأحيت به جميع الامم الاعجمية ، وفتحت به نصف العالم في النصف الاول من القرن الاول من ظهوره ، ثم شمل نوره العالم كله ، حتى حجبه المسلمون عن أنفسهم وعن سائر الناس ، ووضعوا مصباحه المضيء بنور الله تحت المكيال - كما قال المسيح عليه السلام - ولكن قد سخر الله المصلحين في هذا العهد لكشف المكيال عنه ، وتوجيه أبصار العقلاء إلى اقتباس النور منه ، وسيرى جميع المسلمين بأشعته ان الخلفاء الراشدين الاربعة كانوا اخوانا متعاونين على نشر هذا الدين ، وان أئمة أهل البيت النبوي كزيد بن علي وجعفر ابن محمد بن علي عليهم السلام ، وأئمة السنة من حفاظ الحديث ومستنبطي الفقه الاعلام ، ما كانوا الا اخوانا متحابين ، وان المفرقين بين المسلمين لاجل الملك ، والمتفرقين في الدين تعصبا لبعضهم على بعض ، هم أعداؤهم وأعداء الله تعالى ورسوله ﷺ وانه يجب عليهم أن يقطعوا على دعاة التعصب المذهبي ما يحملهم عليه من المنافع ، ويتفقوا على ما أجمعت عليه الامة ، ويعذر بعضهم بعضا فيما اختلف فيه الأئمة

ألا وان هذا القرآن شمس الله المشرقة لهداية جميع الامم ، ومأدبته المنصوبة لتغذية جميع البشر ، وان بعض علماء الافرنج المستقلين في العقل والرأي ، ليقولون في هدايته مايدعون به قومهم اليه ، وان دولة اليابان الشرقية كانت آخر من فطن له ، وستكون العاقبة في سيادة الارض لمن سبق الى الاهتداء به ، كما بينا ذلك مفصلا بالبرهان في كتاب (الوحي المحمدي) وإنا بهذا الموقنون وقد سبقنا اليه حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني وشيخنا الاستاذ الامام ، وصرح به برناردشو الكاتب الانكليزي وغيره من الاعلام ، وقد تطلع الشمس من مغربها وإنما العاقبة للاسلام (قل كل متربص فتربصوا ، فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى * (والسلام على من اتبع الهدى)

١١ - سورة هود عليه السلام

(وهي الحادية عشرة في المصحف وآياتها ١٢٣ آية)

هي مكية حتما كالتي قبلها ، واستثنى بعضهم منها ثلاث آيات : الاولى (١٢ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك) الخ والثانية (١٧ أفمن كان على بينة من ربه) الخ والثالثة (١١٤ وأقم الصلاة طرفي النهار) الخ قيل ان هذه الثلاث مدنية وهو خلاف الظاهر ولا يقوم عليه دليل ، الا ماروي في سبب نزول الثالثة من حديث أبي اليسر وغيره وسيأتي بيانه في تفسيرها

وقد نزلت بعد سورة يونس وهي في معناها وموضوعها الذي بيناه في تفسيرها وهو أصول عقائد الاسلام في الالهيات والنبوات والبعث والجزاء وعمل الصالحات ، وقد فصل فيها ما أجمل في سورة يونس من قصص الرسل عليهم السلام ، وهي مناسبة لها كل المناسبة ببراعة المطلع في فاتحتها والمقطع في خاتمتها ، وتفصيل الدعوة في أثنائها ، فقد افتتحتا بذكر القرآن بعد (الر) ومثلهما في هذا ما بعدهما من السور الاربع الا الرعد فأولها (المر) وذكر رسالة النبي المبلغ له عن الله تعالى ، وبيان وظيفته فيها ، وهو الانذار والتبشير ، وختمتا بخطاب الناس بالدعوة الى ما جاء به الرسول ﷺ وأمره في الاولى بالصبر حتى يحكم الله بينه وبين الكافرين ، وفي الثانية بالانتظار — أي انتظار هذا الحكم منه تعالى مع الاستقامة على عبادته والتوكل عليه

وذكر في أثناء كل منهما التحدي بالقرآن ، ردا على الذين زعموا أن الرسول ﷺ قد افتراه ، ولكن هذا الموضوع في الاولى أو في منه في الثانية ، وكذا محاجة المشركين في أصول الدين كلها ، فقد أجمل في كل منهما ما فصل في الاخرى مع فوائد انفردت بها كل منهما ، فهما باتفاق الموضوع ، واختلاف النظم والاسلوب ، آيتان من آيات الاعجاز ، تخر لتلاوتهما الوجوه للاذقان ، ساجدة للرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الر، كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (٢) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٣) وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ، وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٤) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

هذه الآيات الاربع في أصول الدعوة الى دين الله تعالى وهي القرآن وما بينه من توحيد الله تعالى وعبادته وحده والايمان برسله وبالبعث والجزاء ، وعمل الصالحات ، خوطب بها الناس من قبل الرسول ﷺ بدون ذكرهم ، ولا ذكر لأمره تعالى له به ، للعلم بكل منهما بالقرينة ، وبنزول هذه السورة عقب سورة يونس التي افتتحت بهذا

١ - ﴿ الر ﴾ تقرأ كأمثالها بأسماء الحروف ساكنة لا بمسمياتها فيقال : ألف ، لام ، را ، ومذهب الخليل وسيبويه انها اسم للسورة ، أو للقرآن (وبينا حكمة الابتداء بها في أول تفسير سورة الاعراف) ومحلها الرفع على الابتداء أو الخبرية عند الاكثر

﴿ كتابٌ أحكمت آياتُه ﴾ أي هذا كتاب (١) عظيم الشأن (كما أفاده

---

(١) بعض السور المبدوءة بمثل هذه الحروف أشير فيها الى الكتاب باسم « ذلك » كالبقرة ، وبعضها أشير فيها الى السورة بكلمة « تلك » كيونس ويوسف وغيرهما ، وبعضها قدر في أوله اسم اشارة مذكراً كهذه السورة والاعراف وغيرهما

التنوين) جعلت آياته محكمة النظم والتأليف، واضحة المعاني بليغة الدلالة والتأثير، فهي كالحصن المنيع، والقصر المشيد الرفيع، في إحكام البناء، وما يقصد به من الحفظ والايواء، فهي لظهور دلالتها على معانيها ووضوحها لا تقبل شكا ولا

تأويلا، ولا تحتمل تغييرا ولا تبديلا، ﴿ ثم فُصِّلت ﴾ أي جعلت فصولا متفرقة في سوره ببيان حقائق العقائد، والأحكام والحكم والمواعظ، وسائر ما أنزل الكتاب له من الفوائد، كما يفصل الوشاح أو العقد بالفرائد، فالاحكام والتفصيل فيه مرتبتان من مراتب البيان مجتمعتان، لا نوعان منه متفرقان يختلفان في الزمان، أو فصلت بعد الاجمال، كما ترى في القصص القصار والطوال، وقد

أبهما ببناء فعليهما للمفعول، ثم بينا بجملهما ﴿ من لدن حكيم خبير ﴾ وهو أبلغ من اسنادهما اليه ابتداء، أي من عند حكيم كامل الحكمة هو الذي أحكمها، وخبير تام الخبرة هو الذي فصلها، ولدن ظرف مكان أخص من «عند» وأبلغ. وهو بفتح فضم (كعضد) مبني على السكون

هذا مايتبادر الى فهم العربي القح من عبارة الآية، فاذا عرضته على ماجاء في القرآن من حرفي الاحكام والتفصيل وجدت فيه من الحرف الاول ثلاث كلمات الاولى) قوله تعالى في سورة الحج (٢٢ : ٥ فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) (والثانية) قوله تعالى في سورة القتال (٤٧ : ٢٠ ويقولون لولا نزلت سورة : فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) الآية — والثالثة قوله تعالى في سورة آل عمران (٣ : ٧ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) ووجدت الاحكام في كل منهن بالمعنى اللغوي الذي بيناه آنفا وقد حمل المقلدون المحكم في الآية الثانية على ما يقابل المنسوخ في اصطلاحهم، فقالوا سورة محكمة غير منسوخة، وهذا الحمل غير صحيح وان كان المراد منه صحيحا : فان هذا الاصطلاح ليس من أصل اللغة ولا من عرف القرآن، بل وضع بعد عصر نزوله، والآية الاولى حجة على هذا فان النسخ فيها غير النسخ الاصولي، ولا يصح ان يكون المعنى فاذا أنزلت سورة غير منسوخة، لان إنزال

سورة منسوخة محال في نفسه ، فلا معنى اذاً لنفيه ، وحملوه في الثالثة على مايقابل المتشابه وهو صحيح ، ولكنهم اختلفوا في معنى كل منهما وأشهر الاقوال عند أهل الكلام والاصول فيهما مخالف لمدلول اللغة وللمروي عن جمهور السلف الذي هو الحق قال السيد الشريف الجرجاني في الثاني :

قال السيد الجرجاني في الاول : المحكم ما أحكم المراد به عن التبديل والتغيير أي التخصيص والتأويل والنسخ ، مأخوذ من قولهم : بناء محكم ، أي متقن مأمون الانتقاض ، وذلك مثل قوله تعالى (إن الله بكل شيء عليم) والنصوص الدالة على ذات الله وصفاته لان ذلك لا يحتمل النسخ ، فان اللفظ إذا ظهر منه المراد فان لم يحتمل النسخ فهو محكم ، وإلا فان لم يحتمل التأويل ففسر ، وإلا فان سيق الكلام لأجل ذلك المراد فنص ، وإلا فظاهر ، وإذا خفي لعارض أي لغير الصيغة فخفي ، وان خفي لنفسه أي لنفس الصيغة وأدرك عقلا فمشكل ، أو نقلا فمجمل ، أو لم يدرك أصلا فمتشابه اه وقال في الثاني

المتشابه ماخفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلا كالمقطعات في أول السور ، وقال التاج السبكي في جمع الجوامع : والمتشابه ما استأثر الله بعلمه وقد يطلع عليه بعض أصفيائه اه وكلا القولين خطأ كما يعلم مما فسرنا به الآية في الجزء الثاني .

وقال السيد في تعريف التأويل : هو في الاصل الترجيح وفي الشرع صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة مثل قوله تعالى (يخرج الحي من الميت) ان أراد به اخراج الطير من البيضة كان تفسيرا ، وان أراد اخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا اه وقال التاج السبكي : الظاهر مادل دلالة ظنية ، والتأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، فان حمل لدليل فصحيح أو لما يظن دليلا ففاسد ، أولا لشيء فلعب لا تأويل اه

هذا الاصطلاح المفصل لهذه الكلمات فيه ما ترى - في كتب الاصول - من قيل وقال ، ومذاهب وجدال ، وهو مالم يكن يخطر في بال أحد من العرب عند قراءتها في كتاب الله تعالى ، بل كانوا يفهمونها بمدلولها اللغوي المحض ، فأما المحكم فهو ماتقدم

وأما التفصيل في الآية فقد جاء مكرراً في أكثر من عشرين موضعاً من عشر سور مكية ، وفي موضع واحد من سورة التوبة المدنيـة ، وأكثرها في تفصيل الآيات بمعنييها ، وبعضها في تفصيل الكتاب ، وبعض آخر في تفصيل الأحكام ، ونوع آخر أعم وهو (تفصيل كل شيء) أي مما يتعلق بهداية الدين ، واصلاح أمور المكلفين ، وكلها داخل في المعنى اللغوي الذي حررناه

بقي علينا المأثور في الكلمتين عن مفسري السلف ، وهو قليـل مختصر ، فعن ابن زيد في هذه السورة (قال) انها كلها مكية محكمة ، وان التفصيل فيهـا هو الحكم بين محمد ﷺ ومن خالفه في قوله تعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم) الآية ، ثم ذكر قوم نوح وقوم هود (قال) فكان هذا تفصيل ذلك وكان أوله محكما اه بالمعنى وحاصله ان المحكم المجمل وأن المفصل مايقابله بالمعنى اللغوي فيهما ، وعن الحسن البصري : أحكمت بالامر والنهي ، وفصلت بالوعد والوعيد ، وعن مجاهد (ثم فصلت) قال فسرت ، وعن قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها الله بعلمه ، فبين حلاله وحرامه ، وطاعته ومعصيته ، وهـذه الروايات كلها تدخل في المعنى اللغوي الذي بيناه ولا تحيط به

والقول الجامع أن تفصيل الاجمال في القرآن قسمان (الاول) تفصيل أصول العقائد وكليات التشريع العامة ، وأكثره في السور المكية ، كما بيناه متفرقا ثم مجملا في تفسير ما تقدم تفسيره منها ، وهو الانعام والاعراف ويونس (والثاني) ما يعم تفصيل الاحكام العملية من العبادات والمعاملات السياسية والمدنية والحربية كما بيناه في السور المدنية الطول المتقدمة أيضا

---

٢ ﴿ أن لا تعبدوا إلا الله ﴾ هذا تفسير أو بيان لأول ما أحكمت وفصلت به وله الآيات ـ أي بأن لا تعبدوا الا الله ، أو لئلا تعبدوا الا الله ، وهو أن تجعلوا عبادتكم له وحده لا تشركوا به شيئا ، وهذا ما تراه قريبا في قصص الرسل المفصلة في هذه السورة ، ويؤيد الجمع بين طرفي التوحيد السلبي والايجابي

قوله تعالى ﴿ انني لكم منه نذير وبشير ﴾ وهو تبليغ لدعوى الرسالة مبـين

لوظيفة الرسول وهي انذار من أصر على شركه وما يتبعه من الكفر والمعاصي بالعذاب الاليم ، وتبشير من آمن واتقى بالسعادة والنعيم المقيم ، وقدم الانذار لأن الخطاب وجه أولا الى المشركين كنظيره في سورة يونس وامثالها من السور المكية كسورة الكهف ، والمبلغ هذا هو النبي ﷺ

٣ـ ﴿ وأنِ استغفِروا ربكم ﴾ هذا عطف على ماقبله ، أي اسألوه أن يغفر لكم ما كان من الشرك والكفر والاجرام والظلم ﴿ ثم توبوا اليه ﴾ أي ثم ارجعوا اليه من كل إعراض ـ عنه وعن آياته ـ يعرض لكم بترك واجب أو فعل محرم ، نادمين منيبين مصلحين لما أفسدتم ، مستدركين ماقصرتم ، عطف التوبة بثم لان مرتبة العمل متأخرة عن مرتبة القول ، فكم من مستغفر وهو مصر على الذنب ، وسيأتي مثله في قصة كل من هود وصالح وشعيب ﴿ يمتعكم متاعا حسنا ﴾ المتاع كل ماينتفع به في المعيشة وحاجة البيوت ، والامتاع والتمتيع إعطاء مايتمتع به تمتعا طويلا ممتداً ، وأما وصفه تعالى لمتاع الدنيا وتمتع أهلها بها بالقليل فهو بالاضافة إلى حياة الآخرة ، والمعنى إن تستغفروا ربكم عند كل ذنب ، وتتوبوا اليه من كل إعراض عن هدايته ، وتنكب عن سننه ، يمتعكم في دنياكم متاعا حسنا مرضياً ممتداً ﴿ إلى أجل مسمى ﴾ عنده وهو العمر المقدر لكم في علمه ، المكتوب في نظام الخليقة وسنن الاجتماع البشري في عباده ، فلا يقطعه اهلاككم بعذاب الاستئصال ، ولا بفساد العمران وسلب الاستقلال ، ولا ينغصه ماينغص حياة الكفار ، وذلك أن لتنغيص الحياة في الدنيا وسلب النعم من أهلها أسبابا ترجع كلها إلى الاصرار على الذنوب المحرمة ، وهي لم تكن محرمة إلا لانها ضارة مفسدة للدين أو مزيلة للحياة أو للعقل أو للصحة أو لنظام الاجتماع المالي والمدني ، وانما تكون مفسدة باصرار فاعليها عليها ، فاذا كان من تعرض له يندم ويبادر الى التوبة من قريب ويصلح ماتجم من فسادها بالعمل المضاد له ، امتنع ذلك الفساد وزال أثره ، ولهذا اشترط في التوبة المقبولة ما اشترط ووصفت في القرآن بما وصفت كقوله تعالى (٤ : ١٧ انما التوبة على الله للذين يعملون

السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) وقوله (٥ : ٣٩ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه) وفي معناه آيات أخرى وقوله (٣ : ١٣٥ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) وقد سبق تفسيرها في مواضعها

وهذه السنة الربانية مطردة في ذنوب الامم المقصودة بالقصد الاول من هذا الخطاب ، وهي فيها أظهر منها في ذنوب الافراد (كما بيناه في مواضع عديدة من هذا التفسير) فالامم التي تصر على الظلم والفساد والفسوق والعصيان ، يهلكها الله تعالى في الدنيا بالضعف والشقاق وخراب العمران ، حتى تزول منعتها ، وتتمزق دولتها ، فتنقرض أو تستولي عليها دولة أخرى ، فهذا معروف في تواريخ الامم من أحوالها العامة في كل عصر ، وأما أقوام الرسل عليهم السلام في عصورهم فقد أهلك الله المصرين منهم على الكفر والعناد ، بعد قيام الحجة عليهم بعذاب الخزي والاستئصال ، كما بيناه في مواضعها وأقربها عهداً أواخر سورة يونس عليه السلام ، والآية تتضمن نجاة هذه الامة المحمدية من عذاب الاستئصال كما بيناه في تفسير سورة يونس أيضا ، وسنعود إلى بيان هذا في تفسير الآيات (١٠٠ — ١٠٣) التي ختمت بها قصص الرسل من هذه السورة

وأما قوله تعالى ﴿ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ فهو عام مطلق في جزاء الافراد في الآخرة ، مقيد في جزائهم في الدنيا ، ومعناه مع الذي قبله إنكم أيها المخاطبون بهذه الآيات من قوم محمد رسول الله وخاتم النبيين ، إن تجتنبوا الشرك وتؤمنوا بالله ورسوله وتستغفروا ربكم ، وتتوبوا اليه عقب كل ذنب يقع منكم ، يمتعكم بجملتكم ومجموعكم متاعا حسنا تكونون به خير الامم نعمة وقوة وعزة ودولة ، ويعط كل ذي فضل من علم وعمل جزاء فضله في الآخرة مطرداً كاملا ، وأما في الدنيا فقد يكون هذا الجزاء جزئيا ناقصا ، ومشوبا لا خالصا ، ولا يكون عاما كاملا مطرداً لقصر أعمار الافراد ، والتعارض والترجيح في سنن الاسباب والمسببات ، وهذا من أدلة البعث وجزاء الآخرة الذي يظهر فيه عدله تعالى كاملا شاملا

وبهذا التفسير الذي وفقنا الله تعالى له يظهر ما بيناه مراراً من أن ثمرة الدين سعادة الدنيا والآخرة كليتهما ، وقد غفل عنه المفسرون الذين يعارضون أمثال هذه النصوص بما جعلوه أصلا يرجعونها اليه بالتأويل كأحاديث ذم الدنيا وتسميتها « سجن المؤمن وجنة الكافر » وما يصح منها كهذا الحديث فهو محمول على النسبة بينهما بالاضافة الى حال كل منهما في الدنيا والاخرة، وحديث « أشد الناس بلاء الانبياء ثم الأمثل فالأمثل » وهو صحيح أيضا ، والبلاء الاختبار - يكون في النعم والنقم ، والخير والشر - يظهر استعداد الناس لكل منهما كما تراه قريبا في تفسير الآية ٧ فليس مما نحن فيه مما وعد الله به رسله وبلغوه أقوامهم وصدقه الواقع ، فكانت العاقبة للمؤمنين بهم في خلافة الارض وملكها ونعيمها ما ثبتوا على ذلك ، ومنه هذه البشارة ويقابلها قوله تعالى في الانذار

﴿ وإن تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾ أي وإن تتولوا (١) معرضين عما دعوتكم اليه من عبادة الله تعالى وعدم عبادة غيره ومن الاستغفار والتوبة من كل ذنب ، فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير هو له ، شديد بأسه ، وهو أن يصيبكم مثل ما أصاب أقوام الرسل الذين عاندوهم وأصروا على تكذيبهم وعصيانهم، أو ما دونه من عذاب المصرين ، في إثر نصر الرسول والمؤمنين ، وهذه براعة استهلال للقصص المفصلة في هذه السورة ، وأكثر المفسرين على أن المراد باليوم الكبير يوم القيامة الذي يكون فيه الجزاء الأكبر وهو المشار اليه في الآية التالية:

٤ - ﴿ إلى الله مرجعكم ﴾ أي اليه تعالى رجوعكم بعد موتكم جميعا أمما وأفرادا لا يتخلف أحد منكم فتلقون جزاءكم تاما ﴿ وهو على كل شيء قدير ﴾ ومنه بعثكم وحشركم وجزاؤكم قدم وصف الرسول بالنذير على وصفه بالبشير ، ثم قدم بشارة المؤمنين ، وأخر إنذار الكافرين المصرين تأليفا لهم، لأن توالي الانذار منفر من الاستماع ، مغر بالتولي والاعراض ، على أن هذا التأليف لم يؤثر فيهم كما ترى في قوله تعالى :

(١) « تولوا » هذه أصلها تتولوا تحذف تاء المضارعة فيها وفي أمثالها للتخفيف

(٥) ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾

هذا بيان مستأنف لحال المشركين وصفتهم عند تبليغهم الدعوة واقامة الحجة، افتتحت بأداة التنبيه ليتأملها السامع ويتصورها في صفتها الغريبة الدالة على اعراض الحيرة والعجز ومنتهى الجهل، يقال ثنى الثوب اذا عطف بعضه على بعض فطواه، وأثناء الثوب اطواؤه ومطاويه، وثناه عنه لواه وحوّله، وثناه عليه أطبقه وطواه ليخفيه فيه، وثنى عنانه عني أي تحول وأعرض، وثنى عطفه أي أعرض بجانبه تكبراً، ومنه في المجادل في الله بغير علم (ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله) والاستخفاء محاولة الخفاء ومنه (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) واستغشاء الثياب التغطي بها ومنه قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً) وهو بمعنى ما نحن فيه. ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ فسر بعضهم ثني الصدور هنا بالاعراض التام، والاستدبار للرسول عند تلاوة القرآن وهو أبلغ من ثني العطف والجانب، وفسره آخرون بطيها على ما هو مكنون فيها من الكراهة والعداوة له ﷺ، والاقرب أن يكون تصويراً لما كان يحاوله بعض الكفار ثم المنافقين عند سماع القرآن من الاستخفاء بتنكيس الرأس، وثني الصدر على البطن كما يطوى الثوب، حتى يخفى فاعله بين الجمع، فالمعنى ألا إن هؤلاء الكافرين الكارهين لدعوة التوحيد يحنون ظهورهم وينكسون رءوسهم كأنهم يحاولون طيّ صدورهم على بطونهم عند سماع القرآن

وهو معنى بليغ وواقع وأدنى مما قبله إلى التعليل بقوله تعالى ﴿ليستخفوا منه﴾ أي من النبي ﷺ عند تلاوته للقرآن فلا يراهم عند وقوع هذه القوارع على رءوسهم، أو ليستخفوا مما هم فيه من الشأن المظهر لخزيهم وجهلهم، المثبت لعجزهم، وهو الذي كان يتبادر إلى فهمي كلما تلوت الآية أو سمعتها قبل الاطلاع على شيء

ما قيل في تفسيرها ، على أنه قد يجامع ما قبله فيصدق كل منهما على فريق من الكفار ، ويناسب الاول أن يكون الاستخفاء من الله عز وجل ورواه البخاري عن مجاهد وروى ابن جرير وغيره عن عبدالله بن شداد قال كان أحدهم اذا مر بالنبي ﷺ ثنى صدره لكي لا يراه فنزلت . وعن أبي رزين قال : كان أحدهم يحني ظهره ويستغشي بثوبه وعن عطاء الخراساني في قوله (يثنون صدورهم) يقول يطأطئون رءوسهم، ويحنون ظهورهم، أي ألا فليعلموا ان ثني صدورهم وتنكيس رءوسهم ، ليستخفوا من الداعي لهم الى توحيد ربهم ، أو من ظهور حجته عليهم، لا يغني عنهم شيئا من ظهور فضيحتهم ، فانهم حين يستغشون ثيابهم فيغطون بها جميع أبدانهم عند النوم في ظلمة الليل ، ويخلون بخواطرهم ومايبيتون من السوء والمكر ، فان ربهم يعلم مايسرون منها ليلا ، ثم ما يعلنون نهارا . وعن قتادة قال كانوا يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كتاب الله تعالى . قال تعالى ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون ﴾ وذلك أخفى ما يكون ابن آدم اذا حنى ظهره، واستغشى بثوبه، وأضمر همه في نفسه، فان الله لا يخفى ذلك عليه ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ أي إنه تعالى عليم محيط بأسرار الصدور ، وخواطر القلوب ، فهم كالذين قال فيهم (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا)

وروي في الآية مالا يظهر في معناها ولا في قراءتها أنه تفسير لها ، وهو أنها نزلت في أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء ، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء ، وممن رواه البخاري عن ابن عباس، ولعل المراد أنه قال إن هذا يصدق فيهم ، وأقول ان هذا ضرب من مراقبة الله تعالى تذكرهم به رؤية السماء في هذه الحالة التي يقتضي الادب الستر فيها، وان كان الله لا يخفى عليه شيء ، ولا يحجب بصره ثوب ولا ظلمة ليل، وروي عنه أنه قرأ : ألا إنهم تثنوني صدورهم - بالمثناة الفوقية وبالتحتية - من اثنوني كاحلولى ، وكذا تثنوي كترعوي وفيها قراءات أخرى كلها شاذة لا نعني بنقلها ولا بتوجيهها

أول الجزء الثاني عشر في المصاحف

(٦) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ

بين الله تعالى في الآية التي قبل هذه إحاطة علمه بمناسبة مايغفل الناس عن علمه به ، وبين في التي قبلها شمول قدرته لكل شيء ، وبين في الآية الاولى من هاتين الآيتين مايهم الناس من آثار قدرته ، ومتعلقات علمه ، وكتابة مقادير خلقه، وهو مايتعلق بحياتهم وشؤونهم ، وفي الآية التي بعدها خلقه للعالم كله ، ومكان عرشه قبل هذا من ملكه، وبلاء البشر خاصة بذلك كله ، ليظهر أيهم أحسن عملا، وبعثه إياهم بعد الموت لينالوا جزاء أعمالهم ، وإنكار كفارهم لهذا . قال

٦ - ﴿ وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ﴾ الدب والدبيب الانتقال الخفيف البطيء حقيقة كدبيب الطفل والشيخ المسن والعقرب والجراد أو بالاضافة كدبيب الجيش ، أو مجازاً كدبيب السكر والسم في الجسم ، والدابة اسم عام يشمل كل نسمة حية تدب على الارض زحفا أو على قوائم ثنتين فأكثر، قال تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله مايشاء) أي مما تعلمون ومما لا تعلمون مما يدب على الارض ومما يطير في الهواء ومما يسبح في البحار والانهار . وغلبة لفظ الدابة على ما يركب من الخيل والبغال والحمير عرف لا لغة. ورزق الدابة غذاؤها الذي تعيش به . والمعنى : مامن دابة من أنواع الدواب في الارض الا على الله رزقها على

اختلاف أنواعها وأنواعه ، فمنها الجنة التي لا ترى بالابصار ، وصغار الحشرات والهوام ، وضخام الاجسام ، والوسطى بين الكبير والصغير ، وأغذية كل نوع مختلفة من نباتية وحيوانية ، وقد أعطى كلا منها خلقه المناسب لمعيشته ، ثم هداه الى تحصيل غذائه بغريزته ، فمنها ماخلق له خراطيم يمص بها غذاءه من النبات أو دم الحيوان ، وأعطاها من القوة ما إن خرطوم البعوضة الدقيق ليخترق جلد الانسان وما هو أكثف منه من جلود الحيوان ، ومنها ماخلق له مناقير تلتقط الحبوب ، ومنها مايمضغ النبات بأسنانه مضغاً ، وما يبلع الحشرات والطيور والانعام بلعاً ، وما له مخالب يمزق بها اللحوم ، وما له براثن يقتل بها كبار الجسوم ، وتفصيل هذا له كتب خاصة من قديمة وحديثة ، ولله تعالى حكم في خلقها وغذائها عجيبة ، فان خفي عليك أمر تغذي الحيات والسنانير ونحوها من خشاش الارض وصغارها ، وتغذي الافاعي الكبرى وسباع الوحش والطير من كبارها ، فأول ماينبغي لك أن تفكر فيه من حكمتها ، انه لولا ذلك لضاقت الارض ذرعا بكثرة أحيائها ، أو لأنتنت من كثرة أمواتها ، وإذا أردت زيادة العلم بها وبحكمتها فعليك بالمصنفات المدونة فيها ، وقد فتحت هذه الآية وأمثالها لك أبوابها ، وأرشدتك إلى تطلابها

ولا يشكلن عليك التعبير عن كفالة الله لرزقها بقوله (على) وما قيل من دلالتها على الوجوب مع قول المتكلمين انه لايجب عليه تعالى شيء ، فان الممنوع أن يجب عليه تعالى شيء بايجاب موجب ذي حكم أو سلطان يطالبه به ويحاسبه عليه ، فهذا محال عقلا وشرعا ، وأما ما أوجبه الله تعالى من النظام وسنن التدبير العام للمخلوقات بمقتضى علمه وحكمته ومشيئته ، ونفذه بقدرته واختياره في خليقته ، فهو حكمه وقضاؤه وقدره بسلطانه ، لا حكم عليه بسلطان غيره ، وهو كمال مطلق لاشائبة للنقص فيه

ولا يشكلن عليك فيها أيضا أن يكون في كل نوع من هذه الدواب حتى الانسان أفراد قد تضيق في وجوههم أبواب الرزق حتى يقضي بعضهم جوعا ، فليس معناها أن الله تعالى قد كفل لكل دابة من كل نوع أن يخلق لها ماتغتذي به ، ويوصله اليها بمحض قدرته ، سواء اطلبته بباعث غريزتها أو مايهديها اليه العلم من أسباب

كسبها ام لا ؟ وانما معناها ما فسرناها به من خلقه تعالى لكل منها الرزق الذي تعيش به، وأنه سخره لها وهداها إلى طلبه وتحصيله، كما قال (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) وبهذا تعلم جهل بعض العباد والشعراء فيما زعموه من أن الكسب وعدمه سواء، كقول بعض الخياليين الجاهلين، المتواكلين غير المتوكلين:

جرى قلم القضاء بما يكون ... فسيان التحرك والسكون

جنون منك أن تسعى لرزق ... ويرزق في غشاوته الجنين

فهذا الشاعر أحق بصفة الجنون ممن يصفهم بها، فان ما جرى به القضاء منه ما هو مجهول للناس، ومنه ما علم نوعه بالتجارب والاختبار، ويعبر عنه بالنواميس والسنن، ومنها أن الحركة والسكون لكل منهما آثار، فما هما سيان في ذاتهما، ولا في آثارهما ونتائجهما، وان ما قضاه وقدره من رزق الجنين في غشاوته بدم حيض أمه، غير ما قضاه وقدره من رزق من خاطبهم بقوله (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وبغيره من آيات التسخير والتكليف، ومن العجيب أن يستدل أحد المفسرين الاذكياء على هذا الجهل بأثر موضوع، ويستحسن في موضوعه خيال ابن أذينة الشاعر المخدوع:

لقد علمت وما الإشراف من خلقي ... ان الذي هو رزقي سوف يأتيني

أسعى اليه فيعييني تطلبه ... ولو أقمت أتاني لا يعييني

ثم يقول: وقد صدقه الله تعالى في ذلك يوم وفد على هشام فقرعه بقوله هذا، فرجع إلى المدينة فندم هشام على ذلك وأرسل بجائزته اليه، ثم أورد في معناه (أي المفسر) قول من اعترف بأنه ألغى امر الاسباب جداً إذ قال:

مثل الرزق الذي تطلبه ... مثل الظل الذي يمشي معك

أنت لا تدركه متبعا ... وإذا وليت عنه تبعك

وقفى عليه — أعني المفسر — بقوله هو: وبالجملة ينبغي الوثوق بالله وربط القلب به سبحانه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن اه

وأقول ان هذه الجملة حق وضع موضع الباطل، ولكن هذا الشعر أوغل في الجهل الباطل مما سبقه، فانه جعل الكلام في الرزق المطلوب، لا في الرزق المكتوب، وجعل

اتباعه بالسعي والطلب مانعا من إدراكه ، والتولي عنه بالقعود والكسل ، والتمني دون العمل ، من الضرورات المقتضية لنيله ، فيكون تأييد زعمه أو تقريبه مما ينبغي بل يتأبى من الوثوق بالله وربط القلب به و لا يمان بمشيئته ، من ربط العلم بالجهل ، وتأييد الباطل بكلمة الحق ، فالثقة بالله تعالى والايمان بمشيئته لا يصحان مع الجهل بمعناهما ومواضع تعلقها ، وقد علم بنصوص القرآن وبسنن الله تعالى في الخلق وأسباب الرزق ، أن مشيئته تعالى لا تكون لا بمقتضى سننه في ارتباط الاسباب بالمسببات وحكمته فيها كما فصلناه مراراً في مواضعه من هذا التفسير ، والجهل بهذا مما أفسد على المسلمين دنياهم ودينهم ، وأضاع جل ملكهم ، وجعل جماهيرهم عالة على غيرهم

﴿ ويعلم مستقرها ومستودعها ﴾ أي وما من دابة في الارض إلا ويعلم الله مستقرها حيث تستقر وتقيم ، ومستودعها حيث تكون مودعة الى حين ، فهو يرزقها في كل حال بحسبه وقد بينا معنى الكلمتين في اللغة وما ورد في تفسيرها من الآثار في تفسير (٦ : ١٠٠ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) فراجعها إن شئت في ص٦٣٨ـ٦٤٠ من الطبعة الثانية للجزء السابع من التفسير ، وقد لخص البيضاوي جملة الاقوال في مستقرها ومستودعها كعادته بقوله : أماكنها في الحياة والممات أو الاصلاب والارحام أو مساكنها من الارض حين وجدت ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ﴿ كل في كتاب مبين ﴾ أي كل واحد من الدواب وأرزاقها ومستقرها ومستودعها ثابت مرقوم في كتاب مبين ولوح محفوظ ، كتب الله فيه مقادير الخلق كلها فهو عنده تحت العرش كما ثبت في الصحيح وقد بينا ما ورد في هذا الكتاب مجملا في تفسير (٧ : ٣٨ وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء) ثم مفصلا في تفسير آية مفاتح الغيب وهي ٥٩ من هذه السورة (الانعام) فراجعها في ج ٧ أيضا

٧ ﴿ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ﴾ من أيام الله تعالى في الخلق والتكوين وما شاء من الاطوار ، لا من أيامنا في هذه الدار التي وجدت

بهذا الخلق لاقبله، فتقدر أيام الله بأيامها كما توهم الغافلون عن هذا وما يؤيده من قوله (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وقوله (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة)وقد ثبت في علم الهيئة الفلكية ان أيام غير الارض من الدراري التابعة لنظام شمسنا هذه تختلف عن أيام هذه الارض بحسب اختلاف مقادير أجرامها وأبعادها وسرعتها في دورانها ، وأن أيام التكوين بخلقه من الدخان المعبر عنه بالسديم شموسا مضيئة، تتبعها كواكب منيرة ، يقدر اليوم منها بألوف الالوف من سنينا بل من سني سرعة النور أيضا ، وقد سبق مثل هذه الجملة في سورتي الاعراف ٧: ٥٤ ويونس ١١: ٣ وذكر بعدها استواء الخالق تعالى على عرشه، وتدبيره لأمر ملكه . وأما هنا فقال بعدها فيهما ﴿ وكان عرشه على الماء ﴾ أي وكان سرير ملكه في أثناء هذا الطور من خلق هذا العالم أو من قبله على الماء. وقد بينا في تفسير آيتي الاعراف ويونس المشار اليهما آنفا أن المعنى الكلي المفهوم من العرش انه مركز نظام الملك ومصدر التدبير له، وان المتبادر في الاستعمال اللغوي استعمالهم : استوى على عرشه بمعنى ملك أو استقام أمر الملك له ، و: ثُلَّ عرشه بمعنى هلك وزال ملكه، ونحن نعلم أن عروش ملوك البشر تختلف مادة وشكلا وهي من عالم الشهادة وصنع أيدي البشر ، كذلك يختلف النظام للتدبير الذي يصدر عنها، وهو من جنس مايعلم البشر في عالمنا هذا، فعرش ملكة سبأ العربية العظيم ، كان أعظم من عرش سليمان ملك اسرائيل، ولكن تدبيرها وحكمها الشوري (الديمقراطي) كان دون حكمه الشرعي الديني ، ورب عرش من الذهب، وعرش من الخشب، وأما عرش الرحمن عز وجل فهو من عالم الغيب الذي لا ندركه بحواسنا ، ولا نستطيع تصويره بأفكارنا ، فأجدر بنا أن لانعلم كنه استوائه عليه ، وصدور تدبيره لأمر هذا الملك العظيم عنه ، فما أجهل الذين تصدوا لتأويل هذه الحقائق الغيبية ، بأقيستهم وآرائهم البشرية ! وما أحسن ماروي عن أم سلمة (رض) وربيعة ومالك من قولهم :الاستواء معلوم، والكيف مجهول، الخ ما تقدم في تفسير آية الاعراف

وأما قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) فنفهم منه أن الذي كان دون هذا العرش من مادة هذا الخلق قبل تكوين السموات والارض أو في أثنائه هو هذا الماء، الذي

أخبرنا عز وجل أنه جعله أصلا لخلق جميع الاحياء، إذ قال (٢١ : ٣٠ أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ؟) الرؤية هنا علمية والمعنى ألم يعلموا ما ينبغي أن يعلموه من أن السموات والارض كانتا مادة واحدة متصلة لا فتق فيها ولا انفصال — وهي ما يسمى في عرف علماء الفلك بالسديم وبلغة القرآن بالدخان — ففتقناهما بفصل بعضها من بعض ، فكان منها ما هو سماء ومنها ما هو أرض، وجعلنا من الماء في القابلة لحياة الاحياء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون والامر كذلك بأن الرب الفاعل لهذا هو الذي يعبد وحده ولا يشرك به شيء ، وأنه قادر على إعادة الخلق كبدئه ؟

فيفهم من هذا وذاك أن الذي كان تحت العرش فيتنزل اليه أمر التدبير والتكوين منه هو الماء، الذي هو الاصل لجميع الاحياء ، لا ما تخيله بعض المفسرين الفنيين في الماء والعرش، مما تأباه اللغة والعقل والشرع، والعبارة ليست نصا في أن ذات العرش المخلوق كان على متن الماء كالسفن التي نراها راسية فيه الآن كما قيل ، فان فائدة الاخبار بمثل هذا إن كان واقعا في ذلك العهد هو دون فائدة ما ذكرنا من معنى العرش الذي بيناه، وهو الذي يزيدنا معرفة بربنا وبحكمه في خلقه، وهو الذي يتفق مع نظريات علم التكوين وعلم الحياة وعلم الهيئة الفلكية وما ثبت من التجارب فيها ، ويخالف أتم المخالفة ما كان معروفا عند أمم الحضارة من قواعد علم الفلك القديمة ونظرياته المسلمة . وبهذا يعد من عجائب القرآن ، التي تظهر في كل زمان بعد زمان

ثم علل سبحانه وتعالى خلقه لما ذكر ببعض حكمه الخاصة بالمكلفين المخاطبين

بالقرآن فقال ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ أي ليجعل ذلك بلاء أي اختباراً وامتحانا لكم فيظهر أيكم أحسن إتقانا لما يعمله؛ ونفعا له وللناس به ، وذلك أنه سخر لكم كل شيء وجعلكم مستعدين لابراز ما أودعه فيه من المنافع والفوائد المادية والمعنوية، ومن حكم خالقه ورحمته بعباده فيه ، ومستعدين للافساد والضرر به ، وقد سبق لنا تفصيل هذا البلاء فيما تقدم تفسيره من الآيات كقوله تعالى في آخر سورة الانعام (٦ : ١٦٥ وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وإنه لغفور

رحيم) وغيره ﴿ ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ﴾ أي وتالله لئن قلت للناس فيما تبلغهم من وحي ربهم: انكم ستبعثون من بعد موتكم ليجزيكم ربكم بعملكم فيما بلاكم به (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) فانه

ماخلقكم سدى. ولاسخر لكم هذا العالم واستخلفكم فيه عبثا ﴿ ليقولن الذين

كفروا إن هذا الا سحر مبين ﴾ أي ليجيبنك الذين كفروا وكذبوا بلقاء الله قائلين: ما هذا الذي جئتنا به من هذا القرآن لتسخرنا به لطاعتك الا سحر بين ظاهر، تسحر به العقول، وتسخر به الضمائر والقلوب، فتفرق به بين المرء وأخيه، وأمه وأبيه، وعشيرته التي تؤويه، معتقدين بسلطان بلاغته انهم سيموتون ثم يبعثون ويجزون بكل ما يفعلون (هيهات هيهات لما توعدون)

(علاوة في آيات التكوين وما فيها من اعجاز القرآن العلمي)

ان الله تعالى ذكر عرشه مع خلق السموات والارض في بضع آيات بين في كل منها شأنا من شؤونه: ففي سورة الاعراف ذكر سننه في إغشاء الليل النهار وطلبه طلبا حثيثا، وتسخير الشمس والقمر وهو النظام الذي يجري عليه هذا النظام الشمسي بدوران الارض حول شمسها، ودوران القمر حول أرضه وفي آية يونس ذكر التدبير العام من غير حاجة الى شفيع اذ أمر الشفعاء موقوف على اذنه، ثم وضحه بآية جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتقديره منازل، وفي آية هود ذكر ما للماء من الشأن في خلق الاحياء، ولهذا الماء ثلاثة مظاهر أوسطها السائل الذي يشرب منه الحيوان ويسقي به النبات وهو مايكون عليه في حال اعتدال الحرارة فاذا نقصت الى درجة معينة صار ثلجا أو جليدا، فاذا ارتفعت صار بخارا، فاذا كثف سمي ضبابا وسديما، فاذا خالطه غيره سمي دخانا. وفي آية الرعد جمع بين تسخير الشمس والقمر الى أجل مسمى وتدبير الامر وتفصيل الآيات، وآية طه ذكر بعدها ان له مافي السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى، وآية الفرقان ذكر بعدها انه جعل في السماء

بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ، فذكر البروج تفصيل لنظام الزمان، وآية السجدة نفى فيها أن يكون لأحد من دونه ولي أو شفيع ، وقفى عليها بتدبير الامر من السماء الى الارض ينزل منه ثم يعرج اليه في يوم مقداره ألف سنة مما تعدون، وقال في آية الحديد (يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) الخ

وقد بينت في آخر تفسير آية الاعراف أن بعض المتكلمين تكلفوا تفسير السموات السبع والكرسي والعرش العظيم أو تأويلهن بالافلاك التسعة عند فلاسفة اليونان المخالف للقرآن ، وان علم الفلك الاوربي قد نقض في القرون الاخيرة تلك النظريات الخيالية، بالادلة العلمية من رياضية حسابية هندسية ، ومن طبيعية عملية ، كتحليل النور وسرعته ووزن الحرارة ، وإن ما ثبت في علم الفلك الحديث ومباحث التكوين قريب من نصوص القرآن، كبعده عما يخالف من نظريات اليونان،

وأزيدك هنا أن هذه الارض في اصطلاح الهيئة القديمة هي مركز العالم كله ويحيط بها فلك القمر فهو سماؤها ويحيط به فلك عطارد الخ فعلى هذا لم يخلق الله الا أرضا واحدة ، والسماء في اللغة العربية ما سما وعلا فكل ما في جهة العلو فهو سماء ، ونقل الراغب في مفردات القرآن عن بعضهم : كل سماء بالاضافة الى دونها فسماء ، وبالاضافة الى فوقها فأرض الا السماء العليا فانها سماء بلا أرض وحمل على هذا قوله (٦٥ : ١٧ الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) وهذا أقرب الى علم هذا العصر وأبعد عن علم اليونان أيضا

وأعجب من هذا أن العلم العصري بسنن التكوين العامة يرتقي في هذه الاجيال درجة بعد درجة، وأن بعض ما ينكشف منها للعلماء من النظريات والاصول قد ينقض بعض ما سبقه منها، ولكن لم ينقض شيء منها شيئا مما ثبت في القرآن، على لسان النبي الأمي عليه الصلاة والسلام، فأصل السديم المشار اليه بقوله (٤١ : ١١ ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين) وأصل خلق الاحياء النباتية والحيوانية من الماء ، لا يزال كل منهما ثابتا عند جميع العلماء

وقد عبر به عن مادة التكوين التي هي مادة خراب العالم الذي ترجع به هذه الاجرام الى مادتها الاصلية بقوله تعالى (٤٤ : ١٠ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين)

وعبر عنه كذلك بالغمام في قوله (٢٥: ٢٥ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) وقوله (٢ : ٢١٠ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) والغمام في اللغة السحاب الرقيق. فالدخان والغمام والبخار والسديم كلها مظاهر لهذه المادة اللطيفة (الماء) قال حكماؤنا : البخار جسم مركب من أجزاء مائية وهوائية، والدخان مركب من أجزاء أرضية ونارية وهوائية . والغبار مركب من أجزاء أرضية وهوائية اه وأرقه الهباء قال تعالى (٥٦ : ٤ إذا رجت الارض رجا ٥ وبست الجبال بسا ٦ فكانت هباء منبثا) ويصح التعبير بالدخان عن العناصر البسيطة للبخار والدخان كالايدروجين وهو مولد الماء والاكسيجين وهو مولد النار ، والاسم العرفي لجنس هذه البسائط (الغاز) . والسديم في اللغة الغمام والضباب ، واختاره علماء الفلك على الدخان وغيره اصطلاحا لعدم استعمال العامة إياه في غير مرادهم ولا مشاحة في الاصطلاح

والخلاصة ان التنزيل أرشدنا في كل آية من آيات التكوين التي ذكر فيها عرشه العظيم ، الى نوع من أنواع ما جعله مصدرا له من سنن التكوين وأنواع التدبير ، وفي آيات التكوين التي لم يذكر فيها العرش أنواع أخرى من سننه ونعمه وحكمه ، ولم تكن العرب ولا شعوب الحضارة والفنون تعرفها ، ومنها ما لم يعرفه علماء الافرنج الا في عصرنا هذا .

من ذلك أصل خلق جميع الاحياء النباتية والحيوانية بالتوالد بين الازواج المنصوص في قوله في الارض (٢٢: ٥ وأنبتت من كل زوج بهيج) وقوله (٥٠: ٧ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) وقوله (٢٦: ٧ أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) وقوله (٣١ خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة ، وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) فالزوج البهيج والكريم هو المنبت المنتج. والمراد بالازواج في هذه الآيات كلها أنها ذكر وأنثى كما قال (٥٣: ٤٥ وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) ومثله في آخر سورة القيامة (٧٥: ٣٦ـ٣٩)

فان قيل إن آخر ما انكشف للبشر من علم التكوين في هذا القرن أن المنشأ

الاول للخلق الذي كان قبل وجود الحيوان والنبات وما يسمى بالجماد من طبقات الارض ، هو اتحاد ذراته الكهربائية الايجابية بالسلبية المعبر عنهما في لغة العلم (بالألكترون والبروتون) فهل لهذا من أصل من القرآن العظيم ؟

قلت نعم إن هذان إلا زوجان منتجان ، والقرآن لم يحصر سنة الزوجية في النبات والحيوان، بل قال تعالى (٥١ : ٤٩ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وأبلغ من هذا في العموم ، وأدهش لاولي الالباب والفهوم ، وأعظم عبرة للمستقلين في العلوم ، قوله عز وجل (٣٦ ٣٦ سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون) فهو يشمل الكهربائية وغيرها مما علم ومما قد يعلم في المستقبل ، وإن هذا التعبير ، لايعقل صدوره إلا عن عالم الغيب والشهادة العليم الخبير ، وما كان مثله ليخطر ببال محمد العربي الامي الناشيء بين الأميين ، ولا في خلد أحد من الفلاسفة العقليين والطبيعيين ،

على أنه قد جاء في الآيات والاحاديث من ذكر النور والنار في الكلام على الخلق وسنن الابداع مايدل على هذه الكهرباء دلالة واضحة وأظهره آية النور العظمى في سورته (الله نور السموات والارض) وقوله في مثله منها (يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور) وفي عدة آيات من عدة سور ان الله خلق الجان (من مارج من نار) أو (من نار السموم) وهي من مخلوقات الارض ، وقد كانت في أحد أيامها كتلة نارية مشتعلة ، وراجع ماورد من الاحاديث في هذا الموضوع من تفسير آية الاعراف (٧ : ١٤٣) في رؤيته تعالى

فان قيل : ولم لم تذكر هذه السنن العجيبة في موضع واحد من القرآن فتكون أظهر للناس، ويكون المؤمنون بها أسبق الى ما أظهره العلم منها في هذا الزمان؟

قلنا : أولا — إن أسلوب القرآن في بيان أصول الدين وفروعه المقصودة لذاتها هو إيرادها في آيات متفرقة في السور ممزوجة بغيرها من أنواع المسائل والفوائد لافي مكان واحد، وقد بينا حكمة هذا في مباحث الوحي المحمدي من سورة يونس التي صدرت في كتاب مستقل .

ثانياً — إن هذه السنن قد ذكرت في سياق الآيات الدالة على عقيدتي التوحيد والبعث فكان المناسب أن تذكر معها في مواضعها

ثالثاً — إن العلم التفصيلي بها ليس من مقاصد الوحي الذاتية وانما هو من العلوم التي يصل إليها البشر بكسبهم وبحثهم، وانما يكون البحث مرشداً لهم اليها

رابعا — لو جمعت هذه الآيات في موضع واحد على انها بيان تام لجميع أطوار التكوين لتعذر فهمها قبل تحصيل مقدماته بالبحث العلمي ولكانت فتنة لبعض من فهمها بالجملة، وان دلالة القرآن على كروية الارض ودورانها واضحة كآية الاعراف التي أشرنا اليها آنفا (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) وفي غيرها ولا يزال أكثر المسلمين يجهلونها

خامسا — ولو لم يعرض للحضارة العربية الاسلامية من المصائب والفتن الاجتماعية والحربية والشقاق الديني والسياسي ما وقف بترقي العلم والبحث لسبقوا إلى ما وصل اليه غيرهم من الافرنج بعدهم باتباعهم والجري على آثارهم، فان المعارف الكونية يمد بعضها بعضا ما لم يعرض لها ما يوقف سيرها

هذا وإن مؤلف هذا التفسير الضعيف قد صرح في مقصورته التي نظمها في عهد طلب العلم بطرابلس الشام، بسنة الله تعالى في جعل الازواج مصدر التكوين العام، وأشار إلى شواهد ذلك من العلم الحديث وما يناسبه من موقدات الفكر والخيال فقال:

تَبَارَكَ البَارِيءُ مُبْدِعُ الْوَرَى ... بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَى (١

أَحْكَمَ رَبِّي مَا بَرَاهُ فَانْبَرَى ... مُسْتَحْصَفَ المِرِيرِ مشدودَ العُرَى (٢

أَنْشَأَ فِي الدُّخَانِ كُلَّ صورَةٍ ... فَسَمَكَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ دَحَا (٣

(١) تعالى الخالق وتزايدت بركاته الذي ابتدأ الخلق على غير مثال سابق ولا اقتداء بأحد وهو غني عنه اتم الغنى وأظهره (٢) أتقن كل ما برأه فكان قويا محكما، والمرير ما اشتد فتله من الحبال، والمرة الطاقة والقوة منه، واستحصفه أحكمه اتم الاحكام ومنه الحصيف الكامل العقل والرأي (٣) سمك السماء رفعها وجعلها سمكا اي سقفا، ودحا الارض يدحوها ويدحيها فصلها من السماء وجعلها مستقلة متحركة، من دحا المطر الحصى عن وجه الارض اي جرفه، ودحا الفرس والنعام التراب حوله بما يحفر في الارض، ومنه أدحية النعام ما يحفره لبيضه

(وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ) الَّذي أَنشأَ مِنهُ كلَّ حَيٍّ وَبَرَا
وَخَلَقَ الأَشْياءَ أَزْوَاجًا وَمِنْ ذُرِّيَّةِ الزَّوْجَينِ يَذْرو مَا يَشَا(١
ثُمَّتَ (أَعْطَى كلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ) بِقَدَرِ اسْتِعْدَادِهِ (ثُمَّ هَدَى)(٢
فَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِقَدَرٍ لا أُنُفٌ مُبْتَدَأٌ وَلاَ سُدَى (٣
فابْعَثْ رَسولَ الطَّرْفِ مِنكَ رَائِدًا يَجوبُ أَجْوَازَ البِحَارِ والفَلاَ
واسْرِ بِهِ لِلأُفْقِ فِي مَرَاصِدٍ مِعْرَاجُهَا يُدْنِي إِلَيكَ مَا نَأَى
وَسَرِّحِ الفِكْرَ رَبِيئًا ثَانِيًا لِمَسْرَحِ الأَرْوَاحِ يَسْعَى وَالنُّهَى(٤
حَتَّى إِذَا جَاسَا خِلاَلَ الدَّارِ مِنْ حِسٍّ إِلى نَفْسٍ وَرُوْحٍ وَحِجَا
سَائِلْهُمَا هَلْ ثَمَّ مِنْ تَفَاوُتٍ أَوْ خَلَلٍ فِي الْبَدْءِ كَانَ أَو عَرَا

(١) ذرأ الخلق اوجدهم وأظهرهم بشخوصهم وتخفف الهمزة ، وذراهم بثهم وفرقهم ، والذرية صغار الاولاد والنسل وقد يطلق على كبارهم معهم

(٢) تجد معنى الآية المقتبسة هنا في تفسير (ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها)

(٣) القدر المقدار المعين لا يزيد ولا ينقص وهو النظام الثابت. والانف بضمتين الجديد، وكان شعار منكري القدر الالهي من المبتدعة (الامر أنف) اي يخلق الله كل شيء ويدبر كل امر مبتدأ جديداً لا على ترتيب ونظام سبق في علمه وربط المسببات فيه بالاسباب والسنن. والسدى بالضم الباطل وأصله الابل المسيبة لاراعي لها

(٤) الربيء والربيئة الطليعة من الجيش تسبق فتكشف له ما أمامه . ومعنى كونه ثانيا انه يتلو رسول الطرف وهو الرائد الاول. والمراد انظر بفكرك وبصيرتك في حكم المخلوقات المعنوية وهي الارواح والعقول ، بعد النظر ببصرك في المخلوقات الحسية في براري الارض وبحارها ونيرات الافق تسري اليها ليلا مستعينا بمراصدها وهي الآلات التى تقرب الاجرام السماوية وتكبرها للرائي

أني وتلك مظهر في الحق صفاته وما تسمى من سما(١
(فليس في الإمكان) أن تجري بها (أبدع مما كان) قبل وجرى (٢
(ثم ارجع البصر) إليها يقلب إليك خاسئا حسيرا) قد عشا
يتلو عليك لاء (صنع الله) من (أتقن كل) ما رأيت وترى
ثمت يتلو (قد خلت من قبلكم) من سنن الحكيم في هذا الورى
وأنهن سنن ثابتة مثل نظام الشمس فاتل (والضحى)
قام بين أمر كل عالم في أرضنا وفي السموات العلى
ما ثم تبديل ولا تحويل عن شيء ولا قوم فهم فيها سوى
ناهيك بالإنسان في اجتماعه طردا وعكسا وأماما وورا
يجري على حكم تنازع البقا في أرجح الأمرين نشأ وارتقا

(١) هذا تعليل لكون خلقه تعالى تاما كاملا لا نقص فيه ولا خلل ، وهو ان كل شيء فيها متعلق صفة من صفاته الكاملة ومظهر من معاني أسمائه الحسنى . وسما لغة في الاسم (٢) هذه الكلمة (ليس في الامكان أبدع مما كان) من كلمات الامام أبي حامد الغزالي التي انفرد بها وأنكرها عليه بعض العلماء بأنه يفهم منها عجز الخالق عن خلق ما هو اكمل من هذا العالم ، وأجاب عنه آخرون من وجوه كانت مجالا للجدال ، والمنكرون عليه متفقون معه على أن القدرة لا تتعلق إلا بالممكن فلا يقال ان الخالق لا يقدر على إيجاد شريك او ولد له او على ذاته ، وغلط بعضهم في هذا فأساء في التعبير ، كما قاله الجلال في تفسير (وهو على كل شيء قدير) وما علمنا به المسألة اقوى مما يقال فيها مع تعظيم الخالق وتنزيهه عما لا يليق به ، وخلاصته انه لا يمكن وجود عالم ابدع وأكمل مما هو مظهر لصفاته وأسمائه الحسنى عز وجل ، ويؤيده ما أشرنا اليه من الشواهد القرآنية في الابيات التالية

كَرَاسِبِ الْإِبْلِيزِ وَالْإِبْرِيزِ إِذْ ... يَذْهَبُ طَافِي زَبَدِ الْمَاءِ جُفَا(١)
وسنةِ التَّلَاقُحِ بِالزَّوَاجِ بَلْ ... كُلِّ تَوَالُدٍ تَرَاهُ فِي الْوَرَى
يَظْهَرُ هٰذَا فِي الْمَوَالِيدِ وَفِي الْـ ... جَمَادِ وَالتَّفْكِيرِ رُبَّمَا بَدَا
فَاجْتَلِهِ فِي الْحَيَوَانِ نَاطِقًا ... وَأَعْجَمًا وَفِي النَّبَاتِ الْمُجْتَنَى
بَلْ كُلُّ ذَرَّةٍ بِجِسْمٍ نَبَتَتْ ... زَادَ بِهَا الْجِسْمُ امْتِدَادًا وَنَمَى(٢)
خَلِيَّةٌ يُقْرَنُ فِي غُضُونِهَا ... نُوَيَّتَانِ تَثْنِي وَهِيَ زَكَا(٣)
وَالْكَهْرَبَا زَوْجَانِ إِمَّا اقْتَرَنَا ... تَأَلَّقَ الْبَرْقُ وَشِيكًا وَخَفَا(٤)
كَالزَّنْدِ وَالزَّنْدَةِ إِمَّا ازْدَوَجَا ... بِالِاقْتِدَاحِ أَنْتَجَا نَارَ الصَّلَى
وَالْمُعْصِرَاتُ عِنْدَ مَا أَلْقَحَهَا الثْـ ... ـثَائِبُ جَاءَتْ بِوَلِيدِهَا الْحَيَا(٥)
وَلَامَسَ الْبِحَارَ فِي سُكُونِهَا ... فَاعْتَلَجَ الْآذِيُّ فِيهَا وَطَفَا
وَالْمَاءُ وَالتُّرْبَةُ إِذْ تَقَارَنَا ... تَوَلَّدَتْ صُمُّ الصُّخُورِ وَالْحَصَى
وَافْتَرَشَ الْأَرْضَ الْحَيَا فَانْفَتَقَتْ ... عَنْ كُلِّ زَوْجٍ يُرْتَمَى وَيُجْتَنَى

(١) الابريز الذهب الخالص والابليز بوزنه هو الطين الذي يحمله النيل في فيضانه (طمي النيل) وفيه الاشارة إلى الآية الكريمة التي استدللنا بها على هذه السنة وهي قوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل ،فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، كذلك يضرب الله الامثال) والجفاء بالضم ما يرمي به الوادي والقدر على جوانبه من الرغوة والغثاء ، وأنيق الصائغ مثل القدر في ذلك (٢) نما ينمي نماء أفصح من ينمو نموا (٣) المراد بالخلية هنا معناها الاصطلاحي عند علماء النبات وهي هنة دقيقة لا ترى إلا بالآلة المكبرة تحوي السائل الحي الذي يكون به النمو ، وقد ثبت انه يوجد فيه نواتان صغيرتان جداً تقترنان فتلدان خلية أخرى وهلم جرا. فهذا معنى: تثني وهي زكا أي زوج (٤) خفا يخفه ظبر، وخفي (كرضي) يخفى استتر (٥) الثائب الرياح الشديدة التي تلقح السحاب الممطر، وتسمى المعصرات فتكون في اول المطر ومن البحر ماء المد الذي يفيض بعد الجزر

فتاوى المنار

﴿ كتمان القرآن عن أهل الكتاب وسورة يوسف عن النساء ﴾

(س ١ — ٣) من صاحب جريدة الوطنية بمصر نشر في العدد ٤٢٧ منها وتاريخه ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٥٢ هـ و ١٢ ابريل سنة ١٩٣٤ م ووجه إلى علماء الاسلام كافة وقد أرسله إلى صاحبها مع كتاب بخطه يخصني به بالسؤال ، وقد ذكر في مقدمته ان أستاذاً من الشيوخ المعلمين في المدارس الاميرية ، وخطباء بعض الجمعيات الاسلامية ، قال له (وقد سأله عما بلغه من إنكاره لقراءة القرآن لتبليغه بالمذياع — أي آلة الراديو — ما يأتي بنص الجريدة وهو :

« ان في القرآن آيات ضد أهل الكتاب كان لها وقت نزولها ما يبررها ، أما وقد أصبحوا بعد ذلك ذوي ذمتنا فلا يجوز أن يسمعوا تلك الآيات

« (ثم تجاوز هذا وقال) انني أمقت قراءة سورة يوسف في البيوت حتى لا تسمع النساء حديث يوسف مع زليخة فيفهمنها بما يثير الريبة في عفاف النبي الكريم سيدنا يوسف (وزاد على هذا قوله) إنني لا أسمح أن يقرأ القرآن في حفل عام من رجل لا يفهم معانيه الخ

« فأنكرت عليه رأيه في هذا كله ، ولكني جئت أستفتي علماء الدين في رأيه هذا ، فماذا يقولون ؟ اهـ بحروفه بدون مقدمته وذيله الذي رد به صاحب الجريدة على الاستاذ

﴿ جواب المنار ﴾

ان هذا الذي عزي الى هذا الاستاذ رأي باطل ، لا يوافقه عليه مسلم عالم ولا جاهل ، بل هو بدع من الرأي الآفين ، لم يبلغنا عن أحد من الاولين ولا من الآخرين ، وما علل به إنكار إسماع أهل الكتاب للآيات التي سماها ضدهم وإسماع النساء سورة يوسف باطل مثله ، وكل تعليل يراد به الاحتجاج على كتمان شيء من القرآن فهو باطل ،

فالقرآن كلام الله الحق، وحجته الكبرى على جميع الخلق، وكل مافيه هداية صالحة لكل زمان وكل مكان، وتبليغه واجب، وكتمانه فسق، واستحلاله كفر، (٢ : ٥٩ إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (١٦٠) إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)

فعسى أن يكون ما عزي الى الاستاذ الفاضل قد نقل على غير وجهه الذي ذكره السائل في جريدته وبينه في كتابه، وعسى أن يتوب ويصلح ويبين ان كان قد نقل بنصه أو بمعناه. وقد كتمنا اسمه تكريما له، وانتظارا لما نرجو من تأويل أو تفصيل له فيه مخرج ولكن في الكلام ثلاث شبهات تعلق بأذهان قراء، فيجب أن نكشف عنها الحجاب على كل حال، لانها طبعت وانتشرت بين الناس:

(١) منع قراءة القرآن في المحافل بشرطه

أما منع من لا يفهم معانيه من قراءته في المحافل فهو باطل محرم، وهو يقتضي منع أكثر المسلمين الحفاظ له وغيرهم من تلاوته فيها، وتخصيص تجويزها بالعلماء الذين يفهمون معانيه وقليل ماهم، ولا ندري ما الفرق بين المحافل وغيرها إذا كانت علة المنع عدم الفهم للمعاني، فان كانت العلة إسماعه للجمهور كتعليل منعه لقراءته في المذياع، فما الفرق بين من يفهم المعاني ومن لا يفهمها؟

(٢) ما نزل في شأن أهل الكتاب

وأما ما نزل في شأن أهل الكتاب فكله حق وعدل محكم يجب إظهاره في كل وقت، حتى ما نزل في الاعداء المحاربين منهم، دع ماهو خاص بالذميين والمعاهدين، وقد قال تعالى فيهم (ليسوا سواء) وأثنى على بعضهم بالحق وذم أكثرهم بحق، ولا يزال فيهم من هم أشد عداوة للمسلمين من سلفهم في عصر التنزيل ومايليه، وكان أهل الذمة في الصدر الاول أشد محافظة على شروطها من أهل زماننا، وقد قال تعالى فينا وفيهم (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) لخ. بل قال في المشركين الذين كانوا أشد عداوة للاسلام من أهل الكتاب ولاسيما النصارى الذي كان

فيهم من هم أقرب مودة للذين آمنوا (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) الخ فما الذي يريد هذا الاستاذ كتمانه من القرآن أن يسمعه أو يقرأه أهل الكتاب وغيرهم وهو يعلم ما يقولون ويكتبون من الطعن بالكذب والبهتان على الله ورسوله وكتابه ودينه، وما يكيدون لرد أطفال المسلمين عنه إلى دينهم، وان من يسميهم الذميين كالمعاهدين في هذا ولا يراعي شروط الذمة والعهد أحد منهم، فهل يجد في سفهاء قومه من لا يفضل أعلم قسوسهم وكتابهم في التنزه عن مثل هذا، أم يريد أن يقول انه يشرع لنا نسخ بعض القرآن حتى في التلاوة لارضائهم وهو يعلم ماقال الله تعالى في "غاية التي لا يرضيهم دونها شيء" والله أعلم منه بهم؟ والقرآن لا ينسخ بالرأي، ولا يصح إطلاق القول بكتمانه لمصلحة راجحة فكيف يكتم بمثل هذا الوهم، على أن هذا الكتمان متعذر في هذا الزمان ولله الحمد

(٣) سورة يوسف وسماع النساء لها

وأما سورة يوسف عليه السلام، فهي منقبة عظيمة له، وآيات بينة في إثبات عصمته وأفضل مثل عملي يقتدى به في العفة والصيانة يجب أن يهذب به النساء والرجال، فكل منهما يعلم بشعوره الطبيعي قوة سلطان الشهوة الجنسية على نفسه، ويسمع ويقرأ من أخبار الناس ولا سيما أهل هذا العصر في مثل هذا المصر مافي طغيانها على غيره، من الفضائح والخيانات والجنايات وتخريب للبيوت وإضاعة للمال والعيال والدماء والشرف، أفلا يكون افضل مثل للعفة والصيانة، وأحسن أسوة في الايمان والامانة، أن يتلى على النساء المؤمنات والرجال المؤمنين وعلى غيرهم من الملحدين، قصة شاب كان أجمل الرجال صورة وأكملهم بنية، يخلو بامرأة ذات منصب وسلطان، هي سيدة له وهو عبد لها، فيحملها الافتتان بجماله وكماله على أن تذل له نفسها، وتخون بعلها، وتدوس شرفها، وتراوده عن نفسه، والمعهود في ادنى النساء وأسفلهن تربية ومنزلة أن يكن مطلوبات لا طالبات، فيسمعها من حكمته، ويريها من كماله وعصمته، ماهو أفضل قدوة في الايمان بالله والاعتصام به، وفي حفظ أمانة السيد الذي أحسن مثواه وائتمنه على عرضه وشرفه،

فيقول لها (معاذ الله انه ربي أحسن مثواي، انه لا يفلح الظالمون) فتشعر بالذل والمهانة، والتفريط بالشرف والصيانة، وتحقير مقام السيادة والكرامة، فتهم بضربه او قتله، ويهم هو بالدفاع عن نفسه، ويكاد يبطش بها لولا أن رأى برهان ربه، وعصمه من فحشاء الشهوة الطبيعية المضعفة للارادة، ومن سوء ثورة القوة الغضبية التي تذهل صاحبها عن عاقبة الجناية، ففر منها وهو الشجاع فرار الجبان، فكان كما قال الله تعالى ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ وهو المتبادر من التعبير اللغوي في هم الشخص بالشخص، وبيناه بالشواهد في الرد على من أنكره وقلنا انه المعهود بين البشر في مثل هذه المخالفة المذلة ولما نقرؤه في القصص والصحف في هذا العصر، والمناسب لقوله تعالى بعده (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين)

وانني ما اخترت هذا المعنى لتبرئته عليه السلام مما ينافي العصمة فان الهم من حديث النفس الذي لا يؤاخذ الله الناس به، وان الهم بايقاع السوء كالهم بالمواقعة كلاهما بمعصية. إلا انه في الاول دفاع عن النفس وقد عصمه الله منه، وان عصيان النفس فيما اشتدت الداعية الجنسية له أدل على العصمة، وأحق بحسن الاسوة

ولما انهتك — والعياذ بالله — الستر، وعرف ذلك الاصر، خاض نساء المدينة في امرها، ولجوا في عذلها، لعلمها تقضي اليهن بعذرها، فتريهن طلعة هذا المملوك الذي استعبد مالكه، وسلب منه عقله وكرامته وشرفه، ولم يجزه على هذا كله بنظرة عطف، ولا بلمسة كف، ﴿ فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن، فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن، وقلن حاش لله ما هذا بشرا، إن هذا الا ملك كريم* قالت فذلكن الذي لمتنني فيه، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم، ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فلما هددته بالسجن، وهو يعلم أن بيدها الامر والنهي، (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه، وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين) اي أكن من

سفهاء الاحلام، الذين يتبعون شهواتهم الحيوانية كالانعام، ولا يستطاع الهرب من كيد النساء وهو عظيم، ولا مايغري به - وهو دونه - من كيد الشيطان الرجيم، إلا بالاستعاذة بالله السميع العليم، (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) وكل من استعاذ به تعالى مؤمنا مخلصا اعاذه، فكيف اذا كان من رسله لهداية عباده، (فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم) الخ

وهكذا امتحن الله يوسف وفتنه بجماله فتونا، فلبث في السجن سبع سنين وخرج منها كما يخرج الذهب من بوتقة الصائغ إبريزا خالصا، وجزاه الله في الدنيا قبل الآخرة على صبره (وقال الملك ائتوني به، فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن أيديهن، ان ربي بكيدهن عليم * قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء)

طلبه ملك مصر ليستعين بعلمه ورأيه على الخروج من المخمصة التي أنذرته إياها رؤياه، وكان يظن أنه مسجون بجريمة ولكنه احتاج اليه، فاشترط لاجابته أن يسأل النسوة اللائي تواطأن مع مولاته على الكيد له ليعيش في وسطهن عيشة اللهو والخلاعة: هل آنس منه صبوة اليهن، فجرأتهن على ما كان من مراودتهن؟ فاستعذن بالله أن يلمزنه او يغمزنه دفاعا عن أنفسهن، وشهدن بأنهن ما علمن عليه من سوء، اي أدنى شيء وأقل نقص يسوءه، ولم يبق إلا شهادة مولاته امرأة العزيز، فبم شهدت؟ (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين)

أي قالت «الآن حصحص الحق» أي ظهر أجرد أمرد لا تستره شبهة ولا تهمة كما يحص ويسقط الشعر أو ريش الطائر، وثبت واستقر من قولهم حصحص البعير اذا ألقى مباركه للاناخة، فالكلمة بمعنييها أبلغ مايعبر به عن المعنى المراد في هذا المقام، وإنما كانت هذه الحصحصة بما ظهر من وقائع القصة الثانية، وهي فرار يوسف منها (أولا) ومن كيد جماعة النسوة (ثانيا) ومن إيثاره عيشة السجن البائسة في خشونتها ومهانتها، على عيشة القصور العالية في نعمتها وزينتها (ثالثا) ومن شهادة النسوة اللاتي تصبينه (رابعا)

وقد علم من ذلك كله ان يوسف كان فوق أفق البشر في حسنه وجماله، ولا يقل عن الملائكة الكرام في عصمته وكماله وجلاله فكانها تقول (أنا راودته عن نفسه) مغلوبة على نفسي، فاقدة لعقلي وشرفي وحسي (وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي)

ثم ذكر يوسف عليه السلام سبب امتناعه عن الخروج من السجن الى أن تبين لملك مصر وملئه براءته مما اتهم به، فقال (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين* وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) أي ذلك الذي اشترطته للخروج من السجن ليعلم عزيز مصر أني لم أخنه في حال الغيبة عنه، إذ غلقت امرأته الابواب وقالت ما قالت وقلت ما قلت (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) فيما يكيدون به للامناء الصادقين، بل يجعل العاقبة للمتقين، وما أبرىء نفسي مما هممت به من دفع صيال السيدة علي بمثله، لولا أن رأيت ما صرفني عنه من عصمة ربي، ولا من الميل الطبيعي الى الجمال وأمرها الفطري بالاستمتاع، الا ما رحم ربي من الأنفس فصرف عنها السوء والفحشاء بهداية الايمان، (ان ربي غفور رحيم) فأسأله أن يغفر لي ما لا أملكه من نزغات النفس، ونخرائز الطبع

هذه خلاصة مختصرة من قصة يوسف عليه السلام، هي ما يتبادر الى الافهام من بلاغة القرآن، دون ما شيبت من دسائس الروايات الاسرائيلية المخالفة لذوق اللغة ومقام الانبياء عليهم السلام

فهل هي الا أفضل هداية من الله تعالى تمثل للنساء والرجال أكمل المثل العليا لفضيلة العفة والصيانة التي لا تتم البشر الا بصدق الايمان بالله تعالى ومراقبته في الخلوات والجلوات، فليوازن قارئها بينها وبين ما تقرؤه النساء في القصص الغرامية، وفي صحف الاخبار اليومية، من الحوادث المناسبة لموضوعها، ومما يجب تدبره وتذكره من العبرة بها، ومنها أن خلوة الرجل بالمرأة مهما تكن صفتهما من أقوى ذرائع الفتنة وقد حذر النبي ﷺ منها في عدة وصايا حتى من أقارب الزوجين فقد قال «إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الانصار أرأيت الحمو؟ قال «الحمو الموت» رواه الشيخان في الصحيحين. ولنمسك عنان القلم فقد جمح في الموضوع بما زاد على عزمنا عليه عند البدء في الجواب، والحمد لملهم الصواب، ومؤتي الحكمة وفصل الخطاب

جزيرة العرب - والوحدة العربية

(وسعينا لعقد الاتفاق بين الامامين وفقهما الله تعالى)

قد اضطررنا في السنة الماضية أن نصرح ببعض ما كنا نخفيه تارة ونشير اليه تارة ، أو نجمجم به آونة بعد آونة ، من أنباء سعينا الى وحدة الامة العربية وجعل جزيرتها مركز القوة وأساس الدولة ، وما يليها من الارض المقدسة والمباركة موطن الحضارة ومورد الثروة ، وهو ما بدأت بوضع النظام له وتأسيس جمعية (الجامعة العربية) التي كانت خاصة بالامراء والزعماء ، وكنت المتولي لجميع الاعمال فيها ، ومكاتبة أمراء الجزيرة وزعماء الامصار في سورية والعراق بامضاء (الناموس) ويرى المطلعون على مذكرات جمال باشا سفاح الترك كتابا منها وجده في أوراق أحد شهداء الظلم بسيفه محمد المحمصاني (رحمه الله تعالى) وأما إمام اليمن وملك العربية السعودية فهما أعلم الناس بهذه الجمعية وناموسها منذ ٢٣ سنة كاملة ، وقد نشرنا يمينها في ترجمة الملك فيصل (ر ، ح) في المجلد ٣٣ من المنار

كان أساس النظام الاول لهذه الجامعة عقد معاهدة حلفية بين أمراء الجزيرة كما بيناه في العام الماضي ، وقد انحصر هذا الحلف بعد استيلاء ابن السعود على الحجاز في جلالته وجلالة امام اليمن المستقلين ، وأخر ناضم سلطنة مسقط وعمان اليهما ، لما كان بين سلطانها وبين امام الاباضية هنالك من الخلاف ، الذي سعيت الى تلافيه واستقلال البلاد بما عرضته على السلطان فيصل بن تركي (ر ، ح) في مسقط عند زيارتي له فيها أثناء منصرفي من الهند سنة ١٣٣٠ هـ (الموافق سنة ٩١٢ م) فتعذر عليه تنفيذه ، ثم وقع بعد ذلك بسنة واحدة من الحرب لاهلية ما توقعته بالفكر والفراسة وأنذرت ذلك السلطان وقوعه ، كما يعلم ذلك شقيقه السيد نادر وبطانته في ذلك الوقت

وكان الملك فيصل الهاشمي (ر ، ح) آخر من بلغته إياه وأقنعته بتوقفه على الاتفاق مع ابن السعود صاحب نجد فوافقني على ذلك كما تقدم في ترجمته وستأتي تتمتها

ولقد كان الامام يحيى أول من كاتبته وعرضت عليه مشروع الجامعة العربية وكان ذلك قبل تأسيس جمعيتها التي أشرت اليها بالفعل ، ثم تكررت المكاتبة اليه

بعدها ، ومن بعده كتبت الى السيد محمد الادريسي في عسير والى الامير فالسلطان عبد العزيز السعودي امام نجد بالامس وملك العربية اليوم. وقد كان الامام يحيى أول من أجابني مستحسنا ما اقترحت معتذراً عن تنفيذه بالشكوى من السيد الادريسي الذي عبر عنه بالجار بالجنب ، ولمزه بالغدر ونقض العهد ، ورفض دعوة الود ، وبأنه « حالف أعداء الله الطاليان » - بهذا اللفظ - ولكنه هو عاد بعده فخالفهم مخالفة رسمية مكتوبة والادريسي لم يفعل هذا ، فأدع الكلام في التاريخ الماضي في مسألة الجزيرة والوحدة العربية بالحلف وغيره ، واقول كلمة في سعيي للاتفاق بين إماميها المستقلين بعد استيلاء ابن السعود على الحجاز

سعينا الجديد للاتفاق بين الامامين

لما تم للامام عبد العزيز الاستيلاء على الحجاز أظهر رغبته في عقد مؤتمر اسلامي في مكة المكرمة في أثناء موسم الحج ، وأرسل إلي مكتوباته إلى ملوك المسلمين وأمرائهم وكبار زعمائهم في الدعوة لأرسلها من مصر وكان منهم امام اليمن بالطبع ففعلت - إلا جلالة ملك مصر فأرسلها هو اليه مباشرة - وظهرت في إثر ذلك بوادر الجفاء بينه وبين دولة مصر ، فبادرت الى السفر الى مكة في شوال لأجل السعي لدى الملك عبد العزيز في تلافي هذا الجفاء ، وتمهيد سبيل المودة والاخاء ، لما لي من لسان الصدق والاخلاص الاسلامي في اعتقاد جلالته ، وكان من ذلك ما كان ، وبسطته بوقته في المنار كما وقع لا كما يحرفه الآن بعض الكتاب

ولما انتهى المؤتمر الاسلامي بعد اداء المناسك كلها رغب إلي الملك أن أرجيء سفري إلى مصر مدة للمحادثة معه فيما أراه من وسائل الاصلاح فأجبت بل امتثلت ، وكان أهم ما اقترحته مرارا : وأوسعته إلحاحا وإلحافا وجوب عقد المعاهدة الحلفية بينه وبين الامام يحيى ، وهو ما كان تكرر مني اقتراحه عليهما ، فكان يظهر لي قبول الاستحسان بشيء من الفتور وقلة الاهتمام ، أتأوله بضيق الوقت وسعة النطاق في موضوعات الكلام ، حتى اذا ما سنحت فرصة سمر لنا على سطح قصره حيث كنا نسهر عدت إلى إلحاحي لقرب موعد سفري فأجابني بما هو ملخص ما تقدم من الكلام متفرقا

وقال : انني والله وبالله وتالله لا أنوي التعدي على بلاد الامام يحيى ، وانني أرغب

أصدق الرغبة في موادته ومحالفته ، واذا قبل اليوم أن نعقد محالفة هجومية دفاعية بيننا فلا أرجيء عقدها إلى غد ، وأذن لي أن أبلغ وكيله في المؤتمر السيد محمد عبد القادر هذا عنه . وقال انه مستعد للتصريح له اذا اقتضت الحال

ثم قال مافحواه : وأما اذا كنت تخاف أن يعتدي الامام يحيى علينا فكن مطمئنا بأن وبال ذلك يكون عليه ، فنحن بفضل الله وعنايته أقوى منه ، بل قال انه يستطيع أن يطارده في بلاده من جهتين أو ثلاث ، وإنه . إن شاء ـ وجد من أهل البلاد التابعة له من يخرجون معه عليه ، لان أكثرهم ساخطون لا راضون منه

وانني قد بلغت الشق الاول من هذا الحديث لوكيل الامام السيد محمد عبد القادر الذي كان عامله على الحديدة ، وكتبت إلى الامام به كتابا أعطيته لوكيله هذا بيده

ثم تركت ذلك إلى الامامين حتى اذا ماخاب الوفد الاخير الذي أرسله الملك إلى صنعاء في العام الماضي وتجدد الشقاق ، ورأيت من خلل الرماد وميض نار ماخشيت أن يكون له ضرام ، عدت إلى السعي للاتفاق من أوله ، بما يعلم تفصيله من المكتوبات الآتية (ومنها تعلم قيمة مايدعيه محبو الشهرة من السبق اليه بارسال البرقيات ومحاولة تأليف الوفد بعد فوات الوقت)

أقتصر من هذه المكتوبات على أكثر مادار بيني وبين جلالة الامام يحيى الذي كنت أشك في إقناعه لما أعلم من طباعه وسياسته السلبية ، ومن كون الخطر عليه من الحرب أقوى ، ولان المكاتبة بيني وبين الملك عبد العزيز فيها من الحرية والصراحة التامة في جميع المسائل مالا يجوز نشره إلا أن يكون بأذنه بعد العلم بالمصلحة فيه ، ولانني أعتقد أن إقناعه سهل اذا قنع الآخر بالوفاق ، لتصريحه لي بعد إعلامي بتجهيز الجيوش وزحفها في شهر رمضان بأنه لا يبغي بذلك الا إقناع يحيى بقوته ، وانها الوسيلة الاخيرة لاقناعه بعقد المحالفة اذا كان مثله يكره الحرب كما يظن به ، حتى اذا مايئس من اجابته ، وأعلن له الحرب بقضم مفاوضة أبها ، علمت أن قد بطل قول الالسنة والاقلام ، وأعطي القول الفصل للحسام ، فلن يقبل الملك لاحد قولا الا من بعد حكمه ، وهذا هو الرأي كما بيناه في الجزء الماضي ، وسيعلم الامام ، وأنصاره بما يضر ولا ينفع من الكلام ، من نصح له عن إخلاص وعلم ، ومن غشه بالدهان وقول الاثم ،

(المكتوبات بين صاحب المنار وجلالة الامام يحيى في التنازع الاخير)

(بينه وبين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود)

المكتوب الاول في ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٢

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من محمد رشيد آل رضا الى حضرة صاحب الجلالة الامام، الهمام سليل الأئمة الاعلام ، عليهم السلام

السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . أما بعد فقد أزعجنا وأمضنا نبأ مرضكم، وما كدنا نبتهج بنبأ نقاهتكم بالا وتلاه النبأ الصادع بوقوع الشقاق بين حكومتكم والحكومة السعودية المنذر بقرب وقوع الحرب، وبخيبة الامل الذي كان ينتظره كل عربي مخلص لامته وكل مسلم لملته ، وحريص على سلامة مهد دينه ، من عقد الحلف بينكم وبين الدولة العربية السعودية بمساعي الوفد السعودي الذي كان في رحابكم منذ أشهر ، اذ تجاوبت الانباء بأن الوفد كان في صنعاء كالمحجور عليه ، وانكم أذنتم له بالرجوع أدراجه بعد إلحاح ملكه بالطلب فانقلب خائبا مخذولا ، الى ما أنتم أعلم به ، ولا يعنينا تفصيل جزئياته ، ولا تحقيق مقدماته ، وانما تعنينا النتيجة ، وهي تسوء كل عربي وكل مسلم ، إلا الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ولو علمتم بسوء تأثيرها في مصر وسورية وفلسطين لهالكم ، ولتجافى بجنبكم عن مضجعكم ، ولعلمتم أنه لولا عذر الناس لسيادتكم بمرضكم لخسرتم بهذه الحادثة مالكم في القلوب من السيرة الحميدة في العقل والرأي والتقوى ، والحرص على حفظ سلطان الاسلام وحكمه، واستقلال الجزيرة العربية، وسد ذرائع تسرب النفوذ الاجنبي اليها ، وخطره على بلادكم أشد ، ولا شك أن حرم الله تعالى ورسوله عليكم أعز، ولكن الامل فيكم لم ينقطع ، ولن ينقطع إن شاء الله تعالى ، وقد تضاعف الاعجاب بأخيكم الملك السعودي : دينه وعقله وحكمته ، إذ علموا بما أبرق اليكم في الخطب المدلهم

أيها الامام الحكيم ، التقي الحليم : لقد علم الرأي العام الاسلامي ولاسيما العربي، أنه لو فجعت الامة بكم في هذا المرض ، لقضى ولي عهدكم الشاب على جزيرة العرب ، فهو (أي الرأي العام) يرجو أن تبادروا قبل كل عمل الى الاتفاق مع أخيكم الملك الحكيم ، على التحالف والتعاون على حفظ هذه الجزيرة المقدسة من دسائس الاجانب والمفسدين ، وعلى عمران المملكتين اللتين وكل الله أمرهما اليكما، وتعزيز قوتهما في حياتكما الشريفة العزيزة قبل أن يئول أمرها الى أنجالكما ، الذين لا تضمن أمتكما وملتكما أن يكون لهما من الحكمة والخبرة والروية مثل ما آتاكما الله تعالى، إلا أن يتربوا في كنفكما، وظل ماتضمان من النظام، وماتنفذانه منه لاعزاز الاسلام، بعز العرب في جزيرتهم ، ومنبت أرومتهم ، ومهد دينهم، و« اذا ذلت العرب ذل الاسلام » كما قال الصادق المصدوق عليه وعلى آله السلام، ولا ذل للعرب إلا اذا ذلوا في جزيرتهم ، وحصن دينهم ، ومأرزه الوحيد في هذا العهد : عهد تداعي الامم عليهم ، كما نطقت به الاحاديث النبوية الصحيحة الصريحة وسيادتكم أعلم بها

أيها الامام العليم، الحكيم الحليم

مهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعيدة والمملكة السعودية من حق سياسي أو جغرافي ، فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين ، فكل منهما واسع الاطراف ، قابل لأضعاف ماهو عليه من العمران ، فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للخراب لاجل توسيع حدوده بحق أو باطل، وأما اذا اتفقتما وتحالفتما تحالفا صريحا ، وعاهدتم الله تعالى والامة على الاخلاص في الولاء والتعاون، فان كلا منكما يأمن على حدوده، ويخلو له الجو لعمران بلاده، وجعل استعداده الحربي موجها إلى أعداء الله وأعداء قومه ، وذلك ربح لايعلوه ربح ، وهو ما يطالبكم به الدين وأهله أجمعون .

أيها الامام : إن جزيرة العرب هي تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين ، الاسلام والمسلمين ، لا لعبد العزيز الفيصل السعودي ولا ليحيى حميد الدين ،

فاختلافكما وتعاديكما يضيع الاسلام ، وان ضاع في جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة في غيرها ، فجميع المسلمين تحت سلطان الاجانب ، إلا قليلا من الاعاجم ، أنتم تعلمون حالهم ، وما ينتظر من مآلهم ، فيجب أن تتذكرا هذه التبعة ، وتتقيا الله وتحرصا على حسن الخاتمة ، والسلام

منشيء المنار
محمد رشيد رضا

(حاشية) قد كتبت الى الامام عبد العزيز ملك العربية السعودية بهذا المعنى أيضا

(جواب الامام يحيى عن المكتوب الاول)

(ختم إمارة المؤمنين)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

السيد العلامة الاستاذ محمد رشيد رضا حفظه الله وأدام عليه نعمه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

قد تناولنا كتابكم الكريم وشكرنا ما أظهرتموه من الغيرة المحمودة بازاء ما نفخ به الشيطان في مناخر من لا خلاق لهم . ولقد عجبنا واستغربنا جداً ما يشيعه خدمة الدرهم والدينار ، وما يشوهون به وجه الحقيقة الذي هو أجلى من شمس النهار من توتر العلاقات بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن حرسه الله ، وحصول مقدمات الحرب ، والتأهب من الطرفين لاقتحام مجال الطعن والضرب ، مع ما ينسبونه الينا من إرادة ذلك ، وما ينسبونه إلى ولدنا العلامة سيف الاسلام ، أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله من التشوق لاضرام نار الحرب وكل ذلك محض الافتراء وقد خاب من افترى . فانه ولله الحمد لم يحدث ولم يتجدد الآن بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز ما يقدح زند العدوان ، فما حدث إلا الجميل وحسن الرعاية من الطرفين ، وحتى الآن المراجعات الودية بيننا مستمرة ، والاحوال

كما هي عليه مستقرة ، وكيف يكون من مثلنا سعي يخالف صالح المسلمين، واقامة شريعة سيد المرسلين ؟ وهل يقبل العقل السديد أن يكون منا الآن اثارة فتنة تخالف صالح الاسلام والمسلمين ؟

والحال أنا مازلنا ولا نزال نسمع من شعبنا السعيد مايثير الحفيظة مما كان بتنومة من قتل نحو ثلاثة آلاف مسلم آمين بيت الله الحرام، لاداء فريضة الاسلام، ويرفعون بذلك عقائرهم، ولم نزل نصبرهم بحسن العبارات، وألوان الاعتذارات ولم يمكن لنا أن نصدع حضرة الملك بذلك ، مع أنا حكمناه في ذلك عقيب الواقعة وأجاب بكل انصاف . أفهذا السكون يكون من مريد لتأجج جحيم الهيجا، ياذوي الحجى ؟ كلا

ولقد علم من تحت أديم السماء ما كان من فصل قطعة من اليمن الميمون عن أمها اليمن الخضراء مع علم كل ذوي العقول أن قطعتي عسير وما اليها ، وجازان وما اليه ، هما من اليمن جغرافية ونسباً ومع ذلك فلم يصدر منا غير الجميل، بل كان منا السعي الكامل للاصلاح في الفتنة الناشئة بين السيد حسن الادريسي وبين حضرة الملك عبد العزيز ولم نقل جآن لما عندي مزاجا ، أفيكون هذا من مريد لبذر البوس ، واقتباس نار أحر من نار حرب البسوس ؟ كلا ولكنها الاهواء عمت فأعمت

وأما ولدنا سيف الاسلام أحمد بن أمير المؤمنين فلم يكن من أعلاج الاغتام، وانما هو بضعة من رسول الله ﷺ ، ومن العلماء العاملين ، وانه لأشد الناس رعاية للصداقة بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز ، وانا نعلم يقينا ردوده على المحرشين بأعظم رد ، فليكف المفترون عن أقوالهم المزورة ، وليستحيوا من العالم بأكمله لافتضاح لهجاتهم الكاذبة مرة بعد مرة، إن كانت لهم ديانة ورعاية لمكارم الاخلاق ، فقد أوضحنا لكم الحقيقة برمتها حيث شاهدنا في كتابكم وفي غيره مايومي الى اعتقاد أن المنشور في الجرائد من قبيل الحقائق ، وما كنا نؤمل أن تخفى عليكم مصادرها ، ومن هو الملوم فيها ، وثقوا بأنه لا يكون أي اندفاع الى خصام ، ولا امتشاق حسام، مهما استمرت الحالة على ما كانت من قبل، سواء كان

اسعافنا بانصاف أو بقيت الحالة على ماهي عليه لم ترع لما فيها الحقوق ، والحامل على هذه الطريقة هو رعاية مافيه صالح الاسلام والمسلمين ، هذا والدعاء مستمد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ ه

المكتوب الثاني الى الامام في ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢

(بسم الله الرحمن الرحيم)

من محمد رشيد آل رضا الى حضرة صاحب الجلالة لامام الهمام ، سلالة الائمة الاعلام ، عليه وعلى آله السلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . أما بعد فقد تشرفت أمس بكتابكم الجوابي فسررت جد السرور ببشارتكم إياي بما شرح الصدر في مسألة العلاقة بينكم وبين أخيكم في الدين ، وصنوكم في حراسة جزيرة العرب ، وتنفيذ وصية جدكم خاتم النبيين ، وكون الخلاف من الهيأة العارضة لن يكون ذريعة لسفك الدماء ، الذي يتمناه أعداؤنا الاجانب وسفهاؤنا الغوغاء ، وهذا ماكنت أعتقد في دينكم وعلمكم وعقلكم وحلمكم ونجاربكم ، ولكنني لا أنكر أنني كدت أصدق مايقوله الكثيرون في مشرب نجلكم سيف الاسلام أحمد عليه السلام ، على أنني كنت أقول لهم إنه إن صح مايقال في رأيه ومشربه ، فلن يصح أن يخالف أمر أبيه وإمامه وطاعته واجبة عليه لوصفيه كليهما ، وانحصر طوقي في المستقبل ، كما أشرت اليه في كتابي الاول . وأقول الآن إنني مستعد كالاول أو أشد ، لاعادة السعي لما سبقت جميع الناس اليه من شد أواخي الاخاء واتمام مقدمات الحلف بينكما ، وأتمنى أن تجدوا لي طريقا وسطا في تعديل الحدود بين المملكتين أدنى إلى العقل والشرع مما صرحتم به في كتابكم من عد قطعتي العسير وجاران وما إليهما من عقر دار اليمن الميمون جغرافية ونسباً وأما وأباء ، فان في هذ القول مقالا ، ولعل التساهل فيه والحال كما تعلم خير مآلا ، ولو قلتم هذا أولا لكان عذركم أظهر عند الأكثر ، أما وقد أقررتم ما كان ، فقد قامت عليكم الحجة والبرهان ،

ولا يزال الوقوف في الوسط مع التوادّ في حيز الامكان ، فاذا عهدتم الى هذا الداعي بالسعي اليه ، بذل جهده في الحصول عليه

وأما مسأله التعويض على أهل القتلى من الحجاج فلكم فيها كل الحق(١) وتعلمون أنني كنت أول الساعين اليه ، ولما تم التواصل بينكم وبين الملك عبد العزيز تركت ذلك إليكم ، وقد بدأت اليوم بالتذكير به بما كتبت اليه قبل هذا ، فان كنت أعلم أن تنفيذ الطلب في هذه الايام متعذر ، فانني لا أشك في أنه يكون بعد زوال الغمة أول متيسر ، وإني منتظر أمركم ، وقد جرتم كتماني لما يجب كتمانه ولما لا يجب ، لا كالذين يتهجمون بنشر كل ما تكتبون اليهم ، وما يكتبه اليهم كل عظيم وان كان دونكم

هذا وإنني قد سررت من الوجهة العلمية الدينية أشد مما سررت من الوجهة السياسية بما تفضلتم به علي من البشارة باستحسانكم لكتابي (الوحي المحمدي) واحتمال توجه عزمكم الى اعادة طبعه وأبشر جلالتكم بأنه قد نال استحسان العلماء والعقلاء في جميع الاقطار الاسلامية ، ولا تزال تأتينا المكتوبات منهم بتفضيله على كل ما كتب في إثبات النبوة المحمدية واعجاز القرآن والدعوة الى الاسلام من الوجوه اللغوية والعقلية ، والاجتماعية السياسية ، وقد شرعوا بترجمته بعدة من اللغات الشرقية والغربية الخ (٢)

والسلام عليكم وعلى نجلكم وولي عهدكم سيف الاسلام ، وسائر أنجالكم الكرام عليهم السلام

منشيء المنار

محمد رشيد رضا

---

١) أعني الحق في تطييب القلوب ، بما يوضع في الجيوب ، ولكن تكرير الامام للتذكير بهذه المسألة كان محركا للاضغان ، مثيرا للاشجان ، مانعا من الأداء بالاحسان

(٢) بقية هذا الكتاب خاصة بكتاب الوحي وقد رجوت من جلالة الامام ان يبين لي ما يراه فيه منتقدا . فقرظه بما نشرته بنصه في أول التقاريظ من الطبعة الثانية مستقلا ، ولم ينتقد منه شيئا

جواب الامام عن المكتوب الثاني

(الختم الامامي المعروف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة السيد العالم الفاضل ، والجهبذ الفذ الكامل صاحب المنار محمد رشيد رضا المحترم حفظه الله ، وشريف السلام عليه ورحمة الله وبركاته

وصل كتابكم الكريم وأحسنتم بما أفدتم، واعلموا عافاكم الله أنا صرحنا لحضرة الملك عبد العزيز أن يكون ربط الاواصر مع ابقاء الحالة في عسير على ماهي عليه ، فانا نكره تجزئة اليمن وفصل قطعة منها عن أمها الطبيعية ، وأن مثل هذه المسألة هي التي أخرت المعاهدة بيننا وبين انكلترا، وآخر الكلام كان البناء مع انكلترا على تأخير البت في شأن الاراضي التي يدعونها تحت الحماية إلى المستقبل وتكون المذاكرة عنها . ثم ان كراهيتنا لعدم الخوض في الاراضي العسيرية بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز وإبقاءها كما هي عليه الآن ، ليس المراد به انا سنهاجم كلا : بل صرحنا لحضرة الملك عبد العزيز في جملة برقيات، أن من المحال أن يحصل منا عدوان قطعا حتى الممات ، ولا نعلم بعقد كلام في شأن تلك الاراضي

وفي شأن السيد الحسن الادريسي كتبنا لحضرة الملك إنا حاملون بوجهنا وذمتنا أنا لانساعده على عدوان ولا نرضى له ، وهو عدونا ليس بيننا وبينه صداقة ، وانما حملنا على الخوض في مسألته محبة صلاح الشأن بينه وبين حضرة الملك، وتسكين الثورة الشيطانية التي حدثت بتلك الجهة ، ثم تعويل الحسن علينا . وأشار الينا حضرة الملك أن بعض الناس من الذين يريدون بذر الشقاق في البلاد العسيرية يترددون بين مصوع وبعض مراسينا فأمرنا بمنعهم من الدخول الى بلادنا وطرد من كان منهم في بلادنا[1] وأشار حضرة الملك الى أن قرب السيد الحسن الادريسي

(١) المنار : المراد بهؤلاء المفسدين دعاة حزب الشرفاء المسمى بالحزب الوطني الحجازي ، وكان لهم تأثير في ثورة عسير الماضية في زمن فتنة ابن رفادة وقد تبين أن مولانا الامام لم يطردهم في هذه المرة كما قال او ان أمره بطردهم لم ينفذ فقد نشرت لهم رسائل في بعض الجرائد جاءت من بلاده ، كما ان إبعاده للسيد حسن الادريسي لم يتحقق للملك السعودي

من تلك الجهات ربما يكون مصدر شر ، فكان منا إقناع السيد الحسن بحسن انتقاله الى جهة في بلادنا تبعد عن تلك الجهات بمسافة ثلاثة أيام . وعلى الجملة فاعلموا يقينا أنه لايكون منا أدنى عدوان مادمنا على الحياة

وولدنا سيف الاسلام حفظه الله هو من أحرص الناس على حفظ الصداقة بيننا وبين حضرة الملك، واذا بلغكم مايخالف هذا فكذبوه ثم كذبوه ثم كذبوه

وإنا لنعجب لما تنشره بعض الجرائد مما نظنه كذبا كما هي عادة الجرائد من التجنيد والتجييش والتجهيز من جهة حضرة الملك عبد العزيز إذ ليس لذلك من جهتنا مايحمل على ذلك غير ماعرفناكم ههنا من المكاتبة الودية، وكامل التأمينات لحضرته بعضها مؤكد بالايمان، على أنا نعلم أن بالشقاق بيننا وبين حضرته كل بؤس وضرر على العرب عموما بل وعلى المسلمين . وانا نستعيذ بالله من ذلك، ومن أن يكون لنا سبب لما هنالك ، هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حرر في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ اهـ

المكتوب الثالث أو الرابع إلى الامام في ٢٥ رجب

من محمد رشيد رضا الى حضرة الامام الهمام سليل الائمة الغر الميامين، جلالة الامام يحيى حميد الدين، عليه وعلى آله السلام

السلام ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد . أما بعد فقد حظيت بكتابكم الكريم المؤرخ في ٤ رجب وبتقريظكم الشريف لكتاب الوحي المحمدي فسررت بهما ، ولكن ساءني أنني لم أجد في الكتاب ما يفتح لي باب الخدمة لما عرضته من رغبتي في السعي للصلح بينكم وبين أخيكم الملك عبد العزيز آل سعود، على أساس تعديل ما بين المملكتين من الحدود، لعقد المحالفة التي تحول دون الخلاف في الحال والمآل، وتكون بها قوة كل منكما يداً واحدة على من عداكما، اذا عادا كما أو عادى واحداً منكما

ولكنني رأيتكم تعدون المسير برمتها كنجران من عقر دار اليمن، وأن بقاء حكمه

في أي جزء منها مانعا من عقد حلف بينكما، وان قصارى الامر أنكم لا تقصدون الآن نزعها بالقوة الحربية

وهو لا يعترف لكم بهذه الدعوى وتعلمون ما يتهمكم به (١) وبقاء هذه الحال غير ممكن، لهذا ساق جيوشه إلى الحدود، ولأنه يعتقد أن سبب رفضكم لامضاء العهد، وما عاملتم به الوفد، وبقاء قواتكم على الحدود، إنما سببه كله اعتقادكم انه ضعيف، وأن ضعف قوته سيلجئه إلى الاعتراف لكم بالبلاد العسيرية كلها جبالها وسواحلها، وكتب إلي أنه يرجو بارساله قواته الى الحدود ومواجهتها لقواتكم أن يجنحوا للسلم، وتفضلوها كما يفضلها على الحرب، ويجيبوه إلى ما يدعوكم اليه من عقد العهد، واشتداد الود، ولكن فاجأتنا البرقيات اليوم من رومية باشتعال نار الحرب، فوجلت القلوب، واضطربت الافكار، وبتنا لا نهتدي إلى الوساطة سبيلا، إلا أن تهدونا إليها بما تجدونه معقولا، وما هو في رأينا إلا الاعتراف بالحال الحاضرة في عسير، مع تحديد عادل في نجران، يبقى فيها حد نجد كما كان، ويعترف لكم بما كان مستقلا منها قبل الحوادث الاخيرة إن لم يكن مرتبطا فيها بعهد سابق يحتاج إلى المفاوضة هذا ما خطر ببالي اليوم أنه لا يزال ممكنا، كتبت به لي حلالتكم ولم أكتب إليه شيئا جديدا، وإني منتظر لأمركم بالبرق وبالبريد لأنهض بما أقدر عليه من خدمه للاسلام، ولميراث محمد ﷺ لقومه وأمته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(جواب الامام عنه وهو الاخير)

(الختم)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حضرة السيد العلامة المحقق، بحر العلوم المتدفق، محمد رشيد رضا الحسيني منشيء مجلة المنار الغراء، حفظه الله من بين يديه ومن خلفه، وأتحفه في جميع

(١) أعني انه يتهمه بالمراوغة وبما هو شر منها، ويقول إنه كالشريف حسين

مواقفه بالمعين من لطفه ، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قد تناولنا كتابكم الكريم على الحقيقة ، لما يحويه من البيان الجميل والاتفاق بتلك الحمية على مثلى الطريقة ، فشكرنا لكم ذلك النصح وذاك التطوع ، ودعونا لكم بدوام التوفيق وحسن التشيع ، وقد عرفنا من كتابكم أن مصدر ما استحوذ به القلق ليس إلا تلك المنابع المعلومة ، وهي عن التحري فيما تنقل بمعزل ، ولا يوجد ما يحملها على تحري الصدق في النقل ، بل دواعيها محصورة في ترويج بضاعة الكذب وربما كان الكذب مقصوداً لذاته ، واذا عرفتم أن الحالة السابقة هي الآن كما كانت لم تتغير ، والمراجعات بيننا وبين حضرة الملك عبد العزيز مستمرة ، والاتجاه فيها الى السلم أوضح مما سواه ، وأنه لولا وجود شرذمة من شذاذ الاقطار يلقون فيما نظن الى الملك عبد العزيز ما يثير الحفيظة لما تغير من الوضعية التي استمرت طوال السنين شيء يذكر ، اتضح لديكم مقدار ما في الاخبار المفتعلة من الكذب والتقول بما لا أصل له ، وقد أوضحتم ما لأجله كان حشد الجنود ، من الملك عبد العزيز بن سعود

وكان يكفي لدفع تلك التوهمات ونفي اتخاذ الحالة الراهنة فرصة تذكر الحالات الماضية ، وهي كثيرة الصور دالة على أنا لا نتحين فرصة ، ولا نبغي له غصة ، وإلا فما الحامل على ترك اعانة ابن عايض ومخالبه ناشبة فيها من أقصاها إلى أدناها ، ولم تطأها قدم نجدي إذ ذاك ، وعلى ترك اعانة الاشراف في الحجاز بعد التوسل الينا في كلتا الحالتين بما هو فوق المرغوب

وكذلك رأينا فيما جرى بعدهما من الاطوار ، وحتى الآن لم يتجدد شيء سوى التأديب لقبائل يام ، الذين ضررهم على المنتمين الى الملك عبد العزيز من القبائل الذين وراءهم ، أكثر من الضرر على من ثبتت أقدامهم على طاعتنا من القبائل المجاورة لهم من جهة الجنوب ، وقبائل يام يمنية ، ولم يكن التعرض لهم إلا بعد أن كتبنا الى حضرة الملك عبد العزيز أنهم يمنيون ، بل هم مصاصة قبائل اليمن ، وإنا لم نتركهم إلا خشية أن تتشوش الافكار ، فرجع منه الجواب بأنه لا كلام له منهم ، وغاية الامر أن بينه وبين أهل وادي نجران الذين هم بعض قبائل يام بعض تعلقات ، ثم بعد هذا وصل منه ما هو أصرح ، والبرقيات لدينا محفوظة

وليت أنكم تصلون الينا لعرض كل المكاتبات عليكم فسيظهر لكم منها ما لم يكن في حسبانكم من انصافاننا

أما المعاهدة فاننا أفدنا الوفد انه لا بأس بها غير انه لا يمكن لنا أن نقرر انفصال جزء من اليمن عنه، لكنها تكون المعاهدة مبنية على إبقاء بلاد عسير وما اليها على حالتها التي هي عليها الان ، واذا كان من الوفد كلام بأنه كان منا أدنى جفاء فسنرجع أمره الى الله ، فانه لم يعزم الا على غاية من الرضا والشكران ومحررانه لدينا محفوظة ، غاية لامر أنها طالت مدة لبثه ههنا ، فهل في المرض الذي كاد أن يقضي علينا عذر يوجب تأخر تسريحه ؟ إنا لانظن أيا كان لايعذر في مثل ذلك المرض ، وإنا لنظن ان الذي غير نهج حضرة الملك عبد العزيز ، إنما هم خدمة الافرنج الذين يتلذذون باهراق دماء المسلمين ، وهدم عزهم وانحطاط علو شأوهم تقربا بذلك الى أعداء الاسلام ، مع فرار داعي الباطنية المكرمي ومنصوبه من يدر الى أبها عسير لدى أمير حضرة الملك عبد العزيز بأبها

ولا يخفى عليكم ماعليه الباطنية وارتباط باطنية الهند بهذا الداعي وامدادهم إياه ، ولو كان الامعان بانصاف، لكان العلم بأنه لاحق لاحد غيرنا في الكلام عن بلاد يام لانه لارابة فيها منصوبة ، ولا هي من غير بلاد اليمن محسوبة ،وقد رأينا في منشورات الجرائد عن المصادر المعلومة والمجهولة كذبا صراحا ، بأن المصادمات بين الجيش اليمني والنجدي قد وقعت.وأن الجيش اليمني زحف الى بلاد الدواسر وبلاد نجد ، والحقيقة أنه لاشيء من ذلك أصلا ، لاصدام ولا التحام ولا زحف،بل الواقع أن الوالد سيف الاسلام بعد أن بلغ اليه قرب الجيش النجدي من الحدود أمر الجيش اليمني بتخلية بعض المواقع التي كان يحتلها، بعدا عن التحاك، الموجب للاشتباك ،وهو بصفته تقهقر اختياري أريد به ما أوضحناه من التباعد عن موجبات تحقق أحلام المفسدين ،والمتوسم عند تحرير هذا انه لايكون شيء من التشاجر ان شاء الله ، فلا يوجد لذلك من الدواعي والاسباب مايقتضي تبرير وقوعه،وبالله المستعان،والدعاء مستمد،والسلام لتاريخه ١٨ شعبان سنة ١٣٥٢

(تقريظ)

الاستاذ الشيخ عبد الحميد السائح النابلسي (*

منذ مدة وأنا أفكر في كتاب يصلح أن يكون هاديا وبشيراً للامم غير الاسلامية باسلوب مألوف لديهم، وعلى نمط يكون في متناول جمهرتهم، حتي ينادى في الاوساط الاوروبية والاميركية بالدعوة الى دين الاسلام بالحجة والبرهان وامتلاء النفس قناعة وطمأنينة ، ومع هذا يتيسر لنشئنا المثقف ونابتتنا الزاهية، ان تتصفحه وتطالعه، ويزيل مايتردد هامن شبهات، ويزيح مايعتورها من اعتراضات، فلم اعثر على ذلك الكتاب الى ان اهتديت الى كتاب (الوحي المحمدى) للعلامة المحقق السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، ذى الاراء الاسلامية الناضجة، والابحاث الدينية الموفقة، فوجدت فيه الضالة وتحققت فيه الرغبة.

اني قانع كل القناعة ان القرآن كفيل بحاجة مطالعه، قمين بان يملأ نفس قارئه ايمانا وحكمة وعلماً وادبا وسياسة وخبرة، ولكن هذا يتوقف على أن يكون القاريء خبيراً باللغة العربية ملماً بعلومها متضلعا من بلاغتها وفصاحتها ، ولا ريب ان هذا غير متيسر لكثير من ابناء العربية وعلماء المسلمين، فكيف بغير العرب وغير المسلمين ؟ خصوصاً وان المسلمين اعرضوا عن الاستفادة من هذا الكتاب المقدس الاستفادة اللائقة به، واصبحوا لا يعتنون الا بمظاهر ختمه فقط ومر اسمه الشكلية.

من اجل هذا كانت حاجة المسلمين الى كتاب يبشر بدينهم على الوجه الذى بينا ماسة وشديدة

وليس من شك في ان هذا العمل يتطلب تفكيراً عميقاً وخبرة واسعة ووقتاً

*) نشره في جريدة الجامعة الاسلامية في ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ ١٥ أكتوبر

غير قصير، حتى يخرج الى الملأ مستكمل النواقص وافياً بالحاجة، وان الاستاذ السيد محمد رشيد هو اجدر من يقوم بهذا العمل واحق من يتحمل هذا العبء، وان مبادرته الى اخراج هذا المؤلف مسارعة الى اداء فرض محتم عليه، وقيام بواجب لامناص منه، لكفاءته النادرة، وشهرته في العالم الاسلامي شهرة فائقة، والاعتماد على آرائه، والاستفادة من نتائج قريحته، والوثوق من خبرته وسعة اطلاعه.

بدأ المؤلف كتابه في البحث بموضوع الوحي والاستفاضة فيه ومناقشة القائلين باثباته من اهل الاديان السماوية، وبحث آراء نفاته من الماديين، وأفاض في نفيها واقامة الحجة على ابطالها. ثم قفى على ماذكر بمقاصد القرآن، في ترقية نوع الانسان، شارحاً اركان الدين وانواع الاصلاح التي يحتاج اليها الانسان في حياته، وتخلل ذلك بحث مسئلة المعجزات وخوارق العادات التي هي مدار اشتباه الكثير من المثقفين والمتعلمين، وقد صور الدين بصورته الحقيقية، فاطلع القارىء على كثير من قواعد الدين الاصلاحية الاجتماعية والمالية والسياسية، مستندا في ذلك كله على آي القرآن ونصوص الاسلام. ثم ختم المؤلف كتابه في بحث تحرير الرقاب ومنعه، وازاح مايخفى على كثير من المتعلمين من الشبهات في هذا الموضع وغيره، وبالجملة فان الكتاب بالنسبة لابحاثه الاجتماعية والمالية والسياسية لاريب انه وافٍ بالمقصود من هذه النواحي على شكل يسر كل مسلم، ويحفز كل غيور على دينه ان يقبل على مطالعته وتصفحه.

وليس من شبهة في أن المقصود الاول من هذا الكتاب جعله في متناول العلماء غير الاسلاميين وخصوصاً غير العرب كما ذكر المؤلف نفسه (النتيجة المقصودة بالذات دعوة شعوب المدنية: أوروبة وامريكة واليابان، بلسان علمائها الى الاسلام، لاصلاح فساد البشر المادي وتمتيعه بالسلام، والاخاء الانساني العام) ولا يتيسر هذا الا اذا ترجم للغات الاجنبية من قبل متضلعين بتلك اللغات عارفين باسرارها. فينبغي والحالة هذه على الهيئات الاسلامية ان تقوم بهذا الواجب، ونرجو ان يسارع مكتب المؤتمر الاسلامي العام بالقدس وغيره من الهيئات الاسلامية الى هذا فانه عمل منتج، ويرجى ان يكون له اثر خطير في العالم، وان هذا

العصر عصر طغت فيه المادية واعتز المبشرون فيه بتشكيلاتهم واموالهم، فعلى الاقل يجب على علماء المسلمين وهيئاتهم ان يقوموا بنشر مبادئهم الدينية الحقة واذاعتها في الملأ لتكون سلاحا يوجه الى كل من أراد هذا الدين بسوء وقصد تشويه تعاليمه ومبادئه

وان هذا الكتاب رغما عما يؤخذ عليه يفيد مطالعه فائدة جليلة جداً، ويعود على قارئيه بنتائج لا يتيسر الوقوف عليها من غيره، ويعطي صورة عظيمة القدر لتعاليم الاسلام خالية من تلك الاغشية التي وضعها عليها بعض العلماء، ويوصل الى معرفة حقائق اسلامية بشكل ينشلج له الصدر، وعلى وجه تطمئن له النفس، وانى ادعو بني قومي واخواني الى المسارعة لمطالعته واقتنائه والاستفادة من ابحاثه ومحتوياته

وان ما يؤخذ على الاستاذ المؤلف قد شعر هو به فيما قال: على انني لم اكتب هذا البحث أول وهلة لهذا الغرض (وضع مصنف في اثبات الوحي المحمدي) وانما بدأت منه بفصل استطرادي لتفسير آية: «أكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم» الخ. ثم قال. ولو انني قصدت هذا منذ بدأت بالكتابة لوضعت له ترتيباً آخر يغنيني عن بعض مافيه من الاستطراد والتكرار، الخ. فاكثر ما يؤخذ عليه يرجع الى استطراد في البحث يكاد ان يكون مملا وخصوصاً في فصل اقامة الحجة على مثبتي الوحي ونفاته(١)

وقد ابدى معذرته في قوله. ولكني كتبته في اوقات متفرقة وحالات بؤس وعسرة، لا ارأجع عند موضوع منه ماقبله الخ. وبيان المأخذ وذكر المعذرة لا يعني التقليل من اهمية هذا الكتاب وشخصية مؤلفه بل على العكس يجعلنا نرجو ان يوالي تصنيفاته في تلك المواضيع باذلا الجهد في مجانبة ما لاحظه على نفسه، جزاه الله عن الامة الاسلامية خير الجزاء، وضاعف له الاجر على مجهوداته التي لا تنكر والله ولي التوفيق

نابلس. عبد الحميد السائح

---

(١) من الغريب أنني عنيت بالاستطراد بحث الخوارق كما قال هذا الاستاذ الذكي حتى انني استشرت بعض كبار العلماء أولي الرأي في اختصاره في الطبعة الثانية فلم يوافقني أحد بل قال الاستاذ العلامة الشيخ المراغي انه من أهم المباحث فلا ينبغي حذف كلمة منه

(تقريظ أمير البيان، شكيب ارسلان)

ان المسلمين على بينة من أمرهم لا يحتاجون إلى دعاية ولا إلى التماس الادلة حتى يعتقدوا بوجود واجب الوجود الذي لا يمكن العقل البشري أن يتصور هذا الكون بدونه ، وكذلك لا يفتقرون إلى الادلة على صحة نبوة محمد ﷺ بعد أن تلقوا خلفاً عن سلف النور الذي أنزل عليه والذي مازال ينيرهم من العهد المصطفوي إلى الآن . فكتاب الوحي المحمدي للاستاذ العلامة حجة الاسلام في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا لم يكتب في الحقيقة للمسلمين لانه كتاب يقيم الادلة على صحة أمر يحيا المسلمون ويموتون عليه ، ويرون جميع براهينه من قبيل البديهيات التي لا تحتاج عندهم إلى برهان كما لا يحتاج النهار إلى دليل . وإنما وضع الاستاذ هذا الكتاب للاوربيين الذين يريدون أن يعلموا ماعند الاسلام من الادلة على صحة الوحي المحمدي ، والذين منهم من إذا أنار لهم الدليل لم يكابروا فيه تعصباً وعدوانا وصدودا عن رؤيته. وقد كتبه أيضا لكل من نشأ نشأة أوربية أى خالية من التربية الاسلامية التي يكون الناشيء قد ارتضع فيها مبادىء الاسلام مع لبن أمه فيقال انها رسخت فيه من الصغر ، ولما كان جميع من يقرءون العلوم العصرية اليوم ويتعلمون بحسب برامج الحكومات الاسلامية الحاضرة هم في الحقيقة أشبه بناشئة الاوربيين ولو كانوا مسلمين نسباً ، كان هذا الكتاب موجها أيضا اليهم، لانهم في حكم الاوربيين من جهة فقد التربية الاسلامية أو على مايقرب من ذلك

فلهذا كنا ندعو لقراءة هذا المؤلف ليس الاوربيين فحسب بل ناشئة المسلمين أيضا ولا سيما الناشئة التي أبت الحكومات الاسلامية إلا أن تطبعها بالطابع الاوربي لاننا في هذا العصر مغلوبون وأوربة هي الغالبة ، والمغلوب مولع بتقليد الغالب حتى في الخطأ كما قال ابن خلدون. فالاستاذ الحجة يسرد لنا مرتابين الاسباب التي تحمل المسلم على أن لا يرتاب بصحة الوحي النازل على محمد عليه السلام يقول :

ان محمداً كان أمياً لم يقرأ سفرا ولم يكتب سطرا، وهذا القرآن العظيم بفصاحته وبلاغته وإشارته إلى جميع مناحي الاجتماع بأرشق إشارة وأوجز عبارة ، لو لم يكن

من عند الله لا يعقل أن يقوم به رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يحصل علما من قبل ، بل قضى طفولته في البادية عند بني سعد بن بكر يرعى الغنم مع إخوته في الرضاع . ثم انه نشأ يتيما وكان مع يتمه المثل الأعلى في حسن التربية واستقامة الاخلاق حتى لقب بالامين ، ولم يكن أحد يماري في استقامته ، وكانوا لنزاهته يختارونه ليقوم بما يختلفون فيه فيما بينهم ، فيستحيل أن يكون رجلا موصوفا بالصدق والامانة إلى هذا الحد من أول نشأته إلى أن يبلغ سن الاربعين ثم يتحول دفعة واحدة فيصير كاذبا مفتريا ، ويضع من عنده أشياء يدعو الناس اليها ويقول انه سمع صوتا ولم يسمع صوتا ، وشاهد ملكا ولم يشاهد ملكا . ان هذا من الامور المستحيلة عرفا ثم انه لم يكن طالبا شيئا من وراء ماقام به من الدعوة لتقول انه كذب على الناس لينال حظا من حظوظ هذه الدنيا . فكل أحد يعلم انه لم يكن ينشد ملكا ولا مالا ولا ثروة ولا جاها . فلأي شيء يقوم بدعاية غير صحيحة ويضع أشياء من عند نفسه ويتحمل عليها الهزؤ والسخرية ثم البغضاء والشنآن ثم الاضطهاد والانتقام ويتعرض لخطر القتل وهو لا يريد رياسة ولا نفاسة ولا نعمة دنيوية من جميع هذه النعم ، بل كل مايريده أن يترك قومه عبادة هذه الاصنام التي ما أنزل الله بها من سلطان والرجوع إلى عبادة الواحد الأحد مبدع هذا الكون لا إله إلا هو

قد كان محمد عليه السلام مؤثراً العزلة لا يخالط أبناء عصره في مجامعهم ، ولا يشاركهم في عباداتهم الوثنية . ونشأ من صغره لا يعبد إلا الله تعالى ، وكان من مزاياه انه لا يقول الشعر ولا يخطب في الاندية ولا يتصدى لشيء من مظاهر الرياسة ولا الشهرة ، فكيف يمكن أن ينقلب دفعة واحدة فيخالط الناس ويدعوهم إلى التوحيد وإلى مكارم الاخلاق ، ويقوم فيهم بشيراً ونذيراً ، ويتجشم من العذاب مايتجشم ، ويتعرض لآلام أمر من العلقم ، لولم يكن هناك باعث فوق العادة حافز له على الخروج من عزلته التي بلغ الاربعين وهو عاكف عليها

ويقول السيد رشيد انه من المقرر عند علماء النفس وعلماء الاجتماع ان من

بلغ سن الخامسة والثلاثين ولم ينبغ في علم أو عمل علمي عظيم لا يمكنه بعد ذلك أن يقوم بشيء منها أُنفا (بضمتين) أي جديداً لم يسبق اليه فضلا عن الجمع بينهما. والحال أن محمداً ظهر بهذا الامر العظيم وبهذا البيان الالهي الذي لم يعهد العرب مثله وذلك بعد الاربعين فلم يكن قبل هذا التاريخ استعد له بشيء ولا وجد ما يدل عليه من قول ولا فعل ولا علم ولا عمل

قلت وقد يقول بعض الناس ان محمداً كان يظن في نفسه انه يوحى اليه فهو لم يتعمد الكذب تعمداً، وإنما بلغ به التأمل انه كان يسمع تلك الاصوات، ويرى تلك الخيالات، فيظن ما سمعه وحيا وما رآه ملكا. والجواب على ذلك ان هذا الوحي كان قولا ثقيلا خارقا للعادة وكان يؤخذ به أخذاً شديداً حتى كان يخاف على نفسه بوطالما خاف (١) أن يكون به جنون. وهذا من جملة الادلة على صدقه وكونه لم يتعمد النبوة تعمدا ولا استشرف لها بشيء من الاشياء، وانه قد فاجأه الوحي مفاجأة لم يتقدمه عنده سوى الرؤيا الصادقة، وانه جاء وحيا فيه من العلوم العالية كما يقول السيد رشيد والاعمال العظيمة ما كان قلبا للاحوال والاوضاع الدينية والمدنية والاجتماعية بل انقلابا لا يماثله انقلاب معروف في التاريخ

ثم ان هذا الكلام الذي نفث في روع محمد (٢) ليس من نسق كلامه الذي يعرفه الناس له فقد تكلم محمد عليه السلام قبل البعثة وتكلم بعد البعثة ولا شك انه كان من أفصح البشر وأبلغهم وقد نطق بجوامع من الكلم تحار فيها العقول ولكنه لا يزال بين كلامه الخاص وبين القرآن الموحي اليه بون بعيد، فلا كلامه الخاص ولا كلام أحد من الانبياء يسامت درجة القرآن في كثير ولا قليل. وكل من تأمل في القرآن العظيم وكان بصيرا بالبلاغة وقابله بكلام البشر يدرك هذا الفرق الكبير.

لا جرم أن القرآن يعلو في بلاغته وفصاحته وأسلوبه وشدة تأثيره علوا كبيرا عن جميع كلام العالمين، وكيف يكون ذلك إن لم يكن القرآن وحيا إلهيا؟ فقول بعض

---

١) الصواب أن يقال: وربما خاف اولا الخ فان الخوف على نفسه انما عرض له (ص) في بدء الوحي (٢) الروع بالضم الخاطر والخلد والنفث فيه عبارة عن إلهام يلقى فيه، وهو دون وحي القرآن.

الناس ان محمدا عليه السلام كانت تعروه نوبة عصبية فيظن نفسه يوحى اليه، ليس مما يعلل هذا العلو الذي يعلوه القرآن الذي أوحي اليه على الكلام الذي كان يقوله من نفسه بدون أن يوحى اليه، فان النوبة العصبية التي يزعمونها ليس من شأنها أن تأتي بهذا الاعجاز كله وأن نجعل هذا الفرق البعيد في كلام انسان واحد

ثم اننا لا نفهم لماذا يأبون أن يعتقدوا بكون تلك الحالة التي كانت تعرو محمداً عند نزول الوحي عليه هي من شدة وطأه الوحي وكونه قولا ثقيلا ؟ ولماذا يأبون إلا أن يسموا هذه الحالة التي كانت تعروه نوبة عصبية ناشئة عن مرض من أمراض الجسم ولو لم يقم على وجود هذا المرض دليل ؟ فأي استحالة في كون بادىء الوجود يوحي إلى أحد عباده الذين اصطفى قولا يحدث نزوله عليه نوبة عصبية يضطرب لها ويتفصد جسده عرقا كما كان يعتري محمداً عليه السلام . وأيضا فالنوبة العصبية الناشئة عن علة بدنية تقتضي أن يكون صاحبها مصابا بداء الصرع أو بمرض عصبي آخر تحدث منه هذه النوبات ، والحال ان النبي عليه السلام كان سليم الجسم ولم يكن مريضا، ولم يقل أحد من أهل عصره :لا من أعدائه ولا من أصحابه انه كان يصيبه شيء من أعراض الصرع أو من أعراض مرض آخر مزمن ،والذين ذهبوا إلى ذلك لم يستندوا على أدنى دليل ، وانما هي افتراضات مبنية على غير أساس ، وتخرصات بغير الواقع ،وبمجرد التخيل كما هو شأن كثير من الاوربيين ،أو هي فرار من التسليم ان تلك الحالة التي كانت تعرو محمداً عند نزول الوحي عليه هي حالة خاصة بنزول الوحي لم تكن لتحدث لولا ذلك . ولكن محاولة هذا الفرار لا تغني هؤلاء الفارين من الحقيقة شيئا إذ قد ثبت ان النبي ﷺ كان مزاجه عقلا وبدنا بغاية الاعتدال حتى ان المستشرق الافرنسي ماسينيون نفسه برغم صبغته الكاثوليكية الشديدة يعترف بأن مزاج محمد كان موزونا لا شائبة فيه . إذاً فافتراض النوبة العصبية بغير تأثير الوحي لم يبق له مجال إلا التعنت

وقد أشار السيد رشيد إلى هذا الموضوع فقال :إن أعداء الرسول من الافرنج وتلاميذهم تأولوا هذه الحالة التي كانت تحدث له بأنه كان يعرض له نوبات عصبية،

وتشنجات هيستيرية ،وما أبعد الفرق بين حالته تلك وحالة أولي الامراض العصبية في المزاج ،فقد كان مزاجه ﷺ معتدلا ، ولعله إلى الدموي العضلي أقرب،فذو النوبة العصبية يعرض له في اثرها من الضعف والاعياء البدني والعقلي ما يرثي له العدو الشامت ، وأما صاحب تلك الحالة الروحانية العليا فكان يتلو عقب فصمها وتسريها عنه آيات أوسورة كاملة من القرآن الذي بينا في هذا البحث بعض وجوه إعجازه اللفظي والمعنوي الخ

قد اهتممنا بهذه النقطة دون سواها من هذا المعترك لانه لايكاد يوجد أحد اليوم في أوربة من العلماء المحققين إلا وهو معترف بأن محمدا لم يتعمد ادعاء النبوة تعمدا لينال بها رياسة أومجدا أومالا أو حظا من حظوظ الدنيا ، وانه انما أراد صلاح عقائد بني عصره من نقلهم عن عبادة الوثن الى عبادة الحق ،فهذا أمر قد اتفقوا عليه تقريبا ولكنه لا يزال يصعب عليهم التسليم انه كان نبيًا يوحى اليه ، ولما كانوا لايقدرون أن ينكروا الحالة التي كانت تصيبه قبل ان ينطق بالقرآن وانها حالة لم يكن يتعمدها ولم يكن يمكنه لو اراد أن يتعمدها ويتظاهر بها ـ لجأ بعضهم لتعليل هذه الحالة إلى قضية النوبة العصبية وذهب آخرون انه من قبيل الوله بالله تعالى الذي يخرج الانسان عن الطور المعتاد . وعلى كل حال قد اجتاز الاوربيون المرحلة الاولى من مراحل الاعتقاد بصحة دعوة محمد ، فقد لبثوا طوال القرون الوسطى يزعمون بتأثير كلام رهبانهم ان محمدا كان كاذبا ، فرجعوا الآن عن هذا القول إلى القول بأنه كان صادقا معتقدا مايقوله حقا، وان هذا القرآن كان ينزل عليه وكان يعتقد هو انه من عند الله ،وكان يرى الملك ماثلا أمامه ، ولكن هذا كان نتيجة المرض بقول بعضهم أو التخيل بقول الآخرين ،فادعاء الكذب على محمد قد سقط اليوم في أكثر بلاد النصرانية ،وقد اجتيزت المرحلة الاولى فبقيت المرحلة الثانية وهي تصديق كون محمد عليه السلام انما كانت تحدث له هذه الحالة

غير المعتادة لسبب وحي كان يأتيه من قبل الله تعالى لا بمجرد التخيل ولا من قبل المرض . وليس بعجيب أن يتأول هذا التأول أهل عصر مادي كهذا العصر يصعب عليهم الاعتقاد بالغيب وتعليل الامور بغير ما يقع تحت الحس . ولكنهم لو تأملوا لوجدوا أنفسهم عاجزين عجزا تاما بازاء الاسرار الكونية لا يحلون منها مشكلا إلا وصلوا الى سد واقف في وجههم لا يقدرون ان يجتازوه الا بعد التسليم أن هناك قوة خارقة للعادة ، وان القول بوجوده اقرب الى العقل والى العلم من هذه التمحلات الواهية التي يحاولون بها تعليل الحوادث كلها بالاسباب المادية ، ويلجئهم الامر في اكثر الاحيان الى تلمس الافتراضات المبنية على غير اساس

ان كتاب الوحي المحمدي الذي جاء به الاستاذ السيد رشيد رضا في هذه الايام قد أتى عصره على قدر ، لانه زمن صار يجب فيه التعليل حتى في الامور التي هي معدودة الى اليوم من البديهيات . ومادمنا نقفو الاوربيين صاعدا ونازلا ولا مناص لنا من هذا الاقتداء ، كان لا بد لعلماء المسلمين من إعداد الاسلحة العقلية اللازمة لمكافحة الشبهات التي هي من أصل أوربي ، فكتاب الاستاذ واف بهذا الغرض لا يخطر في البال معنى من المعاني التي يقتنع بها القارىء بعلو مزايا الاسلام إلا وقد أشار اليه

نعم قد فات هذا الكتاب موضوع جليل ربما كان أدل على إعجاز القرآن وعلى صحة الوحي به وكونه من عند الله حقا من سائر الموضوعات . وهذا هو ما في القرآن من الآيات المطابقة للقواعد العلمية التي انتهى اليها تحقيق الاوربيين في هذا العصر من جهة التحولات الكونية . فمن المعلوم أن محمداً عليه السلام فضلا عن أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، قد نشأ في مكة حيث لم تكن علوم ولا معارف ولا جامعات ولا مدارس وكذلك لم يكن في المدينة . وان قلنا انه كانت علوم ومعارف ومدارس تقرأ فيها العلوم الكونية وذلك في غير جزيرة العرب

كالشام أو كالاسكندرية أو كنينة أو كرومية مثلا فان محمداً كان بعيداً عن ذلك المحيط العلمي كله لا صلة له به ثم ان العلوم الكونية التي كانت في ذلك العصر لم تكن فيها هذه النظريات الحديثة كرأي السديمي مثلا الذي يقتضي أن تكون الأجرام السماوية كلها في الاصل دخانا ثم تتجمد كتلة واحدة ثم ينفصل بعضها عن بعض أجراما متفرقة . وانك لتجد هذا في القرآن صريحا (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي) فلو لم يكن القرآن وحيا ما كان يمكن محمداً أن ينطق بحقيقة علمية لم تتقرر فعلا إلا في هذا العصر . وكذلك كون مبدأ الحياة في الماء قيل إنه قال به بعض فلاسفة اليونان ولكنه لم يكن قاعدة علمية كما هي اليوم . وكذلك كون الزوجية منبثة في الممالك الثلاث الكونية الحيوان والنبات والجماد لم يكن ذلك معروفا في عصر محمد عليه السلام وانما كانوا يعرفونه في المملكة الحيوانية وشيء من المملكة النباتية المشابهة للحيوانية ، والحال أن القرآن جعل هذا المبدأ عاما (ومن كل شيء خلقنا زوجين) وغير ذلك من الآيات التي جاء فيها مثل (من كل زوج بهيج) و (من كل زوج كريم) . وكذلك حركة الاجرام الفلكية ، فقد كان الفلكيون في القديم يعتقدون بوجود سيارات وثوابت ولم يتغير هذا الاعتقاد إلا بحسب علم الهيئة الجديد . والحال ان في القرآن مايدل على أنه ليس من جرم غير متحرك (وكل في فلك يسبحون) وغير ذلك مما أحصاه المرحوم الغازي أحمد مختار باشا نحوا من تسعين آية فيما أتذكر ، وفسره تفسيراً علمياً أثبت ما فيه من المطابقة للنظريات العلمية الحديثة . وكان مختار باشا من أفذاذ الدهر في علم الهيئة والرياضيات والطبيعيات فلا يقدر أحد أن ينكر ضلاعته في هذه العلوم . ولقد أشرت على الاستاذ الحجة السيد رشيد بأن يلحق بكتابه هذا ليكون مستوفياً جميع شروط

الافادة خلاصة كتاب مختار باشا الغازي المسمى « سرائر القرآن » لان الذي يؤثر في عقول الاوربيين وعقول النشء الجديد في الشرق من مطابقة القرآن للنظريات العلمية الحديثة هو أعظم مما تؤثره البراهين العقلية والادبية والاجتماعية

شكيب أرسلان

[المنار] كتب أمير البيان هذا التقريظ بعد قراءته لكتاب الوحي المحمدي ببضعة أشهر وكان قد نبي على مايظهر أن الموضوع الذي قال هنا انه قد فاتنا — لم يفتنا، فاننا قد أشرنا اليه في مواضع كان آخرها ما يراه القارىء في آخر صفحة من خاتمة الكتاب، وفيها ذكر هذه المسائل التي مثل بها لما في القرآن من المسائل العلمية التي في القرآن وزيادة عليها، وقد وعدنا في هذه الخاتمة كما وعدنا في تصدير هذه الطبعة بأننا سنعقد لها فصولا في ملحقات الكتاب التي ستكون في الجزء الثاني منه مع أمثال لها من سنن الكون الاجتماعية والاخبار الغيبية والوصايا الصحية

وقد الامير حفظه الله تعالى ما كنا اقترحناه عليه عند ما كتب الينا انه سيكتب تقريظا للكتاب بأن يجعله استدراكا على كلام له في كتاب (حاضر العالم الاسلامي) النفيس مضمونه انه لم يوجد في هذا العصر كتاب يصلح لدعوة الافرنج إلى الاسلام

وأما ماذكره في أول التقريظ من استغناء المسلمين الصادقين عن هذا الكتاب أو كونه غير موجه اليهم فغرضه خاص بصحة عقيدتهم في أصل الاسلام، ولكن السواد الاعظم منهم عرضة للتشكيك بالشبهات العلمية العصرية أو دعاة التنصير لأنهم أسرى التقليد، وأشرنا الى حاجتهم الى براهينه على إعجاز القرآن والنبوة في مقدمة التصدير لهذه الطبعة

وقد وصل هذا التقريظ الينا في ٢ من ذي الحجة سنة ١٣٥٢ بعد طبع ما اخترناه من التقاريظ فجعلناه مسك الختام

كتاب الوحي المحمدي

نقد وتحليل - نظرة عصرية في اعجاز القرآن(*

(سوء أعمال المبشرين — أخلاق سيدنا محمد العالية — العناية بالوحي المحمدي)

عند مايخرج أحد المؤلفين كتابا يتصدى له النقاد فيشيرون الى مباحثه بين تقريظ وانتقاد. وأخذ ورد. ويكشفون عن محاسن الكتاب وعن المآخذ التي يرونها فيه وهذه الطريقة قديمة وأصبحت اذا قرأت نقداً للكتاب لاتقوقه إلا أحد أمرين: إما اعلانا أدبياً عن الكتاب وإما تنفيراً منه وفي كلتا الحالتين يكون القارىء مظلوما

وقلما أعرض لموضوع كتاب بالنقد أوالتقريظ فليس من شأني أن أجامل المؤلفين أو أخدع القارئين . وانما يدفعني إلى الكتابة عن كتاب ما ذلك الاثر الذي يحدثه في نفسي ذلك المؤلف . وتلك العاطفة التي تتجاذبني من أثر هذه القراءة

ولعل أصوب طريق للنقد في نظري أن تجعل من الكتاب الذي تتعرض له موضوعا لتبدي رأيك وما يعن لك من الافكار بصدد هذا الكتاب

ولعلي لا أجامل اذا قلت ان كتاب الوحي المحمدي الذي ألفه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا أثار في دافعا للتعليق عليه ونقده ، وأن أجعل ذلك الموضوع مجالا للمناظرة في موضوع هام له أثره في العالم الاسلامي إن لم يكن في العالم أجمع

فالكتاب كله أدلة لاثبات صحة الوحي المحمدي وبحث علمي في المعجزات والدعوة إلى الاسلام

***

أما ان الوحي المحمدي في حاجة إلى أدلة منطقية أو علمية لاثباته فهذه مسألة فيها نظر . لان الاسلام جلي ظاهر لايحتاج إلى أدلة منطقية أو علمية لاثباته . ولكن المسألة ليست مسألة اثبات ، بل هي مسألة ردود على فتنة أشعل لظاها جماعة من المستشرقين والمبشرين ، فأخذ الاستاذ السيد رشيد يرد الدليل بالدليل

(*) بقلم الدكتور حسين الهراوي بمصر ونشر في جريدة الجامعة الاسلامية ببافا ، ولم ينشر في خاتمة الطبعة الثانية لكتاب الوحي

والحجة بالحجة ، وما زال بدر منقام حتى سد عليه الطرق ، وكبله حتى تلاشت تلك المواصف التي أثارها هذا المستشرق، وجعلتنا نرى أغراض جماعة من الاوروبيين واضحة من طعنهم في الاسلام ونبي المسلمين ، وعلم الله أن لم تكن بالاستاذ حاجة الى المناقشة أو ترديد الادلة لو ان هؤلاء الناس كانوا خالين من الغرض في مباحثهم.

ولعل هذا ماجعل الاستاذ رضا يقارن بين معجزة القرآن الدائمة والمعجزات التي سبقت الاسلام باسلوب منطقي وعلمي

غير اننا نلاحظ ان الاستاذ السيد رشيد أغفل ذكر بعض مسائل هي في نظرنا آيه الاعجاز في القرآن . فاسلوب القرآن البياني واعجازه الادبي والمنطقي كل هذه الانواع من الاعجاز مسلم بها من المسلمين والمنصفين من غير المسلمين، إلا أن في القرآن انواعا من الاعجاز العلمي استلفتت نظرنا بصفة خاصة خصوصا ان القرآن أشار إلى الموضوعات العلمية وأحالها على الراسخين في العلم وقال (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم) فاشار الى العلم وانه سيكشف عن كثير من اعجاز القرآن (١)

فالذي يقرأ مثلا الآية (ايحسب الانسان أن لن نجمع عظامه؟ بلى قادرين على ان نسوي بنانه) لايرى فيها شيئا من الاعجاز العلمي إلا ان الله سبحانه وتعالى سيجمع العظام ويعيد البنان وهي نهاية الاصابع

ولكن بعد أكثر من الف وثلاثمائة يثبت العالم ان اصابع الانسان هي التي تحدد شخصيته وتكون بصمات الاصابع هي الوسيلة الوحيدة لتحقيق الشخصية وانه تقام لها الادارات الخاصة وتعتمدها المحاكم ، كل هذا يجعلك تدهش لسر اعجاز هذه الآية بان آيات الله قد أظهرها في انفسنا ويكون تفسير الآية انه سيجمع عظام الانسان ويعيده بشخصيته كما لو فعل ذلك قلم تحقيق الشخصية

هذا النوع من الاعجاز العلمي ما زال بكراً في القرآن ومازال محتاجا إلى الدراسة والتفسير والسبب في ذلك بعد الطبقة المتعلمة تعليما فنيا عن النظر ودراسة القرآن من هذه الوجهة (٢)

(١) المنار . قد بينا هذا في كتاب الوحي واستشهدنا بهذه الآية في خاتمته
(٢) انه ليس بكرا فقد بحث فيه ولكن عجائب القرآن لا تحصى كما ورد في الحديث

واذا ما استطردنا الى نوع الاعجاز الفني في القرآن فلا يصير ذلك كتاب الاستاذ رشيد لانه كتاب في الحقيقة للرد على أولئك الناس الذين يتشدقون بالفهم والعلم للطعن في الاسلام ولذلك نمر سريعا على تلك المقدمات التي عقدها الاستاذ رشيد لمقارنة بين الاديان .

* * *

أعجبتني تلك الفصول الفياضة الممتعة عن حرية الفكر في الاسلام . وذم التقليد والحض على التفكير الحر في دائرة العقل تلك الفصول التي دبجها الاستاذ في كتابه مستشهدا بالقرآن والحديث

والحق أن هناك فرقا شاسعا بين الاسلام والمسلمين . ولقد أتى على المسلمين حين من الدهر تسلطت عليهم الاعاصير السياسية فقام جماعة باسم الدين يبتدعون المذاهب لاغراض سياسية . ويستغلون الشعور الديني لمآرب دنيوية . ولا زلنا نسمع عن بعض زعماء يستغلون الدين لانفسهم ويفرضون على اتباعهم زنات من الذهب كل عام . ولذلك كان موقف الاستاذ رشيد في كتابه عن هذه النقطة موقفا مشرفا . فقد كشف عن الوجه الصواب وما أحوج المسلمين الى أمثال هذا الموضوع ليفتح أعينهم للحقائق حتى يروا الحق كما هو لا كما صوره الوهمون المغرضون . وما أحوج الناس الى ترجمة هذه الفصول لنشرها على العالم . فالناس في البلاد الاجنبية معذورون لعدم معرفتهم حقيقة الاسلام وقد ذكر الاستاذ رشيد أسباب الحجب بين الفرنج وحقيقة الاسلام . وعددها واحداً واحداً . ولكنه لم يذكر المستشرقين في فصل خاص ولم يذكر أسباب طعنهم في الاسلام ولم يفرد في كتابه فصلا يأتي فيه على ذكرهم وأثرهم في مطاردة الاسلام في بلاده، وان كان لمح الى ذلك تلميحا في رده على درمنغام(١)

ونحن لا نقول إن المستشرقين كبير لاثر في اظهار الاسلام على غير حقيقته وانهم يصمون في سيدنا محمد ﷺ من غير حق . ومهما تكن الاسباب الداعية لذلك فنحن أحوج ما نكون للرد عليهم واظهار أغلاطهم وتسفيه أحلامهم

١) ان كتاب الوحي ليس بكتاب تاريخ ، فلذلك اكتفينا في هذه المسألة بالتلميح

أما ما كتبه الاستاذ عن الكرامات ودعوى جماعة من المشعوذين الدينيين باسم الولاية والكرامة الى غير ذلك من المسائل التي مازالت تشغل أذهان السذج من الناس — فما ذكره في ذلك بعد آية من آيات الايمان الصادق والاسلام الصميم الذي لايستغل لمآرب دنيوية . وعندي ان المسلمين قد آن لهم أن تفتح أعينهم لتلك المسألة الجوهرية ، وانه لعار أن تظل تلك العقائد الخرافية ممسكة بالرقاب إلى الامة في عهد النور والعرفان

والحق ان في العالم أشياء كثيرة غامضة ولا زالت مسألة الاعمال الخارقة للعادة موضوع بحث ، وإن كان العلم لم يحدد مركزها تماما ، ولكن على أي حال لاصلة بين هذه الاعمال وبين الدين لاننا نسمع الكثير منها في مذاهب الاديان المختلفة حتى في الديانات الوثنية التي لايقبلها عقل مثقف الآن وحتى في الاديان التي لازالت تعبد الاصنام وتقدس الانسان

على ان السيد رشيد تصدى الى مسألة (جان دارك) وكتب عنها بما وسعه علمه الواسع . ولكنني أظن أنني اطلعت على مقالة لكاتب فرنسي عن كتاب يعزو سر نجاح جان دارك إلى أنها كانت من العائلة المالكة الفرنسية وأن شاراتها كانت تمتاز بالشعار الملكي

والحق أن كتاب الاستاذ رشيد يعد نوعا جديداً في التفكير الاسلامي الحديث ، وأنه نواة صالحة للنسج على منواله بتوسع

وإنني كنت نهجت في عدة مقالات في التحليل النفسي لحياة سيدنا محمد أن نطبق علم النفس والغرائز على أخلاق وعادات وآداب سيد المرسلين واستنتجت من ذلك أنه كان آخر حلقة في سلسلة الغرائز العالية من أجداده ، ولعل الاستاذ السيد رشيدا اذا توسع في هذا الموضوع وأدمجه يكون قد أدى خدمة جليلة باذاعة هذه المباحث التي عدها كل من اطلع عليها بحثاً مبتكراً في هذا النوع من التفكير الاسلامي

وأخيراً أهنيء الاستاذ على إخراج هذا الكتاب وأغتبط إذ نفدت طبعته الاولى ولا زال الاستاذ يوالي الطبعة الثانية . وانني أشد اغتباطا إذ أعلم أن هذا الكتاب جار ترجمته لعدة لغات شرقية وغربية . كل هذا في أقل من بضع شهور على ظهور الكتاب وهذا كله شهادة ناطقة لما لاقاه هذا المؤلف الثمين من التقدير بين المسلمين ، اه

العبرة بسيرة الملك فيصل

رحمه الله تعالى

(٦)

اعلان استقلال سورية

كان جل اشتغالنا في دمشق وأهمه في الاسبوع الاول من جمادى الآخرة أو الاسبوع الاخير من فبراير (شباط) سنة ١٩٢٠ محصوراً في الاستعداد لاعلان استقلال سورية المتحدة فلم يدر بيني وبين فيصل أحاديث خاصة في غير هذا فأكتبها بعد إرسال وفده إلى مصر فالحجاز

ولقد كنت على ما أعلم أول من اقترح على الاخوان في دمشق ثم على المرحوم يوسف بك العظمة في بيروت أن تعلن سورية استقلالها التام المطلق وتجعل دول الحلفاء معها أمام امر واقع - كما يقال - ولما عاد الامير فيصل من أوربة ليقيم أسبوعا واحداً يأخذ فيه تفويض البلاد إياه أو توكيلها له في المسألة السورية وأبى عليه الزعماء وجمهور الاخوان هذا التوكيل رأوا أن خير ما يشغله أو يصرفه عن العودة الى أوربة للاتفاق مع فرنسة وانكلترة على شكل الانتداب الذي رضيه - أن يقنعوه باعلان الاستقلال ونصبه ملكا على البلاد ، فاقتنع ظانا ان ما يرون أنه هو الصارف له عن ذلك هو أقوى ما يمكنه منه، وهو يرى أنه لا مندوحة عنه

وكان أول عمل لحزب الاستقلال بالاتفاق مع الامير دعوة أعضاء المؤتمر العام إلى دمشق ، ثم وضع الاساس الذي يبنى عليه الاستقلال، فعقدوا لهذا عدة جلسات في دار علي رضا باشا الركابي ودار رفيق بك التميمي وغيرها كنت أحضرها الى أن قرروا بموافقة الامير أن أذهب إلى بيروت لاقناع زعمائها والمجيء بهم الى دمشق لانهم كانوا قد امتنعوا عن إجابة الدعوة ، فسافرت الى بيروت في أول مارس ، ولم أتمكن من جمع كلمتهم المتفرقة إلا في مدة أسبوع كامل كانت آخر ليلة منه آخر جلسة لنا معهم في دار الاعمام التي يشغلها باسم حكومة الشام يوسف بك العظمة ، وقد كتبت عنها في مذكرتي ما يلي :

يوم الاحد ٧ مارس (١٦ جمادى الآخرة)

اجتمع مندوبو بيروت البارحة بدار الاعتماد وتذاكروا في مسألة السفر فاختلفوا وكان رأي الاكثرين عدم السفر حتى يجيء من الشام نبأ رسمي بتحديد جلسة المؤتمر المنتظرة، ورأي أبي علي سلام السفر، فوافقته وأصررنا فاقتنعوا وسافرنا صباح اليوم

وصلنا إلى الشام الساعة ٤ و٣٥ ق مساء فوجدنا المؤتمر مجتمعا فصليت الظهر والعصر جمع تأخير وحضرت الجلسة فوجدت البحث دائراً على خطاب المؤتمر الى الامير فيصل فطلبت أن يقرأ علينا كتابه الى المؤتمر - وكان قد قرئ - فأعيدت قراءته، واقترحت شيئا من التعديل والاصلاح في جواب المؤتمر له فقبل

ثم قرئ في الجلسة قرار المؤتمر (ونوقش فيه) وعهد إلي أخيرا تصحيح عبارته . اه ما كتبته بعد الجلسة من تلك الليلة لاجل الذكرى. وهذا القرار حرر في أثناء غيبتي في بيروت بعد تلك الجلسات التي عقدت للبحث في موضوعه وأشرت اليها آنفا

وقد اقترح بعض أعضاء المؤتمر من غير المسلمين في هذه الجلسة أن ينص في قرار المؤتمر على أن حكومة سورية المتحدة لا دينية (لايك) ووافقه بعض المسلمين الجغرافيين، وعارضه آخرون مقترحين أن ينص فيه على أنها حكومة اسلامية عربية أو دينها الرسمي الاسلام . واحتدم الجدال فلم أر مخرجا من هذه الفتنة الا اقتراح السكوت عن هذه المسألة . ومما قلته ان إعلان كونها لا دينية يفهم منه جميع المسلمين انها حكومة كفر وتعطيل لاتتقيد بحلال ولا حرام، ومن لوازم ذلك انها غير شرعية فلا تجب طاعتها ولا إقرارها بل يجب إسقاطها عند الامكان، فالأولى السكوت عن ذلك فوافق الاكثرون على هذا الرأي والاكتفاء باشتراط أن يكون دين ملكها الرسمي هو الاسلام فتقرر ذلك

وانني بهذه المناسبة أذكر ما كتبته في مذكرتي عن الجلسات الثلاث الاخيرة التي حضرتها قبل سفري إلى بيروت لما فيها من تفصيل هذه المسألة والعبرة بل العبر الكثيرة فيما يسمونه الحالة الروحية في ذلك المؤتمر بل في سورية كلها، وهذا نصها :

يوم السبت ٨ جمادى الآخرة ٢٨ فبراير

دعاني الاخوان الى جلسة بدار رفيق التميمي للمذاكرة فيما يبنى عليه اعلان الاستقلال فقرأ عزت (افندي دروزة) كاتب المؤتمر شيئا كتبه في معنى ما كنا بيناه في جلسة عند توفيق (بك الناطور) ولكنه ترك فيها أهم ما اقترحته عليهم في تلك الجلسة وهو بناء التقرير على قاعدة كون الاستقلال السياسي حقا طبيعيا للشعوب كما أن الحرية الشخصية حق طبيعي للافراد — وقاعدة قيام العرب من السوريين وغيرهم بثورة على حكومتهم التركية ونجاحهم فيها — وذكر النص المؤيد لذلك من القانون الدولي — وقاعدة اعتراف مؤتمر الصلح العام لبلادنا بالاستقلال وايداعه في المادة ٢٣ من عهد عصبة الامم الخ نعم انه ذكر فيما كتبه اسم الثورة ولكن بغير هذه الصورة والقوة ، فقال رفيق التميمي ان هذه الصورة حسنة ولكنها تشبه المقالة (قلت المراد الموضوع لا الاسلوب)

وسألت عوني (بك عبد الهادي) عما كلفته إياه وأمره الامير به بناء على اقتراحي من استخراج الشهادات الرسمية (من قبل الدولة البريطانية) للجيش العربي ، فاذا هو لم يأت الا بعبارة اللورد كرزون منها

يوم الاحد ٩ جمادى الآخرة ٢٩ فبراير (شباط)

اجتمعنا البارحة بالاخوان في دار الركابي (باشا) وتناقشنا في عدة مسائل مما يتعلق بقرار اعلان الاستقلال ، وتأليف حكومة جديدة ملكها فيصل ودينها الاسلام ، منها مسألة العلم السوري ، ومن يعلن الاستقلال ؟ الامير أم المؤتمر ؟ وغير ذلك مما سبق البحث فيه في جلستين سابقتين ، وكان ترجح أن يكون لسورية علم مستقل غير علم الحجاز المرفوع الآن في الشام وملحقاتها ، وتقرر هذا ولكن لم يتقرر شكل العلم ، ثم ان بعضهم قال في هذه الجلسة ان الامير فيصلا لم يقبل ذلك

بحل ، وقال انه يسوء والده الملك جداً ولكنه يقبل أن يوضع في العلم الحجازي علامة لسورية كصورة نجم في المثلث الاحمر أو في غيره ، واختلف الرأي في تبديله أو إبقائه مع علامة فيه ؟ فتقرر الثاني بأغلبية ضعيفة هي واحد او اثنان اه

يوم الاثنين اول مارس قبل سفري الى بيروت

اجتمعنا بالاخوان ليلة الاثنين الماضية بدار الركابي (باشا) للمذاكرة في المسائل التي تتعلق بالاستقلال أيضا . وكان أهم ما ألقي فيها من البحث : هل يكون للحكومة (شيخ إسلام) أو وزير للامور الشرعية ام لا؟ وعلى الاول هل يكون من أعضاء مجلس الوكلاء أو الوزراء أم لا؟ فقال بعضهم بالسلب (اي لا حاجة الى وزير ديني او اسلامي)! وبعضهم بالحاجة إلى رئيس ترجع اليه أمور المحاكم الشرعية والاوقاف ، ثم طلبوا مني بيان رأيي في الموضوع فتكلمت من وجوه :

(١) مكان العرب من الاسلام وإمامة المسلمين الذين يقتبسون دينهم ويعبدون ربهم بلغتنا ، ويحجون الى بلادنا ناسكين وزائرين

(٢) كون هذا الامر قوة أدبية وسياسية واقتصادية لنا لا يمكننا الاستفادة منه الا اذا كان لحكومتنا صفة اسلامية

(٣) ما استفاده الترك من انتحالهم لمنصب الخلافة وجعل دين حكومتهم الاسلام من عطف مئات الملايين من مسلمي الاقطار عليهم وانتصارهم لهم الى الان وكون هذا من أسباب بقاء ملكهم على اختلاله الى اليوم *)

*) هذه المسألة يمكن كغيرها بسطها بمقال طويل يفند فيه خطأ متأخري الترك الذين ألغوا منصب الخلافة تقربا الى أوربة ، وزعمهم أن الاسلام وخلافته لم تفدهم بل أضرتهم ، وان الحجة البالغة على هذا عدم ثورة العالم الاسلامي على الحلفاء في الحرب الاخيرة ، فهذا جهل طالما بيناه في المنار ويمكن الزيادة فيه

(٤) كون العرب في الجزيرة وغيرها لا يمكن جمع كلمتهم وتكوين وحدتهم إلا بدعوة دينية (كما حققه ابن خلدون من قبل) ولا يمكن لسورية أن تبقى مملكة مستقلة إلا باتحادها مع غيرها من البلاد العربية المتصلة بها

(٥) كون السواد الاعظم من العرب مسلمين يغارون على الاسلام اعتقاداً وإيمانا ، فاذا جعلنا حكومة سورية مجردة من الصفة الاسلامية يوشك أن يقلبوها بدعوة دينية في أول فرصة

(٦) ماتقرر في علم أصول القوانين من كون القانون لا يكون صالحا للأمة إلا اذا كان مراعى فيه عقائدها وعاداتها وتاريخها . وعلى هذا يجب أن تكون الشريعة هي المستمد الاعظم للقوانين التي نحتاج اليها على فرض عدم تدين حكومتنا بالاسلام ، وعدها أئمة الفقه كعلماء القوانين ، فاذن لابد لنا من وزير شرعي ومن رجال آخرين من علماء الشرع لهذه الحكومة .

(٧) كون شريعتنا صالحة لهذا الزمان كغيره وليس فيها ماينافي المدنية اذا لم تتقيد بمذهب الحنفية أو غيره . وذكرت أمثلة في ذلك وقواعد شرعية ، فاعتمدوا رأيي وقرروه اه

هذا ماكتبته من خلاصة تلك الجلسة الطويلة في ذلك الوقت القصير وقت السفر . ولكن ماتقرر بعد سفري لم يبن عليه ، ولم يمنع أن يقترح بعضهم أن يكتب في نص قرار الاستقلال جعل الحكومة السورية لادينية

وقد ظهر بعد ذلك من العبر في المؤتمر نفسه ماقد نبينه عندسنوح الفرصة له وأغربه مانجم من رءوس الالحاد والاباحة في أثناء المناقشة في القانون الاساسي للدولة السورية

هذا وان ما كان من الجلسات الخاصة بيني وبين الملك فيصل بعد اعلان الاستقلال قد انحصر في صباح يومي الجمعة والاحد اذ لا تعقد فيهما جلسات المؤتمر ، وقد نفذ ما كنا قررناه من ارسال وفد الى ابن السعود بكتاب منه وكتاب مني ، ثم تجددت أمور اختلف فيها رأيي مع رأيه وسأخلص ما أراه مفيدا من ذلك

حركة النازي اللادينية

وشجاعة الفاتيكان وصراحته

منقولة عن المقطم الذي صدر بتاريخ ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٥٢ — ٧ مارس سنة ١٩٣٤

لما شجر الخلاف في الكنيسة الانجيلية في ألمانيا ، وكثر التحدث عندهم بالكنيسة الالمانية الرسمية أو النازية وبالطائفة التي تسمى نفسها بالالمانيين المسيحيين لم يدر الناس في الشرق كثيراً ولا قليلا عن هذا الخلاف في الكنيسة البروتستانتية الالمانية ، وظنوه خلافا وطنيا عارضاً لا يلبث أن يسوى بينهم ، وانه لا يمس جوهر المسيحية بشيء

ولكننا ما لبثنا أن سمعنا باشتداد الخلاف ، وبأنه خلاف على جوهر حتى ذهبت الاكثرية المعارضة إلى مدى القول ان النازي يريدون أن يمزجوا جوهر المسيحية بشوائب الوثنية ، ولم نفهم المراد بالوثنية حتى أفهمنا إياه النازي أنفسهم. إذ وكلوا الى اثنين من أساطين كتابهم فيما يظهر فكتبوا كتابين في جوهر هذا التغيير الذي يقرب المسيحية من الوثنية ، وأحد هذين الكاتبين اسمه روزنبرج واسم كتابه «خرافة القرن العشرين»

ونحن لم نر الكتاب ولكن نقلت الينا الانباء نبذاً منه ، وقيل لنا ان النازى سيتخذون هذين الكتابين قانونا لايمانهم الجديد ينشرونه فيما بينهم ويحفظونه أولادهم في المدارس ويعلقون آياته على ابواب عملهم وفي منازلهم ، ويعصبون بها رءوسهم لو كانوا يلبسون عصابات

وفي تلك النبذ التي قرأناها ما فهمنا منه ان النازي ينكرون المسيح قاعدة المسيحية ويحسبونه معلماً دينياً إن كان انجيله ملائما لعصره فهو لا يلائم هذا العصر ذلك لانه بشر في ذلك الزمان بالسلام ، والسلام لا يلائم فطرة الخلق ، وقد جرب كل التجارب في مدة ألفي السنة التي مرت فما احتمل تلك التجارب ، لان الناس

المسالمين الوديعاء لايرضى الواحد منهم إذا لطم على خده أن يحول لآخر لضاربه، وإذا سئل ثوبه أن يعطي رداءه فوقه، وإذا سخر ميلا أن يمشي معه مسخره ميلين

لا يرضى الرجل الوديع المسالم ذلك فما بالك بالالماني الشديد المراس في معاملة الغريب الساس القياد في أيدي حكامه مهما يكن مبلغ استبدادهم به وبنظام الحكم والدستور والبرلمان في بلاده

ألا ترى ان الالماني لا يغفر لأجنبي أقل هفوة يهفوها ويعدها إيذاء لشعوره القومي وهو قد اغتفر للنازي حل البرلمان وإلغاء الدستور وإنشاء دكتاتورية مطلقة، وليس الفرنسوي ولا الانكليزي مثل ذلك إذ لا يتصور أحد من الذين يعرفون أخلاقهما وتربيتهما الدستورية انهما يرضيان بانقلاب دستوري مثل الذي رضيه الالماني

ان الذين قالوا ان النازي يريدون مزج المسيحية بالوثنية قالوا شيئا كثيراً فان إنكار قاعدة المسيحية يعيد القوم إلى العصور السابقة لانتشار المسيحية، وقد كانوا فيها يعبدون مثلما كان العرب يعبدون في عصور الجاهلية : اللات والعزى ومناة الاولى، فليبعثوا بأصنامهم وأوثانهم

وهذا الحنين إلى عهود الوثنية يبعد النازي عن أديان التوحيد الثلاثة، وهو شذوذ لم يختلف عن شذوذ امبراطور ألمانيا السابق، فقد كان يعتقد ان الشعب الالماني شعب الله الخاص، وانه هو ملك هذا الشعب المختار بحق إلهي، ولعل هذه الفكرة ورثها النازي عنه وهي التي تجعلهم يقدمون من اليهود ما يقدمون

وكاتب هذه السطور ليس كاثوليكيا ولكنه يرى من العدل والانصاف ألا يترك هذه المجالة من غير أن ينوه بفضل الفاتيكان ويده على المسيحية في رد هذا الكيد لها، فقد أبدى في هذا الحادث ما اشتهر عنه من الغيرة والسهر على الوزنات الخمس التي عهد اليه فيها، فكان بينه وبين النازي مفاوضات على عقد «كونكرداتو» يتقرر به موقف الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا، فلما درى بحركة النازي هذه والتي هي في جوهرها لا دينية قطع المفاوضة ولم يمنعه من ذلك كون رئيس الوزارة ووكيلها

كاثوليكيين ، لانه إن كان لا حياء في الدين فهنا موضع إبداء الشجاعة والجرأة وعدم الحياء في المجاهرة بالصبر ، وإن كانت لجملة المداورة والمناورة تصلح أساساً للسياسة فانها لا تصلح أساساً للديانة ، وكل من بنى عليها فهو «كشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجاءت الانهار ، وهبت الرياح ، وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيما»

وعندنا ان هذه الحركة النازية شقيقة البلشفية من الوجهة الدينية ، وانه إن كانت ألمانيا قد سلمت من البلشفيه السياسيه لم تسلم من البلشفية الدينية ، والفرق بين البلاشفة والنازى ان الاولين صريحون في مروقهم من الدين ، وان الثانين يعملون من وراء ستار

ومما يدل على أن النازي يريدون ان ينفذا عن الاذهان فكرة الله والالوهية قولهم في القسم الذي أقسموا لزعيمهم منذ أيام «أقسم لادولف هتلر وللحق الابدي» فما هو هذا الحق الابدي ؟

وجاء في التلغرافات التي نشرت في الاسبوع الماضي ان قداسة البابا خطب في جمع من كبار رجال الدين أمس بمناسبة العزم على تطويب ثلاثة من القديسين فحمل على «العقائد الوثنية» الحديثة في ألمانيا وقال «ان حياة أولئك القديسين كانت مثالا باهراً من المحبة المسيحية ، وإنذاراً من مثل الحركة التي تريد العالم على العود الى الوثنية والشعب الالماني النبيل هو الآن في مأزق من تاريخه ، والآراء والاعمال السائدة بينه ليست مسيحية ولا انسانية ، فان الزهو القومي لا ينتج الا زهواً بالحياة وهو بعيد عن روح المسيحية والانسانية معا»

(ن ش)

المعارك الدينية في ألمانيا

بين طوائف البرتستانت

(ترجمة كوكب الشرق عن الطان الفرنسية في ١٢ ابريل سنة ١٩٣٤)

لا تزال المعارك الدينية تزداد خطورة بين الطوائف التابعة للكنيسة الانجيلية في ألمانية

وقد جتمع السينودس الانجيلي الحر وهو مؤلف من رجال الدين ومن التابعين قبلا لثلاثين سنودس من ثلاثة وثلاثين سنودسيا، اعني من المصلحين واللوثريين وأعضاء الكنيسة المتحدة وهم من اللوثريين والمصلحين الذين انضموا معا في عهد حكم فردريك الاول ووافق السنودس المشار اليه على إصدار منشور جاء فيه ما يلي :

« ان الاسباب التي أحدثت الاضطراب الشديد في الكنيسة الانجيلية الالمانية ترجع إلى الحملات التي أثيرت ضد معتقدات هذه الكنيسة، ويقوم القائمون بالامر فيها في أغلاط تنافي ماجاء في الانجيل المقدس

ولم تعد لمجالس القساوسة ورجال الدين والسنودس الوطني سلطة روحية منذ انتخابها في صيف ١٩٣٣ والروح التي تسيطر على هذه الهيئات الدينية وإرادتها هي روح التدمير والهدم حتى ان الاوامر التي صدرت في ٤ يناير و٢٦ يناير و٣ فبراير سنة ١٩٣٤ هي اوامر لا تتفق والعدالة ودستور رجال الدين

ونحن نهيب إذاً باخواننا وزملائنا من القساوسة ألا ينفذوا هذه الاوامر ولا يعملوا بها لانها ضد تعاليم الانجيل المقدس ، ونهيب بأبنائنا التابعين لنا وبقساوستهم الذين عزلوا من مناصبهم ظلما وعدوانا ألا يأبهوا لهذه الاوامر ، وان يحتفظوا بقساوستهم ، لان عصيان حكومة دينية تحكم بما يخالف كلام الله سبحانه وتعالى يعد طاعة له جل جلاله

واذا علمنا أن الطاعة من القواعد الاساسية التي تتمسك بها الكنيسة البروسية أدركنا أن هذه العبارات التي جاءت في المنشور هي عبارات تدل على الثورة

والعصيان والتمرد ، ويحتمل أن الذين كتبوها يعتقدون بأنهم لا يشتغلون بالامور السياسية ولا دخل لهم فيها ، ولكن من المحال أن الحكومة الحالية في ألمانيا لا تتهمهم بالوقوع في الخطأ وتقف مكتوفة اليدين فلا تعمل بشدة ضد هذا القرار

وقد وافق السنودس الحر على هذا المنشور وكان مؤلفا من ٣٢٠ قسيساً من المصلحين ينتمون الى ١٢٧ أبروشية ووافق اتحاد كنائس المصلحين في ألمانيا باجماع الآراء على هذا المنشور في ٥ يناير سنة ١٩٣٤ وصرح الاتحاد في الوقت ذاته بأن الذين ينضمون إلى جماعة المسيحيين الالمانيين يعدون خارجين على اتحاد كنائس المصلحين وغير تابعين له

وفي ٢١ فبراير أنشأت الحكومة مكتبا لرجال الدين للنظر في الشئون الخارجية وعينت الاسقف تيودور هيكل لادارته . ومن أعمال هذا المكتب توثيق العلاقات مع البروتستانت في البلاد الاجنبية ومع الكنائس التي تصادقهم وكذلك توثيق العلاقات بين كنيسة بلاد الرخ ودعاة الحركة المسكونية

ومما لاريب فيه أن جميع هاته القرارات كانت سبباً للنزاع الذي قسم الكنيسة الانجيلية في ألمانيا على نفسها وجعلها شطرين

ولم تمض ستة أيام على إصدار ذلك المنشور الذي أشرنا إليه حتى فاه الاسقف هيكل بتصريح قال فيه « ان منشور السنودس الحر عمل رجعي لا يتفق مع مبادىء حكومة الرخ الثالثة بل ينافي النظام ويتحدى سلطة الكنيسة الالمانية ، وإن المسيحيين الالمانيين لم ينفصلوا عن اتحاد الكنائس في ألمانيا إلا لموقفه ضد المذهب الوطني الاشتراكي لا لاختلاف في العقائد، ولا يغرب عن الاذهان أن القساوسة ورجال الدين قد أكدوا ولاءهم واخلاصهم للحكومة الحالية وأنهم لا دخل لهم في الشئون السياسية فكان منشورهم هذا الذي أصدروه موضع دهشة في الدوائر الدينية »

وفي أول مارس الماضي عين أسقف حكومة الرخ رجال دين لم يشتركوا في المعارك الدينية الاخيرة وفي ٢ مارس تجددت الوسائل التي تقرر اتخاذها ضد عمل البروتستانت واغراضهم الشبيبة الالمانية فازدادت الحالة خطورة

فانضمت إدارة كنيسة بروسيا وهي التي تعد أكبر إدارة كنسية في ألمانيا

إذ يتبعها ١٨ مليونا من الانفس إلى كنيسة الرخ . وفي ٢٥ يناير استدعى مستشار هتلر يعاونه الهر جوبرنج والهر فريك وزير الداخلية مندوبي الكنائس . وبعد اجتماع المستشار بهم صدر تصريح بعد يومين جاء فيه أن جميع زعماء الكنيسة قد تضمنوا وانضموا الى الاسقف ملر ووعدوه بتأييد سلطته

وفي ٢ فبراير صرحت لجنة اتحاد المصلحين بأن التصريح الذي نشره رؤساء الكنيسة بتضامنهم وانضمامهم إلى الاسقف ملر ، وعدهم بتأييد سلطته يناقض ذلك التصريح الذي أذاعوه من قبل ، وأرسلت اللجنة إلى زعماء الكنيسة رسالة في ٣١ يناير قالت فيها « لقد اشتد تأثرنا وحارت عقولنا في ذلك التصريح الذي أقدمتم على اذاعته ولا يسعنا غير القول أنه يناقض أقوال الانجيل المقدس ولا يتفق مع تعاليم الكنيسة

وبعد شهر قدم أسقف هامبورج استقالته من منصبه واقتفى أثره جميع رجال الدين في كنيسة هامبورج وفازت حكومة الرخ ببغيتها وأصدر الاسقف ملر امرا بتعيين قساوسة آخرين وعزل الذين لم يريدوا الخضوع له دون محاكمة أو سؤال وألغى استقلال كنيسة بروسيا وجعلها تابعة لكنيسة الرخ وعدل دستور الكنائس المتحدة وأبطل حق السنودس العام في التشريع ، وسن القوانين لمجامع السنودس الفرعية في الاقاليم . وقد أصبحت حكومة الرخ قابضة على ناصية الحالة الآن . أما المستقبل ففي يد الله وحده اه

(المنار) نشرنا هذه المقالة وما قبلها لاجل الرجوع اليها من أطوار هذا الانقلاب الديني في هذا الشعب الجرماني الذي هو أرقى شعوب أوربة بل العالم البشري كله في جميع العلوم الكونية وفنون الحضارة ، فحكومته تحاول التفلت والتفصي من هذه الديانة الملفقة المخالفة لحقائق العلوم وبداهة العقول على إحكام عقلها وشدة قيودها ونظم كنائسها وسعة ثروتها وعصبية أساقفتها وقسوسها ونفوذهم المعنوي في الشعب ، ولكن نفوذ حكومته النازية الجديدة أقوى وأعظم وقد سبقه مصطفى كمال فأطلق حكومته التركية دون الشعب من قيود الاسلام في مرحلتين أو ثلاث ولم يبق معارضة شديدة والترك أعرق في التدين من الالمان ولكنه ليس لهم نظام ديني لا عند الخرافيين من رجال طرق المولوية وأمثالهم وسبقهم الشيوعيون فهدموا جميع الاديان من روسية كلها حكومتها وشعوبها

﴿ نتيجة حرب الجزيرة وما تجب مراعاته في الصلح ﴾

لقد تجلت نتيجة الحرب بسرعة لم يكن أحد ينتظرها ،على اختلاف الآراء فيها فقد انهزمت الجيوش اليمانية امام الجيش النجدي السعودي ـ في كل من الميدانين ـ الذي يقوده فيهما نجلا الملك : الامير سعود ولي العهد في جهة نجران التي احتلها كلها ، والامير فيصل في تهامة فاحتل الحديدة وما حولها ، ودان له بقية أهلها ، وأمسى الاميران يهددان عاصمة اليمن (صنعاء) من طرفيها

ثبت عندنا في هذه الحرب أمور متعارضة أظهرها ان ضلع الرأي العام الاسلامي العام مع الملك السعودي ، وانه لم تبث له دعاية رسمية ولا غير رسمية لا بتكبير قوته ، ولا باطراء فوزه ، ولا بالدفاع عنه ، ولكن أحد محرري الصحف زعم أن حكومته هي التي أتقنت هذه الدعاية بجميع وسائلها دون خصمه ، ومازال يكرر هذا حتى صدقه غيره وهو لم يصدق نفسه ، وصار من القضايا المسلمات

وأما الامام يحيى فقد بثت له دعاية واسعة بدون سعيه منها أن قوته الحربية أعظم عددا وعدة وبأسا ونظاما وقوادا ومالا ، وان قبائل الحجاز وقبائل شمر في نجد والعراق وقبائل شرق الاردن ستثور على خصمه الملك ابن سعود بله قبائل عسير الثائرة بالفعل ، حتى اذا ما دارت المعارك وانهزم الجيش اليماني في كل ميدان صاروا يكذبون أنباءها ويعدونها من الدعاية التي صارت مسلمة عندهم وعند غيرهم ، وما زالوا بالامام على جلالة قدره حتى أنزلوه الى ميدان تكذيب الحسيات المجمع عليها ، وأخيرا فسروها بما فسرها هو به وهو حب السلم وكراهة الحرب ، فاذا سلمنا هذا وجب أن يبني عليه الصلح الدائم فتجعل قوة الدفاع عن الجزيرة الى المملكة السعودية القوية الحزبية ، فهل يقبل الاعتراف بهذه النتيجة لتلك المقدمات المنطقية ؟

حقا ان الامام يحيى قد جنح للسلم ، وأنه قد آن له أن يقبل ما طالما دعي اليه من ابرام العهد ، وان أدنى الدرجات لذلك ألا يعقد الصلح على دخن ، ولا تتخذ المعاهدة دخلا بين الفريقين فتكون هدنة يستعد بها كل منهما لاعادة الكرة والاخذ

بالثأر، في وقت ربما تكون الحرب وبالا عليها وعلى الامة كلها، بل يجب استئصال جذور العداوة من أعماقها ، ويجب أن يتدبر وفد الصلح الآيات الآتية، ويقيموا بناء الصلح وحصن المعاهدة الثابتة على أساسها

وهي قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ؛ إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون * ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم)

بل أصرح بأن شر ما تنتهي به هذه الحرب أن يكون كل من الفريقين كفؤا للآخر قادرا على استئنافها عند سنوح الفرصة ، ففي هذه الحالة تجعل الدسائس الاجنبية كلا منهما خصما للآخر تهدده بامداده وتأليبه بالمساعدة عليه عند الحاجة ، وان من شرار المسلمين لمن هم شر من الاجانب ، وقد كان كل البلاء في هذه الفتنة منهم ، فكل من أظهر الميل والانتصار للامام يحيى فيها سرا أو جهرا كان شرا له من كل من ظن أنهم عدوله ، ولم يكن أحد منهم مخلصا له وانما كانوا يتبعون أهواءهم

وأما الدرجة العليا للملة الاسلامية والامة العربية فهي أن تكون لجزيرة العرب حكومة واحدة بل للامة العربية كلها اذا أمكن ، فهذه سياسة الشرع ومقتضى العقل وتجارب الامم ، فان لم يمكن خضوعها أو اخضاعها لحكومة واحدة من غير فتنة ترجح فيها المفسدة على المصلحة ، فالواجب أن يكون التعدد في الصورة والشكل مع الوحدة في السياسة والقصد ، كالمعروف في الوحدات الغربية كلها وسويسرة والولايات المتحدة في شمال أمريكة

وأما اختلاف الحكومات في تكافؤ القوى ومحاولة منع العدوان بينها بالتوازن فهو مثار كل شقاق وشقاء كما نراه في دول أوربة ، فعسى أن يوفق وفد الصلح بين الامامين لسد ذرائع الفساد ، وإحكام بناء الصلاح والاتحاد ، هداهم الله سبيل الرشاد

المنار

١٣١٥

تنبيه : يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشيء المجلة والمسئول ويجب الدفع سلفا

الاشتراك : عن سنة ١٠ قروش صاغ (صاغ) في مصر و ٢٥ قرشا في سائر البلاد ويكون داخلا عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والعلمي والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة

كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤

والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩

الجزء الحادي عشر من تفسير المنار

نبشر أهل القرآن وأنصاره ، ودعاته المستضيئين بأنواره، بصدور هذا الجزء من تفسيره الحكيم، وفيه ما ليس في شيء مما قبله مما يحتاج اليه العالم في الملخص الاجمالي لسورتي التوبة المدنية ويونس المكية، وفي مباحث إثبات الوحي ورسالة محمد خاتم النبيين ﷺ واعجاز القرآن اللفظي من نواحي النظم والاسلوب والبلاغة والتأثير ، والمعنوي من مناحي التشريع والعلم الغيبي والكوني والاجتماعي والاصلاح الديني والمدني والسياسي ، وتفنيد شبهات المعطلين والملحدين والمبشرين

﴿ فهرس الجزء الثاني من المجلد ٣٤ ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

استبطاء المشركين لما أنذروا به في الدنيا ٨٢
اليأس وكفر النعمة عند المصيبة وفرح البطر عند النعمة وعلاجهما بالصبر والعمل الصالح ٨٣
تسلية النبي (ص) عن تكذيب المشركين واقتراحهم عليه كنزاً أو ملكاً ٨٥
تحديهم بالاتيان بعشر سور مثل القرآن ولو مفتريات وبيان حكمة هذا العدد وكون التحدي بما فيها من العلم الخاص بالله تعالى وغفلة المفسرين عنها وزعمهم أن التحدي بعشر كان قبل التحدي بسورة واحدة ٨٧ — ١٠٠
مزايا قصص القرآن في إعجاز عباراتها ٩٥
« « « « إعجازها العلمي ٩٦
مقامات بديع الزمان والحريري: أسلوبهما ٩٣
دلالة القرآن على النبوة وكون التحدي مظهراً لحجته ١٠١
جزاء مريد الحياة الدنيا في الآخرة ومقابله ١٠٤
من كان على بينة من ربه بالعقل والوحي في إيمانه بالقرآن ومقابله وحال كل منهما وجزاؤهما في الآخرة ومثلهما ١٠٥ — ١١٣

(فتاوى المنار)

(٤) طبع مصحف بالرسم والترقيم العرفيين وتفسير وجيز في حاشيته ١١٤
(٥) الحديث الصحيح عند أهل السنة ١١٧
(٦) العدالة « « ١١٧
(٨٥٧) تعريف الصحابي وعدالة الصحابي «
(٩) حكم صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ١٢٠
(١٠) دعوى سنة قبلية للجمعة ١٢٢
(١٢) الزيادة في الاذان ومبتدعها ١٢٣
(١٣) قراءة سورة الكهف في المسجد قبل الجمعة «
نصيحة لدعاة السنة ١٢٤

(باب المقالات)

الحرب في جزيرة العرب. فوائدها وغايتها ١٢٥
ذكرى المولد النبوي. صفتها وتاريخها ١٢٩
يوم محمد سنة ١٣٥٣ ماذا فعل محمد ١٣٢
تقريظ كتاب الوحي المحمدي وانتقاده ١٤٠
الرد على المنتقد: مسألة الرق ١٤٤
الرق والسبي في الاسلام ١٤٥
تفنيد اعتراض كاتب جزويتي على كتاب الوحي المحمدي ١٤٧
فساد الاخلاق والدين في الافرنج ومقلديهم ١٤٨
شهادة سبنسر على قومه وسائر أوربة ١٤٩
محي الحق من عقول أهل أوربة فهو عندهم القوة ١٥٠
زلزال النصرانية في أوربة وقرب زوالها ١٥١
العبرة بسيرة الملك فيصل: رأيه في المؤتمر ١٥٢ و ١٥٣
تنظيم قوى العشائر والقبائل ١٥٤ و ١٥٥
اسقاط وزارة الركابي باشا ١٥٦
وزارة هاشم بك الاتاسي ورياستي للمؤتمر السوري ١٥٧
التنازع بين العلماء المجددين والجامدين ١٥٨
تحسين الاغاني والاناشيد العربية ١٥٩

(الجزء الثاني) ٨١ (المجلد الرابع والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

سنة ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ صفر سنة ١٣٥٣ برج الجوزاء سنة ١٣١٢ هـ ش يونيو سنة ١٩٣٤

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٨) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ ؟ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (١٠) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ، إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١١) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ

هذه الآيات معطوفة على قوله تعالى (ولئن قلت انكم مبعوثون) الخ وهي كلها بيان لحال الناس تجاه ما يلقوه من دعوة الاسلام لحق من أول هذه السورة وهو التوحيد وبعثة محمد ﷺ نذيراً وبشيراً وما أنذر وبشر به من جزاء في الدنيا والآخرة ، والرجوع إلى الله بعد الموت وكمال الجزاء فيه، وقد استدل على هذا بخلقه تعالى للسموات والارض إذ كان عرشه على الماء ، الذي هو الاصل لجميع الاحياء ، وعلله باختبار المكلفين بما يظهر به أيهم أحسن عملا . بعد هذا بين قصارى ما يقوله المنكرون للبعث منهم وقد تقدم ، ثم عطف عليه مايقوله المنكرون لانذار الرسول ﷺ إياهم عذاب الدنيا والآخرة بتكذيبهم له فقال :

٨ ـ ﴿ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ﴾ الآية شرطية مؤكدة بالقسم والمراد بالعذاب ماتقدم من قوله (وإن تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) على ما اخترناه فيه ، والامة هنا الطائفة أو المدة من الزمن ومثله في سورة يوسف (وادكر بعد أمة) وأصلها الجماعة من جنس أو نوع واحد أو دين واحد أو زمن واحد ، وتطلق على الدين والملة الخاصة والزمن الخاص . أي ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى جماعة من الزمن معدودة في علمنا ومحدودة في نظام تقديرنا ، وسنتنا في خلقنا ، المبين في قولنا (لكل أجل كتاب) أو إلى أمة قليلة من الزمن تعد بالسنوات، أو مادونها من الشهور أو الايام ﴿ ليقولن ما يحبسه ﴾ يعنون أي شيء يمنع هذا العذاب من الوقوع إن كان حقا كما يقول هذا النذير ؟ وانما يقولون هذا ويستعجلون بالعذاب انكاراً له واستهزاءاً به ﴿ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم ﴾ أي ألا إن له يوما يأتيهم فيه إذ تنتهي الامة المعدودة المضروبة دونه ، ويومئذ لا يصرفه عنهم صارف ولا يحبسه حابس ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ وسيحيط بهم يومئذ من كل جانب ما كانوا يستهزءون به من العذاب قبل وقوعه ، فلا هو يصرف عنهم ولا هم ينجون منه، عبر بحاق الماضي للايذان بتحقيق وقوعه حتى كأنه وقع بالفعل ، وعبر عنه بما الموصولة بفعل الاستهزاء المستمر للايذان بعليته وسببه ، وهذا الموضوع قد تقدم في سورة يونس مفصلا في الآيات ٣٩

و٤٥-٥٥ وبينا في تفسيرها حكمة إبهام هذا العذاب بما يحتمل عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مع الشواهد من السور

٩ - ﴿ ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ﴾ هذا وما بعده بيان لحال الانسان في اختبار الله له في قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أي لئن أعطيناه نوعا من أنواع النعمة رحمة منا مبتدأة أذقناه لذتها ، فكان مغتبطا بها ، كالصحة والامن وسعة الرزق والولد البار ﴿ ثم نزعناها منه ﴾ بما يحدث من الاسباب بمقتضى سنتنا في الخلق من مرض وعسر وفتن وموت ﴿ إنه ليئوس كفور ﴾ أي إنه في هذه الحال لشديد اليأس من الرحمة ، قطوع للرجاء من عودة تلك النعمة ، كثير الكفران لغيرها من النعم التي لا يزال يتمتع بها ، فضلا عما سلف منها ، فهو يجمع بين اليأس مما نزع منه ، والكفر بما بقي له لحرمانه من فضيلتي الصبر والشكر

١٠ - ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ﴾ النعماء بالفتح اسم من أنعم عليه إنعاما - كالنعمة بالكسر والنعمى بالضم - وهي ما يقابل بالضراء من الضر الذي يقابل به النفع ، ولم ترد النعماء في التنزيل إلا في هذه الآية . وهذه الاذقة أخص مما قبلها ، وهي تتضمن كشف الضراء السابقة وإحلال ما هو ضدها محلها ، كالشفاء من المرض وزيادة العافية والقوة السابغة ، والمخرج من العسر والفقر ، الى سعة الغنى واليسر ، والنجاة من الخوف والذل ، الى بحبوحة المنعة والعز ، يقول تعالى ولئن منحنا هذا الانسان اليئوس الكفور نعماء أذقناه لذتها ونعمتها ، بعد ضراء مسته باقترانه لأسبابها إثر كشفها وإزالتها ﴿ ليقولن ذهب السيئات عني ﴾ أي ذهب ما كان يسوءني من المصائب والضراء فلن تعود ، فما هي إلا سحابة صيف تقشعت فعلي أن أنساها بالتمتع باللذات ﴿ انه لفرح فخور ﴾ أي إنه في هذه الحالة لشديد الفرح والمرح الذي يهيجه البطر بالنعمة ، ومبالغ بالفخر والتعالي على الناس والاحتقار لمن دونه فيها ، فهو لا يقابلها بشكر الله عليها

روي أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ، وقيل في عبد الله

ابن أمية المخزومي ، والمراد أنها موافقة لحالها ، وهي انما نزلت في ضمن السورة لبيان حالة الناس العامة ولذلك استثنى منها قوله تعالى

١١ـ ﴿ إلا الذين صبروا ﴾ هذا استثناء من جنس الانسان فيما ذكر من حاليه في الآيتين قبله : الكفر بأنعم الله واليأس من رحمته عند زوال شيء منها ، وفرح البطر وعظمة الفخر بها عند اقبالها ، يقول إلا الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء إيمانا بالله واحتسابا للأجر عنده ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ عند كشفها ، وتبديل النعماء بها ، من شكره تعالى باستعمال النعمة فيما يرضيه تعالى من عمل البر وغير ذلك من عبادته وشكره ﴿ أولئك لهم مغفرة ﴾ واسعة من ربهم تمحو من أنفسهم ما علق بها من ذنب أو تقصير ﴿ وأجر كبير ﴾ في الآخرة على ما وفقوا له من بر وتشمير ، فان الانسان وإن كان مؤمنا باراً لا يسلم في الضراء والمصائب من ضيق صدر ، قد ينافي كمال الرضى أو يلابس بعض الوزر ، وفي حال النعماء من شيء من الزهو والتقصير في الشكر ، وكل منهما يغفر له بصبره وشكره ، وإنابته إلى ربه

ويناسب هذه الآيات من سورة يونس (١٠ : ١٢ واذا مس الانسان الضر دعانا) الخ . وقوله (٢١ واذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم) إلى آخر الآية ٢٣ فراجع تفسيرهن [1] مع تفسير (٥٨ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) [2] تعلم أن هذه المعاني المكررة بالاساليب المختلفة البليغة ما أنزلت إلا لهدايتك لما تزكي به نفسك وتثقف طباعها وعاداتها الضارة ، والجامع للمراد هنا بأخصر عبارة وأبلغها سورة (والعصر إن الانسان لفي خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

---

(١٢) فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ

---

١) راجع ص ٣١٣ و ٣٢٣ وما بعدها من ج ١١ تفسير (٢) راجع ص ٤٠٥ منه

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ؟

بدئت هذه السورة بذكر القرآن وموضوع دعوته العامة وحال الناس فيها، وبيان طباعهم وشئونهم الرديئة إلا ما هذبته هداية الدين منها ، وهذه الآيات خاصة بتكذيب المشركين للرسول ﷺ والقرآن، وقد بدئت ببيان غمه وحزنه وضيق صدره ﷺ من تكذيب قومه وتأكيد تبليغه، ويليه تحديه به إن ثبت لوحيه .

١٢ ﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ﴾ المتبادر إلى الفهم من جملة لعل بحسب موقعها هنا الاستفهام الانكاري المراد به النهي أو النفي، أي أفتارك أنت أيها الرسول بعض ما يوحى اليك مما يشق سماعه على المشركين من الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك والانذار والوعيد الشديد لهم والنعي عليهم وضائق به صدرك أن تبلغهم إياه كله كما أنزل كراهة ﴿ أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز ﴾ أي هلا أعطاه ربه كنزا من لدنه يغنيه في نفقته ويمتاز به على غيره ، فالكنز ما يدخر من المال في الارض ، عبروا به عما ينال بغير كسب ، وبانزاله عليه على كونه من عند الله يخصه به ﴿ أو جاء معه ملك ﴾ يؤيده في دعوته ، وهم قد قالوا ذلك كما جاء في سورة الفرقان (٢٥ : ٧ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ٨ أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ؟) أي ان ضيق الصدر وكتمان بعض الوحي مما يخطر بالبال، وشأنه أن تقتضيه الحال، بحسب المعهود من طباع الناس، فهل أنت مجترح لهذا الترك ، أو مستسلم لما يعرض لك بمقتضى البشرية من ضيق الصدر ؟ كلا لا تفعله ، فهو كقوله (١٦ : ١٢٧ ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما

يعمرون) وقوله (٧: ١ المص ٢ كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين) وقوله (١٨ : ٦ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) وقوله (٢٦: ١ طسم ٢ تلك آيات الكتاب المبين ٣ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ٤ إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أي لعلك قاتلها غما وانتحاراً ؟ أي لا تفعل ، وحاصله أن عنادهم وجحودهم واعراضهم عن الايمان وشدة اهتمامك بأمرهم فيما ليس أمره بيدك مما شأنه أن يفضي الى ذلك لولا عصمتنا إياك وتثبيتنا لك، فهل تصبر عليه حتى تبخع نفسك ؟ لا لا. ويوضح هذا المعنى في كون الارشاد مبنياً على بيان الواقع في تلك الوقائع قوله تعالى (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا)

﴿ إنما أنت نذير ﴾ فعليك أن تبلغ جميع ما أمرت أن تبلغه وتنذر به

في وقته وإن ساءهم ونفرهم ﴿ والله على كل شيء وكيل ﴾ أي هو الموكل بأمور العباد والرقيب عليهم فيها وليس عليك منها شيء، لانها من أمور الخلق والتدبير، لا من موضوع التعليم والتبليغ ، الذي هو وظيفة الرسل كما قال في آيات أخرى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء * فذكر انما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر * نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد)

ومن مباحث اللغة في الآية ان كلمة (لعل) للترجي والتوقع وفي لسان العرب انها رجاء وطمع وشك . وقالوا انها من الله تعالى للقطع في مثل قوله (واتقوا الله لعلكم تفلحون) وقال شيخنا انها للاعداد والتهيئة ، أي ليعدكم ويؤهلكم للفلاح بالتقوى . وحققنا انها قد تكون لاطماع المخاطب واحداث الرجاء عنده وهو مروي عن سيبويه . وحصر ابن هشام معانيها في ثلاث (١) التوقع وهو ترجي المحبوب والاشفاق من المكروه ٢١) التعليل قال وحملوا عليه قوله تعالى في فرعون (لعله يتذكر أو يخشى)(٣) لاستفهام وأسنده الى الكوفيين (أقول) واذا كانت للاستفهام يدخل فيه أنواعه كاستفهام الانكار المراد به النهي واختاره بعضهم في هذه الآية قبلنا

١٣ - ﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ أي بل أيقول هؤلاء المشركون من أهل مكة ان محمداً قد افترى هذا القرآن ؟ قل لهم أيها الرسول : إن كان الامر كما تزعمون فأتوا بعشر سور مثله مفتريات من عند أنفسكم لا تدعون انها من عند الله ، فانكم أهل اللسن والبيان ، والمران على المفاخرة بالفصاحة والبلاغة ، وفنون الشعر والخطابة ، ولم يسبق لي شيء من ذلك في هذا العمر الطويل الذي عشته بينكم ، وهو أربعون سنة ، فان كان من جنس كلام البشر فأنتم به أجدر ، وإن كانت أخباره عن الله تعالى وعن عالم الغيب عنده وقصصه عن الرسل وأقوامهم مفتريات فأنتم على مثلها أقدر ، فانكم تعلمون أني أصدقكم لسانا لم أكذب على بشر قط ، فكيف أفتري على الله عز وجل ؟ وأنتم تفترون عليه ؟ باتخاذ الآلهة معه والبنات له والشفعاء عنده ، وتحريم السائبة والبحيرة والوصيلة والحام ، وغير ذلك من الزرع والانعام . وان كنتم تزعمون ان لي من يعينني على وضعه ممن لا وجود لهم بالفعل ولا بالامكان ، فادعوا من استطعتم ممن تعبدون غير الله ومن جميع خلق الله ليساعدوكم على الاتيان بهذه السور العشر ، ولتكن مثله مفتريات ان كنتم صادقين في دعواكم . بأن تكون مشتملة على مثل ما فيه من تشريع ديني ومدني وسياسي وحكم ومواعظ وآداب وأنباء غيبية محكية عن الماضي وأنباء غيبية على أنها ستأتي ، بمثل هذه النظم البديعة ، والاساليب العجيبة ، والبلاغة الحاكمة على العقول والالباب ، والفصاحة المستعذبة في الاذواق والاسماع ، والسلطان المستعلي على الانفس والارواح ، اذا كان ما تحديتكم به أولا من سورة واحدة لا يتسع لكل الاجناس والانواع ، أو فأتوا بنوع مما تدعون افتراءه كالقصص في علومها وحكمها وهدايتها ، مكررا كتكراره لكل أنواعها ، هذا التكرار الذي لا تمل إعادته

هذه الآية كالآية ٣٨ من سورة يونس إلا ان التحدي في تلك بسورة مثله مطلقا ، وفي هذه بعشر سور مثله مفتريات ، وقد وعدت في تفسيرها (١) بالكلام على حكمة التحدي بعشر سور عندما أصل الى تفسير آية سورة هود هذه ، ثم بدا لي أن أبينها

(١) راجع ص ٣٦٨ من الجزء الحادي عشر

هنالك مجملة لئلا تخترمني المنية قبل بلوغ هذه الآية فبينتها في جواب ما يرد من الشبهة على المتكلمين في اعجاز البلاغة (١)

بل سبق لي أن بينت حكمة التحدي بعشر سور مثله مفتريات في تفسير آية سورة البقرة التي هي آخر آيات التحدي نزولا (٢) ووضحت ذلك في الفصل الملحق به الذي عقدته لبيان وجوه الاعجاز ولا سيما الوجه الاول منه وهو اعجازه بأسلوبه ونظمه بل نظمه العديدة وأساليبه الكثيرة في سوره المائة والاربع عشرة (٣).

خلاصة ماتقدم ان المفسرين الذين لم يؤتهم الله تعالى حكمة التحدي بعشر سور زعموا ان الله تعالى تحدى فصحاء قريش الذين هم أفصح العرب ومن دونهم من سائر الخلق بالاتيان بمثل هذا القرآن في جملته ، فلما عجزوا تحداهم بعشر سور مثله ، فلما عجزوا تحداهم بسورة واحدة مثله ثم بسورة من مثله ، ولكن هذا الترتيب لم يصح به نقل ، بل المروي في ترتيب السور يخالفه فان سورة هود نزلت عقب سورة يونس ، وأجاب بعضهم بأن نزول سورة قبل أخرى لا يقتضي نزول جميع آياتها قبل جميع آياتها ، وهذا الجواب انما يقال فيما تصح الرواية في تأخر نزوله وتقدمه ، ولا يصح بالتحكم المحض ، فيما هو خلاف الاصل الثابت بالنقل ، وأبعده عن التصور أنه في سورتين متعاقبتين

وسبب غفلتهم عن هذه الحكمة أنهم لم يطلبوها من التأمل في سور القرآن وما فيها من وجوه الاعجاز المكررة في سوره لانهم اعتادوا أن يطلبوا معانيه من الروايات المأثورة على قلتها وقلة ما يصح منها ، ومن مدلول كل آية منها في مفردات اللغة وجملها بمقتضى القواعد الفنية أو الفقهية وأصولها ، وقد بينت في تفسير آية البقرة ان أقوى شبهة للمعترضين على دعوى الاعجاز بالفصاحة والبلاغة أن المعنى الواحد الذي يمكن التعبير عنه بعبارات مختلفة قد يسبق بعض الفصحاء الى أعلى عبارة له وأبلغها ، بحيث يكون كل ماعداها دونها ، وذكرت مثلا لهم من القرآن على هذا وانه لا يدل على ان السابق لها قد تلقاها بوحي من الله تعالى . فان مثله يوجد في كل اللغات ، وأجبت عن هذا بأن القرآن يعبر عن المعاني الكثيرة بالعبارات المختلفة

(١) ص ٣٧١ ج ١١ (٢) ص ١٩٣ ج ١ (٣) ص ١٩٨ منه

التي تعد كل منها في أعلى الدرجات ويعجز عنها جميع البلغاء . ثم بينت في مباحث الوحي من تفسير سورة يونس ان القاموس الاعظم لاعجاز القرآن اللفظي هو تكرار المعنى الواحد بالعشرات والمئات من العبارات المختلفة في النظم والاسلوب وبلاغة العبارة وقوة تأثيرها في قلوب القارئين والسامعين لها ، وعدم وقوع الاختلاف بالتناقض أو التعارض في شيء منها كما قال (٤ : ٨٢ أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وانما يظهر هذا الاعجاز بنوعيه في السور المديدة، وبينت في تفسير آية يونس وجه وصفها بمفتريات

وأعود هنا الى بسط المسألة وفاء بالوعد فأقول

الضمير المنصوب في افتراه يعود الى القرآن للعلم به من سياق تبليغه وقد حكى عنهم هذه التهمة في سور أخرى منها ما تقدم قريبا في سورة يونس، وفيها وجهان (١) انه افتراه في جملته باسناده الى الله تعالى وادعائه انه كلامه أوحاه اليه وقدمت الجواب عنه آنفا (٢) انه افترى أخباره التي يدعي انها من عند الله اذ لا يعلمها غيره وقد استدل بها على نبوته كما بينته في مباحث الوحي وفي تفسير آية يونس . وقد حكى الامرين عنهم في سورة الفرقان بقوله (٢٥ : ٤ وقال الذين كفروا : إن هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاؤا ظلما وزورا (٥) وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (٦) قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) فأساطير الاولين قصصهم وأكاذيبهم التي سطروها ، وكانت العرب تسلي نفسها عن جهلها بالأديان والتواريخ بزعمهم أنها خرافات وأكاذيب ، فالتحدي بالسور العشر هو الذي يفند هاتين التهمتين الموجهتين اليه ﷺ بأنهض حجة علمية عملية، لا جدلية

وبيانه أن هذا التحدي بالعشر يثبت به من بطلان دعواهم مالا يثبت بالعجز عن سورة واحدة ، ولا سيما اذا كانت قصيرة ، ولهذا حسن مجيئه بعد التحدي بسورة واحدة مطلقا، خلافا لرأي الجمهور الذين غفلوا عن هذا المعنى فظنوا أن التحدي بالعشر بعد العجز عن الواحدة لا وجه له، لأن من عجز عن واحدة كان

أعجز عن اثنتين فضلا عن عشر ، فتفصوا من هذا بدعوى الترتيب المتقدم، وهو إنما يصح اذا كان موضوع التحدي متحدا مطلقا وهو هنا مختلف ومقيد

ذلك بأن افتراء الاخبار المدعى في القرآن نوعان (أحدهما) أنباء الغيب الماضية وهي قسمان (١) قصص الرسل مع أقوامهم وقد تحدى بها من ناحية كونها غيبا لم يسبق له ﷺ علم بها كما بيناه في محله ومنه ما يأتي التصريح به في هذه السورة وما بعدها وفي غيرهم (٢) خبار التكوين كخلق السموات والارض وما فيهما وما بينهما كخلق الانسان والجن ، . لا أذكر انه صرح بالتحدي بها تحديا خاصا ، ولا انهم كذبوا بها وأنكروها ، فهي لم تكن موضع نزاع ، وكذلك أخبار السنن العامة في الخلق الواردة في سياق تعداد النعم كما تراه في سورة النحل، أو سياق آيات الله تعالى وحججه على عباده كما تراه في سورة الروم ، وانما جعلت هذه كلها قسما واحدا في هذا البحث لانها ليست داخلة في تهمة الافتراء

(وثانيهما) أنباء الغيب الآتية وهي قسمان أيضا (١) وعد الله بنصر رسوله والمؤمنين وجعل العاقبة لهم واستخلافهم في الارض ، وخذلان أعدائه وأعدائهم الكافرين والانتقام منهم وتعذيبهم في الدنيا قبل الآخرة وهو ما كانوا يمارون به ويكذبونه (٢) القيامة وبعث الخلق وحسابهم وجزاؤهم بعقائدهم وأعمالهم ، وهو ما كانوا ينكرونه ويستبعدونه

فأخبار الغيب التي كانوا يكذبونها ويزعمون أنها مفتراة هي ثلاث (١) اخبار الآخرة (٢) أخبار وعد الله لرسوله وللمؤمنين ووعيده لاعدائه في الدنيا، وكلاهما من أنباء الغيب المستقبلة التي لا يظهر صدقها لا بتأويلها أي وقوع مدلولها (٣) قصص الرسل عليهم السلام وهي أمور قد وقعت بالفعل ، وهاك كلمة تفصيلية في عدد العشر في كل منها ، بعلم بها ترجيح ثالث وهو المختار عندنا

فأما آيات البعث والجزاء فكثيرة في جميع أنواع السور من أطولها الى أقصرها التي هي سور قصار المفصل . وقد تكلمنا على وجه الاعجاز بتكررها المبثوث في مئات المواضع من السور الكثيرة المختلفة النظم بالاساليب العجيبة والبلاغة الدقيقة في الركن الثالث من أركان المقصد الاول من مقاصد القرآن ، وأقول هنا ان قصار المفصل

المكية التي نزلت قبل سورة هود ويحتمل ان تكون مرادة من هذه العشر كلها أو بعضها هي التين والعاديات والقارعة والتكاثر والهمزة واللهب، فلا بد من تكميلها مما قبل سورة الضحى، ولا يظهر للتحدي بعشر مفتريات منها معنى لا يوجد في السورة الواحدة ولا سيما اذا كانت طويلة، فهي غير مرادة بالعشر

وأما آيات وعد الله لرسوله وللمؤمنين بالنصر، ووعيده الدنيوي للكافرين بالخذلان والعذاب، فلا يوجد في قصار المفصل شيء صريح منها ولكن اشارات في بعضه (منها) سورة الكوثر وهي أقصر سورة في القرآن، ففيها الوعد الصادق للنبي ﷺ باعطائه الخير الكثير الديني والدنيوي ومنه الغنى بعد الفقر الذي كان أغنياء قومه يعيرونه به، والوعيد الصادق لعدوه العاص بن وائل الذي سماه أبتر عند موت ابنه القاسم، بأنه هو الابتر الذي سينقطع ذكره بنسله وغير نسله، ويتضمن هذا الحصر الاضافي بقاء ذكره (ص) بذريته وبآثار هدايته. وكل ذلك وقع بالفعل، وقد بينت خلاصة تفسيرها في بحث إعجاز السور القصار من تفسير التحدي بآية سورة البقرة[1] (ومنها) سورة اللهب بناء على أن الجملة الاولى منها خبر بهلاك أبي لهب وامرأته، واذا قيل إنها دعاء فمعناه الخبر وقد صدق، فقد مات أبو لهب شر ميتة خارج مكة وفي ملتقى حتى تفسخ وأنتن، وكان ذلك بعد غزوة بدر بأيام، وهي أول انتقام الله من عتاة قريش وتصديق وعده لرسوله في قوله (يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون) ومثلها الوعيد في سورة العلق، وقد نزل في أبي جهل وصدق بقتله في غزوة بدر أسر قتلة وفي معناها الوعيد في سورة المدثر من وسط المفصل وقد نزل في الوليد بن المغيرة وهو يشمل وعيد الدنيا والآخرة وقد صدق ووقع - فهذه أربع سور من قصار المفصل ووسطه، والوعد والوعيد فيها خاص بالنبي ﷺ وأشد العتاة الذين بارزوه العداوة، ولكن لم يكن أحد من قريش بعد ذلك ممن كانوا ينكرونه من الوعد له ولا وعيد لهم لانه جزئيات متفرقة مجملة، لا وقائع فاصلة، فهي غير مرادة بالعشر أيضا

ومن الوعيد العام للكفار كلهم في وسط المفصل قوله تعالى في سورة الجن من تبليغه ﷺ لدعوة (حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا

(١) ص ٢٢٦ ج اول

وأقل عددا * قل ان أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا) الخ وهذا بعد الوعد فيها بقوله (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)

وجملة القول انه ليس في قصار المفصل ولا في أوسطها عشر سور ناطقة بالوعد والوعيد الدنيويين

وأما طوال المفصل ففيها شيء من الوعد والوعيد المبهم في سورة الذاريات والطور والنجم والقمر بمناسبة ذكر أقوام الرسل الذين انتقم الله منهم في الدنيا ، ثم في سور الملك والقلم والحاقة والمعارج ، . مجموع ما فيه يزيد على عشر ، إن أريد التحدي بها أو دخولها فيما يتحدى بها في الآية وانما الصريح من الوعد والوعيد الذي هو الاحرى بأن يكون المراد فانما هو في السور الطويلة مما فوق المفصل ، ولكن هذا النوع كالذي قبله لا يظهر فيه تخصيص التحدي بعشر مفتريات لانه مشترك مع الذي بعده في سوره ، ولان موضوعه مما لا يعرف صدقه لذاته الا بوقوعه

وجه التحدي بعشر سور من قصص القرآن

وأما قصص الرسل عليهم السلام فهي التي تظهر فيها حكمة التحدي بالسور العشر على اتمها وأكملها من الوجوه اللفظية والمعنوية المختلفة ، ويكون العجز عن معارضتها أقوى حجة وبرهانا على كونها من عند الله تعالى لا مفتراة من عند محمد ﷺ وحده ، ولا مما أعانه غيره عليه كما تصوروا وزوروا ، لان العجز عن مثلها عام كما سنفصله ، على أن محمدا ﷺ بدأ بهذه الدعوة بالقرآن وحده وكان يتبعه الواحد بعد الواحد من أصدق الناس وأسلمهم فطرة مستهدفين باتباعه للايذاء والاضطهاد ، ولولا الايمان بوعد الله لهم ووعيده لاعدائهم لما كان لأحد منهم أمل بالسلامة من الهلاك ، فأي باعث يبعثهم على التعاون معه على تزوير كتاب على الله عز وجل يعاندون به كبراء قومهم وعصبية أمتهم بما يفرقون به كلمتها ويضعفونها ويذلونها ؟ وكيف يعرضون أنفسهم للهلاك ، ويعرض المتمول منهم ماله للزوال لتأييد الكذب والافتراء ، على فرض انهم غير مؤمنين ، وانهم قادرون على الاتيان بمثل هذا القرآن ؟ كل ذلك بديهي البطلان

والفرق بين هذه القصص وسائر أخبار الغيب المستقبلة المكررة منها كوعيد

الدنيا ووعدها وجزاء الآخرة، وغير المكررة كالأمثال المضروبة لايضاح الحقائق أو للعبرة في سور النحل والكهف والقلم وغيرهن، أن موضوعها وقائع بشرية تاريخية لها روايات متواترة في جملتها، بعضها مدون عند أهل الكتاب وغيرهم، وبعضها محفوظ عند العرب كاخبار عاد وثمود وابراهيم واسماعيل، فدعوى افترائها من أصلها مكابرة ظاهرة البطلان، والكلام فيها بغير علم عرضة لضروب من الخطأ اللفظي، وتكراره مزلة في مداحض التعارض والاختلاف المعنوي، والتفاوت والخطل البياني، ويظهر ذلك لكل أحد منهم، لانه من جنس معارفهم وما يعهدونه بينهم، لا كأمور الغيب في غير عالمهم، فتحديهم بعشر سور من جنسها كالتحدي بمعارضة مقامات الحريري لمقامات بديع الزمان وأمثالها، يمكن لاهل اللسان أن يحكموا فيه بالتفاضل بينهما في بيانهما وحكمتهما ومعانيهما (*)

*) أسلوب مقامات البديع عربي عادي سهل جعل فيها اللفظ وسيلة لفهم المعنى المراد، وهو الاصل في كل اللغات، وأسلوب مقامات الحريري صناعي متكلف لم يعهد مثله في كلام العرب، جعل اللفظ فيه مقصوداً لذاته، والمعنى تابعا له، ووسيلة لحفظه، فمن الجمع فيه بين المهمل والمعجم، مالا يسيغه الاذوق الاعجم، ومن تكلف الجناس الذى صنع ليزيد الألفاظ حسنا، مايشوه المعاني ويزيدها قبحا، كالجناس المصحف في أبياته التي أولها:

زينت زينب بقد يقد وتلاه و يلاه نهد يهد

فلو سمع هذا الشعر فحول الشعراء الجاهليون، وقرومهم المخضرمون، وفرسانهم المولدون، لولوا فراراً منه وهم يجمحون، وانما أعجب بمقاماته بلغاء الأدباء، وكبار العلماء، لجمعه فرائد اللغة بعبارات مرصوفة يسهل حفظها، وهذا إبداع قد يعسر على أحفظ رواتها، ولذلك قال الزمخشري فيها:

معجزة تعجز كل الورى ولو سروا في ضوء مشكاته

فهذا النوع المدعى من الاعجاز فيه إنما هو مبالغة في استحسانه في بابه، وهو مما يقال في كل زمان في كل كلام له مزية، وما هو بمعجز في نفسه، وقد عورض كل ما يؤبه له من ذلك بمثله أو بما يفوقه، وهو في مكان بعيد من إعجاز القرآن كما فهمته العرب السليقيون، والمولدون الجامعون بين ذوق اللغة وفلسفتها الصناعية. وإن بقي موضع خفاء وشبهة عند من بعدهم، حتى تجرأ بعض جهلة المقلدين من الاعاجم كالباب والبهاء والقادياني على دعوى إعجاز بعض هذيانهم من كلام سخيف قلدوا فيه القرآن بفواصل متكلفة لا تستحق إلا السخرية، وقد أشرنا الى هذا في الكلام على التحدي من كتاب (الوحي المحمدي) وغيره وسنبسطه في موضعه كما وعدنا

وقد جاءت أخبار الانبياء مكررة في السور المكية على درجات في قلتها وكثرتها تبتدئ بالآية والآيتين والثلاث لبعض هؤلاء الرسل في بعض السور، وترقي في بعضها الى منتهى جمع القلة أو تزيد قليلا، كما تراه في آل حميم من فصلت الى الاحقاف، وفي أثناء سور الفرقان و (ق) والذاريات والنجم، وفي أول الحاقة والفجر وآخر البروج، فهذه سور تزيد على عشر فيها جميع أنواع الاعجاز اللفظي والمعنوي، ولكن هذه الاخبار فيها عبر لا تبلغ أن تكون قصصا

وأما القصص فقد تبلغ في بعض سورها عشرات الآيات كيونس وابراهيم والحجر والمؤمنون والعنكبوت، وتمد في بعضها بالصفحات لا بالآيات، ومنها ما أكثره في هذه القصص كالاعراف ومريم والنمل. ومنها ما ليس فيه من غيرها الا خاتمة مختصرة كيوسف وطه والانبياء والشعراء والقصص، أو فاتحة هي براعة مطلع وخاتمة هي براعة مقطع، كهود والصافات وص، وفي قصة نوح عليه السلام سورة في المفصل خاصة به وبقومه سميت باسمه على تكرارها في السور المختلفة، وكذلك سورة يوسف عليه السلام خاصة بقصته. كما ان سورتي طه والقصص في قصة موسى عليه السلام وحدها، على كثرة تكرارها في غيرها

بيد ان التحدي بالسور التي فيها القصص انما يراد به التحدي بها كلها، لا بالقصص التي فيها دون غيرها، وقد علمت انه لا يوجد في القرآن عشر سور ولا خمس ليس فيها شيء سواها، وان أكثر السور التي فيها القصص الحقيقية وسط بين الطُّوَل والمفصَّل، فالاولى منها في المصحف وهي الاعراف من السبع الطول وآياتها ٢٠٦ وآيات القصص فيها ١١٢ آية. وقبلها قصة النشأة الانسانية وافتتاحها وختامها في دعوة الاسلام، وبعدها فيه سورة يونس وهي ١٠٩ آيات وقصصها ٢٣ آية. وتتلوها سورة هود، وآياتها ١٢٣ أكثرها في القصص وهي أشبه السور بها في فاتحتها وخاتمتها وتحديها في إبطال الافتراء، والمأثور انها نزلت بعدها متممة لها كما تقدم، فجملة ما نزل قبل سورة هود من سور القصص: الاعراف ويونس ومريم وهي ٩٨ آية وطه وهي ١٢٥ والطواسين: الشعراء وهي ٢٢٧ والنمل وهي ٩٣ والقصص وهي ٨٨ وآياتهما أطول من آيات

الشعراء ونزلتا متعاقبتين بعد ما تقدم كله، فهذه تسع سور وسورة هود هي العاشرة فهن

مزايا قصص القرآن في اعجاز عباراتها

وجميع هذه السور تختلف أناظيم سورها في أوزانها وفواصلها، وفي أساليب الكلام فيها، مع اتفاقها وتشابهها في الفصاحة والبلاغة البيانية، في الفصل والوصل، والقصر والحصر، ومواضع حروف العطف، وصيغ الاستفهام والنفي والشرط، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، ودرجات التأكيد، والاطلاق والتقييد، والعموم والتخصيص، والاجمال والتفصيل، والايجاز والتطويل، والحذف والتكرير، وفنون المجاز والكناية والتعريض، وغير ذلك من ألوان التعبير، كالالتفات والتضمين، وصيغ الافعال وتعديتها، والقراءات التي تختلف معانيها، فان العبارات القرآن في ذلك كله من الدقة الغريبة، والمعاني العجيبة، مالا يقرب منه شيء من كلام بلغاء البشر، ومن شأن اختلاف القصة الواحدة فيها ان تتعارض وتتناقض بتعدد التكرار وهي محفوظة منه وقد عرضت لنكت الاختلاف بينها في المقابلة التي أوردتها في قصص سورة الاعراف مع غيرها

ثم انك تجد لكل لون من هذه الالوان من التعبير، نغما خاصا به في الترتيل، ولكل منهما نوعا جديدا من التأثير، فاستمع لمرتل قصة موسى في سورة طه ساعة (زمانية لا فلكية) وفي سورة الشعراء ساعة ثانية، وفي سورة القصص بعدها الثالثة الاخرى، وتأمل ما تجد من الفرق بينهن في سمعك، متدبرا ما تشعر به من الخشوع والعبرة في قلبك، والقصة واحدة، ثم جرب هذه المقارنة في القصص المتعددة من السور المختلفة في النظم والاسلوب كهود والنمل ومريم والانبياء والصافات وص والقمر، تجد العجب العجاب، ولا تنس أنها جاءت على لسان رجل لم يكن من رجال البيان في يوم من الايام

اذا فطنت لما ذكر كله بدا لك ان عجز البشر عن معارضة هذه القصص في جملة سورها، بفصاحتها وبلاغتها في كل أسلوب من أساليبها، وكل نظم من

أناظيمها .لا يتحقق في سورة و حدة أو ثنتين أو ثلاث منها ، وهاءنذا قدذ كرت لك عشرا منها مختلفات متفقات ، متشابهات غير مشتبهات ، ولسر حكمة العشر انما تظهر في الاعجاز المعنوي ، فألق السمع الى ماألقيه اليك منها

مزايا قصص القرآن في اعجازها العلمي

ان وراءهذه الالوان و لاشكال من الاعجاز الصوري ،لاشعة من ضياء العلم والهدى والاعجاز المعنوي ، هي أظهر وأجلى ، وأدق وأخفى ، وأجل وأعلى ، ومجيئها على لسان كهل أمي لم يكن منشئا ولا راوية ولا حافظا ، دل على كونها من عند الله تعالى ، فتأمل ماأذ كرك به من مزاياها الدينية والعلمية وغيرها المتشعبة منها

(١) بيان أصول دين الله العامة المشتركة بين جميع أنبيائه المرسلين من الايمان بوجوده وتنزيهه وتوحيده وعلمه وحكمته ، ومشيئته وقدرته ، وعدله ورحمته ، وغير ذلك من صفاته ، والايمان بالبعث والجزاء ، و لامر بالمعروف والبر والاحسان وسائر الاعمال الصالحات ،والنهي عن الفواحش والمنكرات العامة

(٢) بيان ان وظيفة الرسل تبليغ وحي الله تعالى لعباده وانهم لايملكون فيماوراء التبليغ نفعا للناس ،لادينيا كالايمان والتقوى ،ولا دنيويا كالرزق والصحة ،ولا كشف ضر عنهم كذلك .فقد كان أبو ابراهيم وابن نوح وامرأته وامرأة لوط من الكافرين

(٣) شبهة الاقوام على رسلهم بأنهم بشر ، وان آياتهم سحر ، واقتراحهم عليهم نزول الملائكة والآيات الكونية الحسية ، وردهم عليهم بأن آياتهم من فعل الله تعالى لامن كسبهم بقدرتهم

(٤) بيانهم لأقوامهم ان هداية الدين سبب لزيادة النعم في الدنيا وحفظها كما انها هي التي تنال بها سعادة الآخرة ، وان كلا منهما من كسبهم الاختياري

(٥) آيات الله وحججه على خلقه في تأييد رسله وطرق الانذار والتحدي وما أكرم الله به أنبياءه من الخوارق الخاصة كالاولاد لابراهيم وزكريا ومريم ،وما ابتلى الله تعالى به يوسف عليه السلام وما آتاه من العلم والحكم وتأويل الاحاديث (الرؤيا) وما كان من عاقبة اصطفائه له ومن ادارته لملك مصر ، وقصته مع أبيه واخوته وما فيها من العبرة والموعظة

(٦) نصائح الانبياء ومواعظهم الخاصة بكل قوم بحسب حالهم كقوم نوح في غوايتهم وغرورهم، وآل فرعون وملئه في ثروتهم وعتوهم، وقوم لوط في فحشهم، وعاد في قوتهم وبطشهم، وثمود في اشرهم وبطرهم، ومدين في تطفيفهم واخسارهم لمكاييلهم وموازينهم، وبني اسرائيل في تمردهم وجمودهم،

(٧) بيان سنن الله تعالى في استعداد الناس النفسي والعقلي لكل من الايمان والكفر، والخير والشر، والهدى والضلال، واستكبار الرؤساء والزعماء المترفين والمقلدين للآباء عن الايمان والاصلاح، وكون أول من يهتدي به المستضعفون والفقراء، وفي عاقبة الكفر والجحود، والبغي والظلم والفسوق

(٨) مافي قصص الاقوام من المسائل التاريخية والموضعية والوطنية كفرعون وحال قومه في خنوعهم وخضوعهم، وفتونهم وسحرهم، وعمرانهم وعظمة ملكهم، وحال بني اسرائيل معه في استعباده إياهم وظلمه لهم، ثم في إرثهم الارض المقدسة بصبرهم وصلاحهم، ثم في سلبها منهم بكفرهم وفسادهم، وحال عاد قوم هود في قوتهم وبسطة خلقهم وجبروتهم وثمود قوم صالح في استعمارهم الارض ونحتهم الجبال واتخاذهم منها بيوتا حصينة أمينة، ومن سهولها قصورا جميلة، وغير ذلك، وكون كل ذلك لا يغني عن هداية الوحي الالهي في إصلاح أنفسهم وتزكيتها واعدادها لسعادة الآخرة الباقية، ولم ينج أولئك الاقوياء من عذاب الله لهم في الدنيا، وتنجية رسله والذين آمنوا لهم واتبعوهم

(٩) بيان سنن الله تعالى في الطباع والاجتماع، والتقدير والتدبير العام، وما في خلقه للعالم من الحكمة والرحمة والنظام، والعدل العام، وعدم محاباة الافراد ولا الاقوام في نعم الدنيا ونقمها، ولا في الجزاء على الكفر والمعاصي والايمان والطاعات في الآخرة، فقد كان الرسل عليهم السلام يصرحون بكل ذلك. ومنه ان أحدهم لو عصى الله لعذبه ولما كان له من ناصر ينصره أو يمنعه من عقابه تعالى خلافا لتعاليم الاديان الوثنية التي جعلت الرؤساء آلهة أو انصاف آلهة أو وكلاء للرب في تدبير خلقه، وتقسيم رزقه

(١٠) الاحتجاج بكل ذلك على قوم خاتم النبيين ثم على سائر من تبلغهم دعوته من حقية رسالته ، وكون العاقبة له ولمن اتبعه

فقد علم من جملة هذه القصص في هذه السور ، ان هؤلاء الرسل كانوا خير البشر ، وأهداهم الى أصح العقائد وأكمل الفضائل وأصلح الاعمال ، وان آثارهم في الهدى كانت أجل الآثار ، وانها كانت أفضل قدوة لاهل الارض . وعلم منها ان ماجاء به محمد ﷺ في هذا القرآن هو عين ماجاءوا به من ذلك كله ، إلا انه أتم وأكمل ، وأعم وأشمل ، فانه مبعوث لى جميع الامم الى نهاية بقاء الاحياء في هذا العالم . و كانت رسالة كل منهم الى قومه خاصة

فان أمكن ان يكون هذا حديثا مفترى فان مفتريه يكون أكمل منهم كلهم علما وعملا وهداية واصلاحا ، سواء أكانوا رسلا من الله تعالى أم لا ، ويكون أجدر باتباع قومه وغيرهم له واهتدائهم بهديه ، ولن يكشف حقيقة أمره ، إلا من يستطيع ان يأتي بحديث مثله ، ولو مفترى في صورته وموضوعه ، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ، فان الاحتذاء والاتباع ، أهون من الابتداء والابتداع ، اذا كان لا يتجاوز القيل والقال ، ولكن افتراء الامي لهذه العلوم الالهية والنفسية والتشريعية والاجتماعية محال أي محال ، وقد عجز عن مثلها حكماء العلماء ، أفكهذا يكون الافتراء ، والحديث المفترى الذي ينهى عنه العقلاء ، حرصا على الشرك والجهل الذي كان عليه أولئك السفهاء ؟

ثم انك تجد هذه المعاني أو المعارف التي أجملتها في عشرة أنواع كلية ويمكن تفصيلها والمزيد عليها ، بما قد يفتح الله تعالى على المتدبرين لكتابه ، متفرقة في جميع تلك القصص من تلك السور ولا تجد فيها على تكرارها تناقضا ولا تعارضا ، ولا في عباراتها اختلافا ولا تفاوتا ، على ما فيها من ايجاز وقبض ، ومساواة وبسط ، وهذا مما يعجز عنه البشر أيضا ولا يتحقق الا بالتعدد ، واذا كانت لا توجد كلها مجتمعة في سورة ولا سورتين ولا ثلاث مما ذكرنا ، فأحر بمن يدعي انها من علم البشر وكلامهم أن يفسح له في التحدي بأن يأتي بعشر سور مثلها ، تشتمل على هذه المزايا كلها ، فالتحدي بهذه السور توسيع على المنكرين إن تصدوا لمعارضتها لا تضييق

عليهم، كما زعم من لم يفقه ما قررته لزعمهم أن إعجاز القرآن انما هو ببلاغته التي فسروها بمطابقة الكلام لمقتضى الحال فقط ، ولو صح هذا الزعم هنا ، لما كان للتحدي بالعشر قبل الواحدة وجه ، بل لكان مشكلا من أول وهلة ،لأنه يكون من قبيل التجربة من غير العالم بعجزهم عن سورة واحدة ، فضلا عن كونه لم يضرب له أجلا ، ولم ينقل أنه كان له أجل علم بالفعل ، ولا يرد شيء من هذا على قولنا،فان مثله كمثل من يكلف شاعراً ان ينظم قصصاً مختلفة بقصيدة واحدة ، ومن يوسع عليه بتكليفه ان ينظمها بعدة قصائد مختلفة الروي والقوافي.واني لأعجب لدهاقين البلاغة الفنية كيف سكتوا عن حكمة هذا العدد إلا قول بعضهم إنه انتهاء الى آخر جمع القلة ؟

وإنني أجزم هنا ـ بعد التأمل في جميع آيات التحدي وتاريخ نزول سورها ـ أنها لم يكن مراعى بها الترتيب التاريخي في مخاطبة المشركين كما زعم جمهور المفسرين، بل ذكر كل منها بمناسبة سياق سورته ، فسورة الطور التي فيها (٥٢: ٢٣ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ٢٤ فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) وهو تحد بجملته — قد نزلت بعد سورتي يونس وهود اللتين تحداهم فيها بالعشر بعد الواحدة . وسورة الاسراء نزلت قبلهن وفيها ذكر عجز الانس والجن عن الاتيان بمثله (١٧: ٨٨) ولكنه لم يكن تحديا . وكان آخر ما نزل في التحدي آية سورة البقرة(٢ :٢٣) وهو تحد للمرتابين فيما نزله الله على عبده بأن يأتوا بسورة من مثله . إذ كان نزولها في السنة الثانية للهجرة

الخلاصة أن مشركي مكة المعاندين لم يجدوا شبهة على القرآن ـ بعد شبهة السحر القديمة التي لم تلق رواجا عند العرب لانه كلام بلغتهم عرفوه وعقلوه وأدركوا علوه على سائر الكلام ـ الا زعمهم أن محمدا ﷺ قد افتراه في جملته، وما هو وحي من عند الله تعالى ، فتحداهم بالاتيان بمثله بالاجمال ،وبسورة مثله في جملة مزاياه من نظمه وأسلوبه،وبلاغته وعلومه، وتأثير هدايته، وسلطانه الالهي على الارواح والعقول. فعجزوا ، وبقيت لهم شبهة عليه في قصصه اذ ادعى انها من أنباء الغيب أوحاه الله اليه ، فزعموا انه إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون،

وانه أساطير الاولين اكتتبها لنفسه فهي تملى عليه ويلقنها لئلا ينساها، وهذه شبهة خاصة موجهة الى قصصه المتفرقة في سوره الكثيرة، لا يدحضها عجزهم عن الاتيان بسورة واحدة في بلاغتها التي حصروا الاعجاز فيها، ولا إبداع نظمها ولا طرافة اسلوبها أيضاً ، ولا سيما اذا كانت قصيرة ، فتحداهم بعشر سور مثله مفتريات ، أي مثل هذه القصص التي زعموا انها أساطير الاولين، وانما تكون مثلها اذا كانت جامعة لمزاياها المعنوية العلمية التي بينا أظهرها في الجمل العشر آنفاً

وجملة القول ان التحدي بعشر سور مثله مفتريات قد كان لابطال هذه التهمة الخاصة من الافتراء ، وقد بينا معناها ، والسور المفصلة فيها التي تمت عشراً بهذه السورة (هود) وكلفهم دعوة من استطاعوا من دون الله تعالى ليظاهروهم فعجزوا ، ولم يجدوا من آلهتهم ولا من فصحائهم ولا من اعداء النبي ﷺ من أهل الكتاب من يستجيب لهم ، فقامت عليهم الحجة وعلى غيرهم الى يوم القيامة ، فهذه حكمة هذا التحدي الظاهرة هنا

وله حكمة أخرى باطنة لازمة للاولى هي التي تمت بها الفائدة، وهي أنه يوجه الانظار ويشغل الافكار بالتأمل في القرآن ، وتدبر ماحواه من حكمة وعرفان، وما لها في القلوب والعقول من تأثير وسلطان ، فياحسرة على الغافلين الذين زعموا ان إعجازها محصور في فصاحة المفردات والجمل وبلاغة البيان ، على مافي دلالة الفصاحة والبلاغة على النبوة من الخفاء على الافكار والاذهان، وقد اختلف المتكلمون في وجه دلالة المعجزة على الرسالة وقال الغزالي انه لاعلاقة بينها وبين ابراء الاكمه والابرص أو انقلاب العصا حية، ودلالة القرآن ببلاغته مثلها بخلاف دلالته العلمية فانها عقلية كدلالة مدعي علم الطب على علمه بكتاب ألفه فيه يعالج به المرضى فيبرءون. وتقدم بيان هذا مفصلا في مواضعه . والحمد لله الذي آتى هذا العبد الضعيف المتأخر من هذه الحكمة والفهم في كتابه مالم يؤت أولئك الجهابذة الاقوياء من أئمة العلم وفرسان الكلام، اثباتا لما وصف به من كونه لاتنتهي عجائبه، ولا يحيط أحد به علما، وان فضله على عباده لاينحصر في زمان ولا مكان ويؤيد مااخترته قوله عز وجل في تقرير هذا الاحتجاج من ان العجز عن المعارضة دليل على ان القرآن من العلم الالهي:

١٤ — ﴿ فان لم يستجيبوا لكم ﴾ في هذا الخطاب وجهان صحيحان (أحدهما) أنه تتمة لما أمر النبي ﷺ أن يتحدى به المشركين فهو يقول لهم فان لم يستجب لكم من تدعونهم من دون الله ليظاهروكم على الاتيان بالعشر السور المماثلة لسور القرآن، من آلهتكم الذين تدعون وتعبدون، وهو اجسكم الذين يلقنونكم الشعر كما تزعمون، وقرنائكم من فحول الشعراء ومصاقع الخطباء، ومن علماء أهل

الكتاب العارفين بأخبار الانبياء، لعجز الجميع عن ذلك ﴿ فاعلموا انما أنزل بعلم الله ﴾ أي فاعلموا أنما أنزل على محمد ﷺ بمقتضى علم الله ملابسا له مبينا لما أراد أن يبلغه لعباده من دينه على ألسنة رسله، لا بعلم محمد ولا غيره ممن تدعون زوراً أنهم أعانوه عليه، لانه في جملته من علم الغيب الذي لا يعلمه الا من أعلمه الله تعالى به، كما قال (٧:٧ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) وكما تراه في آخر قصة نوح من هذه السورة (الآية ٤٩) ومثلها في آخر سورة يوسف. ومثلهما في سورة القصص (٢٨:٤٤ — ٤٦) (١٢:١٠٢) وقال في آية أخرى بعد ذلك (٤:١٦٦ لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) وقال (٧٢ : ٢٦ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ٢٧ الا من ارتضى من رسول) الخ

الاستجابة للداعي الى الشيء كاجابته اليه، وعدم الاستجابة لهم واضحة لدعواهم مثبتة لكون هذه العلوم التي فيه من علم الله لا من علم البشر، وهو صريح في أن المراد انما هو التحدي بما في هذه السور من العلم لانه هو الذي دحض دعواهم ان محمد افتراها « وأنما » المفتوحة الهمزة تدل على الحصر كالمكسورة على التحقيق

﴿ وان لا إله إلا هو ﴾ أي واعلموا أنه لا إله يعبد بالحق الا هو، لان من خصائص الاله أن يعلم ما لا يعلمه غيره، وان يعجز كل من عداه عن مثل ما يقدر هو عليه، كما ظهر بهذا التحدي عجزكم وعجز آلهتكم وغيرهم عن الاتيان بعشر

سور مثل سور كتابه بالتفصيل وعن سورة واحدة بالاجمال ﴿ فهل أنتم مسلمون ﴾ أي فهل أنتم بعد قيام هذه الحجة عليكم داخلون في الاسلام الذي أدعوكم اليه بهذا

القرآن ، مؤمنون بعقائده وحقية أخباره ووعده ووعيده ، مذعنون لاحكامه ؟ اي لم يبق لكم محيص من الاسلام والانقياد ، وقد دحضت شبهتكم ، وانقطعت معاذيركم ، الا جحود العناد واعراض الاستكبار ، فهذا الاستفهام يتضمن طلب الاسلام والاذعان بأبلغ عبارة فهو كقوله بعد وصف الخمر والميسر والانصاب والازلام بأنها رجس من عمل الشيطان لا يريد الا إيقاع الشقاق والبغضاء بين الناس في الخمر والميسر وصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة — بعد هذا كله قال (فهل أنتم منتهون) أي عنهما بعد علمكم بهذا الرجس والمخازي التي فيهما أم لا ؟ وأي انسان يملك مسكة من عقل وشرف لا يقول عند نزول هذه الآية في سورة هود : أسلمنا أسلمنا ، كما قال أصحاب رسول الله ﷺ و (رض) عند نزول تلك الآية : انتهينا انتهينا ؟

(الوجه الثاني في الآية) ان الخطاب فيها للنبي ﷺ وجمع الضمير في « لكم » للتعظيم بناء على انه غير خاص بضمير المتكلم ، أو له ولمن معه من المؤمنين إذ كانوا كلهم دعاة الى الاسلام معه ﷺ وقيل انه له وحده ، وهذا مروي عن مجاهد . والمعنى فان لم يجبكم هؤلاء المشركون الى ما تحديتموهم به من الاتيان بعشر سور مثله ولو مفتريات لا يتقيدون بكون اخبارها حقا كاخبار القرآن — وما هم بمستجيبين لكم لعجزهم وعجزمن عسى أن يدعوهم لمظاهرتهم عليه — فاثبتوا على علمكم انه انما أنزل بعلم الله ، وازدادوا به إيمانا ويقينا بهذه الحجة ، وانه لا إله إلا هو ولا يستحق العبادة سواه ، فهل أنتم ثابتون على إسلامكم والاخلاص فيه ؟ أي اثبتوا عليه ، والوجه الاول أظهر واقوى وعليه الامام ابو جعفر بن جرير الطبري و شار الى ضعف الثاني ، ولكن رجحه كثيرون ، والحق انه صحيح ولكنه خلاف الظاهر المتبادر

---

(١٥) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

بعد أن قامت الحجة القطعية على إعجاز القرآن ، وحقية دعوة الاسلام، بما يقطع ألسنة المفترين ويبطل معاذيرهم ، بين لهم في هاتين الآيتين الصارف النفسي لهم عنه وكونه شراً لهم لاخيراً ، وهو انه لاحظ لهم من حياتهم إلا شهوات الدنيا وزينتها ، والاسلام يدعوهم إلى إيثار الآخرة على الاولى ، قال عز وجل :

١٥ـ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ﴾ أي من كان كل حظه من وجوده التمتع بلذات هذه الحياة الاولى التي هي أدنى الحياتين اللتين خلق لها وهي الطعام والشراب والوقاع ، وزينتها من اللباس والاثاث والرياش والاولاد والاموال ،لا يريد مع ذلك استعداداً للحياة الآخرة ولقاء الله تعالى بالبر والاحسان ،

وتزكية النفس بباعث الايمان ﴿ نوف اليهم أعمالهم فيها ﴾ أي نؤد اليهم ثمرات أعمالهم التي يعملونها وافية تامة بحسب سنتنا في الاسباب والمسببات ونظام الاقدار ،

وقد فصلنا هذا المعنى في التفسير مراراً ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾ وهم لا ينقصون فيها شيئا من نتائج كسبهم لأجل كفرهم ، فان مدار الارزاق فيها على الاعمال السببية، لا على النيات والمقاصد الدينية ، ولكن لهداية الدين تأثيراً فيها من ناحية الامانة والاستقامة والصدق والنصح ، واجتناب الخيانة والزور والغش ، وغير ذلك من الصبر والتعاون على البر والتقوى ، ولأهلها العاقبة الحسنة فيها. وكرر لفظ فيها للتأكيد والاعلام بأن الآخرة ليست كالدنيا في وفاء كيل الجزاء وفي بخسه ، فانه فيها منوط بأمرين : كسب الانسان ونظام الاقدار ، وقد يتعارضان ، وأما جزاء الآخرة فهو بفعل الله تعالى (ولا يظلم ربك أحدا)

١٦﴿ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار ﴾ أي أولئك الموصوفون بما ذكر ليس لهم في الآخرة إلا دار العذاب المسماة بالنار،لان الجزاء فيها كالجزاء في الدنيا على الاعمال،وهم لم يعملوا لنعيم الآخرة شيئا،فان العمل لها انما هو تزكية النفس بالايمان والتقوى التي هي اجتناب المعاصي والرذائل ، وأعمال البر والفضائل ،

﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ وفسد ما صنعوا مما ظاهره البر والاحسان كالصدقة وصلة

الرحم فلم يكن له تأثير في تزكية أنفسهم والقربة عند ربهم، لأنه انما كان لأغراض نفسية من شهوات الدنيا كالرياء والسمعة والاعتزاز بأولي القربى على الاعداء ولو بالباطل ، فهو كالحبط وهو بالتحريك أن تكثر الانعام من بعض المراعي التي تستطيبها حتى تنتفخ وتفسد أحشاؤها، فظاهر كثرة لأكل أنه سبب للقوة فكان في هذه الحالة سبباً للضعف ، كذلك ماظاهره البر والاحسان من أعمال الناس ذا كان الباعث عليه سوء النية مما ذكرنا ﴿ وباطل ماكانوا يعملون ﴾ أي وباطل في نفسه ما كانوا يعملونه في الدنيا ، لانه لاثمرة له ولا أجر في الآخرة ، وانما الاعمال بمقاصدها ، والنتائج تابعة لمقدماتها ، فان كان في عملهم خير ونية حسنة يجازون عليه في الدنيا

قال تعالى في تفصيل هذا الاجمال (١٨:١٧ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحوراً ١٩ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ٢٠ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظوراً ٢١ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وقال معلم الخير الاعظم عليه الصلاة والسلام « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه » رواه البخاري في سبعة مواضع من صحيحه مختلفة الالفاظ ومسلم وغيرهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الدين يبيح الطيبات من المآكل والمشارب غير الضارة ويبيح الزينة في غير اسراف ولا خيلاء ، وانما يذم من يحتقر المواهب الانسانية من عقلية وروحانية فيجعل كل همه وحظه من وجوده في الشهوات الحيوانية التي تفضله بها الانعام والحشرات فيفضله الثور في كثرة الأكل ، والبعير في كثرة الشرب ، والعصفور في كثرة السفاد ، والطاوس في زينة الالوان ولمعان اللباس . ومن اختبر أهل أمصارنا في هذا العصر علم من اسرافهم في هذه الشهوات والزينة ماهو مفسد لصحتهم وأخلاقهم وبيوتهم حتى نسائهم وأطفالهم ، وماحق لثروتهم ، ومضعف لأمتهم ودولتهم ، وما بعد ذلك إلا إضاعة آخرتهم، وترى مع هذا ان حكومتهم

ومدارسهم لاتقيم للتربية الدينية وزنا وتجعل الصلاة التي هي عماد الدين اختيارية لايلزمها أحد من معلميها ولا من تلاميذها

ومن العجيب أن تختلف الروايات في الآيتين هل نزلتا في المشركين أم في كفار أهل الكتاب أم في المنافقين ، وما نزلتا منفردتين في طائفة خاصة ، بل في ضمن سورة مكية حيث لامنافقون ولا أهل كتاب ، وموضوعهما عام فيمن لايؤمن بالآخرة ولا يعملون لاجلها

(١٧) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

هذه الآية في المقابلة والموازنة بين من يهتدي ويهدي بالقرآن على علم وبينة ومن يكفر به على جهل وتقليد ، أو عند وجحود ، فهي صلة بين ماقبلها وما بعدها

١٧ ـ ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ أي على حجة وبصيرة من ربه فيما يؤمن به ويدعو اليه هاديا مهتديا به ، فالبينة مايتبين به الحق في كل شيء بحسبه ، كالبرهان في العقليات ، والنصوص في النقليات ، والخوارق في الالهيات ، والتجارب في الحسيات ، والشهادات في القضائيات ، والاستقراء في إثبات الكليات ، وقد نطق القرآن بأن الرسل كلهم قد جاءوا بالبينات ، وان كل نبي منهم كان يحتج على قومه بأنه على بينة من ربه ، وانه جاءهم ببينة من ربهم ، كما ترى في قصصهم من سورة الاعراف وهذه السورة وكانت بيناتهم قسمين : حججا عقلية ، وآيات كونية ، وكان من لم يقتنع ببينة الرسول او يكابرها يقولون (ماجئتنا ببينة) وكان من جحد الآية الكونية بعد التحدي والانذار بالعذاب يهلكون بعذاب الاستئصال ، وتجد هذا وذاك مفصلا في قصصهم من هذه السورة ، وفرق بين قول الرسول منهم ،

« إني على بينة من ربي » وقوله « قد جئتكم ببينة من ربكم » فالاولى ما علم هو به انه رسول من ربه بوحيه اليه ، وباظهاره على ما شاء من رؤية ملك الوحي وغيره من عالم الغيب، والثانية ما آتاه من الحجة العقلية على قومه كقوله (٦:٨٣ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) أو ما آتاه من آية كونية تستخذي لها أنفسهم، وتنقطع بها مكابرتهم.

وكان نبينا ﷺ يطلق البينة تارة على الحجة والبرهان، وتارة على آيته الكبرى الجامعة للبراهين الكثيرة وهي القرآن، قال تعالى له ٦:٥٧ قل إني على بينة من ربي وكذبتم به) وأمره ان يقول لهم بعد ذكر موسى والتوراة (٦:١٥٥ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ١٥٦ أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ١٥٧ او تقولوا: لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم، فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة، فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها ، سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) فهذا السياق يشبه سياق الآية التي نفسرها

وفي المراد بصاحب البينة فيها وجهان : أحدهما انه عام قوبل به ماقبله وهو من لا يريدون من حياتهم إلا لذات الدنيا وزينتها، وان البينة هي نور البصيرة الفطرية والحجة العقلية التي يميز بها الانسان بين الحق والباطل، والهدى والضلال . والمعنى: أفمن كان على بينة وبصيرة في دينه من ربه — فهو كقوله (٣٩:٢٢ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ﴿ ويتلوه شاهد منه ﴾ أي ويتبع هذا النور الفطري والبرهان العقلي ، المراد بالبينة أعاد الضمير عليها مذكراً باعتبار معناها ، ويؤيده نور آخر غيبي إلهي منه تعالى يشهد بحقيته وصحته، وهو هذا القرآن، الذي هو مشرق

النور والهدى والبرهان ﴿ ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة ﴾ ويتبعه ويؤيده شاهد آخر جاء من قبله وهو الكتاب الذي أنزل على موسى (ع.م) حال كونه إماما متبعاً في الهدى والتشريع ، ورحمة لمن آمن وعمل به من بني اسرائيل ، وشهادته له من وجهين : شهادة مقال وشهادة حال ، فالاولى تصريحه بالبشارة

بنبوة محمد ورسالته وقد بيناها مفصلة في تفسير (٧:١٥٧)(١) والثانية ما بين رسالة موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام من التشابه

وحاصل المعنى أفمن كان هذا شأنه في كمال الفطرة والعقل ، الذي عرف به حقية الوحي العام الاخير، وما فيه من كمال الهداية والنور ، وعرف تأييده بالوحي السابق الذي اهتدى به بنو اسرائيل ، فاتسقت له أنوار الحجج الثلاث في هداية دينه، كمن كان يريد من حياته الحياة الدنيا الناقصة الفانية وزينتها الموقتة، محرومًا من الحياة العقلية والروحية العالية ، الموصلة إلى سعادة الآخرة الباقية .

﴿ أولئك يؤمنون به ﴾ أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الجمع بين البينة الوهبية، وشهادة الوحي لعقائدهم وأعمالهم الكسبية، يؤمنون بهذا القرآن إيمان معرفة واذعان، على علم بما فيه من الهدى والفرقان، وانه ما كان ان يفترى من دون الله ﴿ ومن يكفر به من الاحزاب ﴾ الذين تحزبوا من أهل مكة وزعماء قريش للصد عنه ، وقال مقاتل هم بنو أمية وبنو المغيرة بن عبد الله المخزومي وآل طلحة بن عبيد الله ، والذين سيتحزبون لمثل ذلك من أهل الكتاب ﴿ فالنار موعده ﴾ اي فان نار جهنم هي الدار التي ينتهون اليها بمقتضى وعده تعالى آنفا (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار) وما في معناه في السور الكثيرة ، فالموعد اسم مكان

﴿ فلا تك في مرية منه ﴾ اي فلا تكن أيها المكلف العاقل في شك من هذا الوعد، او من أمر هذا القرآن ﴿ إنه الحق من ربك ﴾ إنه هو الحق الكامل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من ربك وخالقك الذي يربيك بما تكمل به فطرتك ويوصلك إلى السعادة في دنياك وآخرتك ﴿ ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ﴾ هذا الايمان الكامل ، أما المشركون فلاستكبار زعمائهم ورؤسائهم ، وتقليد مرءوسيهم ودهمائهم ، وأما أهل الكتاب فلتحريفهم وابتداعهم في دين أنبيائهم ، قال ابن عباس المراد بالناس في مثل هذه الآية أهل مكة، وقال غيره جميع الكفار،

(١) ص ٢٥١ — ٢٩٩ جزء ٩

ولكن أكثر أهل مكة او كلهم كانوا قد آمنوا في عهد ابن عباس (رض) فاذا صحت الرواية عنه كان مراده بيان حالهم عند نزول السورة ، وان فعل المضارع ، لبيان الحال الواقع

(الوجه الثاني) في الآية ان المراد بمن كان على بينة من ربه فيها رسول الله ﷺ ويجوز ان تكون البينة على هذا علمه اليقيني الضروري بنبوته كما تقدم ، وسيأتي مثله في هذه السورة حكاية عن نوح في الآية ٢٨ وعن صالح في الآية ٦٣ وعن شعيب في الآية ٨٨ ويكون الشاهد الذي يتلوه منه تعالى القرآن ، وهو الاظهر عندي ، وروي ابن عباس ومجاهد والنخعي والضحاك وعكرمة وابو صالح وسعيد بن جبير ان البينة القرآن والشاهد جبريل عليه السلام وقوله (يتلوه) على هذا من التلاوة لا من التلو والتبعية ، فهو الذي كان يقرؤه على النبي ﷺ عند نزوله به وكان يعارضه ويدارسه في رمضان من كل سنة جميع ما نزل منه ، حتى اذا كان آخر رمضان من آخر عمره ﷺ عارضه القرآن مرتين . وفي الشاهد روايات أخرى ضعيفة الرواية والدراية « منها » انه ملك آخر غير جبريل كان يحفظه القرآن ان ينسى منه شيء « ومنها » انه لسانه ﷺ الذي كان يتلوه به على الناس « ومنها » انه علي (رض) يرويه الشيعة ويفسرونه بالامامة . وروي انه كرم الله وجهه سئل عنه فأنكره وفسره بأنه لسانه ﷺ وقابلهم خصومهم بمثلها فقالوا انه ابو بكر ، وهما من التفسير بالهوى ، و نت ترى ان بقية الآية لا تظهر على هذا الوجه بالجلاء والضياء الذي يظهر به الوجه الاول ، بل يحتاج الجمع في قوله تعالى (أولئك يؤمنون به) إلى تأويل متكلف

---

(١٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٢٠) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي

الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (٢١) أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٢) لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون (٢٣) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون (٢٤) مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا أفلا تذكرون ؟

هذه الآيات السبع بيان لحال كل فريق من الفريقين المدبجين في الآية التي قبلهن : الذين يكفرون بالقرآن والذين يؤمنون به ، ما كانوا عليه في الدنيا وما يكونون عليه في الآخرة ، وبدأ بوصف الاول فقال :

١٨ ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ﴾ اي لا أحد أظلم لنفسه ولغيره ممن افترى على الله كذبا في وحيه وأقواله ، أو أحكامه او صفاته او أفعاله . وقد تقدم مثل هذه الجملة في الانعام [١] والاعراف [٢] ويونس [٣] وسيأتي في الكهف والعنكبوت والصف ، ويفسر الافتراء في كل آية بما يدل عليه السياق ، وأظهره هنا اتخاذ الشركاء والاولياء والشفعاء له بدون اذنه ، وزعم من زعم انه اتخذ له ولداً من الملائكة كالعرب الذين قالوا الملائكة بنات الله ، والوثنيين الذين قالوا ان كرشنا بن الله ، والنصارى الذين قالوا المسيح بن الله ، وكذا من افترى عليه بتكذيب ماجاء به رسله من دينه ، لصدهم الناس عن سبيله ﴿ أولئك يعرضون على ربهم ﴾ يوم القيامة لمحاسبتهم وتعرض عليه أعمالهم وأقوالهم ﴿ ويقول الاشهاد ﴾

(١) الآيات ٦ : ٢١ و ٧٣ و ١٤٤ (٢) ٧ : ٣٦ (٣) ١٠ : ١٧ فراجع تفسيرهن إن شئت

الذين يقومون بأمره للشهادة عليهم من الملائكة الكرام الكاتبين ، والانبياء المرسلين ، وصالحي المؤمنين « جمع شاهد كأصحاب ، أو شهيد كأشراف »

﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ أي يشيرون اليهم بأشخاصهم فيفضحونهم بهذه الشهادة المقرونة باللعنة ، الدالة على خروجهم في ذلك اليوم من محيط الرحمة ، وجملة اللعنة يجوز أن تكون من كلام الأشهاد ، وان تكون مستأنفة من كلام الله تعالى وفي معنى هذا قوله تعالى (٤٠ : ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وفي حديث ابن عمر في الصحيحين وغيرهما : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يدني المؤمن حتى يضع كنفه عليه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب أعرف ، حتى اذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه انه قد هلك قال : فاني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى كتاب حسناته . وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين) وقد بينا مسألة الشهادة والشهداء يوم القيامة في مواضعها من سور البقرة والنساء والانعام والاعراف مفصلة تفصيلا ، فراجع تفسيرها في مواضعها من أجزاء التفسير مستدلا عليها بألفاظها في فهارسها

١٩ ﴿ الذين يصدون عن سبيل الله ﴾ صفة للظالمين الملعونين ، أي هم الذين يمنعون الناس ويصرفونهم عن سبيل الله الموصلة الى معرفته وعبادته وهي دينه القيم وصراطه المستقيم ﴿ ويبغونها عوجا ﴾ أي يصفونها بالعوج والالتواء للتنفير عنها ، أو يريدون ان تكون عوجاء بموافقتها لاهوائهم من الشرك وإباحة الظلم والفسق

﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ أي والحال انهم كافرون بالآخرة لا يؤمنون ببعث ولا جزاء ، وانما الدين عندهم رابطة دنيوية ، وشعائر قومية ، قد يتعصبون لها تعصبهم لقوميتهم ، وتقليداً لآبائهم ، وهكذا شأن الملاحدة والمبتدعة من أهل الاهواء ، المدعين لدين الانبياء ، كما تراهم في هذا الزمان . وزيادة « هم » بين المبتدإ والخبر للتأكيد .

وقد تقدم نص هذه الآية بدون هذه الزيادة في الآية ٢٤ من سورة الاعراف (٧) فراجع تفسيرها في الجزء التاسع

٢٠ ﴿ أولئك لم يكونوا معجزين في الارض ﴾ أي لم يكونوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم بظلمهم وصدهم عن سبيله وكفرهم بكتابه ورسوله ولقائه ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء ﴾ وما كان لهم فيها أولياء من دونه يتولون أمرهم عنده ، ولا أنصار يمنعونهم من عقابه وينصرونهم ولكن سبقت كلمته واقتضت مشيئته وحكمته أن يؤخرهم إلى هذا اليوم ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ فيه بالنسبة الى ما كان يكون من عقابهم في الدنيا لو عوقبوا فيها ، لا بالزيادة عما يستحقونه منه بمقتضى سنته تعالى في إفساد كفرهم لارواحهم ، وتدسية ظلمهم لأنفسهم ، وهذه الجملة استئناف بياني . قرأ الجمهور يضاعف من المضاعفة وابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد من التضعيف . وعلل هذه المضاعفة بقوله : ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ أي ما كانوا يستطيعون إلقاء أسماعهم الى القرآن إصغاء لدعوة الحق وكلام الله عز وجل لاستحواذ الباطل على أنفسهم ، ورين الكفر والظلم على قلوبهم بل كانوا ينهون عنه وينؤون عنه (٦ : ٢٦) ومن ذلك قوله فيهم ٤١ : ٢٦ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) ﴿وما كانوا يبصرون ﴾ مايدل عليه من آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم ، أي انهم لشدة انهماكهم في الكفر ولوازمه من الباطل واتباع الهوى والشهوات ، صاروا يكرهون الحق والهدى كراهة شديدة بحيث يثقل عليهم سماع ما يتبينه من الآيات السمعية ، وما يثبته من الآيات البصرية ، وليس المراد انهم فقدوا حاستي السمع والبصر فصار واصما وعميانا بالفعل . بل هم كما يقول أمثالهم فيما يبغضون : انني لاأطيق رؤية فلان، ولا أقدر أن أسمع كلامه وتذكر أو راجع قوله تعالى لنبيه في سورة يونس (١٠ : ٤٢ ومنهم من يستمعون اليك) الخ

وأمثالهم مشاهدون في كل زمان ومكان ، أعطى رجل مؤمن رجلا متفرنجا منهم كتاب الوحي المحمدي الذي شهد له من قرأه من طبقاته المختلفة بطلاوة عبارته

وحسن بيانه ، وموافقة أسلوبه وترتيبه وتبويبه لذوق هذا العصر ، ثم سأله بعد أيام كيف رآه ، ظانا انه قرأه كله بشغف وانه سيشكر له هديته ؟ فقال انني لم أستطع ان أقرأ منه صفحة واحدة ، واعترف بأنه يقرأ كتب أشهر الملاحدة الطاعنين في القرآن بلذة ورغبة كما يقرأ القصص (الروايات) الغرامية !!!

٢١ ﴿ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ اي أولئك الموصوفون بما تقدم هم الذين خسروا أنفسهم باقتراحهم على الله ، واشتراء الضلالة بالهدى ، فانهم دسوها وما زكوها في الدنيا ففقدوها في الآخرة ، وأي وجود لمن يصلى النار الكبرى ، فلا يموت فيها ولا يحيا ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ من اتخاذ الشفعاء عند الله ، والاولياء الذين زعموا انهم يقربونهم اليه زلفى ، وقد سبق بهذا المعنى من سورة الاعراف في سياق نداء أصحاب الجنة أصحاب النار (٧ : ٤٤ فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ٤٥ الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون)

٢٢ ﴿ لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون ﴾ كلمة « لا جرم » تفيد التحقيق والتأكيد لما بعدها ، قال الفراء هي في الاصل بمعنى لابد ولا محالة ، ثم كثرت فحولت إلى معنى القسم وصارت بمعنى « حقا » ولهذا تجاب باللام نحو لاجرم لأفعلن كذا ، أي حقا إنهم في الآخرة لأشد الناس خسرانا . وترى مثل هذا في أول سورة النمل ، بهذا وصف الفريق الذي لا يؤمن بالقرآن هنا ، وان كان فيه من يقول بلسانه انه يؤمن به ، ويليه الفريق الاخر جعلنا الله من خياره وانصاره ، وهو :

٢٣ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم ﴾ أي خشعوا له واطمأنت نفوسهم بالايمان ، ولانت قلوبهم الى ذكره فلم يبق فيها زلزال ولا اضطراب . وأصل الاخبات قصد الخبت وهو المكان المطمئن المنخفض من الارض والنزول فيه ، يقولون أخبت الرجل كما يقولون أنجد وأسهل وأتهم . ويقال أخبت اليه وأخبت له ، ومن الثاني (٢٢ : ٥٤ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم)

وذكر هؤلاء العلماء لمخبتين في سورة الحج وسطا بين الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم من إلقاء الشيطان ، وبين الكافرين الذين لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ، فعلم منه أنه ليس للشيطان عليهم من سبيل وما أحسن ما فعله الراغب من التنظير بين هؤلاء المخبتي القلوب وبين من قال فيهم (وإن منها لما يهبط من خشية الله) ﴿ أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾ أولئك المتصفون بما ذكر أصحاب الجنة المستحقون لها بالذات الخالدون فيها أبداً

٢٤ ﴿ مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع ﴾ أي مثل الفريقين من الكافرين والمؤمنين اللذين تقدم وصفهما وبيان حالهما في هذه الآيات المبينة لابتلائه تعالى للناس ليظهر أيهم أحسن عملا ، والصفة الحسية المطابقة لحالهما كمثل الاعمى الفاقد لحاسة البصر في خلقته ، والاصم الفاقد لحاسة السمع كذلك في حرمانه من مصادر العلم والعرفان الانسانية والحيوانية ، ومن هو كامل حاستي البصر والسمع كلتيهما ، فهو يستمد العلم من آيات الله في التكوين والتشريع بما يسمع من القرآن وبما يرى من الاكوان ، وهما الينبوعان اللذان يفيضان العلم والهدى على عقل الانسان ﴿ هل يستويان مثلا ﴾ أي هل يستوي الفريقان صفة وحالا ، ومبدأ ومآلا ؟ كلا إنهما لا يستويان ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أي أتجهلون أيها المخاطبون هذا المثل الحسي الجلي او أتغفلون عنه فلا تتذكرون ما بينهما من التباين فتعتبروا به؟ أي يجب ان تتفكروا فتتذكروا فتعتبروا وتهتدوا

شبه فريق الكافرين أولا بالاعمى في عدم استعمال بصره فيما يفضل به بصر الحيوان الاعجم من فهم آيات الله التي تزيده علما وعقلا وهدى روحياً ، ثم شبهه بالاصم كذلك بدليل عطفه على الاعمى ليتأمل العاقل كل تشبيه وحده ، وأما قوله تعالى في المنافقين (صم بكم عمي) بدون عطف فالمراد به من أول وهلة التهويل بجمعهم للنقائص الثلاث كلها دفعة واحدة فلم يبق في استعدادهم منفذ للهدى ، ولذلك عطف عليه بفاء السببية قوله في الآية (٢:١٨ فهم لا يرجعون) وفي الآية (٢:١٧١ فهم لا يعقلون) ومن الايجاز في الآية عطفه هذه الصفات المتقابلة للفريقين ، وتركه سامع والقارىء التوزيع والتفريق بين ما لكل منهما من التشبيهين المتضادين .

فتاوى المنار

(أسئلة في طبع مصحف شريف ، بالرسم العرفي والترقيم الحديث)

(س ٤) من صاحب الامضاء في الزقازيق

حضرة صاحب الفضيلة صاحب مجلة المنار الغراء . لامل افادتنا عن رأيكم فيما يأتي : هل هناك مانع شرعا من طبع المصحف الشريف بالكيفية الآتية :

(١) أن يكون بالهجاء الحديث المتبع بالازهر الشريف وفروعه وجميع معاهد العلم بالديار المصرية وبغيرها من البلاد العربية وغير العربية

(٢) أن توضع علامات الترقيم الحديثة بين الكلمات ، بدلا من وضعها فوق الكتابة بحروف وكلمات غير مفهومة لكثير من البعيدين عن تعليم الازهر وملحقاته وكثير ماهم

(٣) أن يوجد بهامش هذا المصحف تفسير عصري مختصر مفيد بمعرفة لجنة من كبار العلماء وكل هذا يراد به فائدة من يطلع على هذا المصحف من عامة الناس وخاصتهم . ومنعهم من الخطأ في التلاوة بسبب تعقيد الكتابة طبقا لقواعد مضى عليها كثير القرون ، وأصبحت غير معمول بها في جميع الاحوال . ولصون الناس عامة من الفهم الخطأ لما يتلونه من آيات الذكر الحكيم . وذلك تنفيذاً لقوله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

هذا ولا يخفى على فضيلتكم ان هذا القرآن انما هو رسالة الله إلى الناس كافة ونرجو نشر الرد بمجلتكم الغراء والافادة ولكم الشكر من المخلص

محمود عفيفي المحامي بالزقازيق

(ج) من المسائل المتفق عليها بين العلماء أو الاجماعية ان خط المصحف الشريف (أي رسمه) سماعي توقيفي يجب فيه اتباع الكتبة الاولى (بالكسر اي

هيئة الكتابة) التي أجمع عليها الصحابة (رض) ونشروها بالمصاحف الرسمية التي يعبر عن أصلها (بالمصحف الامام) ولهذا الاتباع فوائد ودلائل مبسوطة في محلها أو لها ان كتاب الله عندنا منقول بالتواتر بلفظه وقراءاته ولهجاته ورسم خطه، وانه بهذا كله حفظ من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان حتى ان حروفه قد عدت بهذا الرسم ودوّن عددها في الكتب. ومن فروع ذلك ان لا أكثر ما خالف به رسمه الرسم العرفي أسبابا تتعلق بقراءاته ويدخل في هذا ترك نقطه، وشرح ذلك كله يطول

وكان المسلمون يعتمدون في تعلم القرآن وتلاوته على التلقين والرواية والحفظ من الالواح التي يكتبونها ثم يمحونها بعد حفظ مافيها ليكتبوا غيره فيها، ثم رأوا ان التلاوة في المصاحف غير المنقوطة يكثر فيها الخطأ لغير الحافظ فاستحدثوا النقط لمنع ذلك، ثم استحدثوا الشكل لضبط الاعراب وصحة النقط، ثم وضعوا علامات الوقف للحاجة اليها وكون معرفة مايحسن الوقف عليه منوطا بالفهم، وما كل قارىء يفهم، وجعلوا لهذه العلامات أشكالا بحسب درجاتها، ثم وضعوا لضبط التلاوة وتجويدها فنا وللوقف والابتداء فنا أفردوا كلا منهما بالتدوين، وجروا عليهما في التلقين وفي كتابة المصاحف، فالغرض من كل هذه المستحدثات ضبط تلاوة القرآن واتقاء الخطأ فيها

ولكن لا يزال فيه كلم كثير يخطىء في النطق به من لم يلقنه بالحفظ من زيادة حروف ونقص اخرى، وقد صرنا في زمان يقل فيه من القارئين من يتقن التجويد وعلامات الوقف على حفاظ المقرئين، فكثر الخطأ في القراءة وفي الوقف والابتداء، واشتهر في الخط وصناعة الطبع ترقيم جديد فيه علامات للوقف وللاستفهام والتعجب ألفها الناس بدون حاجة الى التلقين فاستغني بها عن علامات الوقف الكثيرة في المصاحف من الحروف المفردة والمركبة التي صارت منتقدة لعدم فهم الجمهور لها، ولاستغناء الحفاظ عنها، ولان منها كلمات قد يظن الجاهلون بالقرآن أنها منه كـكلمتي صلى وقلى فانني أستنكر وضعهما في المصاحف أشد الاستنكار

ويرى السائل وغيره أنني جريت في تفسيري للقرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار على التزام رسم المصحف الامام في الآيات المضبوطة بالشكل التام مع علامات

الترقيم المصرية ، ثم رسم الآيات في أثناء تفسيرها بالرسم العرفي الذي يعرفه جميع المتعلمين مع الترقيم فيها وفي تفسيرها، وأخالف الطريقة المتبعة في وزارة المعارف والازهر في الياء المتطرفة فألتزم نقط ماينطق بها ياء دون ماكانت ألفا منقلبة عنها لكثرة مايقع من الاشتباه فيهما كالفعل الماضي من الرواية في بنائه للمعلوم والمجهول

فعلم بهذا انني لا أرى مانعاً شرعياً يمنع مما سأل عنه السائل بل أرى أنه واجب ولهذا جريت عليه بالفعل منذ أكثر من ثلث قرن ، فان الخط والطبع صناعتان يقصد بهما أداء الكلام اداءاً صحيحاً . وتصحيح أداء القرآن واجب شرعا ، وتحريفه بالنطق محرم شرعا . وقد جرى جميع علماء المسلمين في تفاسيرهم على كتابة القرآن بالرسم العرفي ، وهم آمنون على حفظ رسمه الاصلي الذي كتبه به أصحاب النبي ﷺ بأمر الخلفاء الراشدين لكثرة المصاحف فيه بل خالفوا رسم المصحف الامام في كثير من الكلمات التي يشتبه في قراءتها الجمهور منذ قرون لم أقف على تاريخها ، وهذا ليس بحجة وانما الحجة وجوب صيانة القرآن من الخطأ في قراءته ، وهي مقدمة على حفظ رسم السلف لو تعذر الجمع بينهما ولا تعذر ،

وأما تيسير فهمه على الناس كافة بتفسير سهل العبارة مناسب لحاجة العصر فهو واجب لا معارض له ، وقد طبع بعض الناس تفسير البيضاوي على حواشي المصحف وهو تفسير دقيق وجيز وضع لتذكير العلماء بخلاصة مافي أشهر التفاسير ، وبعضهم طبع الجلالين وهو مختصر مخل قلما يستفيد منه الدهماء ، وقد تحريت السهولة واجتناب الاصطلاحات الفنية والعلمية في تفسير المنار ولكنه مطول ، وقد كثر اقتراح الناس علي أن أختصره أو أكتب تفسيراً مختصراً فشرعت وعلى الله توكلت .

(أسئلة في أهل السنة)

(س ٥ - ٨) من صاحب الامضاء من علماء الشيعة في جبل عامل (سورية)

حضرة الاستاذ العلامة الجليل السيد رشيد رضا وفقه الله لما يرضيه آمين .

سلام عليك ورحمة الله وبركاته . انني أرجو من واسع فضلك ، وزخار علمك أن تذكر لنا في مجلتك الغراء رأيك في الجواب عن هذه المسائل مع ذكر الدليل

١ — ما تعريف الحديث الصحيح الذي تثبت به الحجة وينقطع العذر عند علماء السنة

٢ — ما تعريف الصحابي

٣ — هل الصحابة كلهم عدول أم لا ؟

٤ — ما العدالة عند علماء السنة

وبالختام أسأل الله سبحانه لك حسن الختام والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

صاحب الكلمات

عبد الحسين نور الدين

(جواب المنار)

(٥) الحديث الصحيح

الحديث الصحيح عندهم ما كان متصل الاسناد من أوله إلى آخره بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة

(٦) العدالة في الرواية والشهادة

العدالة ملكة تحمل صاحبها على التقوى باداء الواجبات واجتناب كبائر المعاصي وصغائر الخسة ، وزاد بعضهم الرذائل المخلة بالمروءة

(٧) الصحابي في عرف المحدثين

الصحابي من اجتمع بالنبي ﷺ مؤمنا ، واشترط بعضهم طول الاجتماع به والرواية عنه ، وبعضهم أحدهما ، وقال بعضهم هم كغيرهم من الناس

(٨) عدالة الصحابة عندهم

أكثر أهل السنة على ان الصحابة كلهم عدول في الرواية ، وقال بعضهم : انما كانت العدالة عامة قبل حدوث الفتن من قتل عثمان [رض] وما بعده ، واستثنى بعضهم من قاتل علياً كرم الله وجهه

والذي أراه ان القول بعدالة جميع الصحابة على صلاح من لا يشترط في الصحبة طول العشرة وتلقي العلم والتربية النبوية فرط، يقابله في الطرف المقابل له تفريط الشيعة في تعديل نفر قليل منهم ولا سيما السائل، وطعنه على السواد الاعظم من جماعة نزل فيهم قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الآية، وقوله عز وجل (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) وغير ذلك من الآيات، وورد من الاحاديث النبوية في تعديلهم والثناء عليهم، والنهي عن سبهم وحظر بغضهم مالا محل لذكر شيء منه في هذا الجواب الوجيز

ثم كان من سيرتهم المتواترة في نشر الاسلام في العالم واصلاح البشر به ماهو أكبر حجة علمية تاريخية على تفضيل أصحاب محمد ﷺ على جميع أصحاب الانبياء والمرسلين، وتفضيل أمته على جميع الامم، وهذا لا يمنع ان ترتكب أفراد منهم بعض الكبائر، أو الاصرار على بعض الصغائر، الذي يسلب صاحبه وصف العدالة ولا يقول منصف ان مثل بشر بن أرطاة الذي رأى النبي طفلا عدل أو مجتهد متأول فيما فعله من استباحة دماء من كانوا خيرا منه، وهذا لا يبيح هتك حرمة أولئك الاخيار في جملتهم كما فعل الاستاذ السائل في كتابه الكلمات الذي يعرف به نفسه حتى في إمضائه. والظاهر أنه يريد فتح باب هذه الفتنة بهذه الاسئلة الآن. كما طرقه منذ سنتين باقتراح المناظرة التي لم ينسها قراء المنار ونبناها على زعمه أن كلا من أهل السنة والشيعة يعتقد في الآخر أنه غير متبع سبيل المؤمنين !!

فأقسم عليك يا عبد الحسين بالله عز وجل وبحق رسوله الاعظم ﷺ وآله (ع م) عليك من الاتباع والاسوة الحسنة، أن تكف عن إثارة الشقاق بين عباد الله من هذه الامة، فكفاها ماهي مبتلاة به من مهاجمة المستعمرين والملحدين لها في دينها ودنياها، وأسأل الله تعالى لي ولك التوفيق لجمع الكلمة على ما أجمع عليه سلفها في خير عصورها، وجعل مسائل الخلاف مما يعذر فيه العلماء بعضهم بعضاً بالاجتهاد، وأن يجعل خير أعمالنا كلنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائه، وما كان ينبغي لك أن تدعو لي وحدي بحسن الخاتمة كأنك مستغن عن الدعاء بها لنفسك، والسلام على من اتبع الهدى

أسئلة عن بدع طالما كررت (س ٩ — ١٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد محمد فاضل إلى... السيد محمد رشيد رضا ، حفظه الله للاسلام والمسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (أما بعد)

فنعرض على فضيلتكم ما يأتي لتفتونا فيه بالحق الذي تودون أن يدين الله به المسلمون

(١) ما حكم صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة إذا تعددت المساجد ؟ ، هل هي واجبة أو سنة أو مستحبة ؟ وهل قولهم « الجمعة لمن سبق » حديث صحيح يجب على المسلمين العمل به ؟

(٢) ما حكم صلاة ركعتين بنية سنة الجمعة القبلية ؟ ، هل فعلها النبي ﷺ أو أمر بها ؟ وهل يقال في فعل لم يفعله النبي ﷺ ولا أمر به إنه سنة ؟ وعلام يعتمد من يقول ذلك ؟

(٣) ما حكم الصلاة والسلام على النبي ﷺ بعد الأذان جهرا بالكيفية المعروفة ؟ ، هل هي سنة أم بدعة ؟ ومن أول من أحدثها من المسلمين ؟

(٤) ما حكم الذكر برفع الصوت في تشييع الجنازة ؟ ، هل هو سنة أم بدعة ؟

(٥) ما حكم قراءة سورة الكهف برفع الصوت في المساجد يوم الجمعة بالكيفية المعروفة ؟

وأملنا في فضيلة السيد أن يبين لنا الحق في هذه المسائل بما آتاه الله من العلم النافع ، والاطلاع الواسع ، هدى الله بكم المسلمين للحق آمين ؟

محمد محمد فاضل

[المنار] سبق لنا بيان هذه المسائل مرارا تارة بالتطويل وتارة بالاختصار والسائل يعلم هذا ، وإنما أعاد السؤال لأنه يريد اقناع بعض المخالفين في هذه الايام ، فنعيد الجواب عن كل منها

(٩) صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة

الذي أعتقده أن ما يفعله من يسمون أنفسهم شافعية من صلاة الجمعة في مساجد الأمصار وإتباعها فيها بصلاة الظهر يقيمونها جماعة بعدها زاعمين أن الله أوجب عليهم في هذا اليوم فريضتين في وقت واحد ـ هو بدعة . وقولهم الجمعة لمن سبق ليس بحديث نبوي يجب العمل به ، وإنما هو عبارة اجتهادية من فقه الشافعية مبنية على عدم جواز تعدد الجمعة إذا أمكن التجميع في مسجد واحد ، فان خالفوا وعددوا صحت جمعة من سبق منهم وكانت جمعة الآخرين باطلة فان جهل السابق وجب على جميع المسلمين صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة ، وهذا ما يفعلونه الآن في جميع مساجد مصر وغيرها ، معتقدين أن هذا مذهب الامام الشافعي (ر.ح) وأن الواجب على كل من يوصف بأنه شافعي أن يفعله وإلا كان عاصياً لله تعالى ، وان هذا لحواب كبير لو كان الشافعي حياً لأنكره وتبرأ منه وإن كان يعتقد أن التجميع في مسجد واحد واجب ، فهذا الاعتقاد لايستلزم ماذكر

وفي هذه المسألة مباحث اجتهادية (منها) أنه لا يقوم دليل شرعي على أن التجميع في مسجد واحد شرط لصحة صلاة الجمعة قل الناس أو كثروا وإن عسر ذلك عليهم بأن كانوا في مدينة كالقاهرة يزيد أهلها على الف الف نسمة ومساحتها عدة أميال . وأما تجميع المسلمين في مسجد رسول الله ﷺ معه فقد كان واجبا قطعاً بحيث تعد جمعة من خالفه باطلة من أصلها لا يجوز الشروع فيها مطلقا ، فقد كانت جمعته ﷺ بمن معه هي الصحيحة وحدها وان فرضنا أنها تأخرت ، وكذلك حكم التجميع مع خلفائه وغيرهم من أئمة المسلمين . فاذا جمع الامام بالمسلمين في مسجد واحد لامكان ذلك بدون عسر ولا مشقة شديدة وجب اتباعه والتجميع معه وحرم مخالفته بالتجميع في مسجد آخر بدون إذنه لأنه شقاق بين المسلمين ومعصية للامام الواجب اتباعه في الطاعة .

وأما اذا كبرت الامصار وأذن الائمة بتعدد المساجد وتعدد التجميع فيها فلا يعد المعددون مشاقين ولا مفرقين بين المسلمين ولا عاصين لأئمتهم بل متبعين

لهم في مسألة اجتهادية تجب طاعتهم فيها إذ لا دليل قطعيا على ان التجميع في مسجد واحد فرض مطلوب لذاته ، وانه شرط لانعقاد صلاة الجمعة ، والشرط أخص من الواجب المطلق فلا يثبت إلا بدليل خاص

(ومنها) أن اليسر في الدين ورفع الحرج منه قاعدتان أساسيتان من قواعده ثابتتان بنص القرآن القطعي فلا مجال فيها لاجتهاد أحد ، وهي تقتضي وجوب تعدد الجمعة لاجوازه فقط ، ومن المأثور عن الامام الشافعي قوله بناء على هذه القاعدة : اذا ضاق الامر اتسع .

(ومنها) أن من شروط صحة الصلاة صحة النية ومن شروطها الجزم بالمنوي فمن كان يشك في صحة جمعته لاتنعقد باحرامه بها ويكون عاصياً لله تعالى بشروعه فيها لانها عبادة فاسدة ، فان قيل ان الاصل عند أهل كل مسجد من مساجد الجمعة ان جمعتهم صحيحة لعدم علمهم بسبق أحد لهم في جمعتهم ، وانما تجب صلاة الظهر بعدها احتياطا لاحتمال سبق غيرهم لهم ، قلنا ان احتمال سبق غيرهم كاف في حصول الشك المبطل لصحة النية ، وقد يرتقي في بعض المساجد إلى الظن الراجح لاهلها بسبق غيرهم ، فقد علم بالاختبار والتجارب أن بعض أئمة الجمعة يطيلون الخطبة وبعضهم يقصرونها حتى ان أهل هذه ينصرفون من صلاتهم ويمرون بالاخرى فيرون انهم لم يشرعوا فيها بالصلاة أو لم ينتهوا منها ، ومن المصلين من يتحرى هذه ومنهم من يتحرى تلك

(ومنها) ان من علم انه يمكنه السبق والحال ماذكر وجب عليه وذلك بأن يؤذن المؤذن عند الزوال بدون تطويل وينقي الامام خطبة مختصرة يقتصر فيها على الاركان الواجبة من حمد الله تعالى والشهادتين والامر بالتقوى وقراءة آية أو آيتين كقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً) وما بعدها ، والدعاء للمؤمنين في الثانية بالمغفرة ثم يصلي فيقرأ في الركعة الاولى سورة العصر أو الكوثر ، وفي الثانية الاخلاص ، ولم يقل أحد بوجوب مثل هذا ولا فعله أحد

(ومنها) ان الاحتياط في مسألة اجتهادية كهذه لايصح أن يكون بايجاب الجمع بين فريضتين من شعائر الاسلام جهراً في المساجد بصفة دائمة فان مثل هذا

لايثبت في الدين إلا بنص قطعي الرواية والدلالة لايصح فيه الخلاف بالاجتهاد . والمعروف عن جمهور من يسمون أنفسهم شافعية أنهم يعتقدون ان الله تعالى فرض عليهم يوم الجمعة في هذه الامصار المتعددة المساجد أن يصلوا فيها فريضتين كل منهما صحيحة لانهم شافعية ، وأخشى أن يكون هذا من الافتراء على الله والقول عليه بغير علم فان المسائل الاجتهادية لاتسمى علما باجماع المجتهدين

ومنها) ان هؤلاء الذين يدعون التعبد بمذهب الامام الشافعي قلما يوجد في دارسي كتب هذا المذهب منهم من يعرفه، وانما هم عوام والعامي لامذهب له، وهم كغيرهم قلما يحفظون من فروع المذاهب إلا مافيه الخلاف بينهم وتفريق كلمتهم، ولا شيء أضر على المسلمين بعد الكفر من الشقاق والتفرق ، ولو كانت لهم دولة اسلامية لأزالت هذا الشقاق بما يجمع الكلمة ولو في الشعائر الظاهرة فقط، وأرى إن إزالة هذا التفرق ممكن بسرعة اذا اقتنع به جمهور علماء الشافعية ، على انه سيزول بانتشار أنصار السنة والدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهم فاعلون ان شاء الله تعالى

(١٠) دعوى سنة جمعة قبلية

لم يرو أحد من المحدثين أن النبي ﷺ كان يصلي ركعتين قبل الجمعة ولا أنه أمر بذلك بهذه الصفة وانما صح أنه أمر من دخل المسجد وجلس وهو يخطب أن يقوم فيصلي ركعتين وهما تحية المسجد المستحبة لكل من يدخله قبل أن يجلس فيه . وقد بينا من قبل انه لايقوم دليل على سنية راتبة قبل صلاة الجمعة وبعد الاذان لها ، وان الثابت عن النبي ﷺ انه كان يخرج من بيته إلى صلاة الجمعة فيبتدر المنبر فيؤذن المؤذن فيقوم ﷺ فيخطب خطبتيه فينزل فيصلي

وحكم صلاة الركعتين المسئول عنهما انها صحيحة وانما الغلط فيها تسميتها سنة راتبة مأثورة وهذا يزول بالعلم ، فمن علم معنى السنة حتى في عرف المذاهب التي يقول مقلدوها بهذه الرتبة وعلم أنه لم يصح فيها ما يسوغ لهم أن يسموها سنة ترك ذلك ، إلا أن يقول له علماء المذهب المقلدون عنده إنه ثبت عند أئمتنا أنها سنة وصدقهم بغير استبانة

(١١) زيادة بعض المؤذنين في بعض الأمصار

هذه الصلاة والسلام في آخر الاذان بدعة في شعيرة من شعائر الاسلام بيننا تاريخ حدوثها واسم الجاهل الفاسق الذي أحدثها ، وجهل من استحسنها من أنصار البدعة وأعداء السنة في الفتاوى ثم في مقال طويل فندنا فيه شبهات الشيخ يوسف الدجوي فيها لانه نشرها في مجلة الازهر الرسمية ، وقد نشر مقالنا في الرد عليها في بعض الجرائد اليومية واقتنع به الناس وفيه أن أول من ابتدعها محتسب القاهرة صلاح الدين عبدالله بن عبدالله البرلسي بعد سنة ٧٦٠

(١٢) قراءة سورة الكهف يوم الجمعة في المسجد

أهل بلدنا (القلمون) كلهم شافعية وقلما يوجد في الدنيا بلد يقام مذهب الشافعي في مسجده كبلدنا ، ولعلي لا أذكر انني صليت فجر الجمعة فيه إلا والامام يقرأ فيه سورتي ألم السجدة والانسان ، ولما اشتغلت بطلب العلم في مدينتنا (طرابلس الشام) رأيت الحنفية يقولون ان المواظبة على قراءة هاتين السورتين في فجر الجمعة مكروهة ، وعللوا هذا بأن فيه هجراً للقرآن ، فرأيته من أنكر ما يردون فيه السنة الصحيحة بالرأي . وبعد عشرات السنين طبعت كتاب الاعتصام للامام الشاطبي فرأيت فيه أن بعض السلف كانوا يتركون بعض السنن أحيانا لئلا يعتقد العوام فرضيتها اذا التزمت ، وان بعض العوام في الاندلس وقعوا في هذا حتى قال بعضهم ان فرض الصبح في يوم الجمعة ثلاث ركعات ، فظهر لي ان للحنفية وجها في الجملة ، ولكن لا ينبغي أن يدخلوا السنة الصحيحة في حكم المكروه شرعاً ، وانما يقال يحسن أن يقرأ في فجر الجمعة في بعض الايام غير هاتين السورتين لئلا يظن بعض العامة فرضيتهما

ثم رأيت هذا المحقق قسم البدعة إلى حقيقية واضافية ، وعرف الاضافية بأنها الاتيان بعمل مشروع في أصله بصورة غير مشروعة من التزام زمان أو مكان أو صفة أو اجتماع بحيث يعتقد العوام ان هذا القيد الملتزم مطلوب شرعاً ، قال ومنه اجتماع المصلين عقب الصلاة وقراءتهم للاذكار المشروعة برفع الصوت الخ . وقراءة الكهف في يوم الجمعة في المسجد من هذا القبيل ، هو في

أصله قراءة مشروعة ، ولكن التزام قراءته في المسجد برفع الصوت قبل صلاة الجمعة غير مشروع ، وورد حديث ضعيف في قراءتها يوم الجمعة رواه الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود بلفظ « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين السماء والارض » وله عند الثاني لفظ آخر بقراءتها ليلة الجمعة وباضاءة النور له ما بينه وبين البيت العتيق وحسنه السيوطي

دع ما في قراءتها في المسجد برفع الصوت والناس يصلون تحية المسجد وغيرها من فائتة ونافلة من التشويش المنهي عنه . وقد فصلت هذا من قبل تفصيلا

﴿ نصيحة لدعاة السنة ﴾

واني أوصي نفسي وإخواني محبي السنة ومنكري البدع أن يسلكوا طريق اللين واللطف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في أمثال هذه المسائل التي يقلد فيها الجمهور علماءهم ظانين انها من بقايا الدين ، واتباع السلف الصالحين ، ومذاهب الائمة المجتهدين ، فان الغلظة في الامر والنهي تزيد المقلد جموداً على التقليد، فلا يصغي سمعه إلى قول محمد فاضل ولا قول مفتيه محمد رشيد، ولا يفرنهم انهم على حق؟ وانهم يأمرون وينهون على علم . وليتذكروا قول الله تعالى لمن شهد له بالخلق العظيم (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) وقوله (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) الآية وقول النبي ﷺ لاصحابه « يسروا ولا تعسروا » متفق عليه

بهذه الآداب الالهية تنتصرون أيها الاخوان على أعداء السنة وأنصار البدع من بقايا المتفقهة الجامدين، وشيوخ الطرائق المرتزقين، وسدنة الاضرحة الخرافيين ولا يفوتكم ان تذكروا العامة بأنهم لا يفتونهم بالبدع ويتأولونها لهم إلا لأجل أكل أموالهم بالباطل، وأنكم تدعونهم إلى الكتاب والسنة لوجه الله وابتغاء مرضاته وان حجتكم اتباع خير القرون بشهادة الرسول ﷺ واجماع المسلمين، وهي الحجة العملية التي لا تحتمل التحريف والتأويل (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

الحرب في جزيرة العرب

﴿ اطفاء نارها، وفوائدها وغايتها ﴾

كُتِبَ عَلَيكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكرَهُوا شَيئًا وَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ واللهُ يَعلَمُ وأَنتُم لا تَعلَمُون

ظهرت أمارات الحرب بين الدولتين الاسلاميتين العربيتين فساور العالم الاسلامي الروع مما يخشاه من سوء عاقبتها ، وكتبنا في ذلك مقالنا الاول الذى عنوانه احديث النبوي « ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، أفلح من كف يده » ونشرناه في بعض الصحف اليومية بغير إمضائنا ثم في المنار ، واتصلت المكاتبة في موضوع شر الحرب المقترب بين الكاتب والامامين فكان جواب كل منهما انه لا يريد الحرب ولن يكون هو المضرم لنارها باختياره . وكان كل منهما يكتب واثقا من نفسه بما يقول عنها راجيا أن يكون أخوه مثله ، بيد انه كان من المشكوك فيه أن يكون أمر الامام يحيى بيده ، كما ان أمر الامام عبد العزيز بيده ، اذ كان يقال ويكتب وينشر أن قوة اليمن الحربية بيد ولي عهد الامام وقائدها العام ، الامير أحمد سيف الاسلام ، وأنه مخالف لوالده في الرأي ، وانه حربي بالطبع ، وانه كان هو المعتدي على جبل العرو من قبل وعلى نجران من بعد ، وانه هو المحرض لآل الادريسي على الانقاض على الملك عبد العزيز في الثورتين السابقة واللاحقة ، وانه هو المؤوي للمفسدين من أعضاء الحزب الحجازي ، ومحل الرجاء للمفسدين في القطر المصري ، وانه هو المتصل بالدساسين من أصحاب الطمع الاجنبي ، ولولا ذلك لم يسير صاحب المملكة العربية السعودية الجيش في إثر الجيش الى حدود المملكة الشرقية والغربية

أما الجيوش قد حشرت ، والمفاوضات البرقية بين الامامين قد خطت ، والنذر قد تواترت ، والقسي قد أوترت ، وأعصاب الاوتار (الشرات) قد وترت ، فالحرب قد وقعت . وكان وقوعها أمراً طبيعياً لا مفر منه ، وكان سببه الباطن دم فاسد في بنية الامة العربية هو علة مرضها ، والمانع من تفاقمها وتحادها . ولا شفاء لها إلا بخروجه منها ، وإنما كان يخشى أن يخرج معه دم حياتها ، باعتداء الاجانب على استقلالها ونقص أرضها من أطرافها

كنت أخشى من شر اشتعال الحرب خطراً واحداً هو التدخل الاوربي باحتلال جيش إيطاليه ثغور تهامة اليمن ، وإحداث انكاترة لحدث شر منه لحفظ الموازنة ، وهو الاستيلاء النهائي باسم شرق الاردن على خليج العقبة ، فلما أعلن كل من الدولتين الحياد اعتقدت أن ما كنا نكرهه من هذا القتال ، هو مصداق لقول الله تعالى الذي جعلته عنواناً لهذا المقال ، وأنه لا خير في منعه إلا بعد خروج الدم الفاسد الذي هاج فأحدثه ، وإمكان جعل جزيرة العرب في حالة استقرار ثابتة ، كما أشرت إلى هذا في مقالاتي السابقة

الامامان مسلمان تقيان شديدا الحذر من الطمع الاجنبي ، ولكن بين شعبيهما خلاف في المذهب : هؤلاء سنية سلفية ، وهؤلاء شيعة زيدية اعتزالية ، بل يقال أن أكثرهم جارودية غالية ، لا كما نعرف في الكتب عن الزيدية المعتدلة ، وبين حكومتيهما خلافا في السياسة والحدود الدولية في العسير ونجران : هؤلاء يقولون ان كلا منهما بنية لحادها ، ويؤيدهم الامام نفسه ، وما كان بماطل وبما حل في عقد المحالفة إلا لاجله ، وهؤلاء يقولون انها سعودية في الحق الواقع والتاريخ الحديث ، وزد على ذلك أن الامام يحيى يقول ويكتب وينشر ان كل بيت في اليمن يحمل ثأراً دموياً على الدولة السعودية يطالبه بالاذن له بأخذه بالقوة الحربية ، وقد بدأ اليمانيون بالاعتداء المرة بعد المرة ، وكل من الفريقين يعتقد أنه أقوى من الآخر ، وقد أعقب ذلك كله أن زحفت الزحوف ، وتقابلت الصفوف ، وبدأت المعارك بالفعل ، والمفسدون ينفثون وينفخون فيها فيزيدونها ضراماً ، أفيعقل كفها بدعوة محبي الصلح ، وأن يكون عقده على دخل ودغل ، وعلم بما هنالك من غل

وسخيمة ، خيراً للعرب ولجزيرتهم ولجمعيتهم الاسلامية والعربية ؟ لا لا

كلا إن صلحا كهذا إن أمكن وقوع كان هدنة مؤقتة يخشى أن ينقض في وقت يكون فيه خطر الحرب أكبر ، ولن تكون معاهدته مما نهى الله عنه بقوله (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) الآية كما بيناه في الجزء الماضي

فالواجب إذاً أن تكون هذه الحرب شفاء من مرض الامة بالفعل أو بالاعداد والتهيئة على الاقل ، ولن يبنى الصلح على أساس قوي ، ولن يكون إلا بعد ظهور تفوق قوة على أخرى ، ولن يكون الاقوى حكيما حليما لا يبغي عظمة ولا إرهاقا للآخر ، وهذا عين ما وقع ، وقد عرض ملك العربية السعودية على إمام اليمن شروطه التي لا يغمد السيف بدونها فقبلها ، وأرسل مندوبه إلى الحجاز لوضع المعاهدة المطلوبة فوضعت في هذا الشهر ، وعسى أن تكون كافلة لما أشرنا إليه مما يغسل أدران الماضي ويضع الاساس للوفاق والاخاء الدائم في المستقبل

ذكرنا في الجزء الماضي ما يراه ويصرح به بعض أولي الرأي من توحيد الحكم والدولة في الجزيرة ، وقلنا إنه منتهى الكمال الشرعي والسياسي إن أمكن ، وكان يجب توخيه إذا أراد الفريقان السير بالحرب إلى آخر طاقتها كالحرب الاوربية الكبرى وهو ما كان يظن بالملك عبد العزيز السعودي بالقياس على حروبه السابقة ، وصرح به أحد الكتاب العارفين بشؤون البلاد وزعمائها في جريدة يومية مشهورة ، ولكنني قلت لهذا الكاتب ولغيره مشافهة في مكتبي ان الذي أعلمه من اختباري الشخصي لعبد العزيز أعزه الله أنه لا يريد الاستيلاء على اليمن ولا إزالة حكم إمامها ، ولو كان يريد ذلك لكان كما قيل لا يصده عنه صد ، ولا يقف دونه عند حد ، وقد فتح له بابه ، وتمهدت له أسبابه بالوصول إليه (كما فعل في الحجاز) أو بالعجز النهائي عنه

أما كونه قد تمهد له سبيل هذا ويسرت له أسبابه فهو ما عرفه الشرق والغرب

وأما كونه لا يريده وإن اعتقد أنه قادر عليه فله سبب معقول هو عين السبب الذي صرفه عن محاولة الاستيلاء على قطر آخر مهد له طريقه من قبل ، وهو ان أعباء ملكه تثقل عليه فتنوء به أن يحملها ، ويقوم بما يجب لها من حفظ الامن وتعميم العدل ، وإقامة العمران ونشر العلم ، وما يقتضيه ذلك من كثرة الرجال

والمال ،وهو يصرح بهذا على مسامع الناس

ومن المعلوم أنه أقام الركن الاول من هذه الاركان في جميع مملكته على أكمل وجه وهو حفظ الامن الذي يتوقف عليه غيره ، وان الرجال الذين يعتمد عليهم فيه هم أهل نجد وحدهم ، وليس فيهم من أهل الكفاية العلمية والمرانة العملية من يقوم بسائر مصالح الدولة ، فقلة الرجال هي العائقة عما يعوز البلاد من ضروب الاصلاح ، وحسب أهل نجد الآن حفظ الأمن واطفاء الفتن في داخلها، وحمايتها من الاعتداء على حدودها ، وأهل نجد لا يفضلون غيرهم من عرب الحجاز وعسير والشام إلا بعقيدتهم السلفية ، واعتصامهم بما يعلمون من أحكام الاسلام الشرعية إيمانا وإذعانا ، وطاعة لربهم ثم لامامهم سراً وجهراً ،فشجاعتهم وثباتهم مستمدان من عقيدة التوحيد الخالص من شوائب النفاق والوثنية والمنافع الشخصية

ومن أركان سياسة هذا الامام فيهم المحافظة على عقيدتهم وأخلاقهم وآدابهم في محيط بيئتهم ،وليس من المصلحة تفريقهم في مملكة واسعة الاطراف ، مختلفة المذاهب والآداب والآراء ، وهم في حاجة الى تعليم جديد يرشحهم لما اشتدت حاجة بلادهم اليه في هذا العصر من تنظيم القوى الحربية الفنية التي لا ينفع في رد العدوان الخارجي عن البلاد غيرها ، ومن تنظيم القضاء والادارة ، وتفجير ينابيع الثروة ، مع هذه المحافظة على عقائدهم وأخلاقهم التي يفسد بدونها كل شيء

قد استولى الجيش النجدي على تهامة اليمن بدون عناء كبير لان أهلها ساخطون على حكومة الزيدية ، فكانوا إلبا واحداً معه عليها ،ويمكنه أن يحفظها بقوتهم ومالهم من اعتداء جيش الامام عليها وان يهاجم صنعاء بها ، ولكن ذلك يعقب ازدياد التعصب المذهبي بين السنة والزيدية . والمصلحة الاسلامية العربية تقتضي إزالته او تخفيفه تمهيداً لازالته ، وتحقيق الوحدة الاسلامية العربية في موضعه . فمراعاة هذا في الصلح ،أدنى اليها من طلبها بالغلب والقهر ،وهذا هو الذي يريده الملك عبد العزيز الفيصل ويحاول اقناع الامام يحيى به ، فاذا كان قد اقتنع به كما يظهر انا ، وزالت ضغائن الخلاف التي صرحنا بها آنفا فستبنى قواعد الصلح على أساسه ، ويكون وسيلة الى ما كنا نسعى اليه ونمهد له منذ ثلث قرن ونيف ، وقد أشرت الى قوة الرجاء فيه، والله هو المسئول وحده في إتمامه

ذكرى المولد النبوى

أحمد الله ان وفق المسلمين منذ سنين معدودة لاحياء ذكرى منة الله تعالى على البشر ببعثة محمد رسول الله وخاتم النبيين، وإرساله رحمة للعالمين، ونشر بعض المطوي في الصحف والمحفوظ في ألواح القلوب من مناقبه الكثيرة، وسنته المنيرة، وآياته البينات، من مرويات ومرئيات، في مثل يوم مولده على المشهور في التاريخ، والتذكير بها في الجرائد والمجلات، والتنويه بها في الخطب التي تلقى في المساجد والمحاضرات التي يحتفل لها في الجمعيات، والرسائل المترجمة بأشهر اللغات. بعد أن كان مبدأ هذا التاريخ المجيد، الذي غير نظام الاجتماع البشري فدخل به العالم في طور جديد، لا يكاد يذكر إلا في قصص مؤلفة من الروايات المعروفة والمنكرة، والحكايات المكررة في عجائب الحمل به، وصفة ولادته، وعجائب طفولته وشبيبته، وصفات خلقه ومعيشته، وما فيها من إرهاصات نبوته، مما يقل فيه الحديث الصحيح المرفوع، ويكثر فيه المنكر والموضوع، ولا يخلو من مثار الشبهات، ولا يسلم من توليد الاعتراضات، بل يكثر في بعضها الاخيلة الشعرية، والاناشيد الغرامية، التي تشغل سامعها بتصور الجمال الخلقي الجسدي، عن تمثل الجمال الخلقي الروحاني، والجلال الملكي في الكمال الانساني، والمثل الاعلى للتجلي الالهي، والمظهر الأكمل لكلام الله ووحيه، والوسيلة العظمى بين الرب تعالى وخلقه

طالما أنكرت في مجلة المنار احتفال المولد الرسمي الذى تتولى تنظيمه في القاهرة مشيخة الطرق الصوفية كل عام، ووصفت ما يجري فيه من المعاصي والبدع، واشد ما انتقدت قصة المولد التي تقرأ في محفله على مسمع من ولي أمر البلاد ووزرائه وخواص دولته من رجال الدين والدنيا، وسفراء الدول الاجنبية فيها وقد أفاد الانكار والانتقاد فمنع من الاحتفال بعض المنكرات والبدع، وفي سنة ١٣٣٤ ألغيت قراءة قصة المولد المنكرة واستبدل بها قصة كتبتها لاجلها، إذ

وعد في رئيس الاحتفال (السيد البكري) أن يجعلها هي الرسمية فتحل محلها فوفى، فكان لها ما كان من حسن القبول والتأثير اللائق بالموضوع والزمان والمكان والسلطان

اختصرت هذه القصة من رسالة في أنفع مايقال في هذه الذكرى من السيرة المحمدية مبتدئاً فيها بأصح ماروي في قومه ﷺ ونسبه وحكمة ظهوره في العرب، وما اصطفاهم الله به على الامم ، وما اصطفى به قبيلته وعشيرته وأهل بيته عليهم، وهو خلاصة من تاريخهم والتاريخ العام- وأعقبتها ما صح من نسبه ، ومن خبر زواجه والحمل به ، وولادته ، ورضاعته وحضانته وكفالته ، ومعيشته وكسبه، ثم ارتقيت من ذلك إلى خبر بعثته وجملة سيرته قبلها ، وتبليغ الدعوة وخلاصتها، وفيها مامتاز به دينه على جميع الاديان ، ثم الى الكلام في آية الله الكبرى على نبوته وهي القرآن الحكيم ، وما اختص به من الاعجاز في لغته وعلومه وتأثيره في العالم ، وقفيت عليه ببيان مناهضة قومه ووطنه للدعوة ، والجائه إلى الهجرة ، وذكر خلاصة من أخلاقه وسيرته بعد الهجرة مع المؤمنين، وحاله مع أهل الكتاب والمشركين ، وجعلت خاتمتها في إكمال الدين ، وأثر نبوته ﷺ في العالمين ، وما أسسه من تشريع وأمة ودولة ، وما بشر به أمته من فتح قريب ، وملك كبير ، وما تركه فيها لحفظ دينها ودنياها من كتاب الله وهو الروح المحيي للأمم ، والنور الاعظم المضيء للعالم ، وسنته في بيان هدايته وتنفيذ شريعته ، وعترته آل بيته ، الذين هم الذكرى لشخصه الكريم ، وهديه القويم

*

انتشرت رسالة ذكرى المولد النبوي ومختصرها في العالم الاسلامي انتشاراً بطيئا ، فكان تأثيرها في اصلاح العادات السابقة ضعيفاً ، حتى نهض اخواننا مسلمو الهند منذ خمس سنين بجعل ذكرى المولد النبوي موسما انسانياً عاما يعنون فيه بتعريف جميع الامم بما كان لذلك المولود العظيم من التأثير بتغيير التاريخ البشري كله ، وتبرع الحاج فاروق (لورد هدلي) بمبلغ من المال لنشر بعض رسائل في المناقب والمآثر المحمدية النافعة لجميع الناس باللغات الكبرى للامم، فنشرت مئات الالوف من أول رسالة بعدة لغات في أول مرة

وقد اقترحت عليَّ اللجنة العامة ان أكتب لها رسالة في ذلك لنشرها في مولد سنة ١٣٥٠ فأرسلت اليها (خلاصة السيرة المحمدية) فترجمتها ونشرت مئات الالوف من نسخها بعشر لغات هي أشهر اللغات الشرقية والغربية منها لغتها العربية الاصلية. وكانت اقترحت علي كتابة رسالة أخرى في حقوق النساء في الاصلاح المحمدي لتنشر في ذلك العام. فكتبت الرسالة بل الكتاب الذي سميته (نداء للجنس اللطيف، في يوم المولد النبوي الشريف، أو حقوق النساء في الاسلام، وحظهن من الاصلاح المحمدي العام) وأدنت للجنة باختصاره إن شاءت. ونشرته في يوم محمد ﷺ اي ١٢ من ربيع الاول سنة ١٣٥١ فكان له تأثير كبير في العالم الاسلامي، وقرظه كثير من العلماء والادباء وأصحاب الصحف بما شهدوا له به أنه لم يؤلف مثله في موضوعه

ثم انني نشرت في مثل هذا اليوم العظيم من العام الماضي (١٣٥٢) كتاب (الوحي المحمدي: ثبوت النبوة بالقرآن، ودعوة شعوب المدنية إلى الاسلام، دين الاخوة الانسانية والسلام) الذي لم يحظ مصنف في حقيقة الاسلام ببعض ما حظي به من حسن التأثير وحسن التقريظ والترجمة باللغات المختلفة، وسرعة انتشاره واعادة طبعه مزيداً فيه وصدوره قبل انتهاء سنته الاولى

ولا يزال اخواننا من مسلمي الهند وغيرها وأصحاب المجلات والجرائد في مصر والعراق وفلسطين يقترحون علينا في كل عام أن نكتب لهم رسائل خاصة لتنشر في يوم ذكرى المولد النبوي الشريف، وانما يطلبون شيئاً جديداً لم ينشر بعد، وأنى لي أن أستجيب لكل طالب، فاذا كانت المناقب المحمدية لا تنفد دررها، ولا تبخل على الغائص عليها بفرائدها، فاني يتاح لمثلي على ضيق وقته، وضعفه وكثرة أعماله، أن يكرر الغوص عليها في وقت واحد لاجل طلاب كثيرين «من الرأسماليين لا الاشتراكيين» وإذ كان هذا غير مستطاع، ولا مرجح لتفضيل بعضهم على بعض، وكان رد الجميع يسوء الجميع، فما علي إلا أن أرجح جمهور قراء صحفهم عليهم، فأرسل ما اكتبه الى كل منهم، وهذا مقام تقديم المصلحة العامة على الخاصة، وقد بعث محمد (ص) للناس كافة بشيراً ونذيراً، وأنزل عليه (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهذا ما كتبته لذكرى يوم محمد سنة ١٣٥٣

يوم محمد ﷺ او ذكرى مولده سنة ١٣٥٣

ماذا فعل محمد ؟

ما ذا فعل محمد ؟ كلمة قالها شاب حجازي في مكة المكرمة لاستاذ مصري مشهور ، فلم يره أهلا للرد عليه ، ولا للصفع بنعل الاحرام الخاصة بتربة تلك الارض المقدسة ، ولا بالحذاء المعد لدوس الارض المدنسة ، فظل مغمولا لا يعرفه أحد بوصفه ، كما لا يعرفه أحد بشخصه ، وما يدريك لعله يقول كلمة مثلها أمام بعض النجديين الذين لم تألف أسماعهم ما ألفه سمع الاستاذ المصري من الجهر بالسخر والتعطيل ، فتكون عاقبته شهرة وعقوبة شرا من عاقبة الذي كسر قطعة من الحجر الأسود فيما كان من تشهيره وعقابه، لانه شر منه .

وأما أنا فرأيته أهلا لأن أذكره في فاتحة هذه الذكرى لمحمد وما فعل محمد في يوم محمد ﷺ لعلل ثلاث (إحداها) ما كان لرواية هذه الكلمة الجاهلة الغبية عن شاب مكي من لذعة الالم وعميق الاسى في قلبي ، لما لمكة عندي من الحسب والكرامة ، ولما أحبه لاهلها من العلم بعظمة الاسلام ، وافاضتهم ذلك على حجاج بيت الله الحرام ، فعسى أن يعتبر ويزدجر ويتوب، ولا نسمع مثل هذا من أحد يقيم في البلد الامين

(الثانية) تنبيه أذهان قارئيها بدهشة هذا القول وغرابته إلى ما في البشر من التفاوت البعيد في الجهل والغباوة ، والعلم والفطنة ، وأعتقد أنه لم يكن أحد منهم يظن ولا يتوهم أنه يوجد في البشر نصراني ولا يهودي ولا وثني ولا معطل مادي يسفه نفسه ويطوّع له تعصبه أن يقول : ما ذا فعل محمد ؟

و (الثالثة) وهي العليا المقصودة بذاتها الجواب عن هذا السؤال ببعض ما فعل محمد ، وما علات به أعمال محمد أو فسرت به معجزاتها من أجانب يعلم أجهلهم وأضلهم من أعمال محمد العظيمة التي لم يعمل مثلها أحد من عظماء خلق الله مالا يعلم بعضه هذا الشاب الذي ينسب إلى أمة محمد ، ويعيش في بلد محمد ، ويرى بعينيه عشرات الالوف ومئات الالوف يفدون في كل عام على بلد محمد، من جميع

أمم الارض في جميع أقطارها ، شعثا غبرا ، ناسكين ، طائفين ساعين، راكعين ساجدين يتقربون إلى الله تعالى باتباع ملة محمد ويسمعهم بأذنيه يهتفون بالصلاة والسلام على محمد ، والدعاء لمحمد بالوسيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذي يغبطه به ويحمده عليه الاولون والآخرون ، ومنهم النبيون والمرسلون،صلى الله عليه وآله كلما ذكرته وكلما ذكره الذاكرون

أيها الحجازي الجهول !

لا أعجب لك أن كنت لا تؤمن بنبوة محمد ورسالته، وأنت في هذا الدرك الاسفل من الجهل بما جاء به ، ولا أعجب لك أن كنت تجهل تاريخ محمد الذى غير تاريخ العالم الانساني بما نقله من ضعة وفساد الى رفعة وصلاح في أموره الدينية والمدنية والاجتماعية ، وانما أعجب لك أنك ترى نفسك أهلا لمخاطبة أستاذ مصري متعلم، بل مؤلف ومعلم ، بتلك الكلمة الجاهلة الغبية التي كان خيرا لك من النطق بها أن تخطفك الطير أو تهوي بك الريح في مكان سحيق ، وتيهور عميق

أيها الحيران المسكين،الذي استهوته شياطين الملحدين، ان كان محمد لم يعمل شيئا تذكره وتفخر به بانك من قومه ووطنه ، فأخبرنا أي عظماء البشر الذين يفخر بهم أقوامهم عمل عشر ما عمله محمد لقومه، وما عمله بنفسه وبقومه للبشر كافة ؟

هل يذكر عمل بسمارك الذي تفتخر به المانية في السعي للوحدة الجرمانية ، وكافور وغاريبالدي اللذين تباهي بهما إيطالية للوحدة الطليانية ، ما يقرب من عمل محمد ﷺ للوحدة العربية؟مع التفاوت البعيد بين الأمم الثلاث في الاستعداد لها وعدمه ،مما كانت عليه كل منهن من جاهلية أو علم وفن ونظام ؟

ارفع رأسك الى من فوق هؤلاء ، ارفعه الى الانبياء المرسلين،فانك لا تجد أحداً منهم عمل لقومه أكبر مما عمله موسى عليه السلام لبني اسرائيل في دينهم ودنياهم ، ويعلم جميع مؤرخي الامم ان ماعمله محمد ﷺ أعظم في كل منها . أما الدين فأمره ظاهر ولعلك لا تعنيه من العمل الذي تسأل عنه. وأما الدنيا فقد مهد السبيل لقومه أن يملكوا فلسطين من بعده. ولكن قوم محمد ﷺ ملكوا فلسطين وما حولها من مشارق الارض ومغاربها واذا كنت فاقداً للشعور بعظمة الجامعة

الدينية التي يكرمك لاجلها الملايين من الامم فانني أضرب لك مثلا من كرامة الجامعة القومية .

نظم أديب سوري نصراني النشأة قصيدة مدح بها محمداً (ص) بمناسبة ذكرى مولده وأنشدها أصدقاءه من أمثاله ، فعذله بعضهم فأجابهم قائلا :

ان جميع الشعوب الراقية تفتخر بالنابغين والعظماء من طبقات أقوامهم وان الانبياء في عرف جميع الامم أعلى طبقات البشر في أممهم، وإني وإياكم من العرب نفتخر بالمتنبي والبحتري والمعري من شعرائنا ، أفلسنا أجدر بأن نفتخر بنبينا وهو أعظم قدراً ومقاما وعملا من شعرائنا الذين كانوا يفتخرون به، ومن أنبياء غيرنا أيضا؟ ولماذا نفتخر بالمسيح وهو من أنبياء اليهود ولا نفتخر بمحمد وهو نبي قومنا العرب، وما منا أحد يؤمن بألوهية المسيح فنجعلها هي المانعة من مدح نبينا العربي العظيم؟ (وأما نبوته وآياته فالقرآن يثبتها فهي مما تقتضي مدح نبينا لا مما تمنع منه)

لقد كان أدنى ما ينتظر من ذلك المارق الحجازي ، أن يعرف من قدر نبي قومه ووجوب الفخر به ما عرفه هذا الاديب السوري ، ولكن المسألة مسألة علم وتاريخ ومفاخر قومية ، وهذا الحجازي لا يعقل من ذلك ما يعقل السوري ، واني لأعرف من هؤلاء السوريين الاحياء والميتين من يؤمنون بنبوة محمد ﷺ ولكنهم كانوا يكتمونها عن أهلهم والمتعصبين من أهل الدين الذي نشئوا فيه ، ومنهم من كان يصلي الصلوات الخمس ، وقد قال لي أحد المؤرخين المشهورين منهم: أكتب عقيدتك التي أعرفها منك لأضع عليها امضائي بأني أومن بها

وان منهم ومن غيرهم ممن لم يؤمن به لمن يعتقد أنه أفضل البشر على الاطلاق، وانه عمل لترقية البشر بالعلم والعقل والحكمة والأخلاق والانسانية الكاملة ما لم يعمله أحد من الانبياء ولا الحكماء ولا الادباء ، ولا يرجى أن يعمل مثله أحد، وقد نقلت شهادة الدكتور شبلي شميل المشهور في هذا نظما ونثرا ، وما في معناها من شهادة الاستاذ وليم موير العالم الانكليزي في الطبعة الثانية من كتاب الوحي المحمدي

تساءل الناس من قبل هذا المكي سؤال الاستفهام، عما سأل هو عنه سؤال الانكار: ما ذا فعل محمد ؟

أجابهم التاريخ العام : ان محمدا أسس دينا وأمة ودولة

جواب مختصر مفيد ، ثلاث كلمات ، صغيرات كبيرات ، يملأن الارض والسموات ، لم يختلف فيهن اثنان ، ولم ينتطح في النزاع فيهن عنزان ، ولكن وجد تيس في شكل إنسان ، ينطح جبل أبي قبيس من أدناه ، لانه يجهل ما حدث منذ ١٣٦٦ عاما في أعلاه. من نزول الناموس الاعظم جبريل عليه السلام ، على محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، من الوحي الالهي الذي أسس به هذه المنشئات الثلاث

ليس من المعقول أن يكون هذا المكي يجهل ما نزل في غار حراء من ذلك الجبل . وانما المعقول أنه يعوزه العلم التفصيلي بما كان بعد ذلك وما حصل ، وكيف بدل هذا النبي البشر غير البشر ، حتى ان اربعمائة مليون منهم يستقبلون بلده من مشارق الارض ومغاربها في كل يوم خمس مرات تعبداً لله تعالى ويشيدون برفع اسمه مع اسم الله في جميع أنحاء العالم حتى لندن وباريس في يومه هذا من عامنا هذا

الا وانني أعلم والاسى يفيض من قلبي فيكاد يقتلني ان أكثر المسلمين أمسوا بين جاهل كنه هذه الاعلام الثلاثة وغافل عن عظمتها ، ولو علمت الجاهل لعلم ، ولو نبهت الذاهل لفطن ، ولأقر بحقية الكلمات الثلاث ومدلولاتها بالاجمال ، ولكن يبقى عليك العلم التفصيلي الدال على صفة تأسيسها ، ووضع قواعدها ، وإقامة أركانها ، ورفع سمكها ، وتسوية سقفها ، وسرعة إتمامها ، ومن أوى اليها من الشعوب والقبائل ، ودرجة عظمة كل منها في نفسها ، وبالاضافة الى ما يشاركها باسمها من الاديان والامم والدول ، وهل اتفق ذلك أو ما يقرب منه لأحد من البشر قبل محمد ﷺ ؟

العلم الاجمالي أول خطوة بين الجهل المطلق والعلم المفصل الذي يثمر العبرة والحكمة والعمل ، فهو علم ناقص قابل للشك ، عاجز عن دفع الشبهات

من مقدمات هذا العلم التفصيلي في مسألتنا ، على المنهج المعروف بالنقد التحليلي في عصرنا ، تاريخ محمد ﷺ فمن المعلوم بالتواتر القطعي أنه كان أميا نشأ بين

قوم أميين ليس عندهم شيء من العلوم الدينية ولا الدنيوية، ولا الفنون المدونة عند شعوب العالم التي تلقى بالتعليم والتلقين ، وانه لم يزاول شيئا من معارف قومه الوراثية، ولا اداب لسانهم من الشعر والخطابة والمفاخرة والمماتنة التي ارتقت بها لغتهم وبلغت شأوا عاليا في البلاغة والتأثير ، وانه لم يشاركهم في شيء من تقاليدهم الدينية ، ولا عاداتهم الاجتماعية والحربية ولا الخرافية ، وانه ظل كذلك حتى بلغ سن الاربعين

ومن المقدمات التي تقرن بهذه أنه قد ثبت عند علماء النفس والاجتماع والتاريخ في عصرنا هذا ان ما تنطوي عليه غرائز الانسان الشخصية والوراثية من استعداد للعلم والعمل إنما تظهر كلها في نشأته البدنية والعقلية وتكمل في سن الشباب فتنتهي الى سن الثلاثين حتى الخامسة والثلاثين ، وانه لم يوجد في تاريخ البشر أحد ظهر منه بعد هذه السن علم جديد ، ولا النهوض بعمل اجتماعي عظيم ، وإنما قد يكون بعدها الاتمام والتكميل

ومن العلم التفصيلي في مسألتنا أو موضوعنا ان المباني الثلاثة التي اسسها محمد ﷺ كما يقول المؤرخون – وهي أعظم مقومات حياة البشر – هي أعلى وأكمل مما كان من قبلها ، ولم يتجدد بعدها مثلها ، وانه لم يتفق لنبي ولا ملك ولا حكيم الاضطلاع بواحدة مثل واحدة منها ، وانها قد تمت كلها في مدة قريبة لم يقع في التاريخ نظير لها ، فهي مجموعة معجزات في كتابها وفي كمال تشريعها واصلاحها وفلسفتها وفي إدماج أمتها لجميع أمم البشر في عقائدها وآدابها وتشريعها ولغتها ، وفي بناء دولتها ووحدتها الانسانية على أساس العدل والمساواة والشورى والمصالح العامة ، وغير ذلك من أصولها وفروعها العلمية والعملية التي بسطناها بالتفصيل مؤيدة بالبرهان والدليل في كتاب الوحي المحمدي ، الذي صدرت الطبعة الاولى منه في مثل هذا اليوم : يوم محمد ﷺ من العام الماضي

*

لا موضع في هذه الذكرى الوجيزة للاشارة الى ما يمتاز به كل من دين محمد وأمته على ما يقابلهما من الاديان والامم وقد فصلناه في كتاب الوحي المحمدي بالشواهد

من القرآن والاكوان تفصيلا مقنعا بالاسلوب الذي تتقاضاه من الاسلام حاجة هذا العصر في علمه وأفكاره وأسلوب تأليفه من جميع النواحي والجوانب الدينية والمدنية والعقلية والسياسية ، ولا سيما اعجاز القرآن وهو مشرق النور الاعظم ، وينبوع الحياة العليا ، ومصدر الاصلاح العام

واننا نختمها بالاشارة الى تعليل علماء الافرنج لبعض هذه المعجزات بعد ان عرفوها واضطر المنصفون منهم الى الاعتراف بها ، والاقرار بأن تعاليم محمد قد أصلحت تعاليم الاديان القديمة حتى المسيحية ، وأحيت علوم الحضارة القديمة بعد موتها ، وان حضارة أوربة الحديثة مستمدة منها كما صرح بهذا غوستاف لوبون ودرابر وغيرهما من علمائهم الاعلام

فأما علوم القرآن وما فيه من بينات الهدى والفرقان فقد قال منصفوهم لاشك أن محمدا كان أميا لم يتعلم شيئا ، وانه كان مطبوعا على الصدق والاخلاص ومكارم الاخلاق ، وان ماثبت في تاريخه قبل الاسلام وبعده يفيد اليقين بأن مثله لا يكذب على الله ولا على الناس ، وانه صادق في تعبيره عن اعتقاده بأن هذا القرآن وحي من الله (قالوا) ولكنه وحي كان يفيض من استعداده النفسي العالي وعقله الباطن على قلبه وخياله ولسانه وحواسه ، وقد فندت هذا التعليل بالبراهين العقلية والنقلية الهادمة لشبهاته التي ذكروها ، وأثبت انه وحي من الله تعالى ، بما لا يدع للشك مجالا

وأما استعلاء دينه على جميع الاديان ودخول الملايين من النصارى واليهود فيه بدلا من المشركين والوثنيين — فقد عللوه بأن تلك الاديان كلها كان قد دب فيها الفساد من قبل الملوك والاساقفة حتى غلبت على أهلها الوثنية وعبادة الشهوات والمال ، فأمكن دين التوحيد والفطرة السليمة والعقل والفكر ومكارم الاخلاق ان يظهر عليها في معاهد قوتها وشوكتها من البلاد المقدسة وغيرها ، اه

قلنا نعم ، ولكن كيف جاء هذا الدين النقي الكامل من قبل رجل أمي بعد استكماله سن الاربعين وقد ثبت بالاستقراء وعلم قوى النفس ان هذا من المحالات ،

وخوارق العادات ، فلم يبق إلا أنه من الله عز وجل كما شرحناه في كتاب الوحي المحمدي

وأما توحيد قوى القبائل العربية المتفرقة وجعلها أمة واحدة في سنين معدودة فعللوه بأن العرب كانوا أذكياء الاذهان ، بلغاء اللسان ، أقوياء الجنان ، فجاءهم زعيم حكيم يدعوهم إلى توحيد العقيدة وأخوة الايمان ، ويعدهم عن الله تعالى بالغنى والقوة والسلطان في الدنيا ، والخلود في جنات النعيم في الآخرة ، فآمنوا به واتبعوه

وقلنا في الرد عليهم ان هذا صحيح في ظاهره ، ولكنه مخالف للطبع والوراثة وسنة الاجتماع في أقوام وقبائل رسخ فيها الشقاق منذ ألوف السنين ، فكيف يزول بمجرد الدعوة في سنين معدودة ؟ كلا إنهم ما اتبعوه إلا بما ثبت عندهم من إعجاز هذا القرآن لهم في لغتهم بنظمه وأسلوبه وبلاغته وسلطانه الروحي على عقولهم وإراداتهم ، وإيقانهم أنه من وحي الله تعالى لا من كلامه ، وبما أيد هذا من سيرته وأخلاقه وأعماله وآيات الله الاخرى له ، قال تعالى له (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) وما كان من حكمته ﷺ في سياستهم فهو من توفيقه تعالى له وآياته في تربيته قال (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

على ان تربية الامم النفسية والاجتماعية لا تتم إلا بطول الزمن والانتقال من جيل إلى جيل ، وقد ضربت لهم المثل في كتاب الوحي المحمدي ببني اسرائيل وما شاهدوا من آيات الله لموسى في مصر ثم في التيه ، ولم يؤثر فيهم ذلك بما جعلهم أمة واحدة خاضعة لشريعة التوراة إلا بعد انقراض الجيل الاول في التيه وهو أربعون سنة وأما قوم محمد ﷺ فقد تربوا في كنفه في عشرين سنة صاروا فيها خلقا جديداً ، وكان الجيل الاول أفضل الاجيال وأكملها في الدين والادب والاخلاق والسياسة وحكم الامم ، وتفضيل دينهم على أديانهم ، ولغتهم العربية على لغاتهم طوعا واختياراً ؟

وعللوا فتح الصحابة (رض) للممالك الكثيرة واسقاطهم لدولة الفرس العظيمة في مهد قوتها وتدويخ دولة الرومان المظمى واجلاءها عن ممالكها في آسية

وافريقية في سنين معدودة ، وامتداد ملك الاسلام في العصر الاول من شاطيء بحر الظلمات (المحيط الاتلانتي) إلى حدود الصين – بأن حكومات هذه الدول كانت قد هرمت وضعفت بالظلم والفسق والفساد في الارض ، وعبادة المال والشهوات ، واتباع الباطل ، فجاء هؤلاء العرب بدينهم الجديد معتصمين بالحق والعدل والعفة وسائر الفضائل على ما أوتوه من الشجاعة والقناعة، ففضلتهم الشعوب والامم على حكوماتها الفاسدة فكانت ظهيراً لهم على أنفسها

قلنا نعم ، ولكن تلك الدول وشعوبها لم كانت لا تزال أقوى من العرب وأكثر استعداداً للحرب ولا سيما الفنية بأسلحتها الخاصة بها وحصونها وخنادقها وكثرة عددها، وما يقتضيه غزوها في عقر دارها ودفاعها عن حياتها القومية والدولية من لا ستبسال، ولم يغن عنها كل ذلك شيئاً، أفلم يكن انتصار العرب عليها بالحق والعدل والفضائل آية من الآيات، ومعجزة من خوارق العادات؟ ومصداقاً لوعد الله لهم في كتابه بنصره ، وإعلاء دينهم على الدين كله ، ووعد نبيهم لهم بملك كسرى وقيصر؟

صرح بهذه المعاني كثير من علماء الافرنج المستقلين حتى المتحمسين في النصرانية كالدكتور ألفرد ج بتلر في كتابه (فتح العرب لمصر) الذي جمع فيه بين الانصاف التاريخي المضطرب ، والحماس الديني الانكليزي الملتهب.

هذه إشارة وجيزة إلى ما فعل محمد بن عبد الله ، بل محمد رسول الله وخاتم النبيين ، ولم يفعل مثله ولا ما يقرب منه أحد من النبيين ولا الفاتحين ، ولا الحكماء المصلحين ، ولا الساسة المشترعين ، والعجب العجاب أن يجهل تفصيله أكثر المسلمين ، وأن يعلمه الاجانب فيعترف به المنصفون ، ويؤمن به منهم الموفقون، ويعلله غيرهم بما يزيده قوة وتأييداً ، فمتى يثوب المسلمون إلى رشدهم ، ويرجعون إلى هداية دينهم فيعود به اليهم مجدهم

(أفلم يدَّبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين ؟ أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) عودوا إلى كتابكم وهدى نبيكم وسيرة سلفكم أيها المسلمون، فلن يصلح هذه الامة إلا ما صلح به أولها ، كما قال الامام مالك رحمه الله تعالى والسلام

(محمد رشيد رضا)

تقريظ كتاب الوحي المحمدي وانتقاده

(لما صدر كتاب الوحي المحمدي أهديته الى كثير من العلماء والأدباء وغيرهم وسألت من ألقى منهم هنا أن ينتقدوه ومنهم أكبر علماء مصر الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي والاستاذ الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية ، وكتبت الى بعض من في الأقطار البعيدة بذلك ، ومنهم امام اليمن وامام عمان . فلم ينتقد أحد منهم شيئا من مسائله ، ولكن جاءنا الكتاب الآتي من الاستاذ صاحب الامضاء وهو من علماء نجد ومقيم في القاهرة قبيل الفراغ من طبعة الكتاب الثانية فسررنا به واننا ننشره ونقفي عليه ببيان رأينا فيه ، وهذا نصه :)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إلى حضرة الاخ المحترم والعلامة الفاضل محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فاني قرأت كتاب الوحي الذي ألفتموه فألفيته أولا في بابه، بديعا في خطابه ، أبان بأن الدين ضرورة لازمة ، وحجة قائمه ، أقام الحجة على صحة الاسلام ، عند مثبت النبوة ومصدق الرسالة بأوضح برهان وأجلى تبيان ، وظهر زيف الاعتراضات الصليبية ، والتشكيكات الالحادية ، والمغالطات الايهامية ، التي أرصدها دعاة الفتنة ، وأعدها رءوس الضلالة ، حرابا للدين ، وغوثا للشياطين ، وانه لكتاب جلى من دقائق الحكم ، وأسرار التشريع ماسطر التنزيل بيانه ، وأجمل تبيانه، ومع ذلك فهو سهل المتناول قريب الى الفهم، يشوق قراءه إلى تفهم كتاب الله، ويوقف المنصفين على الايمان بالله

وبما ان مسائل العلم معترك العلماء ، ومجال الاذكياء، وساحة الميدان ، وحلبة الرهان ، والجواد قد يكبو ، والسيف قد ينبو ، والخطأ لم يعصم منه إلا الشارع الذي لاينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى. فان لي في كتابكم ملاحظات سأبديها ، ومواضع سأتكلم فيها، لمعرفتي أنكم ممن ينشد الحق ويتحراه، ويغلب مرضاة خالقه على اتباع هواه ، والشاهد لي على ذلك أنكم الذين تنازلتم لمنازلة الانتقاد، وتواضعتم لهذا المراد، وتلك خلة العلماء السابقين ، وطريقة القادة المهديين

(١) قلتم في صفحة ١٦٤ : قد شرع الله لابطال الرق طريقين : عدم تجديد

الاسترقاق في المستقبل. واني أرى ان هذا القول معارض بالكتاب والسنة والاجماع أما الكتاب فان فيه كفارة القتل والظهار والأيمان بالعتق الذي هو نتيجة الاسترقاق والكتاب كتاب لكل زمان ومكان، فلا يصح أن يبنى شرائعه على شيء قد أبطل أساسه، وحرم تجديد أصله. وقد ندب الكتاب الى العتق في مواضع كثيرة وجعل العتق الذي لا يوجد إلا بالرق عملا من أعمال الخير التي توصل الى الجنة فهل تقولون إن تلك الآيات المذكورة في الكتاب انما محل العمل بها في عهد النبي ﷺ أما بعده فلا يصح لان تجديد الرق قد منع. فان قلتم بهذا فما رأيكم في الدليل الثاني وهو أن النبي ﷺ استرق بالفعل، وجوز بالقول والتقرير، وما أرى أنكم تنكرون هذا لان كل من يعرف النبي ﷺ وسيرته يعلم علما يقينا لا شك فيه أنه لم يغز طائفة من طوائف العرب إلا واسترق من استولى عليهم من نسائهم وأولادهم

وأما الاجماع فان الصحابة والتابعين والتابعين لهم باحسان ما استولوا على شيء من نساء الكفار وأولادهم إلا استرقوه حتى انه ليوجد عند بعضهم المئون بل آلاف من الرقيق. وكان عثمان بن عفان والعباس من أكثرهم رقيقا، ولعمر رقيق، ولابي بكر رقيق، وهذا مالا ينكره أحد. واذا كان القتال ماضياً الى قيام الساعة والكفار موجودين في كل زمن، فسنة الاسلام جواز الاسترقاق لمن استولوا عليه بطريق الحرب.

(٢) قلتم في صفحة ١٤٩ على قوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) إن حروب النبي للكفار كانت كلها دفاعا، ومعنى ذلك أن حرب الكفار وقتال المسلمين إياهم لا يجوز إلا اذا قاتلونا، والكلام عليه من وجوه:

(أولا) انا لا نسلم ان قتال المسلمين في سبيل الله للكفار الذين لم يقاتلوهم اعتداء، إذ الاعتداء تجاوز بغير حق، وقتال المسلمين للكفار انما هو بحق وهو إدخال الاصلاح عليهم وحملهم على الطريق القويم، وانقاذهم من نار الجحيم

(ثانياً) غاية ما تدل عليه هذه الآية الامر بقتال من قاتلنا منطوقا والكف عمن لم يقاتل مفهوما، والمفهوم ليس بحجة عند أكثر العلماء اذا لم يخالف فكيف اذا عارض منطوقا صريحاً

(ثالثا) ان الآية «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله» وآية

« فاقتلوا المشركين حيث حيث وجدتموهم » والآية « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر » وما يشابههن ، وقول النبي ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وما في معناه من الاحاديث الكثيرة كل ذلك عام شامل لمن قاتل ومن لم يقاتل

(رابعا) ان آية (وقاتلوا في سبيل الله ـ وجاهدوا في سبيله) ومعنى كلمة القتال في سبيل الله لا يفهم من ذلك الدفاع عن النفس فحسب ، وقد قال النبي ﷺ للذي قال له الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » فبين أن المراد من القتال في سبيل الله القتال لعلو الاسلام ورضوخ الكفر له

(خامسا) ان النبي ﷺ كان لا يمنعه من الاغارة على قوم إلا سماع الاذان فان سمع أذانا أمسك وإلا أغار

(سادسا) أنه قد علم بالاضطرار عند المسلمين وغيرهم أنه لم يثبت أن كل من قاتلهم النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أئمة المسلمين ، قاتلوا قبل أن يقاتلوا ، وان مقام المسلمين معهم مقام دفاع عن النفس ، وإن كان ذلك حصل من بعضهم في بعض الاحيان فلا يسلم حصوله في الكل

(سابعا) ان سنته في بعثه للسرايا والجيوش أن يقول لهم اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال وهو معلوم من حديث بريدة الطويل عند مسلم . وأما آية الاكراه في الدين فلا تمنع من قتلهم حتى يكون الدين عاليا عليهم ، وآية الجزية مبينة للاكراه ، واما تعليل الاذن بالقتال بظلم الكفار إياهم فغايته أنه ذكر علة ولم ينف سواها . وأما « وما أنت عليهم بجبار » وما في معناها فتلك آيات مكيات أتت بعد هن المدنيات

(٣) قلتم في صفحة ١٦٢ : على أن الشريعة تعطي المرأة حق اشتراط جعل عصمتها بيدها فتطلق نفسها اذا شاءت ؟؟ أقول الشريعة هي الكتاب والسنة والاجماع فان رأيتم هذا القول فيها فهاتوا دليله مأجورين ، والمنار معروف أنه يدلل على مايذهب اليه ، والذي أعرفه أنه رأي لأبي حنيفة وأنا لا أعتقد أنكم تقلدونه ،

وأبو حنيفة الذي رأى هذا الرأي هو الذي رأى لو أن رجلا في المشرق تزوج بامرأة في المغرب فولدت ان الولد يلحق به ، وإن لم يثبت عنده اجتماعهما فهل تقولون ان الشرع ألحق الولد به ، وأنتم وفقنا الله وإياكم ذكرتم هـذا القول في الوحي المحمدي فلا يفهم إلا أنكم وجدتم ذلك في القرآن أو الحديث فان لم يكن إلا في رأي أبي حنيفة فهو شرط ليس في كتاب الله، ومن اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مئة شرط وهو قول ليس عليه أمر الشارع ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ، مع أنه رأي لجعل للمرأة الناقصة عقلا ودينا ولاية على أمر الرجل « ولن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة فكيف تولى تفكيك روابط الاسر وتفريق الجماعات ، وهي التي تغضب للكلمة، وتطيش للصدة ، تتميز للاعراضة

(٤) قلتم في صفحة ١٨٧ : فكلام الله عندنا شأن من شؤونه وصفة من صفات كماله كعلمه إلا أن وظيفة العلم انكشاف المعلومات له بدون سبق خفاء ووظيفة الكلام كشفه ما شاء من المعلومات لمن شاء بما شاء» هذا التعريف لا يعرف لأحد من علماء السنة ورواة الآثار كمالك والسفيانين واحمد واسحاق ويحيى بن معين والبخاري ولا كالزهري وأيوب وابن سيرين ولا عن أحد من الصحابة، فان كان معروفا لديكم فأزيلوا عنا اللابس ، وما رأيكم لو كشف الله لعبد بازالة الحجب فهل يقال انه كلمه فان تعريفكم صادق على هذا ؟ وهلا يجوز عندكم أن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب؟ وهل تعريفكم هذا لكلام الله الذي هو القرآن فحسب أو لما هو أعم ؟ وهل أنتم تعتقدون ان القرآن كلام الله أم هو عبارة عنه ؟

(٥) وقلتم في صفحة ٨ : وحررت هذه المقدمة في ليلة المولد ؟ فهل عندكم خبر صحيح يعين ليلة المولد ، مع ان المحققين من العلماء قرروا أنها لا تعرف ، وفيها أقوال متعارضة متضاربة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض، ولا أظن أنكم تتابعون الناس على ما درجوا عليه من الباطل . على أني اختصرت خوف الاطالة والملل ، وتركت مواضع بغير تعليق لباعث العجل . والله يوفقنا جميعا إلى سبيل الرشاد

عبدالله بن علي بن يابس

(١)

﴿ انتقاد مسألة الرق والجواب عنها ﴾

انتقد الاستاذ هذه المسألة من سبعة وجوه نتكلم على عباراتها بالايجاز ، ثم نرد على تلك الوجوه بالترتيب فنقول :

إن إطلاق إبطال الرق في عبارة الطبعة الاولى قد استثني منه بعد سطرين قولنا « إلا استرقاق الاسرى والسبايا » الخ

ونقحت في الطبعة الثانية بقولنا في الصفحة ٢٧١ قد شرع الله تعالى لابطال الرق طريقتين : تحديد تجديد الاسترقاق في المستقبل أو تقييده الخ

وقد قال المنتقد قوله « إنه معارض بالكتاب والسنة والاجماع »

استدل على الاول بأن في الكتاب كفارة القتل والظهار والايمان بالعتق الذي هو نتيجة الاسترقاق « ولا يصح أن يبني شرائعه على شيء قد أبطل أساسه ، وحرم تجديد أصله » وبأنه ندب الى العتق وهو لا يوجد الا بوجود الرق وجوابه من وجوه الخ

(أولها) إننا لم نقل إن الله تعالى أبطل أساس الرق وحرم تجديد أصله ، بل بينا أنه قيد تجديده بالحرب الشرعية المعروفة ، وهذا القيد لا يمنع وجود الرقيق منعا باتا ، بل يجوز أن يوجد بوجود قيده وشرطه

(ثانيها) أنه يجوز أن يوجد بالارث والتناسل فان ولد الرقيق مثله

(ثالثها) ان ثبت ان تجديد الرقيق محرم شرعا تحريما مطلقا أو مقيدا فليس للمنتقد أن يعارضه بقاعدته التي اخترعها وهي أن الله تعالى لا يصح أن يبني شرائعه على كذا ، وان لم يثبت فلا حاجة الى هذه القاعدة لابطاله

(رابعها) ان كلمة ان الله لا يصح أن يفعل أو ان يشرع كذا ، لكلمة جريئة جدا استغفر الله من حكايتها مهما تكن صفة قائلها ونيته وأدع الاستاذ المنتقد بعد هذه الذكرى رأيه فيها

(خامسها) ان هذه الكلمة لا تنطبق على مسألتنا فان الله تعالى لم يبن شرع

العتق لعباده على أساس الاسترقاق لاجل أن يوجدوا الرقيق ثم يعتقوه، فيكون كل من الاسترقاق والعتق قربة مطلوبة ، وانما بنى طلب العتق على وجود الرقيق بالفعل ، وشرعية عتقه تدل على قبحه، لان العتق ابطال للرق ولا يتقرب الى الله تعالى بابطال الخير وازالته ، فهي كشرعية التوبة من الذنب لقبحه، ولا يقال ان تحريم المعاصي ممنوع لانها الاساس لوجوب التوبة، وهي أشد وجوبا من العتق الواجب فضلا عن المندوب

(سادسها) ان قوله: فهل تقولون ان العمل بتلك الآيات إنما محله العمل بها في زمن النبي ﷺ ولا تصح بعده — سؤال لا محل له وغفلة ما كان يظن بمثله الوقوع فيها

(سابعها) المعلوم بالاجماع ان العتق مشروع ومثاب عليه في كل زمان ومكان يوجد فيه الرقيق الى يوم القيامة ، وسببه أن الرق قبيح يتقرب الى الله تعالى بتحريره الى أن يزول الرقيق ، فان زال من مكان لم يجب على أهله ايجاده ، لاجل عتقه ، ولا يجب لذاته ، ولكنه قد يشرع بوجود سببه الشرعي وهو ما بيناه ، ولو صحت دعواه لكان تحرير المسلمين جميع ما يملكون من الرقيق محظورا لاقتضائه عدم تجديدهم للعتق بعده ، فهو بهذا الاقتضاء بمعنى عدم تجديدهم للاسترقاق

استدلاله على معارضته بالسنة والاجماع

واستدل على الثاني وهو معارضة ما قلناه بالسنة بأن النبي ﷺ قد استرق بالفعل وجوز الاسترقاق بالقول والتقرير ، وعلى الثالث وهو معارضته بالاجماع بأن الصحابة والتابعين وتابعيهم قد استرقوا بالفعل أيضا ، وهذا على ما فيه لا يرد على ما قلته ، فاني قد صرحت فيه بأن لامام المسلمين في كل حرب شرعية أن يسترق الاسرى والسبايا اذا كانت المصلحة في الاسترقاق ، وأما زعمه أن النبي ﷺ والصحابة ومن بعدهم لم يستولوا على أحد من نساء العرب وأولادهم الا استرقوهم، وان هذا معلوم من سيرته وغزواته ﷺ باليقين — فهذا غير صحيح على اطلاقه ومراده ، ولو صح لم يكن ناقضا لما قلناه ، والتحقيق أن عرف العرب في الحرب أن يكون الاسرى والسبايا ملكا للغالب ، وان النبي ﷺ كان يتخذه ذريعة للعتق وجذب الناس الى الاسلام برحمته لا لبقاء الرق ، كما فعل بتزوجه جويرية بنت الحارث سيد قومه فأعتق أصحابه جميع أسرى بني المصطلق وسباياهم وهم على

كفرهم فكان هذا سببا لاسلامهم ، وكما أعتق جميع قريش رجالهم ونساءهم يوم فتح مكة بقوله (اذهبوا فأنتم الطلقاء » وكما أعتقوا بعد ذلك سبايا هوازن

فان كان النبي ﷺ وأصحابه قد استرقوا جميع نساء العرب وأولادهم الذين استولوا عليهم تقربا إلى الله بالسبي كما يوهم كلامه، فأين كان أولئك السبايا والعبيد؟

إننا نعلم انه ﷺ كان يعتق ماملك من الرقيق ، ولا نعرف من سيرته ﷺ أنه كان عنده أحد من سبايا العرب ، ولكن روي عنه أنه كان عنده من سبايا يهود قريظة ريحانة بنت شمعون وأنها امتنعت أولا عن الاسلام ثم أسلمت وأنه خيرها ﷺ بين عتقها والتزوج بها كصفية أم المؤمنين واختلفت الروايات عنها ، والراجح فيما أذكر أنها اختارت بقاءها على الرق

وروي ان زينب أم المؤمنين أهدت اليه جارية ولا أدري هل كانت موروثة من رق الجاهلية أم هي من سبايا الاسلام ولا من أي جنس كانت

ثم ختم المنتقد كلامه في هذه المسألة بقوله «فسنة الاسلام جواز الاسترقاق لمن استولوا عليه بطريق الحرب» وأنا لم أنف جوازه وانما قيدت فعله أو تركه بالمصلحة، وقوله هذا يجيز تركه مطلقا ، وهو يعارض قاعدته الغريبة ، واستطالته العجيبة .

وأما ماقررته من نوط الاسترقاق بالمصلحة التي ينفذها إمام المسلمين فهو مروي عن الامام احمد ومنصوص في كتب فقه الحنابلة وهو مذهب المعترض. ففي كتاب الفروع : ويختار الامام الاصلح لنا- لزوما كما في ولي اليتيم، وفي الروضة ندبا- في أسرى مقاتلة أحرار بين قتل ورق ومن وفداء نص عليه اه (ص٥٩٦ جزء٣)

وقال في بحث وجوب الجهاد اذا وقع النفير العام ولو بدون إمام ما نصه: وسأله (يعني الامام احمد) أبو داود عن بلاد غلب عليها رجل فغزا معه قوم يغزو معهم؟ قال نعم، قال يشتري من سبيه؟ قال دعنا من هذه المسألة؟ الغزو ليس مثل شراء السبي، الغزو فيه دفع عن المسلمين، لا يترك ذلك لشيء اه (ص٥٧٦ منه ، ومثله في (مسائل الامام احمد) وقال في المسألة فيتوجه أن يقال في سبيه كمن غزا بلا اذن اه والمراد ان الامام احمد امتنع من الفتوى بشراء سبي السلطان المتغلب . ولكن المعترض يبيح السبي لكل مسلم حتى قطاع الطرق النخاسين كما سمعنا منه ولعله رجع عنه عند كتابة هذا البحث

(البقية للجزء الآتي)

﴿ تفنيد اعتراض كاتب جزويتي على كتاب الوحي المحمدي ﴾

(نشره في مجلة المشرق الكاثوليكية في بيروت فألخص مسائله فيما يأتي وأرد عليها)

(١) تعريفه الموهم بالمؤلف صاحب المنار

افتتح الكاتب كلامه بأنه « لاحاجة إلى تعريف القراء بالسيد محمد رضا [١] منشيء مجلة المنار الاسلامية ومحررها المجاهد » ولكنه عرفه أووصفه بقوله « والشيخ محمد علم من أعلام الادب الديني الاسلامي المحافظ ، في مصر ، وصديق ابن سعود الوهابي ، وأحد دعاة المسلمين إلى التمسك بالقديم ، ونبذما يستحدثه المحدثون مخالفا لتقاليد السلف »

فهذا التعريف بمن هو غني بشهرته عنه باعترافه يفهم منه قراء المشرق خلاف الحقيقة: يفهمون من كلمة «المحافظ» وكلمة « نبذ مايستحدثه المحدثون » الخ مايشمل الامور الدينية والمدنية والعلمية والفنية والصناعات ، وانما أنا محافظ على القرآن والسنة النبوية واجماع السلف وسيرتهم الصالحة في هداية الدين فقط . وداع للمسلمين إلى الاخذ بكل نافع من مستحدثات العلم والفنون والنظم المدنية والعسكرية التي لاتخالف تلك الاصول، ولا الهداية الدينية التي أكمل الله بها الدين، وأتم نعمته على العالمين ، وإن خالفت بعض تقاليد المتقدمين ، التي مناطها اجتهاد المجتهدين ، ولينظر ماذا يعني بصداقة ابن سعود الوهابي في التعريف بعالم مؤلف ؟

(٢) وصفه للكتاب كما رآه

قال انه ليس كتاب الوحي المحمدي مايزيدهم معرفة بالمشاكل الجوهرية التي يدور الجدال حولها بين المسيحيين والمسلمين » وانه « ليس مستنفد المواد متناسب الاجزاء ، متسلسل القضايا ، فيغور فيه فكر المفكرين ، بل هو مجموعة مجالات ظهرت أولا في المنار ثم برزت بكتاب مستقل ، على ان سهولة مطالعتها لما فيها من العناوين والفهارس ، ووقع المواضيع التي عالجها رداً على مسائل تجددت ،

(١) هذا الكاتب يسميني تارة السيد محمد رضا وتارة الشيخ محمد أو الشيخ رضا وتارة السيد رشيد رضا الخ والامر سهل

ومسها الدين المسيحي، تحول دون الاغضاء عنها ، من غير اعادة النظر فيها »اه

(أقول) ان كتاب الوحي المحمدي لم يوضع للجدال بين المسلمين والنصارى فتجعل مواده مناسبة لما بينهما من الخلاف ، متسلسل القضايا فيها ، وانما ذكر فيه بعض هذه المسائل بالقصد الثانوي ، والمناسبات الاستطرادية، ولو وضع للرد على النصارى كالكتب التي ذكر بعضها لرآه في نسقه وترتيبه وتسلسله ونظامه بحيث يغور فيه فكره فيقع في غور أو تيهور ، لايجد له منه مخرجا إلى يفاع يرى فيه النور ، الا أن يهتدي به الى الاسلام، وانما وضع الكتاب لاثبات الوحي المحمدي بالقرآن فشهد له نقاد الكتاب بأنه خير ما كتب فيه حجة ونظاما ، بل اضطر هو على نظره اليه بعين السخط من وراء زجاجة يسوعية سوداء أن يصفه أخيراً بما وصفه من السهولة وحسن التقسيم والرد على المسائل التي تجددت في هذا العصر ، وهو الذي حمله على الرد عليه

(٣)

(فساد الاخلاق والآداب الروحية ، على نسبة ارتقاء العلوم والافكار المادية)

خالفنا الكاتب الكاثوليكي الجزويتي في هذه الحقيقة التي بيناها في مقدمة كتاب الوحي فذهب إلى ان كفة ميزان الفضائل والآداب والخير في هذا العصر أرجح مما كانت عليه ، في جميع العصور السابقة في الشرق والغرب ، بفضل التمدن الاوربي !!!

ياسبحان الله ! أكاتب ينتمي إلى الديانة المسيحية يقول هذا ؟ نعم وانه قد كتبه ونشره في مجلة المشرق اليسوعية ، وما كان هذا ليخطر في قلب بشر

ان هذه الحقيقة التي بينتها بالاجمال ليست رأيا افتحرته افتحاراً من تلقاء نفسي ، وانما سبقني اليه حكماء أوربة وكتاب الغرب والشرق فنقلته مقتنعاً به.

وقول المنتقد انني أحكم به حكما عاما على جميع الشعوب هو صحيح في الجملة الا التفصيل، فأنا أحكم به على شعوب الافرنج أولا وبالذات، وعلى المفتونين بمدنيتهم المنادية الاباحية من سائر شعوب العالم ، وإني لأنعي على الافرنج انسلاخهم

من بقايا ما حفظه نظام التربيـة فيهم من الفضائل المسيحية ، لاجهلهم بالفضائل الاسلامية فقط .

وان أول حكم سجلته على أوربة في هذا الموضوع هو مارواه لنا شيخنا الاستاذ الامام عن شيخ فلاسفتها هربرت سبنسر الانكليزي من حكمه على قومه وعلى أوربة كلها ، ومثله من ينظر إلى لباب الحقائق الواقعة، ويتخذ منها القياس المنطقي على نتائجها المستقبلة

وانني أنقل من الصفحة ٨٦٨ من تاريخ الاستاذ الامام نص مارواه لنا من حـديثه مع الفيلسوف في مصطافه في (برايتون) من جنوب انكلترة في ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣ أي منذ ثلث قرن مشيراً إلى الفيلسوف بحرف (ف) وإلى الاستاذ الامام بحرف (م) وهو :

(ف) هل زرت انكلترة قبل هذه المرة ؟(م) نعم زرتها منذ عشرين سنة

(ف) كيف وجدت الفرق بين الانكليز اليوم والانكليز منذ عشرين سنة

(م) انني زرت هذه البلاد في المرة الاولى لغرض سياسي خاص وهو البحث مع رجال السياسة في مسألة مصر والسودان عقب الاحتلال البريطاني وأقمت أياما قليلة لم يتعد عملي فيها ماجئت لاجله، وقد ألممت بها الآن منذ أيام فلم أدرس حالة الناس ... وانما يجب أن آخذ عنكم ذلك

(ف) ان الانكليز يرجعون القهقرى فهم الآن دون ما كانوا عليه منذ عشرين سنة

(م) فيم هذه القهقرى وما سببها ؟

(ف) يرجعون القهقرى في الاخلاق والفضيلة ، وسببه تقدم الافكار المادية التي أفسدت أخلاق اللاتين من قبلنا، ثم سرت إلينا عدواها، فهي تفسد أخلاق قومنا ، وهكذا سائر شعوب أوربة

(م) الرجاء في حكمة أمثالكم من الحكماء واجتهادهم أن ينصروا الحق والفضيلة على الافكار المادية

(ف) انه لا أمل لي في ذلك لان هذا التيار المادي لابد أن يأخذ مده غاية حده في أوربة : ان الحق عند أهل أوربة الآن للقوة

(م) هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هي التي حملت الشرقيين على تقليد الاوربيين فيما لايفيد من غير تدقيق في معرفة منابعها

(ف) محي الحق من عقول أهل أوربة بالمرة وسترى الامم يختبط بعضها ببعض (ولعله ذكر الحرب) ليتبين أيها الاقوى ليسود العالم ، أو فيكون سلطان العالم إه

وقد كتب الاستاذ في مذكرته تعليقاً على هذا الحديث ونشرناه في ص ٧٥١ من مجلد المنار ١٨ ثم في ص ٨٦٩ من تاريخه وهو :

« ماذا حركت مني كلمة الفيلسوف «الحق للقوة» الخ ؟ جاءت منه مصحوبة بشعاع الدليل فأثارت حرارة وهاجت فكراً ، لو جاءت من ثرثار غيره كانت تأتي مقتولة ببرد التقليد ، فكانت (تكون) جيفة تعافها النفس فلا تحرك إلا اشمئزازاً وغثيانا

« هؤلاء الفلاسفة والعلماء الذين اكتشفوا كثيراً مما يفيد في راحة الانسان وتوفير راحته ، وتعزيز نعمته (أعجزهم) أن يكتشفوا طبيعة الانسان ويعرضوها على الانسان حتى يعرفها فيعود إليها ، هؤلاء الذين صقلوا المعادن حتى كان من الحديد (المظلم) اللامع المضيء ، أفلا يتيسر لهم أن يجلوا ذلك الصدأ الذي غشي الفطرة الانسانية ، ويصقلوا تلك النفوس حتى يعود لها لمعانها الروحاني ؟ حار الفيلسوف في حال أوربة وأظهر عجزه مع قوة العلم فأين الدواء ؟ الرجوع إلى الدين الخ

الدين هو الذي كشف الطبيعة الانسانية وعرفها إلى أربابها في كل زمان لكنهم يعودون فيجهلونها » اه

ولقد رأى أهل البصيرة بعد الحرب الاوربية الكبرى ما رآه شيخ الفلاسفة قبلها ، كما هممنا بأن نناقشها ، ثم ما صرنا نقرؤه عنها إلى أن بلغ في هاتين السنتين درجة الخطر عليها من استعداد جميع دولها للحرب الآتية الحالقة الساحقة الماحقة ، ومن انغماس شعوبها في حمأة الاباحة وانحلال عرى الزوجية المقدسة فيها ، ولا أقول وعبادة المال ، فان الجزويت أشد إسرافا وغلواً في عبادة المال من اليهود وغيرهم من الرأسماليين ،

وعندي قانونهم السري في ذلك ، فهو مما يخالفون فيه وصايا الانجيل بقاعدتهم « الغاية تبرر الواسطة » وأما إباحة أعراض النساء بالسفاح واتخاذ الاخدان وما يسمى الرقيق الابيض ، وإباحة هذه الضراوة بالحرب بهذه الدركة من الغلو المنذر للشعوب بالهلاك الذريع الذي تنقله البرقيات عن أوربة كل يوم ، فما كنت أظن انه مما يدخل في عموم تلك القاعدة عندهم

أين الدين في أوربة وهذه أكبر دولة فيها (الروسية) تبذل كل قواها في محوه من بلادها الواسعة بل من جميع الارض ، ودعايتها قد تغلغلت في سائر شعوبها الغربية ، ولولا النظام العسكري الخاضع لحكوماتها المالية خضوع العبيد ، بل المستعمل بأيديها كاستعمال آلات الحديد ، لقضي عليها كلها ، وها هي ذي فرنسة تتفق معها لأجل التعاون على الحرب القاضية التي تستعد لها ؟

أين الدين في أوربة وهذه الدولة الجرمانية التي تلي الروسية في كبرها وعظمتها وتفوقها في علومها وفنونها ، تبتدع في مسيحيتها على علاتها فيها ما تراه الكنيسة الكاثوليكية وثنية محضاً ، وهي لاتزال في أول حجلها في مرقصها هذا ؟

بل أين النصرانية في أوربة وقد صرح بعض أساقفة انكلترة بأن المسيح ليس أبا ولا إلها ، واستفتي الشعب في اعتقاده بعصمة الكتب المقدسة فأفتى الالوف بعدم عصمتها ، كما نشرنا ذلك في المنار

ظن الكاتب أنني أشكو من ضعف الدين الاسلامي فأجعل الشكوى عامة ! كلا ، إن الدين الاسلامي يجدد هدايته وعلمه ونوره في كل قطر من أقطار الارض ، وانما يعارضه فساد أوربة الاباحي المادي ، وظلمها الاستعماري ، ولكنهما سيزيدانه حياة وقوة ، ونورا وظهورا ، كما يزيدان الاباحيين الظالمين خزيا وضعفا ، حتى اذا ما بلغ فسادها غايته في شعوبها علمت هذه الشعوب أنه لامنقذ لها غير الاهتداء به ، لانه هو الدين الوحيد الوسط بين أطراف الغلو من إفراط وتفريط في العقل والوجدان ومصالح الروح والجسد وأنه الحلال ، لمشاكل الاجتماع المالية والحربية والنسائية الموصل لسعادة الدنيا والآخرة ، كما بيناه في (كتاب الوحي المحمدي)

(للرد بقية)

العبرة بسيرة الملك فيصل

(رحمه الله تعالى)

(٧)

المؤتمر والملك والحكومة

ان الرأي الذي كان مستقراً في ذهن الملك فيصل ان ينفض المؤتمر السوري بعد اعلانه للاستقلال ، وأن تؤلف لجنة تضع مشروع القانون الاساسي وقانون انتخاب المجلس النيابي ، وبعد إتمامهما تشرع البلاد في انتخاب النواب ، ولكن إخواننا أعضاء حزب الاستقلال العاملين لم يوافقوه على هذا الرأي ، بل أجمعوا على بقاء المؤتمر وقيامه بعمله إلى أن يتمه وينتخب المجلس النيابي ويجتمع ، وما كان فيصل ليخالفهم فيما يتفقون عليه ، بل كان يوافي أفراد الاذكياء منهم الذين يكثرون لقاءه في أمور يتعارضون فيها كالعصابات

فكان من ذلك وقوع ماساء صديقته انكلترة في فلسطين فوق مايسوء فرنسة في سورية ولبنان ، على كونه متفقا مع حكومة فرنسة على قواعد علاقته معها في سورية وما عاد من باريس إلى سورية إلا ليحمل منها التفويض الذي يخوله حق امضائها كما تقدم ، وقد قبل إعلان الاستقلال والمبايعة معتقداً انه يكون أقدر على الاتفاق معها - وهو ملك - فكان مصرا على رأيه في العودة الى فرنسة بعد إرضاء أهل الرأي بذلك وكان رأيي ورأي الشيخ كامل قصاب تقبيده في ذلك بمالا يرضيه ، وسأعود الى الكلام في هذه المسألة

تقرر بقاء المؤتمر وأن يتولى وضع القانون الاساسي للدولة السورية وكان أول اختلاف في الرأي حدث بيني وبين الملك فيصل وحكومته ان المؤتمر قرر ان تقدم له الوزارة بيانا بالسياسة التي تجري عليها وتطلب منه اعتمادها ، فعرض رئيسها علي رضا باشا الركابي الامر على جلالته فغضب وقال انه ليس للمؤتمر حق في هذا الطلب وإنه لايأذن للحكومة أن تكون تحت سيطرة مؤتمر أكثر أعضائه شبان أغرار لارأي لهم ولا شأن

ورأيت ان المؤتمر مصر على تنفيذ قراره ، وان الملك مصر على رفضه ، وان هذا أول شقاق في حكومتنا الجديدة يجب تلافيه لما يخشى من قبح أحدوثته ، وسوء عاقبته ، فزرت جلالته زيارة خاصة لأجل اقناعه بذلك فكان أول ما حدثني به: ما رأيك فيما قرره المؤتمر في مسألة الوزارة ؟

قلت فوجئنا بهذا الاقتراح في الجلسة مفاجأة فكرهته لان مثله يجب التمهيد له بالبحث وإجالة قداح الرأي فيه فانه ذو وجهين : إما جعل الوزارة مستبدة لا يحاسبها على عملها محاسب في حكومة جديدة ليس لها تقاليد راسخة ، وإما سيطرة مجلس كمؤتمرنا أكثر أعضائه من الشبان الاغرار الذين تغلب عليهم الحماسة وحكم الشعور ، وكنت أميل إلى تأجيل الاقتراح لاجل تمحيص حزبنا له فلم أوفق لذلك لأن الأكثرين قبلوه بمنتهى الارتياح ، وحسبوه من الضروريات ، وامتنعت من التصويت له بدون بحث سابق حتى ان بعضهم أمسكوا بيدي عند أخذ الرأي لاجل رفعها فأبيت

قال وما رأيك فيه الآن ؟

قلت رأيي انه لا يمكن الرجوع عنه بعد وقوعه فلا بد من تنفيذه

قال أنا لا أقبل ان أعطي هذه السلطة لهذا المؤتمر ، انه ليس بمجلس نيابي

قلت بل هو أكبر من مجلس نيابي (وفي هذه الاثناء كان قد حضر احسان بك الجابري رئيس الامناء له فقال وهو واقف ـ ان هذا المؤتمر يا مولاي جمعية تأسيسية)

قال الملك : إنه لا شأن له وانا الذي أوجدته

قلت حينئذ : بل هو الذي أوجدك ، انك كنت قبله قائد جيش الشرق التابع للورد اللنبي القائد العام لجيش الانكليزي فجعلك هذا المؤتمر ملكا لسورية . واننا لا ننكر ان لك فضلا عظيما بمساعدة حزب الاستقلال العربي على جمع المؤتمر ولكن المؤتمر قد اجتمع وأثبت أنه ممثل للشعب السوري وموضع ثقته ، وأيده زعماء البلاد من علماء الدين والرؤساء الروحيين والزعماء والوجهاء ، ونيط به اعلان استقلال سورية الطبيعية التام المطلق وجعلها حكومة ملكية نيابية ، وشرع في وضع قانون أساسي لها بموجبه يكون لها مجلس نيابي منتخب .

فهو الآن مجلس تأسيسي تشريعي يجب ان يكون له الاشراف على هذه الحكومة إلى ان يتم عمله ، ويكون للبلاد مجلس نيابي يحل محله . فهل يصح أن يغمط حقه وان يقع الشقاق بينه وبين الحكومة من أول وهلة ، فنكون مضغة في الافواه ، وحجة للاجانب على أنفسنا بأننا لا نصلح للاستقلال ؟ هذا مالا ترضاه يا مولاي

بعد هذا قنع جلالته وأذن لرئيس الوزارة علي رضا باشا الركابي بكتابة البيان المطلوب وإلقائه في المؤتمر ففعل

تنظيم قوى العشائر والقبائل السورية

ذكرت في النبذة السادسة من هذه الترجمة أنني اقترحت على الاخوان وجوب إعلان استقلال سورية ليكون الحلفاء أو الانكليز والفرنسيس فيها أمام مايسمونه (بالامر الواقع) في وقت كانوا لا يزالون فيه مختلفين في تقسيم البلاد العربية وتحديد نصيب كل منهم فيها

وكنت أعتقد انه اذا لم يكن للبلاد قوة دفاع تعتمد عليها في حفظ الاستقلال فانه لا يكون لهذا الامر الواقع قيمة عندهم ، ولا يحسبون لاهلها أدنى حساب في أمرهم ، وأن من المتعذر أن تؤسس البلاد قوة عسكرية يؤبه لها في الدفاع عنها ، وانما غاية الممكن من هذه الناحية أن تكون لها قوة تكفي لحفظ الامن الداخلي وتنفيذ النظام فيها، وتكميل مظهر الدولة ، وأبهة الملك في نظر دهماء الامة

وأما الدفاع الممكن للاعتداء الخارجي الذى يعتد به فهو ما يسمى الوطني أو الاهلي وهو يتوقف على تنظيم جميع قوى القبائل والعشائر المنتشرة فيها من الصحراء إلى ساحل البحر

فأما قبائل اعراب البادية من هؤلاء فكلهم مسلحون ، ولكن بأسهم بينهم شديد فهم لا يفتئون يتقاتلون لأدنى الاسباب، وليس لهم مرجع وحدة ولا وازع قوة في وردهم وصدرهم ، وكان من الممكن أن يفيئوا الى وازع الحكومة السورية المستقلة ويدينوا لملكها ، وقد رأينا شيوخهم قبل الاستقلال وبعده يكثرون الاختلاف إلى باب الامير فالملك فيصل ولا سيما الشيخ نورى الشعلان وهو شيخ قبائل الرولة أقوى قبائل صحراء الشام وأعزهم نفراً

وأما العشائر المقيمون في داخل البلاد وأكثرهم متحضرة فلا تجمعهم عقيدة ولا نسب، ولا رابطة تربية ولا مصلحة، ولكنهم أدنى إلى النظام وطاعة الحكومة الوطنية من أعراب البادية ومنهم الدروز والنصيرية من باطنية الشيعة، والدنادشة والجراكسة من مذاهب السنة، ويمكن توجيههم كلهم إلى دفع العدوان الاجنبي عن وطنهم المشترك، ويكون سائر الاهالي عونا ومددا لهم

اقترحت على جلالة الملك فيصل وضع نظام لقوة كل قبيلة وكل عشيرة في موضعها يقرر فيه مايحتاج كل منها من السلاح والذخيرة والنفقة لتشكيل العصابات عند الحاجة الى الدفاع وجعلها تابعة لهيئة من الضباط السوريين أركان الحرب وتخصيص مبلغ من المال لذلك، وما كان هذا المبلغ ليزيد في أول الامر عما كان يبذله في سبيل العصابات السرية التي كان ضررها اكبر من نفعها، فاستحسن المشروع كما كان يستحسن غيره مما يعرض عليه، ولكنه لم يعطه حقه من الاكبار والاهتمام، والسبب الخفي لهذا انه كان يعتقد أن مستقبل سورية رهين بالاتفاق مع فرنسة على الوجه الذي تقرر بينه وبين وزيرها كلمنصو، وأحالني فيه على رئيس الوزارة صديقي علي رضا باشا الركابي فكان رجائي في إكباره له أكبر من رجائي في الملك الذي كنت راضيا منه بقبوله، فأظهر الوزير لي من الاستحسان ماكنت أحب، ولكنه كان يسوف في تنفيذه بكثرة الشواغل بتأسيس الحكومة والخلاف بينها وبين المؤتمر حتى انتهى ذلك

كنت أكلم كلا من جلالة الملك ودولة الوزير في ذلك منفردا فيعد، حتى اذا التقيت بهما مجتمعين رجوت الملك أن يصدر أمره الرسمي للوزير بتنفيذه فأمر، فسألت الوزير بعد أيام عما فعل، فقال انه قرر تخصيص مبلغ شهري قدره خمسة وعشرون جنيهاً ليكون راتبا لمدير المكتب الذي ينظر في تنفيذ المشروع

فساءني هذا الجواب وقلت له إن الامر أكبر من هذا المكتب ومديره وراتب مديره، إنه يجب أولا ان تؤلف له لجنة من أعلى الضباط الوطنيين معرفة وهمة لينظروا في المشروع مع بعض أهل الرأي، ويجب عليهم أن يدرسوا كل ما كتب في اللغة التركية واللغات الاجنبية في نظام العصابات البلقانية وعشائر الافغان التي

نظمها الامير عبدالرحمن خان وغيرها ، ليضعوا نظامهم في ضوء ساطع ويقدروا له الميزانية الموقتة للتنظيم ، والمال الاحتياطي الذي يتوقف عليه العمل اذا هوجمت البلاد ، واقتضت الحال اضرام نار الدفاع في جميع الاغوار والانجاد ، ولا أعتقد ان المشروع سينفذ إلا اذا ألفت هذه اللجنة وحضرت جلساتها بنفسي ، فوعد بالنظر في ذلك ولكنه لم ينظر ، فعلمت انه يرضيني بالكلام ، ويجعل راتب الادارة الجديدة معاشا لأحد صنائعه ، فزال ما كان عندي من الامل فيه ، وهو كل ما كنت أرجوه منه .

والظاهر أنه لم يكن يعتقد بضرورته أو بفائدته ، ولكن الثورة السورية التي حدثت بعد قد أثبتت لنا ان هذا المشروع لو تم لنلنا به ما نريد

اسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي

ثم كان من سيرة الركابي باشا ان سخط الملك فيصل عليه من ناحية وسخط عليه أكثر رجال حزب الاستقلال العربي من ناحية أخرى ، وعزم الملك على اسقاط وزارته وقد كتبت في مذكرتي يوم الاحد ٦ شعبان ٢٥ ابريل (نيسان) مانصه:

اشتد سخط الملك فيصل من هذا الوزير لسوء تصرفه ولما أحدثه من الشقاق في حزب الاستقلال العربي وجمعيته ، وعزم على إسقاط وزارته لاخراجه وبعض وزرائها الضعاف الرأي والعزيمة ، فأمر بتأليف لجنة سرية للنظر في تأليف وزارة جديدة ، والركابي لا يزال يجاني ويبالغ في احترامي ، وأسوأ ماساءني منه مراوغته في مشروعي الاهم وهو تأليف إدارة للعشائر والقبائل وليس لي غرض شخصي أرجوه منه اه

وكتبت في يوم الاثنين ٧ شعبان ٢٦ ابريل في هذا الموضوع :

سمرنا البارحة عند احسان بك الجابري مع الملك فيصل سمراً مفيداً لا ينسى ، السمار القيل (أعني الملك) وساطع (بك الحصري) وهاشم (بك الاتاسي) وعزت (دروزه) وعثمان (سلطان) وسعدالله (الجابري) وصاحب الدار (إحسان بك) وقد تحقق زوال ثقة الملك بوزارة الركابي اه

وأقول الآن : كان موضوع ذلك السمر بيان حال وزارة الركابي وما يشكى منها وما يجب من استبدال غيرها بها وما تجب مراعاته في ذلك، وإذ كانت الجلسة سرية لم أكتب شيئا عما دار فيها ولا فيما بعدها لئلا تسقط مذكرتي مني أو تسرق كما سرق دفتر مذكرات الملك فيطلع أحد عليها ، وانما كنت أذكر أسماء السامرين وأعبر عن الملك بالقيل (بفتح فسكون)

وقد سمرنا الليلة التي بعدها في دار ساطع بك الحصري وكان في السمار زيادة عمن ذكرت من حاضري ما قبلها ، عبد الرحمن بك اليوسف ، ويوسف بك العظمة، ويحيى بك حيالي الضابط المشهور، ولم يحضرها جلالة الملك، وقد اقترحت في جلسة بعدها عند احسان بك أن يدخل في الوزارة الجديدة ، الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، واستحسنت ان يكون يوسف بك رئيساً لها اذا كنا نريد ان تكون وزارة دفاع قوية ـ وكان قد رشح بالاتفاق ـ فقال الملك انه يحب يوسف بك ويثق به، ولكنه لا يرى ان يكون رئيساً للوزارة في سنه هذه فيكفي أن يكون وزيراً للحربية

تشكيل هاشم بك للوزارة وانتخابي لرياسة المؤتمر

ولم يبد الملك لنا رأيه في الرئيس حتى اذا ما انتهينا من رأينا في الاعضاء فاجأنا باصدار أمره الرسمي لصديقنا هاشم بك الاتامي بتشكيل الوزارة ففعل ، واعتقدنا ان المرجح له عنده رويته وأناته تجاه حماسة العظمة وشهبندر ، وما يرجو من مواتاته له ، وعين الدكتور عبد الرحمن شهبندر وزيراً للخارجية ، ويوسف بك العظمة وزيراً للحربية ، فكان كل منهما أشد مواتاة لجلالته من هاشم بك

كان رضا بك الصلح وزير الداخلية في وزارة الركابي أقدم أصدقائي فيها، توثقت عرى الصداقة بيني وبينه في الآستانة سنة ١٣١٢ (١٩٠٩) فلهذا ولما له من المكانة في بيروت ساءني أن يظن أن خروجه كان برأيي ، فالحق انني لم أقترح اخراجه وما يمكنني أن أدافع عنه ولا عن علي رضا باشا الركابي

وقد ترتب على تشكيل هاشم بك الاتامي للوزارة أن انتخبني المؤتمر السوري رئيساً له في ١٦ شعبان ٥ مايو

(الترجمة بقية)

التنازع والتخاصم

« بين علماء الدين المجددين ، والجامدين الرسميين »

الاستاذ الشيخ ناجي أديب ، عالم كاتب أديب خطيب ، نشأ في مدينة اللاذقية من سورية ، وتخرج في الجامع الازهر ، وتأدب فيه بأدب الاستاذ الامام المصلح الاكبر ، وغذي بأفكاره ، واقتبس من أنواره ، ثم كان أستاذا في بعض مدارس التجهيز ومعهد الحقوق في دمشق ، ولما عقد المؤتمر السوري العام الذي أعلن استقلال سورية (سنة ١٣٣٩ و١٩٢٠م) كان عضواً منتخبا فيه عن بلده ، وهو لا يزال يدعو إلى الاصلاح الديني والاجتماعي بلسانه وقلمه

وقد كتب في رمضان (سنة ١٣٥١) مقالات وعظية نشرها في جريدة (ألف باء) الدمشقية المشهورة فاقترح عليه بعض الذين انتفعوا بها أن يطبعها في كتاب مستقل لتعميم نفعها فاستجاب لهم ، وزاد على تلك المقالات فصولا من كتاب له مخطوط سماه (التهذيب الاسلامي) نال قصب السبق في مباراة كتب أخرى في موضوعه في المجلس الاسلامي الاعلى بالقدس ، ثم صدر الكتاب الجديد في جمادى الاولى سنة ١٣٥٢ باسم (حديث رمضان ، دين وأدب ، وأخلاق ونقد ، وأصول واجتماع)

تقبله الناس بقبول حسن ، فرفع ذكره ، وطاب نشره ، فهاج ذلك حسد علماء بلده الرسميين فتصدوا لمعارضته والصد عنه بالطعن بأصلات ألسنتهم ، وأسنة أقلامهم ، لابسين لقتاله لبوس ألقابهم الرسمية : مدرس جامع كذا ، مدرس جامع كذا ، فقد جاءتنا نشرة مطبوعة أحصوا فيها ما أنكروه عليه ، وأجازه لهم وأقره لهم مثنياً عليهم (مفتي اللاذقية : مصطفى أديب محمودي)

كان الكتاب قد أهدي إليّ فلم أفرغ للنظر فيه لكثرة الشواغل العائقة عن مطالعة كتب الهدايا الكثيرة ، وقد عرفت صاحبه في الجامع الازهر ثم في دمشق ، وانه من خيار علماء سورية المجددين في هذا العصر ، فلما رأيت ما نبزوه واتهموه به علمت انه من باب التنازع بين المجددين والجامدين ، وعهدي بمن هم أشهر منهم بالعلم من أمثالهم في مصر أنهم لا يوثق بعلمهم ، ولا يصدقهم في روايتهم ونقلهم ،

وانما يعتزون بتصديق العوام لهم وثقتهم بهم ، ويغترون بمحافظتهم على أزيائهم القديمة التي تجذب هؤلاء العوام الى تقبيل أيديهم

وانني وأيم الله ليحزنني أن يجنوا على أنفسهم بما يضيع كرامتهم، وهم لا يشعرون بما هم صائرون إليه، وأتمنى لو يتفقون والمجددين ويتناصحون فيما بينهم، ويردون مايختلفون فيه إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ عملا بقوله عز وجل (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

وانني على علمي بما ذكرت لم أستبح لنفسي ان أكتب هذا إلا وكتاب حديث رمضان أمامي ، ونشرة انكارهم في يدي، أراجع ماتهموه به مستبعداً صدوره عنه ، عالما انه غير معصوم من مثله ، فاذا بي أرى في إنكارهم كذبا مفترى ، وتحريفا معيباً، وحقا جعل باطلا ، وكلاما محتملا فسر بالرأي والهوى، وسأفصل ما أجملت في جزء آخر إن شاء الله تعالى

﴿ تحسين الاغاني والاناشيد العربية لترقية الشعور القومي والخلقي ﴾

دعت جمعية الشبان المسلمين من اختارت من (الشعراء والمطربين والملحنين) في مصر وطائفة أخرى من أهل العلم والادب إلى حفلة شاي نصبت موائدها لهم في مساء الجمعة ١٢ صفر (٢٥ مايو) فلبى أكثرهم الدعوة ، وبعد شرب الشاي وتناول مايتصل به من الحلوى والفاكهة وقف صاحب السعادة عثمان باشا مرتضى فرحب بالحاضرين وشرح لهم ماتقترحه عليهم الجمعية من تعاون الشعراء والمطربين (المغنين) والملحنين على خدمة الوطن المصري والادب العربي بما سمته « تحسين الاغاني والاناشيد » الخ «ووضع الخطة العملية لتنفيذ هذه الفكرة في أقرب وقت» كما رأوا في رقاع الدعوة ، فشكروا للجمعية هذا المشروع وتلقوه بالقبول، وتبارى خطباؤهم في بيان فوائده في ترقي الاقوام ، وضربوا لذلك الامثال، فذكروا الافرنج والعرب في جاهليتها وإسلامها وحضارتها الزاهرة ، وخطتها في هذه القرون الاخيرة التي هبطت فيها الآداب والاخلاق الى الدرك الاسفل وانحصرت فيها الاغاني القومية المصرية في الخلاعة والمجون ولاسيما أغاني النساء فكانت من مفسدات الاخلاق والآداب

وأبى أحد الخطباء الا أن يعرض في شواهده لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فذكر في فضل الاناشيد وشرعيتها احتفال الانصار بقدوم النبي ﷺ عليهم يوم الهجرة بقولهم : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع الخ

وقوله ﷺ وهو الذي حماه الله من الشعر حين جرحت أصبعه أو دميت من حجر في إحدى الغزوات :

هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله مالقيت

فهذا البيت من الرجز أبلغ ما يقال في موضوعه وأعمقه تأثيرا وهو يصلح أن يبنى عليه نشيد في التحريض على الجهاد واستصغار الآلام في سبيل عظائم الاعمال

قال كلاما في هذا المعنى ثم صعد مرتقيا الى ما هو فوق هذا فذكر أن القرآن نظم ذو فواصل كقوافي الشعر قابل للتلحين والتغني لم يكن له ذلك التأثير العظيم في قلوب العرب و الانقلاب العظيم فيهم الا بتلاوته بالتلحين الخاص به

نقلت هذا الكلام بفحواه لا بلفظه ، فأما البيت فقد نقل ابن هشام أنه للوليد بن المغيرة وصحح الحافظ ابن الجوزي أنه لعبد الله بن رواحة وقد تمثل به ﷺ قولا لا إنشاداً فسكن تاء قافيته . وأما القرآن فقد كان كلام الخطيب أدنى الى تشبيهه بالشعر مما صورته به آنفا ، والواجب في التفرقة بينهما أن يكون أبعد شأوا وأسمى مرتقى مما قلت ، وقد بينت معنى قابلية القرآن للترتيل الغنائي في كتاب الوحي المحمدي بما لو رآه الخطيب الاديب لبين هذا المعنى منزها للقرآن ، بما هو أدق مما نقلته عنه هنا ، وكان خطر في بالي في الجلسة أن أتعقبه فأمسكت اتلا أنطلق في الكلام بما يفسره هو بلازمه غير البين فيظن أني أريد لمزه والنيل منه

هذا وانني أسررت الى الاستاذ يحيى الدرديري أن يقترح على الشعراء أن يبدأوا بوضع أغاني وأناشيد لحفلات الاعراس وغيرها يضمنونها تعظيم أمر العفة وعزة النفس والشرف وكرامة الامة ويلقونها الى الملحنين فيلقنونها الى المغنين ، فينسخون بها تلك الاغاني (والطقاطيق) المجونية ، فقال الاولى أن تقترح أنت هذا فاعتذرت ، فألقاها الى رئيس الجلسة وانصرفت . وقد سبق لي مثل هذا الاقتراح على عبده أفندي الحولي أشهر مطربي عصره في مصر منذ ٣٥ سنة

(الجزء الثالث) ١٦١ (المجلد الرابع والثلاثون)

المنار
السنة ١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام ضوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ برج السرطان سنة ١٣١٢ هـ ش يوليو سنة ١٩٣٤

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

قصة نوح عليه السلام

(٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) أَنْ لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٧) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا، وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ، وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ، بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ

تقدم ذكر خلاصة من هذه القصة في سورة يونس مختصرة مبدوءة بقوله تعالى (واتل عليهم نبأ نوح) الخ وبينت في تفسيرها نكتة هذا العطف فيها ووجه اتصال الكلام بما قبله فكان متمما وشاهدا له ، وتقدمت قبل ذلك في سورة الاعراف مختصرة أيضا مبدوءة بقوله تعالى (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه) وأشرت في تفسيره إلى وجه التناسب واتصال الكلام بما جاء في أول السورة من ذكر بعثة الرسل عامة . وقد جاءت في هذه السورة مفصلة مناسبة لما قبلها بما نبينه فيما يلي فنقول :

٢٥ ـ ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ قال المعربون من المفسرين ان الواو هنا للابتداء ، أي لأن معنى الجملة لا يشترك مع ما قبله بما يصح جعلها معطوفة عليه . وأقول ان هذا سياق جديد في السورة أكد به ما قبله من الدلائل على أصول الدين من التوحيد والبعث والنبوة ، فهو يشترك معه في جملته لا مع آخر آية منه ، وعندي أن هذه القصة معطوفة على ما في أول هذه السورة من ذكر بعثة محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ بمثل ما بعث به من قبله من الدعوة إلى عبادة الله وحده وبعثته نذيراً وبشيراً والايمان بالبعث والجزاء ، ليعلم قومه انه ﷺ ليس بدعا من الرسل ، وان حاله معهم كحال من قبله من الرسل عليهم السلام مع أقوامهم إجمالا وتفصيلا ، كما قال في سورة الاسراء (١٧ : ٧٧ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا) فكأنه قال لقد أرسلناك يا محمد الى قومك والى الناس كافة بما تقدم بيان أصوله ، ولقد أرسلنا نوحا الى قومه بمثل ما أرسلناك الخ

وافتتحت القصة بصيغة القسم لانكار المخاطبين بها لبعثة الرسل ، وقدمنا بيان ما كان للقسم عند العرب من التأثير في تأكيد الكلام ، وناهيك به في كلام الله المنزل على من عرف عندهم بالصدق من أول نشأته وهو محمد عليه الصلاة والسلام ،

﴿ اني لكم نذير مبين ﴾ أي أرسلناه ببيان وظيفته من الانذار لهم ، أو قائلا لهم اني لكم نذير بين الانذار ظاهره ، وهو الاعلام بالشيء مع بيان عاقبة من خالفه فلم يذعن لما فيه من الامر والنهي . ثم فسر هذا الارسال والانذار بقوله :

٢٦ ـ ﴿ أن لا تعبدوا الا الله ﴾ بأن لا تعبدوا الا الله ، بل اعبدوه وحده

ولا تشركوا به شيئا (وهذا عين ماتقدم في الآية الثانية) وكانوا أول قوم أشركوا بالله واتخذوا له الانداد، وكان أول رسول أرسله الله تعالى إلى أهل الارض كما تقدم في قصته من سورة الاعراف ﴿ اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ أي شديد الالم وهو يوم القيامة أو يوم عذاب الاستئصال بالطوفان ، وصف بالألم للمبالغة ، وانما يشعر بالالم من يعذب فيه من الكافرين الظالمين ، وفي قصته من سورة الاعراف (عذاب يوم عظيم) أي ألمه وهوله، وهو أقرب إلى قوله في الآية الثالثة من هذه السورة (عذاب يوم كبير) والمراد واحد

ويجوز أن يكون ماقاله نوح جامعا لمعنى الالم ومعنى العظمة والكبر اذ القرآن يبين المعاني المحكية بالالفاظ المختلفة كما قلنا من قبل، ويأتي في بعضها بما يغني عن بعض، ومن ذلك قول نوح في سورة المؤمنين بعد الأمر بعبادة التوحيد وتقريره (أفلا تتقون) ومثله فيها عن الرسول الذي بعده . وكان كل رسول يأمر قومه بالتقوى كما كرره عنهم في سورة الشعراء إذ التقوى ملاك الأمر كله

٢٧ - ﴿ فقال الملأ الذين كفروا من قومه ﴾ أي فبادر الملأ أي الاشراف والزعماء الذين كفروا من قومه الى الجواب ليكون الدهماء تبعاً لهم كعادتهم ، واقترن جوابهم هنا بالفاء لانه هو الاصل في الرد السريع ، ومثله في سورة المؤمنين. وتقدم في سورة الاعراف مفصولا وهو (قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) لانه هو الاصل في باب المراجعة بقال ... قال ... ويسمى الاستئناف البياني ، والفرق بينهما في الموضعين من هذه القصة ان الموصول بالفاء أريد به المبادرة إلى الرد على نوح بما يبطل دعوته بزعمهم ، والمفصول ليس إلا طعنا وتخطئة هو من جملة مارموه به لا يعلم متى وقع منهم، وليس جوابا متصلا بالدعوة ، فيالله العجب من هذه الدقة في بلاغة القرآن! ﴿ ماتراك الا بشراً مثلنا ﴾ في الجنس لامزية لك علينا تكون بها نذيراً لنا نطيعك ونتبعك مذعنين لنبوتك ورسالتك ﴿ وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا ﴾ أي أرديأؤنا وأخساؤنا . يقال رذل الشيء أو المرء بضم الذال (كضخم) فهو رذل بسكونها (كضخم) وجمعه أرذل بضم الذال وجمع الجمع أراذل

أو هو جمع « أرذل » بصيغة التفضيل ، ويؤيده في سورة الشعراء (واتبعك الارذلون) ويعنون بهم من دون طبقة الاشراف والاكابر كالزراع والصناع والعمال ، وهم الذين يقبلون الحق اذ فهموه لعدم استكبارهم عن اتباع غيرهم ﴿ بادي الرأي ﴾ أي اتبعوك في بادي الرأي أي ظاهره الذي يبدو للناظر فيه ، قبل العلم بما وراء قوادمه من خوافيه ، والتأمل في باطنه ، والغوص في أعماقه ، او في بدئه ومايظهر منه أول وهلة قبل تكرار التفكر فيه ، والنظر في عواقبه وتواليه . فالياء على هذا منقلبة عن همزة لانكسار ما قبلها . ويؤيده قراءة أبي عمرو بالهمزة (بادىء) وقراءة الجمهور أبلغ لاحتمالها الجمع بين المعنيين ﴿ وما نرى لكم علينا من فضل ﴾ أي وما نرى لك ولمن اتبعك علينا أدنى فضل تمتازون به في جماعتكم كالقوة والكثرة أو العلم و الرأي يحملنا على اتباعكم ، والنزول عن جاهنا وامتيازنا عليكم بالجاه والمال لمساواتكم ، ﴿ بل نظنكم كاذبين ﴾ أي بل الامر شر من ذلك وهو أننا نظنكم كاذبين في جملتكم : المتبوع في دعوى النبوة ، والتابعون في تصديقه ، فهي اذاً اثمار بنا تحاولون به أن تقلبوا الحقيقة فتجعلوا الفاضل مفضولا ، والشريف مشروفا ، وقد كرموا أنفسهم بعدم الجزم بالتكذيب فعبروا عنه بالظن

أجابوه بأربع حجج داحضة (إحداها) أنه بشر مثلهم فساووه بأنفسهم في الجملة ، وهذا يدل على أنه عليه السلام كان من طبقتهم أو ما يقرب منها في بيته وفي شخصه ، وهكذا كان كل رسول من وسط قومه ، ووجه الجواب أن المساواة تنافي دعوى تفوق أحد المتساويين على الآخر بجعل أحدهما تابعا طائعا ، والآخر متبوعا مطاعا ، لأنه ترجيح بغير مرجح

(والثانية) أنه لم يتبعه منهم إلا أراذلهم في الطبقة والمكانة الاجتماعية بادي الرأي ، لا بدليل من العقل والعلم ، وبهذا تنتفي المساواة فينزل هو عن رتبة الطبقة العليا الى رتبة من اتبعه من الطبقات السفلى ، وهذا مرجح لرد دعوته والتولي عنه

(الثالثة) عدم رؤية فضل له مع جماعته هؤلاء عليهم من قوة عصبية أو كثرة غالبة أو غير هذا من المزايا التي ترفع الارذل من مقعدهم في السفلة ، فيهون على الاشراف مساواتهم في اتباعه

(الرابعة) أنهم بعد الاضراب أو صرف النظر عما ذكروا من التنافي والتعارض يرجحون الحكم عليه وعليهم بالكذب في هذه الدعوى، وهذا هو المرجح الأقوى لرد الدعوة، وقد أخروه في الذكر لأنهم لو قدموه لما بقي لذكر تلك الملل لاخرى وجه، وهي وجيهة في نظرهم لا بد لهم من بيانها، وهذه الاخيرة طعن لهم على نوح عليه السلام أشركوه فيه مع أتباعه ولم يجابهوه به وحده، ولم يجزموا به، كما أنهم لم يجعلوه في طبقتهم من الرذالة، ونحن نرى ملاحدة هذا العصر كقوم نوح ومن بعده في حجبهم الداحضة، وغرورهم وعمى قلوبهم، لا يفضلونهم بشيء الا الغرور بفنون الافرنج وقوتهم وجعلها حجة على تقليد أراذلهم في شر رذائلهم، وتحقير أنفسهم وأمتهم ولغتهم، فهم شر من قوم نوح اذ كان تقليد قوم نوح لآبائهم تعظيما لهم، والبلاء كل البلاء عندنا من فساد أمرائنا وباشاواتنا وأغنيائنا فهم في مجموعهم أو أكثرهم كملأ نوح شر طبقات هذه الامة وأشدها فسادا وافسادا

---

(٢٨) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ؟ (٢٩) وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ، وَمَآ أَنَا بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ، وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٣٠) وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ (٣١) وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ، وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْ ، إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

تضمنت هذه الآيات الأربع دحض تلك الشبهات الأربع التي ردوا بها عليه وشبهات أخرى من لوازمها ، وربما صرحوا بها واستغني عن حكايتها بالعلم بها من الرد عليها ، وهو من دقائق إيجاز القرآن المعجز للبشر فتأمله

٢٨ - ﴿ قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ﴾ خاطبهم عليه السلام بلقب القوم مضافا الى ضميره (ياقومي ، وحذف الياء من الرسم مراعاة للنطق) استعطافا وايذانا بأنه يدعوهم الى ما هو خير لهم ، وكلمة (أرأيتم) تستعمل عند العرب بمعنى أخبروني عن رأيكم فيما يأتي بعدها كما تقدم في سورة يونس (١٠: ٥٩،٥٠ وغيرها) والبينة مايتبين به الحق وتقدم الكلام عليها آنفا في تفسير الآية ١٧ أي اخبروني ياقومي الاعزاء مارأيكم وقولكم في حالي معكم ان كنت على حجة ظاهرة من ربي فيما جئتكم به تبين لي بها أنه الحق من عنده لا من عندي وكسبي البشري الذي تشاركوني فيه وانما هي فوق ذلك ﴿ وآتاني رحمة من عنده ﴾ وهي النبوة وتعاليم الوحي التي هي سبب رحمة الله الخاصة لمن يهتدي بها فوق رحمته العامة لعباده كلهم ﴿ فعميت عليكم ﴾ قرأ الجمهور عميت بالتخفيف كخفيت وزنا ومعنى ، ومثلها (٢٨: ٦٦ فعميت عليهم الانباء) وقرأها حمزة والكسائي وحفص بالتشديد والبناء للمفعول ، أي فحجبها عنكم جهلكم وغروركم بمالكم وجاهكم فلم تستبينوا بها ماتدل عليه من التفرقة بيني وبينكم إذ جعلتموني بشراً مثلكم ، والتعبير بعميت مخففة ومشددة أبلغ من التعبير بخفيت وأخفيت لأنه مأخوذ من العمى المقتضى لأشد أنواع الخفاء . ويجوز عود الضمير الى البينة لاقتضاء خفائها خفاء الرحمة كما هو شأن الدليل مع المدلول ، ويجوز عوده الى الرحمة باعتبار ذكرها بعد البينة كأنه قال فخفيت عليكم رحمة الله لكم بهذه النبوة لخفاء البينة الدالة عليها ، أو لان البينة خاصة به عليه السلام

وهي العلم الضروري الذي يعلم به النبي انه نبي ﴿ أنلزمكموها وأنتم لها كارهون ﴾ أي أنلزمكم إياها بالجبر والاكراه والحال أنكم كارهون لها إنكاراً ، وجحوداً واستكباراً ؟ أي لانفعل ذلك فان الاسلام لا يصح إلا بإيمان الاذعان ، وما على

الرسول إلا البلاغ ، وهو أول نص في دين الله تعالى يدل على أنه ما كان ولا يصح أن يكون بالاكراه ، وأما ما فعله نصارى الافرنج في سابق تاريخهم - وما لا يزال يفعله بعضهم في مستعمراتهم - من التنصير باجبار الاقوام على النصرانية ، فهو مما امتازوا به على أمم الشرق في ظلمهم وتعصبهم . وهذه الآية إثبات لنبوته عليه السلام ورد لانكارهم لها وتكذيبه ومن معه فيها ، وإبطال لشبهتهم الاولى في أنه بشر مثلهم . وهي مبنية على أن المساواة في البشرية تقتضي استواء أفراد الجنس ، ويدفعها ما هو معلوم بالحس والخبر (بالضم أي الاختبار) من التفاوت العظيم بين أفراد البشر في العقل والفكر والرأي والاخلاق والاعمال بما هو أبعد من التفاوت بينهم وبين بعض الحيوان الأعجم ، حتى إن واحدا منهم ليأتي من الاصلاح لقومه بالعلم والعمل ما يعجز عن مثله الألوف الكثيرون في القرون المتوالية ، وكل هذا في محيط التفاوت العادي ، والعلم والعمل الكسبي ، وفوقهما ما اختص الله به من شاء من عباده بما لا كسب لهم فيه فجعلهم أنبياء ورسلا له كما بيناه بالتفصيل في مباحث الوحي المحمدي

---

٢٩ ﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ﴾ أعاد نداءهم بقوله « يا قوم » استعطافا وتكريراً للتذكير بأنه انما يدعوهم لخيرهم ومصلحتهم ، وصرح لهم بأنه لا يسألهم على ما دعاهم إليه ما لا ، فيكون متهما فيه عندهم لمكانة حب المال من أنفسهم ، واعتزازهم به عليه وعلى الفقراء من أتباعه والمال ما يملك ويقتني من نقد وماشية

وغيرها ، وعبر في سورة الشعراء بالاجر ويدل عليه هنا ﴿ إن أجري إلا على الله ﴾ أي ما أجري علي تبليغه والقيام بأعبائه إلا على الله الذي أرسلني به ، وكل رسول بعده أمر أن يبلغ قومه هذا ، كما تراه في سورة الشعراء محكيا عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وتكرر مثله بأمره تعالى عن محمد رسول الله وخاتم النبيين ، وما اتصل ببعض الآيات فيه من الاستثناء في قوله (٤٢ : ٢٣ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) - فهو أي الاستثناء - منفصل معناه لكن أسألكم مودة أولي القربى لكم ، وصلة الارحام التي تفرقون فيها وتقاتلون لاجلها . فهذه

الجملة دفع لشبهة أخرى على نبوة نوح كنظيره لابد أن تكون حكيت في صدور قومه وقد يكون بعضهم تكلم بها

﴿ وما أنا بطارد الذين آمنوا ﴾ أي وليس من شأني ولا بالذي يقع مني طرد الذين آمنوا من قربي وجواري لاحتقاركم لهم ، ووصفكم إياهم بالارذل جهلا منكم ، فهذا رد على الشبهة الثانية في كلامهم بنفي لازمه وهو الطرد ، وقد يكونون صرحوا بذكر هذا اللازم ، وهذه سنة أكابر مجرمي الكفار من جميع أقوام المرسلين ، بينها هنا وفي سورة الشعراء في قوم نوح أولهم ، وتكرر معناها في قوم خاتمهم ، ومنه في ذكر الطرد قوله تعالى في سورة الانعام (٦ : ١٥٢ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) الآية . وفي معناها قصة الأعمى في سورته

﴿ إنهم ملاقوا ربهم ﴾ هذا تعليل مستأنف لنفي الطرد معناه أنهم يلاقون ربهم يوم القيامة فهو يتولى حسابهم وجزاءهم ، وليس على الرسول من هذا شيء ، إن عليه إلا البلاغ ، فليس يضركم ما هم عليه والله أعلم به وبهم ﴿ ولكني أراكم قوما تجهلون ﴾ أي تسفهون عليهم ، من الجهالة المضادة للعقل والحلم ، أو تجهلون ما يمتاز به البشر بعضهم على بعض من اتباع الحق والتحلي بالفضائل ، وعمل البر والخير ، وتظنون ان الامتياز إنما يكون بالمال المطغي ، والجاه بالباطل المردي ، وفي قصته من سورة الشعراء (٢٦ : ١١١ قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون ١١٢ قال وما علمي بما كانوا يعملون ١١٣ إن حسابهم الا على ربي لو تشعرون ١١٤ وما أنا بطارد المؤمنين ١١٥ إن أنا إلا نذير مبين) وفي معنى ما هنا من ان حسابهم على الله تتمة الآية (٦ : ١٥٢) المشار إليها آنفا ، وهو بمعنى قوله تعالى

٣٠ - ﴿ ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم ﴾ كرر هذا النداء لما سبق بيانه آنفا ، والاستفهام بعده إنكاري ، أي لا يوجد أحد ينصرني من الله بأن يمنع عني ما أستحقه من عقابه إن طردتهم بعد إيمانهم لي واتباعهم إياي فيما بلغتهم عنه ، وهو ظلم عظيم يقتضي العقاب الشديد بعدل الله تعالى مهما تكن صفة من اقترفه ، كما يصرح به في الآية التالية وكما قال في آخر آية الانعام (فتطردهم فتكون من الظالمين)

﴿ أفلا تذكرون ﴾ أصله تتذكرون حذفت إحدى التاءين منه للتخفيف وهو قياس، ويقدر بعد همزة الاستفهام فعل عطفت عليه الجملة ، أي أتصرون على جهلكم، أو أتأمروني أن أطردهم فلا تتذكرون ان لهم ربا ينصرهم وينتقم لهم ؟

٣١ـ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ﴾ هذا معطوف على قوله « لا أسألكم عليه أجراً » ولهذا لم يكرر النداء فيه. وهذه الثلاث التي نفاها نوح عليه السلام عن نفسه هي التي كان يظن المشركون من قومه وممن بعدهم أن ثبوتها لازم لمن كان نبياً مرسلا من الله تعالى إن صحت دعواه، والا كان كسائر البشر لا فضل له عليهم ، ومن ثم كان نفيها متضمناً لرد شبهة حجتهم الثالثة ، ولهذا أمر الله تعالى خاتم النبيين ﷺ بنفيها عن نفسه في سورة الانعام (٦ : ٥٠) ونختصر في تفسيرها هنا لتفصيله هنالك .

أما خزائن الله تعالى فالمراد منها أنواع رزقه التي يحتاج اليها عباده للانفاق منها كما قال (١٧ : ١٠٠ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتوراً) والمعنى لا أقول لكم بادعائي للنبوة والرسالة ان عندي خزائن رزق الله تعالى أتصرف فيها بغير وسائل الاسباب المسخرة لسائر الناس ، بحيث أنفق على نفسي وعلى من اتبعني بالتصرف فيها بخوارق العادات ، بل أنا وغيري من البشر في كسبها سواء ، إذ ليست من موضوع الرسالة ولا من خصائصها ووظائفها ، ولو كانت كذلك لاتبع الناس الرسل لأجلها، لا لما بعثوا لاجله من تزكية الانفس بمعرفة الله وعبادته ، وتأهيلها للقائه تعالى ومثوبته في دار كرامته

وأما علم الغيب فالمراد به امتياز النبي على سائر البشر بعلم ما لا يصل اليه علمهم الكسبي من مصالحهم ومنافعهم ومضارهم في معايشهم وكسبهم فيخبر بها أتباعه ليفضلوا غيرهم بالتبع له ، ولهذا أمر الله خاتم النبيين أن يقول لقومه (٧ : ١٨٨ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) وقال بعض المفسرين ان نفي ادعائه الغيب يتضمن الرد على قولهم في أتباعه انهم اتبعوه بادي الرأي من غير تفكر ولا استدلال فهم غير موقنين بايمانهم ، وإنما يظنون ظنا ، فهو يقول انه لم يعط علم الغيب فيحكم على

بواطنهم وانما أمر أن يأخذ بالظاهر ، والله هو الذي يعلم السرائر ، وهذان الامران اللذان نفاهما كتاب الله عن رسله يثبتهما مبتدعة المسلمين وأهل الكتاب لمن يسمونهم الاولياء والقديسين منهم ، وقد بينا بطلان هذا مرارا .

وأما نفي كونه ملكا فهو داحض لشبهتهم ان الرسول من الله الى البشر يجب أن يفضلهم ويمتاز عليهم ، وإذن لابد أن يكون ملكا من ملائكة الله يعلم ما لا يعلم البشر ويقدر على ما لا يقدر عليه البشر ، وهذه المسألة مفصلة ومكررة في سورة الانعام وبينا في خلاصة تفسيرها من جزء التفسير الثامن جملة ماجاء فيها مع شواهده من غيرها في ذلك تحت عنوان (شبهات الكفار على الوحي والرسالة) فراجعها في (ص ٢٧٨ ج ٨ طبعة أولى

﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم ﴾ الازدراء افتعال من الزراية ، يقال زرى على فلان يزري زرية وزراية (بالكسر) إذا عابه واستهزأ به ، وأزرى به إزراء تهاون به ، أي ولا أقول في شأن الذين تنظرون اليهم نظر الاستصغار والاحتقار فتزدريهم أعينكم لفقرهم ورثاثتهم ﴿ لن يؤتيهم الله خيراً ﴾ كما تقولون انتم والمراد بالخير ما وعد على الايمان والهدى من سعادة الدنيا والآخرة ، ويراجع تفسير ما حكى الله عن كفار قريش بقوله (٦ : ١١ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه) وغير هذا مما في معناه .

﴿ الله أعلم بما في أنفسهم ﴾ مما آتاهم من الايمان على بصيرة ، واتباع رسوله باخلاص وصدق سريرة ، خلافا لما زعمتم من اتباعي بادي الرأي بغير بصيرة ولا علم ﴿ اني إذاً لمن الظالمين ﴾ أي اني إذا قلت ذلك فيهم لمن الظالمين إذ أكون ظالما لنفسي بالتقول على الله غير ما أعلمه عنه من وعد المؤمنين بخير الدنيا والآخرة وظالما للمؤمنين المحسنين بهضم حقهم ، ويجوز أن يكون المعنى : اني إذا قلت شيئا مما نفيته من أول الآية بأن ادعيت أني أملك التصرف في خزائن رزق الله ورحمته بالعطاء والمنع أو أعلم الغيب الخ لمن زمرة الظالمين الراسخين في الظلم ، لا من الانبياء

المرسلين المعتصمين بالحق والعدل ، وفي هذا التعليل لاجتناب ما ذكر تعريض بالمخاطبين ، يدل على أنهم من الظالمين ، وبهذا تمت حجته عليه السلام عليهم ، ودحضه لجميع شبهاتهم ، ولذلك قالوا قول المعترف بالعجز ، المنتهي به عجزه الى حد اليأس:

(٣٢) قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٣) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٤) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ، هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

قال الراغب الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة . وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتله ومنه الجديل (أي الحبل المفتول) وجدلت البناء أحكمته ، ودرع مجدولة ، والاجدل الصقر المحكم البنية ، والمجدل القصر المحكم البناء ، ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر على رأيه . وقيل الاصل في الجدال الصراع واسقاط الانسان صاحبه على الجدالة وهي (بالفتح) الارض الصلبة اه وقال الفيومي في المصباح المنير : جدل الرجل جدلا فهو جدل من باب تعب إذا اشتدت خصومته ، وجادل مجادلة إذا خاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، هذا أصله ، ثم استعمل في لسان جملة الشرع في مقابلة الادلة لظهور أرجحها ، وهو محمود ان كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم اه وقد ورد عدة أحاديث وآثار في ذم الجدل والنهي عنه منها « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي أمامة مرفوعا .

٣٢ ﴿ قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا ﴾ أي قد خاصمتنا وحاججتنا فأكثرت جدالنا ، واستقصيت فيه فلم تدع لنا حجة إلا دحضتها حتى مللنا وسئمنا

ولم يبق عندنا شيء نقوله - يدل على هذا قوله لهم في التعبير عن هذه الحالة من سورة يونس (١٠ : ٧١ يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله) الخ

﴿ فائتنا بما تعدنا ﴾ من عذاب الله الدنيوي الذي نخافه علينا، الاقرب أن يكون المراد به قوله (اني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) ويجوز أن يكون غيره كما تقدم

﴿ إن كنت من الصادقين ﴾ في دعواك ان الله يعاقبنا على عصيانه في الدنيا قبل الآخرة

٣٣ ﴿ قال إنما يأتيكم به الله ان شاء ﴾ أي ان هذا لله وبيده لا أملكه أنا، وإنما هو الذي يأتيكم به إن تعلقت مشيئته به في الوقت الذي تقتضيه حكمته،

﴿ وما أنتم بمعجزين ﴾ ولا فائتين له إن أخره لحكمة يعلمها فهو متى شاء واقع ما له من دافع، ونفي الاعجاز مؤكد بالباء

٣٤ ﴿ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ﴾ النصح تحري الصلاح والخير للمنصوح له والاخلاص فيه قولا وعملا من قولهم ناصح العسل لخالصه المصفى منه، ونصح له أفصح من نصحه، والاغواء الايقاع في الغي وهو الفساد الحسي والمعنوي، والمعنى ان نصحي لكم لا ينفعكم بمجرد ارادتي له فيما أدعوكم اليه وانما يتوقف نفعه على ارادة الله تعالى، وقد مضت سنته تعالى بما عرف بالتجارب أن نفع النصح له شرطان أو طرفان هما الفاعل للنصح والقابل له، وانما يقبله المستعد للرشاد، ويرفضه من غلب عليه الغي والفساد، بمقارفة أسبابه من الغرور بالغنى والجاه والكبر، وهو غمط الحق واحتقار المتكبر لمن يزدري من الناس، وتعصبه لما كان عليه الآباء والاجداد، واتباع الهوى وحب الشهوات المانعة من طاعة الله، فمعنى ارادة الله تعالى لاغوائهم اقتضاء سنته فيهم أن يكونوا من الغاوين، لا خلقه للغواية فيهم جزافا أنفا (بضمتين) أي ابتداء بغير عمل ولا كسب منهم لأسبابها، فان هذا مضاد لمذهب أهل السنة في إثبات خلق الاشياء مقدرة بأقدارها، ترتبط أسبابها بمسبباتها،

وفسر ابن جرير (يغويكم) يهلككم بعذابه ، وقد ورد الغي بهذا المعنى ومنه قوله تعالى (فسوف يلقون غيا) وحكي عن طي قولهم : أصبح فلان غاوياً ، اذا أصبح مريضاً . وأصل الغي فساد الجهاز الهضمي من كثرة الغذاء أو سوئه تقول العرب غوي الفصيل اذا فسد جوفه . بشم من كثرة اللبن . ثم توسعوا فيه فاستعمل في الفساد المعنوي من الانهماك في الجهل وكل ما ينافي الرشد . والقرائن هي التي ترجح بعض المعاني على بعض ، وموافقة سنن الله واقداره شرط في الكل ، وبه يعرف الحق في اختلاف الاشاعرة والمعتزلة في الآية وأمثالها بناء على اختلافهم في ارادة الله تعالى لكل من الخير والشر مطلقا ، وتقدم بسط ذلك في مواضع

من هذا التفسير ﴿ هو ربكم واليه ترجعون ﴾ أي هو مالك أموركم ومدبرها ومسيرها على سننه المطردة في الدنيا ، ولكل شيء عنده قدر ، ولكل قدر أجل ، واليه ترجعون في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها لا يظلم أحدا

(٣٥) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ

اختلف المفسرون في هذه الآية فقال مقاتل وغيره هي معترضة في قصة نوح حكاية لقول مشركي مكة في تكذيب هذه القصص الذي تقدم الرد عليه في الآية الثالثة عشرة من هذه السورة . وقال الجمهور انها من قصة نوح لا مقتضي لاعتراضها في وسطها ، وهو مروي عن ابن عباس (رض) وفيه أن مثل هذه الجمل الاعتراضية معهود في القرآن كآيتي الوصية بالوالدين في أثناء موعظة لقمان لابنه بعد نهيه عن الشرك من سورته وهما (٣١ : ١٤ ووصينا الانسان بوالديه) الى آخر الآية ١٥ وبعدها (١٦ يا بني انها ان تك مثقال حبة) الخ وكذلك الآيات ٥٣ — ٥٦ من سورة طه (٢٠) قالوا انها معترضة في المحاورة بين موسى عليه السلام وفرعون عليه اللعنة . والجمل والآيات المعترضة في القرآن حكم وفوائد

يقتضيها تلوين الخطاب لتنبيه الاذهان، ومنع السآمة وتجديد النشاط في الانتقال، والتشويق إلى سماع بقية الكلام ،فمن المتوقع هنا أن يخطر في بال المشركين عند سماع ماتقدم من هذه القصة أنها مفتراة كما زعموا لاستغرابهم هذا السبك في الجدال والقوة في الاحتجاج ، وأن يصدهم هذا عن استماع بقيتها ، فيكون إيراد هذه الآية تجديداً للرد عليهم ولنشاطهم ،وأعظم بوقعها في قلوبهم اذا كان هذا الخاطر عرض لهم عند سماع ماتقدم من القصة ، فما قاله مقاتل له وجه وجيه من وجهة الاسلوب الخاص بالقرآن ، وهو أقرب الى تعبيرها عن الانكار بيقولون وعن الرد عليهم بقل الدالين على الحال ، وأبعد عن سياق حكي كله بفعل الماضي من الجانبين (قالوا .. قال) وهو سياق قصة نوح عليه السلام ، ولكنه ليس قطعيا في الاول وانما هو الارجح عندي ومقابله ضعيف خلافا لجمهور المفسرين

٣٥ ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ أي أم يقول مشركو مكة ان محمداً ﷺ قد افترى هذا الذي يحكيه من قصة نوح، أو أيقول قوم نوح إنه افترى هذا الذي وعدنا به من العذاب ﴿ قل إن افتريته فعليّ اجرامي ﴾ أي إن كنت افتريته على الله عز وجل فرضاً فهو إجرام عظيم عليّ اثمه وعقابه من دونكم (إذ الاجرام الفعل القبيح الضار الذي يستحق فاعله العقاب ، من الجرم الذي هو قطع الثمر قبل بدو صلاحه الذي يجعله منتفعا به كما سبق في آيات أخرى) ومن كان يؤمن ان هذا إجرام يعاقب عليه فما الذي يحمله على اقترافه ﴿ وأنا بريء مما تجرمون ﴾ لأن حكم الله العدل أن يجزي كل امرىء بعمله (لا تزر وازرة وزر أخرى * لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت) وتقدم هذا المعنى بما هو أعم مما هنا وهو (١٠ : ٤١ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم ، أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقد أثبت عليهم الاجرام هنا ومنه أو أشده تكذيبه ووصفه بالافتراء على الله عز وجل

(٣٦) وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٧) وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٣٨) وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ، قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٩) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ

هذه الآيات هي الحكم الفصل في قوم نوح المشركين ويليها بيان تنفيذه

٣٦ ﴿ وأوحي الى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ﴾ أي أوحى الله تعالى اليه ما أيأسه من إيمان أحد من قومه بعد الآن غير من قد آمن من قبل منهم فهم ثابتون على إيمانهم دائمون عليه ﴿ فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾ أي فلا يشتدن عليك البؤس والحزن واحتمال المكاره بعد اليوم بما كانوا يفعلون في السنين الطوال من تكذيبهم وعنادهم وإيذائهم لك ولمن آمن لك. إذ كنت تعرض له وتستهدف لسهامه رجاء في إيمانهم واهتدائهم، فأرح نفسك بعد الآن من جدالهم وسماع أقوالهم فقد آن زمن الانتقام منهم

٣٧ ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ﴾ الفلك السفينة يطلق على المفرد والجمع والظاهر من تعريفه هنا ان الله تعالى كان أخبره خبره. أي واصنع الفلك الذي سننجيك ومن آمن معك فيه حال كونك ملحوظا ومراقبا بأعيننا من كل ناحية، وما يلزمه من حفظنا في كل آن وحالة، فلا يمنعك منه مانع، وملهما أو معلما بوحينا لك كيف تصنعه، فلا يعرض لك في صنته خطأ، وجمع الأعين هنا لافادة شدة العناية بالمراقبة والحفظ، وان قال مجاهد: أي بعيني ووحيي فان العرب

تعبر برؤية العين الواحدة عن العناية وبالأعين عن المبالغة فيها . قال تعالى لموسى (ع . م) (ولتصنع على عيني) وقال محمد ﷺ (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ، وفي الاساس وتقول لمن بعثته واستعجلته « بعين ما أرينك » أي لاتلو على شيء . فكأني أنظر اليك اه وقال الشاعر :

واذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

وهذا التفسير هو الظاهر بل المتبادر من هذا التعبير ، وليس تأويلا صرف به عن الظاهر لايهامه التشبيه فانما مرادهم بالتأويل حمل اللفظ على المعنى المرجوح من معنييه أو معانيه لمانع من حمله على المعنى الراجح ، وهو لاينحصر في الحقيقة اللغوية

﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ﴾ أي لاتراجعني في أمرهم بشيء من طلب الرحمة بهم ودفع العذاب عنهم ﴿ إنهم مغرقون ﴾ أي حقت عليهم كلمة العذاب وقضي عليهم القضاء الحتم بالاغراق ، فلا تأخذك بهم رأفة ولا اشفاق ، وقيل معناه : ولا تخاطبني بعد في استعجال تعذيبهم وتكرار الدعاء عليهم ، ويرجح هذا إذا كان الدعاء بعد إعلامه تعالى اياه بهذا الحكم فقد حكى عنه في آخر سورته (٧١ : ٢٦ وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ٢٧ انك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ٢٨ رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا) أي هلاكا

٣٨ ﴿ ويصنع الفلك ﴾ أي وطفق يصنع الفلك كما أمر ﴿ وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه ﴾ استهزؤا به وضحكوا منه وتنادروا عليه لحسبانهم أنه مصاب بالهوس والجنون ، يقال سخر من فلان وسخر به (كنصب) أي اتخذه سخريا (بضم السين وكسرها) يهزأ به . وروي انهم كانوا يسألونه عما يصنع فيجيبهم أنه يصنع بيتا يجري على الماء ، ولم يكن هذا معروفا ولا متصورا ، وقل أن يسبق أحد أهل عصره بما هو فوق عقولهم ومداركهم من قول أو عمل الا سخروا منه قبل أن يتم له النجاح فيه ﴿ قال إن تسخروا منا ﴾ قال مجيبا لكل منهم عن هذا

السؤال : ان تسخروا منا وتستجهلونا اليوم لرؤيتكم منا مالا تتصورون له فائدة ﴿ فانا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ منا جزاء وفاقا ، نسخر منكم اليوم لجهلكم ، وغدا لما يحل عليكم ، فان كنتم لا تعلمون اليوم بما نعمل وبما سيكون من عاقبة عملنا

٣٩ ﴿ فسوف تعلمون ﴾ بعد تمامه ﴿ من يأتيه عذاب يخزيه ﴾ أي يذله ويجلب له العار والتبار في الدنيا ﴿ ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ بعد ذلك في الآخرة فيكون عذاب الدنيا هينا بالاضافة اليه لانقضاء هذا وزواله بهلاككم ، وبقاء ذاك ودوامه بدوامكم

---

(٤٠) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ، وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤١) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ، إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ

---

٤٠ ﴿ حتى اذا جاء أمرنا ﴾ هذا بيان لابتداء الغاية مما ذكر قبله من استعداد لهلاك قوم نوح أي وكان يصنع الفلك كما أمر ، ويقابل السخرية بغير ابتئاس ولا ضجر ، حتى إذا جاء وقت أمرنا بهلاكهم ﴿ وفار التنور ﴾ اشتد غضب الله تعالى عليهم . فهو مجاز كحمي الوطيس ، أو فار الماء من التنور عند نوح لانه بدأ ينبع من الارض . والتنور الذي يخبز فيه الخبز معروف عند العرب . قيل ان التاء أصلية فيه وقيل زائدة وقد اتفقت فيه لغة العرب والعجم . وقيل أول من صنعه حواء أم البشر وان تنورها بقي الى زمن نوح وانه هو المراد هنا ، وهذا مما لا يوثق به . والفور والفوران ضرب من الحركة والارتفاع القوي يقال في الماء اذا نبع وجرى ، واذا غلا وارتفع ، قال في الاساس : فارت

القدر ،وفارت فوارتها ، وعين فوارة في أرض خوارة ،وفار الماء من العين . ومن المجاز :فار الغضب ، وأخاف أن تفور علي، وقال ذلك في فورة الغضب اه وقال الراغب في مفردات القرآن :الفور شدة الغليان ويقال ذلك في النار نفسها إذا هاجت وفي القدر وفي الغضب ، نحو (وهي تفور * وفار التنور) اه والمتبادر من فوران التنور هنا اشتداد غضب الله تعالى على أولئك المشركين الظالمين لانفسهم وللناس وحلول وقت انتقامه منهم ، وقد روى فيه عن مفسري الصحابة والتابعين بضعة أقوال ما أراها إلا من الاسرائيليات ، أقربها إلى اللغة ان التنور أطلق في اللغة على الفجر وان المراد من فورانه هنا ظهور نوره وهو مروي عن علي كرم الله وجهه ، يعني ان هذا الوقت موعدهم كقوم لوط . والثاني ان المراد منه فوران الماء من تنور الخبز وكان ذلك علامة لنوح عليه السلام ، وهو يتوقف على رواية مرفوعة وينسب إلى ابن عباس (رض) وأقرب منه ان يكون أول نبع ماء الطوفان من الارض . ولا يصح في هذه الآثار ولا في أمثالها رواية مرفوعة يحتج بها ، وحديث عائشة الآتي يدل على ما قلت انه الاقرب

﴿ قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين ﴾ قرأ حفص كلمة (كل) هنا بالتنوين وجمهور القراء بالاضافة لما بعدها .أي حتى اذا جاء موعد أمرنا قلنا لنوح حينئذ احمل فيها أي في الفلك وهو السفينة من كل زوج اثنين ذكرا وأنثى . والتقدير على قراءة حفص:احمل فيها من كل نوع من الاحياء أو الحيوان زوجين اثنين ذكراً وأنثى لاجل أن تبقى بعد غرق سائر الاحياء فتتناسل ويبقى نوعها على الارض

﴿ وأهلك إلا من سبق عليه القول ﴾ أي واحمل فيها أهل بيتك ذكوراً وإناثا وأهل بيت الرجل عند الاطلاق نساؤه وأولاده وأزواجهم،والظاهر أن المستثنى منهم كفارهم إن كان فيهم كفار لأنهم يدخلون في عموم قوله (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون) وإلا كان المستثنى ولده الذي ستذكر قصته قريباً ﴿ ومن آمن ﴾ معك من قومك ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ منهم ولم يبين لنا الله تعالى ولا رسوله عددهم فكل ماقاله المفسرون فيهم مردود لا دليل

عليه كما قال ابن جرير الطبري كما انه لم يبين لنا أنواع الحيوانات التي حملها ولا كيف جمعها وأدخلها السفينة وهي مفصلة في سفر التكوين، وللمفسرين فيها اسرائيليات مضحكة تخالفها، لا ينبغي تضييع شيء من العمر في نقلها وإشغال القراء بها

٤١ ﴿ وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها ﴾ يقال ركب الدابة والسفينة وركب على الدابة لانه يعلوها ، وفي السفينة لانه يكون مظروفا فيها وإن جلس على ظهرها ، وهو المستعمل في القرآن قرأ بعض أئمة القراء (مجراها) بفتح الميم بامالة الراء وتركها وهو مصدر ميمي لجرت السفينة تجري موافق لقوله الآتي (وهي تجري بهم) وقرأها الآخرون بضم الميم وهو مصدر ميمي لأجرى على إرادة إجراء الله تعالى لها . وقرءوا كلهم (مرساها) بضم الميم بمعنى أن الله تعالى هو الذي سيرسيها ، ورسو السفينة وقوفها ، والمجرى والمرسى يجيئان اسمي زمان ومكان أيضاً . وهذه الجملة يحتمل أن يكون قالها نوح عليه السلام عند أمرهم بركوب السفينة معه امتثالا لأمر الله تعالى في الآية التي قبلها ، فتكون بشارة لهم بحفظه تعالى لها ولهم ، أي باسم الله جريانها وارساؤها فهو الذي يتولى ذلك بحوله وقوته ، وحفظه وعنايته ، ويحتمل أن يكون أمرهم بأن يقولوها كما يقولها على تقدير : اركبوا فيها قائلين باسم الله ، أي بتسخيره وقدرته مجراها حين تجري أو حين يجريها ، ومرساها حين يرسيها ، لا بحولنا ولا قوتنا

﴿ ان ربي لغفور رحيم ﴾ اي إنه لواسع المغفرة لعباده حيث لم يهلكهم جميعهم بذنوبهم وتقصيرهم ، وإنما يهلك الكافرين الظالمين وحدهم ، رحيم بهم بما سخر لهم هذه السفينة لنجاة بقية الانسان والحيوان من هذا الطوفان الذي اقتضته مشيئته ، أخرج أبو يعلى والطبراني وابن السني وغيرهم عن الحسن بن علي (رض) قال قال رسول الله ﷺ « أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا الفلك أن يقولوا: باسم الله الملك الرحمن (باسم الله مجراها) الآية -(وماقدروا الله حق قدره) الآية والظاهر أن المراد بالآية الثانية آية سورة الزمر (٣٩:٦٧) والله أعلم

(٤٢) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ، وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٣) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ، قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ، وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٤) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

٤٢ ﴿ وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴾ هذا تصوير لحالها في جريها بهم كأنها حاضرة أمام القارىء أو السامع ، أي تجري في أثناء موج يشبه الجبال في علوه وارتفاعه وامتداده ، وهو مايحدث في ظاهر البحر عند اضطرابه من التموّج والارتفاع بفعل الرياح ، واحده موجة وجمعه أمواج ، وأصل الموج الاضطراب ومنه (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) ومن عرف مايحدث في البحار العظيمة من الامواج عند ما تهيجها الرياح الشديدة ، رأى ان المبالغة في هذا التشبيه غير بعيدة ، وصف لي بعضهم سفره في المحيط الهندي في زمن رياح الصيف التي يسمونها الموسمية فقال كنت أرى السفينة تهبط بنا في غور عميق ، كواد سحيق ، ترى البحر من جانبيه كجبلين عظيمين يكادان يطبقان عليها ، فاذا بها قد اندفعت إلى أعلى الموج كأنها في شاهق جبل تريد أن تنقض منه ، والملاحون يربطون أنفسهم بالحبال على ظهرها وجوانبها ، لئلا يجرفهم ما يفيض من الموج عليها ، وراجع وصف البحر في تفسير قوله تعالى (١٠ : ٢٢ هو الذي يسيركم في البر والبحر) ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ عند الركوب في السفينة وقبل جريانها ولم يسبق له ذكر وسيأتي بقية خبره في آخر القصة ﴿ وكان في معزل ﴾ أي مكان عزلة وانفراد

دون أهله الذين ركبوا فيها ودون الكفار ﴿ يابني اركب معنا ﴾ أي مع والدك وأهلك الناجين ﴿ ولا تكن مع الكافرين ﴾ المقضي عليهم بالهلاك

٤٣ ﴿ قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ﴾ أي سألجأ إلى جبل عال يحفظني من الماء ان يصل إلي فأغرق ﴿ قال : لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ أي لاشيء في هذا اليوم العصيب يعصم أحداً من أمر الله الذي قضاه ، فليس الامر والشأن أمر ماء يرتفع بكثرة المطر كالمعتاد ، فيتقي الحازم ضره بما يقدر عليه من الاسباب، وانما هو أمر انتقام عام من أشرار العباد، الذين أشركوا بالله وظلموا وطغوا في البلاد، لكن من رحم الله منهم فهو يعصمه ويحفظه، وقد اختص بهذه الرحمة من أمر بحملهم في هذه السفينة ﴿ وحال بينهما الموج ﴾ وكان قد بدأ يرتفع في أثناء هذا الحديث حتى حال بين الولد ووالده ﴿ فكان من المغرقين ﴾ الهالكين

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ثم جعل يعمل منها سفينة ويمرون فيسألونه فيقول أعملها سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر فكيف تجري ؟ قال سوف تعلمون . فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته رفعته بين يديها حتى ذهب الماء بها، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي »

هذا الحديث رواه من ذكرنا كلهم من طريق موسى بن يعقوب، وقد قال الحاكم في مستدركه : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه اه يعني البخاري ومسلم وتعقبه الذهبي فقال إسناده مظلم وموسى ليس بذاك . وذكر في الميزان ووافقه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب انهم اختلفوا في موسى هذا وثقه ابن معين، وقال

النسائي ليس بالقوي وقال أبو داود هو صالح ،وقال ابن المديني ضعيف منكر الحديث

وقد وصف الله حدوث هذا الطوفان بقوله في سورة القمر(٥٤ :٩ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر(١٠)فدعا ربه أني مغلوب فانتصر (١١) ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١٢) وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر (١٣) وحملناه على ذات ألواح ودسر (١٤) تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر (١٥) ولقد تركناها آية فهل من مدكر (١٦) فكيف كان عذابي ونذر) وانه لوصف وجيز ،في أعلى مراقي البلاغة والتأثير

ما أفظع هذا المنظر ! ما أشد هوله ! ما أعظم روعته ! ماء ينهمر من أفاق السماء انهماراً،وأرض تتفجر عيوناخوارة فتفيض مدرارا ،ماء ثجاج ،يصير بحراً ذا أمواج،خفيت من تحته الارض بجبالها،وخفيت من فوقه السماء بشمسها وكواكبها، وكانت عليه هذه السفينة كما كان عرش الله على الماءفي بدء التكوين ، كأن ملك الله الارضي قد انحصر فيها ، فتخيل انك ناظر اليها كماصورها لك التنزيل، تتفكر فيما يؤول اليه أمر هذا الخطب الجليل، واستمع لما بينه به الذكر الحكيم ، أوجز عبارة وأبلغها تأثيراً ، جعلت أعظم ما في العالم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً .

٤٤﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ﴾ أي وصدر من عالم الغيب الاعلى نداء خاطب الارض والسماء ،بأمر التكوين الذي يسجد له العقلاء وغير العقلاء :يا أرض ابلعي ماءك كله الذي عليك ، أو الذي تفجر من باطنك ، ان صح ان ماء السماء صار بحرا ، والبلع ازدراد الطعام أو الشراب بسرعة ﴿ ويا سماء أقلعي ﴾ أي كفي عن الامطار فامتثل الامر في الحال ، وما هو إلا أن قيل كن فكان ﴿ وغيض الماء ﴾ أي غار في الارض ونضب بابتلاعها له نضوبا ﴿ وقضي الامر ﴾ أي نفذ ذلك الامر باهلاك الظالمين ، وانجاء المؤمنين، ﴿ واستوت على الجودي ﴾ أي واستقرت السفينة راسية على الجبل المعروف بالجودي ﴿ وقيل بعداً للقوم الظالمين ﴾ أي هلاكا وسحقا لهم ، وبعداً من رحمة الله تعالى بما كان من رسوخهم في الظلم

واستمرارهم عليه ، وفقدهم الاستعداد للتوبة والرجوع إلى الله عز وجل ، وسيأتي مثل هذا في أمثالهم من أقوام الانبياء (الا بعداً لعاد قوم هود * ألا بعداً لثمود) والظاهر ان هذا الجبل قد غمره الماء ولم يرتفع فوقه إلا قليلا ، فلما بلغته السفينة كان الماء فوقه رقراقا وبدأ يتقلص ويغيض فاستوت عليه

قرر علماء البلاغة الفنية ان هذه الآية أبلغ آية في الكتاب العزيز أحاطت بالبلاغة من جميع جوانبها وأرجائها اللفظية والمعنوية التي وضعت لفلسفتها الفنون الثلاثة : المعاني والبيان والبديع ، وإن مثل هذا التفاضل بين الآيات الذي يقتضيه الحال والمقام ، لا ينافي بلوغ كل آية في موضعها وموضوعها درجة الاعجاز ، ولا يعد من التفاوت المعهود في كلام أشهر البلغاء كأبي تمام والمتنبي وكذا غيرهما من شعراء الجاهلية ومن بعدهم في الدرجات الثلاث العليا والسفلى وما بينهما ، فآياته كلها في الدرجة العليا المعجزة للبشر ، وإن كان لبعضها مزية على بعض كما تراه في تكرار القصة الواحدة من هذه القصص ، وقد بسطناه في تفسير آية التحدي « بعشر سور مثله مفتريات » من هذه السورة

مثل ذلك ماتراه من بلاغة هذه الآية في باب العبرة المقصودة بالذات من سياق هذه القصص كلها ، وهو فوق ما ذكروه من نكت الفنون فيها ، وبيانه ان الله قد أنذر الظالمين وأوعدهم الهلاك في آيات كثيرة - ومنهم مكذبو الرسل عليهم السلام - كلها معجزة في بلاغتها ، ولكنك ترى في هذه الآية من تأثير تقبيح الظلم والوعيد عليه نوعا لا تجده في غيرها ، لان حادثة الطوفان أكبر ماحدث في الارض من مظاهر سخط الله تعالى على الظالمين ، وقد علم من أول القصة أنها عقاب للظالمين ، بيد ان اعادته في هذه الآية عقب تصوير حادثة الطوفان بارزة في اشد مظاهر هولها ، واشعار القلوب عظمة الجبار العزيز الحكيم في الفصل فيها ، بما تتلاقى فيه نهايتها ببدايتها ، والتعبير عن هذه النهاية بالدعاء على الظالمين بالبعد والطرد الذي يحتمل عدة معان مذمومة شرها الطرد من رحمة الله تعالى ، يمثل لك هؤلاء الظالمين من قوم نوح بصورة تمثال من الخزي واللعن والرجس لا ترى مثله في أمثالهم من أقوام الانبياء ، على ماتراه في التعبير عنها بالعبارات الرائعة

في البلاغة وعلو الاسلوب ، وإحداثها الرعب في القلوب ، كقوله تعالى (١٨:٥٤ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر (١٩) إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً في يوم نحس مستمر (٢٠) تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر (٢١) فكيف كان عذابي ونذر) وهذه الآيات في طبقة ماقبلها من قصة نوح في هذه السور وقد أوردناها آنفا . وقوله تعالى (٤:٦٩ كذبت ثمود وعاد بالقارعة (٥) فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية (٦) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية (٧) سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٨) فهل ترى لهم من باقية ؟) الخ

وحكمة هذه المبالغات في عقاب الظالمين والمجرمين من الغابرين ، إنما هي إنذار أمثالهم من الحاضرين ، وقد كرر عقوبة كل قوم في سورة القمر ، وكرر معها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وترى الظالمين في كل زمان غافلين ، وترى المفسرين للقرآن يعنون ببسط إعراب القرآن وبلاغة لفظه ، ولا يعنون ببسط عبرته ووعظه ، ولقد قال حكيم الشعراء أبو العلاء المعري في أهل عصره :

والارض للطوفان مشتاقة لعلها من درن تغسل

ونحن نقول : رحم الله أبا العلاء فكيف لو رأى زماننا هذا ؟ كما قالت أم المؤمنين عائشة (رض) وقد أنشدت قول لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

قالت : رحم الله لبيدا فكيف لو رأى زماننا هذا ؟ رويناه مسلسلا اليها من طريق شيخنا أبي المحاسن الشيخ محمد القاوقجي (رح) وسنعقد فصلا للكلام على عقاب الله للظالمين والمجرمين في عصرنا بما نورده من علاوات هذه القصة

---

(٤٥) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٦) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي

أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ

هذه الآيات الثلاث في مسألة فرعية من قصة نوح لا من صلب القصة وأصول وقائعها ولكنها تدخل في العقائد وأصول الدين من بابين اثنين لا من باب واحد، أحدهما باب الالهيات بما فيها من حكم الله وعدله وسننه في خلقه بلا محاباة لولي ولا نبي، وثانيهما اجتهاد الانبياء وجواز الخطأ فيه وعده ذنباً عليهم بالاضافة الى مقامهم ومعرفتهم بربهم، — وهي ما عرض له عليه السلام من الاجتهاد في أمر ابنه الذي تخلف عن السفينة وكان من المغرقين كما مرَّ في الآية ٤٣ وكان ظاهر الترتيب أن تجعل بعدها فتكون ٤٤ ووجه هذا التقديم والتأخير بينهما الذي اقتضته البلاغة العليا والحكمة البالغة المثلى هو، أن قدمت الآية المتممة لاصل القصة المبينة لوجه العبرة فيها بأروع التعبير، الذي يقرع أبواب القلوب بأبلغ قوارع التأثير، فكان اتصالها بها كاتصال الموجب بالسالب من الكهربائية الذي يتولد به البرق الذي يخطف الابصار، والصاعقة التي تمحق ما تصيبه من الاشياء والاشخاص، فالآية الثالثة والاربعون تصور لقارئها وسامعها نكبة الطوفان بأعظم الصور هولا ورعباً ودهشا تطيش لها الالباب، وتحار في تصور كشفها وما يئول اليه أمرها الاخيلة والافكار، فتتلوها الآية الرابعة والاربعون فتكون الفاصلة بكشف ذلك الكرب العظيم بكلمتين وجيزتين من كلمات التكوين الالهي قضي بهما الامر بنجاة المؤمنين الصالحين، وهلاك المشركين الظالمين، ولو فصل بينهما بهذه الآيات الثلاث (٤٥ — ٤٧) اللواتي وضعن بعدهما، لضاع تسعة أعشار بلاغتهما وتأثيرهما في العبرة والموعظة المقصودة من القصة كلها، التي كانت كاشتعال الكهرباء مظهراً لسرعة مشيئته تعالى في كشف الكرب، فكان منها نور ظهرت به رحمته في انجاء السفينة وأهلها المؤمنين، وصاعقة محقت جميع الظالمين

٤٥ ﴿ ونادى نوح ربه ﴾ في إثر ندائه لابنه الذي تخلف عن السفينة ودعاه

اليها فلم يستجب ﴿ فقال رب إن ابني من أهلي ﴾ هذا تفسير لنادى، أي فكان نداؤه أن قال يارب إن ابني هـذا من أهلي الذين وعدتني بنجاتهم إذ أمرتني بحملهم في السفينة ﴿ وإن وعدك الحق ﴾ الذي لاخلف فيه وهـذا منه ﴿ وأنت أحكم الحاكمين ﴾ أي أحق من كل من يتصور منهم الحكم وأحسنهم وخيرهم حكما كما قال تعالى (٥٠:٦ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وقال (٨٧:٧ و١٠٩ و١٣ و٨٢:١٣ وهو خير الحاكمين) وذلك أن حكمه تعالى لايكون إلا بالحق والعدل، لانه يصدر عن كمال العلم والعدل والحكمة، فلا يعرض له الخطأ ولا المحاباة، ولا الحيف والظلم، وحكمه تعالى يطلق على مايشرعه من الاحكام، وعلى ماينفذه في عباده من جزاء على الاعمال، ومراد نوح بهذا أن ينجي ابنه الذي تخلف عن السفينة بعد أن دعاه اليها فامتنع معللا نفسه بأن يأوي الى جبل يعتصم به من الغرق ولم يقتنع بقوله له (لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) فالمعقول أن الدعاء وقع بعد هذه المحاورة مع ابنه وقبل أن يحول بينهما الموج

٤٦ ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك ﴾ الذين أمرتك أن تسلكهم في السفينة لانجائهم، وفسر هذا النفي وعلله أو وجهه بقوله تعالى ﴿ إنه عمل غير صالح ﴾ قرأ الجمهور « عمـل » برفع اللام والتنوين على المبـالغة في التشبيه كرجل عدل كأنه لفساده واجتنابه للصلاح والتزامه العمل غير الصالح نفس العمل كما قالت الخنساء في وصف الناقة :

ترتع مارتعت حتى اذا ادكرت فانمـا هي إقبـال وإدبار

وقرأ الكسائي ويعقوب بصيغة الفعل الماضي بتقدير عمـل عملا غير صالح، والاول أبلغ والمراد أنه كان كافراً يعمل عمل الكافرين، والكفر يقطع الولاية بين المؤمنين والكافرين من الاقربين ويوجب براءة بعضهم من بعض، كما قال تعالى (٤:٦٠ قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم

إنا برآء منكم) الآية، كما ان الايمان يوجب الولاية بين المؤمنين الابعدين - بله الاقربين - كما قال عز وجل (٩ : ٧١ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)

وقيل ان معنى الجملة: ان سؤالك إياي يانوح عنه وطلبك لنجاته عمل غير صالح لا أرضاه لك . رواه ابن جرير عن ابن عباس وما أراه يصح عنه ، وانه كان ولد زنا أو كان ولد غيره من امرأته وهو ظاهر البطلان لأن الله تعالى سماه ابنه .

فان قيل : كيف وقع هذا من نوح عليه السلام وقد استثنى الله تعالى من أهله الذين وعده بنجاتهم فقال (وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) ولا يعزب عن علمه ان الذين سبق عليهم القول هم الكافرون الذين قضى الله بهلاكهم بعد دعائه عليهم بقوله (رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) وكانت امرأته وابنه هذا منهم ، ولا يعقل أن يخفى عليه أمرهما ؟ ولكن امرأته لم تذكر في قصته وانما ذكرت في سورة التحريم مع امرأة لوط في خيانة زوجيهما ودخولهما النار ، واستثنيت امرأة لوط من النجاة مع المؤمنين في قصته.

(قلنا) يحتمل أن يكون حين رأى ابنه بمعزل عن الكفار، ظن أنه قد بدا له في كفره فكرهه وجنح للايمان ، ويحتمل أن يكون قد فهم أنه غير داخل في عموم قوله تعالى له (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) لانه تعالى جعل الناجين قسمين أهله إلا من استثنى، ومن آمن من قومه، فجاز في فهمه أن يؤمن من أهله من كان كافرا لأنهم قسيم لقومه لا قسم منهم ، ووافق هذا الفهم وقواه رحمة الابوة فسأل الله تعالى أن يحققه ، ولما كان هذا اجتهادا ظنيا لا يليق بنبي رسول من أولي العزم أن يخاطب به ربه عاتبه تعالى وأدبه عليه بقوله ﴿ فلا تسألن ما ليس لك به علم ﴾ أي فلا تسألني في شيء ما من الاشياء ليس لك به علم صحيح انه حق وصواب، سمى دعاءه سؤالا لانه تضمن ذكر الوعد بنجاة أهله وما رتبه عليه من طلب نجاة ولده ، وقرا ابن كثير تسألن بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة، ابن عامر بتشديدها مكسورة وكذا نافع مع اثبات الياء. وهذا النهي يدل على أنه يشترط في الدعاء أن يكون بما هو جائز في شرع الله وسننه في خلقه ، فلا يجوز سؤال ما هو محرم وما هو مخالف لسنن الله القطعية بما يقتضي تبديلها ولا

تحويلها وقلب نظام الكون لأجل الداعي، ولكن يجوز الدعاء بتسخير الاسباب، وتوفيق الاقدار للاقدار، والهداية الى العلم بالمجهول من السنن والنظام. مع مايؤدي الى ذلك من الاعمال - كما فصلناه من قبل

﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ أي أنهاك أن تكون من زمرة الجاهلين الذين يسألون أن يبطل تعالى تشريعه أو حكمته وتقديره في خلقه إجابة لشهواتهم وأهوائهم في أنفسهم أو أهليهم ومحبيهم. وأجهل منهم وأضل سبيلا من يسألون بعض الصالحين عندهم ما نهى الله عنه نبيا من أولي العزم من رسله أن يسأله إياه، كأن هؤلاء الصالحين يعطونهم أو يتوسلون الى الله أن يعطيهم ما لم يعط مثله لرسله، بل ما عد طلبه منه ذنبا مع ذنوبهم أمرهم بالتوبة منه وعدم العودة إلى مثله كما يدل عليه الوعظ هنا بمعونة قوله تعالى (٢٤ : ١٧ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً ان كنتم مؤمنين) وتقدم معنى الوعظ في تفسير (١٠ : ٥٧ ص ٤٠٠ ج ١١)

٤٧ ﴿ قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ﴾ أي اني أعتصم وأحتمي بك من أن أسألك بعد الآن ما ليس لي علم صحيح بأنه جائز لائق

﴿ وإلا تغفر لي ﴾ أي وان لم تغفر لي ذنب هذا السؤال الذي سولته لي رحمتي الابوية، وطمعي برحمتك الربانية ﴿ وترحمني ﴾ بقبول توبتي الصادقة ورحمتك وسعت كل شيء ﴿ أكن من الخاسرين ﴾ فيما حاولته من الربح بنجاة أولادي كلهم وسعادتهم بطاعتك وأنت أعلم بهم مني. والعبرة في هذه المسألة من وجوه.

(أولها) ان سؤال نوح عليه السلام ما سأله لابنه لم يكن معصية لله تعالى خالف فيها أمره أو نهيه، وانما كانت خطأ في اجتهاد رأي بنية صالحة، وإنما عدها الله تعالى ذنبا له لأنها كانت دون مقام العلم الصحيح اللائق بمنزلته من ربه، هبطت بضعفه البشري وما غرس في الفطرة من الرأفة والرحمة بالاولاد إلى اتباع الظن، ومثل هذا الاجتهاد لم يعصم منه الانبياء فيقعون فيه أحيانا ليشعروا بحاجتهم إلى تأديب ربهم وتكميله إياهم آنا بعد آن، بما يصعدون به في معارج العرفان.

(ثانيها) ان الايمان والصلاح لا علاقة له بالوراثة والانساب، وإنما يختلف

باختلاف استعداد الافراد ،وما يحيط بهم من الاسباب ، وما يكونون عليه من الآراء والاعمال ، ولو كان بالوراثة لكان جميع ولد آدم كأبيهم ، غاية ما يقع منهم معصية تقع عن النسيان وضعف العزم ، وتتبعها التوبة واجتباء الرب ، ثم لكان سلائل أبناء نوح المؤمنين الذين نجوا معه في السفينة كلهم مؤمنين صالحين، والمشهور أن نسل البشر انحصر فيهم ، وقد دلت الآية الآتية على أن فيهم الصالحين الطالحين وأيد ذلك الواقع ، بل لما كان أحدهم المذكور هنا كافرا هالكا

(ثالثها) ان الله تعالى يجزي الناس في الدنيا والآخرة بايمانهم وأعمالهم لا بأنسابهم ، ولا يحابي أحداً منهم لأجل آبائه وأجداده الصالحين وان كانوا من الانبياء المرسلين ، وان من سأله من هؤلاء الآباء ما يخالف سننه في شرعه وحكمته في نظام خلقه ، كان مذنبا يستحق التأديب ، حتى يتوب وينيب

(رابعها) ان هؤلاء المغرورين بأنسابهم من الشرفاء الجاهلين بكتاب ربهم وما يليق بعظمه الربوبية،وعلو الالوهية ، الجاهلين بسنة نبيهم ،الذين يزعمون أنهم يفضلون العلماء العاملين ، والصالحين المصلحين ، والاغنياء الشاكرين ، والفقراء الصابرين ،وان كانوا عراة مما كسا الله هؤلاء الاصناف من لباس التقوى والدين ، وأنهم يستحقون سعادة الدنيا والآخرة بنسبهم،ويستحقها من عظمهم وأفاض عليهم عن ماله بمحاباة الله له لأجلهم، أولئك هم الجاهلون الذين يشهد عليهم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة رسوله ﷺ وهديه في إنذار عشيرته وأهل بيته ، كقوله لبنته سيدة نساء العالمين « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئا » رواه الشيخان من حديث طويل

هؤلاء الجاهلون المساكين يعدون أعدى أعدائهم من يدعوهم أو يدعو الناس الى كتاب الله وسنة رسوله خاتم النبيين ، ويعدون أصدق أصدقائهم المبتدعين الخرافيين المشعوذين

---

(٤٨) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ، وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٩)

تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

الآية الاولى من هاتين الآيتين خاتمة قصة نوح عليه السلام ، والتي تليها استدلال بها على نبوة محمد ﷺ . وقد وردت كل منهما مفصولة مما قبلها غير معطوفة عليه . ولولا الفصل بين الاولى وبين آية (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) لما بيناه من الحكمة في ذلك لكان الوجه أن تعطف عليها إما مع إعادة القيل واما بدونه بأن يقال : ويا نوح اهبط بسلام منا ، ولكن الفصل بالآيات الثلاث في مسألة نوح وولده صار مانعا من الوصل بما قبله ، ومقتضيا أن تذكر مفصولة على الاستئناف البياني الذي هو جواب عن سؤال مقدر ، وأن يبدأ بفعل « قيل » المجهول ، لأنه هو المتعين المعلوم

٤٨ ﴿ قيل يا نوح اهبط بسلام منا ﴾ أي قال الله عز وجل الذي بيده ملكوت كل شيء وعالم الغيب والشهادة ومدبر أمر العالم كله لنوح بعد انتهاء أمر الطوفان ، واقلاع السماء عن إمطارها ، وابتلاع الارض لمائها ، وامكان السكنى والعمل على ظهرها : يا نوح اهبط من السفينة أو من الجودي الذي استوت عليه الى الصفصف المستوي منها ، ملابسا أو مزودا وممتعا بسلام من عظمتنا ورحمتنا الربانية وهو التحية والسلامة من الفتن والعداوة التي أحدثها المشركون الظالمون فيها

وبركات ﴾ في المعايش وسعة الرزق فائضة ﴿ عليك وعلى أمم ممن معك ﴾ أي وعلى من معك الآن في السفينة وعلى ذريات يتناسلون منهم ويتفرقون في الارض فيكونون أمما مستقلا بعضهم دون بعض وهم ممتعون بهذا السلام المعنوي والبركات المادية ، ويجوز أن يشمل لفظ الامم ما كان مع نوح من أنواع الحيوان فقد قال تعالى (وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم)

﴿ وأمم سنمتعهم ﴾ أي وثم أمم آخرون من بعدهم سنمتعهم في الدنيا بارزاقها وبركاتها

دون السلام الرباني، الممنوح من الالطاف الرحماني ، لسليمي الفطرة من المؤمنين ، فان أولئك سيغويهم الشيطان الرجيم ، ويزين لهم الشرك بربهم ، والظلم والبغي فيما بينهم ، ﴿ ثم يمسهم منا عذاب أليم ﴾ في الدنيا والآخرة لانهم لا يحافظون على السلام الذي كان عليه من قبلهم ، بل يبغي بعضهم على بعض لتفرقهم واختلافهم في هداية الدين ، التي نبعث بها المرسلين ، كما وقع لك مع قومك الاولين

هذا هو المتبادر من معنى هذه الآية ، وما بيناه في تفسير ما قبلها من آيات القصة هو المتبادر من مدلول ألفاظها الفصيحة نصا واقتضاء الموافق لسنن الله تعالى في الامم ، فهي لا تحتمل كثرة الآراء التي قرنت بها ، لولا كثرة الروايات الغريبة التي غشيتها حتى ما لا يقبله اللفظ ولا الشرع ولا العقل منها ، وسنبين مجامع العبرة فيها

٤٩ ﴿ تلك من أنباء الغيب ﴾ الاشارة الى قصة نوح المفصلة هذا التفصيل البديع ، من أنباء الغيب الماضية ﴿ نوحيها اليك ﴾ أيها الرسول في هذه السورة متما ومفصلا لما أوحيناه اليك قبلها ﴿ ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ﴾ الوحي الذي نزل مبينا لها ، والظاهر انه ﷺ ما كان يعلمها هو ولا قومه يعلمونها بهذا التفصيل وقد كان هو يعلمها بالاجمال ، وهو لا يمنع أن يكون بعضهم قد علم منه أو من غيره شيئا مامنها . ، ولو كان قومه وهم قريش يعلمونها على الوجه المنفي هنا وأكثرهم كافرون به لكذبوه ، ولنقل تكذيبهم الخاص له فيها كما نقل تكذيبهم العام للقصص كلها ، إذ قالوا انه افتراها ، ولكن هذا طعن مفتعل في شيء لا يعلم من قبلهم ، وقد تحدوا فيه بما قامت به الحجة عليهم ، وأما تكذيبه الخاص فيما يعلم من ناحيتهم - وهو العلم بهذه القصة من قبل هذا - فلو وقع لكان يكون حجة ولو ظاهرة لهم ، ولكنه لم يقع فتمت به الحجة عليهم وعلى من بعدهم ﴿ فاصبر إن العاقبة للمتقين ﴾ أي فاصبر كما صبر نوح على قومه فان سنة الله في رسله وأقوامهم أن تكون العاقبة بالفوز والنجاة للمتقين ، وأنت ومن اتبعك المتقون ، فأنتم الناجون المفلحون ، والمصرون على عداوتك هم الخاسرون الهالكون ، فارتقب انهم مرتقبون .

(لتفسير القصة علاوات متممة لفوائده)

فتاوى المنار

(س ١١ ـ ١٣) أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت (قال بعد الديباجة)

(١و٢) هل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين يجوز العمل بهما أم لا؟ وما معناهما؟ وهما (١) «من غشنا فليس منا» وفي رواية أخرى «من غش فليس منا» (٢) «دعاء المرء المسلم مستجاب لاخيه بظهر الغيب» وهل هذا الحديث الاخير يؤخذ منه وصول إهداء ثواب قراءة القرآن الكريم إلى الاموات باعتبار ان قراءة القرآن الكريم عبادة ودعاء أم لا؟

(٣) هل يجوز للرجال والنساء أن يذهبوا إلى المسارح العمومية أو غيرها لاجل أن يسمعوا ويروا الصور المتحركة «السينما» الناطقة أو غيرها وهي لا تخلو من الصور العارية والغناء والرقص والتقبيل والضم وغيره أم لا؟ عدنان البربير ناظر مدرسة عثمان ذي النورين ـ لجمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت

(جواب المنار)

(١١) حديث «من غشنا فليس منا، ومن غش فليس مني» صحيح رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعا وفيه زيادة وله ألفاظ أخرى عنده وعند غيره، ومعناه ظاهر والغش بأنواعه المادية والمعنوية من المحرمات التي لا تقبل النسخ

(١٢) حديث «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة» صحيح رواه احمد ومسلم وابن ماجه عن ابي الدرداء (رض) وله تتمة «عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك آمين ولك بمثل ذلك» وهذا خبر عن أمر غيبي والاخبار لا تنسخ وهو لا يدل على ان إهداء ثواب قراءة القرآن إلى الاموات أو غيرهم مشروعة ولا انها تصل اليهم، وانما ثواب القراءة للقارىء اذا كان مخلصاً، وكذا الدعاء، ولكن الدعاء للغير مشروع ونافع وإن كان ثوابه للداعي كما بيناه من قبل في التفسير وفي الفتاوى

(١٣) لا يجوز للمؤمن أن يتعمد مشاهدة المنكرات الشرعية ولا سماعها في المسارح ولا في غيرها، ورؤية الصور العارية غير محرمة لذاتها كرؤية الناس العراة ولكن تصوير الشخوص والاعمال التي تمثل المعاصي وتجري عليها منكر ورؤيتها منكرة كرؤية العورات والخلوة بالاجنبيات من باب سد ذرائع الفساد

معاهدة الطائف*)

بين

﴿ المملكة العربية السعودية ، والمملكة اليمانية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده

نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة الملك الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمانية معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية لانهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته ، ولتأسيس علاقات الصداقة الاسلامية بين بلادينا ، ووقعها مندوب مفوض من قبلنا ومندوب مفوض من قبل جلالته ، وكلاهما حائزان للصلاحية التامة المتقابلة ، وذلك في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف ، وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي:

معاهدة صداقة اسلامية وأخوة عربية

﴿ بين المملكة العربية السعودية ، وبين المملكة اليمانية ﴾

حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة

وحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة أخرى

(*) ننشر هذه المعاهدة العظيمة الشأن بنصها ، وننشر في هذا الجزء مقالا خاصا في عظمة شأنها في هذا العهد وفيما يأتي بعده من تاريخ الاسلام والعرب

رغبة منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما ورغبة في جمع كلمة الامة الاسلامية العربية ورفع شأنها ، وحفظ كرامتها واستقلالها

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة .

وحبا في تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الاسلامية فيما بينهما وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما

ورغبة في أن يكونا عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة، وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية - قررا عقد معاهدة صداقة اسلامية ، وأخوة عربية فيما بينهما ، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين عنهما وهما :

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد بن عبد العزيز نجل جلالته ونائب رئيس مجلس الوكلاء.

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن حضرة صاحب السيادة السيد عبدالله ابن أحمد الوزير

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآتي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق . وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للاصول قررا باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية :

(المادة الاولى)

تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم ، وصداقة وطيدة ، وأخوة إسلامية عربية دائمة، لا يمكن الاخلال بها جميعها أو بعضها، ويتعهد الفريقان السامیان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الاخاء الاسلامي العربي في سائر المواقف والحالات ، ويشهدان الله على حسن نواياهما

ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاق سراً وعلناً. ويرجو ان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة، التي فيها رضاء الخالق وعز قومهما ودينهما .

(المادة الثانية)

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من المملكتين استقلالا تاما مطلقاً وبملكيته عليها، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الامام يحيى ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالا تاما مطلقاً وبالملكية على مملكة اليمن . ويعترف حضرة صاحب الجلالة الامام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الامام عبد العزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالا تاما مطلقاً وبالملكية على المملكة العربية السعودية . ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة .

ان جلالة الامام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرهما في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الادارسة وغيرها. كما أن جلالة الامام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه باسم الوحدة اليمانية أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الادارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام

(المادة الثالثة)

يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين وبما لا ضرر فيه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث. ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله .

(المادة الرابعة)

خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي ويعتبر هذا الخط حداً فاصلا قطعيا بين البلاد التي تخضع لكل منهما :

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الاحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية ثم يرجع شمالا إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نقعة ووعار التابعتين لقبيلة وائله وبين حدود يام ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهي من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدايام من همدان بن زيد وائلي وغيره وبين يام: فكل ما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكه اليمانية وكل ماهو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية ، فما هو في جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل امشيخ وجميع بلاد وجبال بني جماعة وسحار الشام يباد وما يليها ومحل مريصغة من سحار الشام وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وائلة وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدايام ووادعة ظهران من همدان بن زيد هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ماهو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطا ارتباطا فعليا أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية- وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وا كثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع

وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة وكل ماهو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة وكل ماهو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطا ارتباطا فعليا أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الامام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز في يام والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة في نجران هم من وائلة ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية الا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع اخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به . ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفا بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد وسائر قبائل اليمن فللمملكة اليمانية كل الاطراف والبلاد اليمانية الى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات . وللمملكة العربية السعودية كل الاطراف والبلاد الى منتهى حدودها من جميع الجهات وكل ما ذكر في هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود في اتجاه الجهات المذكورة وكثيراً ما يميل لتداخل ما الى كل من المملكتين . أما تعيين وتثبيت الخط المذكور، وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون اجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساو من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل

(المادة الخامسة)

نظراً لرغبة كل من الفريقين السامين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة

والسكون وعدم ايجاد أي شيء يشوش الافكار بين المملكتين فانهما يتعهدان تعهدا متقابلا بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود

(المادة السادسة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هـذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الاهلين والجند عن كل ضرر

(المادة السابعة)

يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الاخرى في كل جهة وطريق وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادي من الطرفين ويرد كل ما ثبت أخذه بالتحقيق الشرعي من بعد ابرام هذه المعاهدة وضمان ما تلف وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان ويظل العمل بهـذه المادة سارياً الى أن يوضع بين الفريقين اتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر

(المادة الثامنة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلا بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما وبأن يعملا جهدهما لحل ما يمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنشؤه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئا عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية وفي حالة عدم امكان التوفيق بهذه الطريقة يتعهد كل منهما بأن يلجأ الى التحكيم الذي توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله في ملحق مرفق بهذه المعاهدة . ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة ويحسب جزءا منها وبعضاً متمما للكل فيها

(المادة التاسعة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأي عمل عدواني أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهي :

١ — ان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير فبعد التحقيق الشرعي وثبوت ذلك يؤدب فورا من قبل حكومته بالادب الرادع الذي يقضي على فعله ويمنع وقوع أمثاله

٢ — وان كان الساعي في عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير فانه يلقى القبض عليه فورا من قبل الحكومة المطلوب منها ويسلم الى حكومته الطالبة . وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن انفاذ الطلب وعليها اتخاذ كافة الاجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب وفي الاحوال التي يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فان الحكومة التي فر من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة الى أراضيها مرة أخرى وان تمكن من العودة اليها يلقى القبض عليه ويسلم الى حكومته

٣ — وإن كان الساعي في عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة فان الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الاخرى بطرده من بلادها وعده شخصاً غير مرغوب فيه ويمنع من العودة إليها في المستقبل .

(المادة العاشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً ، موظفاً كان أم غير موظف ، فرداً كان أم جماعة ، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده، فان تمكن أحدهم أو كلهم من

اجتياز خط الحدود بالدخول في أراضيه فيكون عليه واجب نزع السلاح من الملتجيء وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها ، وفي حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التي لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التي يتبعها

(المادة الحادية عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الامراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأي وجه كان مع رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التي تمنع حدوث القلق أو توقع سوء التفاهم بسبب الاعمال المذكورة .

(المادة الثانية عشرة)

يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة رعية لذلك الفريق .

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أي شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق ، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين في بلاد الفريق الآخر طبقاً للاحكام الشرعية المحلية .

(المادة الثالثة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين باعلان العفو الشامل الكامل عن سائر الاجرام والاعمال العدائية التي يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين في بلاده (أي في بلاد الفريق الذي منه إصدار العفو) كما انه يتعهد باصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأي شكل من الاشكال انضموا إلى الفريق الآخر عن كل جناية ومال أخذوا منذ لجأوا إلى الفريق الآخر إلى عودهم كائنا ما كان ، وبالغاً ما بلغ ، وبعدم السماح باجراء أي نوع من الايذاء أو التعقيب ، أو التضييق بسبب ذلك الالتجاء أو الانحياز أو الشكل الذي انضموا بموجبه . واذا حصل ريب عند أي الفريقين بوقوع شيء مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين

مراجعة الفريق الآخر لاجل اجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة ، وإن تعذر على أحدهما الحضور فينيب عنه آخر له كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين بالحضور لتحقيق الامر حتى لا يحصل أي حيف ولا نزاع وما يقرره المندوبان يكون نافذاً

(المادة الرابعة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين برد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم إليهم أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لاحكام مملكتهم وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أي شيء من الحقوق والاملاك التي تكون لرعايا الفريق الآخر في بلاده ولا يعرقل استثمارها أو أي نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها .

(المادة الخامسة عشرة)

يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة أو الاتفاق معه على أي أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر أو يضر ببلاده أو يكون من ورائه احداث المشكلات والصعوبات له أو يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للاخطار .

(المادة السادسة عشرة)

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الاخوة الاسلامية والعنصرية العربية أن أمتهما أمة واحدة . وأنهما لا يريدان بأحد شراً ، وأنهما يعملان جهدهما لاجل ترقية شئون أمتهما في ظل الطمأنينة والسكون ، وأن يبذلا وسعهما في سائر المواقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهما غير قاصدين بهذا أي عدوان على أية أمة .

(المادة السابعة عشرة)

في حالة حصول اعتداء خارجي على بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية :

أولا — الوقوف على الحياد التام سراً وعلناً .

ثانياً — المعاونة الادبية والمعنوية الممكنة .

ثالثاً — الشروع في المذاكرة مع الفريق الآخر لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق ومنع الضرر عنها والوقوف في موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدي الخارجي .

(المادة الثامنة عشرة)

في حالة حصول فتن أو اعتداءات داخلية في بلاد أحد الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهد كل منهما تعهداً متقابلا بما يأتي :

أولا — اتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الثائرين من الاستفادة من أراضيه .

ثانياً — منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم اذا لجأوا إليها كما هو موضح في المادة (التاسعة والعاشرة) أعلاه .

ثالثاً — منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين وعدم تشجيعهم أو تموينهم .

رابعاً — منع الامدادات والارزاق والمؤن والذخائر عن المعتدين أو الثائرين

(المادة التاسعة عشرة)

يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما في عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية وتزييد الاتصال بين بلاديهما، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما ، وفي إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركي يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية بتوحيد الرسوم الجركية في عموم البلادين أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين ، وليس في هذه المادة ما يقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين في أي شيء حتى يتم عقد الاتفاق المشار إليه.

(المادة العشرون)

يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداده لان يأذن لممثليه ومندوبيه

في الخارج إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر متى أراد الفريق الآخر ذلك في أي شيء وفي أي وقت، ومن المفهوم أنه حينما يوجد في ذلك العمل شخص من كل من الفريقين في مكان واحد فانهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل العائد لمصلحة البلادين التي هي كأمة واحدة . ومن المفهوم أن هذه المادة لا تقيد حرية أحد الجانبين بأي صورة كانت في أي حق له ، كما أنه لا يمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطراره لسلوك هذه الطريقة .

(المادة الحادية والعشرون)

يلغي ما تضمنته الاتفاقية الموقع عليها في ٥ شعبان ١٣٥٠ على كل كل حال اعتباراً من تاريخ إبرام هذه المعاهدة

(المادة الثانية والعشرون)

تبرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة صاحبي الجلالة الملكيين في أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين في ذلك، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء ما نص عليه في المادة الاولى من إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع ، وتظل سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة ، ويمكن تجديدها أو تعديلها خلال الستة الاشهر التي تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فان لم تجدد أو تعدل في ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى ما بعد ستة أشهر من اعلان أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته في التعديل .

(المادة الثالثة والعشرون)

تسمى هذه المعاهدة بمعاهدة الطائف وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة بيد كل من الفريقين السامبين المتعاقدين نسخة واشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين المفوضين توقيعه .

وكتب في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

(التوقيع) عبدالله بن أحمد الوزير

الاصلاح والتجديد الاسلامي

﴿ في المعاهدة الاسلامية العربية، بين الدولتين السعودية واليمانية ﴾

(وإقرار الافرنج بفضل العرب عليهم)

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ

لقد كنا في خوف ووجل في بداية هذه الحرب أن تفتح بابا للتدخل الاجنبي في جزيرة العرب فمنّ الله علينا ووقانا هذا الشر ، ولقد كنا في خوف ووجل من نهايتها أن تضرم سعير الاضغان المذهبية ، وتؤرث أحقاد الآثار العربية، فيتغلغل الفساد ، ويتسلسل البغي والعدوان ، فمنّ الله علينا وبدلنا بالخوف أمنا، وأعاضنا من الحرب سلماً ، ومن العداوة وداً ، ومن الاختلاف ائتلافا ، ومن التقاطع والتدابر ، أفضل وسائل التواصل والتناصر ، والتعاون على البر والتقوى ، فقد عقد الامامان المؤمنان المسلمان العربيان العاقلان الحكيمان معاهدة أخوة اسلامية وصداقة عربية ، ترضي الله عز وجل من فوق عرشه ، وتسرّ روح رسوله المصطفى ﷺ في الرفيق الاعلى من جوار ربه ، وتغتبط بها أمته في مشارق الارض ومغاربها ، وتفاخر بها دولتا قومه العرب الدول الغربية وأمم الحضارة كلها ، فيما تزعم من تفوقها في آداب دينها وحكمتها ، وعلومها وسياستها

نعم إن قوم محمد وأمة محمد ﷺ لتفاخر بهذه المعاهدة السعودية اليمانية دول الارض وأممها فتفخرهن وتفضلهن وتبذهن وتعلوهن علواً كبيراً، فقد أراهن إماما المسلمين من أخوة الاسلام وآدابه وأخلاقه وفضائله وفواضله ما أنطق أفصح صحفهن المتكلمة بألسنة أرقى شعوبهن، وقائداً عسكريا من أكبر قوادهن، بهذا الفضل الكبير لهداية الاسلام في أشد شعوبه اعتصاما بحبله ، وأقوم دوله باقامة شرعه ، وأصدق ملوكه في تنفيذ حكمه، من قوم نبيه ورسوله، في مهد ظهوره ، ومشرق نوره ، على الدول المسيحية ، وشعوب المدنية ، على بعد التفاوت بين الفريقين (فريق المسلم العربي، وفريق المدني الغربي، وكذا الشرقي كاليابان والصين) في الوسائل المادية ، وفنون الحضارة ، وسعة الثروة ، وحقائق العلوم ودقائق الفلسفة ،

رأي جريدة التيمس بل الأمة الانكليزية في المعاهدة

عقدت جريدة التيمس فصلا افتتاحيا بمناسبة عقد الصلح في بلاد العرب قالت فيه : ان على امام اليمن أن يشرح لأفراد أسرته الذين أكثروا من انتقاده ، ولرعاياه الذين تملكهم السخط والغضب الاسباب التي دعت إلى انكساره، على أن الامام كان سعيد الحظ من وجهة واحدة هي أن خصمه عقد معه صلحاً ينطوي على السخاء والكرم ، فلم يضم إلى ملكه بلاداً تستطيع اليمن أن تدعي فيها حقا صحيحاً ، ولم يفرض عليه تعويضاً حربيا كما يفعل الغالب مع عدوه المغلوب ، وإنما قيده كما قيد نفسه بعهود تتضمن صداقة الجوار

« إن في معاهدة الصلح لمثلا بل عدة أمثال ، تشهد بالتعقل والاعتدال، أما ماتضمنته من رابطة الاخاء المشتركة بين جميع العرب ، وهي الرابطة التي ستكون من الآن فصاعداً هي العامل الوحيد في ضبط العلاقات بين المملكتين ، فعلى أعظم جانب من الاهمية وخطر الشأن، فالوهابيون يعدون دائما من الطوائف المتعصبة ، كما أن المعروف عن الزيود أنهم ليسوا أكثر منهم تسامحا ، ولكن هذه الاختلافات الدينية لم تمنع الغالب والمغلوب من توقيع معاهدة صداقة اسلامية ترمي إلى تعزيز روابط الاتحاد وإعلاء هيبة الأمة العربية المستقلة وصيانة كرامتها واستقلالها . والواقع أن مواد المعاهدة تدل بصفة قاطعة على أن هذه الكلمات لها أهمية أخرى تفوق أهميتها الرسمية

«بيد أن هذا التقدم في سبيل الوحدة العربية لا يمكن أن تهمله الدول الاوربية ولا سيما بريطانية التي عقدت أخيراً معاهدتها مع امام اليمن

«وقد نشرت معاهدة الصلح في مكة والقاهرة ودمشق وصنعاء في وقت واحد ولهذا الامر مغزى يستحق اهتمام المتطرفين من الصهيونيين الذين لا يستطيعون أو لا يريدون أن يدركوا أن فلسطين لا تزال بلاداً عربية تحيط بها أرض عربية

«وأما روح المعاهدة فيجدر برجال السياسة من المسيحيين أن يقارنوا بينها وبين معاهدات الصلح الاوربية الاخيرة » اه ماخلصته البرقيات من مقالة التيمس

كلمة لجنرال انكليزي في عظمة الاتفاق الاسلامي العربي

ونشرت الجرائد المصرية خلاصة خطاب (للجنرال هاملتون) الانكليزي ألقاه في مأدبة أدبت له في سيلان (الهند) تكلم فيه عن الحرب في جزيرة العرب وما أطفئت به نارها قبل أن يشتد اوارها بالصلح الشريف ، وأثنى به أحسن الثناء على الملكين في تسامحهما وسرعة تصافيهما ، وكون الغالب لم يجهز على المغلوب ، بل لم يحاول إرهاقه ولا إضعافه ولا النيل من كرامته وشرف مكانته بأدنى انتقام يورثه وقومه حقداً ، أو يحملهم ضغنا ، بل أمضيا كلاهما اتفاقا عسكريا عادلا نشراه على العالم الاسلامي في صورة معاهدة وصداقة اسلامية عربية شريفة بين أخوين متساويين في جميع الحقوق ، وثقت الروابط الودية القوية بين المملكتين ليقفا معاً متعاونين تجاه كل عدوان خارجي يهدد جزيرة العرب .

وشبه هذا الاتفاق الذي احتقر فيه الانتقام الشرس السيء العاقبة ـ بما فعل ولنجتون الانكليزي مع فرنسة في خاتمة حروب نابليون (نقول: ولكن بعد ما كان من أشد الانتقام) وبما فعل كتشنر في الاتفاق مع البوير (نقول ولكن بعد ما كان من التنكيل والتدمير) ثم قال الجنرال ما ترجمته: « انني أقول هذا أيها السادة لانني أرى الدول المسيحية في اضطراب دائم ، ونضال هائل ، تجرد به حساما ثقيلا رهيبا ثم تعلقه بعد فتكه الذريع فوق رأس أوربة بخيط واه [كخيط العنكبوت] هذه حال الدول المسيحية الآن ، وهي من سوء الخطر بالقدر الذي تبصرون »

هاتان شهادتان من شهادات كثيرة من مصدرين من أعلى مصادر انكلترة السياسية والعسكرية التي لم تكن تعترف للاسلام ولا للعرب وللشرق بفضل كبير مثل هذا لولا الدهشة والروعة التي فجأتهما ، وإرادة التنبيه لما تعقبه هذه المعاهدة من حياة إسلامية عربية جديدة يجب أن يحسب لها أوربة كلها وانكلترة وصهيونيتها كل حساب.

فالحق الذي عرفته أوربة وعرفه العالم كله ان هذين الملكين العربيين ، والامامين المسلمين ، قد ضربا للعالم ما يعبر عنه في لغة هذا العصر بالمثل الاعلى للاخلاق الاسلامية ، ولن تستطيع دول أوربة أن تقتدي بهما فيها ، فالمسلمون بهداية الاسلام أرقى الامم أخلاقا وعدلا وإنصافا ، وإنما تنقصهم الفنون التي تنهض

بعمران بلادهم وتجديد قوتهم في ظل هذين الامامين العظيمين ، وبهذا يعترف العالم كله بفضل الاسلام وتوقف الكمال المدني على هدايته كما بيناه في كتاب الوحي المحمدي

وخلاصته ان جميع ما بلغته تلك الشعوب من العلم والفلسفة والعقل والحكمة وفنون الحضارة ، وغرائب الصناعة لا يغنيها عن هداية الاسلام فيما هو أعلى منه من تزكية النفس البشرية ، وتطهيرها من أرجاس الرذائل الشيطانية ، كعبادة الهوى والمال والشهوات والطمع والحسد والمكر والكذب والخداع ، والظلم والبغي والعدوان ، وتحليتها بأضدادها من الفضائل السامية بالايمان بالقرآن ، واتباع ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد وقع التنازع بين دولتين نصرانيتين أمريكيتين مدنيتين (هما بوليفيا) وبارغواى على بقعة من الارض لا تساوي واديا من أودية جبل عسير الخصبة ، ولا جبلا من جباله المنيعة ، فاستحر القتال بينهما منذ سنتين ، وعجزت جميع الدول والامم المشاركة لهما في الدين وغيره من الاصلاح بينهما ، ووقعت قبل ذلك أرقى دول أوربة في الحرب الكبرى ، وجذبوا إليها دولة أمريكة العظمى ، وكثيراً من الدول الصغرى ، فكان من سفك الدماء ، وتقويض دعائم العمران ، بمنتهى ما وصل إليه العلم والفنون المادية من وسائل التخريب والتدمير ، مالم يعهد له التاريخ نظيراً ولا خطر على قلب بشر أن يحدث مثله ، حتى اذا عجز أحد الفريقين المتقاتلين عن استمرار الحرب ، وجنح إلى مادعا اليه أقربهم إلى الانسانية وفضيلة الدين المسيحي من السلم ، وهو الدكتور (ولسن) مصدقاً ماوضعه من شرائط الصلح ، وألقى هذا الفريق سلاحه ، قلب له هذا الفريق المنتصر ظهر المجن ، وأكرهوه على إمضاء شر معاهدة وضعها الغالب لارهاق المغلوب وإذلاله ، كانت سبباً لما تشكو شعوب أوربة كلها من سوء عاقبته ، وهي مانهى عنه الله تعالى بقوله (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) الخ

الاصلاح الديني والسياسي في المعاهدة

لقد جاء الاسلام بكل مايحتاج إليه البشر من الاصلاح الديني والدنيوي ولولا مانفث فيه من سموم الشقاق السياسي الذي فرق الكلمة وشق العصا لساد العالم كله ، مغربه وشماله بعد شرقه وجنوبه ، وقد وضع في هذه المعاهدة كلمتان

خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان لو رصعتا باللؤلؤ والمرجان ، في لوح من خالص العقيان، لما وفى بقيمتهما ، وما يجب من حق قدرهما ، هما: الاخوة الاسلامية والصداقة العربية ، فان وضعهما في معاهدة سياسية رسمية وقعها الملكان العربيان، والامامان الدينيان للفرقتين العظيمتين أهل السنة والجماعة من جهة، والشيعة المعتدلة من الجهة الثانية ـ لهو أكبر رجاء وخير أملا من كل ما كتب حكماء المسلمين المصلحين في الدعوة الى جمع كلمة المسلمين والتأليف بينهم واعادة مجد الاسلام وهدايته من المقالات والرسائل المتفرقة في الرسائل الخاصة والصحف العامة منذ خمسين سنة، وأجمعها مابثثناه في مجلدات المنار من أولها إلى هذا وهو الرابع والثلاثون منها ، وقد نشرت في سبع وثلاثين سنة .

وانه لهو أكبر رجاء وخير أملا (أيضاً) من كل ما كتب المشتغلون بالسياسة العربية والمؤلفون لجمعياتها السياسية من الدعوة إلى وحدة هـذه الامة وإحياء حضارتها ، وتجديد مجدها ، وإعادة استقلالها ، ومن أحكمها جمعية الجامعة العربية التي كان صاحب المنار يراسل باسمها ثم باسمه هذين الامامين وغيرهما بالدعوة إلى الحلف والاتفاق منذ سنة ١٣٣٠ إلى هذه السنة التي وصل فيها الخوف من الخيبة إلى أقصى حده ، ولم يلبث أن زال وحل محله الرجاء بفضل الله وحمده ، ـ وإنما كان مافعله الامامان أكبر من كل ما ذكر لانه تنفيذ عملي له

ان جريدة التيمس قد صرحت بذكر ماكان يعد أكبر مانع من هذا الاتفاق من حيث غفل عنه أو جهله أكثر محرري الجرائد العربية ، وهو التعصب الديني المذهبي الذي اشتهر به أهل نجد وسكان جبال اليمن فان الاخصائيين من كتاب الانكليز في الامور الاسلامية يعلمون من التعصب بين السنيين والشيعة في العراق والهند ما لا يعلمه أحد في مصر التي لا يخطر لاهلها التعصب الديني ببال

وأما صاحب المنار فقد درس هذا من جميع أنحائه ، وأحاط بما في مطاويه وأحنائه ، وطالما دعا الى تقويم أوده وسعى لعلاج أدوائه ، وكان من تمهيده الخفي لهـذا الاتفاق الاسلامي الجلي ما تراه في الرسالة الثالثة من رسائل كتاب (الهدية السنية ، والتحفة الوهابية النجدية) من رأي علماء الوهابية الاعلام في

الزيدية والشيعة ، وما علقته عليه وهو ما قاله العلامة الشيخ عبدالله بن الامام المجدد الشيخ محمد عبدالوهاب في مكة المكرمة مبيناً لاهلها خطتهم ورأيهم في المذاهب وهو :

« ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الامام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية(١) ونحوهم لانقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة(٢) ل نجبرهم على تقليد أحد الائمة الاربعة » اه (ص ٤٤ طبعه أولى)

وظاهر هذه العبارة أنهم لا يأذنون لاصحاب هذه المذاهب بالاقامة في الحجاز الا إذا تركوها واتبعوا أحد مذاهب أهل السنة وهذا من أشد التعصب الذي كانوا يوصفون به وهو يزيد الشقاق بين المسلمين فالتمست لها تخريج مهدت به للاتفاق بأن علقت على كلمته الاولى في حاشيتها بما نصه :

(١) ان كلمة الرافضة التي وضعت لغلاة الشيعة تشمل الباطنية وآخرين دون الزيدية ومعتدلي الامامية . والظاهر أن صاحب هذه الرسالة ووالده لم يطلعوا على كتب الزيدية في الفقه ، ولو اطلعوا عليها لعلموا ان فقههم مدون ، وكذلك الامامية ، وان الفرق بينه وبين فقه الاربعة قليل قلما قال أحد مجتهديه قولا انفرد به وخالف الاجماع قبله ، وكيف وهم يحتجون بالاجماع وعمل السلف ؟ وكذا بأحاديث دواوين السنة المشهورة كالكتب الستة . وقد كان مشايخنا يقولون كما قال مشايخ نجد : ان سبب حصر التقليد في فقه الاربعة دون سائر مجتهدي الامة هو تدوين مذاهبهم دون غيرها . وهذا غلط سببه عدم الاطلاع

وعلقت على الثانية بما نصه :

(٢) أي لا نقر — بصفتنا حكام البلاد — أصحاب المذاهب غير المضبوطة أن يظهروا شيئا من مذاهبهم الفاسدة بالاجماع كأقوال الباطنية بأن لأحكام العبادات معاني غير الظاهر الذي عليه العمل وبوجود إمام معصوم في كل عصر يجب اتباعه في كل ما يقول ، وكسب غلاة الرافضة للشيخين (رض) وبراءة الخوارج من الصهرين (رض) ومقابل قوله « ظاهراً » انهم لا يحاسبون أحداً على ما يخفيه من أمثال هذه المسائل إه

وكنت جريئا أي جريء في هذا التعليق وفي حواشي أخرى من مطبوعات جلالته المصلحة الاسلامية وأنا أعلم انني لا أسلم من سخط علي قد يتبعه ضرر ، وقد حصل ، وقد ظهر الآن صحة قولي وسداده في هذه القضية وسيظهر غيره في

غيرها ، ولكل أجل كتاب ، على أن علماء نجد لم ينكروا عليَّ هذه التعليقة ، وقد نشرنا ستة عشر ألف نسخة من هذا الكتاب مجانا في الاقطار، فكان بعد نشره وإقرار علماء نجد له من تعصب بعض علماء الشيعة في سورية والعراق أن ألفوا الكتب والرسائل في تجديد الخصام ، ومنها سفر كبير حاول ملفقه وهو من سادة علماء جبل عامل وسكان الشام ، إخراج الوهابية من حظيرة الاسلام ، ثم كان ما أظهرته الشيعة في مؤتمر النجف طعنا فيهم ، وتكفيراً لهم ، وتحريضا عليهم ، ثم ما حدث بعد ذلك في العراق من التنازع الوطني بين أهل المذهبين ما كاد يفضي الى حرب أهلية لولا الثورة الاشورية كما قال لنا الملك فيصل رحمه الله تعالى

لقد كان هذا الشقاق من أول عهده شر الدواهي والمصائب التي أضعفت الاسلام دينا ودولة ، ومنها أنه كان من أقوى الوسائل لاخضاع الانكليز لملك الاسلام في الهند ، حتى انهم كانوا يلقبون بعض جيوشهم بألقاب سنية ، وبعضها بألقاب شيعية جعفرية، وكانوا يرجون أن ينالوا مآربهم من جزيرة العرب بمثل ذلك الشقاق بين اليمن ونجد ، فخيب هذا الاتفاق أملهم ، وراعهم منه ما راعهم من اتفاق شاهي الترك وإيران، ومايقال (ويا ليته يصح) من احتمال إشراك العراق فيه والافغان ، ولولا سبق إمامي جزيرة العرب إلى هذا الاتفاق، لقيل ان الجامع بين الشاهين إنما هو نبذهما لعقائد الاسلام ، لانه هو المفرق بزعمهم ، والحق أنه دين التوحيد والتأليف ، وانما فرقت بين أهله السياسة ، فقد كان سببه التنازع في الامامة فمزق طوائف الشيعة الباطنية من الاسلام، ووقف الاثنى عشرية بها عند المهدي المنتظر، قل فانتظروا انا منتظرون ، ولنتفق الآن فخير للاسلام أن يظهر ونحن متفقون ، على أن يكون كل أحد حرا في مذهبه ولا يتعرض لمذهب غيره بما يسوءه وينفره ويشعره بأنه عدوله ، من قول أو فعل ، كتقسيمهم الى أقلية وأكثرية ، وطلب جعل أعمال الدولة مذهبية

كان الترك يقاتلون إمام اليمن كما قاتلوا الفرس من قبله لاختلاف المذهب في الظاهر ، وللطمع السياسي في الباطن، ولما حل الملك السعودي في الحجاز محلهم كان أول شيء سعى هو الاتفاق مع الامام الزيدي وعقد الحلف معه، وما زال يخطب

وده ويطلب عهده بوسائل الرسائل وإرسال الوفود حتى تم له ذلك في هذا العام، فمن عاد بعد اليوم إلى إثارة النزاع والخصام، فهو عدو الله ورسوله ودينه الاسلام، فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام، لانه إنما يبغي منفعة نفسه، والجر لقرصه، وإن كان فيه الشقاء لاهل دينه وجنسه

التمهيد بالمعاهدة للوحدة العربية

لقد وضع بهذه المعاهدة أساس الوحدة العربية التي ينشدها العرب في كل مكان ولم يبق لاكمالها من هذا الجانب الدولي إلا إتمام ما بدأ به الملك فيصل (رحمه الله تعالى) من الاتفاق مع الدولة العربية السعودية، ومانظن بجلالة نجله ووارث سياسته الملك غازي ورجل دولته من رجال الدعوة العربية وثورتها إلا أنهم متممون له، وإنا نكتفي من هذه المسألة الآن بنقل برقيتي التهنئة بين الملك غازي والملك عبد العزيز أعزهما الله تعالى

﴿ البرقية الاولى ﴾

جلالة الاخ الملك عبد العزيز آل سعود

لقد استبشرنا كثيراً بمعاهدة الصداقة الاسلامية والاخوة العربية بين جلالتكم وجلالة الامام يحيى والتي نرجو أن تكون خطوة جديدة لتوثيق الاخوة والاتحاد بين الاقطار العربية الشقيقة وفقكم الله لما فيه خير الامة العربية (غازي)

﴿ البرقية الثانية ﴾

جلالة الاخ الملك غازي

نشكر جلالتكم على ما تفضلتم به من السرور والاستبشار بمناسبة معاهدة الصداقة الاسلامية والاخوة العربية التي عقدت بيننا وبين أخي الجميع الملك الامام يحيى. وان الاخوة الاسلامية والعربية التي حققتها تلك المعاهدة بيننا وبين أخينا الامام يحيى هي التي سعينا ونسعى إليها على الدوام مع العرب جميعاً، لجمع كلمة العرب والتآخي بينهم لما فيه صلاح لهم في دينهم وعزلهم في دنياهم، وسترونني على الدوام ان شاء الله عاملا على كل ما يجمع الله به شمل المسلمين عامة والعرب خاصة، وثقتي بالله ثم بجلالتكم وبسائر رؤساء العرب أن تتكاتف جهودنا لجمع كلمتنا لما فيه حفظ كياننا وسلامة أوطاننا وعز شعبنا العربي. ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً للعمل لما فيه حياة الامة الاسلامية وتوطيد الاخوة العربية (عبد العزيز)

تفسير المنار

كلمة خالصة لوجه الله

(نشرها في القطم الاستاذ العالم الاصلاحي المستقل ، والكاتب العصري المستدل ، السيد الشيخ محمود أبو رية)

كنت أتمنى من زمان بعيد أن أظفر بتفسير المنار ، وظلت هذه الامنية تعتلج في نفسي حتى قيض الله لي في هذه الايام أن أحصل على أجزائه التي صدرت منه ، وما إن قرأت بعض هذه الاجزاء حتى ألفيتني تلقاء شيء لا عهد لي به من قبل في كل ما قرأته من التفاسير ، واستبان لي أن هذا التفسير نسيج وحده ، فريد في موضوعه

لقد قرأت كثيراً من التفاسير التي وضعت لكتاب الله ووقفت على طريقة كل مفسر ممن قرأت ، وعلى أنهم رضي الله عنهم قد أتوا بما استطاعوا أن يأتوا به مما تأدوا اليه بعلومهم وأزمانهم وأمكنتهم ، فانهم لم يصلوا في كثير مما فسروا إلى حقيقة دين الله واظهار أحكامه وشرائعه كما أوصى الله بها ، وانك لتراهم في سيرهم ، كأنهم مقيدون بسلاسل من أقوال غيرهم ، فلا يفسرون كتاب الله بما ينبعث من نوره ، وما يستنبط من آياته ، وبما تبينه سنة الله في عباده ، ولكنهم يشحنون تفاسيرهم بقبائل مختلفة من آراء من سبقهم من غير أن يمحصوا هذه الآراء ليعرفوا صحيحها من باطلها ، أو يحملوا أنفسهم على نصب البحث ليزنوا مقدار من قالها ، وظل كتاب الله كما قال حكيم الاسلام السيد جمال الدين بكراً لم يفسر

أما تفسير المنار الذي أخرجه في هذا العصر حجة الاسلام الامام الثقة الحافظ السيد محمد رشيد رضا ليكون هداية للمسلمين في مشارق الارض ومغاربها ، فانه يمتاز من كل التفاسير التي سبقته بمزايا جليلة لو ذهبنا نستقصيها لطال بنا

سبيل القول ، ولاحتاج ذلك إلى مقالات مستفاضة ، ذلك بأن هذه المزايا متعددة المفاحي، كثيرة النواحي ، وبحسبنا اليوم أن نقول في صراحة وإخلاص بغير أن يتوهم أحد أنا نجنح إلى المغالاة : إن هذا التفسير خير ما وضع لبيان مقاصد كتاب الله وشرح أحكام دينه في عقائده وعباداته وفضائله وآدابه وحلاله وحرامه كما أراد الله أن تكون، لا كما أراد الناس بآرائهم وأهوائهم ، وإنه فيض إلهي أفاضه الله على قلب وارث النبوة السيد محمد رشيد، فخرج آيات تكشف عن نور القرآن الكريم، ليبدو في هذا العصر كما بدا في زمن البعثة النبوية والصدر الاول زاهراً باهراً

وإني ليخيل لي وأنا أتلو هذا التفسير الجامع كأن رسول الله ﷺ هو الذي يملي على مفسرنا الامام معاني آيات الكتاب العزيز ، ويبين للمسلمين أصول العقائد الاسلامية والمقاصد الدينية ، كما أراد أن يبلغها عن ربه بريئة من شوائب الشرك وغوائي الوثنية

ومما راعني في هذا التفسير ما آنسته متجلياً في كل مسألة من العلم الغزير بالمعقول والمنقول، والاحاطة الشاملة بالسنة المحمدية والتمييز بين صحيحها وضعيفها، وما ثبت منها وما لم يثبت، وسعة الادراك للعلوم الشرعية ، والاطلاع على العلوم الاجتماعية والنفسية، ومناقشة الرواة والعلماء ورجال الجرح والتعديل في بعض رواياتهم وآرائهم وأحكامهم، حتى يتبين الصالح منها والصحيح، دع ما أوتيه إمامنا من بلاغة العبارة ودقة الذوق البياني الذي ينفذ إلى أسرار الاعجاز فيجليها في أحسن معرض

أما المسائل العويصة والامور المستغلقة التي اختلف فيها المفسرون فلم يكشفوا عن وجه الصواب منها، ولم يهتدوا إلى مقطع الحق فيها، فانك تجد مفسرنا الامام بعد أن يسوق كل ما قيل فيها من أقوال من سبقوه يتولاها بالعلم والحكمة ، ويريغها(١) بنور البصيرة وثاقب الذهن، ولا يزال بها حتى يخرجها نيرة كفلق الصبح

ويأبى عليه انصافه وعلمه إلا أن يتقبل من آراء غيره ما يجد فيه الصواب، ولا يدع من أصاب في رأيه من غير أن يزجي له الثناء والحمد

وأما الآراء الفاسدة والتأويلات الباطلة فلا يني في دفعها والقضاء عليها ،

(١) المنار : هي من الاراغة أي يعالجها ويحاول الظفر بها محاولة المراوغ

وله حملات شديدة على الخرافيين وعباد القبور فيضربهم بالحجج البالغة، ويخزهم بسنان الحق وخزات موجعة، وذلك لكي يطهر العقيدة الاسلامية الصحيحة مما أصابها من نزغات الشرك، وينفي عنها هذا الخبث الذي نالها من المتنطعين الذين يحسبهم الناس من رجال الدين وما هم منه في شيء

وتراه لقوة حجته ومتانة أدلته ومبالغته في التحقيق والتمحيص لا يدع لأحد مهما رسخت قدمه في العلم أن يتصفح[1] عليه أو ينقض مما قاله كلمة أو رأيا

لقد كنا نرجو أن ينهض علماء عصرنا إلى كتاب الله العزيز فيدرسوه ويتدبروا آياته لكي يثبتوا لأهل هذا العصر أن كتابهم صالح لكل زمان ومكان، هاد لكل رقي وعمران، على أن يكون عملهم هذا بعيداً عن (مباحث الاعراب وقواعد النحو، ونكات المعاني ومصطلحات البيان، وجدل المتكلمين، وتخريجات الاصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب وكثرة الروايات، مجانباً ما سرى إلى أكثر التفاسير من زنادقة اليهود والفرس ومسلمة أهل الكتاب)

كنا نرجو منهم ذلك ولكننا رأيناهم قد أخلدوا إلى مهاد الدعة، واكتفوا بأن يقلدوا في دينهم من سبقهم من شيوخهم، أما هذا الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ ليكون هدى للناس ورحمة، فلا بأس من أن يجلس للتبرك به، وأن يتلى في الطرق وعلى الموتى وفي الراديو. ثم لا ضير من أن نعيش مع الناس بأجسامنا في هذا العصر، وندع عقولنا تحيا مع أهل القرون المظلمة

وكان في النفس حسرة وفي القلب لوعة من هذه الحال التي وصل إليها المسلمون في هذا العصر المتحرك العامل ولكن الله سبحانه الذي وعد بحفظ (الذكر) الذي أنزله — وحفظه بالعمل به، ولا يتأتى العمل به إلا بتبيينه ولا يبينه إلا وارث للنبوة — قيض له في هذا العصر الامام الكبير الحافظ السيد محمد رشيد رضا، ذلك الذي ورث علم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده، فأنشأ

(١) المنار: تصفح الشيء أو الكتاب تأمله ونظر في صفحاته باحثا. ولعله عداه بعلى لتضمينه معنى الاستدراك

يفسره على طريقته القويمة التي لا يفسر الكتاب العزيز بغيرها ، والتي ما جاء الدين الاسلامي إلا بها ، ولا عمل الرسول ﷺ إلا عليها ، تلك هي فهم الكتاب العزيز من حيث هو (دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا والآخرة)

وإذا كانت الاصول الدينية قد جاء بها الكتاب وبينتها السنة الصحيحة، فان تفسير المنار الذي هو منار التفاسير قد أوفى على الغاية من بيان ذلك، ولا غرو فهو التفسير الوحيد (الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول ، الذي بين حكمة التشريع ،وسنن الله في الاجتماع البشري وكون القرآن هداية عامة للبشر في كل زمان ومكان، وحجة الله وآيته المعجزة)

فتفسير هذه صفته وذلك أمره، يجب على كل مسلم يريد أن يعرف دين الله ـ دين السلف الصالح ـ دين الفرقة الناجية ـ أن يعكف عليه ويتدبره ليصبح من الناجين

هذه كلمة خالصة أملاها علي وجداني وأنا أستمتع بكنوز هذا التفسير، أرسلها صادقة إلى جميع إخواني المسلمين في مشارق الارض ومغاربها، وآمل منهم أن يضرعوا إلى الله معي أن يطيل في حياة هذا الامام حتى يتم رسالته باتمام تفسير كتاب الله وأن يزيده من فضله ويبقيه ذخراً الاسلام والمسلمين (محمود أبو ريه)

(المنار) نشكر للاستاذ كاتب هذا التقريظ إخلاصه في ثنائه وإطرائه ، وحسن بيانه لما اعتقده وفاض من وجدانه ، فقد صدر المقطم الذي نشره له في مساء الحادي عشر من ربيع الاول فقرأه في الليل جماعة من العلماء والادباء الازهريين وغيرهم كانوا يسمرون عندنا بدار المنار في ليلة ذكرى المولد النبوي الشريف فاتفقوا على انه كلام عالم معتقد مخلص كتبه لوجه الله تعالى كما قال . فأما ما قاله في غرضي وقصدي من هذا التفسير وطريقتي فيه فهو كما قال ولله الفضل والشكر، وأما أطرائي به من سعة العلم والحفظ فهو مبالغة منحني بها ما هو أكثر مما عندي، فان حفظي قليل ولا أقبل من كلام العلماء الا ما اعتقد، وإنما بضاعتي التي أرجو نفعها للناس وقبولها عند الله عز وجل فهي الاخلاص في تحري الحق الذي أنزل الله به وله القرآن ، وبيانه بما يفهمه أصناف القراء ويرجى أنه يؤثر في قلوبهم بقدر استعدادهم ، وحسب الامكان وحال الزمان، ولا أزال طالباً للعلم آسفا لضيق الوقت عن تحصيل كل ما أحب من الاستزادة منه

﴿ كشف بقية شبهات العالم النجدي، في كلمات من كتاب الوحي المحمدي ﴾

(٢)

(انتقاده قولنا ان حرب النبي ﷺ كانت دفاعا والجواب عنه)

قال ان « معنى ذلك أن حرب الكفار وقتال المسلمين اياهم لايجوز الا اذا قاتلونا ، والكلام عليه من وجوه » وذكر سبعة وجوه

أقول إن هذا المعنى الذي فسر به المسألة غير صحيح ، لا يدل عليه قولنا باللفظ ولا بالفحوى ، بل فيه مايبطله ، فقولنا ان قتال النبي ﷺ للكفار كان دفاعا وكانوا هم المعتدين فيه ، قضية شخصية في واقعة حال فعلية، لاتدل على القضية السالبة الكلية التي استنبطها منها، وكان له أن يأخذها من النهي في الآية فحسب ولكنه جمع بين الامرين ، وانني أقول كلمة وجيزة في كل وجه من الوجوه السبعة التي سردها أبطله بها ثم أقول كلمة في أصل المسألة

(الوجه الاول) قوله « ان قتال المسلمين للكفار الذين لم يقاتلوهم لايكون اعتداء لانه لايكون الا بحق » لما علله به — ولوصح لايكون ناقضا أو معارضا لكون حرب النبي ﷺ كانت دفاعا لان الكفار كانوا هم المعتدين البادئين بها كلها كما هو ثابت بالواقع وبقوله تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة) ولكنه غير صحيح فان المسلمين غير معصومين في جميع حروبهم من اتباع الهوى ، ولا يكون مقاتلا في سبيل الله الا من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا واتبع أحكامه تعالى فيها ومنها أن لايكون ناقضا لعهد مع الكفار كما هو معلوم بالاجماع

وتفسيره الاعتداء بما فسره به مخالف لما جرى عليه المفسرون فقد فسروا النهي عن الاعتداء بعدم بدئهم بالقتال، اقتصر عليه بعضهم كالجلال وزاد عليه بعضهم كالبيضاوي احتمال كونه نهياً عن قتال المعاهدين ، وهو بمعناه أي نهي عن بدئهم بالقتال لابمعنى مافسره به المعترض من زعمه ان قتال المسلمين لايكون اعتداء قط لانه يقصد به انقاذهم من نار الجحيم، والمعاهدون منهم

وهذا التعليل يشبه ماتأول به السر ادوارد غراي الوزير البريطاني ما كانت قررته دولته وأحلافها في أول الحرب العلمية من وجوب حرية جميع الشعوب ومنع ضم الدول الغالبة لشيء منها إلى أملاكها ، فلما كان الفوز لهؤلاء الحلفاء قال الوزير البريطاني إنما يمتنع ضم الشعوب الضعيفة إلى الدولة الظافرة إذا كان يقصد به الظلم والكبرياء، وأما اذا كان يقصد به فائدتها والاحسان اليها بالعدل والحضارة فهو جائز، وربما قال انه واجب، يريد أن دولته تستولي على البلاد لخير أهلها لا لمنفعة نفسها

(الوجه الثاني) قوله « غاية ما تدل عليه هذه الآية الامر بقتال من قاتلنا مطوقا والكف عمن لم يقاتل مفهوما ، والمفهوم ليس بحجة عند أكثر العلماء الخ » وهو ممنوع بل باطل والحق ان الآية تدل على قتل من قاتلنا وعدم قتال من لا يقاتلنا بالمنطوق في كل منهما من أول وهلة . فقوله :غاية ماتدل عليه كذا خطأ ، وتعبيره بالكف في الثاني خطأ ثان، فان الكف إنما يعبر به عما كان بعد الشروع في الشيء ، وقوله بأن الدلالة على الكف بمفهوم لمخالفة خطأ ثالث،وقوله بأن هذا المفهوم معارض للمنطوق الصريح خطأ رابع. وقوله المفهوم ليس بحجة عند أكثر العلماء ذا لم يخالف غير صحيح على إطلاقه وانما فيه تفصيل لا محل لذكره هنا

(الوجه الثالث) قوله ان آية كذا وكذا وحديث كذا وما في معناه « كل ذلك عام شامل لمن قاتل ولم يقاتل » غير صحيح على إطلاقه،ولو صح لما كان وارداً علينا ، أما الاول فلأنه لو كان صحيحاً على إطلاقه لكان شاملا لقتال المعاهدين وهو باطل بالاجماع ، وأما الثاني فلأن عموم ماذكر لايدل على ان شيئاً من حرب النبي ﷺ كان ابتداء لادفاعا

ونزيد ذلك تفصيلا بأدنى مايحتمله بحث كهذا البحث هنا فنقول : ان قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) نزل بعد قوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) الخ فهو لبيان غاية القتال لا لبدئه ، ومعناه وقاتلوهم إلى أن يزول هذا النوع من اعتدائهم الموجب الاول لقتالهم وهو فتنة الناس عن دينهم بصدهم عن الاسلام.وايذاء من يدخل فيه بضروب الايذاء ،وقد بينا هذا في تفسير الآية من سورة البقرة ثم في تفسير أختها من سورة الانفال (ص٥٥٦ج٩ تفسير)

وأما قوله تعالى (٩ : ٢٩ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) فهو آية الجزية التي نزلت في بيان انتهاء قتال الموصوفين فيها من أهل الكتاب بإعطاء الجزية لا في بدء القتال وعمومه، فان القتال كان مشروعا قبل نزولها. وقد بينا ذلك بالتفصيل في تفسيرها من الجزء العاشر (ص ٢٨٠)

وكذلك حديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فهو في بيان انتهاء قتال المشركين اذا نطقوا بهذه الكلمة التي هي عنوان ترك الشرك وقبول الاسلام، لا في بيان شرعية قتال كل أحد حتى يقولها فان اليهود كانوا يقولونها

على اننا إن فهمنا كل ماذكر كما فهمه لا نراه ناقضاً لقولنا ان حرب النبي ﷺ كانت دفاعا فهذا بيان للواقع، وذاك بحث في أصل التشريع ولا تنافي بينهما، هذا لون وهذا لون، كما يقول ابن القيم في تعبيره عن الفروق

(الوجه الرابع) قوله: ان وصف القتال والجهاد المشروع في الكتاب والحديث بأنه ما كان في سبيل الله لا يفهم منه الدفاع فحسب - وهذا لا محل له في بحثنا وانما هو تلذذ أو إدلال بتكثير الوجوه . ذلك بأن موضوعه القصد والنية، وحاصله أن القتال والجهاد لا يكون قربة إلا بالنية المذكورة في الحديث، وأن ما كان بنية إظهار الشجاعة والحمية ومراءاة الناس فليس منه في شيء، فهو في وجوب الاخلاص في الجهاد كسائر عبادة لله تعالى، لا في عموم قتال الناس، وقد ورد في حديث الثلاثة الذين يكونون أول من تسعر بهم النار يوم القيامة : الشهيد، والمتصدق والقارىء، ماهو نص في قولنا وهو في صحيح مسلم. ولكن هذه الاحاديث حجة على المعترض في قوله السابق ان قتال المسلمين لغيرهم لا يمكن أن يكون اعتداء لأنه كله لاجل هدايتهم وانقاذهم من النار

(الوجه الخامس) لا يستحق أن يبحث فيه بعد العلم بما تقدم وبما يأتي

(الوجه السادس) ونصه دعوى باطلة بالبداهة وهي أنه قد علم بالاضطرار عند المسلمين وغيرهم « أنه لم يثبت أن كل من قاتلهم النبي والخلفاء الاربعة وغيرهم من أئمة المسلمين قاتلوا قبل أن يقاتلوا، وان مقام المسلمين معهم كان مقام دفاع عن النفس » وهذا خطأ من وجوه كالتعبير بالعلم الاضطراري في موضوع سلبي وجعله

عاما للمسلمين وغيرهم، فمتى كانت هذه القضية السلبية من القضايا الاضطرارية عند المسلمين وغيرهم ؟ إن هذا إلا غفلة عن معنى الاضطرار

ندع الخطأ في التعبير ونحصر الكلام في الموضوع فنقول انه قد أدخل فيه ماليس منه وهو حرب الخلفاء الثلاثة وغيرهم ، وانه لم يفهم مرادنا من حرب الدفاع فظن أنها عبارة عن كون الكفار هم الذين يبتدئون القتال في كل معركة، وهذا مخالف للواقع في كل زمان ومكان من القرون الماضية إلى زماننا هذا ، ورأيت كثيراً من الناس حتى المشتغلين بعلم الفقه وقراءة السيرة غافلين عن الحقيقة في هذا الموضوع

انما المعتدي المبتدىء بالقتال هو الفريق الذي أوجد حالة الحرب بالفعل أو بالقول، وإن لم يكن هو البادىء بعد وجودها في كل تعدو كل هجوم ، والمدافع هو المقابل له في الاعتداء والقتال، ولا يخلو من ابتداء بعض المعارك والاغارات. ففرنسة وأحلافها يقولون ان ألمانية كانت هي البادئة المعتدية في الحرب الدولية الاخيرة ، وأنهم كانوا هم المدافعين ، ولم يقولوا هم ولا غيرهم إنها كانت هي البادئة في كل معركة وكل تعد

ومن المعلوم بنصوص القرآن القطعية وبالاجماع ان المشركين كانوا هم المعتدين على المؤمنين بالقتال وغيره مما تقتضيه حالة الحرب التي أوجدوها، وان هذه الحالة قد استمرت إلى أواخر سنة ست من الهجرة إذ عقدت معاهدة صلح الحديبية، وتساهل النبي ﷺ فيها معهم حرصا على إبطال الحرب وتقرير حرية الدين ، ومنع فتنة المشركين للمؤمنين ، ثم ان المشركين نقضوا هذه المعاهدة فعادت حالة الحرب بطبيعتها إذ لا تبطل إلا بمعاهدة ملتزمة ، فكان هذا سبب فتح النبي ﷺ لمكة وما وليها من حرب الطائف وحنين ، فلا فرق بين هذه الحرب التي بدأ بها النبي والمؤمنون بالزحف، وبين غزوة بدر وأحد والاحزاب التي بدأها المشركون

وأول الشواهد على هذا من نصوص القرآن قوله تعالى (٢٢ ٣٨ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا — إلى قوله — ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) الخ

وأوسطها قوله تعالى (٦٠: ٧ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآيتين

وآخرها قوله عز وجل (٩ : ١٣ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة)

أفتغفلون أيها الفقهاء والمؤرخون عن القرآن وعن حقيقة الواقع بالفعل وتأتون بقضايا مخترعة تدعون أنها معلومة بالاضطرار عند المسلمين وعند جميع الناس ؟

(الوجه السابع) ما ذكره في سنته ﷺ في السرايا و الجيوش - ولم تبق حاجة الى الكلام في انه ليس من محل النزاع ، فانه كان يبعثهم لقتال أولئك المعتدين المشركين ويعلمهم أحكام القتال وآدابه من النهي عن الغلول والغدر والتمثيل وقتل الاولاد ، والامر بدعوتهم أولا إلى الاسلام وما يتبعه من الهجرة فالى الجزية ، وكذلك ما ذكره بعد هذا من الاشارة إلى الآيات ليس من موضوع النزاع وفيه أخطاء لا حاجة إلى بسطها والرد عليها

وجملة القول : ان كل ما أورده في الرد على قولنا لا يرد علينا منه شيء ، فجميع قتال النبي ﷺ للمشركين وأهل الكتاب كان دفاعا لا ابتداء حتى غزوة تبوك ، وأما حكم الجهاد في نفسه ومتى يكون واجباً عينياً ، ومتى يكون واجباً كفائياً ، فقد بينته في تفسير سورة التوبة بالتفصيل ، وبينت علله وأسبابه ، وأهمها بعد كف اعتداء المعتدين ، ومنع الفتنة والاضطهاد في الدين ، وجعله حراً خالصا لله رب العالمين ، حماية الدعوة إلى الاسلام ، ومن كان عارفا بتاريخ الامم والاقوام يعلم أن العرف العام بينها كان كعرف العرب وهو أن كل قومين ليس بينهما عهد فهما في حال حرب ، وإنما تقع الحرب بالفعل عند توفر أسبابها ، ولا يزال كذلك إلى يومنا هذا ، فان دول الافرنج يستبيحون الاعتداء على كل شعب أو حكومة ليس بينهم وبينها عهد ، ويفعلونه عند الحاجة إلا أن يمنعهم منه العجز أو التنازع فيما بينهم

(٣)

﴿ انتقاده إعطاء المرأة حق اشتراط عصمتها والجواب عنه ﴾

انني أشرت في عبارة الطبعة الثانية من كتاب الوحي إلى دليل من قال بهذه المسألة وهذه عبارتي فيها (من ص ٢٦٨) بل تجيز - أي الشريعة - للمرأة أن تشترط في عقد نكاحها جعل عصمتها بيدها لتطلق نفسها اذا شاءت بناء على ما ذهب اليه بعض

أئمة الفقه من صحة كل شرط غير مخالف لنص قطعي من الكتاب والسنة ولا سيما شروط الزوجية عملا بحديث « أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج) رواه البخاري في مواضع من صحيحه وأصحاب السنن اه

وقد كان ينبغي للأستاذ المنتقد أن يقتصر على السطرين الاولين من انتقاده ولا يزيد عليه مالا محل له هنا من إنكاره على أبي حنيفة هذه المسألة وغيرها من اجتهاده ، ومطالبتي بالدليل على ماينكره عليه ، ولا غير ذلك من الاسراف في الانكار والادلال بما عنده من العلم أو الرأي في أدلة الكتاب والسنة وطباع المرأة ، ووصفها بما وصفها به من العبارات الشعرية التي لاتدخل في باب الحجة

لاجل هذا أزيده بيانا لصحة هذا الحكم في ذاته ، بصرف النظر عن مقام قائله (وهو الامام أبو حنيفه) وكون الاجماع لاينعقد عند فقهاء السنة في عصره مع خلافه ، وبيانا لاسرافه فيما صور به المسألة من مخالفه الكتاب والسنة ، وجعلها من باب ولاية المرأة على الرجل في الامور العامة كامارة المؤمنين من جهة ، ومن مفاسد الاجتماع البشري في نظام البيوت والاسر من جهة ثانية ، ملتزما الاشارة الوجيزة فأقول :

(١) ان الاصل في العقود هو قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) فهذا نص عام في القرآن ، وهو صريح في أن الاصل في العقود الصحة حتى يقوم دليل مثله في القوة يخصصه فيؤخذ به في مورد تخصيصه ، والنساء كالرجال في صحة التعاقد معهن فيما لايخالف نصاً في الشريعة

(٢) ان الاصل في الشروط العامة حديث « المسلمون على شروطهم » رواه أبو داود والحاكم مرفوعا من حديث أبي هريرة بسند صحيح وهو مقيد بحديث « المؤمنون عند شروطهم ماوافق الحق من ذلك » رواه الحاكم عن أنس وعائشة وهو صحيح أيضاً . وذكر الحافظ في معناه حديث « المسلمون عند شروطهم إلا شرطا أحل حراما أو حرم حلالا » ولم يعزه ولا تكلم فيه

ويفسر هذا حديث « مابال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ماكان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، قضاء الله أحق ، وشرط الله أوثق ، وانما الولاء لمن أعتق » وهو حديث مشهور متفق عليه

سببه اشتراط بائعي بريرة أن يكون لهم الولاء ،وحكم الله ان الولاء لمن أعتق، فلم اراد مما ليس في كتاب الله ماخالف حكم كتابه كما قال المحققون

(٣) الاصل في شروط النكاح خاصة الحديث الذي أوردته في الطبعة الثانية من كتاب الوحي وذكرته آنفا ،وفي مذاهب الفقهاء في هذه الشروط أقوال فصلها الحافظ بن حجر في شرحه للبخاري منها التفرقة بين ماهو من مقتضى العقد وما ليس منه وهو مذهب الشافعي، وقال منها قول احمد وجماعة :يجب الوفاء بالشروط مطلقا اه فمذهب امام المعترض أوسع في هذه المسألة من مذهب أبي حنيفة

(٤) ان فقهاء الحنابلة وغيرهم قد أجازوا توكيل الرجل المرأة بأن تطلق نفسها وهو بمعنى اشتراطها أن تطلق نفسها فيرد عليه ما ذكره فيه ،

(٥) ان هذا الاشتراط والتوكيل ليس فيه شيء من ولاية المرأة على الرجل وانما هما نزول من الرجل للمرأة عن اختصاصه بالطلاق باختياره ، وهي لا تشترط هذا إلا اذا كانت تخاف أن يظلمها الرجل ظلما لا ترى لها مخرجا منه إلا بطلاقه وهو نادر فهي تهدده به لتمنعه من الظلم لها في نفسها وماله ، فان وقع أوقعته ،وكم من امرأة اشترطته ولم تنفذه ، ومنهم الاميرة المصرية الشهيرة (نازلي هانم)

فمن يريد تحقيق مسألة كهذه ينبغي له أن ينظر في جميع ماذكرناه لا أن يلقي تلك الكلمة المجملة على عواهنها

(٤)

﴿ انتقاده مسألة كلام الله تعالى وصفاته والرد عليه ﴾

قال ان تعريفنا لكلام الله تعالى لا يعرف لأحد من علماء السنة ورواة الآثار الخ ، وأقول انني لم أدع أنه رواية فيضرني أنه لا يعرف هو ولا غيره لها راويا ممن ذكر ولا من غيرهم . واسأله هل يعرف أن أحداً من هؤلاء العلماء والرواة قال أو روى عن النبي ﷺ اوعن علماء أصحابه انه لايجوز لاحد أن يفسر اسما من أسماء الله تعالى ولا صفة من صفاته ولا فعلا من أفعاله إلا بحديث مرفوع أو أثر عن الصحابة،أو قول من أقوال مالك أو أحمد او السفيانين.

واضرابهم ؟ بل أسأله هل التزم أحد من المفسرين للقرآن أو شراح الاحاديث هذا ؟ واذا لم يشترط أحد منهم فيه الرواية التي يحتج بها في العقائد وهي القطعية ولا ما يحتج به في الاحكام العملية من الآحاد الصحيحة ، فعدم اشتراط نقله عمن لا يحتج بأقوالهم في ذلك كالذين ذكر أسماءهم أولى . ولو كان المعترض يروي لغة ما يدل على بطلان هذا التعريف لكان حقيقا بأن ينظر فيه

على أن قولي :ان كلام الله تعالى صفة من صفاته .مروي ومجمع عليه عند أهل السنة سلفهم وخلفهم ، وأما زيادة : شأن من شئونه وذكر متعلقه فلعله لو فهم مرادي منها لحمده ورضيه ، فانما هو عبارة عن إيثار مذهب السلف على مذهب المتكلمين الذين قالوا ان كلام الله تعالى صفة قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى لو كشف عنا الحجاب لرأيناها ،وانه واحد ليس فيه تقديم ولا تأخير ولا تجديد خطاب لمن شاء تعالى بما شاء متى شاء ، وأما وحيه الى رسله فهو من الكلام اللفظي المحدث الدال على كلامه النفسي الازلي ، فهو قد خاطب موسى في الازل ، وأطلعه في الطور وغير الطور على ذلك الخطاب الازلي بكشف الحجاب عنه ، وأما السلف فيقولون انه تعالى يخاطب من شاء بما شاء متى شاء ، وان خطابه لموسى في مصر في شأن فرعون كان بعد خطابه له في الطور ، فهذا مرادي من قولي انه شأن من شئونه تعالى الخاصة به التي لا تعلم الا بوحي منه ، أخذا من قوله تعالى (كل يوم هو في شان)

جملة ما قاله المتكلمون على اختلاف مذاهبهم في كلام الله تعالى من نفسي ولفظي وحقيقي ومجازي وقديم وحادث ومخلوق نظريات فلسفية مبتدعة مخالفة لظواهر القرآن ولما ثبت في الاحاديث الصحاح وجرى عليه جمهور السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين كما فصلته في المنار وتفسيره وأجملته في كتاب الوحي بعبارة وجيزة لانه كتاب لا يجوز فيه بسط هذه المباحث الجدلية وقد كتب للدعوة الى الاسلام، وبيان حقائقه التي لا تضطرب فيها الافهام ، ولا يحول دونها شيء كفلسفة علم الكلام ، ولكن أخانا الناقد فهم منها خلاف ما أردناه بل ضده ، وأننا نشايع فيه المتكلمين ، ولذلك رتب عليه الاسئلة التي رأيت

على انني بينت مرادي من مخطئة المتكلمين وبيان الحق في معنى كلام الله تعالى وتكليمه لرسله في الفصل الاول الذي زدته في أول الطبعة الثانية من كتاب الوحي (ص ٢٢ ـ ٢٥) ونشر في المنار وفيه التصريح بأن موسى عليه السلام سمع نداء الله تعالى له من وراء الشجرة ، وإثبات الكلام والتكليم والنداء لله تعالى ، وأما كون الغاية من هذا كشف ما شاء الله تعالى من علمه لمن شاء من رسله فهو بيان لمتعلق الكلام وغاية التكليم الذي يفهمه الرسول من الخطاب ، وليس معناه أن الكلام أو التكليم هو العلم ، وهذا بديهي في نفسه ولكنه اشتبه على المنتقد فتوهم انني أعني من كشف العلم ما يعنيه المتكلمون من قولهم في صفة الله تعالى : لو كشف عنا الحجاب لرأيناها ، فهذه عبارة مبتدعة لا يدل عليها نقل ولا عقل ، وإنما أخذوها من قاعدتهم كل موجود يجوز أن يرى

وانني بعد أن بينت في ذلك الفصل ان تلك النظريات في الكلام الالهي مبتدعة لم يرد بها كتاب ولا سنة ، وانها مثار للوسواس الشيطاني ، صرحت بوجوب إثبات كل ما ثبت في كلام الله وكلام رسوله من إثبات ونفي ، من غير زيادة ولا نقص ، بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، ثم قلت : وليس عليك ولا لك أن تحكم عقلك ولا رأيك في كنه ذاته ولا صفاته ، ولا في كيفية مناداته وتكليمه لرسله ، ولا في كنه ما هو قائم به ، وما يصدر عنه ، على هذا كان أصحاب الرسول وعلماء التابعين وأئمة الحديث والفقه ، قبل ظهور بدعة المتكلمين اه

وقد نشر هذا الفصل في المنار عند البدء باعادة طبع كتاب الوحي المحمدي الذي جاءنا انتقاد أخينا الاستاذ النجدي عند إتمامه ، وما أراه إلا قد قرأه قبله ، ولكن إخواننا النجديين مصابون بنوع من الوسوسة على مذهب السلف ، فاذا رأوا كلمة واحدة في كلام أحد يحتمل أن تفسر بما يخالفه قامت قيامتهم على قائلها وإن لم يفهموها ، وإن كان له مع ذلك مئات من الجمل الواضحة التي تثبت انه مثلهم أو أعلم منهم بمذهب السلف وأقدر على بيانه ونصره بالعبارات الفصيحة المختلفة غير متقيد بألفاظ بعض المؤلفين السابقين تقيد المتعبد بها

(٥)

(انكاره قولي حررت هذه المقدمة في ليلة المولد والرد عليه)

بنى انكاره هذا على أنه لايجوز أن يقال مثل هذا القول إلا إذا وجد حديث صحيح بعين ليلة المولد ، وأن المحققين قرروا انها لاتعرف ، وان فيها أقوالا متعارضة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض ، وأرد على هذا من وجوه

(١) ان هذه المسألة تاريخية لا من مسائل الاعتقاد ولا من مسائل الاحكام الشرعية فجواز حكايتها لايتوقف على حديث صحيح ولا حسن ولاضعيف وقد تساهل جمهور العلماء في المناقب والفضائل فقبلوا فيها الاحاديث والآثار الضعيفة والمنكرة غافلين عما يترتب عليها من وصفه ﷺ بما لايصح أن يوصف به الا بنقل صحيح وغير ذلك مما بيناه في موضعه ، ومسألة تاريخ ولادته ﷺ وزواجه وموت أولاده وسفره الى الشام تكلم فيها العلماء ولم يقل أحد منهم إنه لايجوز حكاية شيء من ذلك الا بحديث صحيح لان هذا قول بغير علم بل اختلفوا فيما هو أهم من ذلك وهو تواريخ بعض حوادث السيرة النبوية كتاريخ بدء الوحي وفترته والاسراء وفرضية الصلاة ، ولم يشترط أحد منهم في حكايتها مثل هذه الشروط

(٢) قوله « ان المحققين من العلماء قرروا أنها لاتعرف » غير معروف عندنا ، فمن هؤلاء المحققون ؟ وما دليلهم على ماقالوا ؟ وهل يجب على من لم يظهر له دليلهم أن يتبعهم ؟ هذا زعم لايقول به مسلم ولا عاقل ، وحكم لم يقل به عالم ولم يقض به عادل ،

(٣) قوله ان فيها أقوالا متعارضة ليس بعضها أولى بالبطلان من بعض ، - يعني أنها متساوية فيه - مردود لانه مخالف لنقل علماء الحديث والتاريخ وترجيح بعضها على بعض

فقد نقل صاحب السيرة الحلبية الاقوال فيه وأولها أشهرها وهو أنه كان بمضي ثنتي عشرة ليلة من ربيع الاول (قال) وحكي الاجماع عليه ، وعليه العمل الآن في الامصار خصوصاً أهل مكة الخ قال : وقيل لعشر مضت من ربيع وصحح اه (قال) أي صححه الحافظ الدمياطي ، وذكر طعن بعضهم في الاول بان ابن اسحاق ذكره مقطوعا دون اسناد ، وأنه لو أسنده لم يقبل لتجريح أهل

العلم له ، وذكر أقوال بعضهم فيه، ولكن التحقيق عند بعضهم أنه ثقة إمام في السير وأما في الحديث فهو صدوق مدلس فلا تقبل عنعنته ومسألة المولد من السيرة لا من السنة

ثم قال : وقيل لثمان مضت منه . قال ابن دحية وهو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ ، وقال القطب القسطلاني هو اختيار أهل الحديث أي كالحميدي وشيخه وابن حزم اه

وقال ملا علي القاري في شرح الشمائل عند ذكر ترجيح وفاته ﷺ في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول : هذا وقد اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول لكن اختلفوا فيه هل هو ثاني الشهر أم ثامنه أم عاشره بعد قدوم الفيل بشهر أو أربعين يوما . قال بعضهم ولم يختلف أهل السير في أنه عليه السلام توفي في شهر ربيع الاول، ولا أنه كان يوم الاثنين، وانما اختلفوا في أي يوم كان من الشهر » وذكر من رجحه من أهل السير والمحدثين ومنهم ابن سعد وابن حبان وابن الصلاح والنووي والذهبي . أقول وصرح به محمد مختار باشا ٥٦ الفلكي في التوفيقات الالهامية الذي وضعه للتوفيق بين الحساب الهجري من أول سنة منها والحسابين الافرنجي والقبطي الشمسيين ، وقد يستأنس باتفاق حساب المولد والوفاة لتقوية كل منهما بالآخر من حيث كمال السنين المناسب لكماله ﷺ في كل شيء . وكنت أحفظ ان الراجح عند المحدثين انه ﷺ ولد في صبيحة اليوم التاسع منه ولا أذكر الآن من نقله ولعل عبارة علي القاري في ثامن الشهر أصلها تاسعه

وجملة القول انه لا يصح أن يقال فيما رجحه بعض حفاظ الحديث أنه كغيره باطل ، وان مثل هذه المسألة التاريخية يكتفى في الخلاف فيها ترجيح هؤلاء ومن دونهم من العلماء لبعض الاقوال على بعض، ومن الغريب أن يشترط أستاذ حنبلي فيها أنها لا تثبت الا بحديث صحيح ، وإمامه بل إمام السنة احمد بن حنبل يقبل ما دون الحديث الصحيح في الاحكام الشرعية

هذا واني لم أطل هذه الاطالة في تفنيد انتقاد ضعيف كانتقاد صديقي الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الله بن يابس إلا حبا فيه وفي قومه، وحرصاً على أن يكون باعثاً له على التدقيق والتحقيق في الاستدلال، وما يقتضيه الخروج من مضيق التقليد الى فضاء الاستقلال، وما اقترحت عليه كتابة هذا الانتقاد كله والاستدلال عليه الا لأجل هذا

(تفنيد اعتراض كاتب جزويتي في مجلة المشرق على كتاب الوحي المحمدي)

(تابع ماقبله)

(٤) صد الكنيسة او الكنائس عن الاسلام

ألمَّ الكاتب بما بيناه في مقدمة الكتاب من الحجب الثلاثة التي حجبت حقيقة الاسلام عن أوربة إلماما وجيزاً ، وأجاب عن صد الكنيسة عنه وبغيه عوجا بأنه يترفع عن إعادته ، وان آداب المناظرة تحول بينه وبين « الرمي بقذائف الكلام »

ونرد عليه بأننا نحن لم نقذف الكنيسة أو الكنائس في ذلك بتهمة من عند أنفسنا، ولا نقلنا شيئا من أقوالها وأعمالها عن أحد من علمائنا ، وانما أشرنا إشارة وجيزة إلى بعض مادونه بعض علماء الافرنج في ذلك ولا سيما أحرار الفرنسيس وأهل النصفة النسبية منهم كالكونت دي كاستري صاحب كتاب (الاسلام : خواطر وسوانح) وغيره من الكتب الكثيرة التي توجد كلها أو جلها في خزانة كتب الكلية اليسوعية ، فمن الميسور لحضرة الكاتب الاديب أن يظل معتصما بما ادعاه من الترفع وآداب المناظرة ، ويكتفي من الدفاع عن الكنيسة بأن يقول ان كل ما أسنده اليها أولئك الكتاب الفرنسيون الكاثوليكيو النشأة والتربية ـ وآخرهم موسيو درمنغام الفرنسي الكاثوليكي صاحب كتاب حياة محمد — أكاذيب مفتراة على أولئك الذين أسندوها اليهم من رجال الكنيسة وغيرهم

ثم نقل كلمتي « الحق ان الاسلام هو صديق المسيحية المتمم لهدايتها ... » ووصفها بالبساطة الصبيانية ، ولو قلت ان الاسلام صديق الكنيسة لكنت حقيقاً بهذه البساطة، ولكن المسيحية في عقيدتي التي هي عقيدة الاسلام الثابتة بالبرهان هي ـ غير الكنيسة، المسيحية ـ هداية توحيد وفضائل متممة لهداية التوراة الاسرائيلية وفاقا لما ينقلونه عن المسيح عليه السلام انه قال : ماجئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأتمم ، والكنيسة نقضت الناموس من أول أساس له وهو التوحيد المجرد

وابطال اتخاذ التماثيل والصور الى سائر مافيها من العبادات والطقوس والتشريع المدني

والاسلام هداية متممة للمسيحية لانه لم يوجد بعد المسيح عليه السلام من يصدق عليه قوله « يعلمكم كل شيء » أي مما لا يستطيع أن يقوله لهم غير نبيه وهو الفار قليط روح الحق كما بيناه في كتاب الوحي وغيره

ومما نقصده بقولنا ان الاسلام متمم ومكمل للمسيحية الحق التقريب والتأليف بين الطوائف في بلادنا وهو خلاف سياسة الكنيسة ، بل طالما تمنينا لو نتعاون مع رجال الكنيسة على محاربة كفر التعطيل المادي أيضاً ووجد من أصدقائنا من عرض هذا الرأي على الفاتيكان وبلغنا أنه قبل وسيظهر له أثره ، ولكن خاب الامل

٥ ـ عدوان السياسة الاستعمارية على الاسلام

قال الكاتب انني نسبت الى رجال السياسة الاوربية « صفات مستقبحة » وسألني ماذا أقول « لمن يصف رجالات الفتوح الاسلامية العظام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم » وصفي لرجال الاستعمار المحدثين ؟

وأجيبه عن هذا السؤال: إنه لا يستطيع مؤرخ صادق منصف أن يقول الحق في رجالات الاسلام إلا ويكون أكبر حجة لنا ، فان قال الباطل وافترى فاننا نرد عليه بأقوال كتاب أحرار الافرنج من المؤرخين المنصفين كغوستاف لوبون الفرنسي في كتابه (حضارة العرب) وغيره وحسبنا قوله « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » وكذا الاستاذ سيديو الفرنسي في كتابه خلاصة تاريخ العرب

ومثلهما الاستاذ المؤرخ الكبير جبون الانكليزي فانه أطنب في فضائل العرب في فتوحهم وحضارتهم واحيائهم للعلوم ، والدكتور ألفرد . ج. بتلر الانكليزي صاحب كتاب (فتح العرب لمصر) فانه على تحمسه في نصرانيته وشدة امتعاضه من حكاية انتصار الاسلام على النصرانية وفتح العرب به لبلادها قد شهد بأن سبب هذا النجاح والفلاح للعرب هو إقامة العدل واتباع الحق ، وشهد لعمرو بن العاص بالقدح المعلى في هذا حتى فضله في بعض المواضع على مثال العدل المطلق في التاريخ عمر بن الخطاب (رض) مع أن عمراً لم يكن في الذروة العليا من فضلاء الصحابة (رض) بل كان من محبي الدنيا والملك فيهم

وههنا نقول إن ماكان من بعض فاتحي العرب من بعض الهفوات التي لايسلم منها البشر لم تكن بتعاليم الاسلام ولا من خطة الخلفاء وانما كانت هفوات شخصية ، وأما خطة المستعمرين فهي سلب أموال البلاد ، واستذلال العباد ، وافساد الاخلاق ،ومنع الحرية الدينية والاجتماعية والكتابة والخطابة،واطلاق حرية الفسق والفجور وحدها . وما عسى أن يوجد في بعض رجالهم في المستعمرات من شجنة رحمة أو مسكة عفة فانما هو شخصي ، ولا يجهل الكاتب ولا غيره مايجري في أفريقية الشمالية في هذه الايام.

٦ – تأويله لعبارة تاريخية في هضم أوربة للنساء

ذكر الكاتب الحجاب الثالث على الاسلام في مقدمة الوحي وهو فساد الحكومات والشعوب الاسلامية واستحواذ الجهل عليها ، وأنكر علينا قولنا إن سبب ذلك جهل هداية القرآن ، وأشار إلى ما شرحناه في الكتاب من مقاصد القرآن العشر في الاصلاح لأركان الدين الثلاث التي حرفها أهل الكتاب ، وبيان حقيقة النبوة التي جهلوها وسائر أنواع الاصلاح السياسي والدولي والمالي والحربي والنسائي ، والفرق بين عجائب المسيح ومحمد عليهما السلام،وقال « ان البعض من أقواله لايثبت لنقد»ولكنه اقتصر على نقد كلمة واحدة عرضية نقلناها من كتابنا (نداء الجنس اللطيف) وهي أن مجمعاً مسيحياً وضع موضع الشك :هل للنساء نفوس بشرية أم لا؟ورد عليه بأن هذا الشك انما هو مشكل لغوي حاصله أن كلمة إنسان باللاتينية (Homo) تطلق على الرجل والمرأة معاً أم لا ؟

انني أشكر له قوله إن بعض كلامي لا يثبت على النقد ، فهو حق مجمل بين أباطيل مفصلة ، لا ينكره الا من يدعي لنفسه العصمة، لأن بعض الشيء يصدق بواحد منه،وأي انسان لا يمكن انتقاد بعض كلامه ولو مسألة واحدة؟ ثم أحمد الله أنه نظر في أصول كلامي في النساء الذي فضلت به تعاليم الاسلام على جميع مانقل عن الانبياء والحكماء والساسة والادباء في إنصاف النساء وإعطائهن حقوقهن الدينية والزوجية والاجتماعية والسياسية والمالية الخ فلم يجد فيه إلا كلمة واحدة مما

نقلناه من الشواهد التاريخية وهو هضم ذلك المجمع لحقوق النساء ، وإلا ما سماه متناقضا في مسألة أخرى وهو :

٧ ـ زعمه ان ما وصفت به الاسلام من الحرية والاخاء متناقض

قال انه لاحاجة به إلى تبيان مافي مقاصد الشيخ رضا من التناقض في قوله ان الاسلام هو دين الحرية والتآخي وأنه يضمن للناس أجمعين حقوقهم ،وقوله بعد ذلك ان الاصلاح الاجتماعي والسياسي لايتم إلا بوحدة الامة والجنس والدين والتشريع ، والاخوة الروحية ، والمساواة في التبعة، والجنسية السياسية،والقضاء واللغة (قل) « أي بأن يصبح العالم كله مسلماً عربياً ، فتصور » !

أقول : من قرأ هذا البحث الطويل الذي أشار اليه المنتقد في كتاب (الوحي المحمدي) وكان يعرف علم المنطق وما اشترط فيه لصحة التناقض بين القضيتين من تحقق الوحدات الثمان — لم ير فيه ما رآه كاتب المشرق،الذي يجهل أو يتجاهل المنطق ، وأكتفي في رد قوله بمثل الاشارة الوجيزة التي أكتفى هو بها ، بدون أن أنقل شيئاً من نصوص الكتاب غير ما قاله هو فأقول :

قلت ان الاسلام دين الحرية بمعنى أنه منع الاكراه على الدين بنص كتابه العزيز ، حتى أن فقهاءنا صرحوا بأن إسلام المكره لايصح ولا يعتد به،ولا تزال بعض دول النصرانية تكره الناس على دينها ، وتغتصب أموال أوقاف المسلمين فتنفقها في سبيل تنصيرهم ، وأهل شمال أفريقية قد ملأوا الدنيا صياحا من هذا الاكراه ـ في هذه السنين ـ المستمر إلى هذا اليوم

وقلت ان الاسلام دين التآخي بمعنى أنه يرشد الناس إليه،لا أنه يكرههم عليه ، فاذا كان لا يكره الناس على الاصل ، فلا يعقل أن يكرههم على الفرع ؟ وقد ثبت في القرآن مايسمى بالاخوة القومية في تسميته الانبياء عليهم السلام أخوة لاقوامهم المشركين ، كما ثبت فيه ماهو أرقى منها وهو الاخوة الدينية ، وهذا شيء طبيعي فان الاتحاد في الاعتقاد الذي تناط به سعادة الدارين أقوى من كل اتحاد، فأخوته أكمل من كل أخوة

وقلت ان الاسلام يعطي كل ذي حق حقه ، وأعني به الحق الذي قرره وأثبته له في محيطه الخاص به ، لا ما يدعي كل أحد من الحق لنفسه ، فهو في القضاء والشهادة يساوي بين الخاضعين لشريعته في أحكامها لا يميز بين مؤمن وكافر ، ولا بر وفاجر ، ولا قوي وضعيف ، ولا ملك وسوقة ، ولا غني وفقير ، ولا قريب وبعيد، ولا محب وبغيض ، وفيه من وراء ذلك حقوق لأولي القربى والارحام ، وحقوق للاصدقاء والجيران ، وحقوق لأخوة الاسلام، وحقوق للانسانية العامة ، ولا تعارض فيه ولا تناقض بين هذه الانواع

مثال ذلك ان الصدقة العامة في الاسلام مشروعة لكل هذه الانواع فتجب على المسلم لغير المسلم المضطر غير الحربي، وتستحب للمحتاج غير المضطر أيضا ، وللمسلم منها نوع خاص وهو الذي عينه القرآن للاصناف الثمانية من نصاب الزكاة، وللاقربين نوع خاص كالنفقة الواجبة للمحتاجين من أصول الانسان وفروعه ، ولغيرهم كالاخوة والاخوات عند السعة . وتقديمهم على الغرباء ، فهل يعد هذا من التناقض ؟؟

وأما معنى قولنا ان الاصلاح الانساني الكامل لا يتم إلا بالوحدات الكثيرة فهذه قضية معقولة في نفسها ، سواء قررها الاسلام أو لم يقررها ، حتى لو لم يكن في العالم أمة عربية ولا شريعة إسلامية ، ولكن الثابت في الواقع أن هذا الكمال الانساني لم يبين إلا في الاسلام، وصحة الاسلام لا تتوقف على اتفاق البشر عليه ، فالبشر لا يتفقون على شيء ، والكمال هو الغاية في الدعوة فلا تناقض !!

(للرد بقية موضوعها طعنه في اعجاز القرآن)

﴿ جوامع كلم ، في شئون الدول والامم ﴾

أعقد مشكلات هذا العصر مشكلة وطن اليهود القومي في فلسطين، وسياسة الانكليز فيه إيجاد شعب قوي غني في قلب البلاد العربية معاد للشعب العربي فتخضع كلا منهما بالآخر ولكنها عاجزة عن حفظ الموازنة بينهما ، فاليهود أقوى منها اليوم ، وسيكون العرب أقوى منهم غدا بكثرتهم وعصبيتهم والجمع بين الضب والنون محال

وفد الصلح والسلام

إننا وقد وفينا حادث الحرب والسلم في جزيرة العرب حقه، وبينا مالنا فيه من موعظة وعبرة، وشكرنا لكل من الامامين عبد العزيز ويحيى فضله، فلا يفوتنا أن نختم حديثه بشكر وفد السلام، وجهاده في سبيل الله بخدمة العرب والاسلام فهو الذي انتدب لهذه الخدمة بالفعل من غير دعوى ولا إعلان في الصحف، ولا تبجح بنشر المقالات وإلقاء الخطب، ولا دعوة إلى جمع المال كما فعل الذين يقولون مالا يفعلون، ويسرون غير مايعلنون، بل قال وفعل، وجاهد بماله ونفسه ولم يطلب مساعدة أحد

أول من دعا إلى هذا زعيم فلسطين الاكبر ومفتيها ورئيس مجلسها الاسلامي الاعلى، ومؤسس المؤتمر الاسلامي العام فيها: السيد محمد أمين الحسيني، دعا نفراً من أشهر رجالات الاقطار العربية الاسلامية ذات الجوار والصلة بجزيرة العرب: سورية والعراق ومصر، فاستجاب له من سورية زعيمها السياسي الاكبر هاشم بك الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية الممثلة لسورية كلها، واعتذر زعيم العراق الاكبر ياسين باشا الهاشمي بمرض عرض له

واستجاب له من مصر محمد علي باشا علوبة من وزرائها ونوابها السابقين، ووكيل المؤتمر الاسلامي العام، وهو الذي سبق جميع الزعماء المصريين إلى العناية بأمر المؤتمر الاسلامي، وسافر مع رئيسه إلى الاقطار الاسلامية لجمع الاعانات له، وعنى بخدمة المسألة العربية العامة عناية خاصة.

واستجاب له من أوربة أكبر كتاب الامة العربية وأمير البيان فيها، الداعي إلى وحدتها، المحامي عن حقيقتها، المدافع عن ملتها، ورئيس الوفد السوري الفلسطيني في جنيف مثابة سياسة الامم كلها، الامير شكيب أرسلان، ووافى اخوانه الثلاثة طائراً من أوربة الى مصر، على ما في طيرانه من زيادة النفقة في هذه العسرة المرهقة، وعلى ماقاساه من عنت الحكومة المصرية وإرهاقها إياه العسر السياسي، الذي هو أشد على الاحرار من العسر المالي، في مروره بأرضها من الاسكندرية إلى السويس، وقد رأيت هذا العنت بعيني، وذقت مرارته بنفسي، إذ سافرت

من القاهرة إلى بنها للقائه فيها والذهاب معه إلى السويس ، فلم يأذن لنا الجلاوزة المسيطرون عليه من قبل حكومتنا المصرية — وهم من الانكليز — بسلام ولا كلام، ثم كان المصريون منهم أشد من هؤلاء الانكليز وطأة في القطار بعد القطار ثم في السويس ، ولم نر أحداً فهم لهذا العنت معنى

ركبت أنا ومحمد علي باشا علوبة في قطار بور سعيد والسويس الذي يخرج من محطة مصر في نهاية الساعة السادسة مساء، وهو يلتقي في محطة بنها بالقطار الجائي من الاسكندرية إلى مصر ، وهنالك نزل الامير شكيب من قطار الاسكندرية وركب هو والجلاوزة المحافظون عليه في قطارنا ، وأدخلوه في المخدع المجاور لنا، وأردت أن أسلم عليه وهو يعلم انه ممنوع من السلام عليَّ وعلى غيري فحالوا بيننا

ولما نزلنا في الاسماعيلية ونزل فيها السيد أمين الحسيني وهاشم بك الاتاسي القادمين من فلسطين وانتقلنا جميعاً إلى القطار الذي يحملنا إلى السويس فرق جلاوزة الامن المصريون بين الامير شكيب والجائين من فلسطين والجائين من مصر جميعا فلم يسمحوا لاحد منهم في المحطة ولا في القطار أن يكلم الفريق الآخر ولا أن يسلم عليه، فكان هذا الحجر أبعد عن العقل والفهم والشرع والعرف والقوانين من كل ماسبقه ، إلا مايكون من الحجر الصحي في أوقات الاوبئة والعسكري في وقت الحرب، وانما يكون الاول لوقاية الاصحاء من المصابين بالوباء ، والثاني لحماية الوطن وأهله من فتك الاعداء ، وكلنا أصحاء أصدقاء ولله الحمد ، جنسنا واحد، ودينا واحد ، وحكومتنا المصرية ، موادة لحكومتي فلسطين وسورية ، والدولتين المسيطرتين عليهما ، ولاجلهما تحجر على الامير شكيب وتعنته ، ولا نعرف لنا ولا لآخرين ذنباً

بيد أننا لما وصلنا إلى السويس نزلنا كلنا في فندق واحد فارتفع الحجر عن كل منا إلا الامير شكيب فان الحكومة أمرت بنقله إلى فندق آخر، حالت فيه بينه وبين كل أحد منا ومن غيرنا ، إلا السيد محمد أمين الحسيني فقد أذنوا له أن يكلمه في مسألة السفر بأول باخرة أو بطيارة ، ولما اجتمعا اتفقا على الالحاح علي بالسفر مع الوفد فأدليت بما لديَّ من الموانع المالية وغيرها فقبلوا عذري ، وكاشفتهم بما عندي من رأي ورواية في موضوع الحرب والصلح، وحملتهم كتبا إلى جلالة ملك

العرب السعودي وبعض رجل بطانته أظهرت فيه ما بيني وبينهم من التكافل والثقة بهم ، وعذري في التخلف عنهم وكان ذلك في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٢

سافروا باسم الله إلى الحجاز فكان لهم عند جلالة الملك ما يليق بمكانتهم الشخصية والقومية ، وبسفارة وفدهم الاسلامية العربية ، من حسن الضيافة وكرم الوفادة ، وقلما اجتمع في مجلسه وفد كوفدهم في سعة معارفهم ، ودقة خبرتهم ، وصفاء نيتهم ، واتفاق رأيهم ، وحسن بيانهم ، فبسطوا له خلاصة ما يعلمونه من آراء العالم الاسلامي والشعور العربي في بلادهم وغيرها في مسألة الجزيرة العربية المقدسة ، وما يخشونه من المطامع الاجنبية ، وما وقفوا عليه في بيئتهم الاربع من دسائسها ومطامعها ، وطالت المحاورات والمسامرات بينه وبينهم فيها ، فسر بما وقف عليه من معارفهم وحسن بيانهم وشدة غيرتهم ، وعجبوا بما وقفوا عليه من استقلال عقله ، وبعد رأيه ، وحسن نيته ، وكمال صراحته ، وحزمه وشجاعته ، وعدم مبالاته بدسائس المفسدين ، وسعاية المفسدين المحالين

وكان من توفيق الله أن نجحت المفاوضات البرقية المتصلة بين جلالته وجلالة الملك الامام يحيى حميد الدين بما يوافق رأيهم ، فقبل الثاني ما اقترحه الاول لاعلان الهدنة ووقف رحي الحرب ، ووضع معاهدة الصلح ، وتلاه إرسال مندوبه الزعيم الكبير ، والسياسي النحرير ، الاستاذ العلامة السيد عبد الله بن الوزير ، مفوضا من مقام الامامة المتوكلية بذلك ، فوجد الوفد الاسلامي من معارف سيادته ، ودقة سياسته ، وصفاء طويته ، وصدق صراحته ، ما كان موضع العجب والاعجاب ، والثقة بما يرجون ويرجو العالم الاسلامي والعربي من الاتفاق والاتحاد

ولما وضعت المعاهدة الاسلامية العربية العظيمة الشأن بالاتفاق السري العلني من الجانبين ، التي كانت موضع إعجاب أهل الخافقين ، وحضر أعضاء الوفد توقيعها في الحجاز ، ودعوا جلالة الملك الامام عبد العزيز وسافروا مع مندوب جلالة الملك الامام يحيى حميد الدين إلى صنعاء اليمن ليشهدوا توقيعها فيها ، ثم يحضروا مبادىء تنفيذها . وقد اعتذر محمد علي علوبة باشا العضو المصري عن السفر مع اخوانه إلى اليمن لكثرة ما ينتظره من الشواغل في مصر ، وقد تم الصلح ولله الحمد ، وحملهم كتابا

إلى جلالة الامام يعتذر به عما كان يرجوه من الشرف بالمثول في حضرته ،

سافر الوفد من جدة إلى الحديدة فاستقبلهما فيها صاحب السمو الملكي الامير فيصل السعودي بالحفاوة والتكريم ، وكان أبهج ماسرهم فيها مارأوه من حسن التلاقي بين سموه وسيادة عبد الله بن الوزير ، فقد كان كتلاقي أخوين شقيقين طال عليهما البعاد ، فطفقا يطفئان لوعته بالتقبيل والعناق ، ثم مارأوه من جيوش كل من الامامين عند الحدود بين منطقة تهامة المحتلة من قبل الدولة السعودية ، ومنطقة الجبال التي ترابط بها الجيوش المتوكلية ، وكيف كان تلاقي جماعتهما تلاقي الاخوان ، ثم ماهو أعلى من ذلك وهو لقاء جلالة الامام الهمام ، وحفاوته بضيوفه الكرام ، وما سمعوه بآذانهم من ثنائه على أخيه الامام الملك عبد العزيز كما كان هذا يثني عليه ، ويشهد كل منهما للآخر بحسن النية ، ثم ماشاهدوه في الحديدة من تنفيذ المعاهدة بجلاء الجيوش السعودية عنها ، وتبادل تسليم الرايات وتسلمها فيها ، بما عليه اتفقا من التكريم والتعظيم العسكري والود الاخوي

ثم سافروا من الحديدة الى مصوع وسافر منها إلى السويس السيد أمين الحسيني وهاشم بك الاتاسي فوصلا اليها في السابع من هذا الشهر الميمون (ربيع الاول) واستقبلناهما فيها مع جماهير المستقبلين مهنئين داعين ، وتخلف الامير شكيب ليسافر منها إلى أوربة

كنا قد وقفنا على أطوار الحرب والصلح من أنبائها الرسمية وغير الرسمية العامة منها والخاصة بنا ، وبقي علينا أن نعلم من الوفد ما كان للصلح والمعاهدة من التأثير النفسي في قلوب الفريقين ، مما لايعلم إلا من رؤية الوجوه المستبشرة أو الباسرة ، ومن سماع جرس الاصوات في الحديث والتفرقة بين نغماتها السارة ، والقارة والحارة ولا يعلم هذا وذاك إلا من رأى بعينيه ، وسمع بأذنيه ، وشعر بقلبه ، وأخبرنا بما روينا عنه

هذا وانه قد بلغنا قبل اصدار هذا الجزء أن جلالة الملك عبد العزيز وجلالة الامام يحيى قد أبرقا الى جلالة ملك الانكليز يرجوانه بأن يوصي حكومته بالاذن للامير شكيب بدخول فلسطين للقاء والدته الجليلة فيها إذ طالت غيبته عنها ، فتقبل شفاعتهما فيه ، وابرق اليه المندوب السامي من فلسطين بالاذن له بذلك فهنئه ونهنيء السيدة الفاضلة بهذا اللقاء الميمون ، فبارك الله لهما وعليهما

المطبوعات الحديثة

(المسوّى من أحاديث الموطأ)

﴿طبع الجزء الاول منه بالمطبعة السلفية بمكة سنة ١٣٥١ على نفقة ناشريه الشيخ عبد الوهاب الدهلوي والشيخ محمد صالح نصيف الحجازي، ونشر في سنة ١٣٥٢﴾

هذا الكتاب من مصنفات الشيخ احمد ولي الله الدهلوي الهندي وطنا العمري الفاروقي نسباً مجدد القرن الثاني عشر للهجرة في الهند بدعوته وإرشاده وتربيته وتدريسه ومصنفاته، وبمن ترك من العلماء الاعلام من أبنائه وتلاميذه ومريديه فقد كان جامعاً بين العلوم النقلية والعقلية والفلسفة والتصوف كما يعلم من كتابه المشهور (حجة الله البالغة) الذي وضعه لبيان مقاصد الشريعة وحكمها وأسرارها وإن أشهر علماء الهند من بعده الى يومنا هنا يتصلون بسلسلته ، ويجرون على طريقته (ر.ح) سمعت هذا منهم في مدرسة ديوبند

والمشهور ان كتابه (المسوى) هذا شرح لموطأ الامام مالك بن أنس (ر.ح) فهو بهذا يوصف ويعرف ، وليس الامر كذلك ، فهو ليس بشرح للموطأ ، واسمه لايدل على انه شرح له، وانما هو نوع جديد من أنواع الاصلاح والتجديد لم ينسج بعده أحد على غراره ، ولا قفى تلاميذه بمثله على آثاره ، بل لم يفهموا مراده منه لاجماله واختصاره ، وقد وصفه هو بقوله في مقدمته :

«وقد شرح الله صدري — والحمد لله — أن أرتب أحاديثه ترتيباً يسهل تناوله ، وأترجم على كل حديث بما استنبط منه جماهير العلماء ، وأضم الى ذلك من القرآن العظيم مالا بد للفقيه من حفظه، ومن تفسيره مالا بد له من معرفته، وأذكر في كل باب مذهب الشافعية والحنفية إذ هم الفئتان العظيمتان اليوم ، وهم أكثر الامة ، وهم المصنفون في أكثر الفنون الدينية وهم القادة الأئمة »

ثم قال : وفهمني الحق ان في ذلك فتحا لأبواب الخير وجمعا لشمل الامة المرحومة ، وهز الطبائع جامدة طالما ركدت، وارشادا الى طرق من العلم طالما تركت

وأرجو من فضل الله ورحمته ان يكون هذا الكتاب جامعاً لخمسة أنواع [١] من الاحكام : هي العمدة لمن أراد أن ينتهج مناهج الكرام، ما أخذ من نصوص الكتاب ، وما أثبتته الاحاديث المستفيضة أو القوية المروية في الاصول في كل باب ، وما اتفق عليه جمهور الصحابة والتابعين، وما استنبطه مالك وتابعه جماعات من الفقهاء والمحدثين . اه

(أقول) فكتاب (المسوى) ترتيب جديد لكتاب الموطأ بتصرف زيادة ونقصان مع تعليق وجيز على مسائله وذكر مذهب الشافعية فيها منقولا بالاختصار من شرح الجلال المحلي على منهاج النووي . ومذهب الحنفية منقولا عن الفتاوي العالمكيرية بالاختصار أيضاً . وهو يعزو اليهما في الغالب وقد يذكر المذهبين بغير عزو ، وقد يعزو إلى غيرهما . وأما آيات القرآن التي زادها في بعض الابواب فمنها مايفسرها تفسيراً وجيزاً ولو ببيان معنى مفرداتها، ومنها مايسكت عنها، وهو يذكر أولا رواية مالك للحديث أو الاثر ويقفي عليه بقوله « قلت كذا » يشير به إلى الوفق والخلاف وما عسى أن يكون فيه من معارضة أو تعقب بحديث آخر، ويقول في الاتفاق : وعليه أهل العلم ، وأما الاختلاف فهو مايحكيه عن الحنفية والشافعية

وليس فيما رأيته منه شرح لعبارات الروايات ولا بحث في أسانيدها ولا في متونها غير ماذكرت، فالمسوى لا يصح أن يسمى شرحا. وأما الشرح الحقيقي للموطأ فهو ماكتبه المصنف باللغة الفارسية وقد طبع في الهند ، وقد أحسن متولي طبع (المسوى) بترجمة مقدمته بالعربية ونشرها هنا قبل الشروع في طبع المسوى ، وقد علم منها ان مراده رحمه الله تعالى بذلك الشرح هداية السبيل للخروج من ظلمات التقليد والاختلاف في الدين إلى نور الاستقلال والفهم الاجتهادي المطلق الذي أجمعت الامة على وجوبه في كل عصر لتقوم به حجة الله على أهله بما يقتضيه مايتجدد لهم من العلم والشبهات والقضاء، وليس في كتاب المسوى شيء من الاعداد لسلوك هذه السبيل ، وانما هو لطبقة دون هذه الطبقة في علم الدين هي طبقة العامة ، وتلك طبقة الخاصة

(١) وعد بخمسة وذكر اربعة فينظر اين الخامس

فاذا أردنا أن تكون عامة المسلمين اليوم على منهاج عامة السلف الصالحين في الاستمارة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه جمهور الصحابة والتابعين فحسبهم ان يقرأ لهم هذا الكتاب الذي هو الاساس الاول لكتب الصحاح والسنن والينبوع الاول لكتب الفقه ، لا يكادون يحتاجون إلى غيره ، فعسى أن يكون طبعه سبباً لما نعتقد أنه ألف لأجله

وهذه التعليقات للامام الدهلوي عليه تعلمهم بالجملة ما اتفق عليه جمهور أهل الصدر الاول مما لا يسعهم مخالفتهم فيه ، وما اختلف أشهر المجتهدين فيه ، ولهم السعة في تقليد أيهم شاءوا من غير حجر ولا جرح ، ولا التزام ولا تعصب ، ولا خلاف ولا شقاق في الدين ، كالذي لا نزال نراه بين المسلمين بجهلهم وتعصبهم لاهوائهم ، وأشده في بلاد الهند ، فقد حدث منذ أشهر شقاق بين أهل مسجد في (بمباي) بتعيين امام حنبلي له ، ولولا تدخل شرطة الحكومة الانكليزية وشحنتها بين الفريقين المتعصبين له والمتعصبين عليه لوقع في المسجد الجامع من سفك لدماء المسلمين ، مالا يجوز أن يقع بين أهل القبلة المصلين ، ووقع مثل ذلك في بنارس زارها سائح مسلم فأنزله امام مسجد للحنفية فيه فبلغ الاهالي ان هذا السائح مالكي المذهب فهجموا عليه لقتله فسافر منها ليلا هاربا بدمه المالكي من استباحة أخيه الحنفي له ، والله تعالى يقول في المشركين (٩ : ١١ فان تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فاخوانكم في الدين)

ان الله تعالى ورسوله ﷺ وأئمة المذاهب كلهم (رض) برآء من هؤلاء المسلمين الجاهلين ، فكلهم متفقون على عدم تكفير أحد من أهل القبلة ، وعلى جواز الصلاة مع الفاسق والمبتدع غير الكافر ، وان امحاء هذه المذاهب التي يدعونها خير لهم من بقائها مع هذا الشقاق ولو كانوا يلقنون في مدارسهم ومساجدهم مثل كتاب المسوى لعلموا انه لا ينفرد مذهب من مذاهبهم برأي اجتهادي هو واجب على أحد من المسلمين ، فان جميع الآراء تسقط حيث يوجد نص للشارع في المسألة ، وتتساوى بالنسبة الى العامي العاجز عن الترجيح بينها ، فهل يجوز أن يتعادوا ويتقاتلوا لاجلها ؟ والتعادي والتقاتل في هذا محرم بالاجماع ؟ وكذا مادون ذلك من السباب والهجر :

ماذا التقاطع في الاسلام بينكم وأنتم ياعباد الله اخوان

وفيات الاعيان

(احمد زكي باشا شيخ العروبة رحمه الله تعالى)

في يوم الجمعة لثلاث خلون من هـذا الشهر (ربيع الاول) لبى دعوة ربه صديقنا (احمد زكي باشا) الكاتب المؤرخ المصنف الخطيب الاديب الطائر الصيت في إثر « ضربة هواء » كما يقول العوام أحـدثت التهابا شديداً في رئته أعيا علاجه أصدقاءه من نطس الاطباء ، لم تمهله إلا أسبوعا أو بعض أسبوع، اختطفته المنية من حجر أمه مصر وهو ابنها البار، ومن ميدان أمته العربية و[illegible] المغوار ، وشيخ العروبة الذي فاق في شيخوخته وناصع شيبته جميع الشبان قوة وفتوة ، ونضارة وبهجة ، وهمة وسعياً وحركة ، وأملا في طول الحياة، فلو كانت الاعمار بقوة البنية وشدة العضل ومرونة العصب ويسر المعيشة وقلة الهموم وكثرة السرور، لكان احمد زكي باشا جديراً بأن يبقى بعد المعمر التركي زارو أغا الذي توفى بعده في هذا الشهر عن ١٣٥ سنة حتى يبلغ سنه أو يزيد عليها، وما أراه زاد على نصفها إلا قليلا . ولعله لم يفته من أسبابها الا عيشة القصد والاعتدال ، فقد كان في بلهنية من الترف دان له بها الاهيفان ، وسبحان مقدر الآجال

نعته الصحف التي كان يشغل أكثر المشهور منها بمقالاته ومناظراته التاريخية والجغرافية والادبية، فراع نعيه الفجائي العلماء المصريين من الشرقيين والغربيين، واختلفوا أفراداً وجماعات على منزله (دار العروبة) في جيزة الفسطاط للتعزية عنه، كما كانوا يختلفون اليها آنا بعد آن لحضور المآدب والاحتفالات التي يدعوهم اليها لتكريم من يفد على القاهرة من العلماء والادباء والزعماء الشرقيين والغربيين ،

وشيعت جنازته منها يحف بها الجم الغفير منهم، وقد أمت المصلين عليها في أحد مساجد الجيزة فكان هذا آخر العهد بمودتنا الطويلة التي لم تشبها شائبة جفوة، ولا فترة اختلاف ولا فرقة، ثم حملت إلى القبر المعد لها تحت منارة مسجده الفني الصغير الذي بناؤه كان شغله الشاغل في سنيه الاخيرة، وأبنه هنالك المؤبنون ، وانصرفوا بعد دفنه فيه مسترجعين مسترحمين ، ومما انفرد به أنه كان كلف الفقيد (ر.ح) الشيخ عبدالله الشيبي بمكة المكرمة أن يأتيه بكناسة غار حراء سراً ففعل، فجاء بها

ووضعها في القبر الذي أعده لنفسه ونزوله في هذا المسجد، وهو بدعة تدل على إيمان كايمان العجائز، وتعارض ما كان من فلتات اللسان في دعابته تسيء ظن بعض سامعيه في عقيدته، ويروي بعضهم عنه ما يدل على تأوله فيه. والدعابة في الحوار كالنكتة في الشعر، لا تترك، لا تصدر عن إيمان ولا عن كفر

لقيت أحمد زكي بك أول مرة في مكتب ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية (ر. ح) وكان ذلك في سنة ١٣١٦ ثم قوي التعارف بيننا، وكنا نجتمع في أكثر الليالي [illegible] ن مع طائفة من الادباء والمحبين للمباحث الدينية، والتوفيق بينها وبين المعقولات والمعارف العصرية، منهم أحمد زكي بك مدير الاموال المقررة وعبدالله بك فائق (باشا بعد) ومحمود بك أنيس (ر. ح) وآخرون لم يبق أحد منهم حيا إلا حمزة بك فهمي وكان من رجال القصر الخديوي، وكانت تلك المباحث جل مايدور في سمرنا، وأكثر ماتبدأ به مشكلات ناتي على صاحب المنار يطلب منه حلها من أجل هذا استفتاني فقيدنا اليوم في عشرة أسئلة ألقاها عليه بعض علماء الحقوق والشرائع في باريس في صيف ١٩٠٤ ليترجمها لهم بلغتهم الفرنسية «ليعلموا أن في السويداء رجال وان الشرق لا يزال عامرا بأصحاب العقول الكبار» وموضوع هذه المسائل الاجتهاد ومعنى قفال بابه عند العامة وعند أهل التحقيق، ومعنى القانون بوجه التدقيق العلمي والفرق بينه وبين الشرع، وسلطة الحاكم وحدودها الخ

وقد نشرت كتابه ومسائله مع أجوبتها في المجلد السابع من المنار في جمادى الاولى سنة ١٣٢٢ ويوليو سنة ١٩٠٤. واستمرت المودة بيننا، ولكنه لم ينشر شيئا من مباحثه في المنار، وكان يعلل ذلك أو يعتذر عنه باستغناء المنار عنها

كان المرحوم أحمد زكي منذ نشأته لاولى من عشاق العلم، وهذا العشق هو الذي كان يحمله على انفاق كل مازاد عن حاجته من المال في اقتناء الكتب النفيسة ولا سيما الخطية النادرة، وقد جمع خزانة منها ذات قيمة كبيرة وقفها على طلاب العلوم وأمرها مشهور وعني في السنين الاخيرة من عمره بالسياسة العربية ولقب نفسه بشيخ العروبة فاشتهر به، بعد ان كنت اسميه في السنين الاولى: حلقة الاتصال بين الشرق والغرب، وهو فلسطيني الاصل، وأول من جاء مصر جده الادنى كما صرح بذلك لبعض الادباء السوريين ويقل من يعلم هذا. فنسأل الله تعالى أن يتغمدنا وإياه برحمته، ويعفو عنا وعنه

المنار

١٣١٥

تنبيه : يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص ووقعا عليه بتوقيع منتهي المجلة والمستحق ويجب الدفع سلفا

الاشتراك : عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) في مصر و ٢٥ شلنا ذهبا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة اجزاء

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

﴿ لمنشئها ﴾

السيد محمد رشيد رضا

﴿ سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة ﴾

﴿ كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين ﴾

﴿ عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤ ﴾

﴿ والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩ ﴾

الجزء الحادي عشر من تفسير المنار

تبشر أهل القرآن وأنصاره ، ودعاته المستضيئين بأنواره، بصدور هذا الجزء من تفسيره الحكيم، وفيه ما ليس في شيء مما قبله مما يحتاج اليه العالم في الملخص الاجمالي لسورتي التوبة المدنية ويونس المكية، وفي مباحث إثبات الوحي ورسالة محمد خاتم النبيين ﷺ واعجاز القرآن اللفظي من نواحي النظم والاسلوب والبلاغة والتأثير ، والمعنوي من مناحي التشريع والعلم الغيبي والكوني والاجتماعي والاصلاح الديني والمدني والسياسي ، وتفنيد شبهات المعطلين والملحدين والمبشرين

(فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين)

﴿ التفسير ﴾

البلاغة الفنية في الآية (٤٣) ٢٤١
الطوفان في القرآن والتاريخ والتوراة ٢٥٣
« هل كان عاما أم خاصا ٢٥٨
غضب الله على عباده وعقابهم بالمصائب ٢٦١
الحث على التوبة لرفع العقاب ٢٧٥

﴿ الفتاوى ﴾

(١٤) اتهام ابن تيمية بتشبيه الله تعالى ٢٧٧
حديث نزول الله الى سماء الدنيا وتفسير شيخ الاسلام له مع كمال تنزيهه تعالى ٢٧٩

(المقالات)

تقريظ تفسير المنار ٢٨٤
مقدمة مفتاح كنوز السنة وفيه ما أخذ الأئمة الاربعة من الحديث ٢٩٠
شعور المسلمين بهدمهم لقوة الاسلام الخ ٢٩٧
التعريف بكتاب مسائل الامام أحمد (وفيه نهي الامام عن كتابة الفقه) ٢٩٨
عهد التحكيم بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن ٣٠٥
تفنيد اعتراض مجلة المشرق اليسوعية على كتاب الوحي المحمدي. معجزة القرآن ٣١١
بلاغة القرآن والتوراة والانجيل ٣١٢
دلالة هداية القرآن على انه من الله ٣١٣
العبرة بسيرة الملك فيصل ٣١٦
مكاتبة أمراء العرب في الوحدة العربية ٣١٧
الخلاف في حزب الاستقلال العربي وجمعيته ٣١٩
الوفد الوطني السوري لأوربة والملك فيصل ٣٢٠

تفسير المنار

صدر من هذا التفسير أحد عشر جزءاً ، وقد اتفق من قرأه من العلماء على أنه قد يغني عن كل التفاسير ولا تغني كلها عنه . ثمن كل جزء منه ٢٥ قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر

(الجزء الرابع) ٢٤١ (المجلد الرابع والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

أنشئت ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومناراً » كمنار الطريق

٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٣ برج الاسد سنة ١٣١٢ هـ ش ٧ اغسطس سنة ١٩٣٤

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

علاوات لتفسير قصة نوح عليه السلام

العلاوة الأولى ، البلاغة الفنية في الآية ٤٣

سبق لنا أن قلنا في الكلام على إعجاز القرآن ببلاغته ومذهب المتكلمين وأدباء الفنون في التحدي به : إن هذا النوع من الاعجاز يقلُّ من يفقهه في هذا العصر لفقد أهله ملكتي البلاغة الذوقية السليقية والبيانية الفنية بله الجمع بينهما ، وهو ضروري لإدراك هذا النوع من الاعجاز ، وإن من يفقهه ويدرك عدم استطاعة أحد أن يأتي بسورة مثله قد يخفى عليه وجه دلالته على أنه لابد أن يكون وحيا من الله تعالى وحجة على نبوة محمد ﷺ ولذلك جزموا بوقوع العجز واختلفوا في وجه الدلالة ، فمثلهم كمثل حذاق الفنانين في الوشي والتطريز إذا رأوا صنع

قدماء الهنود من أهل لاهور وكشمير وأقروا بالعجز عن محاكاته ، و المصورين إذا رأوا أدق صور رفائيل في تصوير الانسان بأدق مناظر أعضائه وشمائله وملامح صفاته النفسية وامارات انفعالاته ولا سيما المتقاربة كالخوف والفزع والحزن والغم والغضب ونظر الاقرار ونظر الانكار ونظر الشهوة ونظر العطف والرحمة ونظر الاعجاب والعجب ونظر المتفكر والمتحير ، فقد يقرون بعجزهم عن محاكاتها ولكنهم لايقولون بعدم إمكانها ، بل يقولون بامكانها وبقرب وقوعها بالفعل إذا وجدت الداعية القوية كمنفعة مالية كبيرة أو مصلحة قومية أو دولية عظيمة

ومن المعلوم من تاريخ النبي ﷺ مع فصحاء قريش وغيرهم أنه حدثت لهم أعظم الدواعي والمصالح لمعارضة القرآن بعد تحديهم بسورة مثله مطلقا والتحدي بعشر سور في المكرر ولو مفترى ، فأيقنوا بعجزهم عن الاتيان بها وبهن ، ولو ظاهرهم عليه جميع الانس على كثرة بلغائهم وفصحائهم ، والجن الذين يعتقدون أن منهم هواجس تلقنهم الشعر من حيث لا يرونهم ، وكذا آلهتهم القادرون بخصائصهم الغيبية أو بمكانتهم عند الله تعالى على كل ما يريدون في هذا العالم بزعمهم ، قد عجزوا مع هذا كله واضطروا إلى مقاومة النبي بالقتال ، وما أعقبهم من خسارة المال ، وسبي النساء والاطفال ، ثم ما هو أشد عليهم وهو احتمال الذل والنكال ، وروي أن كبراءهم عزموا على التعاون على المعارضة واستعدوا لها فسمعوا هذه الآية (وقيل يأرض) فتضاءلت قواهم واستخذت أنفسهم ورجعوا عن عزمهم ، كما يأتي قريبا

عرف بلغاء قريش من بلاغة هذه الآية الروحية الكامنة في فصاحتها اللفظية الظاهرة وغيرها مالم يعرفه بلغاء الفنون بعدهم منها ، فكان هؤلاء أعلم بما للحسن والجمال الصوري في الكلام من المقاييس الفلسفية والموازين الفنية ودرجات الراجح على المرجوح . وكان أولئك أدق شعورا بما لهذا الحسن والجمال من السلطان على القلوب والحكم على العقول . مثال ذلك ان للجمال البدني في حسان النساء مقاييس وموازين لتناسب الاعضاء بعضها مع بعض يمكن ضبطها ، والعدل في الحكم بينها . وأما الجمال المعنوي وهو خفة الروح وسلطان التأثير في القلوب ،

فليس له مقياس ولا ميزان عشري يضبط به وزنه أو مساحته فيعرف الراجح من المرجوح ، وإنما يعرف هذا الجمال الاعلى بملكة نفسية ، لا بأوزان صناعية، كما قال أبو الطيب في الخيل: —

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب[1]

وإنما أحدث القرآن في الامة العربية ما أحدث من الثورة الدينية والاجتماعية والانقلاب العالمي بالنوع الثاني من ادراك بلاغته لا الاول ، وكل منها كامل في بابه، كما بينا ذلك في موضعه من عهد قريب ، وان كثرة البحث في الثاني ليشغل المفسر والمتدبر عن الاول الخاص منه بالهداية وإصلاح النفس وتزكيتها ، ولهذا نقتصر منه في تفسيرنا على ما قصر فيه المفسرون باختصار لا يشغل عن الهداية المقصودة بالذات ، وقد نجعله من باب الاستطراد بعد بيان معنى الاية أو الآيات ، ولهذا جعلت ما أحببت بيانه في بلاغة هذه الآية الفنية علاوة من هذه العلاوات ، وقد أطال العلماء الاخصائيون فيها حتى أفردها بعضهم بمصنفات خاصة ، وتكلم صاحب (الطراز في علوم الاعجاز) عليها في ٢٥ صفحة ، ولعله أحسنهم فيها كلاما ، وان كان السكاكي هو السابق اليه ، وكلهم فيه عيال عليه، وذكر بعض المفسرين جملا مختصرة أو وسطا منه أنقل منها هنا ما لخصه السيد الآلوسي في روح المعاني من كلام السكاكي وغيره بتصرف كعادته قال :

« واعلم أن هذه الآية الكريمة قد بلغت من مراتب الاعجاز أقاصيها ، واستذلت مصاقع العرب فسفعت بنواصيها، وجمعت من المحاسن ما يضيق عنه نطاق البيان، وكانت من سمهري البلاغة مكان السنان

« يروى أن كفار قريش قصدوا أن يعارضوا القرآن فعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الخمر أربعين يوما لتصفو أذهانهم ، فلما أخذوا فيما قصدوه وسمعوا هذه الآية قال بعضهم لبعض : هذا الكلام لا يشبه كلام المخلوقين ،

(١) الشيات جمع شية بالكسر من الوشي وهو التزيين (كعدة وعدات) وهي في الخيل وغيرها من الحيوان اللون المخالف للونها الاصلي كالسواد في البياض وعكسه

فتركوا ما أخذوا فيه وتفرقوا . ويروى أيضاً أن ابن المقفع وكان - كما في القاموس - فصيحاً بليغاً، بل قيل إنه أفصح أهل وقته - رام أن يعارض القرآن فنظم كلاماً وجعله مفصلا وسماه سوراً ، فاجتاز يوماً بصبي يقرؤها في مكتب[1] فرجع ومحا ما عمل، وقال أشهد أن هذا لا يعارض أبداً وما هو من كلام البشر . ولا يخفى ان هذا لا يستدعي أن لا يكون سائر آيات القرآن العظيم معجزاً لما أن حد الاعجاز هو المرتبة التي يعجز البشر عن الاتيان بمثلها ولا تدخل على قدرته قطعاً وهي تشتمل على شيئين: الاول الطرف الأعلى من البلاغة أعني ما ينتهي اليه البلاغة ولا يتصور تجاوزها إياه، والثاني ما يقرب من ذلك الطرف أعني المراتب العلية التي تتقاصر القوى البشرية عنها أيضا

« ومعنى إعجاز آيات الكتاب المجيد بأسرها هو كونها مما تتقاصر القوى البشرية عن الاتيان بمثلها سواء كانت من القسم الاول أو الثاني فلا يضر تفاوتها في البلاغة ، وهو الذي قاله علماء هذا الشأن »[2]

« وقد فصل بعض مزايا هذه الآية المهرة المتقنون ، وتركوا من ذلك ما لا يكاد يصفه الواصفون، ولا بأس بذكر شيء مما ذكر إفادة للجاهل، وتذكيراً للفاضل غافل ، فنقول :

جهات بلاغة الآية الأربع، اولها جهة علم البيان

ذكر العلامة السكاكي ان النظر فيها من أربع جهات : من جهة علم البيان ، ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة . ومن جهة الفصاحة المعنوية ، ومن جهة الفصاحة اللفظية : أما النظر فيها من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بذلك من القرينة والترشيح والتعريض ، فهو أنه عز سلطانه لما أراد أن يبين معنى : أردنا أن نرد ما انفجر من الارض إلى بطنها فارتد ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وأن نقضي أمر نوح عليه السلام وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضي ، وأن نسوي

(١) لعله سمعه يرتلها بصوت مؤثر نبهه لما كان غافلا عنه من روعتها
(٢) بينا مسألة التفاوت في البلاغة قريبا بما هو خير من هذا

السفينة على الجودي فاستوت ، وأبقينا الظلمة غرقى — بنى سبحانه الكلام على تشبيه المراد منه بالمأمور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته من الآمر العصيان ، وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكون المقصود تصويراً لاقتداره سبحانه العظيم ، وان هذه الأجرام العظيمة من السموات والارض تابعة لارادته تعالى إيجاداً وإعداماً ، ولمشيئته فيها تغييراً وتبديلا ، كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه جل شأنه حق معرفته ، وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لامره ، والاذعان لحكمه ، وتحتم بذل المجهود عليهم في تحصيل مراده ، وتصوروا مزيد اقتداره ، فعظمت مهابته في نفوسهم ، وضربت سرادقها في أفنية ضمائرهم ، فكما يلوح لهم إشارته سبحانه كان المشار اليه مقدما ، وكما يرد عليهم أمره تعالى شأنه كان المأمور به متمما ، لا تلقى لاشارته بغير الامضاء والانقياد ، ولا لأمره بغير الاذعان والامتثال

« ثم بنى على مجموع التشبيهين نظم الكلام فقال جل وعلا (قيل) على سبيل المجاز عن الارادة من باب ذكر المسبب وإرادة السبب ، لان الارادة تكون سبباً لوقوع القول في الجملة ، وجعل قرينة هذا المجاز خطاب الجماد وهو (يا أرض — ويا سماء) إذ يصح أن يراد حصول شيء متعلق بالجماد ولا يصح القول له . ثم قال سبحانه كما ترى (يا أرض ، ويا سماء) مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور . والظاهر أنه أراد أن هناك استعارة بالكناية حيث ذكر المشبه اعني السماء والارض المراد منهما حصول أمر وأريد المشبه به أعني المأمور الموصوف بأنه لا يتأتى منه العصيان ادعاء بقرينة نسبة الخطاب اليه ، ودخول حرف النداء عليه ، وهما من خواص المأمور المطيع ويكون هذا تخييلا . وقد يقال اراد ان الاستعارة ههنا تصريحية تبعية في حرف النداء بناء على تشبيه تعلق الارادة بالمراد منه بتعلق النداء والخطاب بالمنادى المخاطب ، وليس بشيء إذ لا يحسن هذا التشبيه ابتداء بل تبعاً للتشبيه الاول فكيف يجعل اصلا لمتبوعه ؟ على ان قوله للشبه المذكور يدفع هذا الحمل

« ثم استعار لغشور الماء في الارض [البلع] الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي . وفي الكشاف : جعل البلع مستعاراً لنشف الارض الماء وهو اولى فان النشف دال على جذب من اجزاء الارض لما عليها كالبلع

بالنسبة إلى الحيوان ، ولان النشف فعل الارض والغئور فعل الماء مع الطباق بين الفعلين تعدياً . ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيهاً له بالغذاء لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوّي الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة (ابلعي) لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء ،

«ولا يخفى عليك(١) انه إذا اعتبر مذهب السلف في الاستعارة يكون (ابلعي) استعارة تصريحية ومع ذلك يكون بحسب اللفظ قرينة للاستعارة بالكناية في الماء على حد ما قالوا في (ينقضون عهد الله) وأما إذا اعتبر مذهبه فينبغي ان يكون البلع باقياً على حقيقته كالانبات في : أنبت الربيع البقل . وهو بعيد ، او يجعل مستعاراً لامر متوهم كما في : نطقت الحال فيلزمه القول بالاستعارة التبعية كما هو المشهور

« ثم انه تعالى أمر على سبيل الاستعارة للتشبيه الثاني وخاطب في الامر ترشيحا لاستعارة النداء ، والحاصل ان في لفظ (ابلعي) باعتبار جوهره استعارة لغئور الماء وباعتبار صورته أعني كونه صورة أمر استعارة أخرى لتكوين المراد، وباعتبار كونه أمر خطاب ترشيح للاستعارة المكنية التي في المنادى، فان قرينتها النداء وما زاد على قرينة المكنية يكون ترشيحا لها . وأما جعل النداء استعارة تصريحية تبعية حتى يكون خطاب الآمر ترشيحا لها فقد عرفت مافيه

« ثم قال جل وعلا (ماءك) باضافة الماء إلى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك، واختار ضمير الخطاب لاجل الترشيح وحاصله ان هناك مجازاً لغويا في الهيئة الاضافية الدالة على الاختصاص الملكي . ولهذا جعل الخطاب ترشيحاً لهذه الاستعارة من حيث أن الخطاب يدل على صلوح الارض للمالكية، فما قيل ان المجاز عقلي والعبارة مصروفة عن الظاهر ليس بشيء،

« ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان من المطر أو الفعل، ففي (أقلعي) استعارة باعتبار جوهره وكذا باعتبار صيغته

(١) قوله ولا يخفى عليك الخ من كلام الآلوسي لا من كلام السكاكي وهو بحث في الخلاف بين مذهبه أي السكاكي و بين مذهب السلف في الاسناد في المثل المذكور ، وهذا المزج في الكلام من عادة الآلوسي

أيضاً وهي مبنية على تشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ ، والخطاب فيه أيضاً ترشيح لاستعارة النداء ، والحاصل ان الكلام فيه مثل مامرَّ في (ابلعي)

« ثم قال سبحانه (وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً) فلم يصرح جل وعلا بمن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال « بعداً » كما لم يصرح سبحانه بقائل (يا أرض ـ ويا سماء) في صدر الآية سلوكا في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية لان تلك الامور العظام لا تصدر إلا من ذي قدرة لا يكتنه ، قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلت عظمته قائلا (يا أرض ـ ويا سماء) ولا غائض ماغاض ، ولا قاضي مثل ذلك الامر الهائل ،، أو أن يكون تسوية السفينة واقرارها بتسوية غيره

« والحاصل ان الفعل اذا تعين لفاعل بعينه استتبع لذلك أن يترك ذكره ويبنى الفعل لمفعوله أو يذكر ماهو أثر لذلك الفعل على صيغة المبني للفاعل ويسند إلى ذلك المفعول فيكون كناية عن تخصيص الصفة التي هي الفعل بموصوفها ، وهذا أولى مما قيل في تقرير الكناية هنا : إن ترك ذكر الفاعل وبناء الفعل للمفعول من لوازم العلم بالفاعل وتعينه لفاعلية ذلك الفعل فذكر اللازم وأريد الملزوم لما ان (استوت) غير مبني للمفعول ـ كقيل ـ وغيض

« ثم انه تعالى ختم الكلام بالتعريض تنبيهاً لسالكي مسلك أولئك القوم في تكذيب الرسل عليهم السلام ظلماً لأنفسهم لا غير ختم اظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه ، وان قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة ماكانت إلا لظلمهم كما يؤذن بذلك الدعاء بالهلاك بعد هلاكهم ، والوصف بالظلم مع تعليق الحكم به ، وذكر بعضهم أن البعد في الاصل ضد القرب وهو باعتبار المكان ويكون في المحسوس ، وقد يقال في المعقول نحو (ضلوا ضلالا بعيداً) واستعماله في الهلاك مجاز

« قال ناصر الدين : يقال بعد بعداً بضم فسكون وبعداً بالتحريك اذا بعد بعداً بعيدا بحيث لا يرجى عوده ، ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء ، ولم يفرق في القاموس بين صيغتي الفعل في المعنيين حيث قال : البعد معروف والموت وفعلهما كسكرم وفرح بعداً وبعداً فافهم

« وزعم بعضهم ان الارض والسماء أعطيتا ما يعقلان به الامر فقيل لهما حقيقة ماقيل ، وان القائل (بعداً) نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، ولا يخفى ان هذا خلاف الظاهر، ولا أثر فيه يعول عليه والكلام على الاول أبلغ

بلاغة الآية من جهة علم المعاني

« وأما النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها، فذلك انه اختير (يا) دون سائر أخواتها لكونها أكثر في الاستعمال، وانها دالة على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام اظهار العظمة وابداء شأن العزة والجبروت، وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرض بالكسر لان الاضافة إلى نفسه جل شأنه تقتضي تشريفاً للارض وتكريماً لها فترك امداداً للتهاون ، ولم يقل: يا أيتها الارض! مع كثرته في نداء أسماء الاجناس قصداً إلى الاختصار والاحتراز عن تكلف التنبيه المشعر بالغفلة التي لا تناسب ذلك المقام، واختير لفظ الارض والسماء على سائر أسمائهما كالمقلة والغبراء، وكالمظلة والخضراء لكونهما أخصر وأورد في الاستعمال ، وأوفى بالمطابقة فان تقابلهما انما اشتهر بهذين الاسمين، واختير لفظ (ابلعي) على ابتلعي لكونه أخصر وأوفر تجانساً بأقلعي لان همزة الوصل ان اعتبرت تساويا في عدد الحروف وإلا تقاربا فيه بخلاف ابتلعي ، وقيل (ماءك) بالافراد دون الجمع لما فيه من صورة الاستكثار المتأبي عنها مقام اظهار الكبرياء وهو الوجه في افراد الارض والسماء ، وإنما لم يقل (ابلعي) بدون المفعول لئلا يستلزم تركه ماليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وسا كنات الماء بأسرهن نظراً إلى مقام عظمة الآمر المهيب ، وكمال انقياد المأمور .

« ولما علم ان المراد بلع الماء وحده علم ان المقصود بالاقلاع امساك السماء عن إرسال الماء فلم يذكر متعلق (أقلعي) اختصاراً واحترازاً عن الحشو المستغنى عنه وهذا هو السبب في ترك ذكر حصول المأمور به بعد الامر فلم يقل: قيل يا أرض ابلعي فبلعت ، ويا سماء أقلعي فأقلعت، لان مقام الكبرياء وكمال الانقياد يغني عن

ذكره الذي ربما أوهم امكان المخالفة ، واختير (غيض) على غيض المشدد لكونه أخصر، وقيل (الماء) دون ماء طوفان السماء، وكذ (الامر) دون أمر نوح وهو انجاز ماوعد لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك لانه إما بدل من المضاف اليه كما هو مذهب الكوفية ، وإما لانه يغني غناء الاضافة في الاشارة إلى المعهود

«واختير (استوت) على سويت أي أقرت مع كونه أنسب بأخواته المبنية للمفعول اعتباراً لكون الفعل المقابل للاستقرار أعني الجريان منسوبا إلى السفينة على صيغة المبني للفاعل في قوله تعالى (وهي تجري بهم) مع أن (استوت) أخصر من سويت ،

واختير المصدر أعني (بعداً) على ليبعد القوم طلباً لتأكيد معنى الفعل بالمصدر مع الاختصار في العبارة وهو نزول (بعداً) وحده منزلة: ليبعدوا بعداً مع فائدة أخرى هي الدلالة على استحقاق الهلاك بذكر اللام ،وإطلاق الظلم عن مقيداته في مقام المبالغة يفيد تناول كل نوع فيدخل فيه ظلمهم على أنفسهم لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في التكذيب من حيث أن تكذيبهم الرسل ظلم على أنفسهم لان ضرره يعود اليهم

«هذا من حيث النظر إلى تركيب الكلم ، وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك أنه قدم النداء على الامر فقيل (يأرض ابلعي — وياسماء أقلعي) دون أن يقال :ابلعي يأرض ،وأقلعي ياسماء ،جريا على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الامر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح للاستعارة المكنية في الارض والسماء . ثم قدم أمر الارض على أمر السماء لكونها الاصل نظراً إلى كون ابتداء الطوفان منها حيث فار تنورها أولا . ثم جعل قوله سبحانه (وغيض الماء) تابعاً لأمر الارض والسماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها . ألا ترى أصل الكلام (قيل يا أرض ابلعي ماءك) فبلعت ماءها (وياسماء اقلعي) عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله (وغيض الماء) النازل من السماء فغاض ، وقيد الماء بالنازل وإن كان في الآية مطلقا لان ابتلاع الارض ماءها فهم

من قوله سبحانه (ابلعي ماءك) واعترض بأن الماء المخصوص بالارض إن أريد به ماعلى وجهها فهو يتناول القبيلين الارضي والسمائي ، وإن أريد به مانبع منها فاللفظ لا يدل عليه بوجه ، ولهذا حمل الزمخشري الماء على مطلقه ، وأشعر كلامه بأن (غيض الماء) إخبار عن حصول المأمور به من قوله سبحانه (يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) فالتقدير قيل لهما ذلك فامتثلا الامر ونقص الماء

« ورجح الطيبي ما ذهب اليه السكاكي زاعماً ان معنى الغيض حينئذ ما قاله الجوهري وهو عنده مخالف للمعنى الذي ذكره الزمخشري فقال : إن إضافة الماء إلى الارض لما كانت ترشيحاً للاستعارة تشبيها لاتصاله بها باتصال الملك بالمالك ولذا جيء بضمير الخطاب اقتضت إخراج سائر المياه سوى الذي بسببه صارت الارض مهيأة للخطاب بمنزلة المأمور المطيع وهو المعهود في قوله تعالى (وفار التنور) وبهذا الاعتبار يحصل التوغل في تناسي التشبيه والترشيح ، ولو أجريت الاضافة على غير هذا تكون كالتجريد وكم بينهما ؟

« هذا ولو حمل على العموم لاستلزم تعميم ابتلاع المياه بأسرها لورود الامر من مقام العظمة كما علمت من كلام السكاكي وليس بذاك ، وتعقبه في الكشف بأنه دعوى بلا دليل ورد يمين ؟ إذ لا معهود ، والظاهر ما على وجه الارض من الماء ولا ينافي الترشيح وإضافة المالكية . ثم الظاهر من تنزيل الماء منزلة الغذاء أن تجعل الاضافة من باب إضافة الغذاء إلى المغتذي في النفع والتقوية وصيرورته جزءا منه ، ولا نظر فيه إلى كونه مملوكا أو غير ذلك ، وأما التعميم فمطلوب وحاصل على التفسيرين لانحصار الماء في الارضي والسمائي وقد قلتم بنضوبها من قوله سبحانه فبلعت ؟ وقوله تعالى (وغيض) ولاشك أن ماءعندنا من الماء غير ماء الطوفان

« هذا والمطابق تفسير الزمخشري ، ألا ترى إلى قوله جل وعلا (فالتقى الماء) أي الارضي والسمائي ، وههنا تقدم الماءان في قوله سبحانه « ماءك ـ ويا سماء أقلعي » لان تقديره : عن إرسال الماء على زعمهم ، فإذا قيل « وغيض الماء » رجع اليهما لامحالة لتقدمهما . ثم إذا جعل من توابع « أقلعي » خاصة لم يحسن عطفه على اصل القصة أعني « وقيل يا أرض ابلعي » كيف وفي إيثار هذا التفسير الاشارة إلى أنه

زال كونه طوفانا لان نقصان الماء غير الاذهاب بالكلية، وإلى أن الأجزاء الباطنة من الارض لم تبق على ما كانت عليه من قوة الانبعاث ورجعت إلى الاعتدال المطلوب وليس في الاختصاص بالنضوب هذا المعنى البتة اه

«وزعم الطبرسي ان أئمة البيت رضي الله تعالى عنهم على ان الماء المضاف هو مانبع وفار وانه هو الذي ابتلع وغاض لاغير، وان ماء السماء صار بخاراً وأنهاراً

«وأخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن ابن عباس مايؤيده وهذا مخالف لما يقتضيه كلام السكاكي مخالفة ظاهرة وفي القلب من صحته مافيه

«ثم انه تعالى أتبع (غيض الماء) ماهو المقصود الاصلي من القصة وهو قوله جلت عظمته (وقضي الامر) ثم أتبع ذكر المقصود حديث السفينة لتأخره عنه في الوجود، ثم ختمت القصة بالتعريض الذي علمته

مزايا الآية من جهة الفصاحة المعنوية واللفظية

«هذا كله نظر في الآية من جانبي البلاغة، وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف، وتأدية لها ملخصة مبنية لا تعقيد يعثر الفكر في طلب المراد، ولا التواء يشيك الطريق الى المرتاد، بل اذا جربت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها، ومعانيها تسابق ألفاظها، فما من لفظة فيها تسبق الى أذنك، إلا ومعناها أسبق الى قلبك

«وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية فألفاظها على ماترى عربية مستعملة جارية على قوانين اللغة سليمة عن التنافر، بعيدة عن البشاعة، عذبة على العذبات، سلسة على الأسلات، كل منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة، وكالنسيم في الرقة، ولله تعالى در التنزيل ماذا جمعت آياته

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

«وما ذكر في شرح مزايا هذه الآية بالنسبة الى مافيها قطرة من حياض، وزهرة من رياض

مزايا الآية من جهة المحسنات البديعية

« وقد ذكر ابن أبي الاصبع ان فيها عشرين ضربا من البديع مع انها سبعة عشرة لفظة، وذلك المناسبة التامة في (ابلعي ـ و ـ أقلعي)، والاستعارة فيهما، والطباق بين الارض والسماء، والمجاز في ياسماء فان الحقيقة يامطر السماء ، والاشارة في وغيض الماء فانه عبر به عن معان كثيرة لان الماء لايغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الارض مايخرج منها فينقص ماعلى وجه الارض والارداف في (واستوت) والتمثيل في (وقضي الامر) والتعليل فان غيض الماء علة للاستواء ، وصحة التقسيم فانه استوعب أقسام الماء حال نقصه، والاحتراس في الدعاء لئلا يتوهم أن الغرق لعمومه شمل من لايستحق الهلاك، فان عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق، وحسن النسق ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، والايجاز فانه سبحانه قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة، والتسهيم لان أول الآية يدل على آخرها ، والتهذيب لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن وحسن البيان من جهة أن السامع لايتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء منه، والتمكين لان الفاصلة مستقرة في محلها مطمئنة في مكانها، والانسجام، وزاد الجلال السيوطي بعد أن نقل هذا عن ابن أبي الاصبع الاعتراض ، وزاد آخرون أشياء كثيرة إلا انها كـكلام ابن أبي الاصبع قد أشير اليها بأصبع الاعتراض

« وقد ألف شيخنا علاء الدين — أعلى الله تعالى درجته في أعلى علبين — رسالة في هذه الآية الكريمة جمع فيها ماظهر له ووقف عليه من مزاياها فبلغ ذلك مائة وخمسين مزية ، وقد تطلبت هذه الرسالة لأذكر شيئاً من لطائفها فلم أظفر بها، وكأن طوفان الحوادث أغرقها ، ولعل فيما نقلناه سداداً من عوز ، والله تعالى الموفق للصواب وعنده علم الكتاب » انتهى

العلاوة الثانية

﴿ حادثة الطوفان في القرآن والتوراة والتاريخ القديم ﴾

بينا مراراً أن أحداث التاريخ وضبط وقائعه وأزمنتها وأمكنتها ليس من مقاصد القرآن ، وان مافيه من قصص الرسل مع أقوامهم فانما هو بيان لسنة الله فيهم وماتتضمنه من أصول الدين والاصلاح التي أجملناها في بيان حكمة التحدي بعشر سور منه من تفسير هذه السورة، بعشر جمل جامعة لأنواع المعارف والفوائد والعبر والمواعظ والنذر المتفرقة

وبينا أن قصة نوح عليه السلام جاءت في عدة سور في كل سورة منها ماليس في سائرها من ذلك، ولهذا لم يذكر فيها من حادثة الطوفان إلا مافيه العبرة والموعظة المقصودة بالذات منها ، فذكرت في بعضها بآية وفي بعضها بآيتين فما فوقهما من جمع القلة ،وما في هذه السورة هو أطولها وأجمعها

قصة نوح في سفر التكوين

وأما قصة نوح في سفر التكوين وهو السفر الاول من الاسفار التي يسمونها التوراة فهي قصة تاريخية وردت في سياق أنساب ذرية آدم وتسلسلها في السنين المعدودة ، الى أن تتصل ببني اسرائيل المقصودين بالذات لمؤلفه دون غيرهم من البشر وهذا التاريخ نقضه من أساسه علم الجيولوجية وما كشف من آثار الانسان المتحجرة وغيرها

في الفصل الاول من سفر التكوين بيان خلق السموات والارض في ستة أيام في سادسها خلق آدم ،وفي الفصل الثاني تفصيل لما خلق الله في الارض ومنه انه غرس جنة في عدن شرقا ووضع فيها آدم ، وفي آخره ذكر خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم اليسرى، وفي الفصل الثالث خبر معصية آدم بأكله من شجرة الحياة طاعة لامرأته التي أغوتها الحية وحملتها على الاكل منها ،وفي الفصل الرابع تناسل آدم وحواء ،وفي الخامس مواليد آدم إلى نوح وهو البطن التاسع من ذريته وكان

بين خلق آدم وولادة نوح ١٠٥٦ سنة منها ٩٣٠ سنة مدة حياة آدم عليه السلام.

وأما قصة نوح عليه السلام فاستغرقت فيه أربعة فصول من ٦ ـ ٩ في آخر التاسع منها ان نوحا عاش ٩٥٠ سنة وفي أول السادس بيان سبب الطوفان وهو بمعنى ما في القرآن الا انه بأسلوب تلك الكتب التي تشبه الله تعالى بالانسان في الصورة والمعنى أو ما تكرر فيه من انه خلق آدم على صورته (١:٢٦ وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء و.. ٢٧ فخلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى) وهذا ما يعنينا في هذا السفر من قصة نوح

(٦:٥ ورأى الرب ان شر الانسان قد كثر في الارض وان كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم ٦ فحزن الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه ٧ فقال الرب أمحو عن وجه الارض الانسان الذي خلقته ، الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لاني حزنت عليهم أني عملتهم ٨ وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب ٩ هذه مواليد نوح : كان نوح رجلا باراً كاملا في أجياله وسار نوح مع الله ١٠ وولد نوح ثلاثة بنين : سام وحام ويافث ١١ وفسدت الارض أمام الله وامتلأت ظلما ١٢ ورأى الله الارض فاذا هي قد فسدت إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الارض ١٣ فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامي لان الارض امتلأت ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الارض ١٤ اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر) الخ وههنا وصف طول الفلك وعرضه وارتفاعه وبابه في جانبه وطبقاته الثلاث ومن يدخل فيه معه وهم امرأته وبنوه الثلاثة وأزواجهم الثلاث ومن كل حي من كل ذي جسد زوجين اثنين، وكل من يبقى في الارض وتحت السماء يهلك ، وقد كرر ذكر من يدخل الفلك ، وذكر تاريخ دخول الفلك من عمر نوح ومدة المطر وهو أربعون يوما ومقدار ارتفاع الفلك فوق الجبال وهو ١٥ ذراعا وبقاء المياه على الارض ١٥٠ يوما

كل ذلك في الفصلين السادس والسابع وذكر في الفصل الثامن رجوع المياه عن الارض بالتدريج واستقرار الفلك على جبال أراراط وما كان من خروج

نوح ومن معه من السفينة (قال) ٨ : ٢٠ وبنى نوح مذبحاً للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح ٢١ فتنسم الرب رائحة الرضى وقال الرب في قلبه : لا أعود ألعن الارض أيضا من أجل الانسان، لان تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت ٢٢ مدة كل أيام الارض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال)

وفي الفصل التاسع مباركة الله لنوح وبنيه وإكثارهم ليملؤا الارض وتأمينهم من عودة الطوفان باعطائهم ميثاقه وهو قوس السحاب بل جعلها أمانا لكل الاحياء ، وقال في أبناء نوح ١٩٠٩ هؤلاء الثلاثة بنو نوح ومن هؤلاء تشعبت كل الارض) وفيه ان الرب لعن كنعان بن يافث وجعله وذريته عبيداً لذرية سام وحام لانه نظر إلي عورة جده نوح إذ تعرى وهو سكران

هذه خلاصة قصة نوح في سفر التكوين وليس فيها انه كان رسولا ولا انه دعا قومه إلى الله، ولا انه آمن معه أحد ، ولا انه كان له ولد كافر غرق مع قومه ولا امرأة كافرة، ولا ندري أكان كفرها قبل الطوفان فغرقت أم بعده. ولكنه يوافق القرآن في أن سبب الطوفان غضب الله على البشر بفسادهم وظلمهم ولكن بأسلوبه المشبه لله سبحانه بالانسان في صفاته الباطنة كصورته الظاهرة

عمر نوح وتعليل طوله كأعمار من قبله

ويوافق القرآن تقريباً في عمر نوح وهو ٩٥٠ سنة ولكن نص القرآن انه لبث في قومه هذه المدة . وهي مسألة قد اشتبه فيها الناس منذ قرون حتى زعم بعضهم ان السنة عند المتقدمين أقل من السنة عند أهل القرون بعد تدوين التاريخ كما ان الايام والسنين في زمن التكوين أطول من هذه الازمنة كما قال تعالى (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وتقدم هذا في محله . والذي نراه في أعمار آدم وذريته إلى ماقبل الطوفان أو قبل ما كشف من آثار التاريخ لايقاس بما عرف بعد ذلك لان طبيعة العمران ومعيشة الانسان الفطرية كانت أسلم للابدان ، وقول الله هو الحق ويجب الايمان به على كل حال

سفر التكوين ليس من توراة موسى

وسفر التكوين هذا ليس حجة قطعية فيما ذكر فيه فضلا عما سكت عنه، فان التوراة التي كتبها موسى عليه السلام ووضعها بجانب تابوت العهد كما ذكر في سفر التثنية قد فقدت هي والتابوت بحريق الهيكل ، وهذه الاسفار المعتمدة عند اليهود قد كتبت كلها بعد الرجوع من سبي بابل في سنة ٥٣٦ قبل ميلاد المسيح عليه السلام ويقولون إن عزرا هو الذي كتبها وجمعها ، وليس لها سند متصل اليه دع اتصالها بمن قبله، وقد اشتهر ان الاستاذ جبر ضومط مدرس البلاغة في الجامعة الامريكانية ببيروت ألف رسالة رجح فيها ان سفر التكوين مأثور عن يوسف عليه السلام ولما نطلع عليه ، وجملة القول أنه ليس له سند إلى من كتبه ، ولا يقوم دليل على انه وحي من الله تعالى ولكنه على كل حال أثر تاريخي قديم له قيمته

وأما القرآن فقد قامت البراهين على انه كلام الله ووحيه إلى محمد رسول الله وخاتم النبيين كما فصلناه في مواضع كثيرة أجمعها (كتاب الوحي المحمدي)

الاسرائيليات في تفسير قصة نوح

وأما ما حشا المفسرون به تفاسيرهم من الروايات في هذه القصة وغيرها عن الصحابة والتابعين وغيرهم فلا يعتد بشيء منه، ولم يرفع منه شيء إلى النبي ﷺ بسند صحيح ولا حسن . وأمثل ماروي فيه حديث عائشة في صنع السفينة وأم الولد الكافر الذي رفعته لينجو فغرق معها وهو ضعيف كما تقدم ، وأنكر منه مارواه ابن جرير عن ابن عباس من احياء عيسى عليه السلام بطلب الحواريين لحام ابن نوح وتحديثه إياهم عن السفينة في طولها وعرضها وارتفاعها وطبقاتها وما في كل منها ، ودخول الشيطان فيها بحيلة احتال بها على نوح ومن ولادة خنزير وخنزيرة من ذنب الفيل وسنور وسنورة (قط وقطة) من منخر الاسد وكل ذلك من الاباطيل الاسرائيلية المنفرة عن الاسلام ، وقد رواه من طريق علي بن زيد بن جدعان وقد ضعفه الائمة كأحمد ويحيى وغيرهم ، وقال ابن عدي كان يغلو في التشيع ومع ذلك يكتب حديثه. أقول وحسبهم هذه الرواية حجة عليه

خبر الطوفان في الامم القديمة

وقد ورد في تواريخ أكثر الامم القديمة ذكر للطوفان منها الموافق لخبر سفر التكوين إلا قليلا ومنها المخالف له إلا قليلا وأقرب الروايات اليه رواية الكلدانيين وهم الذين وقع الطوفان في بلادهم فقد نقل عنهم برهوشع ويوسيفوس ان زيزستروس رأى في الحلم بعد موت والده أو تيرت ان المياه ستطغى وتغرق جميع البشر وأمره ببناء سفينة يعتصم فيها هو وأهل بيته وخاصة أصدقائه ففعل ، وهو يوافق سفر التكوين في أنه كان في الارض جيل من الجبارين طغوا فيها وأكثروا الفساد فعاقبهم الله بالطوفان وقد عثر بعض الانكليز على ألواح من الآجر نقشت فيها هذه الرواية بالحروف المسمارية في عصر أشور بانيبال من نحو ٦٦٠ سنة قبل ميلاد المسيح ، وانها منقولة من كتابة قديمة من القرن السابع عشر قبل المسيح او قبله ، فهي أقدم من سفر التكوين

وروى اليونان خبراً عن الطوفان أورده أفلاطون وهو ان كهنة المصريين قالوا لسولون (الحكيم اليوناني) ان السماء أرسلت طوفاناً غير وجه الارض فهلك البشر مراراً بطرق مختلفة فلم يبق للجيل الجديد شيء من آثار من قبله ومعارفهم

وأورد مانيتون خبر طوفان حدث بعد هرمس الاول الذي كان بعد ميناس الاول ، وهذا أقدم من تاريخ التوراة أيضاً

وروي عن قدماء اليونان خبر طوفان عم الارض كلها إلا دوكاليون وامرأته بيرا فقد نجوا منه ، وروي عن قدماء الفرس طوفان أغرق الله به الارض بما انتشر فيها من الفساد والشرور بفعل (اهريمان) إله الشر ، وقالوا ان هذا الطوفان فار أولا من تنور العجوز (زول كوفه) إذ كانت تخبز خبزها فيه ، ولكن المجوس أنكروا عموم الطوفان وقالوا انه كان خاصاً باقليم العراق وانتهى إلى حدود كردستان .

وكذا قدماء الهنود يثبتون وقوع الطوفان سبع مرات في شكل خرافي آخرها أن ملكهم نجاهو وامرأته في سفينة عظيمة أمره بصنعها إلهه فشنوشدها بالسر حتى استوت على جبل جيمافات (حملايا) ولكن البراهمة كالمجوس ينكرون وقوع طوفان عام أغرق الهند كلها . ويروى تعدد الطوفان عن اليابان والصين وعن البرازيل والمكسيك وغيرهما وكل هذه الروايات تتفق في ان سبب ذلك عقاب الله للبشر بظلمهم وشرورهم

العلاوة الثالثة

(هل كان الطوفان عاما أم خاصا ؟)

نص التوراة — أو سفر التكوين — ان الطوفان كان عاما مهلكا لجميع البشر إلا ذرية نوح من أبنائه الثلاثة سام وحام ويافث فانه لم يكن في الارض غيرهم، بحسب ما سبق فيه خبره من خلق السموات والارض وآدم وذريته كما تقدم

والله تعالى يقول (١٨ : ٥١ ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم) أما قوله في نوح عليه السلام بعد ذكر تنجيته وأهله (٣٧ : ٧٧ وجعلنا ذريته هم الباقين) فالحصر فيهم يجوز أن يكون إضافيا أي الباقين دون غيرهم من قومه ، وأما قوله (٧١ : ٢٦ وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) فليس نصا في ان المراد بالارض هذه الكرة كلها فان المعروف في كلام الانبياء والاقوام وفي اخبارهم أن تذكر الارض ويراد بها أرضهم ووطنهم كقوله تعالى حكاية عن خطاب فرعون لموسى وهارون (١١ : ٨٧ وتكون لكما الكبرياء في الارض) يعني أرض مصر، وقوله (١٧ : ٧٦ وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) فالمراد بها مكة ، وقوله (١٧ : ٤ وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين) والمراد بها الارض التي كانت وطنهم والشواهد عليه كثيرة

ولكن ظواهر الآيات تدل بمعونة القرائن والتقاليد الموروثة عن أهل الكتاب على انه لم يكن في الارض كلها في زمن نوح إلا قومه، وأنهم هلكوا كلهم بالطوفان ولم يبق بعده فيها غير ذريته ، وهذا يقتضي أن يكون الطوفان في البقعة التي كانوا فيها من الارض سهلها وجبالها لا في الارض كلها ، إلا اذا كانت اليابسة منها في ذلك الزمن صغيرة لقرب العهد بالتكوين وبوجود البشر عليها ، فان علماء التكوين وطبقات الارض (الجيولوجية) يقولون ان الارض كانت عند انفصالها من الشمس كرة نارية ملتهبة ثم صارت كرة مائية ثم ظهرت فيها اليابسة بالتدريج

وقد استفتي شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في هذه المسألة فأفتى بما ننقله هنا بنصه من (ص٦٦٦) من الجزء الاول من تاريخه وهو :

طوفان نوح ، هل عم الأرض كلها ؟

جواب سؤال ورد على الاستاذ الامام مفتي الديار المصرية من حضرة الاستاذ الشيخ عبد الله القدومي خادم العلم الشريف بمدينة نابلس، وفيه نص السؤال :

وصلنا مكتوبكم المؤرخ في ٤ شوال سنة ١٣١٧ الذي أنهيتم به أنه ظهر قبلكم نشء جديد من الطلبة ديدنهم البحث في العلوم والرياضة والخوض في توهين الادلة القرآنية ، وقد سمع من مقالتهم الآن أن الطوفان لم يكن عاما لأنحاء الارض ، بل هو خاص بالارض التي كان بها قوم نوح عليه السلام ، وأنه بقي ناس في أرض الصين لم يصبهم الغرق، وان دعاء نوح عليه السلام بهلاك الكافرين لم يكن عاما بل هو خاص بكفار قومه ، لانه لم يكن مرسلا إلا إلى قومه بدليل ما صح « وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة »

فاذا قيل لهم : ان الآيات الكريمة ناطقة بخلاف ذلك، كقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وكقوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) وقوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) قالوا هي قابلة للتأويل ولا حجة فيها ، وإذا قيل لهم ان جهابذة المحدثين أجابوا بأنه صح في أحاديث الشفاعة أن نوحاً عليه السلام أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض ، وانه يتعين أن يكون قومه أهل الارض ، ويكون عموم بعثته أمراً اتفاقياً لعدم وجود أحد غير قومه ، ولو وجد غيره لم يكن مرسلا اليهم - سخروا من المحدثين، واستندوا إلى حكايات منسوبة إلى أهل الصين . ورغبتم منا بذلك المكتوب كشف الغطاء عن سر هذا الحادث العظيم ، والإفادة بما يقتضيه الحق ، ويطمئن اليه القلب .

والجواب عن ذلك والحمد لله : أما القرآن الكريم فلم يرد فيه نص قاطع على عموم الطوفان ، ولا على عموم رسالة نوح عليه السلام ، وما ورد من الاحاديث على فرض صحة سنده فهو آحاد لا يوجب اليقين ، والمطلوب في تقرير مثل هذه الحقائق هو اليقين لا الظن ، إذا عد اعتقادها من عقائد الدين

وأما المؤرخ ومريد الاطلاع فله أن يحصل من الظن ما ترجحه عنده ثقته بالراوي

أو المؤرخ أو صاحب الرأي ، وما يذكره المؤرخون والمفسرون في هذه المسألة لا يخرج عن حد الثقة بالرواية أو عدم الثقة بها ، ولا تتخذ دليلا قطعيا على معتقد ديني

وأما مسألة عموم الطوفان في نفسها فهي موضوع نزاع بين أهل الاديان وأهل النظر في طبقات الارض ، وموضوع خلاف بين مؤرخي الامم ، أما اهل الكتاب وعلماء الامة الاسلامية فعلى أن الطوفان كان عاما لكل الارض، ووافقهم على ذلك كثير من أهل النظر ، واحتجوا على رأيهم بوجود بعض الاصداف والاسماك المتحجرة في أعالي الجبال، لان هذه الاشياء مما لا تتكون إلا في البحر. فظهورها في رءوس الجبال دليل على أن الماء صعد اليها مرة من المرات ، ولن يكون ذلك حتى يكون قد عم الارض، ويزعم غالب أهل النظر من المتأخرين ان الطوفان لم يكن عاما ولهم على ذلك شواهد يطول شرحها - غير أنه لا يجوز لشخص مسلم أن ينكر قضية ان الطوفان كان عاما لمجرد احتمال التأويل في آيات الكتاب العزيز، بل على كل من يعتقد بالدين أن لا ينفي شيئا مما يدل عليه ظاهر الآيات والاحاديث التي صح سندها وينصرف عنها إلى التأويل إلا بدليل عقلي يقطع بأن الظاهر غير مراد، والوصول إلى ذلك في مثل هذه المسألة يحتاج الى بحث طويل، وعناء شديد ، وعلم غزير في طبقات الارض وما تحتوي عليه، وذلك يتوقف على علوم شتى عقلية ونقلية، ومن هذى برأيه بدون علم يقيني فهو مجازف لا يسمع له قول ، ولا يسمح له ببث جهالاته، والله سبحانه وتعالى أعلم اهـ

(أقول) خلاصة هذه الفتوى ان ظواهر القرآن والاحاديث ان الطوفان كان عاما شاملا لقوم نوح الذين لم يكن في الارض غيرهم ، فيجب اعتقاده ولكنه لا يقتضي أن يكون عاما للارض اذ لا دليل على انهم كانوا يملؤن الارض وكذلك وجود الاصداف والحيوانات البحرية في قلل الجبال لا يدل على انها من أثر ذلك الطوفان بل الاقرب انه كان من أثر تكون الجبال وغيرها من اليابسة في الماء كما قلنا آنفا، فان صعود الماء الى الجبال أياما معدودة لا يكفي لحدوث ماذكر فيها ، وقد قلنا في العلاوة الثانية ان هذه المسائل التاريخية ليست من مقاصد القرآن ولذلك لم يبينها بنص قطعي. فنحن نقول بما تقدم إنه ظاهر النصوص ولا نتخذه عقيدة دينية قطعية، فان اثبت علم الجيولوجية خلافه لا يضرنا ، لانه لا ينقض نصا قطعيا عندنا

العلاوة الرابعة

﴿في غضب الله على عباده وعقابهم ببعض ظلمهم وفسوقهم في الدنيا بمناسبة القصة﴾

بينا أن طوفان نوح عليه السلام كان عذابا عاقب الله به قومه على ظلمهم وإجرامهم وان رواية سفر التكوين موافقة للقرآن في هذا، وكذلك كل ماروي عن الامم القديمة من أخبار الطوفان العام أو الخاص قد جاء فيها هذا المعنى فهو متواتر عن أكثر الامم تواتراً معنوياً

وجاء في القرآن ان الله تعالى عاقب غير قوم نوح من أقوام الانبياء عليهم السلام بعذاب الاستئصال لما عمهم وشملهم الشرك والظلم والفساد، كما قال بعد ذكر أشهرهم في التاريخ (٢٩ : ٣٩ فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الارض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وسيأتي تفصيل عقاب هؤلاء الاقوام بعد قصة نوح هذه

وقد بينا في هذا التفسير أن عذاب الاستئصال إنما وقع على الامم التي عمها الفساد وأنذرها الرسل وقوعه فلم يرجعوا، وانه ما وقع على قوم وفيهم مؤمن صالح، وإنما كان الله تعالى يخرج منهم رسوله ومن آمن معه ويهلك الباقين كما قال (١٧ : ١٥ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (٢٨ : ٥٨ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين ٥٩ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا، وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) ولما كان في قوم فرعون مؤمنون لا يعلم عددهم إلا الله تعالى لم يغرقهم كلهم وإنما أغرق من خرجوا معه لاعادة بني اسرائيل الى الاستعباد والظلم

وبينا أيضاً ان أمة محمد ﷺ التي وجهت اليها دعوته هم جميع البشر، وأن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين، ولهذا لا يهلكها بعذاب الاستئصال لانها لا تجمع على الكفر والفساد في الارض، وإنما يكون هلاكها العام بقيام الساعة العامة التي يهلك بها البشر كلهم،

وهذا إنما يكون إذا عمهم الكفر كما ورد في الحديث الذي رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أنس مرفوعاً اليه ﷺ وهو «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله»

وقد ثبت في آيات كثيرة ان العذاب يقع في هذه الامة - أمة الدعوة وأمة الاجابة — خاصاً بالظالمين والفاسقين لا عاما للبشر كلهم ولكنه قد يعم أفراد من يقع فيهم، وقد قال الله تعالى (٦ : ٦٥ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض، انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) وكل هذه الانواع واقعة وقد روي عن عبد الله ابن مسعود (رض) ان هذه الآية فيمن يأتي بعد، أي بعد عصر النبي ﷺ وأصحابه في المستقبل، وقد ظهرت في هذا العصر بأشكال لم تكن تخطر على بال بشر في العصور السابقة وهي عذاب الطيارات الجوية، والالغام الارضية، والغواصات البحرية، وتفرق الاقوام إلى شيع في العداوات فوق المعهود ممن قبلهم، وقد فصلنا ذلك في تفسيرها من سورة الانعام

كذلك يكثر في الامم المختلفة في كل عصر مثل ما عذب به الاقوام الاولون المجرمون الظالمون من الطوفان الخاص وخسف الارض وحسبان النار من البراكين والصواعق، وشدة القيظ المحرق للنبات القاتل للانسان والحيوان. وقد اشتدت هذه الانواع في هذين العامين فكانت على أشدها في صيف عامنا هذا (١٣٥٣ هـ ١٩٣٤م) في أمريكة وأوربة ولا سيما انكلترة والهند والترك والفرس والشرق الاقصى وخسفت بعض الارض بالزلازل في الهند. وحدث في مصر وسورية والعراق وشمال افريقية شيء من الجوع وهلاك الحرث ونقص الانفس والثمرات، وهي مما ورد في القرآن أيضاً، ولا يزال القيظ على أشده في الولايات المتحدة وانكلترة، ونسأل الله تعالى أن يجير مصر من طغيان في النيل كطغيان بعض أنهار الصين والهند أخيرا وفرنسة قبلهما، عقابا لنا بظلم الظالمين من حكامنا وفسق الفاسقين من دهمائنا اللهم قد كثر الفساد في البر والبحر، وقل من يعرفك في الشدة والرخاء، ومن يدعوك وحدك في السراء أو الضراء، اللهم تب علينا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، وأدم لنا هذا النيل رحمة، ولا تجعل منه عقوبة للامة

اعتبار المؤمنين بالمصائب العامة وتوبتهم رجاء رفعها

كان المؤمنون بالله من جميع الامم إذا وقع عذاب مثل هذا يعتبرون ويتذكرون الله تعالى فيتوبون اليه ويستغفرونه كما كانت أنبياؤهم توصيهم ويعلمونهم ان التوبة الى الله واستغفاره من الذنوب ولا سيما الظلم والفسق من أسباب إدرار الغيث والرزق كما قال تعالى في أول هذه السورة (١١ : ٣ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسنا الى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله ،وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير) ثم قال حكاية عن نبيه هود عليه السلام (٥٢ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين)وقال حكاية عن نوح في سورته (١٠ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً ١١ يرسل السماء عليكم مدرارا ١٢ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) ولم يخطر في بال رجال الدين ولا غيرهم في الولايات المتحدة وانكلترة أن يذكروا الناس بغضب الله تعالى عليهم بفسقهم وظلمهم عند ما اشتد القيظ ومنع المطر واحترقت الزروع وهلكت المواشي، ويدعوهم الى التوبة والاستغفار والاستسقاء العام (٧ : ٤٣ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون)أي خائبون متحسرون أو يائسون،

وقال في مشركي أهل مكة(٨ : ٣٢ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ٣٣ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فلما خرج ﷺ منهم ودعا عليهم أصابهم القحط الشديد حتى أكلوا العلهز وأرسلوا اليه يستشفعون به حتى كان أبو سفيان أعدى أعدائه هو الذي كلمه واستعطفه على قومه، وفيهم أنزل الله تعالى (١٦ : ١١٢ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ١١٣ ولقد جاءهم

رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) وما جعل الله هذا مثلا إلا لانه يشمل الاولين والآخرين حتى كانت أغنى عواصم الارض وقراها كلندن وباريس ذاقت ألم الجوع والخوف في سني الحرب العامة (ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون)

الافكار المادية المانعة من الاتعاظ بالنوازل

فان قيل ان أكثر الظالمين في هذا العصر ماديون يعتقدون ان طوفان نوح الذي اختلف فيه هل كان عاما هلك به جميع أهل الارض إلا من نجا في السفينة أو خاصاً بقوم نوح يعتقدون انه حدث بأسباب طبيعية كما حدث في هذا العام في مواضع في فرنسة وغيرها من أوربة وفي اليابان والهند والصين فأهلك كثيرا من الناس وأتلف من المباني والمزارع ما قدرت قيمته بألوف الالوف من الدراهم والدنانير، وهم يعتقدون ان الطوفان العام لن يحدث في الارض بعد ، فان طوفان نوح انما كان عظيما عاما كان أو خاصاً لانه كان قريب العهد بتكوين الارض إذ كان أكثرها مغموراً بالمياه ثم صار يتقلص وتتسع اليابسة بالتدريج. وقد صرح المتكلمون من علمائنا بهذا الرأي ففي كتاب المواقف وغيره : الاشبه أن هذا المعمور كان مغموراً بالمياه بدليل ما يوجد في أعالي الجبال من الاصداف البحرية والاسماك المتحجرة اه بالمعنى

وهكذا يقولون فيما يعذبون به من الاحداث الجوية كقحط المطر وانحباسه وجفاف المياه وغئورها وشدة صخد الشمس ورمضائها ، وقد اشتد هذا في أكثر بلاد الانكليز وامريكة، فاحترق جل زرعهم الصيفي وهلك به كثير من مواشيهم بل مات به ألوف منهم مئات من أهل مدينة نيويورك وحدها وهي أعظم ثغور العالم فأكثر بلاد الافرنج في هذا العام في سخط الله تعالى بين حريق وغريق جزاء بما أفسدوا في الارض بالقتل والتخريب والتدمير في سني الحرب الاربع الاخيرة ، ثم بما أسرفوا بعدها في الفجور والشرور وإباحة الفواحش والمنكرات ، وإنفاق مازاد من أموالهم على الاستعداد لحرب شر منها ، وباشتداد ظلمهم للمستضعفين في مستعمراتهم الرسمية وغير الرسمية ، ولا يعتبر أحد بهذه المصائب فيتوبوا

من ظلمهم وفسقهم، لانهم لا يؤمنون بأنها عذاب ونذر من الله تعالى، فأما الماديون منهم فأمرهم ظاهر، وأما المؤمنون بوجود إله للعالم فلا يسندون إلى مشيئته وحكمته إلا ما يجهلون له سبباً من نظام الطبيعة، ويظنون أن كل ما يجري في نظام الاسباب فليس لله تعالى فيه مشيئة وحكمة غير سببه، والاسباب لا تتبدل باختلاف الناس صلاحا وفساداً، بل يعد الماديون هذه المعرفة بنظام الاسباب برهانا على الكفر والتعطيل، وجهل المؤمنين بترقي العلوم. وجملة القول فيهم ان المستحوذ على عقولهم هو ما يسمونه «نظرية الميكانيكية» وخلاصة معناها أن العالم كله كآلة كبيرة تدار بقوة كهربائية فيتحرك بعض أجزائها بحركة الآخر، وليس للقوة المحركة لها كلها علم ولا إرادة ولا اختيار في شيء منها، ولكن من أوجد القوة ومن يحركها ويحفظ وحدة النظام فيها

وأما قولهم إن لكل شيء من أحداث العالم سبباً، وان لهذه الاسباب نواميس وسننا، وانها عامة لا خاصة، فصحيح تدل عليه آيات القرآن المحكمة، وأولها آيات القدر والتقدير، التي يفهمها الجمهور بضد معناها، ومنها الآيات الناطقة بأن سنن الله لا تتبدل ولا تتحول، ومنها قوله تعالى في المصائب والنقم (٨: ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وقوله في الارزاق والنعم (١٧: ٢٠ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً) أي ما كان ممنوعا عن أحد من مؤمن وكافر، ولا بر ولا فاجر

ولكنه أخبرنا مع هذه القواعد العامة، ان له في بعض المصائب مشيئة خاصة وحكمة بالغة كقوله (٣٠: ٤١ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) وقوله (٤٢: ٣٠ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) فان كان هذا في أسباب المصائب الطبيعية فما جاء في الاسباب الممنوعة قوله (٣: ١١٧ مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) الصر بالكسر البرد الشديد أو الحر الشديد، وفي معناه مثل أصحاب الجنة الظالمين في سورة القلم، ومثل صاحب الجنتين الظالم لنفسه في سورة الكهف، وقد أهلك الله جناتهم بظلمهم، ولله في خلقه عقاب خفي، وله فيهم لطف خفي، فنسأله اللطف بنا

وإذا أراد الله شيئا فإنه لا ينفذه بابطال السنن والاقدار ولكن بترجيح أو بالتوفيق بينها كما قال (وجئت على قدر يا موسى) ولله در صريع الغواني حيث قال * وتوفيق أقدار لأقدار * وراجع تفسير (١٠ : ٢٣ يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) في ص ٣٤٢ ج ١١

لماذا لا يهلك الله الامم الباغية الظالمة في عصرنا

﴿ فإن قيل ﴾ لماذا لا يهلك الله تعالى أمة من هذه الامم الظالمة الباغية برمتها كما ضرب لنا الامثال بهلاك قوم نوح وعاد وثمود ولوط ؟ (قلنا) ان أولئك الامم ما أهلكهم الله الا لانهم أجمعوا على الشرك والظلم والفساد في الارض الا قليلا منهم فارقوهم مع أنبيائهم بعد ان أنذرهم الله العذاب على ألسنة رسلهم فكذبوا وأصروا كما تقدم . وهذه الامم الظالمة الفاجرة المعنية بالسؤال فيها كثير من المؤمنين بالله الذين يدعونه رغبا ورهبا بقدر معرفتهم به ، وفيها كثير من مبغضي الظلم والبغي الذين ينكرون على دولهم ما يعرفونه منه ، ولوجود هؤلاء الاحرار الذين يأمرون بالعدل وينكرون الظلم والبغي على دولهم قد أتقن رجال السياسة الاستعمارية الكذب والافك وتصوير الحقائق بغير صورها ، وتؤيدهم الجرائد ويشهد لهم المنافقون من الشعوب المظلومة بأنهم مصلحون عادلون . ثم إن لهؤلاء الظالمين للشعوب حسنة أخرى وهي ترقية العمران

ووراء ذلك سبب آخر مانع من إهلاكهم وهو فساد أخلاق المظلومين ، ولا سيما حكامهم الاصليين ، فما سلبهم الله الملك إلا بظلمهم ، ومثلهم من يستخدمهم الاجانب لتمكين سلطتهم في بلادهم ، ولو شئنا لذكرنا أسماء كثير منهم ، وقد سلب الله ملك بني اسرائيل - الذين كان فضلهم على العالمين - بأيدي البابليين الوثنيين ، فمدل الله بالانتقام من الامم الظالمة قد يكون بأمم كافرة هي أقرب إلى العدل والاصلاح في الدنيا ممن سلطهم عليهم كما ترى بيانه في أول سورة الاسراء ، وهو تعالى غير مقيد بالالقاب ، وليس في حكمه بين عباده محاباة لبعض الناس على بعض ، كما توهم اليهود الفاسدون من قبل ، والمسلمون من بعد ، وقد قال تعالى (١١ : ١١٧ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) أي ما كان من شأنه ولا من سنته في خلقه ، أن يهلك الامم بظلم منه وقيل بشرك منهم والحال انهم مصلحون في أحكامهم وأعمالهم كما سيأتي بيانه في آخر هذه السورة

وقد كان المؤمنون من أهل مكة المختلطون بالمشركين فيها عددا قليلا ، وكان من أسباب قبول النبي ﷺ لعقد معاهدة الصلح في الحديبية كما قال تعالى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي لو تميزوا وأمكن وقايتهم لسلطناكم على الذين كفروا وحدهم ، وقد فصلنا هذه المسائل في مواضع من هذا التفسير ومن مجلة المنار بدلائل القرآن والاحاديث الصحيحة فندنا بها شبهات الملاحدة الذين يحتجون على الاسلام بقوة الافرنج وتعاليم الاسلام حجة عليهم ، ونلخص هذا الموضوع بالمسائل الآتية :

سنة الله في ابتلاء الامم بالنعم والنقم

(١) ان الله ما وعد المؤمنين النصر وحسن العاقبة في الامور بالخوارق ، وتبديل السنن العامة في الكون محاباة لهم وجزاء على إيمانهم ، وانما وعدهم بذلك لأنه أثر طبيعي بمقتضى سننه لما يثمره الايمان لهم من العدل والفضل والقصد في الامور والتزام الحق والاعمال الصالحة ، أي التي تصلح بها أنفسهم وأمورهم العامة ، فتجتمع لهم القوة المعنوية ، مع مراعاة الاسباب المادية ، ويزيدهم الله عليهما التوفيق لهم والخذلان لاعدائهم ، والآيات في هذا كثيرة يراجع أظهرها وأجمعها في خلاصة سورة الانفال من جزء التفسير العاشر وسورة التوبة من الجزء الحادي عشر

وتحقيق الحق في هذه المسألة ان عدل الله العام في خلقه ليس منوطا بأماني المسلمين وغرورهم بجنسية دينهم مع ترك هدايته ، ولا بأماني أهل الكتاب وغيرهم بل هو كما قال (٤ : ١٢٣ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب : من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيراً ١٢٤ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا)

أخرج ابن جرير عن مسروق وقتادة والسدي وأبي صالح أن هاتين الآيتين نزلتا في ناس من اليهود والنصارى والمسلمين تفاضلوا كل يزعم أنه أفضل . وانما الدين عند الله إيمان صحيح وعمل صالح ، لا عصبية جنسية ، وسننه في الرزق لا تتغير ولا تتبدل لأجل الالقاب ولا محاباة فيها بين العباد ، وإنما نصر الله رسله

والذين آمنوا معهم ومن بعدهم لاقامتهم للحق والعدل ، ولما قصر الصحابة في نظام الحرب في غزوة أحد وخالفوا القائد الاعظم وهو رسول الله ﷺ عاقبهم الله بالهزيمة بعد النصر حتى ان الرسول نفسه أصيب فشج رأسه وكسرت سنه ، ولما استغرب الصحابة هذا بعد ما رأوا من نصره العجيب له ولهم يوم بدر أنزل الله تعالى (٤ : ١٦٥ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ان الله على شيء قدير) وقال قبل هذا في أول الكلام على هذه الغزوة (١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فعل ربهم بهم هذا في عهد المعجزات تربية لهم لكيلا يستولي عليهم الغرور وينسوا سنة الله وعدله في خلقه ، وقد نصرهم قبل ذلك وبعده كما وعدهم بقوله (٤٧ : ٧ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقوله (٢٢ : ٤٠ ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) .

وقد كان علماء الصحابة يعلمون هذا فلا يغترون بصحة دينهم بل يرجون الله باقامته ، ولا يغترون بصحبة خير خلقه وخاتم أنبيائه ورسله ، بل يطلبون فضل الله باتباعه ، واعتبر بما وصى به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما حين أمره على جيشه المقاتل للفرس فقد قال فيه :

« لا يغرنك من الله ان قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ﷺ فان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكنه يمحو السيء بالحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب الا طاعته . فالناس في ذات الله سواء . الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعاقبة ، ويذكرون ما عنده بالطاعة ، فانظر الامر الذي رأيت رسول الله يلزمه فالزمه » اه كان سعد (رض) من أخوال النبي ﷺ أي خؤلته فانه كان من بني زهرة وأم النبي ﷺ منهم وفي حديث غريب عند الترمذي عن جابر قال : أقبل سعد فقال النبي ﷺ هذا خالي فليرني امرؤ خاله »

فوز الامم بالثروة والملك ثمرة أعمالها

(٢) ان الفوز في الدنيا بسعة الرزق والثروة وعزة الملك وقوة السلطان هو ثمرة أعمال الأمم بمقتضى نظام الاسباب والمسببات الفنية والسنن الاقتصادية والاجتماعية فيها ، والخيبة والضعف والفقر والذل هو جزاء الجهل والكسل والتواكل ،

وهذا مطرد في الشعوب والأمم أغلبي في الافراد ، ولا تأثير للايمان في هذا وذاك إلا بقدر ما يكون له من التأثير في حسن الاعمال ومكارم الاخلاق من الصبر والرفق والاقتصاد والتعاون والامانة مع إتقان الاسباب وموافقة السنن العامة فيها كما بيناه في تينك الخلاصتين وفي مواضع أخرى من تفسير الآيات فيها ، وقد ثبت بتجارب الافرنج ان المؤمنين بالله المجتنبين للمعاصي أصبر في الحرب ، والصبر أعظم أسباب النصر

الجزء المطرد على الايمان جزاء الآخرة

(٣) ان الجزاء المطرد للافراد على إيمانهم وكفرهم والاعمال المترتبة عليها انما يكون في الآخرة لأن للدنيا متاع قليل قصير لأمد وجزاء الآخرة هو التام الدائم والآيات في هذا كثيرة معروفة ، ولولا خشية افتتان الناس في الدنيا لجعل الله نعيمها وسعتها للكافرين وحدهم كما قال (٤٣ : ٣٣ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ٣٤ ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون ٣٥ وزخرفا ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين)

اختبار الله عباده بالنعم والنقم

(٤) ان الله تعالى يبتلي - أي يختبر - عباده المؤمنين الصالحين الاخيار ، والمجرمين الاشرار ، بكثير من مصائب الدنيا التي تحدث بالاسباب العامة ، وبالاسباب الخاصة التي تحدث بكسبهم وظلمهم ، فالمؤمن البصير يراها تربية وتهذيبا وتمحيصا له تزيده إيمانا وبصيرة فتكون كفارة لسيئاته ، وسببا لارتقائه قال تعالى للمؤمنين (٣ : ١٨٦ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا . وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور) وأما الكافر فتزيده سخطا على الله وكفرا به بانكار وجوده أو نسبته إلى الظلم

وانه ليبتليهم بالحسنات والنعم ، فأما المؤمن فيشكر له نعمته بزيادة الايمان به والحمد له والنفع لعباده ، وأما الكافر فبدعي أنه أوتيها بعلمه ومعارفه ، وينسى

فضل ربه الذي أعطاه العلم والمعرفة وسخر له الاسباب ، ويزداد فجورا وفسادا وبغيا في الارض ، والشواهد على هذا في الكتاب العزيز كثيرة ، ومن أظهرها ما ضربه في آخر سورة القصص (٢٨) من مثل قارون إذ نهاه قومه عن فرح البطر والفساد في الارض ، وأمروه بابتغاء الدار الآخرة مع الدنيا فرد عليهم بما أبطله الله بقوله (٧٨ قال انما أوتيته على علم عندي . أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ، ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ٧٩ فخسفنا به وبداره الارض) الخ فحاله هذه من البطر والغرور هي مانرى عليه أكثر أغنياء الشعوب والدول القوية في عصرنا ، ولولا انه يوجد فيهم كثير من الشاكرين المحسنين لخسف بهم الارض كما خسفها به وسنزيد مسألة الغرور والقوة بيانا بعد

استمساك الافرنج بدينهم وبذلهم له

(٥) يظن كثير من الجاهلين في البلاد الاسلامية أن هذه الشعوب الاوربية لا تؤمن بالله ولا تعمل عملا من أعمال البر التي أمر بها ، ويعجبون من نعمه عليهم بسعة الرزق وكثرة المال وعظمة السلطان ولا سيما سلطانهم على أكثر الشعوب الاسلامية ، ومن ملاحدتنا من يعد هذا حجة على إلحاده ، ولئن خبروهم وعرفوا دخائل تربيتهم وأعمالهم ليرون أن عندهم من البر وعمل الخير الذي دعا اليه جميع أنبيائه ورسله ما لا نظير له في أكثر بلاد المسلمين التي تغلبوا عليها

يقول الله تعالى (٣ : ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ويقول (٥ : ٨٧ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ٧٩ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وورد في هذا المعنى من الاحاديث ماورد ومنه ان ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تعاقب عليه الامة بالعقاب العام . وما أمرنا الله بشيء يقوم به أمة أي جماعة إلا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لما يقتضيه تنفيذه من التعاون ، فليخبرني علماء العصر في الجامع

الازهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس وجامع النجف بالعراق وغيرهم من أمصار المسلمين أين هذه الامة منهم وماذا فعلت، ولماذا سلط الله الافرنج على أشد المسلمين فسوقا عن دينهم الافسق فالافسق وان كان أغنى في الدنيا وأعلم

وأما أوربة وأمريكة فان جمعياتهم التي تدعو الى دينهم قد ملأت الارض وهي مجدة في تنصير جميع أهلها، وتنفق في هذه السبيل الملايين من الدنانير التي يتبرع بها المتدينون من أهلها الذين نظن انهم كادوا يخرجون عن كونهم شعوباً كتابية الى شعوب إباحية، وان من جماعاتهم الخيرية الكثيرة جماعة بل جيشاً كبيراً يسمى (جيش الخلاص) أسسه القائد بوث في انكلترة سنة ١٨٦٤ لمساعدة الفقراء ومقاومة الاخلاق الفاسدة في الرجال والنساء والسعي لتربية الاطفال تربية صالحة، وإيواء العجزة والمقعدين والعميان، وقد صار لهذا الجيش عشرون ألف فرع، وأنشأ ألفي ملجأ ومعهد أوى اليها في سبعين سنة خمسة عشر مليون نفس. فانه انتقل الى أقطار كثيرة ولا يزال يمتد ويتسع

وهذه فرنسة المشهورة بأنها بلاد الفسق والاباحة والالحاد فيها من التربية الدينية والتحمس الديني في أكثر الشعب مالا يخطر ببال أعلم المسلمين بحال العصر، كأهل تركية ومصر، لان أكثر من يؤمها منهم الفساق الذين لا يعرفون فيها الا أمثالهم من أهل الفسق والاباحة، حتى ان فيها من البيوت التي تؤوي المسافرين بالاجرة من لا تقبل سيداتها فيها إلا من يحمل شهادة من قسيس الكنيسة بأنه تقي مواظب على الصلاة

وقد بلغنا من الثقات أنه قلما يوجد امرأة في فرنسة وكذا سائر أوربة تبيت مع أولادها إلا بعد أن تصلي معهم لله تعالى فيكون التوجه الى الله ودعاؤه آخر عمل اليوم والليلة، فهل يوجد في مصر في الالف من نسائها واحدة تفعل هذا؟

وقد أسس فيها جيش الخلاص قصوراً وملاجيء ومطابخ كثيرة لأعماله الخيرية. حكى سائح شرقي انه بحث عن قائده في باريس (وهو انكليزي الجنس) وسأله عن أصل هذا الجيش وعن سيرته وديانته وثروته فأخبره بأن أمواله كلها من أهل الخير والبر، وان المؤسس له القائد بوث الانكليزي وكان بروتستنتي

المذهب (قال) ولكننا نحن لسنا بمتعصبين وكثير من ضباطنا وجنودنا كاثوليك ولكننا لا ندعو إلا الى عبادة الله والعناية بمساعدة الفقراء وعمل البر والاحسان الى كل انسان يلجأ الينا من طعام وشراب وفراش وغير ذلك ، ولا نسأل أحداً عن جنسه ولا عن دينه، وذكر له انهم آووا في الشتاء الماضي (سنة ١٩٣٣) في باريس ألوفاً من الرجال والنساء والشبان والاطفال الذين شردتهم الفاقة فباتوا لا مأوى لهم وكانوا يبحثون عن فضلات المزابل وما يلقى الى الكلاب ليقتاتوا منه

قال السائح له انك تقول انكم لستم متعصبين وقد رأيت جنود جيشكم تطوف في شوارع باريس تبيع التوراة ، قال لا يخفى عليك ان من المستحيل نشر الفضائل بين الناس بدون الاعتماد على دين قويم (أي يدعو اليها ويأمر بها وينهى عن الرذائل) فنحن مع مواساة الفقراء نوقظ شعور الايمان للتحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، ولا يمكن هذا إلا بالارشاد الديني، بل بكلام رب العالمين اه ومن المعلوم بالضرورة أنهم لا يعرفون من كلام الله إلا ما في هذا الكتاب المقدس

المتدينون في أوربة فريقان

(٦) المتدينون في أوربة فريقان : فريق العوام والفقراء الذين قلما يتعلمون غير التعليم الابتدائي ولكن مع تربية مسيحية وتعليم مسيحي، وهؤلاء كلهم تابعون لكنائسهم ، ومقلدون لقسوسهم في كل ما يلقنونهم وعندهم من الخرافات الدينية مثل ما عندنا في مصر وأمثالها فالذين يزورون القديسة لورد في فرنسة كالذين يزورون البدوي والدسوقي أو أكثر ، وهم يروون من كراماتها وعجائبها أضعاف ما يروي المصريون عن البدوي والدسوقي — وفريق الخواص الذين يتلقون التعليم العالي والتربية الاستقلالية ، وهؤلاء يؤمنون بإله واحد لا شريك له، ويتقربون اليه بما يعجبهم من عمل البر والاحسان، ويعتقدون أن المسيح عليه السلام نبي ليس بالله ولا رب للعباد ، ولا ابن لله إلا بالمعنى المجازي الذي يقولونه في صلاتهم الربانية

ولو بلغ هؤلاء دين الاسلام بنصوص القرآن دون نظريات المتكلمين على الوجه الذي شرحناه في كتاب الوحي المحمدي وغيره لأسلم اكثرهم كما أسلم الالوف

وألوف لالوف من أبناء دينهم في قرون الاسلام الاولى عند ما كانت الدعوة على وجهها يؤيدها المسلمون بأخلاقهم وآدابهم العالية ، وأحكامهم العادلة، على ان الجرائد تروي لنا انه يسلم في كل عام اناس من كل شعب ولاسيما الاقرب منهم الى التربية الحرة

الجهل بدعوة الاسلام وشروطها والغرور بلقب الدين

(٧) قد يظن الجاهلون بهذا وبالقرآن معاً ان الاسلام يحكم على كل من لا يسمى مسلماً حكماً واحداً سواء بلغته الدعوة الاسلامية على وجهها الحق أم لم يبلغه عنها شيء كأكثر عوام الامم ، أو بلغته مقلوبة مشوهة ممن قال الله فيهم (يبغونها عوجا) كالذين يأخذونها عن أعداء الاسلام في الدين كدعاة النصرانية (المبشرين) أو في السياسة كرجال الاستعمار، ولكن القرآن لم يحكم على جميع أهل الكتاب في عصر التنزيل حكماً واحداً، بل قال (ليسوا سواء) وحكم في بعض الآيات على أكثرهم وعلى الكثير منهم، واستثنى في بعض أحكامه عليهم بالعموم فقال (إلا قليلا منهم) وقال (وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) وقال في تعليل الاذن للمسلمين بالقتال (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) فالصوامع معابد الرهبان والبيع كنائس النصارى عامة والصلوات كنائس اليهود، وقد وصفهم الله بأنهم يذكرون فيها اسمه كثيراً على ما أسنده اليهم من اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وغير ذلك مما خالفوا فيه تعاليم أنبيائهم ، وما كانوا في هذا فيما مضى وما هم فيه الآن سواء ، أفتظنون ان الله يهلك بالطوفان أو القحط أو غيره أمة فيها الالوف الكثيرة من الذين يذكرونه كثيراً ويتحرون الانصاف بما وصف به أهل البر من الايمان بالله ورسله والملائكة والنبيين وإيتاء أولي القربى واليتامى والمساكين والسائلين وغير ذلك ؟

أم تظنون ان الله تعالى يحابي من سموا أنفسهم مسلمين في الدنيا والآخرة وان اتخذوا له أنداداً يحبونهم كحب الله أي من جنس حبه وهو حب من يملك نفعهم وكشف الضر عنهم من غير طريق سنته تعالى في الاسباب والمسببات ، ويدعون غيره في السراء والضراء حتى الشدائد وقد أخبر عن مشركي العرب أنهم كانوا يدعونه فيها وحده مخلصين له الدين . وينذرون لغيره ويقربون لهم القرابين

ويحلفون لهم فيبرون ،ويحلفون بالله فيحنثون ، ويتركون الصلاة ويمنعون الزكاة، ويخرجون مع أزواجهم وبناتهم ونساء غيرهم عاريات الابدان كلها إلا قليلا من نسيج رقيق أو صفيق ، ويشربون الخمور على موائدهم في بيوتهم وفي الحانات العامة ويصرون على ذلك كله بل أكثر هـذا الفريق من أدعياء الاسلام يستحلونه لا يشعرون بأنه إثم يتاب منه؟

كذلك كان اليهود والنصارى مغرورين بعصبية دينهم والنسبة إلى أنبيائهم وإن خالفوا هداياتهم إذ حكى الله تعالى عنهم (٢:١١١ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى — ورد عليهم بقوله — تلك أمانيهم) وقال (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) الخ وإذ حكى عنهم (٥:١٨ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) وهكذا قال في سلفنا وسلفهم (٤:١٢٣ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا) كما تقدم

حاسبوا أنفسكم أيها المسلمون الجغرافيون واسألوها: لم سلط الله عليكم هؤلاء الاقوام فسلبوكم جل ملككم وهو يقول (٣٠:٤٧ وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ويقول (٤:١٤١ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) لقد صدق الله وكذب كل من يخالف كلامه منكم ومن غيركم

تأملوا في حالكم وحالهم: أليست حكوماتهم خيرا لهم من أكثر حكوماتكم لكم؟ أليست شعوبهم خيرا لأنفسها منكم لأنفسكم ؟ أليس بعض المسلطين عليكم منهم أهون ظلماً وأقل شرا منكم لأنفسكم ؟ بلى (١٠:٤٣ ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون)

ثم تأملوا تجدوا ان الذين حفظ الله لهم عزة الاسلام الى اليوم ولم يسلط عليهم هؤلاء المستذلين هم أقل ممن سلطهم عليهم مالا وقوة آلية ، وعلما بالفنون والعلوم العصرية التي بها كان الافرنج أقوياء ، وهذه عبر قد بيناها في مواضع من المنار

﴿ خاتمة البحث في الحث على التوبة ﴾

(العقاب الالهي واقع، ماله سوى من دافع والمتاب الى الله ندفع، والغرور بالعلم مانع)

(وعلم البشر بالغيب محال . وطلب السعادة بغير الدين ضلال)

أجمعت الامم المتدينة على ان الله تعالى يعاقب البشر في الدنيا قبل الآخرة ببعض ذنوبهم ، واتفقت آثار الامم القديمة في حادثة الطوفان على انه كان عقابا من الله تعالى للبشر بما فشا فيهم من الظلم والفساد في الارض ، وقد اشتهر هذا في الامم حتى صار العلماء والادباء يتوقعون نزول المصائب والنوازل في الامم التي يكثر فيها الفجور والظلم ومنه قول الحكيم العربي أبو العلاء المعري:

والارض للطوفان مشتاقة لعلها من درن تغسل

ومن فوائد الدين لأهله أنهم عند وقوع النوازل والجوائح يذكرون الله تعالى ويتوبون اليه كما أمروا ويتضرعون اليه أن يرفعها عنهم ، ومن ذلك صلاة الاستسقاء وما شرع فيها مما يبعث الخشوع ، ويسيل الدموع، وقد جرب إخراج البهائم الى المصلى فكان لرغائها وثغائها وخوارها تأثير في الخشية والخشوع، وكأين من استسقاء قبله الله واستجاب دعاء أهله المخلصين فسقاهم الغيث

تواترت الاخبار عن جميع أقطار أوربة أنهم في أثناء الحرب العامة الطامة تجدد في قلوبهم الشعور بالخوف من الله تعالى والضراعة له حتى كانت تغص المعابد بالمصلين ، وأنه حدث بعد الحرب وعودة الرخاء بعد الشدة مايسمى برد الفعل، وأنه مازال الفسوق والفجور يزداد حتى كاد يكون إباحة عامة . وهذا مصداق لقوله تعالى بعد بيان هذه الحقيقة وما ضربه لها من المثل (١٠ : ٢٣ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الارض بغير الحق ، يأيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) الخ فجزاهم ببغيهم وضاعف عليهم النوازل والجوائح في هذا العام ، ولم يبلغنا عن شعب من شعوبهم أنهم تابوا وأنابوا الى ربهم وسألوه رفع العذاب عنهم

قلنا آنفا ان أكبر الاسباب لهذا الضلال غرور أهل هذا العصر بالعلم الناقص الذي يعللون به وقوع هذه النوائب ، وهذا ما حكاه الله تعالى عن أمثالهم من

أهل القرون الخالية ونقله مفسرونا عن ملاحدة زمانهم ، ولكنه كان قليلا فكثر حتى خشي أن يكون عاما ، على انه قد ثبت أن جميع البشر لا يزالون يجهلون أسباب هذه المصائب واشتدادها في بعض الازمنة والامكنة دون بعض ، وحال الاقوام الذين تشهد فيهم ، وقد أمر الله رسوله أن يقول (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) وأشد الناس غروراً بالعلم في هذا العصر أقلهم علماً كالمتفرنجين من ملاحدة بلادنا .

قال الله تعالى (٣٩ : ٤٩ فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لايعلمون ٤٠ قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ٤١ فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين)

صدق الله العظيم . ان المصائب تتوالى عليهم ، فان لم يتوبوا خشي أن تكون عامة وإن كان فيهم بقية من الصالحين باقية . فقد قيل يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم اذا كثر الخبث »

لقد شعر أعلم علماء الافرنج بأن علومهم الدنيوية لا تصلح فساد الانفس البشرية ، وصرحوا في هذه السنة بأن تربية المدارس وتعليمها والعلوم الكسبية على سعتها لاتغني عن الايمان والتربية الدينية

بيد أن أكثر أهل هذه البلاد لايلتفتون الى أقوال هؤلاء العلماء الاعلام ، لان القاعدة المسلمة عندهم بالتقليد أن جميع علماء الافرنج لا يقيمون للدين وزنا ، بل يعتقدون أنه ضار ، وقد أخبرني أحد رجال الحكومة المصرية الذين يصلون ـ وقليل ماهم ـ أنه قلما رآه أحد منهم يصلي إلا وعجب منه وأظهر له عجبه ، وقال له مرة أحد أبناء الوزراء وهل بقي أحد يصلي في هذا الزمان ؟ على أنه بلغني أن والد هذا القائل كان يصلي !!

واننا نعلم أن أكابر الافرنج واليهود في مصر يواظبون على الصلاة في كنائسهم ولا نكاد نرى من باشواتنا ومن يليهم من كبار الحكومة أحد في مساجدنا ، وشر من ذلك أن وزارة المعارف لاتأمر تلاميذ مدارسها بالصلاة فيها ، ومثلها مدارس

الاوقاف الملكية في هذا ، فما معنى نص الدستور المصري ان دين حكومته الاسلام؟ وهي تبيح مع هذا جميع ماتبيحه الحكومات اللادينية من الآثام ؟

لقد كان عقاب الله لمصر في هذا العام قليلاً أكثر من نقص الزراعة ولكن تأخر طبع ماتقدم حتى ظهر من طغيان النيل ما كنت أخشاه وأحدث به من ألماه، ولا حول ولا قوة إلا بالله

وأنا أدعو جميع الامم وأخص بالدعوة أمتنا ولا سيما أهل وطننا هذا (مصر) الى التوبة الى الله و ستغفاره مما سقطوا فيه من الاسراف في الفسق والفساد ، وأن يتضرعوا اليه وحده مخلصين له الدين ، دون التوجه الى أحد من عباده الصالحين معه، أن يرفع عنهم البلاء والنقم ، ويحفظ عليهم النعم (٩ : ٧٤ فان يتوبوا يك خيراً لهم ، وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير)

فتاوى المنار

﴿ اتهام ابن تيمية بأنه قال ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي الخ ﴾

(س١٤) من صاحب الامضاء في قنا مع كتاب خاص لوكيل المنار هذا نصه:

سيدي المحترم

سلام عليك وتحية طيبة بمقدار ما للمنار من الفضل على المسلمين قاطبة.

وبعد فأرجو أن تطالع ما أرفقته بهذا — وتوافقني على تقديمه ورفعه الى حضرة المصلح العظيم العالم العامل صاحب الفضيلة السيد رشيد رضا حفظه الله — حتى ينظر فيه ويرى مايراه ، وهو الموفق للصواب دائما

واذا حسن لدى فضيلته أن يذكر كلاما فاصلا في هذا الموضوع — في المنار الاغر — كانت الفائدة عامة للناس أجمعين ، ومن بينهم من وزع عليهم المهذب في المدارس

واسأل الله أن يطيل عمر السيد ليزداد المسلمون من الارتشاف من بحر علمه إيمانا ومعرفة ، والسلام عليك ورحمة الله من المخلص عبد القادر حلمي

في صحيفة ٧٦ من مهذب رحلة ابن بطوطة — الجزء الاول — الذي طبعته وزارة المعارف المصرية ووزعته على تلاميذ المدارس الثانوية ما نصه:

وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم في الفنون إلا ان في عقله شيئاً الخ

وفي الصحيفة ٧٧ فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة كلامه أن قال: ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولي هذا. ونزل درجة من درج المنبر — فعارض فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء الخ

فهل صح في تاريخ ابن تيمية أن يقول هذا؟ وهل هناك شك في ان قائل هذا ينسب لله الجسمية وانه بذلك انسلخ من الايمان والاسلام؟

جواب المنار

(١٤) اتهام ابن تيمية بتشبيه نزول الله بنزوله في المنبر

هذه التهمة باطلة قطعا كما يعلم من كتب شيخ الاسلام وفتاويه الكثيرة في مسألة الصفات وحديث النزول، ولكن يظهر ان لها شبهة أثارتها فقد رأيت في بعض الكتب (كتاب الرد الوافر) أو غيره أنه كان يتكلم في حديث النزول وهو يخطب على المنبر ويقرر مذهب السلف في إثبات كل ماوصف الله نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ «بغير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل» فقال ما معناه اننا نؤمن بنزوله بالمعنى الذي أراده اللائق به بلا تشبيه «لا كنزولي هذا» فزعم بعض الناس أنه قال «كنزولي هذا» لانه لم يسمع كلمة «لا» وربما كان منهم ابن بطوطة ثم أذاع هذا خصومه المخالفون للسلف ولو صح زعمهم لقامت عليه قيامة أهل المسجد وأنزلوه عن المنبر مهيناً مذموما بكل لسان، إلا أن يقال إنهم كانوا موافقين له على رأيه إلا واحداً منهم هو ابن الزهراء الذي ذكره ابن بطوطة وكم في رحلة ابن بطوطة من الاكاذيب والخرافات، ويحتمل أن يكون قال الكلمة في تفسير المعنى اللغوي، وسننقل عنه تحقيقه لعدم اقتضائه التشبيه

ولابن تيمية كتاب مستقل في حديث النزول هو جواب سؤال رفع اليه فأطال في الجواب عنه لان المسألة فرع من عقيدة إثبات الصفات التي أجمع عليها سلف الامة بالقاعدة التي ذكرناها آنفاً، وأما نفيها فقد ابتدعته الجهمية والمعتزلة وغيرهم من المبتدعة واختلف نظار المتكلمين في تأويل بعضها دون بعض، وهذا الكتاب

مطبوع في الهند وانني أنقل منه بعض عباراته بحروفها مبتدئا بنص السؤال وهو:

﴿ نص الاستفتاء في حديث النزول ﴾

« ما يقول سيدنا وشيخنا شيخ الاسلام، وقدوة الانام، أيده الله ورضي عنه، في رجلين تنازعا في حديث النزول: أحدهما مثبت والآخر ناف، فقال المثبت: ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر. فقال النافي: كيف؟ فقال المثبت: ينزل بلا كيف، فقال النافي: يخلو منه العرش أم لا يخلو؟ فقال المثبت: هذا قول مبتدع، ورأي مخترع، فقال النافي ليس هذا جوابي بل هو حيدة عن الجواب. فقال له المثبت: هذا جوابك. فقال النافي: إنما ينزل أمره ورحمته. فقال المثبت: أمره ورحمته ينزلان كل ساعة، والنزول قد وقت له رسول الله ﷺ ثلث الليل. فقال النافي: الليل لا يستوي وقته في البلاد فقد يكون الليل في بعض البلاد خمس عشرة ساعة ونهارها تسع ساعات ويكون في بعض البلاد ست عشرة ساعة والنهار ثماني ساعات وبالعكس، فوقع الاختلاف في طول الليل وقصره بحسب الاقاليم والبلاد، وقد يستوي الليل والنهار في بعض البلاد وقد يطول الليل في بعض البلاد حتى يستوعب أكثر الاربع وعشرين ساعة ويبقى النهار عندهم وقتا يسيرا. فيلزم على هذا أن يكون ثلث الليل دائما ويكون الرب دائما نازلا الى السماء، والمسئول إزالة الشبه والاشكال، وبيان الهدى من الضلال؟

﴿ جواب شيخ الاسلام أو جزء منه ﴾

« فأجاب رضي الله عنه فقال الحمد لله رب العالمين. أما القائل الاول الذي ذكر نص النبي ﷺ فقد أصاب فيما قال، فان هذا القول الذي قال قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الامة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول. ومن قال ما قاله الرسول ﷺ فقوله حق وصدق وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني، فان أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية وبلغه الامة تبليغا عاما لم يخص به أحداً دون أحد ولا كتمه عن أحد وكان الصحابة والتابعون تذكره وتأثره وتبلغه وتروبه في

المجالس الخاصة والعامة ،واشتملت عليه كتب الاسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة كصحيحي البخاري ومسلم وموطأ مالك ومسند الامام أحمد وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وأمثال ذلك من كتب المسلمين

لكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه كتمثيله بصفات

المخلوقين ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه فقد أخطأ في ذلك، وإن أظهر

ذلك منع منه، وان زعم ان الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضا في ذلك، فان وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات كوصفه بالاستواء إلى السماء وهي دخان ووصفه بأنه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، ووصفه بالاتيان والمجيء في مثل قوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة)وقوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وقوله (وجاء ربك والملك صفا صفا) وكذلك قوله تعالى (خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقوله (والسماء بنيناها بأيد) وقوله (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟) وقوله (يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج اليه) وأمثال ذلك من الافعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميها النحاة أفعالا متعدية وهي غالب ماذكر في القرآن ، أو يسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به بل لا تتعدى اليه إلا بحرف الجر كالاستواء إلى السماء وعلى العرش ، والنزول إلى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الافعال

ووصف نفسه بالاقوال اللازمة والمتعدية في مثل قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة) وقوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقوله تعالى (وناداهما ربهما) وقوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقوله تعالى (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) وقوله تعالى (الله لا إله إلا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا) وقوله (الله نزل أحسن الحديث) وقوله (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا) وقوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وقوله (ولقد صدقكم الله وعده)

وكذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك كما في قوله (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقوله (ورحمتي وسعت كل شيء) ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله ﷺ

فان القول في جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الامة وأئمتها انهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ في النفي والاثبات، والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) فبين أنه لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى (هل تعلم له سميا) فأنكر أن يكون له سمي، وقال تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا) وقال تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) وقال تعالى (ليس كمثله شيء) ففيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفو والسمي والمثل والند وضرب الامثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله: فان التماثل في الصفات والافعال يتضمن التماثل في الذات، فان الذاتين المختلفتين تمتنع تماثل صفاتهما وأفعالهما، إذ تماثل الصفات والافعال يستلزم تماثل الذوات: فان الصفة تابعة للموصوف بها والفعل أيضا تابع لفاعله، بل هو مما يوصف به الفاعل، فاذا كانت الصفتان متماثلتين كان الموصوفان متماثلين حتى انه يكون بين الصفات من التشابه والاختلاف بحسب ما بين الموصوفين كالانسانين لما كانا من نوع واحد فتختلف مقاديرهما وصفاتهما بحسب اختلاف ذاتيهما ويتشابه ذلك بحسب تشابه ذلك»

«فالقول في صفاته كالقول في ذاته: والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك ان نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعلم الله وكلامه ونزوله واستواؤه هو كما يناسب ذاته ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما يناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد الى ذاته، ولهذا قال بعضهم: اذا قال لك السائل: كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ أو كيف يعلم أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له كيف هو في نفسه؟ فاذا قال أنا لا أعلم كيفية ذاته: فقل له وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فان العلم

بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف، فهذا إذا استعملت هذه الاسماء والصفات على وجه التخصيص والتعيين وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة »

وقال في موضع آخر

« ثم ان الله سبحانه وتعالى أخبرنا بما وعدنا به في الدار الآخرة من النعيم والعذاب ، وأخبرنا بما يؤكل ويشرب وينكح ويفرش وغير ذلك، فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا لم نفهم ما وعدنا به ، ونحن نعلم مع ذلك ان تلك الحقائق ليست مثل هذه حتى قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء . وهذا تفسير قوله (وأتوا به متشابها) على احد الاقوال، فبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الآخرة مشابهة وموافقة واشتراك من بعض الوجوه وبه فهمنا المراد وأحببناه ورغبنا فيه، وبينهما مباينة ومفاضلة لا يقدر قدرها في الدنيا، وهذا من التأويل الذي لا يعلمه نحن بل يعلمه الله تعالى . ولهذا كان قول من قال: ان المتشابه لا يعلم تأويله الا الله حقا ، وقول من قال : ان الراسخين في العلم يعلمون تأويله حقا ، وكلا القولين مأثور عن السلف من الصحابة والتابعين لهم باحسان

« فالذين قالوا انهم يعلمون تأويله مرادهم بذلك انهم يعلمون تفسيره ومعناه، ولا فهل يحل لمسلم أن يقول ان النبي ﷺ ما كان يعرف معنى ما يقوله ويبلغه من الآيات والاحاديث بل كان يتكلم بألفاظ لا يعرف معانيها ؟ ومن قال انهم لا يعرفون تأويله أرادوا به الكيفية الثابتة التي اختص الله بعلمها ، ولهذا كان السلف كربيعة ومالك بن أنس وغيرهما يقولون : الاستواء معلوم والكيف مجهول ، وهذا قول سائر السلف كابن الماجشون والامام أحمد بن حنبل وغيرهم ، وفي غير ذلك من الصفات. فمعنى الاستواء معلوم وهو التأويل والتفسير الذي يعلمه الراسخون، والكيفية هي التأويل المجهول لبني آدم وغيرهم الذي لا يعلمه الا الله ، وكذلك ما وعد به في الجنة، تعلم العباد تفسير ما أخبر الله به وأما كيفيته فقال تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح « يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فما أخبرنا الله به من صفات المخلوقين نعلم تفسيره ومعناه

ونفهم الكلام الذي خوطبنا به ، ونعلم معنى العسل واللحم واللبن والحرير والذهب والفضة ، ونفرق بين مسميات هذه الاسماء وأما حقائقها على ماهي عليه فلا يمكن أن نعلمه نحن ولا يعلم حتى تكون الساعة . فتفصيل ما أعد الله عز وجل لعباده لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، بل هذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى

فاذا كان هذا في هذين المخلوقين فالامر في الخالق والمخلوق أعظم ، فان مباينة الله لخلقه وعظمته وكبرياءه وفضله أعظم وأكثر مما بين مخلوق ومخلوق ، فاذا كانت صفات ذلك المخلوق مع مشابهتها لصفات هذا المخلوق بينهما من التفاضل والتباين ما لا نعلمه في الدنيا ولا يمكن أن نعلمه ، بل هو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ، فصفات الخالق عز وجل اولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه لا الله تبارك وتعالى وأن يكون هذا من التأويل الذي لا يعلمه أحد الخ

ثم تكلم في موضع آخر عن الوجود القديم الواجب والوجود الحادث الممكن وصفاتهما والغلط في القول بالتلازم في النفي والاثبات وضرب له المثل فقال

«ومثال ذلك انه إذا قال النزول والاستواء ونحو ذلك من صفات الاجسام فانه لا يعقل النزول والاستواء إلا لجسم مركب والله سبحانه منزه عن هذه اللوازم فلزم تنزيهه عن الملزوم ، أو قال هذه حادثة والحوادث لا تقوم إلا بجسم مركب ، وكذلك إذا قال الرضا والغضب والفرح والمحبة ونحو ذلك هو من صفات الاجسام فانه يقال له : وكذلك الارادة والسمع والبصر والعلم والقدرة من صفات الاجسام ، فانا كما لا نعقل ما ينزل وما يستوي ويغضب ويرضى إلا جسما لم نعقل ما يسمع ويبصر ويريد ويعلم ويقدر إلا جسما ، فاذا قيل سمعه ليس كسمعنا وبصره ليس كبصرنا وإرادته ليس كارادتنا وكذلك علمه وقدرته قيل له وكذلك رضاه ليس كرضانا وغضبه ليس كغضبنا ، وفرحه ليس كفرحنا ، ونزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا » اه

وجملة القول ان شيخ الاسلام قد بسط في هذا الكتاب وغيره من الدلائل على تنزيه الله عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله ما لم يسبقه أحد الى مثله مع اثبات ما أثبته لنفسه منها والمنع من تحكيمنا بآرائنا فيها فانه مما حرمه علينا بقوله (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)

تفسير المنار لعلامة الدهر ومصلح العصر

(بقلم الاستاذ الكاتب المستقل، والباحث المستدل)

الشيخ مصطفى احمد الرفاعى اللبان

يرحم الله مفسري القرآن السابقين من أئمة المسلمين، فقد بذلوا ما استطاعوه من قوة لتبيان معاني كلام الله للناس، ووقفوا أنفسهم وحبسوها على إظهار ما فيه من لغة وبيان، وفصاحة وبلاغة، وأدب واجتماع، وتاريخ وحكمة وسياسة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، ووفاهم الله أجرهم موفوراً، وجعل عملهم الخالص مشهوراً مذكوراً.

ولكن القرآن هو كتاب الزمان كله، ودستور الحياة إلى يوم القيامة، تتجلى معانيه بتقدم العلم وبلوغه أشده، وتظهر أسراره بالاختراعات والاستكشافات، وسلامة الفطر والعقول من الترهات والخرافات، وتشرق حقائقه بزوال العوائق المغشية الابصار والبصائر، والتفاسير السابقة فيها أخبار من التاريخ ولكنها غير ممحصة، لانعدام وسائل التحقيق والتمحيص، وفيها طرف من العلوم المختلفة، ولكنها محشوة بالغلط والشطط لتعسر طرائق التصحيح والتدقيق، وفيها ذكر للتوراة والانجيل ولكنه مبني على فهم غير واقع،(١) وعلى ظن تبين الآن أنه غير نافع، وفيها فقه ولكنه مذهبي، وتوحيد ولكنه كلامي، واستطراد فلسفي، واستقراء غير جلي.

وبهذا صار القرآن في حاجة إلى أن يفسر من جديد، وعادت التفاسير الاولى معرضة للنقد السديد، فألف الآلوسي تفسيره، ولكنه جعله جامعا لأقوال من سبق مع تعليقات يسيرة، وتحقيقات غير وفيرة، وألقى الاستاذ طنطاوي جوهري

(١) المنار : من هذا الفهم المخالف للواقع قول بعضهم ان تحريف أهل الكتاب لكتبهم معنوي خاص بالتأويل لا لفظي لانه لا يعقل أن تتفق أمة على تغيير ما في كتاب ربها . وسبب هذا الفهم عدم اطلاع هؤلاء على تاريخ القوم، واتفاقهم فيه على ان توراة موسى فقدت باحتراق هيكل سليمان وان عزرا كتبها بعد ذلك بالالهام الخ ما فصلناه في محله

دنوه في الدلاء ، ولكنه صير تفسيره نباتياً طبيعياً إفرنجياً ، فيه أقوال البارونات والكونتات، وأحوال النجوم والفيرات ، والصخور والجلاميد والمعادن المدفونات ، وحلاه برسوم وصور لاتتسق مع جلال الذكر الحكيم ، ومكانة القرآن الكريم ، ومع ذلك فهو مستحق للشكران ، قمين بأن ينشر ذكره في كل مكان ، إذ حاول جهده أن يبرهن على عناية القرآن بالعلوم الطبيعية والكيميائية والزراعية والصناعية وما إليها ، ووفق في كثير مما أراد جزاه الله خيراً .

وقد انتظرنا أن يوفق الله رجلا إلى تفسير القرآن الكريم بشرط المحافظة على جلاله وكماله، والسمو به عما لايليق بمكانته العليا، وإحاطته بسياج من الحرص والامانة يمنع الخطأ والاسرائيليات والاخبار الداحضة أن تتسرب إليه ، ويحميه من التعصب المذهبي ، والتكلف الكلامي، وتحميل الآيات الكريمة مالا يوافقها من المعاني الرأيية ، والتوضيحات النفسية .

وقد أراد الله أن يظهر هذا التفسير على يد السيد الكريم ، والمجاهد العظيم ، والمصلح الشهير ، والمسلم الكبير ، أستاذنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاغر ، وخليفة الاستاذ الامام الابر ، وقد صدر من هذا التفسير أحد عشر جزءاً ضخاما تقر بها عين كل مسلم ، وينشرح لها صدر كل مؤمن ، جاءت عندما أملنا ، وفوق ماقصدنا ، وأبانت عن ان الاسلام هو الدين الخالد ، الواجب أن يعنو له البشر طائعين ، فرحين مستبشرين ، إذ هو الذي يحل مشاكل العصر ، ويزيل ماتعانيه الانسانية المعذبة من الضيق والعسر ، ويعالج الادواء التي تشكو منها الامم ، ويعيد للمسلمين مافقدوه من العزة والسلطان وعلو الهمم .

وقد قرأنا هذه الاجزاء الاحد عشر كالكواكب فشكرنا الله كثيراً ، وانزاحت عن نفوسنا غمم كنا نشعر بثقلها ، وقلنا قد آن للمسلمين أن يسروا ويفرحوا ، فقد أنعم الله عليهم بتفسير طالما كانوا يتمنونه ، وكثيراً مارأوه حلماً بعيد المنال ، ولكنه الآن تحقق على أحسن مثال .

جمع هذا التفسير القيم محاسن التفاسير السالفة ونجا من مزالقها، وخلص من مشاكيها ، وضم بين دفتيه أحسن التحقيقات ، وأتم البيانات ، وأوضح لمن له

عينان ، أن القرآن هو كتاب الله الخالد الذي لاغنى للأمم عنه ، ولا حياة لها بدونه ، ولا مفر لها من اتباعه ، والاستفادة من هدايته، مذعنة مؤمنة، أو مسوقة بحاجتها التي تلح عليها ، فلا تجدلها ملجأ إلا إياه ، ولا معاذاً سواه.

يقرأ المسلم هذا التفسير فيشرق في نفسه نور المعرفة، وتضيء روحه بشمس التثبت واليقين ، ويعود شخصاً مليئاً بالامل الواسع ، مغموراً بالفرح الجامع ، شاكراً لربه أن جعله مسلماً مؤمنا من خير أمة أخرجت للناس، ويقرؤه غيره من ذوي البصيرة والمعرفة فيثلج صدره ، وترتاح نفسه ، ويحس بالرغبة في الاستزادة منه، معجباً بالقرآن، ومافيه من علو وعظمة وجلال، ومبادىء تسعد بها جميع الاجيال.

وقد سلط هذا التفسير على جميع الشبهات نوراً كشافاً قويا ساطعاً فأزالها وأحالها هباء منثوراً ، وحل بمهارة ولباقة وقوة وغيرة وشجاعة وصراحة جميع المعضلات الدينية والمدنية والاجتماعية والسياسية، وكان الحل مشبعاً مرويا، مزيلا كل شك وريبة ووهم وظن، لايدع لأحد مسلكا يسلك منه طريق هذه المعضلات مرة أخرى ، وهذه ميزة جلية لاترفع رأسها موفوراً إلا في هذا التفسير الجليل.

وإلى القراء ثبتاً موجزاً يدعم ماقلناه .

(١) بين إعجاز القرآن بيانا شافياً وأظهر أسراره القدسية وأزال الخلافات المذهبية، وجلى الحكمة في الحروف التي تبدأ بها السور الكريمة، وصعد بالقارىء إلى سماء العرفان الصحيح ، والفهم الرائق ، ووضع فهرساً واسعاً لوجوه إعجازه فاذا هي لاتكاد تحصر اذا وعينا مفرداتها وتفاصيلها، وألمس كل فرد هذه الوجوه بما يجعله واثقاً منها، مؤمنا بها إيمانا موطداً ، لاتعلق به شية[1] من الضعف أو الوهن أو الريبة ، وأثبت أن القرآن لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولو تظاهر عليه جميع الملاحدة والمعطلين والمشركين والكافرين، لأنه بطبيعته الذاتية يغلب كل متظاهر ، ويهزم كل مكابر ، وأورد لذلك شهادات كثيرة للفلاسفة والعلماء والباحثين والمفكرين

(١) كذا في الاصل ولعلها شبهة فان الشية بالكسر فعلة من الوشي وقوله تعالى في البقرة (لاشية فيها) معناه ليس فيها لون غير لونها الاصفر الفاقع

(٢) ساق الدلائل العظيمة على خلود هذا القرآن وبقائه إلى يوم القيامة ، واستقراره وثباته كلما تقدمت العلوم ، وارتقت الفنون ، وسارت الامم في سبيل المدنية الفاضلة ، والحضارة الصحيحة ، وأرى كل ذي بصيرة نافذة كيف أن الامم الغربية لاينقذها من ويلاتها ومشاكلها المعقدة إلا كلام الله المحفوظ من التحريف والتبديل والتغيير والنسيان ، الذي يوافق الزمان والمكان ، ويجد فيه طالب الحق مايشبع نهمته ، ويزجي طلبته ، وذكر نماذج شتى من القرآن لمسائل لم يعرفها العالم إلا في السنوات العشر الاخيرة ، وقال إن ثمت مسائل كثيرة في القرآن يكشفها الزمان تدريجا للدلالة على أنه كتاب لله حقاً

(٣) شرح مبدأ الخلق والتكوين وذكر أحوال الامم وطبقاتها ودرجاتها وعملها في هذه الحياة الدنيا ، وساق أخبارها من أوثق مصادرها ، ووقف على ذلك في مواضعه بالبعث والنشور والحساب والعقاب والثواب وأحوال يوم الدين ، وكان في هذه الامور محققاً دقيقا يصل بالقارىء إلى أسمى غاية يطمع في الوصول اليها أرقى عقل وأعظم فكر ، بحيث يخرج منها فاهماً جيداً سر الخلق وحكمته ، وتدرج الامم في مدارج الرقي حتى استكملت استعدادها العقلي وقت نزول القرآن ، وبعثة سيد ولد عدنان ﷺ . وعارفا المعرفة كلها معنى البعث وكيف يكون بالجسد والروح معا ، وما الثواب وما العقاب ، وما الجنة وما النار ؟ ولماذا لاتكون النجاة إلا بالاسلام الحنيف ، الذي جاء به الرسول الشريف .

(٤) تكلم عن الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وذكر قصصهم وتعقب ما في كتب العهد العتيق المسماة بالتوراة من خروج عن الجادة في سرد هذه القصص ، وصحح الخطأ المنتشر فيها وفي كتب التفاسير التي نقلت عنها أو اعتمدت عليها من غير ما تمحيص ولا تدقيق ، وصورهم عليهم السلام بالصورة اللائقة بهم وبعملهم لهداية الامم والشعوب ، ونفى عنهم مانسب اليهم كذبا وغلطا وجهلا ، ونقاهم مما علق بسيرهم الشريفة الطاهرة بسبب العناد والمكابرة والمغالطة والعماية . وبرهن على أن النبي أو الرسول يجب أن يكون

مثل الكمال الانساني ، والقدوة الصالحة في الاقوال والافعال والاعمال ، والاسوة الحسنة في الخير وعمل البر

(٥) دافع عن الاسلام وتعاليمه دفاعا مجيداً منصوراً ، وأزجى الاسباب التي تضمن خلوده وبقاءه ، ودفع في صدور اليهود والنصارى والملاحدة بما جعلهم ينكمشون ويتركون سلاحهم المفلول ، ويعترفون بضعف حجتهم وبوار بضاعتهم وكساد سوقهم ، ويقولون بملء أفواههم : اعترفنا بعجزنا وقصورنا وانهزامنا . وأعطى المسلمين الحجج الدامغة التي يستطيعون بها الدفع عن ذمارهم ، والذود عن دينهم ، والنصر على مناوئيهم ، وحقق بما لا مزيد عليه أن الاسلام لا مطعن فيه لطاعن ، ولا مغمز لغامز ، وأن بيته من طود أثبت ، وبيوت غيره من زجاج أضعف ، وأنه لا يليق لصاحب البيت الزجاجي أن يقذف البيت الحجري بالحجارة وقد أثنى الكثيرون من غير المسلمين على مسلكه الراجح ، وأدبه الواضح .

(٦) شفى الغليل بمباحثه القيمة في الناسخ والمنسوخ ورسم صورة رائعة لهذه المشكلة الدقيقة التي اختلف فيها المفسرون ، وتعددت أقوالهم ، وتباينت آراؤهم ، وعرج على عقيدة النصارى في النسخ فشرحها تشريحا وافيا جامعاً ، وكشف عن خطئهم الدامس فيها ، ووضع أصابع الباحث على عوارها وزيفها ، فأثلج بذلك قلوب المؤمنين ، وأدخل في صدورهم برد اليقين ، ومن اطلع على مسألة النسخ درى مدى التوفيق العجيب في هذا التفسير البديع الذي صار حجة هذا العصر ، وترجمان القرآن ولا فخر .

(٧) فصل الوحي الالهي بما يقنع كل منكر ، ويسلم له كل معاند ، ويعنو لحججه جميع الورى ، ولما وصل إلى الوحي المحمدي كان التفصيل أوسع ، والشرح أمتع ، والدلائل أنصع ، إذ أثبت ببراهين لا تدفع ، أن الوحي المحمدي ثابت بالقرآن ثبوتا لا تعلق به شية من الريب عند أي انسان ، وجلى النبوة المحمدية بأوضح بيان ، وبين أنها أصل اثبات النبوات السابقة ، فهي دليلها ومصدقتها والمزكية لها

(٨) كشف فضل الاسلام على جميع الانام ، ونثر الدلائل الكثير من تاريخ الامم الشرقية والغربية ، على ما استفادته من تعاليم الاسلام الخالد في الدين والادب والاجتماع والتشريع ، وشهد به رجالها وفضلاؤها وعلماؤها وفلاسفتها ومفكروها ، وعبد السبل ليفهم القارىء أن العالم كله سائر إلى الاسلام ، إذ الاسلام هو الوسيلة الكبرى لسعادة البشر ، والطريقة المثلى لازالة الخطر

(٩) قارن بين ما في القرآن من التشريع والحكمة والآداب والمبادىء العليا ، وبين ماتتمدح به الامم الحاضرة من قوانينها وحكمتها ومبادئها وآدابها ، وخرج من هذه المقارنة بما يفرح المؤمنين ، ويرفع رءوس الموحدين ، ويجعل القدح المعلى للاسلام ، الذي جاء به خير الانام ﷺ

(١٠) قضى على العنت الذي كان يعانيه القارىء من قراءة التفاسير السابقة ، وجعل له مصباحا كشافا وضاء ينير له السبيل ، وصوى ومنارا كمنار الطريق ، فخدم بذلك المفسرين أنفسهم ، وقدم للناس حديقة غناء فيها ما تشتهيه نفوسهم الزاكية وقلوبهم الواعية

هذا نموذج يسير مما حواه هذا التفسير الشهير الكبير ، فواجب على كل مسلم يحسن القراءة والكتابة في أنحاء الارض أن يقتنيه كنزاً ثمينا ، وذخرا عظيما ، ودائرة معارف إسلامية نادرة المثال . وليس لأحد يقصر في الحصول عليه عذر ، والسلام على من اتبع الهدى مصطفى أحمد الرفاعي اللبان

(المنار) نشكر لأخينا المقرظ إطراءه لشخصنا الضعيف المبني على حسن الظن ، ونعتذر للقراء عن نشره بحروفه أداء للأمانة على ما فيه من انتقاد كتب التفسير كلها بالاجمال وتخصيص آخرها بالذكر وهو لصديقنا ، وقد سبقنا من قبلنا الى نشر التقاريظ كما ترى في تفسير العلامة الآلوسي وتفسير الامام السيد حسن صديق وغيرهما من كتب المشارقة والمغاربة ، على أن أكثر تقاريظ المعاصرين للكتب شعرية يقرظون بها مالا يقرءون لا بيان لعقيدة الكاتب وتعبير عن شعوره كهذا التقريظ وما قبله . وما كاتباهما بأول من فضل هذا التفسير على غيره بل سبقهما الى ذلك غيرهما ووافقهما عليه أناس بعدهما ، ولكن الكتاب يختلفون بدرجة الصراحة والاجمال والتفصيل

مقدمة كتاب مفتاح كنوز السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (سورة الجمعة ٦٢ : ١ و ٢)

نحمده عز وجل ونصلي ونسلم على رسوله محمد خاتم النبيين ، الذي بعثه الله وهو أمي في سن الكهولة مربيا ومعلما لقومه العرب الاميين ، ما جعلهم به قارئين كاتبين ، صالحين مصلحين ، فكانوا أئمة حكماء حاكمين ، وعلماء معلمين ، لأهل الكتاب ورثة الانبياء ، ولغيرهم من ورثة الفلاسفة والحكماء ، وجعلهم به ملوكا عادلين ، وآتاهم بكتابه وتعليم رسوله وتزكيته مالم يؤت أحداً من العالمين ، فما زال هذا الكتاب الالهي ، وما بينه من سنة هذا النبي الامي ، يتدارسهما البشر في مشارق الارض ومغاربها من شاطيء المحيط الغربي إلى أحشاء الصين ، ثم انتقل تدارسهما من الجنوب إلى الشمال فعني بهما طائفة من الاوربيين ، الذين عرفوا بلقب المستشرقين ، وقد مهدوا السبل لهما ، بما وضعوه من المفاتح لألفاظهما ، والفهارس المنوعة لكتب التفسير والحديث وغيرها من الكتب العربية لتسهيل مراجعتها ، حتى صار علماء المسلمين من العرب والاعاجم مضطرين لأخذها عنهم واقتفاء أثرهم فيها

وهذا كتاب (مفتاح كنوز السنة) الذي نعرضه اليوم للعالم الاسلامي بلغة الاسلام ، أحد نفائس هذه الكتب التي وضعها أحد هؤلاء الاعلام ، وانما وضعه لهم باحدى لغاتهم ، وان عالمنا الاسلامي ، لهو أحوج اليها من العالم الاوربي ، فعسى ن ينتفع به جميع شعوبه وتنهض بهم الحمية الدينية إلى خدمة السنة بما هو خير منه في الضبط والجمع ، وتعميم النفع

أما بعد فان خير ما أعرّف به هذا الكتاب لقراء العربية ، أن أبين لهم وجه الحاجة اليه ، وطريق الانتفاع به ، وعدم استغناء أعلم علماء الحديث عنه ، بل هم أشد حاجة اليه من غيرهم ، ويتلوهم من دونهم من العلماء ، فمن دونهم من دهماء القراء ، الذين يقتنون شيئا من كتب الحديث المشهورة وغيرها مما يراه القراء في طرته ، وانني أستمد هذا البيان من تجربتي واختباري في السنين الطوال ، لا أقوله بادي الرأي ولا أصطاده من سوانح الاستحسان

انني وُفقت لطلب العلم من طريق الدليل ، ثم وفقت لنشره بالدليل ، ووفقت للمناظرة وللافتاء بالدليل ، واشتغلت بعلم الحديث من أول العهد بالطلب وارتقيت فيه بالتدريج ، وتمرنت على مراجعة كتبه وكتب الجرح والتعديل ، لتخريج الاحاديث ونقدها ، وسرعة الوصول إليها من أقرب طرقها . واشتهرت عند من يعرفني من أهل العلم والذكاء . كان الاستاذ اللوذعي الشيخ محمد توفيق البكري يظن أن عندي فهارس لأوائل الاحاديث كلها ، ومعجما لمفرداتها كهذا الكتاب يبين عند كل كلمة مواضع كل حديث وردت فيه من كتبها ، ثم علم أنه ما ثم إلا مفتاح الصحيحين المطبوع المشهور ، وهو خاص بأوائل أحاديث الصحيحين القولية والمسندة وبيان مواضعها من المتن وشروح الحافظ العسقلاني والقسطلاني والعيني لصحيح البخاري (في طبعاتها الاولى) وشرح النووي لصحيح مسلم المطبوع على هامش شرح القسطلاني للبخاري

ولو وجد بين يدي مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر علي أكثر من نصف عمري الذي أنفقته في المراجعة ، ولكنه لم يكن ليغنيني عن هذا الكتاب (مفتاح كنوز السنة) فان ذاك انما يهديك الى مواضع الاحاديث القولية التي تعرف أوائلها ، وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما في معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازي وغيرها . فلو كان بيدي هو أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفر علي ثلاثة أرباع عمري الذي صرفته فيها ، ولمكنني من الاستجابة لمن اقترحوا علي أن أضع كتابا جامعا للمعتمد منها ، وكتابا آخر للمشكل منها في نظر علوم هذا العصر وفلسفته والجواب المقنع عنه

*

ان حاجتنا الى هذا الكتاب وما في معناه في هذا العصر لا يدل على تقصير علماء السنة السابقين أو تفريطهم في شيء من خدمتها، فانهم - أحسن الله اليهم ونضر وجوههم - قد قاموا بكل ما يجب ويندب ويستحب من رواية الحديث وحفظه وتدوينه في المسانيد والجوامع والسنن الجامعة والخاصة بالعقائد والاحكام، وإفراد الصحاح منها وإتمامها بالمستخرجات والمستدركات عليها، ووضعوا المعاجم لمفرداتها ولآلئها لتسهيل المراجعة، دع ما سبقوا اليه جميع الامم من وضع التواريخ لرواتها ثم لغيرهم من العلماء، ومن ترتيب بعضها على حروف المعجم وبعضها على الطبقات، ومن نصب ميزان الجرح والتعديل المستقيم لهم، لتمحيص المقبول والمردود من مروياتهم، ومن وضع كتب الاطراف المبينة لروايات كل صحابي في كل موضوع، وترتيبها على الحروف، وغير ذلك من الكماليات التي لا محل لذكرها هنا، فقد تركوا لنا ثروة واسعة في ضبط سنن نبينا ﷺ وهديه وشمائله وسيرته لم يوفق لمثلها ولا لما يقرب منها أحد من أتباع الانبياء والمرسلين، ولا غيرهم من الحكماء والمشترعين يسرت لمن بعدهم سبيل التفقه فيها والاستنباط منها في كل زمان بما يحتاج اليه أهله، ويكون به المتأخر مكملا لما سبقه اليه من قبله، ويكون الارتقاء في العلم متسلسلا مطرداً، سواء منه علم الدراية والرواية الذي جعلوه علما مستقلا مدونا وعلوم العقائد والفقه والادب والتصوف وغيرها.

كان أئمة الفقه في أمهات الامصار قبل جمع الاحاديث والآثار في الاسفار يأخذ كل منهم بما وصل اليه من علم الصحابة والتابعين بالسنة ومذاهبهم في العمل فاشتهر في الكوفة مذهب عبد الله بن مسعود (رض) وأصحابه وقضايا علي أمير المؤمنين كرم الله وجهه، وشريح قاضي أمير المؤمنين عمر (رض) وفتاوى ابراهيم النخعي وأقرانه من التابعين، فكانت عمدة أبي حنيفة في اجتهاده بالتخريج عليها قلما كان يخالفها، ولقلة المرفوع فيها كان يأخذ بالمرسل والمنقطع، وكثر في فروعه القياس والرأي وعرف به، واشتهرت براعة صاحبه أبي يوسف في القضاء لتولية هارون الرشيد إياه رياسته في مملكته، ثم اشتغل صاحبه محمد بن الحسن بالحديث

وأخذ الموطأ عن الامام مالك ودون الكتب التي هي عمدة المذهب

واشتهر في المدينة علم عمر وعثمان وابن عمر وعائشة وزيد بن ثابت وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من فقهاء الصحابة (رض) وأصحابهم من كبار التابعين رواتهم وفقهائهم ، فكانت عمدة مالك بن أنس في اجتهاده وكان لثقته بهؤلاء الاعلام يأخذ بالمراسيل عنهم ، ويعمل أهل المدينة بشرطه ، على كثرة المرفوع عنده

ثم ظهر محمد بن ادريس الشافعي وقد تأمس هذان المذهبان على ما أشرنا اليه فرحل في طلب الحديث من مكة إلى المدينة وسمع الموطأ وغيره من مالك ثم إلى بغداد فلقي محمد بن الحسن وناظره ونظر في كتب أبي حنيفة ومذهبه . ولقي احمد ابن حنبل وطبقته من المحدثين ، وألف هنالك كتبه التي تسمى بالمذهب القديم . ثم هاجر الى مصر وسمع من رجالها وألف فيها مذهبه الجديد ، وكان أكبر الفرق بينه وبين من قبله ان بنى مذهبه على الجمع بين روايات الامصار المختلفة . ووضع أصول الفقه للجري عليها في الاستنباط ، وخالف أبا حنيفة وأصحابه ومالكا في مسائل من أهمها ما اشترطه في الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغير ذلك كما بينه في كتاب الأم

ووجه أحمد بن حنبل جل عنايته إلى الاحاطة بالروايات بقدر الاستطاعة ، وبالجرح والتعديل للرجال فكان أعلمهم بها ، وأقلهم عناية بالفقه استغناء بالحديث والآثار ، ومسنده أصل الاصول لأكثر كتب السنة ، فهو أعظم المسانيد وأوسعها ، ثم وضع تلاميذه وغيرهم كتب الصحاح والسنن وغيرها كما بيناه آنفا

وقد جرى على مذاهب هؤلاء الاربعة أكثر فقهاء أهل السنة في الشرق والغرب ، وصارت كتب السنة المدونة وشروحها المصنفة مرجع علمائهم كلهم ، فملأوا بها طباق الارض علما من كل ما يحتاج اليه البشر في دينهم ودنياهم

فبتلك الكتب التي أتقن أفراد الاخصائيين لكل نوع منها في الرواية والدراية صار طريق علوم السنة بأنواعها معبداً ممهداً ، وهذه العلوم تتسع دائرتها في كل عصر بقدر ما يتجدد للبشر فيه من الاقضية والمصالح السياسية ، والحكمة العقلية والأدبية ، والأصول التشريعية ، والنظريات العلمية التجريبية ، والمخترعات الفنية والصناعية ، ومن فوق هذا كله إقامة الحجة على نبوة خاتم النبيين ، ودفع

الشبهات عما يرد عليها وعلى أحاديثه من إشكال علمي أو عقلي. وإنما يكون ذلك بتمحيص الروايات ونصب ميزان الترجيح بين المتعارض منها، والاجانب يعنون بنقد هذه المتعارضات، مالا يعنون بتلك العلوم والحكم التي تعد من المعجزات، لتفجر ينابيعها من فيض نبي أمي نشأ بين الاميين. وفي هذه الكتب مالا يصح سنده وما يشكل متنه. بمخالفة الظني للقطعي من نص أو حس، وما فيه علل خفية كعنعنة المدلسين في الصحاح ومخالفة الثقات في غيرها، ولا بد للعالم المسلم من العلم بذلك ولا يتيسر ذلك كله إلا بجمع ما تفرق في كتبها في كل موضوع

**

بيد ان الحياة الدينية العلمية التي بعثت الأولين على تصنيف تلك الأسفار العظيمة، قد عرض لها أمراض روحية وسياسية كثيرة، انتهت بالمسلمين إلى هجرها هجراً غير جميل، حتى صار أكثر علمائهم وخطبائهم وأدبائهم يجهلون علم الحديث، فلا يميزون بين ماصح منه وما لم يصح، بل ينقلون المنكرات والموضوعات منه، ويحتجون بها حتى في أصول العقائد وأحكام العبادات والقضاء، لأنهم على جهلهم لها، وعدم تمييزهم بينها، ينقلونها من كتب الأدب والتصوف والمواعظ والتواريخ والقصص، وكذا أكثر كتب التفسير والفقه، فأمسينا في فقر مدقع من سنة نبينا ﷺ وأخباره، وفي خزائن كتبنا من كنوزها العظيمة مالو استخرجناه وانتفعنا به لكنا أغنى الاغنياء، ولملأنا الدنيا بما فيها من العلم والحكمة، بما من الله به على أهل عصرنا من نعمة المطابع، وتعميم المواصلات وسرعتها بين الاقطار الشواسع، حتى صار جمع تلك الثروة الواسعة من كتب الحديث وشروحها سهلا على كل من يريده، ولكن بعد أن قل من يريده، حتى إن من المقلدين الجامدين من لا يرى لهذه الكتب فائدة الا التبرك بها، والصلاة على النبي ﷺ عند ذكره وذكرها!

ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر، وانني لما هاجرت إلى مصر سنة ١٣١٥ رأيت خطباء مساجدها الازهر وغيره

يذكرون الاحاديث في خطبهم غير مخرجة ومنها الضعيف والمنكر والموضوع ، ومثلهم في هذا الوعاظ والمدرسون، ومصنفو الكتب، فكنت أنكر ذلك عليهم كما بدأت بانكار مثله على أهل بلدي طرابلس قبلهم، واخترت لأشهر خطبائهم من الاحاديث الصحاح والحسان المعزوة إلى مخرجيها ماختم بها خطب ديوانه .

ولما أنشأت المنار في أواخر تلك السنة التزمت فيه تخريج ما أنقله فيه من الاحاديث فكان لذلك بعض التأثير في بعض طلاب العلم في الازهر ثم في مدرسة القضاء الشرعي ، وكان جل الذين اشتغلوا بالحديث منهم من إخواني وأصدقائي، فباحيائي لهذه السنة بالقول والعمل ، وبالدعوة إلى السنة وهدي السلف ، والنهي عن مستحدثات البدع ، وصفت بمحيي السنة، على ضعف حفظي للرواية ، وقلة حظي من الدراية، ولله الحمد على ما أعطى ومنع وله وحده الفضل والمنة

بيد أن جمهور المشتغلين بعلوم الشرع لا يزالون معرضين عن علم الحديث حتى ان مشيخة الازهر على علو مكانتها ، قد أنشأت منذ أربع سنين مجلة دينية علمية جعلتها لسان حالها، فكان أول ما أنكرته عليها عدم عنايتها بالحديث الشريف، واقترحت عليها تخصيص بعض العلماء لتخريج كل حديث ينقل فيها وبيان درجته ، ولكن لا يزال ينشر فيها ما لا يصح ولا يعزى إلى شيء من كتب السنة المعتمدة، لقلة اطلاع محرريها على هذه الكتب وصعوبة التمييز بين الصحيح وغيره مما في غير الصحيحين ، وأصعب من ذلك عليهم المراجعة للعثور على تخريج ما ينقلونه من الكتب المختلفة، وقد صاروا هم وأمثالهم من الكتاب والمصنفين الذين يكتبون في المسائل الاسلامية مضطرين إلى هذا التمييز والتخريج ، لكثرة السؤال عنه ، والانكار على من نقله وتركه غفلا ، بكثرة اخواننا من أنصار السنة ودعاتها والمهتدين بها ، وتأليفهم الجمعيات ونشرهم المصنفات لتعميمها ، واعتراض الزراع والعمال منهم، على العلماء الرسميين من غيرهم ، وظهور حجتهم عليهم، ولا سبيل إلى حفظ كرامتهم ومقامهم العلمي إلا بالاشتغال بعلم الحديث ، وهو يتوقف على درس طويل وتعب كثير وأول ما يحتاجون اليه قبل درسه الفني العلمي سهولة المراجعة في كتبه للوقوف على ما يحتج به وما لا يحتج به. ويقرب شقته عليهم هذا الكتاب الذي شعر بالحاجة

اليه لنفسه ولأمثاله من شعوب الافرنج عالم أوربي مستشرق هو الدكتور ا. ي فنسنك الهولندي، والمسلمون أحوج اليه منهم، ولا غرو فقد ورد في الحديث «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال غريب. ورواه غيره بألفاظ أخرى بعضها موقوف على علي وابن عمر (رض) تكفي للاعتبار بها في موضوع الاستفادة في علم مجمع على وجوبه. وورد في حديث آخر مرفوع «ان الله ليؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله» رواه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (رض) ويؤيد ضعف سنده ما في الصحيحين بلفظ آخر ليس نصا فيه مثله. وحاصل ما تقدم ان الحاجة الى مفتاح لكتب السنة الجامعة شديدة لكل من يريد الدخول عليها من أبوابها

***

موضوع هذا الكتاب دلالة القارئ على ما أودع في كتب الصحاح والسنن والمسانيد والسير والطبقات والمغازي - المبينة في أوله - من الاحاديث والآثار والمناقب بالصفة التي شرحها، فهو لا يدلك على مواضع الاحاديث التي تحفظها او تحفظ اوائلها في تلك الكتب كمفتاح احاديث الصحيحين، وإنما يدلك على ما ورد فيها من كل موضوع بمراجعة أخص كلمة به تدل على اصل الموضوع ثم ما يليها من فروعه، فهو ككتاب «فتح الرحمن لطالب آيات القرآن» فاذا لم تجد مطلوبك عند الكلمة التي راجعتها فانك تجده عند كلمة اخرى في معناها، فمؤلفه قد أحصى ما وصل اليه علمه ووضع ألفاظها بقدر ما بلغه فهمه (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها)

وإني كنت أعجبت بالكتاب منذ اطلعت عليه، واستأذنت مؤلفه بنقله إلى اللغة العربية فأذن لي، وانتدب لهذا العمل الجليل احد اخواننا من عشاق العلم، الذين يكثرون الاختلاف الى دار المنار والبحث في مسائل التفسير والآثار، ويقتنون نفائس الاسفار، الاستاذ محمد فؤاد عبدالباقي ادام الله توفيقه، ومهد له في كل علم نافع وعمل صالح طريقه، وكنا اتفقنا على التعاون على تصحيحه وتنقيحه، فعاقني عن القيام بسهمي منه ما لم يعقه عن سرعة القيام بسهمه، وانفرد بهذا الفضل واستقل

به ، وجاهد في هذه السبيل — وهي سبيل الله — جهاداً محموداً تلافى به بعض تقصير المؤلف فصحح ما فطن له في الاصل من خطأ بمراجعة تلك الكتب كلها في مظانها ، بعد وضع الارقام لما بين يديه من نسخها ، وابقاء المكرر من المتون في مواضعها ، وتكثير العناوين لحديث الواحد منها ، حتى صارت هذه الترجمة العربية أنفع من أصلها الانكليزي في الدلالة على تلك المتون في كتبها . فجزاه الله على حسن عمله وإخلاص نيته ، ووفق الامة لشكره بالانتفاع بأثره ، فقد قال رسول الله ﷺ « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه احمد والترمذي والضياء في المختارة من حديث أبي سعيد الخدري بسند صحيح ، ولا ننسى أن نشكر لمؤلف الاصل عمله وجهاده ، فهو صاحب الفضل الاول في هذا الاثر الحميد . (والله يقول الحقّ وَهُوَ يهدى السبيل)

وكتبه محمد رشيد رضا
منشىء المنار بمصر

جوامع كلم في شئون الدول والامم

شعور المسلمين بهدمهم لقوة الاسلام ، واعداد زعمائهم للاعتصام

كان لكل فريق من واضعي أسس التفرق بين المسلمين بعصبيات المذاهب فالجنس (الشعوبية) فللغات فالاوطان فالطرائق منافع خاصة بكل منهم ، ثم غلب الاسلام فانحصرت هذه المنافع بزعمائهم في جامعة الاسلام ، المانعة من التفرق والانقسام ، إلا غلاة الشيعة فقد مرقت الباطنية منها ، ثم استغل الافرنج المستعمرون هذه الفرق كلها ، واستخدموها في إذلال كل منها ، بهدم الجامعة الاسلامية من أساسها ، وقد شعر أكثر هؤلاء الزعماء في المشرق وأقلهم في المغرب ، بذلك فيجب إشعار الباقين به وإعداد الجميع للدعوة التي ستنشر في العام الآتي مبينة لهم كيف ينتفعون بقوتهم الجامعة ، مع حفظ منافعهم الخاصة ، من جميع النواحي الدينية والدنيوية .

التعريف بكتاب مسائل الامام أحمد

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

اللهم لك الحمد والشكر، ثم لمحمد رسولك خاتم النبيين الذي بلغنا عنك ؛ فصل اللهم عليه وعلى آله وصحابته، المبلغين عنه ما آتيته من كتابك وحكمتك ، وعلى أتباعهم الحافظين عنهم ما بلغوا من بيانه وسننه، وجميع الناشرين للعلم والعاملين به، وسلم تسليما

أما بعد فهذه أثارة من علم حافظ الملة ، وإمام الائمة ، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، كانت من نخبات الخزائن ، فاستخرجها منها بعض الاعوان على الخير ، لنشرها على الامة بنعمة الطبع

كان أكبر همِّ الامام احمد (رحمه الله تعالى) وجل عنايته مصروفا إلى رواية الحديث ونقد رجاله تلقيناً وتصنيفاً وإلى حفظ السنة النبوية المتبعة المأثورة بالعلم والعمل، على الهدي الذي كان عليه الصحابة والتابعون وصلحاء السلف ، وما كان يريد أن يكون ذا مذهب في الفقه يدون ويتبع رأيه فيه ، لانه ما كان يبيح لأحد أن يقلده ولا أن يقلد غيره في فهمه ورأيه ، وإنما كان يدعو الناس إلى الاتباع ، وينهاهم عن الابتداع ، حتى إنه كان يتحامى القياس ويرغب عنه ، وقد روي عنه أنه قال سألت الشافعي عن هذا القياس فقال : هو كلحم الميتة يباح للضرورة - أو قال كلمة بمعنى يباح - الشك من الكاتب - ولذلك كتب الحديث والآثار والسنة وصفة الصلاة والرد على المبتدعة ، ولم يصنف شيئا في الفقه ، ومن ثم قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب الاحكام انه لم يذكر فيه خلاف الامام أحمد لانه كان محدثا لا فقيها

والحق ان الامام أحمد كان محدثا فقيها يرجع اليه العلماء فيما يشكل عليهم

من مسائل الفقه كما يرجعون اليه فيما يشكل عليهم من روايات الاحاديث ورواتها ، ليعلموا ما يصلح وما لا يصلح للعمل به منها ، وكان يجيب السائلين ولكنه ما كان يحب أن ينقل عنه ولا عن غيره شيء في الفقه إلا الحديث والسنن، وتفنيد المحدثات والبدع

قال صاحبه أبو الحسن احمد بن الحسن الترمذي - وهو من شيوخ البخاري عنه - أي عن أحمد - سألت أباعبد الله فقلت له: أكتب كتب الشافعي؟ فقال : ما أقل ما يحتاج صاحب الحديث اليه . وقال صاحبه عبد الملك بن عبد الحميد الميموني الرقي أبو الحسن : سألت أباعبد الله عن مسائل فكتبتها فقال: إيش تكتب يا أبا الحسن؟ فلولا الحياء منك ما تركتك تكتبها وانه عليَّ لشديد ، والحديث أحب إلي منها. قلت : انما تطيب نفسي في الحمل عنك ، انك تعلم انه مذ مضى رسول الله ﷺ قد لزم صحبه قوم، ثم لم يزل يكون للرجل أصحاب يلزمون ويكتبون، قال: من كتب؟ قلت: قال أبو هريرة : وكان عبد الله بن عمرو يكتب ولم أكتب فحفظ وضيعت . فقال لي : فهذا الحديث ، فقلت له: فما المسائل الا حديث ومن الحديث تشتق ، قال لي: أعلم أن الحديث نفسه لم يكتبه القوم ، قال: لا، لمن يكتبون؟ قلت لا انما كانوا يحفظون ويكتبون السنن الا الواحد بعد الواحد الشيء اليسير منه ، فأما هذه المسائل تدون وتكتب في الدفاتر فلست أعرف فيها شيئا ، وإنما هو رأي لعله قد يدعه غداً ينتقل عنه الى غيره . ثم قال لي : انظر الى سفيان ومالك حين أخرجا ووضعا الكتب والمسائل كم فيها من الخطأ؟ وانما هو رأي يرى اليوم شيئا وينتقل عنه والرأي قد يخطيء . فاذا صار الى هذا الموضع دار هذا الكلام بيني وبينه غير مرة اه

أقول ذكر هذا عنه القاضي أبو الحسن محمد بن القاضي ابي يعلى الكبير في مختصر (طبقات الحنابلة) وقال قبله في ترجمة الميموني هذا : وعنه عن ابي عبد الله مسائل في ستة عشر جزءاً ، وجزأين كبيرين بخط جليل مائة ورقة ان شاء الله تعالى او نحو

ذلك ،لم يسمعه منه أحد غيري فيما علمت من مسائل لم يشركه فيها أحد ، كبر حياد، تجوز الحمد في عظمها وقدرها وجلالتها .اه بحروفه ص١٥٦ من الطبقات

وهكذا كان يسأل الامام أصحابه وغيرهم عما يعرض لهم من المسائل ، لان إمامة العلم ورياسته قد انتهت اليه في بغداد عاصمة الخلافة وكعبة العلم ، فأما أهل الرواية كالبيموني فكانوا يروون عنه هذه المسائل ومنهم صاحبه أبو داود في المسائل المجموعة في هذا الكتاب ،وأما سائر الناس فكانوا يعملون بما يقوله ويفتي به، وإفتاء العامي فيما يعرض له واجب على أولي العلم ولكن أحمد كان ينهى أن يتخذ فهمه دينا يقلد فيه، وكذا سائر الأئمة كما صرح به الامام المزني عن الشافعي في أول مختصره وانه كتبه لاجل النظر فيه، أي مساعدة على فتح باب الفهم، وان الشافعي نهى عن تقليده فيه، وإنما يعمل الناظر في العلم بما يقوم الدليل عنده على صحته. وقد بكى مالك في مرض موته إذ بلغه ان الناس يعملون بقوله لذاته، مع أنه قد يرجع هو عنه

ولما دوّن أتباعه الفقه على مذهبه جمعوا ماوصل اليهم من المسائل المجموعة ، والروايات المتفرقة، ووضعوها في أبوابها، ومن أجل هذا تجد الروايات والاقوال عنه كثيرة مختلفة، وقد وضعوا للاختلاف فيها وترجيح بعضها على بعض قواعد ،ولو كان هو المدون للفقه لما احتاجوا إلى ذلك. لانه كان يكون عند الكتابة يدون مايرى أنه الحكم، أو يذكر في المسألة وجهين على الاكثر. ووضعوا اصطلاحا لالفاظه المختلفة في التعبير عما يراه وعما لا يراه في المسألة كقوله: لا ينبغي، لا يعجبني، لا يصلح ، أستقبحه، هو قبيح. أكرهه، لا أحبه ،هذا أقبح أو أشد .وفي مقابله: أحب كذا ،يعجبني ،هو أعجب إلي ،هذا حسن أو أحسن. وقد بين هذا وذاك العلامة ابن مفلح في فاتحة كتابه (الفروع) وإنما كان يقول هذا حتى لا يكون جازما بأنه هو حكم الله تعالى ، وما كان يخطر ببال أحدهم أن الناس سيتركون ماصح من السنة والحديث تقديما لاقوالهم عليها، هذا ما كانوا يخافون من كتابة الفقه، وليس فيما عداه إلا النفع للامة والاعانة على العلم ،وفتح أبواب الفهم، فجزاهم الله خير الجزاء

لا أعلم أن شيئا من المسائل التي نقلها عن الامام راو واحد روى عمن سأله عنها ودونت في زمن راويها إلا هذه المسائل التي رواها عنه أشهر أصحابه (أبوداود) سليمان بن الاشعث السجستاني صاحب السنن المشهورة ، فان النسخة المحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق قد سمعت وكتبت في سنة ٢٦٦ للهجرة وكانت وفاته سنة ٢٧٥ فهي قد كتبت في عصره . ومن العجب أن علماء المذهب لم يعتنوا بها بعد ذلك بما ينبغي لمثلها من الرواية والشرح حتى ان صاحب مختصر الطبقات لم يذكرها في ترجمته، ولم نجد لها ذكراً في كتاب (كشف الظنون) ولا في فهرس المكتبة المصرية الكبرى، وان ما فيها من الفقه هو من أصح ما يعزى إلى أحمد أو أصحه لانه كتب بلفظه في عصره ، ولا يستغنى عنه بغيره

لهذا نعد من حسنات هذا العصر عصر تجديد العلم ونشر كتب السلف بالطبع أن وفق الله تعالى الشيخ ابراهيم بن حمد الصنيع السلفي النجدي أحد كرام تجار جدة لطبع هذا الكتاب بعد العثور على نسخة المدينة المنورة واستنساخها، وأن أشار عليه بعض أهل المعرفة والرأي أن يكلف الاستاذ الامين المدقق عالم الشام الشيخ محمد بهجة البيطار معارضتها على نسخة المكتبة الظاهرية وتصحيحها بالمقابلة عليها ، وقد تبرع الاستاذ بهذا العمل الشاق وجرى فيه على الطريق الوعر بأن أحصى كل ما رأى من الاختلاف بين النسختين وأثبت في حواشي النسخة المدنية التي جعلت هي الاصل للطبع ما يخالفها في النسخة الظاهرية من تحريف وتصحيف وزيادة ونقصان وهو كثير جداً ، وترى بيان هذا بقلمه في آخر الكتاب

وكان من سوء الحظ أن نسخة المدينة كثيرة الغلط حتى ان منه ما هو تحريف أو تصحيف ظاهر لا يحتمل الصواب ، وان النسخة الظاهرية تخالفها في أكثره الى الصحيح كما صرحت به في بعض تعليقاتي عليه . ومثل هذا الاختلاف لا يصح أن يجعل اختلاف رواية ولا اختلاف فهم . وقد كتب الاستاذ رأيه في بعض الخطأ

اللفظي والمعنوي في الكتاب ، ومنه اختلاف قولي الامام في المسألة الواحدة .

ونصح لمريد طبع الكتاب أن يطبعه في مطبعة دار المنار بمصر ، وأن يكتفي ما لا يكلَّف مثله صاحب مطبعة من النظر في المشكلات المعنوية والمسائل الخفية ، وضبط الروايات وأسماء الرجال المشتبهة والتي لا تعرف لما وقع فيها من التحريف ، وكتب في ذلك جدولا فيه عشرات من هذه المسائل ، وقد أرسل إلي هذا الجدول بعد الاتفاق مع مدير المطبعة على شروط الطبع ، ومنها أن يكون تصحيح المطبعة على الاصل المرسل تحت إشرافي ومراجعتي

وقد قمت ولله الحمد بأكثر مما كلفته من تصحيح المسائل المشكلة والخفية وأسماء الرجال التي أحصاها الاستاذ ابن البيطار ، ومنها ما كتبت له حواشي وضعت اسمي في آخرها أو أولها ، وربما ترك ذكر الاسم أو سقط من بعضها ، ومنها ما لم أضع له حاشية لئلا تكثر الحواشي بغير فائدة ، ولم يكن من الممكن بيان جميع المسائل الخفية في الاصل وهي صحيحة مع كثرتها إلا بشرح مطول لها يكون أضعاف الاصل في حجمه ، فان هذه المسائل لم يقصد بشيء منها أن تكون بيانا تاما لمسألة فقهية أو اعتقادية أو حديث أو تاريخ راو لأجل تلقينها لطلاب العلم أو المستفتين ، وإنما هي إشارات وجيزة من حافظ عليم إلى مشكلات عنده لامام أعلم منه ، فيكفيه أن يشير اليها بلفظ مفرد أو جملة وجيزة تامة أو غير تامة ، ويقنعه من الجواب عليها مثل ذلك ، فمن لم يكن على علم بموضوع المسألة من هذا النوع فلعله لا يفهم السؤال والجواب ، وناهيك بالسؤال عن حديث بذكر كلمة منه ولو في بعض رواياته ، أو بذكر أحد رواته باسمه أو لقبه أو كنيته ، على ما في هذه الأعلام من الاشتراك والاشتباه ، ثم ناهيك بالجواب عنه بكلمة مبهمة أو اسم آخر ، وغير ذلك مما كان معروفا عند السائل والمسئول ، وأشباه هذا مما تكرر في هذه المسائل ، ولو ضربت له الامثال هنا لأطلت في غير طائل

عرفت كثيراً من التحريف والتصحيف لأسماء رجال الحديث في إحدى النسختين أو كلتيهما بشهرتهم وكثرة مرور أسمائهم على ضعف حفظي وذكري للاعلام كالارقام، وشككت في بعضها فراجعت عما أحاله علي الاستاذ ابن البيطار من المشكوك فيه فصححته، بل قمت بأكثر مما عهد إلي من التصحيح بقدر الامكان، كما قام هو بأكثر مما عهد اليه أيضاً، فنسأل الله أن يثيبنا على هذه الخدمة

ولو نقلت نسخة المكتبة الظاهرية بالتصوير الشمسي أو كتبت عنها نسخة وصححت عليها وكلفنا الطبع عنها مع معارضتها على النسخة المدنية لما تعبنا عشر هذا التعب في تصحيحها، ولما زادت حواشيها على عشر هذه الحواشي، ولجاء المطبوع أصح وأظهر في القراءة وأقرب إلى الفهم، لعدم الحاجة إلى الحواشي عند القراءة إلا قليلا، ومن ذا الذي كان يعلم هذا الفرق كله بين النسختين، فيخبر مريد طبع الكتاب به ويقترح عليه العمل به

أما أنا فلم أقرأ شيئا من النسخة المخطوطة التي أرسلت إلى مطبعة المنار لانني لم أكلف قراءة الاصل ولم أشعر بالحاجة اليه بعد العلم بتصحيح الثقة الامين الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار له بالصفة التي يعرفها القراء مما وصفه لهم، وإنما كنت أنظر فيما جمع منه في المطبعة للاشراف على تصحيح مصححها، وللنظر فيما عهده إلي من «مشكلاتها الفقهية والحديثية وأسماء الرواة» ولم أفطن لفضل النسخة الظاهرية على المدنية إلا بعد طبع كراسات منه، وأظن أن ما وقع لي من هذا مثل الذي وقع للاستاذ ابن البيطار في معارضة النسختين . وما كان له ولا لي أن نتصرف في الاصل المدني فنصحح ما نظن ولا ما نجزم بأنه خطأ فيه، لاحتمال خطأ الظن في الاول، ولعدم ثقة جميع القراء بصحة ما نجزم به إلا أن نبين الاصل الصحيح والدليل على أن ما جزمنا به هو الصواب . وهذا لا يكون إلا بالتوسع في هذه الحواشي وجعلها سفراً كبيراً وهو ما لم نكلفه، على ما يقتضيه من التعب الكثير والزمن الطويل . وأنا أقر بأنني لست أهلا للاضطلاع به في أقل من سنة كاملة أخصه بها

بيد أني أقول : إن ما قمنا به من خدمة هذا الكتاب هو الممكن الذي أطقناه،

وهو قد أظهر لمحبي العلم والمشتغلين بفقه الامام أحمد وبعلوم الحديث نسخة منه جامعة لكل مافي النسختين المخطوطتين اللتين لم يوجد منه غيرهما ، مع زيادات من البيان والتصحيح لا يستغنى عنهما . فاذا قدره علماء الحنابلة وعلماء الحديث قدره ، وأحبوا إكمال فائدته بما ينتفع به جميع القارئين له ، فلينتدب بعضهم إلى شرحه ، وان شرح القسم الخاص بالحديث ورجاله ليسير على المشتغلين به من إخواننا علماء الهند ، وأما القسم الفقهي فلا يستطيعه إلا فقيه حنبلي ضليع وما أعرف أحداً جامعاً بين الامرين فان وجد فهو قليل لا كثير

ويتوقف الفهم التام لهذا الكتاب في جميع مسائله على معرفة اللغة العربية لعلماء بغداد في عصر الامام أحمد (رحمه الله تعالى) فقد كتبت بلغة النطق لا بلغة التصنيف والفرق بينهما قليل : فمنه عدم التزام حركات الاعراب ومنه استعمال مفردات غير عربية الاصل وهي قليلة جداً . وقد نبه الاستاذ ابن البيطار لبعضها في حواشيه وزدت عليه في ذلك وأرجعت بعضها إلى أصل عربي كالوقوف على المنصوب بالسكون على لغة ربيعة . ثم رأيت هذا يكثر في أثناء الكلام بدون وقف . ولا ترى مثل هذا في مصنفات الامام أحمد التي كتبها ـ كيف وقد شهد له الامام الشافعي (رحمهما الله تعالى) بامامة اللغة كامامة الدين وناهيك بشهادة الشافعي

قال الربيع بن سليمان : قال الشافعي (رض) أحمد إمام في ثماني خصال: إمام في الحديث . إمام في الفقه . امام في اللغة . امام في القرآن . امام في الفقر . امام في الزهد . امام في الورع . امام في السنة اه من طبقات الحنابلة

وجملة القول ان هذا الكتاب قد جمع من فقه الامام أحمد وعلمه بالحديث ورجاله مايعد من بقايا المآثر ، وأعلاق الذخائر ، التي تركها الأوائل للاواخر ، فنسأل الله تعالى أن ينفع بها ، ويحسن جزاء من رواها ومن نسخها ومن صححها ومن طبعها ، انه لا يضيع أجر من أحسن عملا آمين

وكتبه محمد رشيد رضا
منشيء المنار

بسم الله الرحمن الرحيم

عهد التحكيم بين المملكة العربية السعودية

(وبين مملكة اليمن)

بما أن حضرة صاحبي الجلالة الاماميين الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية والملك يحيى ملك اليمن قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم المسماة بمعاهدة الطائف والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف على أن يحيلا إلى التحكيم أي نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله فان الفريقين السامبين المتعاقدين يتعهدان باجراء التحكيم على الصورة المبينة في المواد الآتية:

(المادة الاولى)

يتعهد كل من الفريقين السامبين المتعاقدين بأن يقبل باحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب اجراء التحكيم من الفريق الآخر اليه

(المادة الثانية)

يجري التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساو من المحكمين ينتخب كل فريق نصفهم ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين السامبين المتعاقدين وان لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصا فان قبل أحد الفريقين بالمرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعا وان لم يمكن الاتفاق على ذلك تجرى القرعة على أيهما يكون وازعا مع العلم بأن القرعة لا تجري إلا على الاشخاص المقبولين من الطرفين . فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم ووازعا للفصل في القضية وان لم يحصل الاتفاق على الاشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك

(المادة الثالثة)

يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لاجابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر . وتجتمع هيئة المحكمين في المكان الذي يتم الاتفاق عليه في مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين في أول المادة . وعلى هيئة المحكمين أن تعطي حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الاحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التي عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه. ويعطى حكم هيئة التحكيم بالاكثرية ويكون الحكم ملزما للفريقين ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه . ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الاشخاص الذين يريدهم للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك

(المادة الرابعة)

أجور محكمي كل فريق عليه وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما وكذلك الحكم في نفقات المحاكمة الاخرى

(المادة الخامسة)

يعتبر هذا العهد جزءا متما لمعاهدة الطائف الموقع عليها في هذا اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف ويظل ساري المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة ، وقد حرر هذا من نسختين باللغة العربية يكون بيد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين نسخة

وقراراً بذلك جرى توقيعه في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والالف

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

(التوقيع) عبد الله بن أحمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة الاخ صاحب السيادة السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الامام يحيى حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فانه بمناسبة توقيع معاهدة الطائف بيننا وبينكم نيابة عن جلالتي ملكي المملكة العربية السعودية والمملكة اليمانية أحب أن أثبت لكم في كتابي هـذا أنه لا يمكن اعتبار تلك المعاهدة وقبول انفـاذ مقتضاها إلا في اثبات ما يأتي :

١ — أن يجري تسليم الادارسة واخلاء جبالنا في تهامة واطلاق رهائن أهلها حالا

٢ — أن يظل مضمون هذه المعاهدة مكتوما ولا ينشره أحد الفريقين ولا سيما ما يتعلق منها بمسألة الحدود لما يحدث ذلك من التشويش في تهامة خاصة وإن انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه إلى آخره ، وكل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الامام يحيى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر ١٣٥٣ وقد أحطت علما بما اشترطتموه سموكم لانفاذ معاهدة الطائف التي عقدت بين الفريقين من تسليم الادارسة واخلاء الجبال التي كانت محتلة من قبل جنود جلالة الامام يحيى من بلاد جلالة الملك عبد العزيز واطلاق رهائن أهلها وأن تظل هذه المعاهدة مكتومة وعلى الاخص مسألة الحدود الى أن يتم ترتيب

الاتفاق الذي اتفقنا عليه لانفاذه وان انسحاب جند جلالة الملك عبد العزيز يكون بكامل الصيانة والشرف من ابتداء انسحابه الى آخره وإن كل حادث عدواني عليه في خلال تلك المدة يكون مضمونا من قبل جلالة الامام يحيى لقد أحطت علما بذلك ويسرني أن أعلن سموكم بقبولنا وموافقتنا لاشتراطكم وأنه سيكون مرعيا من جهتنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

تحريراً في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير إلى حضرة صاحب السمو الملكي الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فأتشرف بأن أثبت هنا إلحاقا بمعاهدة الطائف الموقع عليها من قبل سموكم نيابة عن جلالة الملك عبد العزيز والموقعة من قبلي نيابة عن جلالة الملك الامام يحيى، وأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بما هو آت:

١ — تسليم الادارسة لجلالة الملك عبد العزيز وقد عملت الترتيبات اللازمة لتسليم السيد الحسن والسيد عبد العزيز بن محمد الادريسي وسيسلمون حالا لرجال سمو الامير فيصل في تهامة، أما السيد عبد الوهاب الادريسي فنظراً لانه لا يزال إلى الآن في بلاد العبادل فقد اتخذت الوسائل والوسائط لاستدعائه من تلك الانحاء لتسليمه ، فان لم يطع الامر فأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بشأنه بما يأتي:

ا — أن تمتنع حكومة الامام يحيى عن كل مساعدة مادية أو معنوية له وأن تمنع عنه من بلادها أي معاضدة أو معاونة .

ب — اذا أرادت حكومة جلالة الملك عبد العزيز القبض عليه في الاراضي التي هو فيها فان حكومة الامام يحيى ستعمل من جهتها سائر أنواع التضييقات العسكرية التي تستطيعها لمنع فراره إلى أراضيها ، وتتعهد أن تلقي القبض عليه وعلى كل شخص اشترك معه في حركته من أي جهة وقبيل من قبائل المملكة العربية السعودية ، وأن تسلمهم لحكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير شرط ولا قيد اذا دخلوا إلى جهات المملكة اليمانية. وأن تمنع فراره أو فرار أي شخص من الذين

اشتركوا معه في عمله الى الخارج اذا دخلوا الى أراضي المملكة اليمانية .

٢ — أما من كان له تعلق بالادارسة وحركتهم من الاشراف أو غيرهم فاذا أرادوا اللحاق بالادريسي فلهم الامان من قبل حكومة جلالة الملك عبد العزيز والصيانة والاحترام والاكرام اللائق بحقهم ، واذا لم يشاءوا ذلك فانهم يخرجون من بلاد جلالة الامام يحيى ، ولا يسمح لهم بالبقاء فيها ، واذا عادوا اليها مرة أخرى فيطردون حالا — وينذرون بأنهم اذا عادوا يسلمون إلى حكومة جلالة الملك عبد العزيز ، فان عادوا بعد طردهم فأتعهد باسم جلالة الامام يحيى بتسليمهم الى حكومة جلالة الملك عبد العزيز بغير قيد ولا شرط .

فأرجو أن تعتبروا هذا صموكم عهداً وثيقاً له منزلة المعاهدة المعقودة بيننا وبين سموكم بهذا اليوم ، وعلى هذا عهد الله وميثاقه ، وأرجو أن يكون هذا طبقا للاتفاق الشفوي الذي اتفقنا عليه في هذ الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

(التوقيع) عبد الله بن احمد لوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة صاحب السيادة الاخ السيد عبد الله الوزير المندوب المفوض من قبل جلالة الملك الامام يحيى حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فأتشرف بأن أعلمكم باستلامي كتاب سيادتكم بتاريخ اليوم بشأن ماتعهدتم به باسم جلالة الامام يحيى بشأن الادارسة وأتباعهم ، وأنا على ثقة بأن ماتعهدتم به سيكون تنفيذه بمقتضى الامانة والوفاء المأمول في جلالة الامام يحيى ونتمنى أن يكون تنفيذ ذلك بأسرع مدة ممكنة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

بسم الله الرحمن الرحيم

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من خالد بن عبد العزيز الى حضرة المكرم السيد عبد الله الوزير حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فبمناسبة توقيع معاهدة الطائف بين

مملكتنا ومملكة اليمن أثبت هنا ما اتفقنا عليه بشأن تنقلات المتنقلين من رعايا المملكة العربية السعودية ورعايا المملكة اليمانية في البلادين ان التنقل في الوقت الحاضر يظل على ما كان عليه في السابق إلى أن يوضع بين البلدين اتفاق خاص بشأن الطريقة التي ترى الحكومتان متفقا اتخاذها من أجل تنظيم الانتقال سواء للحج أو التجارة وغيرها من الاغراض والمنافع، فأرجو أن أنال جوابكم بالموافقة على ما اتفقنا عليه بهذا الشأن وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . (التوقيع) خالد بن عبد العزيز السعود

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حرر في ٦ صفر ١٣٥٣

من عبد الله الوزير الى صاحب السمو الملكي الامير خالد المفوض من قبل جلالة الملك عبد العزيز حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد تلقيت كتاب سموكم تاريخ ٦ صفر بشأن تنقلات رعايا الفريقين بين البلادين ، وانني على اتفاق مع سموكم في أن يكون الانتقال في الوقت الحاضر طبقاً للطريقة التي كان السير عليها من قبل الى أن يوضع اتفاق خاص بشأن تنظيم الانتقال في المستقبل ، وان ذلك سيكون مرعياً من جانب حكومتنا كما هو مرعي من جانب حكومتكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام (التوقيع) عبد الله بن احمد الوزير

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر وعلى عهد التحكيم والمكتب التي ألحقت بها، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملة في مجموعها ومفردة في كل مادة وفقرة منها ، كما اننا نصدقها ونبرمها ، ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقا بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها، ونلاحظه بكمال الامانة والاخلاص وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالاخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك وزيادة في تثبيت صحة كل ماذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين

حرر بقصرنا في الطائف في الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٥٢

الختم الملوكي (التوقيع) عبد العزيز آل السعود

(تفنيد كاتب مجلة المشرق اليسوعية في الاعتراض على كتاب الوحي المحمدي)

(تابع لما قبله)

معجزة القرآن

أنقل هنا ما نشرته مجلة المشرق من الطعن في معجزة القرآن بحروفه ثم أفنده بالبرهان وهذا لا يفعله أحد من رجال النصرانية لا الكاثوليك ولا غيرهم لعلمهم بأنهم اذا نقلوا كلامنا إلى أتباعهم لا يقدرون على الرد عليه بما يقنع أتباعهم فضلا عن غيرهم

قال في ص ٩٥٧ و ٩٥٨ من سنة ١٩٣٣ لمجلة المشرق ما نصه بغلطه اللفظي والمعنوي

«من المعلوم أن المسلمين يستشهدون بكتابهم على صدق نبوة محمد فهو عندهم آية الآيات ، والاعجوبة الصريحة ، والدليل القائم بذاته على مدى الايام داعياً إلى الهدى من غير شاهد يشهد بصحة نسبته الى أصله ، كأن به توقيع الله بالذات. ويدعمون قولهم بما ينسبونه الى مفاعيل القرآن من الحوادث العظمى التي قلبت فئة عظيمة من البشر ظهراً لبطن ، وبالاختصار فالقرآن عندهم كما يقول السيد محمد رشيد رضا هو معجز للخلق بلفظه، ونظمه وأسلوبه، وعلومه وهدايته، وبذلك هو « آية لا كالآيات ، ونور لا كالانوار » (ص ٥٩)

ولكن ماهي قيمة تلك المعجزة وما هي حقيقة مفاعيلها ؟

قال الاب دي لانفرسان محرر مجلة « في أرض الاسلام » الافرنسية :

« ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن الادبية ، كما وأنه ليس من يشك في قيمة التوراة اللغوية في الترجمة الانكليزية أو في الترجمة الالمانية لمؤلفها لوتر على أن تلك القيمة البشرية محضة، وقد يتاح لكل انسان مثقف أن يتحققها تحققاً متفاوتاً مع تفاوت تضلعه من اللغة ومن آداب البلاد التي وضع فيها الكتاب ، ولكن تلك القيمة الادبية ليست مما يزيد أو ينقص في قيمة المتن الدينية

«اننا لا ننكر على القرآن القيمة الدينية ، ونحن على بينة من مفعوله في إثارة عواطف السجود والصلاة والتسليم لارادة الله، وهناك جمهور المتصوفين الصادقين

من استقوا من مناهل القرآن على مدى الزمان مياه العبادة الصادقة لله عز وجل.

«ولكن محور كلامنا لايدور على تأثير القرآن في النفوس بل على السؤال هل القرآن بذاته دليل؟ هل هو بذاته آية الآيات ومعجزة المعجزات كما يسميه السيد محمد رضا (ص٥٩) وقبله الكثيرون من كبار أئمة المسلمين؟ هل القرآن هو كلام الوحي ، لا بمعنى الوحي الشعري أو الفني المعروف عند أهل الفن والادب بالوحي النفسي (كما ذكره المؤلف ص٢٩) ولكن بالمعنى الكامل المألوف عند رجال الدين أعني به كلام الله الحي ؟

«بعيد عنا القول أن كتابا موحى به من الله وحياً بيناً لايمكن أن ينم عن أصله الالهي من غير أدلة خارجة عنه ، وإنه من المستحيل أن يشهد الكتاب بذاته لصاحبه فتثبت فيه علامة الله وتوقيعه ، ولكن الصعوبة كل الصعوبة هي في أن نتحقق تلك العلامة من غير ما أن نخشى الضلال ، ولا نخاف أن نكون غلطنا في تحقيقنا ، وما المشكل إلا مشكل الدليل الباطني ، وهو شهير عند أهل التفسير فان قيمة الدليل الباطني على صحة الوحي لم تقع قط في الجدال ، ولكن الجدال انما هو في تطبيق العلامة والدليل الباطني تطبيقا لايترك مجالا للريب ، ولذلك فقد أجمع المفسرون على القول أن الدليل الخارجي هو أشد تأثيراً من الباطني لأنه أبعد منه عن خطر الغلط وآمن على سلامة التأكيد »

«ففي الامر الواقع ليس للدليل الباطني قيمة إلا القيمة السلبية أي إنه ينفي كون مؤلف من المؤلفات يمكن أن يكون قد خرج من عقل بشري اهـ بحروفه

المنار : في هذه العبارة شبهات نشير الى دحضها بالاجمال

﴿ الشبهة الاولى في الموازنة بين القرآن والتوراة والانجيل في البلاغة ﴾

نقل عن أحد آبائهم انه « ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن اللغوية » ولكنه زعم أنه يشاركه في ذلك ترجمتا التوراة الانكليزية والالمانية والجواب عنها من وجهين :

(أحدهما) ان القرآن معجز للبشر بعبارته اللغوية ، عجز عن الاتيان بسورة من مثله فحول بلغاء العرب الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة ولم يكن محمد ﷺ قبل النبوة يعد من طبقتهم فيها وقد تحداهم الله بأن يأتوا بسورة مثله مصرحا بأنهم لن يفعلوا ، وكانوا أحرص الناس على تكذيبه فلو قدروا لفعلوا ، واستمر هذا الاعجاز الى يومنا هذا . ولم يقل أحد من الانكليز ولا من الالمان إن ترجمة التوراة معجزة للبشر لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها - فظهر الفرق كفلق الصبح أو أشد نوراً

(الوجه الثاني) لماذا لا يوازنون بين القرآن الذي جاء به محمد ﷺ والتوراة التي جاء بها موسى (ع.م) من عند الله وهي أصل دينهم فأين هي؟ وأين الانجيل الذي جاء به عيسى المسيح (ع.م) ويذكرون في كتب العهد الجديد أنه أمر تلاميذه أن يكرزوا به في الخليقة كلها ؟ ولماذا لا يوازنون بين قيمته الادبية وقيمة القرآن؟ حسب القرآن انه هو الذي جاء به محمد رسول الله وخاتم النبيين فيعرف به أصل دينه معرفة قطعية ، ولكن ما جاء به أخواه موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام غير موجود بنصه الحرفي وهذه الترجمات الموجودة لا يمكن اثبات أخذها عن أصلها لفقده من العالم وهي مختلفة متعارضة متناقضة ، فكيف يوثق بأنها مطابقة لاصلها لو كان موجودا ؟

(الشبهة الثانية في دلالة هداية القرآن الدينية على كونه من الله)

اعترف أيضاً بأنهم لا ينكرون هداية القرآن الدينية من التسليم لارادة الله تعالى والعبادة الصادقة له ، ولكنهم ينكرون أن يكون تأثيره هذا دليلا على انه من عند الله تعالى ، وآية على صحة نبوة محمد ﷺ والجواب عنها من ثلاثة أوجه: وجهين عقليين والثالث نقلي مسيحي

(الاول) اننا لم نحصر البرهان على كون القرآن وحياً من الله تعالى في تأثير هدايته للبشر ولا في اعجاز لغته بل أوردنا في كتاب الوحي المحمدي ثم في غيره من تفسيرنا براهين أخرى عقلية وعلمية على ذلك حسبه منها اتفاق علماء الافرنج

في هذا العصر على انه لايمكن لأحد من البشر أن يأتي بكتاب في الذروة العليا من البلاغة والفصاحة اللغوية بعد دخوله في سن الاربعين إذا لم يكن قد مارس هذا النوع من الكلام أو تمرن في سن الصبا والشباب، وانه ليس في استطاعة أحد من البشر أن يأتي بكتاب ممتاز في العلوم الدينية أو الادبيه أو التشريع المدني والسياسي بعد بلوغ سن الاربعين اذا كان لم يمارس هذه العلوم بالتلقي والبحث والعمل قبل ذلك . وقد ثبت بالتواتر ان محمداً ﷺ نشأ أمياً بين قوم أميين لم يزاول شيئاً من هذا ولا مما قبله . وقد احتج عليهم بهذا كما أمره الله بقوله (١٠ : ١٧ قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبث فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) واذا كان هذا الكتاب - الذي يعترف اليوم أعدى أعدائه وأشد خصومه جدلا ومراء بيقمته اللغوية والادبية والدينية وتأثيره الحسن في العالم محالا أن يكون من تأليف محمد بهذا البرهان العلمي فهل يمكن أن يكون إلا بوحي من الله تعالى له ؟ وهل يوجد في كتب الوحي التي يؤمنون بها مايساويه في هذه الحجة ؟

(الوجه الثاني) ان ما كان للقرآن من التأثير في هداية الملايين من البشر إلى معرفة الله تعالى وعبادته الصادقة وترك ماكانوا عليه من عبادة الاصنام والاوثان والاشجار والكواكب والحيوان والانسان «وابن الانسان» من أكبر البراهين على أنه من وحي الله وكلامه ، وهل بعث الله تعالى رسله وأنزل كتبه إلا لأجل هذا ؟ وهل وجد كتاب من كتبه كان له أكبر من هذا التأثير أو مثله في هذه الهدية ؟ قد بسطنا الجواب السلبي عن هذا الاستفهام في كتاب الوحي المحمدي

اذا كان الماديون المعطلون أو المنكرون للوحي والنبوة من أساسها ينكرون هذه الدلالة على الوحي لانها فرع الايمان بالاصل وهو وجود الله تعالى ورسالة الرسل فكيف ينكرها من يدعون الايمان بهما ؟ هذا ماتعجب منه موسيو مونتيه أستاذ اللغات الشرقية في جامعة جنيف إذ قال انه لايعقل أن يوجد أحد يؤمن بنبوة أنبياء بني اسرائيل ولا يؤمن بنبوة محمد ﷺ

وبيانه كما بسطناه في كتاب خلاصة السيرة المحمدية وكتاب الوحي انه اذا جاءنا رجل بكتاب في الطب والعلاج ورأينا جميع المرضى الذين عملوا به برؤا من أمراضهم ألا يكون هذا أقوى دليل على صدقه وصحة مافيه من العلم ؟ بلى وان هـذا الكتاب لا يحتاج الى من يشهد له بأنه كتاب طب مفيد ، لان الشهادة الفعلية القطعية أصدق من الشهادات القولية وحدها ، ويمكن أن يعرفها كل أحد ، ولهـذا كان السبب الأكبر لاسلام أكثر الاعاجم في الصدر الاول ماشاهدوه بأعينهم وعرفوه باختبارهم من سوء حالة العرب المشركين الجاهلين قبله وانقلابهم بهدايته وسنة النبي الامي الذي جاء به أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون فتحول كثير من اليهود والروم وأكثر النصارى من السوريين والكلدان والاشوريين والارمن والقبط والبربر عن نصرانيتهم إلى الاسلام، وكذا المجوس والهنود الذين كانوا قرناء الروم في حضارتهم وفلسفتهم

وأما العرب فكان سبب إيمانهـم إعجازه اللغوي والعلمي وتأثيره وسلطان هدايته على العقول والقلوب ، والاقتناع بانها حق وخير لهم ، مع حالة من جاءهم به إذ كان الى سن الاربعين غير معروف ببلاغة ولا علم وغير ممتاز على أهل وطنه وبيئته إلا بالصدق والامانة ومكارم الاخلاق .

ان معترض مجلة المشرق يسمي هذا وذ ك من الادلة الباطنية التي ليس لها إلا القيمة السلبية أي انه ينفي كون هـذا الكتاب قد خرج من عقل بشري . وقد غفل عن كون المؤمن بالله وبوحيه يضطر أن يؤمن بما كان كذلك أنه من الله تعالى إذ لاموجود يقدر عليه غيره فقامت عليه الحجة

(للرد بقية)

العبرة بسيرة الملك فيصل

(رحمه الله تعالى)

— ٨ —

يوم الجمعة ٢٥ شعبان ١٤ مايو سنة ١٩٢٠

قابلت ضحوة هـذا اليوم الملك فيصلا بداره فأخبرني أن والده وافق على ما اقترحناه من تنفيذ مشروع (الوحدة العربية) و الاتفاق مع ابن سعود مع المحافظة على شرفه وفوضه بذلك (قال) فيمكننا الآن ارسال وفد علني الى ابن سعود وقد عقد والدي اتفاقا مع امام اليمن

ثم قال : انه جاءه من مصر ان الادريسي (أي السيد محمداً النكبير) أرسل إلي كتابا مع رجل اسمه السيد محمد السقاف ، وسيصل الى هنا حاملا له في هذين اليومين (قال) وانه يمكن عقد اجتماع في هذا العام في طابة

وأخبرته بمسألة استقدام ضيفنا وصاحبه (ضيفنا لقب أطلقناه بمصر على صاحب حجازي لنا يشتغل بالسياسة ، وكنت استأذنت الملك بطلبه الى الشام فأذن

ثم تكلمنا في مسألة العشائر وهي تكاد تتم ان شاء الله تعالى اه

هذا ما كتبته في مذكرتي في ذلك اليوم بعد فراق الملك فيصل وأعني بكلمتي الاخيرة انني لم أترك مسألة السعي لتنظيم عشائر سورية وقبائلها بعد سقوط وزارة الركابي باشا لأنني رأيت الملك فيصلا لا يزال يظهر لي عنايته بها . ووعدني مئذ بتنفيذها

وأقول الآن ان كل ماذكرت هنا من الاخبار لم يصح منه شيء ، وأما الآراء فكان الملك فيصل ثابتاً على وجوب سعينا الى (الوحدة العربية) والتوسل بما يعتقد من اتصال المودة بيني وبين ابن السعود على ادخاله فيها وأنها لا تتم بدونه ، وكان موافقا لي على أن والده هو العقبة الاولى في هذه السبيل فاذا ذللت و اقتحمت كانت عقبة ابن سعود أهون منها

(مكاتبة أمراء العرب في مؤتمر الوحدة العربية)

يوم الأحد ٥ رمضان ٢٣ مايو

أرسلت قبل نصف الليلة البارحة الى الملك فيصل الكتاب الذي طلبه مني لارساله الى ابن سعود ، وقابلته ضحوة اليوم بداره الخاصة وتكلمنا في المسألة العربية وإمكان جمع مؤتمر من زعماء العرب في المدينة المنورة أو أي مكان يختارونه وقال ان والده يوافق على ذلك

وتكلمنا في مسألة سوريه أيضا ومسألة سفره إلى أوربة وعدم ارتياح الناس إلى هذا السفر وسببه ومما قلته له (وهو فصل الخطاب) ان المسألة يمكن اختصارها بكلمة واحدة وهي هل يكون حكم البلاد لنا ونحن نستخدم من الاوربيين من نرى المصلحة في استخدامه ؟ أم يكون لهم ويستخدمون منا آلات لادارته ؟ اه

وأقول الآن قد بينت فيما تقدم ان الرجل لم يتغير رأيه بعد اعلان الاستقلال عما كان قبله من وجوب اتفاقه مع فرنسة على طريقة الحكم في سورية ، وان الوسيلة لذلك أن تفوض اليه البلاد عقد هذا الاتفاق ، وقد كان يطلب هـذا التفويض من الزعماء وكان من أركانهم الاستاذ الشيخ محمد كامل قصاب رئيس الجمعية الوطنية وهو معارض شديد وكان الدكتور شهبندر من أقوى أنصاره ثم اطمأن الملك لموافقته له بعد ان صار وزيراً ، وقد صار في البلاد مؤتمر عام له شأن ، وكان يذاكرني في هذه المسألة منذ اجتمعنا في بيروت عند عودته من أوربة كما تقدم بعده إياي من أصحاب الرأي (الناضج كما كان يقول) ومن أصحاب المكانة في حزب الاستقلال العربي ، وقد صار لي صفة أخرى وهي رياسة المؤتمر الرسمي ، ولم يتغير رأيي في المسألة كما انه لم يتغير رأيه والواقع الآن في سورية يؤيد رأيي. وسأعود إلى هذه المسألة

يوم الجمعة ١٠ رمضان ٢٨ مايو

قابلت الملك فيصلا بداره صباح اليوم وكنت أرسلت اليه البارحة صورة كتابي الاول الى ابن سعود ليرسله مع الثاني الذي أعطيته اياه في ٥ رمضان (كذا في الاصل الذي في المذكرة) فأخبرني أنه أمر إحسان بك أن يكلفني صورة كتاب له (أي لابن سعود من قبله هو) وكتاب آخر يرسل الى سائر أمراء العرب في الكويت والحمرة وغيرهم ، وانه كان كتب كلمات مختصرة في ذلك وتعب فلم يتمها والمراد منها بيان فكرته الاساسية التي أبني عليها

ثم لقيت إحسان بك وأخذت منه الورقة (التي كتبها الملك) وكتبت الصورتين ليلا وأعطيته إياهما وحفظت ورقة الملك عندي وهي في لفظها ومعناها...

يوم الاحد ١٢ رمضان ٣٠ مايو

أفطرت اليوم والوزراء وأعضاء المؤتمر مع الملك فيصل فأجلست في المائدة عن يمينه والشريف جميل عن يساره ورئيس الوزراء أمامه وسائر الوزراء عن اليمين واليسار في صدر المكان ، وجعل لأعضاء المؤتمر مائدتان طويلتان على الجانبين. وقد أسرّ إلي الملك في أثناء الطعام بان الوفد سافر بالكتب وهو مؤلف من العصيمي وآخرين أحدهما سليمان الدخيل اه

ثم كتبت بعد ماتقدم في يوم آخر قريب « ثم تبين لي أن هذا غير صحيح »؟

﴿ قضية وطنية لها علاقة بترجمة الملك ﴾

يوم الاحد ٢٦ رمضان ١٣ يونيو

ظهر الخلاف في النصف الثاني من هذا الشهر بين أعضاء حزب الاستقلال وجمعيته وقد اجتمع في دار الدكتور أحمد قدري زهاء أربعين عضواً من أعضاء الجمعية ودارت المذاكرة تحت رياستي في اصلاحها فاتفق الجميع على وجوب إلغاء امتياز الاعضاء المؤسسين وعلى طلب جميع من في العاصمة منهم ومن غيرهم لتقرير هذا في انتخاب مجلس إدارة (أو تأسيس) من الهيئة العامة عدده ثلاثون أو أكثر وهو ينتخب من أفراده لجنة مركزية أو تنفيذية من سبعة أعضاء وسيكون هذا الاجتماع في الليلة القابلة

(الخلاف في حزب الاستقلال العربي وجمعيته)

يوم الاثنين ٢٧ رمضان ١٤ يونيو

اجتمع البارحة الاخوان في دار الدكتور قدري اجتماعهم الثاني تحت رياستي وبعد طول المذاكرة استقر الرأي على كتابة بلاغ يمضيه جميع من حضر وغيرهم ممن على رأيهم يقدم الى اللجنة المركزية يطالبونها فيه بدعوة جميع الاعضاء في ٧ شوال للمذاكرة في الاصلاح المطلوب الذي اقترح من قبل وينذرونها أنها اذا لم تفعل فان الموقعين يفعلون ذلك بحق الاكثرية ، وقد فعلوا . وكتب نسختان من القرار ليقدم أحدهما ويحفظ الآخر

يوم الثلاثاء ٢٨ رمضان ١٥ يونية

قرر أعضاء المؤتمر اليوم بان تعطل الجلسات من نهار غد لاجل عيد الفطر الى نهاية الاسبوع الذي بعده وتعود يوم السبت ٢٦ حزيران (يونيو) وبعد الجلسة العامة جمعت ديوان الرياسة للنظر في أعماله المتأخرة لعدم اجتماعه من مدة طويلة كنت أدعو الاعضاء فلا تحصل الأكثرية

وعند العصر تقريبا قابلت الملك بداره بمناسبة عزمه على السفر قبل المغرب الى حلب فتكلمنا في مسألة سفره فأخبرني بانه يريد إرسال قوة عسكرية الى حدود سورية الشمالية بمناسبة الهدنة بين الترك والفرنسيس في كليكية وبان في هذا شيئا من الخلاف بينه وبين الوزراء

الوفد الوطني لأوربة والملك فيصل

ثم تكلمنا في مسألة الوفد (الذي يسافر إلى أوربة) فقال بمناسبة وجوب إرسال وفد وطني غير وفد الحكومة (وهو ما اقترحه بعض الاخوان والزعماء) ان هذا مما يجب على الاحزاب والجمعيات ، ولكن كل شيء يطلب منه ولا سيما المال وهو لا يستطيع ذلك وقد ضيق عليه في ميزانية البلاط !! (قال) كل شيء

يطلب من فيصل ،في الامة رجال كثير غير فيصل، ليست عبارة عن رجل واحد

قلت نعم لها رجال كثيرون ولكن ليس لها إلا رأس واحد

قال : صحيح ، أنا أساعد من يذهب من قبل الوطن ولكن ليس علي النفقة كلها » ولم أكن أسمع منه مثل هذه الشكوى بل كان يظهر لي انه يأخذ على عاتقه مساعدة العمل للوحدة العربية وللجامعة الاسلامية أيضاً !!

وأحمد الله انني أبعد الناس عن مساعدته في شيء ما ، حتى إنه عرض عليّ تقديم شيء من فرش الدار ، بل قال ان فرش الدار كله عليه ، فاحتلت في دفع ذلك عني اه

هذا ما كتبته بعد فراقه ووداعه في ذلك اليوم، وأفسره هنا بأنني كنت أشعر منه بانه يريد إكرامي بمساعدة مالية ويرى مني أمارات الاباء اذا عرض بذلك. ولما استقرت قدمي في الشام للعمل في المؤتمر ، قال لي مراراً انه لا يليق بمقامك البقاء في الفندق فيجب أن تأخذ داراً تقيم فيها. عليك الدار وعلينا فرشها. فستأجرت داراً واسعة واستحضرت فرشها التام من طرابلس فلم يدر بذلك إلا والدار مفروشة

يوم الخميس ٣٠ رمضان ١٧ يونيو

كلمني الدكتور عبد الرحمن شهبندر في وزارة الخارجية بشأن الوفد الذي يذهب إلى أوربة وقال انه يجب أن نتفق على تحديد المطالب التي يلتزمها. وبعد بحث وجيز اتفقنا على الاجتماع ليلة السبت في دار جميل بك مردم مستشار الخارجية ويطلب الشيخ كامل قصاب للحضور معنا

وأكد لي الوزير ما كنت سمعته عن الامير زيد من عدم قبوله رياسة هذا الوفد . قلت للوزير لماذا ؟ قال لأنه لا يريد حمل هذه المسؤلية، ووزير الخارجية يريد أخذ تفويض من الزعماء ورؤساء الاحزاب ولا يتكلم باسم الحكومة فقط اه

المنار

١٣١٥

الاشتراك : عن سنة ١٠٠ قرش صحيح ذهبا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

تنبيه : يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشىء المجلة والمستغل ويجب الدفع مقدما

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدى إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل نقضاء السنة

كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤

والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩

الجزء الحادي عشر من تفسير المنار

نبشر أهل القرآن وأنصاره ، ودعاته المستضيئين بأنواره، بصدور هذا الجزء من تفسيره الحكيم، وفيه ما ليس في شيء مما قبله مما يحتاج اليه العالم في الملخص الاجمالي لسوري التوبة المدنية ويونس المكية، وفي مباحث إثبات الوحي ورسالة محمد خاتم النبيين ﷺ واعجاز القرآن اللفظي من نواحي النظم والاسلوب والبلاغة والتأثير ، والمعنوي من مناحي التشريع والعلم الغيبي والكوني والاجتماعي والاصلاح الديني والمدني والسياسي ، وتفنيد شبهات المعطلين والملحدين والمبشرين

(فهرس الجزء الخامس من المجلد ٣٤)

﴿ تفسير القرآن الحكيم ﴾

قصة هود عليه السلام ٣٢١
قصة صالح عليه السلام ٣٢٨
استعمار الله ثمود في الأرض ومنته عليهم ٣٢٩
ناقة صالح وكونها آية وعقرها ٣٣١
الصيحة المهلكة لثمود (الصاعقة) ٣٣٣
(ابراهيم مع الملائكة عليهم السلام) ٣٣٥
بشارة ابراهيم وامرأته باسحاق ويعقوب وتعجب امرأته منها لكبره وكبرها ٣٣٦
رحمة الله وبركاته على اهل البيت ٣٣٨
قصة لوط عليه السلام واهلاك قومه ٣٤٠
عرض لوط بناته على قومه ٣٤٢
حجارة السجيل المسومة ٣٤٥
الخرافات الاسرائيلية في القصة ٣٤٦
قصة شعيب عليه السلام ٣٤٨
المكيال والميزان نقص قوم شعيب لهما ٣٤٩
احتجاج مدين بحرية الدين والتجارة على شركهم وغشهم ٣٥٢

﴿ فتاوى المنار ﴾

(١٤) المطالب بالامر بالمعروف الخ ٣٥٦
(١٥) تعريف الكفر والالحاد ٣٥٧
(١٦) ترجمة القرآن والحديث ٣٥٨
(١٧) كتابة القرآن بالرسم العرفي »
(١٨) حكم من يقول انه يؤمن ولا يعمل إلا بالقرآن ٣٥٩
(١٩) حكم من يعتقد أن القرآن كلام النبي ٣٦٠
(٢٠) من قال انه لم يثبت إلا ١٢ أو ١٤ حديثا ٣٦٠
(٢١) رواية الاحاديث باللفظ والمعنى ٣٦١
(٢٢) حديث من كذب علي متعمدا الخ وحديث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ٣٦١
جناية حديثية وخيانة دينية »

﴿ باب المقالات ﴾

مباحث الربا والأحكام المالية ٣٦٢
حكمة تحريم ربا الفضل ٣٦٣
الحلي لا ربا فيها ولا زكاة ٣٦٨
كتاب الوحي وانتقاد الشيخ اليابس له ٣٧٢
الرد على مجلة المشرق في الطعن عليه ومطاعن النصارى على القرآن وردها ٣٧٦ و ٣٧٧
الرد على من افتى بكتمان بعض القرآن ٣٨٢
دائرة المعارف الاسلامية ومفاسدها ٣٨٦
مئة حديث وحديث ٣٨٨
كتاب الاسلام ٣٩١
« الآيات المحمدية ٣٩٢
العبرة بسيرة الملك فيصل ٣٩٣
الوحدة العربية بيني وبين الملك فيصل ٣٩٦
اضطراب حالة الحكومة السورية وملكها وشعبها ٣٩٩
وجهاء دمشق ورضا بك الصلح ٤٠٠

(المجلدات الثاني والثالث والخامس)

إدارة المنار محتاجة الى مجموعات هذه السنين الثلاث من المجلة فمن وجدت عنده وأحب بيعها فليعرضها على الادارة بالمساومة ومن وجدت عنده من المديونين للادارة فانها تحسبها لهم من الدين الذي عليهم

(الجزء الخامس) ٣٢١ (المجلد الرابع والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

أنشئت ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى «ومناراً» كمنار الطريق

٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٣ برج الميزان سنة ١٣١٣ هش ٧ أكتوبر سنة ١٩٣٤

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

قصة هود عليه السلام

تقدمت قصته في ثماني آيات من سورة الاعراف وهي هنا في إحدى عشرة آية ، ولكل منهما سياق وأسلوب ونظم، وفي كل منهما من العلم والعبرة والموعظة ماليس في الاخرى، وستأتي في سورة الشعراء بأسلوب ونظم وسياق آخر، وكذا في سورتي المؤمنين والاحقاف بدون ذكر اسمه عليه السلام، وذكر عقاب قومه (عاد) في سور فصلت والذاريات والقمر والحاقة والفجر

وقد ذكرت في أول تفسيرها من سورة الاعراف ماورد فيها من الروايات المأثورة ومنها أن هوداً أول من تكلم باللغة العربية فهو أول رسول لأول أمة من ولد سام بن نوح الاب الثاني للبشر ، وبهذا يكون أول رسول من ذرية نوح عربيا، وخاتم النبيين رسولا عربيا صلى الله عليه وسلم

(٥٠) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥١) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥٢) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ

هذه الآيات الثلاث في تبليغ هود عليه السلام قومه دعوة ربه

٥٠ ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ هذا معطوف على قوله (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) أي وأرسلنا الى عاد الاولى أخاهم في النسب والقومية هوداً ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله ﴾ وحده لاتشركوا به شيئاً ﴿ مالكم من إله غيره ﴾ فن الاله الحق للناس ربهم الذي خلقهم ويربيهم بنعمه وهو واحد باعترافكم ﴿ إن أنتم إلا مفترون ﴾ أي ما أنتم في عبادة غيره إلا مفترون كذبا عليه باتخاذ الانداد والاولياء شركاء ، وتسميتهم شفعاء ، تتقربون بهم أو بقبورهم أو بصورهم وتماثيلهم اليه ، وترجون النفع وكشف الضر عنكم بجاههم عنده

٥١ ﴿ ياقوم لا أسألكم عليه أجراً ﴾ تقدم مثله آنفا في قصة نوح ، والمراد إني ناصح مخلص أمين في هذا الذي أدعوكم اليه من عبادة الله وحده لا أسألكم أجراً فتتهموني بطلب المنفعة لنفسي ﴿ إن أجري إلا على الذي فطرني ﴾ أي ماأجري الذي أرجوه على تبليغكم إياه الا على الله الذي خلقني على الفطرة السليمة من هذه البدع الوثنية التي ابتدعها قوم نوح بتصوير الصالحين منهم لحفظ ذكراهم فتعظيم صورهم وتماثيلهم فعبادتها (كما رواه البخاري عن ابن عباس) ﴿ أفلا تعقلون ﴾

ما يقال لكم فتميزوا بين الحق والباطل والنافع والضار ، وان الاخ لا يغش أخوته، ولا يعرض نفسه لغضب قومه بدعوتهم الى ما يضرهم ولا ينفعه

٥٢ ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ تقدم هذا الامر بلفظه في الآية الثالثة من هذه السورة ﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً ﴾ السماء هنا المطر أو السحاب الممطر وهو حقيقة لغوية فيه ، وإرساله إمطاره ، والمدرار الكثير الدرور وأصله كثرة در اللبن يقال درت الشاة تدر دراً ودروراً فهي دار (بغير هاء) أي كثر فيض لبنها . ولعل نكتة التعبير به الاشارة إلى الكثرة النافعة فان بعضه قد يكون ضاراً وقد يكون عذابا ، وكانت بلادهم الاحقاف (جمع حقف وهو الرمل المائل) شديدة الحاجة الى المطر لزرعها وشجرها لان الرمل يسرع اليه الجفاف اذا قل المطر ، وروي عن الضحاك ان الله أمسك عنهم المطر ثلاث سنين فأجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم ، ولا أدري من أين جاءت هذه الرواية ، ولكن يدل على شدة حاجتهم الى المطر أنهم لما رأوا بادرة العذاب الذي أنذروا به استبشروا إذ ظنوا أنه سحاب يمطرهم . قال تعالى في سورة الاحقاف (٤٦ : ٢٤ فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا ، بل هو ما استعجلتم به : ريح فيها عذاب أليم ٢٥ تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين) ﴿ ويزدكم قوة إلى قوتكم ﴾ وهذا الجزاء الثاني مما كانوا يطلبونه ويمنون به ويفخرون على الناس ، إذ كانوا قد بسط لهم في الاجسام وأعطوا القوة فيها كما تراه في قوله تعالى (٤١ : ١٥ فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ١٦ فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) وقوله (٢٦ : ١٣٠ واذا بطشتم بطشتم جبارين) فما بال دول أوربة المستكبرة بقوتها التي يهدد بها بعضها بعضاً تعتبر بهذا ، وأنى وهم أشد

من قوم عاد كنوداً ؟ ﴿ ولا تتولوا مجرمين ﴾ أي ولا تنصرفوا معرضين عما أدعوكم اليه مما يكون سبباً لنعمة المعيشة وسعة الرزق ، وزيادة القوة بالحق

---

(٥٣) قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٤) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٥) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (٥٦) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٧) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ

هذه الآيات الخمس في رد قوم هود للدعوة وحجته عليهم وانذاره لهم

٥٣ ﴿ قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ﴾ أي بحجة ناهضة تدل على ان ماجئت به من الله تعالى ﴿ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ﴾ أي وما نحن بالذين نترك عبادة آلهتنا صادرين عن قولك أو تركا صادراً عن قولك من تلقاء نفسك وأنت بشر مثلنا ﴿ وما نحن لك بمؤمنين ﴾ أي وما نحن بمتبعين لك اتباع ايمان وتصديق برسالتك التي لا بينة لك عليها ، وما قولهم هذا إلا جحود وعناد ، فان حجته عليه السلام موافقة للعقل والفطرة السليمة

٥٤ ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ أي ما نجد من قول نقوله

فيك إلا ان بعض آلهتنا أصابك بجنون أو خبل وهو الهوج والبله لانكارك لها وصدك

إيانا عنها ﴿ قال إني أشهد الله، واشهدوا أني بريء مما تشركون (٥٥) من دونه ﴾ هذا بدء جواب يتضمن عدة مسائل (احداها) البراءة من شركهم أو شركائهم التي افتروها ولا حقيقة لها (الثانية) اشهاد الله على ذلك ثقته بأنه على بينة منه فيه - واشهاده إياهم عليه ايضالا علامهم بعدم مبالاته بهم وبما يزعمون من قدرة

شركائهم على إيذائه (الثالثة) قوله ﴿ فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ﴾ أي فأجمعوا أنتم وشركاؤكم ماتستطيعون من الكيد الايقاع بي ثم لا تمهلوني ولا تأخروا الفتك بي ان استطعتم ، أي إنه لا يخافهم ولا يخاف آلهتهم . وتقدم مثل هذا في تلقين نبينا ﷺ بقوله تعالى بعد تقرير عجز آلهة المشركين وهو (٧ : ١٩٥ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) ومثله حكاية عن نوح في سورة يونس (١١ : ٧١ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون) وقد قدم نوح على هذا الامر توكله على الله تعالى ، وأخره هود بقوله وهو المسألة (الرابعة)

٥٦ ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ﴾ هذا احتجاج على مادل عليه ماقبله من عدم الخوف منهم ومن آلهتهم ، يقول إني وكلت أمر حفظي وخذلانكم إلى الله معتمداً عليه وحده إذ هو ربي وربكم أي مالك أمري وأموركم المتصرف فيها

وفي غيرها بدليل قوله ﴿ مامن دابة ﴾ تدب على هذه الارض ﴿ إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ أي مسخرها ومتصرف فيها ، والتعبير بالاخذ بالناصية وهو مقدم شعر الرأس تمثيل لتصرف القهر ، والخضوع الذي لامهرب منه ولا مفر ، وتقدمت الجملة في أول الآية السادسة من هذه السورة . ويؤيده من سورة العلق (لئن لم ينته لنسفعن بالناصية) أي لنأخذن بها أخذ القاهر المؤدب قال في الاساس : وسفع بناصية الفرس ليلجمه

أو يركبه ، وسفع بناصية الرجل ليلطمه ويؤدبه اهـ ﴿ إن ربي على صراط مستقيم ﴾ أي على طريق الحق والعدل لايسلط أهل الباطل من أعدائه على أهل الحق من رسله ومتبعيهم من أوليائه ، ولا يضيع حقا ولا يفوته ظالم

٥٧ ﴿ فان تولوا ﴾ أي فان تتولوا مجرمين ولم تنتهوا بنهيي لكم عن التولي ولم تطيعوا أمري لكم بعبادة الله وحده وترك الاشراك به ﴿ فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم ﴾ أي فقد أبلغتكم رسالة ربي التي أرسلني بها اليكم وليس علي غير البلاغ ولزمتكم الحجة ، وحقت عليكم كلمة العذاب ﴿ ويستخلف ربي قوما غيركم ﴾ اذا هو أهلككم باصراركم على كفركم واجرامكم ﴿ ولا تضرونه شيئا ﴾ مامن الضرر بتوليكم عن الايمان ، فانه غني عنكم وعن إيمانكم (٧:٣٩ إن تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم) ويستلزم هذا انكم لاتضرون رسوله ولعله هو المراد ، ويؤيده قوله ﴿ إن ربي على كل شيء حفيظ ﴾ أي قائم ورقيب عليه بالحفظ والبقاء ، على مااقتضته سنته وتعلقت به مشيئته، ومنه أنه ينصر رسله ويخذل أعداءه وأعداءهم إذا أصروا على الكفر بعد قيام الحجة عليهم

(٥٨) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٩) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٦٠) وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ

هذه الآيات الثلاث في إنجاء هود ومن آمن معه والجزاء والعقوبة لقومه المعاندين

٥٧ ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ عذابنا أو وقته ﴿ نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ أي برحمة من لدنا خاصة بهم مخالفة للعادة في أسباب النجاة من العذاب العارض الذي يصيب بعض الناس دون بعض وهي التي أشير اليها في

قول نوح لولده (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) ﴿ ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾ أعاد فعل التنجية للفصل بين (منا) التي هي صفة الرحمة وبين (من) الداخلة على العذاب . أي وانما نجيناهم من عذاب غليظ شديد الغلظة فظيع شديد الفظاعة غير معهود في العالم ، وهو ماعبر عنه بالريح العقيم ، التي لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وبقوله (٥٤ : ١٩ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصراً في يوم نحس مستمر ٢٠ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) وقوله في وصف هذه الريح العاتية (٦٩ : ٧ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ٨ فهل ترى لهم من باقية)

٥٩ ﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم ﴾ أي كفروا بجنس الآيات التي يؤيد بها رسله بجحود ماجاءهم به رسولهم منها ، أنث الاشارة اليهم على إرادة القبيلة وقيل إشارة الى آثارهم ، والجحود بالآيات تكذيب الدلائل الواضحة عناداً في الظاهر دون الباطن ، كما قال في قوم فرعون (٢٧ : ١٤ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) ﴿ وعصوا رسله ﴾ أي عصوا جنسهم بعصيان رسوله اليهم وانكار رسالته فان عصيان الواحد عصيان للجنس كله ، إذ هو مبني على رفض الرسالة نفسها ، بادعاء ان الرسول لا يكون بشراً ﴿ واتبعوا أمر كل جبار عنيد ﴾ أي واتبع سوادهم ودهماؤهم كل جبار عنيد من رؤسائهم الطغاة العتاة المستبدين فيهم بالقهر ، فالجبار القاهر الذي يجبر غيره على اتباعه بالقهر والاذلال ، أو من يجبر نقص نفسه بالكبر ودعوى العظمة ، والعنيد الطاغي الذي يأبى الحق ولا يذعن له ، وان ظهر له وقام عليه الدليل عنده ، فهل يعتبر بهذه بقايا الملوك الجبارين في الارض قبل انقراضهم ؟

٦٠ ﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ﴾ إتباع الشيء الشيء لحوقه به وادراكه إياه بحيث لا يفوته ، أي لحقت بهم لعنة في هذه الدنيا فكان كل من علم بحالهم من بعدهم ومن أدرك آثارهم ، وكل من بلغه الرسل من بعدهم خبرهم يلعنونهم ﴿ ويوم القيامة ﴾ وتتبعهم يوم القيامة عند مايلعن الاشهاد الظالمين أمثالهم كما تقدم في الآية الثامنة

عشرة من هذه السورة . قال قتادة : تتابعت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة ﴿ ألا ان عاداً كفروا ربهم ﴾ هذه شهادة مؤكدة عليهم بالكفر أي كفروا نعمه عليهم بجحودهم بآياته وتكذيبهم لرسله كبراً وعناداً ، يقال كفره وكفر به ، وشكره وشكر له ، ومعنى مادة الكفر في الاصل التغطية ﴿ ألا بعداً لعاد قوم هود ﴾ دعاء عليهم بالهلاك والبعد من الرحمة والخير ، كرر ألا المنبهة لما بعدها تعظيما لأمره ، وكرر اسمهم ليفيد السامع بالتكرير تقرير استحقاقهم للعنة والابعاد ، لأنهم ليس لهم أدنى شبهة عذر لرد الدعوة ، المعقبة للحرمان مما كانوا فيه من خير ونعمة ، والانتهاء الى ضده من شقاء ونقمة

قصة صالح عليه السلام

هو النبي الرسول الثاني من العرب وتقدم ذكر قصته في سبع آيات من سورة الاعراف ذكرت في أول تفسيرها مساكن قبيلته ثمود وهي الحجر بين الحجاز والشام وهاهي ذي قد ذكرت هنا في ثماني آيات تضاهي تلك السبع ، وستجيء في ١٩ آية من سورة الشعراء أقصر من آيات هاتين السورتين ثم في ثمان من سورة النمل تناهز آيات الاعراف ، ثم في عشر من سورة القمر قصار ، وذكرت قبلهن في خمس من سورة الحجر ، وبعدهن في خمس من سورة الشمس ، وثلاث من سورة الذاريات ، وثنتين من سورة النجم ، ولكل منها من الموعظة والعبرة في موضعها مايليق به ، ولايغني عنه غيره

---

(٦١) وإلى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٦٢) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا

مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦٣) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ

هذه الآيات الثلاث في تبليغ دعوة صالح لقومه وردهم لها واحتجاجه عليهم

٦١ ـ ﴿ والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ هذا نص ماتقدم في تبليغ هود عليهما السلام، ثم قال ﴿ هو أنشأكم من الارض ﴾ أي هو بدأ خلقكم من الارض بخلق أبيكم آدم منها مباشرة ثم بخلق كل منكم من سلالة من طين الارض، فان النطفة التي تتحول في الرحم الى علقة فمضغة فهيكل عظمي يحيط به لحم هي من الدم، والدم من الغذاء، والغذاء الغالب إما نبات من الارض، وإما لحم يرجع الى النبات في طور واحد أو أكثر ﴿ واستعمركم فيها ﴾ أي وجعلكم عماراً فيها من العمران فقد كانوا زراعا وصناعا وبنائين (١٥ : ٨٢ وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) وقيل من العمر أي أطال أعماركم فيها والصحيح الاول، واستعمل الاستعمار في عصرنا بمعنى استيلاء الدول القوية على بلاد المستضعفين واستثمارها واستعباد أهلها لمصالحهم، والمراد أنه هو المنشيء لخلقكم والممدكم بأسباب العمران والحياة فيها فلا يصح أن تعبدوا غيره فيها، لأنه هو صاحب الفضل كله، والمستحق للعبادة دون غيره ﴿ فاستغفروه ثم توبوا اليه ﴾ أي فاسألوه ان يغفر لكم ما أشركتم وما أجرمتم ثم توبوا وارجعوا اليه كلما وقع منكم ذنب أو خطأ، وتقدم مثله في دعوة هود قريبا وفي دعوة محمد ﷺ في أول السورة ﴿ إن ربي قريب مجيب ﴾ من عباده لايخفى عليه شيء من استغفارهم

والباعث عليه من أحوالهم ، مجيب لدعاء من دعاه مؤمنا مخلصا له الدين كما قال في سورة البقرة(٢ : ١٨٦ واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) فيراجع تفسيرها المفصل هنالك

٦٢ ﴿ قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا ﴾ أي قد كنت موضع رجائنا لمهمات أمورنا لما لك من المكانة في بيتك وفي صفاتك الشخصية من العقل والرأي قبل هذا الذي تدعونا اليه من تبديل ديننا بما تزعم من بطلانه فانقطع رجاؤنا منك ﴿ أتنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا ؟ ﴾ الاستفهام للانكار والتعجب أي أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا من قبلنا واستمر فينا لا ينكره ولا يستقبحه أحد ؟ فلا آباء يشمل الغابرين والحاضرين ، ولو قالوا ماعبد آباؤنا لما أفاد هذا ، فلا حاجة إلى القول بأن التعبير بالمضارع حكاية مصورة للحال الماضية في صورة الحاضرة ﴿ وإننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ﴾ أي وإننا لواقعون في شك مما تدعونا اليه من عبادة الله وحده لانتوسل اليه بأحد من أوليائه وأحبائه الشفعاء عنده المقربين اليه ولا بتعظيم ماوضعه آباؤنا لهم من الصور والتماثيل المذكرة بهم ، لا ندري مرادك وغرضك منه ، فانه موجب للريب وسوء الظن . قال في المصباح المنير : الريب الظن والشك ، ورابني الشيء يريبني اذا جعلك شاكا ، قال أبو زيد رابني من فلان أمر يريبني ريبا : اذا استيقنت منه الريبة ، فاذا أسأت به الظن ولم تستيقن منه الريبة ، قلت أرابني منه أمر هو فيه إرابة ، وأرابني فلان إرابة فهو مريب : اذا بلغك عنه شيء أو توهمته اه

٦٣ ﴿ قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة ﴾ تقدم مثل هذا حكاية عن نوح في الآية ٢٨ إلا أنه قال « رحمة من عنده » أي أخبروني عن حالي معكم إن كنت على حجة واضحة قطعية من ربي فيما أدعوكم اليه ووهبني رحمة خاصة منه جعلني بها نبيا مرسلا اليكم ﴿ فمن ينصرني من الله إن عصيته ؟ ﴾ بكتمان الرسالة أو مايسوءكم من بطلان عبادة أصنامكم وأوثانكم تقليدا لآبائكم

أي لا أحد ينصرني من الله ويدفع عني عقابه في هذه الحالة، وإذن لا أبالي بفقد رجائكم في ، ولا بما أنتم فيه من شك وارتياب في أمري ﴿ فما تزيدونني غير تخسير ﴾ أي ماتزيدونني بالحرص على رجائكم ، واتقاء سوء ظنكم وارتيابكم ، غير إيقاع في الخسران بايثار ماعندكم على ماعند الله ، واشتراء رضاكم بسخط الله تعالى ، أو غير إيقاع في الهلاك . قال في مجاز الاساس: وخسّره سوء عمله أهلكه وفي المصباح المنير : وخسرت فلانا بالتثقيل أبعدته ، وخسرته نسبته إلى الخسران مثل كذبته بالتثقيل اذا نسبته إلى الكذب ، ومثله فسقته وفجرته اذا نسبته إلى هذه الافعال ، وقال الفراء في الجملة : فما تزيدونني غير تضليل وابعاد من الخير وقال مجاهد وعطاء الخراساني ما تزدادون أنتم إلا خساراً اهـ ولعل مرادهما ماتزيدونني بقولكم إلا علما بخساركم باستبدال الشرك بالتوحيد

---

(٦٤) وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٥) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٦) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٧) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٨) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ

هذه الآيات الخمس في بينة الله لصالح عليه السلام وهي آيته على رسالته ، وانذارهم الهلاك وعذاب الاستئصال اذا هم مسوها بسوء ، ووقوع ذلك بالفعل

٦٤ ﴿ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ﴾ أي الناقة التي شرفها الله باضافتها الى اسمه يجعلها ممتازة دون الابل بما تروض من أمرها وأكلها وشربها، أشير اليها حال كونها لكم آية منه بينة دالة على هلاككم إن خالفتم أمره فيها ﴿ فذروها تأكل في أرض الله ﴾ مما فيها من المراعي لا يعرض لها أحد بمنع ﴿ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ﴾ أي لا يمسها أحد منكم بأذى فيأخذكم كلكم عذاب عاجل لا يتأخر عن مسكم إياها بعقر أو غيره، وقد تقدم هذا الانذار بنصه في قصته من سورة الاعراف إلا انه قال هناك (عذاب أليم) وكل من الوصفين حق وقد تكلمت هنالك عن هذه الناقة ومعنى اضافتها إلى الله تعالى، وما جاء فيها من السور الاخرى ومنه قسمة الماء بينها وبينهم (فيراجع في ص ٥٠٣ و ٥٠٦ من ج ٨)

٦٥ ﴿ فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴾ يقولون عقر الناقة (من باب ضرب) بالسيف إذا ضرب قوائمها به أو نحرها، أي فقتلوا الناقة عقب ذلك الانذار غير مصدقين له ولا مبالين بالوعيد، فضرب لهم صالح ثلاثة أيام موعداً يتمتعون بها في وطنهم كما كانوا في معايشهم ﴿ ذلك وعد غير مكذوب ﴾ أي وعد من الله غير مكذوب فيه، وكذب يتعدى بنفسه فيقال كذب فلانا حديثا وكذبه الحديث أي كذب عليه فيه، والوعد خبر موقوت كأن الواعد قال للموعود انني أفي به في وقته، فان وفى فقد صدقه ولم يكذبه، ويجوز أن يكون [مكذوب] مصدراً وله نظائر كالمفتون والمجلود ومنه (بأيكم المفتون)

٦٦ ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ﴾ أي فلما جاء أمرنا بانجاز وعدنا بعذابهم نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة خاصة منا، ونجيناهم من خزي ذلك اليوم أي ذله ونكاله باستئصال القوم من الوجود، وما يتبعه من سوء الذكر ولعنة الابعاد من رحمة الله تعالى، وأصل التعبير نجيناهم برحمة منا من خزي يومئذ ففصل بين «من» التي هي صفة الرحمة، ومن الموصلة للعذاب كما تقدم في قصة هود بدون اعادة فعل التنجية الذي صرح به هناك، وقدر هنا استغناء عن ذكره بقرب مثله

فهذه الآية كالآية ٥٧ في قصة هود ومعناهما واحد ، إلا ان هذه جاءت بالفاء (فلما) وتلك بالواو وهو الاصل في مثل هذا العطف ، وانما كانت الفاء هي المناسبة لما هنا لان ماقبلها جاء بالفاءات المتعاقبة الواقعة في مواقعها من أمر الانذار فالوعيد على المخالفة فالمخالفة فتحديد موعد العذاب بثلاثة أيام فالاخبار بانجازه ووقوعه — فما كان المناسب في هذا إلا أن يكون بالفاء تعقيباً على ماقبله كما قال في آخر سورة الشمس (فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها * فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) وانما بينت هذا من نكت البلاغة لأني لم أره في التفاسير التي تعنى بهذا

فليتأمل القاريء هذه الدقة الغريبة في اختلاف التعبير عن المعنى الواحد في الموضوع الواحد والفروق الدقيقة في العطف ، فانها لاتوجد في كلام أحد من بلغاء البشر البتة ، وليعذر الذين يفهمونها اذا جعلوا بلاغة القرآن هي التي أعجزت العرب والانس والجن عن الاتيان بسورة مثله وان كان اعجازه العلمي من وجوهه الكثيرة أعلى ﴿ إن ربك هو القوي العزيز ﴾ ان ربك أيها الرسول الذي فعل هذا قادر على فعل مثله بقومك اذا أصروا على الجحود ، فانه هو القوي المقتدر الذي لايعجزه انجاز وعده ، العزيز الغالب على أمره

قرأ الجمهور (يومئذ) بجر يوم بالاضافة ، وقرأه نافع والكسائي بالفتح وهما لغتان ، ومثله في سورة المعارج (لو يفتدي من عذاب يومئذ)

٦٧ ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة ﴾ الاخذ في أصل اللغة التناول باليد واستعمل في المعاني كأخذ الميثاق والعهد وفي الاهلاك ، والصيحة المرة من الصوت الشديد والمراد بها هنا صيحة الصاعقة التي نزلت بقوم صالح فأحدثت رجفة في القلوب وزلزلة في الارض ، وصعق بها جميع القوم ﴿ فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ أي ساقطين على وجوههم مصعوقين لم ينج منهم أحد ، شبهوا بالطير في لصوقها بالارض يقال جثم الطائر والارنب (من باب ضرب) جثوما وهو كالبروك من البعير . وتقدم في سورة الاعراف (٧ : ٧٧ فأخذتهم الرجفة) الخ وقد فصلنا في تفسيرها ماورد من اختلاف التعبير فيها وفي هذه ومثلها آية سورة القمر وفي سورة فصلت

حيث قال (فأخذتهم الصاعقة) وبينا معنى الصاعقة الذي عرف سنن الله تعالى في نوعي الكهربائية الايجابي والسلبي فيراجع (٥٠٧ و٥٠٨ ج ٨ تفسير) ومنه يعلم غلط من قال ان الصيحة صوت جبريل عليه السلام

٦٨ ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ هو من غني بالمكان (كرضي) إذا أقام فيه، أي كأنهم في سرعة زوالهم ، وعدم بقاء أحد منهم في ديارهم ، لم يقيموا فيها البتة ﴿ ألا إن ثمود كفروا ربهم ، ألا بعداً لثمود ﴾ تقدم مثله آنفا في قوم هود ، وفي ثمود قراءتان سبعيتان مشهورتان تنوينه لأنه مصروف بمعنى الحي أو القوم ، ومنعه من الصرف بمعنى القبيلة ، وهذه قراءة أكثر الناس في زماننا ،

ابراهيم (ص) مع الملائكة عليهم السلام

ذكر ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله في ٢٤ سورة من القرآن منها ماهو في قصته مع أبيه وقومه في وطنه مجملا ومفصلا على ماعلمناه من سنة القرآن، ومنها ماهو في بيان امامته وكون ملته أساس دين الله تعالى على ألسنة رسله من عهده إلى خاتمهم (عليهم الصلاة والسلام) ومنها ماهو في بشارته بولديه اسماعيل فاسحاق عليهما السلام وما وعده الله له ولهما ولذريتهما ، وما هو خاص باسحاق وقومه العرب من بناء البيت الحرام واسكانه هنالك ، ومنها ماهو في بشارة الملائكة إياه باسحاق وإخباره باهلاك قوم لوط ، ومنه هذه الآيات

---

(٦٩) وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَٰمًا ، قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٧٠) فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ

قَوْمِ لُوطٍ (٧١) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧٢) قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٣) قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ

هذه الآيات الخمس خاصة ببشارة الملائكة لابراهيم وامرأته باسحق ويعقوب

٦٩ ﴿ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى (٢٥ ولقد أرسلنا نوحا) أو على ما عطف عليه من أول السورة لا على ما قبله مباشرة من قصة صالح التي عطفت على قصة هود لتماثلهما ، فان هذا سياق آخر ، والمراد بالرسل جماعة من الملائكة اختلفت الرواية فيهم فعن عطاء أنهم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام ، وعن محمد بن كعب القرظي انهم جبريل وسبعة أملاك معه ، وقيل غير ذلك وهو مما لا يعلم إلا بتوقيف من الوحي ولا توقيف فيه .

والمراد بالبشرى ما يأتي ﴿ قالوا سلاما ﴾ أي نسلم عليك سلاما ، أو ذكروا هذا اللفظ ﴿ قال سلام ﴾ أي أمركم سلام ، أو عليكم سلام ، قال المفسرون ان الرفع أبلغ من النصب فقد حياهم بأحسن من تحيتهم ، أي على عادته ودأبه في إكرام الضيف وظن أنهم أضياف ﴿ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ﴾ أي ما مكث وما أبطأ عن مجيئه إياهم بعجل سمين حنيذ أي مشوي بالرضف وهي الحجارة المحمية — والمشوي عليها يكون أنظف من المشوي على النار وألذ طعما ، وقد اهتدى البشر إلى شي اللحم من صيد وغيره على الحجارة المحمية بحر الشمس قبل اهتدائهم لطبخه بالنار وفي سورة الذاريات بعد السلام (٢٦:٥١ فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين ٢٧ فقربه اليهم قال ألا تأكلون) وهو نص في المبادرة إلى الاتيان به بدون

ريث كأنه كان مشوياً معداً لمن يجيء من الضيف أو شوي عند وصولهم من غير تريث

٧٠ ﴿ فلما رأى أيديهم لا تصل اليه ﴾ أي لا تمتد اليه للتناول منه كما يمد الآكل يده إلى الطعام ﴿ نكرهم وأوجس منهم خيفة ﴾ نكر الشيء (كعلم وتعب) وأنكره ضد عرفه ، أي أنكر ذلك منهم ووجده على غير مايعهد من الضيف فان الضيف لا يمتنع من طعام المضيف إلا لريبة أو قصد سيء ، وأحس في نفسه خيفة منهم وفزعا ، أو أدرك ذلك وأضمره إذ شعر أنهم ليسوا بشراً أو أنهم ربما كانوا من ملائكة العذاب ، ، والوجس رعب القلب وهو ما يعتري النفس من الشعور والخواطر عند الفزع ﴿ قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴾ أي قالوا وقد علموا مايساور نفسه من الوجس لا تخف فنحن لا نريد بك سوءاً وانما أرسلنا إلى قوم لوط ، ولوط ابن أخيه وأول من آمن به وكان مكانه من مهاجره قريبا من مكانه وفي سورة الحجر أنه صارحهم بخوفه ووجله منهم ، فطمأنوه بأنهم مبشرون له بغلام عليم ، وكذا في سورة الذاريات ، وفيها أنه بعد البشارة له سألهم عن خطبهم وما جاءوا لأجله .

٧١ ﴿ وامرأته قائمة فضحكت ﴾ وكانت امرأة ابراهيم في تلك الحال قائمة أي واقفة — ولعل قيامها كان للخدمة — فضحكت قيل تعجباً مما رأت وسمعت ، وقيل سروراً بالامن من الخوف او بقرب عذاب قوم لوط لكراهتها لسيرتهم الخبيثة ، وقيل تعجباً من البشارة بالولد وهذا يكون أولى إن كانت البشارة قبل الضحك ، والظاهر انها بعده لعطفها عليه بالفاء وهو ﴿ فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ﴾ وزعم الفراء أن فيه تقديما وتأخيراً ، ولا مقتضي ولا مسوغ له ، لان لضحكها أسبابا ذكرنا بعضها وزاد غيرنا عليها ، على ان بشارتها كانت بالتبع لبشارة بعلها وهو المقصود بالذات وصرح به في سور الحجر والصافات والذاريات خاصا به ، أي بشرناها بالتبع لتبشيره باسحاق ، ومن بعد اسحاق يعقوب يعني انه سيكون لاسحاق ولد أيضاً . قرأ ابن عامر وحمزة وحفص (يعقوب)

منصوبا بفعل مقدر تفسره قرينة الكلام كوهبناها من وراء اسحاق يعقوب ، كما قال (٦: ٨٤ ووهبنا له إسحاق ويعقوب) وقرأه الباقون مرفوعا بالابتداء والتقدير :ويعقوب من وراء اسحاق . وروي عن ابن عباس ان الوراء ولد الولد

٧٢ ﴿قالت ياويلتا﴾ أصلها ياويلي (كما يقال ياعجبا بدل ياعجبي) وهي كلمة تقال عند ما يفجأ الانسان أمر مهم من بلية أو فجيعة أو فضيحة تعجبا منه أو استنكارا له أو شكوى منه ، وأكثر مايجري على ألسنة النساء قديما وحديثا . ونساء مصر يقلن « ياداهوتي »

﴿ألد وأنا عجوز﴾ عقيم لايلد مثلها ﴿وهذا بعلي﴾ وأشارت اليه - كما ترون ﴿شيخا﴾ كبيرا لايولد لمثله ﴿إن هذا﴾ الذي بشرتمونا به ﴿لشيء عجيب﴾ وفي سفر التكوين ان ابراهيم كان عمره يومئذ مائة سنة ، وان زوجه سارة هذه كانت ابنة تسعين سنة ومثلها لايلد بل الغالب أن ينقطع حيض المرأة في سن الخمسين فيبطل استعدادها للحمل والولادة ، على انها كانت عقيما منذ شبابها . فأما الرجال فلا يزال يوجد في المعمرين منهم من يولد له في سن المائة وما بعدها ولكنه نادر . وقد حدثتنا صحف الاخبار عن رجل تركي منهم اسمه (زارو أغا) مات في هذا العام (١٣٥٣) عن مائة وخمسة وثلاثين عاما . ثم عن رجل عربي في العراق قريب من عمره لايزال حيا وقد ولد لكل منهما بعد المئة . ثم عن رجل عربي سوري من مجدل زون التابع لقضاء صور اسمه السيد حسين هاشم عمره ١٢٥ سنة بشهادة المحكمة الشرعية ومختار بلدته ، وهو لايزال منتصب القامة جيد الصحة قوي الذاكرة وقد تزوج أولا وهو في سن العشرين وثانيا وهو في العشرين بعد المائة رزق من الاولى ١٤ ولدا منهم ١٢ ذكرا ومن الثانية ولدا واحدا ، ويعيش عيشة فطرية إسلامية

والظاهر أن سارة علمت من حال بعلها أنه بعد ولادة هاجر لابنه اسماعيل بزمن قريب أو بعيد فقد الاستعداد لاتيان النساء أو كانت تعتقد كما يعتقد أن مثله في تلك السن لايولد له فقد قال هو للملائكة (١٥ : ٥٤ أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون) ويكفي في خرق العادة أن يكون من قبلها هي

٧٣﴿ قالوا أتعجبين من أمر الله ؟ ﴾ هذا استفهام إنكار لاستفهامها التعجبي أي لا ينبغي لك أن تعجبي من شيء هو من أمر الله الذي لا يعجزه شيء (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وإنما يصح العجب من وقوع ما يخالف سننه تعالى في خلقه إذا لم يكن واضع السنن ونظام الاسباب هو الذي أراد أن يستثني منها واقعة يجعلها من آياته لحكمة من حكمه في عباده ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ هذه جملة دعائية استجيبت فمعناه الذي فسره الزمان الى الآن : رحمة الله الخاصة وبركاته الكثيرة الواسعة عليكم يا معشر أهل بيت النبوة والرسالة ، تتصل وتتسلسل في نسلكم وذريتكم إلى يوم القيامة ، فلا محل للعجب ان يكون من آياته تعالى أن يهب رسوله وخليله الولد منكما في كبركما وشيخوختكما، فما هي بأول آياته له وقد نجاه من نار قومه الظالمين ، وآواه الى الارض التي بارك فيها للعالمين. وهذه الرحمة والبركات والسلام عليهم ، إرث أو تجديد لما هبط به نوح من السلام والبركات عليه وعلى أمم ممن معه كما تقدم في الآية (٤٨) ﴿ انه حميد مجيد ﴾ انه جل جلاله مستوجب لانواع الثناء والحمد، حقيق بأسنى غايات المجد ، وبتأثيلهما لاهل البيت. والجملة تعليل لما قبلها . وأصل المجد في اللغة أن تقع إبل في أرض واسعة المرعى، يقال: مجدت تمجد (من باب نصر) مجداً ومجادة ، وأمجدها الراعي ، والمجد في البيوت والانساب ما يعده الرجل من سعة كرم آبائه وكثرة نوالهم . ووصف الله كتابه بالمجيد كما وصف نفسه به لسعة هداية كتابه، وسعة كرمه وفضله على عباده، ومن هذه الآية أخذ النبي ﷺ الصلاة التي أمر بها امته عقب التشهد الاخير من الصلاة

---

(٧٤) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٥) إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ (٧٦) يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ

٧٤ ﴿ فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط ﴾ أي فلما سرِّي عن ابراهيم وانكشف ماراعه من الخيفة والرعب إذ علم أن هؤلاء الرسل من ملائكة العذاب ، وجاءته البشرى بالولد واتصال النسل ، أخذ يجادل رسلنا فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط ، جعل مجادلتهم ومراجعتهم مجادلة له تعالى لأنها مجادلة في تنفيذ أمره ، وإنما قال (يجادلنا) دون (جادلنا) - والاصل في جواب «لما» أن يكون فعلا ماضياً — لتصوير تلك الحال كأنها حاضرة ، أو لتقدير ماض قبله كالذي قلنا ، والمراد بالمجادلة ما ذكر في سورة العنكبوت (٢٩ : ٣١ فلما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين ٣٢ قال إن فيها لوطاً ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين)

٧٥ ﴿ ان ابراهيم لحليم أواه منيب ﴾ هذا تعليل لمجادلة ابراهيم في عذاب قوم لوط وهو انه كان حليما لا يحب المعاجلة بالعقاب ، كثير التأوه مما يسوء ويؤلم ، منيب يرجع الى الله في كل أمر ، وقد تقدم وصفه بالأواه الحليم في الآية ٩ : ١١٤

وهذه المجادلة المشار اليها هنا وفي سورة العنكبوت مفصلة في الفصل الثامن عشر من سفر التكوين من أوله إلى آخره ، وجعلت فيه مجادلة للرب سبحانه لا لرسله ، ففي أوله ان الرب ظهر لابراهيم وهو جالس في باب الخيمة فظهر له ثلاثة رجال ، وذكر خبر ضيافته لهم بالعجل وخبز الملة وأنهم أكلوا وبشروه بالولد ، وان امرأته سارة سمعت فضحكت وتعجبت ، وعللت تعجبها بكبرها وانقطاع عادة النساء عنها (١٣ فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة هل يستحيل على الرب شيء ؟ الخ

ثم قال (٢٢ وانصرف الرجال (يعني الملائكة) من هناك وذهبوا نحو سدوم (أي قرية قوم لوط) وأما ابراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب ٢٣ فتقدم ابراهيم وقال : أفتهلك البار مع الاثيم ٢٤ عسى ان يكون هناك خمسون باراً في المدينة ، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه ؟ ... ٢٦ فقال الرب إن وجدت في سدوم خمسين باراً فاني أصفح عن المكان كله من أجلهم) ثم كلمه

ابراهيم مثل هذا في خمسة وأربعين ثم في أربعين ثم في ثلاثين ثم في عشرين ثم في عشرة ، والرب يعده في كل عدة من هذه الاعداد بأنه من أجلهم لايهلك القوم (ثم قال) ٣٣ وذهب الرب عند ما فرغ من الكلام مع ابراهيم إلى مكانه » اه المراد منه باختصار

فتأمل الفرق بين عبارات القرآن الوجيزة المفيدة المنزهة للرب تعالى عن مشابهة الخلق وعبارات مايسمونه التوراة في تشبيه الله بعباده وتطويلها غير المفيد،

٧٦ ﴿ يا ابراهيم أعرض عن هذا ﴾ بيان مستأنف لما أجابته به الملائكة عن الله تعالى، اي أعرض عن الجدال في أمر قوم لوط والاسترحام لهم ﴿ إنه قد جاء أمر ربك ﴾ اي ان الحال والشأن فيهم قد قضي بمجيء أمر ربك الذي قدره لهم ﴿ وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ﴾ بجدال ولا شفاعة فهو واقع ماله من دافع،

فهل يعتبر بهذا من يتخذون لله أنداداً من أوليائه أو أوليائهم يزعمون أنهم يتصرفون في الكون كما يشاءون، أو ان قوله تعالى في أهل الجنة: (لهم مايشاءون عند ربهم) هو لهم في الدنيا فلا يرد لهم طلبا ولا شفاعة ولا يريد ما لا يريدونه!! وهم يدعون أنهم مسلمون مؤمنون بأن أفضل الخلق بعد محمد جده ابراهيم الخليل عليهما وآلهما الصلاة والسلام ؟

قصة لوط عليه السلام واهلاك قومه

في سفر التكوين ان لوطا عليه السلام ابن هارون أخي ابراهيم عليهما السلام وانه هاجر معه من مسقط رأسهما (أور الكلدانيين) في العراق إلى أرض الكنعانيين وسكن ابراهيم في أرض كنعان ، ولوط في مدن دائرة الاردن، وقاعدتها سدوم ويليها عمورة فصوغر ، وانما افترقا اتقاء اختلاف رعيانهما وإبقاءهما في الخصومة التي لاينبغي أن تكون بين الاخوين (أي العم وابن أخيه) وكان لوط عليه السلام في سدوم ويظن الكثيرون من الباحثين ان بحيرة لوط قد غمرت موضعها بعد الخسف فلا يعلم موضعه بالضبط . وقيل انه عثر على آثارها في هذا العهد

(٧٧) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٨) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ، قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ، أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٩) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٨٠) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ

هذه الآيات الاربع في اهراع قوم لوط اليه للاعتداء على ضيفه وسوء حاله معهم

٧٧ ﴿ ولما جاءت رسلنا لوطا ﴾ بعد ذهابهم من عند ابراهيم ﴿ سيء بهم وضاق بهم ذرعا ﴾ أي وقع فيما ساءه وغمه بمجيئهم وضاق بهم ذرعه اي عجز عن احتمال ضيافتهم ، فذرع الانسان منتهى طاقته التي يحملها بمشقة . ذلك لما يتوقعه من اعتداء قومه عليهم كعادتهم ، وروي انهم جاءوه بشكل غلمان حسان الوجوه

﴿ وقال هذا يوم عصيب ﴾ شديد الاذى ، مرهوب الشذى ، مشتق من العصب بفتح فسكون أى الشد فهو بمعنى معصوب ويجوز ان يكون بمعنى عاصب ، والعصب بالتحريك أطناب المفاصل ، ومنه العصابة التي يشد بها الرأس

٧٨ ﴿ وجاءه قومه يهرعون اليه ﴾ أي جاءوه يهرولون متهيجة أعصابهم كأن سائقا يسوقهم ، قال في المصباح المنير : هرع وأهرع بالبناء فيهما المفعول اذا أعجل على الاسراع ، أي حمل على العجل به اهـ وقال الكسائي والفراء وغيرهما لا يكون الاهراع إلا اسراعا مع رعدة من برد أو غضب أو حمى اهـ وينبغي ان يزاد عليه أو شهوة شديدة ، وقال مجاهد هو مشي بين الهرولة والعدو ﴿ ومن قبل كانوا يعملون السيئات ﴾ ومن قبل هذا المجيء كانوا يعملون السيئات الكثيرة وشرها أفظع الفاحشة

وأنكرها في الفطرة البشرية والشرائع الالهية والوضعية، وهي اتيان الرجال شهوة من دون النساء، ومجاهرتهم بها في أنديتهم كأنها من الفضائل يتسابقون اليها ويتباهون فيها، كما حكى الله عنه من قوله بعد رميهم بالفاحشة (٢٩: ٢٩ أإنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) فماذا فعل لوط وهم واجههم وعارضهم؟ ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ فتزوجوهن، قيل أراد بناته من صلبه، وانه سمح بتزويجهم بهن بعد امتناع لصرفهم عن اضيافه، وقيل أراد بنات قومه في جملتهن لان النبي في قومه كالوالد في عشيرته، قاله ابن عباس (رض) ومجاهد وسعيد بن جبير، ويدخل فيه نساؤهم المدخول بهن وغيرهن من المعدات للزواج، يعني ان الاستمتاع بهن بالزواج أطهر من التلوث برجس اللواط، فانه يكبح جماح الشهوة مع الامن من الفساد، وصيغة التفضيل هنا للمبالغة في الطهر فلا مفهوم لها، وهذا كثير في اللغة. ويقول النحويون فيه: ان أفعل التفضيل على غير بابه، والظاهر انه يأمرهم في هذه الحال التي هاجت فيه شهوتهم واشتد شبقهم، ان يأتوا نساءهم كما ورد في الارشاد النبوي لمن رأى امرأة أعجبته ان يأتي امرأته في تلك الحالة التي هاجته فيها رؤيتها

وفهم بعض المفسرين انه عليه السلام عرض على هؤلاء الفساق المجرمين بناته أن يستمتعوا بهن كما يشاءون ومثل هذا في سفر التكوين (١٩ : ٨) وفيه أنهما اثنتان، ولا يعقل أن يقع هذا الامر من أي رجل صالح فضلا عن نبي مرسل، ولا يصح في مثله أن يعبر عنه بأنه أطهر لهم، فغسل الدم بالبول ليس من الطهارة في شيء، وإن كان يعتقد أنهم لا يجيبونه إلى هذا الفعل، بل الذنب في هذه الحال أكبر، لأنه أمر بالمنكر، وخروج عن الحكم الشرعي، إيثاراً للتجمل الشخصي،

وهو لا يتعارض مع قوله لهم بعده ﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي﴾ فان الزنا ليس من التقوى بل هو هدم لها، وإنما معنى هذا الامر والنهي: فاجمعوا بما أمرتكم به بين تقوى الله باجتناب الفاحشة، وبين حفظ كرامتي وعدم اذلالي وامتهاني بفضيحتي في ضيفي، فان فضيحة الضيف فضيحة المضيف واهانة له. ولفظ الضيف يطلق على الواحد

والمثنى والجمع ﴿ أليس منكم رجل رشيد ﴾ كامل الرشد يعقل هذا فيرشدكم اليه،

٧٩ ﴿ قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق ﴾ فانهن محرمات علينا في دينك، أو يعنون أن الحق عندهم نكاح الذكور مستشهدين بعلمه به تهكما، أو الحق هنا الحاجة والأرب، والمعنى لقد علمت من قبل انه ليس لنا في بناتك من حاجة أو رغبة في تزوجهن فتصرفنا بعرضهن علينا عما نريده، أو لقد علمت الذي لنا في نسائنا اللواتي تسميهن بناتك من حق الاستمتاع وما نحن عليه معهن فلا معنى لعرضك إياهن علينا لصرفنا عما نريده ﴿ وإنك لتعلم ما نريد ﴾ من الاستمتاع بالذكران واننا لا نؤثر عليه شيئاً . أي تعرف ذلك كل المعرفة لا ترتاب فيه، فعلم انهم مصرون على ارادتهم فماذا فعل ؟

٨٠ ﴿ قال لو أن لي بكم قوة ﴾ اي قال لوط لأضيافه حينئذ لو أن لي بكم قوة تقاتل معي هؤلاء القوم وتدفع شرهم لقاتلتهم، أو أتمنى لو أن لي بكم قوة ألقاهم بها أو قال هذا لقومه والمعنى كما قال في الكشاف : لو قويت عليكم بنفسي ﴿ أو آوي الى ركن شديد ﴾ من أصحاب العصبيات القوية الذين يحمون اللاجئين ويجيرون المستجيرين (كزعماء العرب) تمنى ذلك لانه لم يكن منهم فيعتز بهم وان سماهم قومه بمعنى أهل جواره ووطنه الجديد، وانما هو غريب جاء مع عمه من اور الكلدانيين في العراق[1]

ويرجح الاول جواب الملائكة له وقد رأوا شدة كربه وما آلت اليه حاله :

(٨١) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ

١) على أن سفر التكوين يروي لنا أن ابراهيم كان معاهداً لبعض زعماء تلك البلاد وبذلك أمكنه انقاذ ملوك سدوم وعمورة وسائر تلك البلاد من كدرلعومر الذي كان استولى عليها واسر لوطا مع من اسر منهم وانما انقذهم لأجله

إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ
(٨٢) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ
الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ

هذه الآيات الثلاث في انجاء لوط بأهله الا امرأته وإهلاك قومه

٨١ ﴿ قالوا يالوط إنا رسل ربك ﴾ من ملائكته أرسلنا لتنجيتك من شرهم وإهلاكهم ﴿ لن يصلوا اليك ﴾ بسوء في نفسك ولا فينا ، وحينئذ طمس الله أعينهم فلم يعودوا يبصرون لوطاً ولا من معه كما قال تعالى في سورة القمر (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) فانقلبوا عميانا يتخبطون ﴿ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴾ أي فاخرج من هذه القرية أو القرى مصحوبا بأهلك بطائفة من الليل تكفي لتجاوز حدود هؤلاء القوم . والسرى (بالضم) والاسراء في الليل كالسير في النهار ، قرىء (أسر) بقطع الهمزة ووصلها منهما حيث وقعت في القرآن . وفي سورة الذاريات (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) ﴿ ولا يلتفت منكم أحد ﴾ الى ماوراءه لئلا يرى العذاب فيصيبه ، وفي سورة الحجر (وامضوا حيث تؤمرون) وقد بينه لهم الملائكة ﴿ الا امرأتك ﴾ فانها كانت كافرة خائنة ضلعها مع القوم ﴿ انه مصيبها ما أصابهم ﴾ اي مقتضي هذا عليها فهو واقع لا بد منه. قرىء امرأتك بالنصب وبالرفع ﴿ إن موعدهم الصبح ﴾ اي موعد عذابهم يبتدىء من طلوع الفجر وينتهي بشروقها كما قال في سورة الحجر (١٥ : ٧٣ فأخذتهم الصيحة مشرقين) وهذا تعليل للاسراء ببقية من الليل كما قلنا ﴿ أليس الصبح بقريب ﴾ اي موعد قريب لم يبق له الا ليلة واحدة تنجو فيها بأهلك وهذا تقرير مؤكد لما قبله وجواب عن استعجال لوط لهلاكهم وحكمته انهم يكونون مجتمعين فيه في مساكنهم فلا يفلت احد منهم

٨٢ ﴿ فلما جاء امرنا ﴾ ي عذابنا او موعده ﴿ جعلنا عاليها سافلها ﴾ اي قلبنا ارضها او قراها كلها وخسفنا بها الارض ، وسنة الله تعالى في خسف الارض في قطر من الاقطار أن يحدث تحتها فراغ بقدرها بسبب تحول الابخرة التي في جوفها بمشيئته وقدرته فينقلب مافوقه إما مستوياً وإما مائلا الى جانب من الجوانب إن كان الفراغ تحته اوسع ، وفي بعض هذه الاحوال يكون عاليها سافلها ، ويجوز أن يكون معنى جعل عاليها سافلها ان ما كان مطحاً لها هبط وغار فكان سافلها وحل محله غيره من اليابسة المجاورة او من الماء ، والمرجح عند علماء الارض ان قرى لوط التي خسف بها تحت الماء المعروف ببحر لوط أو بحيرة لوط ، وقيل من عهد قريب ان الباحثين عثروا على بعض آثارها كما تقدم ﴿ وأمطرنا عليها ﴾ اي قبل القلب أو في أثنائه وقيل على الشذاذ المتفرقين من أهلها ﴿ حجارة من سجيل ﴾ وفي سورة الذاريات (لنرسل عليهم حجارة من طين) فالمراد اذاً حجارة معها طين ، وقال مجاهد أولها حجر وآخرها طين ، وقال الحسن أصل الحجارة طين متحجر ، والمعقول ماقلنا وهو موافق لقول الراغب السجيل حجر وطين مختلط أصله فارسي فعرب ، وقيل انه من النار وأصله سجين فأبدلت نونه لاما . وهو موافق لرواية سفر التكوين ، فان صح يكون من بركان من البراكين ، ومثل هذا المطر يحصل عادة بارسال الله اعصاراً من الريح يحمل ذلك من بعض المستنقعات أو الانهار فتلقيها حيث يشاء ، ولا يمنع أن يكون هذا بتدبير الملائكة الموكلين بالارض ﴿ منضود ﴾ أي متراكب بعضه في أثر بعض يقع طائفة بعد طائفة ﴿ مسومة عند ربك ﴾ لها سومة اي علامة خاصة في علم ربك أيها الرسول ، أي امطرناها خاصة بها لا تصيب غير أهلها ، أو هي من قولهم : سومت فلاناً في مالي أو في الامر إذا حكمته فيه وخليته وما يريد لا تثنى له يد في تصرفه ، وقد ظهر لي هذا المعنى الآن من مراجعة مجاز الاساس ، والمعنى انه سخرها عليهم وحكمها في إهلاكهم لا يمنعها منه شيء ، كما قال في الملائكة التي أمد الله المؤمنين في غزوة بدر (مسومين) وزعم بعض المفسرين ان هذا التسويم كان حسياً بخطوط في ألوانها ، او أمثال الخواتيم عليها ، ولكن هذا من الامور الغيبية التي لا تثبت إلا بنص عن المعصوم ولا

نص ، وما قلناه مفهوم من اللفظ ، ومعقول في نفسه ليس فيه رجم بالغيب

﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ اي وما هذه العقوبة او القرى او الارض التي حل بها العذاب المخزي بمكان بعيد المسافة من مشركي مكة الظالمين لأنفسهم بتكذيبك والتماري بنذرك أيها الرسول ، بل هي قريبة منهم واقعة على طريقهم في رحلة الصيف الى الشام كما قال في سورة الحجر (١٥ : ٧٣ فأخذتهم الصيحة مشرقين ٧٤ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ٧٥ ان في ذلك لآيات للمتوسمين ٧٦ وانها لبسبيل مقيم) أي في طريق ثابت معروف بين المدينة والشام وقال في سورة الصافات بعد ذكر هلاكهم (٣٧ : ١٣٧ وانكم لتمرون عليهم مصبحين ١٣٨ وبالليل أفلا تعقلون) قال الجلال : (وانكم لتمرون عليهم) على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم (مصبحين) أي وقت الصباح يعني بالنهار (وبالليل أفلا تبصرون) ما حل بهم فتعتبروا به اه والتعبير بصفة الظالمين وكون العقوبة آية مرادة لا مصادفة ، يجعل العبارة عبرة لكل الاقوام الظالمة في كل زمان ، وإن كان العذاب يختلف باختلاف الاحوال من أنواع الظلم وكثرته وعمومه وما دونها، وقيل ان المعنى المتبادر ان هذه العاقبة ليست ببعيدة من الظالمين من قوم لوط بل نزلت بهم عن استحقاق ، او من مشركي مكة ، وقدم هذا من قدمه من المفسرين وأخر ماقلناه ولكنه هو الذي تؤيده شواهد القرآن

وفي خرافات المفسرين المروية عن الاسرائيليات ان جبريل عليه السلام قلعها من تخوم الارض بجناحه وصعد بها الى عنان السماء حتى سمع أهل السماء أصوات الكلاب والدجاج فيها ثم قلبها قلبا مستويا فجعل عاليها سافلها ، وهذا تصور مبني على اعتقاد متصوره ان لاجرام السماوية المأهولة بالسكان مما يمكن أن يقرب منهم سكان الارض وما فيها من الحيوان ويبقون أحياء . وقد ثبت بالمشاهدة والاختبار الفعلي في هذه الايام التي نكتب هذا فيها ان الطيارات والمناطيد التي تحلق في الجو تصل الى حيث يخف ضغط الهواء ويستحيل حياة الناس فيها ، وهم يصنعون انواعا منها يضعون فيها من أكسجين الهواء ما يكفي استنشاقه وتنفسه

للحياة في طبقات الجو العليا ويصعدون فيها ، وقد أشير في الكتاب العزيز الى ما يكون للتصعيد في جو السماء من التأثير في ضيق الصدر من عسر التنفس بقوله تعالى (٦ : ١٢٥ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء)

(فان قيل) ان هذا الفعل المروي عن جبريل عليه السلام من الممكنات العقلية وكان وقوعه من خوارق العادات ، فلا يصح أن يجعل تصديقه موقوفا على ماعرف من سنن الكائنات (قلت) نعم ولكن الشرط الاول لقبول الرواية في أمر جاء على غير السنن والنواميس التي أقام الله بها نظام العالم من عمران وخراب أن تكون الرواية عن وحي إلهي نقل بالتواتر عن المعصوم أو بسند صحيح متصل الاسناد لاشذوذ فيه ولا علة على الاقل ، ولم يذكر في كتاب الله تعالى ولم يرد فيه حديث مرفوع الى نبيه ﷺ ولانظهر حكمة الله فيه ، وانما روي عن بعض التابعين دون الصحابة ولا شك أنها من الاسرائيليات ؛ ومما قالوه فيها ان عدد أهلها كان أربعة آلاف ألف ، وبلاد فلسطين كلها لاتسع هذا العدد فأين كان هؤلاء الملايين يسكنون من تلك القرى الاربع ؟

وهذه لاسرائيليات المشوهة لهذه القصة كغيرها من قصص الانبياء مخالفة لما عند باثيها من زنادقة اليهود في توراتهم ، وملخص مافي الفصل التاسع من سفر التكوين الخاص بلوط عليه السلام وقومه ان الملكين اللذين أتياه بصورة رجلين ضربا بالعمى جميع قومه وقالا له (١٢ اصهارك وبنيك وبناتك وكل من لك في المدينة أخرج من هذا المكان ١٣ لأننا مهلكان أهل هذا المكان إذ قد عظم صراخهم أمام الرب فأرسلنا الرب لنهلكه ١٤ فخرج لوط وكلم أصهاره الآخذين بناته وقال قوموا واخرجوا من هذا المكان لان الرب مهلك المدينة فكان كمازح في أعين أصهاره ١٥ ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة ، ثم أخرجاه ودفعاه الى مدينة اسمها صوغر وعداه بعدم اهلاكها ومعه امرأته وبنتاه وأمراه بأن لاينظر وراءه ثم قال (٢٤ وإذ أشرقت الشمس على الارض دخل لوط الى صوغر فأمطر

الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ٢٥ وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الارض ٢٦ ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح ٢٧ وبكر ابراهيم في الغد إلى المكان الذي وقف فيه أمام الرب ٢٨ وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل أرض الدائرة ونظر واذا دخان الارض يصعد كدخان الاتون) اهفهذه الرواية تؤيد ماصورنا به خسف أرض لوط وقلبها بحدوث غور في أسفلها سببه الابخرة البركانية المخزونة في الارض التي تحدث بسببها الزلازل كما يقول علماء الكون، ولكنها آية بمشيئة الله والله أعلم

ومقتضى هذه الرواية انه لم ينج مع لوط إلا ابنتان له ، وقد ختم الفصل بما يتبرأ منه المسلمون كغيره مما يخالف القرآن وهو ان ابنتي لوط الناجيتين وكانت احداهما بكراً والاخرى ثيبا وانهما أسكرتا أباهما بالخمر مرة بعد أخرى وباتتا معه فحملتا منه وولدتا اولادا وبقي نسلهما منه متسلسلا يقول الكاتب [إلى اليوم] وهم الموابيون وبنو عمون !!

قصة شعيب عليه السلام مع قومه

تقدمت قصة شعيب في بضع آيات من سورة الاعراف من الآية ٨٥ — ٩٢ وهاهي ذي نسقت هنا في اثنتي عشرة آية من الآية ٨٤ — ٩٥ وفي كل منها من الحكم والاحكام والمواعظ ماليس في الاخرى ، مع السلامة من الاختلاف والتفاوت والتعارض ، وقد تكلمنا على نسبه وما ورد فيه وفي قومه في تفسيرها سورة الاعراف فتراجع في ص ٥٢٥ — ٥٢٧ من جزء التفسير الثامن

---

(٨٤) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ (٨٥) وَيَا قَوْمِ

أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٦) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ

هذه الآيات الثلاث في تبليغ قومه الدعوة وهي الامر بتوحيد الله في العبادة والنهي عن أشد الرذائل فشواً فيهم والامر بالفضيلة التي تقابلها

٨٤ ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ معطوف على ما تقدمه مثله أي وأرسلنا إلى أهل مدين أخاهم في النسب شعيباً ﴿ قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾ اعبدوا الله وحده ولا تعبدوا معه غيره مالكم من إله غيره فيعبد ، وهذا ما كان يدعو اليه جميع رسل الله كما تقدم . ثم انتقل إلى ما هو خاص بهم من الاحكام العملية فقال ﴿ ولا تنقصوا المكيال والميزان ﴾ فيما تكيلون وما تزنون من المبيعات كما هي عادتكم و كانوا تجاراً مطففين (إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أي ينقصون ﴿ إني أراكم بخير ﴾ أي بثروة وسعة في الرزق يجب أن ترفع أنفسكم عن دناءة بخس حقوق الناس وأكل اموالهم بالباطل بما تنقصون من المبيع لهم من مكيل وموزون ، وهو كفر لنعمة الله عليكم بالغنى والسعة ، والواجب عليكم شكرها بالزيادة على سبيل الاحسان ، فالجملة تعليل للنهي عن النقصان ﴿ وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ﴾ أي عذاب يوم محيط ما يقع فيه من العذاب بكم إذا أنتم أصررتم على شركم بالله بعبادة غيره ، وكفركم بنعمه بنقص المكيال والميزان . وهذا اليوم يصدق بيوم القيامة ويوم عذاب الاستئصال

٨٥ ﴿ وياقوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ﴾ لا ينسين القارىء ما تقدم من حكمة تكرار النداء بلقب قومي من الاستعطاف ، وهذا أمر بالواجب بعد النهي عن ضده لتأكيده ، والتنبيه لكون عدم التعمد للنقص لا يكفي لتحري الحق ، بل يجب معه تحري الايفاء بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقص ، وان كانت الثقة

به لا تحصل أو لا تتيقن إلا بزيادة قليلة فهي قد تدخل في باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . وتعمدها في الكيل او الوزن للناس سخاء فهو فضيلة مندوب ، وفي الاكتيال او الوزن عليهم طمع فهو رذيلة محظور ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ هذا أعم مما سبقه فان البخس يشمل النقص والعيب في كل شيء ، يقال بخسه (من باب نفع) حقه وبخسه ماله وبخسه علمه وفضله . والاشياء جمع شيء وهو أعم الالفاظ وجمعه يشمل ما للافراد وما للجماعات والاقوام من مكيل وموزون ومعدود ومحدود بالحدود الحسية ومن حقوق مادية ومعنوية . وقد فصلنا هذا وبينا العبرة فيه بتعامل أهل الشرق مع أهل الغرب في هذا العصر في تفسير سورة الاعراف (٨٥:٨) فتراجع في ص ٥٢٨ من الجزء الثامن

﴿ ولا تعثوا في الارض مفسدين ﴾ عثي يعثى [كرضي يرضى] عثيا بكسرتين وتشديد الياء — وعثا يعثو [كغزا يغزو] عثواً بضمتين والتشديد أيضا — أفسد وهذا نهي آخر عام يشمل غير ما تقدم كقطع الطرق وتهديد الأمن والخروج على السلطان وقطع الشجر وقتل الحيوان ، وقيده بقصد الافساد لان بعض ما هو افساد في الظاهر قد يراد به الاصلاح أو دفع أخف الضررين كالذي يقع في الحرب من قطع الاشجار ، أو فتح سدود الانهار ، او إحراق بعض الاشياء بالنار ، ومنه خرق الخضر للسفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر لمنع الملك الظالم الذي وراءهم من أخذها اذا أعجبته . والافساد يشمل مصالح الدنيا وصفات النفس وأخلاقها وأمور الدين ، وكل هذه المفاسد فاشية في هذا العصر

٨٦ ﴿ بقية الله خير لكم ﴾ أي ما يبقى لكم بعد ايفاء الكيل والميزان من الربح الحلال ، خير لكم مما تأخذونه بالتطفيف ونحوه من الحرام ، أو بقية الله الاعمال الصالحة التي يبقى أثرها الحسن في الدنيا وثوابها في الآخرة ، وقال ابن عباس : هي رزق الله ، ومجاهد طاعة الله ، والربيع وصية الله . والفراء مراقبة الله ، وقتادة حظكم من الله ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ به حق الايمان فان الايمان هو الذي يطيب النفس من دناءة الطمع ، ويحليها بفضيلة القناعة والكرم والسخاء ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ فأحفظكم من هذه المعاصي والرذائل أو أعاقبكم عليها ، وانما انا مبلغ عليم وناصح أمين

(٨٧) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٨) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٩) وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٩٠) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ

هذه الآيات استئناف بياني كأمثالها من المراجعات في مناقشة قوم شعيب له بالآراء التقليدية في التدين والايمان، والنظريات الشيطانية في الحرية والاموال

٨٧ ﴿قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا﴾ قرأ جمهور القراء (صلواتك) بالجمع واستدل بها على انه كان كثير الصلاة، وحمزة والكسائي [صلاتك] بالافراد، والاستفهام للانكار والاستهزاء به وبعبادته عليه السلام، والصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر بما تكسبه من مراقبة الله تعالى، ومن نهى نفسه كان جديراً بأن ينهى غيره، يعنون أهذه الصلاة التي تداوم عليها تقتضي بتأثيرها في نفسك أن تحملنا على ترك ما كان عليه آباؤنا من عبادة هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها تقربا الى الله بها، وتشفعا عنده بجاه الارواح التي تحتلها، أو الاولياء التي وضعت لذكراهم، وما أنت خير منهم، وأجدر باتباعهم ﴿او أن نفعل في أموالنا مانشاء﴾ من تنمية واستغلال،

وتصرف في الكسب من الناس بما نستطيع من حذق واحتيال، وخديعة واهتبال، وهو حجر على حريتنا ، وتحكم في ذكائنا ؟ ردوا بهذا وبما قاله عليه دعوته من جانبيها الديني والدنيوي نشراً مرتباً على لف ، ونقضاً لما بنيت عليه من حجة وعطف ، ولذلك ذيلوه بما يشير إلى هذا النقض، فقالوا بقصد التعريض والتنديد

﴿ انك لأنت الحليم الرشيد ﴾ الحليم العاقل الكامل في أناته، ترويه فلا يتعجل بأمر قبل الثقة من صحته ، والرشيد الراسخ في هدايته وهديه، فلا يأمر إلا بما استبان له من الخير والرشد ، ووصفه بهما وصفاً مؤكداً بالجملة الاسمية وإن واللام في تعليل انكارهم لما أمرهم به وما نهاهم عنه كلاهما صريح في الاستهزاء به، والتعريض بما يعتقدون من اتصافه بضدهما، وهو الجهالة والسفه في الرأي والغواية ، في الفعل بهوس الصلاة، قال ابن عباس (رض) يقولون انك لست بحليم ولا رشيد

٨٨ ﴿ قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ﴾ أي يا قومي الذين أنا منهم وهم مني ، وأحب لهم ما أحب لنفسي، أخبروني عن شأني وشأنكم إن كنت على حجة واضحة من ربي فيما دعوتكم اليه وما أمرتكم به وما نهيتكم عنه فكان وحيا منه لا رأيا مني ﴿ ورزقني منه رزقا حسنا ﴾ في كثرته وفي صفته وهو كسبه بالحلال بدون تطفيف مكيال ولا ميزان ، ولا بخس لحق أحد من الناس ، فانا مجرب في الكسب الطيب وما فيه من خير وبركة، لا فقير معدم أخترع الآراء النظرية فيما ليس لي خبرة به ، أي أرأيتم والحالة هذه ماذا أفعل وماذا أقول لكم غير الذي قلته عن نبوة ربانية ، وتجارب غني مالية ؟ هل يسعني الكتمان أو التقصير في البيان ؟ ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ أي وانني على بينتي ونعمتي ما أريد أن أخالفكم في ذلك مائلا إلى ما أنهاكم عنه مؤثراً لنفسي عليكم ، بل أنا مستمسك به قبلكم . وأصل المخالفة أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في قوله أو فعله أو حاله وأن يقال خالفه في الشيء ، فاذا خالفه فيما هو مول عنه تارك له قيل خالفه اليه ، وإذا خالفه فيما هو مقبل عليه قيل خالفه عنه ، وفي كل منهما تضمين معنى الميل اليه أو عنه ، أو الرغبة فيه أو عنه . ومن الثاني قوله تعالى (فليحذر الذين

يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) أي يخالفون الرسول راغبين عن أمره مائلين عنه ﴿ إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت ﴾ أي ما أريد إلا الاصلاح العام فيما آمر به وفيما أنهى عنه ما دمت أستطيعه لانه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، ليس لي هوى ولا منفعة شخصية خاصة بي فيهما ، ولولا ذلك لما فعلته قال القاضي البيضاوي : ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعي في كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة — أهمها وأعلاها حق الله تعالى ، وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس، وكل ذلك يقتضي أن آمركم بما أمرتكم وأنهاكم عما نهيتكم . وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح أي المقدار الذي استطعته أو إصلاح ما استطعته فحذف المضاف اه وفي هذا إثبات لعقله ورويته ولرشده وحكمته ، وهو إبطال لتهكمهم واستهزائهم بلقب الحليم الرشيد ، والنبي فوق ذلك ﴿ وما توفيقي إلا بالله ﴾ التوفيق ضد الخذلان وهو الفوز والفلاح في إصابة الاصلاح وكل عمل صالح وسعي حسن، فان حصوله يتوقف على التوفيق بين شيئين أحدهما كسب العامل وطلبه الشيء من طريقه وثانيهما موافقة الاسباب الكونية والخارجية التي يتوقف عليها النجاح لكسبه وسعيه ، وتسخيرها انما يكون من الله وحده . والمعنى وما توفيقي لاصابة ذلك فيما أستطيعه منه إلا بحول الله وقوته ، وفضله ومعونته ، وأعلاها ما خصني به دونكم من نبوته ورسالته ﴿ عليه توكلت ﴾ في أداء ما كلفني من تبليغكم ما أرسلت به ، لا على حولي وقوتي ﴿ واليه أنيب ﴾ أي أرجع في كل ما نابني من الامور في الدنيا ، وإلى الجزاء على أعمالي في الآخرة ، فأنا لا أرجو منكم أجراً ، ولا أخاف منكم ضرا

٨٩ ﴿ ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح ﴾ قرأ الجمهور (يجرمنكم) بفتح الياء من جرم الذنب او المال بمعنى كسبه وابن كثير بضمها من أجرمته الذنب اذا جعلته جارما له . فجرمه وأجرمه

كمكسبه هو وكسبه إياه غيره ، يتعدى الثلاثي من كل منهما بنفسه الى مفعول واحد والى مفعولين . كالرباعي والشقاق شدة الخلاف الذي يكون به أحد المختلفين في شق وجانب غير الذي يكون فيه الآخر ، اي لا تحملنكم وتكسبنكم مشاقتكم وعداوتكم لي أن تفضي بالاصرار عليها إلى إصابتكم بمثل ما أصاب مكذبي الرسل قبلكم : قوم نوح أو هود أو صالح من عذاب الخزي والاستئصال ﴿ وما قوم لوط منكم ببعيد ﴾ زمانا ولا مكانا ولا إجراما قال الزمخشري يجوز أن يستوي في بعيد وقريب وقليل وكثير المذكر والمؤنث لو رودها على وزن المصادر كالصهيل والشهيق ونحوهما . وقدر لبعيد قبل ذلك موصوفا فقال بشيء بعيد ، وقدر غيره : وما إهلاك قوم ط الخ ، ويقاس عليه مثله

٩٠ ﴿ واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ﴾ أي اطلبوا منه المغفرة لما أنتم عليه من الشرك والمعاصي بتركهما ثم توبوا اليه كلما وقع منكم معصية ، وقد تقدم مثل هذا غير مرة ﴿ إن ربي رحيم ودود ﴾ هذا تعليل لما قبله أي عظيم الرحمة للمستغفرين التائبين بمغفرته وعفوه ، كثير المودة لهم باحسانه ونعمه ، والمودة في اللغة عطف الصلة والاكرام بالفعل كما يعلم من استعمالها ، وتساهل او غلط من فسرها بالمحبة ، وهذا وعد قفى به على الوعيد الذي قبله وترك لهم الخيار فيما يرجحونه منهما بعد إقامة الحجة عليهم والآية دليل على ان الندم على فعل الفساد والظلم بالتوبة واستغفار الرب تعالى من أسباب خير الدنيا والآخرة ، كما تقدم نظيره مكرراً في هذه السورة ، وكذلك يقتضيان فعل العدل والصلاح اللذين هما سبب العمران والخير في الدنيا ومغفرة الله ومثوبته في الآخرة ، وقد عبر عنهما هنا بما يدل عليهما من صفاته تعالى وهي الرحمة والمودة ، وارجع الى ما عبر به عن فائدة الاستغفار والتوبة في الآية الثالثة و٥٢ و ٦١ وتأمل هذه البلاغة والتفنن في بيان المعنى الواحد

فتاوى المنار

(س ١٤ — ٢١) من صاحب الامضاء في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الكبير الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى وأدامه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع إلى فضيلتكم الاسئلة الآتية راجيا التكرم بالاجابة عليها على صفحات مجلة المنار الغراء ليكون النفع بها عاما ولكم الشكر :

(١) هل المطالبون بانكار المنكر هم العلماء فقط دون غيرهم أم جميع الناس ؟

(٢) ما تعريف الكفر والالحاد وما حكمهما في الشرع الشريف ؟

(٣) هل يجوز ترجمة القرآن الكريم نفسه والاحاديث النبوية نفسها إلى اللغات الاجنبية كالافرنسية والانكليزية واللاتينية والتركية أوغيرها أم لا؟

(٤) هل يجوز كتابة القرآن الكريم على قواعد الاملاء الحديث أم لا؟

(٥) ما قولكم فيمن يقول لا أعتقد ولا أعمل إلا بالقرآن الكريم فقط ولا أعتقد ولا أعمل بالاحاديث النبوية ولو كانت صحيحة معتمدة أو غيرها ، فهل هذا يعد مسلماً مؤمنا أم لا ؟

(٦) ماقولكم فيمن يعتقد ويقول : ان القرآن الكريم هو كلام النبي ﷺ وليس هو كلام الله تعالى فهل هذا يعد مسلماً ومؤمنا أم لا ؟

(٧) هل صح مايقول بعضهم إنه لم يثبت عن النبي ﷺ إلا اثناعشر أو أربعة عشر حديثا فقط أم لا ؟

(٨) هل جميع أحاديث النبي ﷺ مروية عنه باللفظ والمعنى تماما أم بالمعنى فقط ؟

(٩) هل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين يجوز اعتقادهما والعمل بهما أم لا وما معناهما ؟ وهما « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » وفي رواية أخرى « لاطاعة في معصية الله انما الطاعة في المعروف » تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب ؟

السائل : عبد الحفيظ ابراهيم اللادقي ، بيروت

(أجوبة المنار)

(١٤) المطالب بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الامور العارضة المعينة من فروض الكفاية ، وقد يتعين وينحصر في فرد ان لم يوجد غيره حيث يجب ويشترط فيه العلم بما يأمر به أو ينهى عنه بل كل عمل شرعي يشترط فيه العلم به لا العلم بجملة علوم اللغة والشرع التي يعطى متعلمها شهادة رسمية بأنه عالم . فالفرائض العينية والمعاصي القطعية المعلومة من الدين بالضرورة من شأنها أن يعرفها كل مسلم ، وهي أهم ما يجب الامر بالمفروض منه كأركان الاسلام الخمسة والنهي عن المنكر منه كالزنا والسكر والسرقة والخيانة والكذب والنميمة . وأما المسائل غير المعلومة للعوام والخواص من المسلمين فانما يطالب بها العالم بحكمها ، واذا قام بها جمهور العوام والخواص كان ذلك أعظم مؤدب لتاركي الفرائض ومرتكبي المعاصي . وقد بينا في تفسير قوله تعالى (٣ : ١٠٤ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ان في جملة قوله تعالى (ولتكن منكم أمة) وجهين (أحدهما) انه يجب أن تتألف منكم جماعة تتعاون على القيام بهذه الواجبات وهذه الجماعة يجب عليها أن تدرس ما يتوقف عليه الامر والنهي بجميع فروعه (وثانيهما) ان معناها ولتكونوا أمة تدعو الى الخير الخ وكل من الوجهين صحيح والثاني عام للافراد كل أحد فيما يعرفه ويقدر عليه (ويراجع التفصيل في الجزء الرابع ، من تفسير المنار)

(١٥) تعريف الكفر والالحاد

الظاهر أن مراد السائل بالكفر والالحاد ما يقابل الايمان والاسلام ، والا فانهما قد يطلقان على بعض ما لا يخرج صاحبه من الملة . فالمعنى العام الجامع لكل ما ينافي ملة الاسلام هو تكذيب رسالة محمد ﷺ الى جميع الناس أو تكذيب شيء مما علم المكذب انه جاء من أمر الدين . وهو قسمان : الاول المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة ككون القرآن كلام الله تعالى، وتوحيد الله وتنزيهه عن النقص و لولد والشريك في تدبير الكون أو العبادة كالدعاء والذبح والنذر له الخ وكون محمد رسول الله وخاتم النبيين ، وما أشرنا اليه في جواب السؤال السابق من الفرائض والمحرمات القطعية . فهذا لا يعذر أحد بجهله الا من كان حديث العهد بالاسلام لم يمض عليه زمن كاف لتعلم هذه الضروريات منه . ومن كان في حكمه كرجل أسلم في مكان أو بلد ليس فيه من المسلمين من يعلمه ذلك كله وطال عليه الزمن وهو لا يعلم ان عليه واجبات أخرى ولا انه يجب عليه الهجرة مثلا

والقسم الثاني ما كان غير مجمع عليه أو مجمعاً عليه غير معلوم من الدين بالضرورة كبعض محرمات النكاح وأحكام المواريث مثلا مما لا يعرفه إلا العلماء فهذا يعذر من جهله، فان علم شيئا منه انه من دين الله قطعاً صار حكمه حكم القسم الاول بالنسبة اليه

وحكم الكفر بهذا المعنى الذي فصلناه أنه لا يعامل معاملة المسلمين فيما هو خاص بهم ، وهو قسمان (١) كافر أصلي من كتابي ووثني وكل منهما إما ذمي وإما معاهد وإما حربي ولكل منهما أحكام(٢) كافر مرتد وله أحكام أشد إذا استتيب ولم يتب منها أن امرأته إذا كان متزوجا تبين منه ويحرم عليها أن تعامله معاملة الازواج بمجرد ارتداده بأن تفارقه وتخرج من داره ، ومنها أنه لا يرث المسلمين ولا يرثونه ومنها أنه إذا مات أو قتل لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين . وقد حدثت في العام الماضي ثورة إسلامية في القطر التونسي لمنع المتجنسين بالجنسية الفرنسية من دفن موتاهم بين المسلمين في مقابرهم لانهم مرتدون عن الاسلام بما تقتضيه الجنسية الفرنسية من التزاوج والتوارث بأحكام القانون الفرنسي المخالف لنصوص القرآن والسنة مما هو مجمع عليه معلوم من الدين

بالضرورة ، فأرادت الحكومة الفرنسية الحامية إجبار المسلمين على دفنهم في مقابرهم وظاهرها بعض المنافقين على هذا فخاب سعيها وعجزت قوتها عن ذلك، وانتهى الامر بانشاء مقبرة خاصة بهؤلاء المرتدين المصرين على كفرهم ، بل لم ينته من كل وجه ففرنسة تريد إكراه المسلمين على مرادها وقد حدث في هذا الشهر ثورة في تونس من عاقبيل ارهاق فرنسة لزعماء المسلمين وخواصهم

(١٦) ترجمة القرآن والاحاديث النبوية باللغات الاجنبية

قد كتبت في الجزء التاسع من تفسير المنار (ص٣٣١—٣٦٣) بحثا طويلا في استحالة ترجمة القرآن ترجمة صحيحة تؤدي معانيه أداء تاما كما تفهم من لغته العربية وعقائده الاسلامية ، وفي تحريم ترجمته ترجمة تعطى حكم الاصل العربي المنزّل من وجوب اعتقاد انه كلام الله تعالى وانه يتعبد بتلاوته في الصلاة وغيرها كما فعلت الحكومة التركية الكمالية ، وقد طبعنا هذا البحث في رسالة مستقلة ، ثم كتبنا مقالا آخر في الرد على من زعم جواز ذلك من المتهوكين انتصاراً للحكومة التركية

وأما ترجمة القرآن ترجمة معنوية تفسيرية على غير الصفة المذكورة آنفا فله من المجوزات ما قد يصل إلى حكم الوجوب الكفائي ، وأظهرها تصحيح الترجمات الكثيرة له في اللغات المشهورة المحرفة لمعانيه ، المشوهة لمحاسنه ، التي جعلت وسائل للطعن عليه وبغيه عوجا ، وهو الدين القويم والصراط المستقيم ، ومن هذه الترجمات ما تعمد فاعلوها بعض هذا التحريف والتشويه ، ومنها ما وقع لجهلهم وعجزهم ، وقد بينت في مقدمة كتاب الوحي المحمدي ان أشهر مترجميه من الفرنسيس و لانكليز المعاصرين اعترفوا بأنه معجز ببلاغته ، وان إعجازه يدخل فيه استحالة ترجمته كأصله

وأما الاحاديث فلا أعلم ان أحداً قال بتحريم ترجمتها وجميع مسلمي الاعاجم يترجمونها

(١٧) كتابة القرآن بالرسم العرفي

المعروف المشهور ان علماء الملة متفقون على وجوب كتابة المصاحف بالرسم الذي كتبها به أصحاب النبي ﷺ وأجمعوا عليها ، وقد مست الضرورة لطبع مصحف مفسر بالرسم العرفي ليقرأه الجماهير قراءة صحيحة غير محرفة ويفهموه

إذ علم بالتجربة ان أكثر الناس يخطئون في القراءة في هذه المصاحف إلا من تلقاها من القراء وقليل ماهم وسئلنا عن ذلك فأجبنا عنه بما رأيتموه في الجزء الثاني من منار هذه السنة من الجواز وتعليله

(١٨) حكم من يقول انه لا يعتقد ولا يعمل الا بالقرآن دون الاحاديث

ان الايمان بالقرآن والعمل بما أمر الله تعالى وما نهى عنه فيه يستلزم الايمان بالرسول ﷺ الذي جاء به من عنده تعالى ، ووجوب طاعته بمثل قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) وهذا الامر مكرر في عدة سور وفي معناه آيات أخرى كقوله تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) ومن المعلوم بنصوص القرآن وباجماع الامة ان الرسول ﷺ هو المبين لكلام الله والمنفذ له كما قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)

فمن يقول إنه لا يعتقد ان سنة النبي ﷺ التي بين بها القرآن وبلغ بها الدين واجبة الاتباع وإنه يستحل معصيته ﷺ فيما صح عنه انه أمر به أو نهى عنه من أمور الدين ، وان أجمع المسلمون على تلقيه عنه بالتواتر كعدد ركعات الصلوات وركوعها وسجودها وغير ذلك مما اشرنا اليه آنفا في الفتوى (١٥) وإنما يعتقد ويعمل بما يدله عليه ظاهر القرآن فقط — من قال هذا لا يعتد بايمانه ولا باسلامه ، فانه مشاق للرسول غير متبع لسبيل المؤمنين بل متناقض يريد بهذا القول جحود الاسلام وتركه من أساسه ، فالله تعالى يقول (٤ : ١١٥ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)

ولكن إن أراد انه غير مكلف أن يعرف هذه الاحاديث المدونة ويعمل بها كلها أو بما صححه المحدثون منها ، فان قوله حينئذ يكون موهما لا نصا في استباحة عصيان الرسول فيما علم أنه جاء به من أمر الدين ، فلا يحكم عليه بالكفر والخروج من الملة حتى يبحث معه في مراده من كلامه ، فان أئمة المسلمين لم يقل أحد منهم بوجوب العلم بما في كتاب من كتب الحديث ، وكان موطأ الامام مالك رحمه الله تعالى أولها تدوينا واستأذنه الخليفة العباسي في نشره في الامة وأمر الناس بالعمل به ، فلم يأذن له كما بينا ذلك مرارا . وجملة القول ان المعتمد في التكفير القطعي

ما أجملناه في الفتوى (١٥) ومما لا شك فيه ان من يعتقد انه ثبت عن النبي ﷺ أمر من دين الله واستحل مع هذا عصيانه فيه بدون تأويل يكون كافراً

(١٩) حكم من يعتقد ان القرآن الكريم كلام النبي ﷺ لا كلام الله

من يعتقد هذا يكون كافراً باجماع المسلمين لانه مكذب لله تعالى ولرسوله ﷺ ولما هو معلوم من دين الاسلام بالضرورة والاجماع ، ولا فرق بين من يطلق القول بهذا ومن يزعم ان معاني القرآن وحي من الله أنزلت على قلب النبي ﷺ وأما عبارته وألفاظه فهي من النبي ﷺ فقد أجمع المسلمون على ان القرآن أنزل عليه ﷺ بهذا النص العربي المكتوب في المصاحف كما قال تعالى (٢٦ : ٩٢ وانه لتنزيل رب العالمين ٩٣ نزل به الروح الامين ٩٤ على قلبك لتكون من المنذرين ٩٥ بلسان عربي مبين) فان قوله تعالى (بلسان عربي مبين) متعلق بقوله (نزل) لا المنذرين ، فان المنذرين هم الرسل السابقون ، ولم يكن إنذار كل منهم بلسان عربي مبين بل كان كل منهم ينذر قومه بلسانهم كما قال تعالى (١٤ : ٤ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) والآيات المصرحة بنزول القرآن باللغة العربية معروفة في سور يوسف والرعد وطه والزمر وفصلت والشورى والزخرف والاحقاف . وأما الآيات والدلائل على أن القرآن منزل من عند الله وان النبي ﷺ ليس له منه إلا تبليغه بنصه العربي المنزل وبيان معانيه وتنفيذه ، وانه ﷺ كان عاجزا كغيره من البشر عن الاتيان بمثله فقد بيناها في تفسير سورة يونس وسورة هود بأكثر مما فصلناها في كتاب الوحي المحمدي

(٢٠) من قال إنه لم يثبت عنه ﷺ إلا ١٢ أو ١٤ حديثا

هذا القول غير صحيح بل لم يقل به أحد بهذا اللفظ وإنما قيل هذا أو مادونه في الاحاديث التي تواتر لفظها

(٢٠) رواية الاحاديث باللفظ وبالمعنى

بعض الاحاديث مروية بلفظها الذي نطق به النبي ﷺ ولاسيما القصيرة، وأكثر أقواله ﷺ مختصرة كما قال « أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا » رواه أبو يعلى من حديث عمر (رض) وحسنوه . وناهيك بما اشتهر به العرب من قوة الحفظ وكذا غيرهم من الامم الذين يعتمدون على الحفظ قبل الكتابة ، وروي كثير منها بالمعنى لما نرى في الصحاح وغيرها من اختلاف في ألفاظ الرواية للحديث الواحد الذي لا يحتمل تعدد موضوعه وصرح به المحدثون والاصوليون ، واشترطوا في قبول المروي بالمعنى جودة فهم الراوي وحسن ضبطه

(٢١) حديثا « من كذب علي متعمداً » الخ. و« لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق »

هذان الحديثان صحيحان بل الاول منهما متواتر بلفظه رواه أصحاب المسانيد والصحاح والسنن عن عشرات من الصحابة المهاجرين والانصار ربما يزيدون على سبعين صحابيا ورواه غيرهم أيضا عن آخرين وفي رواية للامام أحمد عن عمر (رض) مرفوعا « من كذب علي فهو في النار » ولاجل هذا كان بعض كبار الصحابة يمتنعون من التحديث عنه (ص) حتى بعض المبشرين بالجنة كالزبير (رض) خشية ان يخطيء أحدهم في الرواية فيناله الوعيد ، ولكن هذا لم يمنع بعض الذين عرفوا بالصلاح من تعمد الكذب عليه ﷺ بوضع أحاديث كثيرة في الترغيب والترهيب (والثاني) رواه باللفظ الاول في السؤال أحمد والحاكم عن عمران والحكم ابن عمرو الغفاري وصححوه ، وباللفظ الثاني أحمد والشيخان ومسلم وأبو داود والنسائي عن علي (رض)

﴿ جناية حديثية وخيانة دينية للشيخ يوسف النبهاني ﴾

بهذه المناسبة أنبه قراء المنار لانقاء الاعتماد على أحاديث كتاب (الفتح الكبير ، في ضم الزيادة الى الجامع الصغير) المطبوع بمصر سنة ١٣٥٠ فان الشيخ يوسف النبهاني الدجال المشهور جمع أحاديث الجامع الصغير والزيادات عليه وحذف منه رموز المؤلف للاحاديث الصحاح والحسان والضعاف ليتوهم المطلع عليه ان كل مافيه صحيح أو مقبول يحتج به على ان تلك الرموز لم تكن كافية للتمييز بينهم

مباحث الربا والاحكام المالية

(تابع لما في الجزء السادس م ٣٣ ص ٤٤٩)

ولفظ الحديث عنهما: ان رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر فجاءه بتمر جنيب فقال له رسول الله ﷺ «أكل تمر خيبر هكذا؟» قال لا والله يارسول الله انا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين من الجمع والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ «لاتفعل، بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبا» (١) وليس في هذا حيلة وانما هو نهي عن شراء التمر بالتمر متفاضلا وأمر ببيع كل نوع منه وابتياعه بالدراهم وهذا الامر عام مطلق في جميع البيوع وهو ان يكون لكل شيء من الاشياء المختلفة ثمن تقدر به وتقصد به لثمنية المعينة ليكون ميزانا لتقدير سائر الاشياء به ومعرفة نسب بعضها الى بعض. فشراء التمر الرديء الكيل بخمسة دراهم، والجيد من نوع كذا بعشرة دراهم، يجعل لكل من النوعين ثمنا معينا تعرف به نسبة أحدهما الى الآخر؛ فليس في هذه الصفة مخالفة للشارع في صفة العقد ولا لحكمته في تحريم الربا ولا في أكل أموال الناس بالباطل، وقد يكون له صورة تشبه الحيلة وهو أن يكون أحد رجلين عنده تمر جيد وآخر عنده رديء وكل منهما محتاج الى ماعند الآخر لولا منع المبادلة لتبادلا بهما فيشتري كل منهما ماعند الآخر بالثمن

هذا وان العلامة المحقق ابن القيم قد أحصى كل ما استدل به القائلون بجواز الحيل من الآيات والاحاديث والقياس ومسألة العقود والشروط فيها، ومسألة المخارج من الحرج وما زيد عليها، ورد عليهم رداً قويا سديداً شديداً مفصلا تفصيلا، وأورد من فروع مفاسدها ما هو كفر وردة عن الاسلام (٢) وما هو من كبائر الفسوق والعصيان فأغناني ذلك عن الاطالة في هذه المسألة بعد أن كنت عازما عليه

---

(١) تقدم ان الجمع هنا التمر الرديء. والجنيب نوع من التمر الجيد

(٢) منها ما وقع في زماننا وهو ارتداد المرأة المتزوجة عن الاسلام لاجل افساد عقد نكاحها من زوجها الذي تكرهه والعياذ بالله تعالى

وحسبي أنني بينت تحقيق الاصل الذي يرجع اليه كل شيء في هذا الباب وهو وجوب المحافظة على حكمة الشارع في تحريم الربا كغيره وعلى نصوص الشارع فيه مع التفرقة بين القطعي منها وغير القطعي، كما بينت ان قواعد الفقهاء وتعريفاتهم وضوابطهم ومدارك الاحكام في مذاهبهم ليست تشريعا دينياً يجب على الامة أخذه بالتسليم والعمل به، وانما هو مسائل اجتهادية وضوابط فنية يصدق عليها كلها كلمة الامام مالك بن أنس : كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر - ويشير الي قبر النبي ﷺ وسأزيد هذه المسألة بيانا ايضا في فصل آخر

حكمة النهي عن ربا الفضل

بقي علي هنا بيان مسألة مهمة وهي ان قاعدة اليسر ورفع الحرج من أحكام الاسلام مسألة قطعية ثابتة بنص القرآن وصريح السنة واجماع الامة، وان مسألة ربا الفضل في بعض فروعها من العسر والحرج والخروج عن المعقول في حكمة التشريع ما يشق معه المحافظة على نصوصها وحكمتها معاً لان حكمتها غير ظاهرة، ولذلك قال بعض كبار العلماء انها تعبدية، والتعبد في هذه المعاملات المالية غير معقول ايضا إذ لا يظهر فيه معنى من معاني التعبد التي تزيد المؤمن إيمانا بالله تعالى ومعرفة بجلاله وكماله ورحمته وعدله وحكمته، ولذلك يرى كثير من المؤمنين المتقين أنفسهم مضطرين الى التماس المخرج من بعض أحكامه بالحيلة ويفرقون بين المخارج الباطلة التي يحتال بها مرضى القلوب وضعفاء الايمان على ربا النسيئة القطعي الدال على القسوة واستباحة اكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك من المعاصي والمخارج الصحيحة المشار اليها بقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

وانني أعتمد في تحرير هذه المسألة على ما حققه العلامة ابن القيم في حكمة تحريم ربا الفضل إذ لم أر أحداً وفق لما وفق له من ذلك، وقد كنت نقلت في الصفحة ٧٣ و٧٤ ما قاله هذا المحقق من الفرق بين ربا النسيئة وربا الفضل في كتابه (أعلام الموقعين) وحكمة تحريم كل منهما بالاجمال . فأما حكمة تحريم ربا النسيئة وهو ما فيه

من الضرر العظيم فلا شبهة فيه، وأما حكمة تحريم ربا الفضل فقد نقلت عنه انه قال انها كونه ذريعة لربا النسيئة ولم أذكر بيانه التفصيلي له وهذا موضعه فأنقله عنه بنصه وأعيد خمسة أسطر مما نقلته هنالك في آخر ص ٧٤ وهو :

(قال) الشارع نص على تحريم ربا الفضل في ستة أعيان وهي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فاتفق الناس على تحريم التفاضل فيها مع اتحاد الجنس وتنازعوا فيما عداها ، فطائفة قصرت التحريم عليها وأقدم من يروى هذا عنه فتدد وهو مذهب أهل الظاهر واختيار ابن عقيل في آخر مصنفاته مع قوله بالقياس قال لان علل القياسيين في مسألة الربا علل ضعيفة ، واذا لم تظهر فيه علة امتنع القياس (وطائفة) حرمته في كل مكيل وموزون بجنسه وهذا مذهب عمار واحد في ظاهر مذهبه وابي حنيفة (وطائفة) خصته بالطعام(١) (وإن لم يكن مكيلا ولا موزونا وهو قول الشافعي ورواية عن الامام احمد (وطائفة) خصته بالطعام) اذا كان مكيلا أو موزونا وهو قول سعيد بن المسيب ورواية عن احمد وقول للشافعي (وطائفة) خصته بالقوت وما يصلحه ٢)وهو قول مالك وهو أرجح هذه الاقوال كما ستراه

وأما الدراهم والدنانير (فقالت طائفة) العلة فيهما كونهما موزونين وهذا مذهب احمد في إحدى الروايتين عنه ومذهب أبي حنيفة (وطائفة) قالت العلة فيهما الثمنية وهذا قول الشافعي ومالك واحمد في الرواية الاخرى (وهذا هو الصحيح بل الصواب) فانهم أجمعوا على جواز اسلامهما في الموزونات من النحاس والحديد وغيرهما ، فلو كان النحاس والحديد ربويين لم يجز بيعهما الى أجل بدراهم نقداً، فان ما يجري فيه الربا اذا اختلف جنسه جاز التفاضل فيه دون النساء والعلة اذا انتقضت من غير فرق مؤثر دل (٣) على بطلانها ، وأيضاً فالتعليل بالوزن ليس فيه مناسبة فهو طرد محض بخلاف التعليل بالثمنية فان الدراهم والدنانير أثمان المبيعات والثمن هو المعيار الذي به يعرف تقويم الاموال فيجب أن يكون

(١) ما بين القوسين ثابت في النسخة المطبوعة في مصر دون المطبوعة في الهند
(٢) المراد بما يصلحه الملح فان حل محله غيره كان له حكمه
(٣) أي دل انتقاضها على بطلانها

مضبوطا لا يرتفع ولا ينخفض إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات بل الجميع سلع ، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة وذلك لا يمكن إلا بسعر تعرف به القيمة وذلك لا يكون إلا بثمن تقوم به الاشياء ويستمر على حالة واحدة ولا يقوم هو بغيره إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض فتفسد معاملات الناس ، ويقع الخلف، ويشتد الضرر كما رأيت من فساد معاملاتهم والضرر اللاحق بهم حين اتخذت الفلوس سلعة تعد للربح فعم الضرر وحصل الظلم ، ولو جعلت ثمنا واحداً لا يزداد ولا ينقص بل تقوم به الاشياء ولا تقوم هي بغيرها لصلح أمر الناس فلو أبيح ربا الفضل في الدراهم والدنانير مثل أن يعطي صحاحا ويأخذ مكسرة أو خفافا ويأخذ ثقالا أكثر منها لصارت متجراً أو جر ذلك إلى ربا النسيئة فيها ولا بد فالاثمان لا تقصد لأعيانها بل يقصد التوصل بها إلى السلع فاذا صارت في أنفسها سلعا تقصد لأعيانها فسد أمر الناس وهذا معنى معقول يختص بالنقود لا يتعدى إلى سائر الموزونات

(فصل) وأما الاصناف الاربعة المطعومة فحاجة الناس اليها أعظم من حاجتهم إلى غيرها لأنها أقوات العالم وما يصلحها فمن رعاية مصالح العباد أن منعوا من بيع بعضها ببعض إلى أجل سواء اتحد الجنس أو اختلف، ومنعوا من بيع بعضها ببعض حالا متفاضلا وإن اختلفت صفاتها وجوز لهم التفاضل فيها مع اختلاف أجناسها

وسر ذلك والله أعلم أنه لو جوز بيع بعضها ببعض نسأ لم يفعل ذلك أحد إلا اذا ربح وحينئذ تسمح نفسه ببيعها حالة لطمعه في الربح فيعز الطعام على المحتاج ويشتد ضرره ، وعامة أهل الارض ليس عندهم دراهم ولا دنانير ولا سيما أهل العمود والبوادي ، وانما يتناقلون الطعام بالطعام ، فكان من رحمة الشارع بهم وحكمته ان منعهم من ربا النسأ فيهم كما منعهم من ربا النسأ في الاثمان ، إذ لو جوز لهم النسأ فيها لدخلها «إما أن تقضي وإما أن تربي» (١) فيصير الصاع الواحد لو أخذ

(١) هذه الجملة عنوان ربا النسيئة المحرم لذاته في القرآن ومعنى دخولها فيه انه عند ما يحل الاجل الاول يطالب الدائن المدين بقضاء الدين أو بالزيادة فيه الى أجل آخر فان لم يجد ما يقضي زاده في العين من نقد أو طعام لاجل التأخير وهو النسيئة كما تقدم مكررا و بهذا يكون ذريعة لها ولأجلها نهي عنه

قفزانا كثيرة ففطموا عن النسأ ، ثم فطموا عن بيعها متفاضلا يداً بيد ، إذ تجرهم حلاوة الربح وظفر الكسب إلى التجارة فيها نسأ وهو عين المفسدة، وهذ بخلاف الجنسين المتباينين، فان حقائقهما وصفاتهما ومقاصدهما مختلفة، ففي إلزامهم المساواة في بيعها إضرار بهم ولا يفعلونه وفي تجويز النسأ بينها ذريعة إلى « إما أن تقضي وإما أن تربي » فكان من تمام رعاية مصالحهم أن قصرهم على بيعها يداً بيد كيف شاءوا فحصلت لهم مصلحة المبادلة واندفعت عنهم مفسدة « إما أن تقضي وإما أن تربي » وهذا بخلاف ماإذا بيعت بالدرهم أو غيرها من الموزونات نسأ فان الحاجة داعية إلى ذلك فلو منعوا منه لأضر بهم ولا متنع السلم الذي هو من مصالحهم فيما هم محتاجون اليه أكثر من غيرهم والشريعة لاتأتي بهذا ، وليس بهم حاجة في بيع هذه الاصناف بعضها ببعض نسأ وهو ذريعة قريبة إلى مفسدة الربا فأبيح لهم في جميع ذلك ماتدعو اليه حاجتهم وليس بذريعة إلى مفسدة راجحة، ومنعوا مما لاتدعو الحاجة اليه ويتذرع به غالبا إلى مفسدة راجحة

(يوضح ذلك) ان من عنده صنف من هذه الاصناف وهو محتاج إلى الصنف الآخر فانه يحتاج إلى بيعه بالدراهم ليشتري الصنف الآخر كما قال النبي ﷺ « بع الجمع بالدراهم ثم اشتر بالدراهم جنيباً » أو تبيعه بذلك الصنف نفسه بما يساوي ، وعلى كلا التقديرين يحتاج إلى بيعه حالا بخلاف ما اذا أمكن من النسأ فانه حينئذ يبيعه بفضل ويحتاج أن يشتري الصنف الآخر بفضل لان صاحب ذلك الصنف يربي عليه كما أربى هو على غيره فينشأ من النسأ تضرر بكل واحد منهما . والنسأ ههنا في صنفين وفي النوع الاول في صنف واحد وكلاهما منشأ الضرر والفساد ، واذا تأملت ماحرم فيه النسأ رأيته إما صنفا واحداً أو صنفين مقصودهما واحد أو متقارب كالدراهم والدنانير والبر والشعير والتمر والزبيب ، فاذا تباعدت المقاصد لم يحرم النسأ كالبر والثياب والحديد والزيت

(يوضح ذلك) أنه لو مكن من بيع مد حنطة بمدين كان ذلك تجارة حاضرة فتطلب النفوس التجارة المؤخرة لذة الكسب وحلاوته ، فمنعوا من ذلك حتى

منعوا من التفرق قبل القبض ، إنما لهذه الحكمة ورعاية لهذه المصلحة ، فان المتعاقدين قد يتعاقدان على الحلول والعادة جارية بصبر أحدهما على الآخر وكما يفعل أرباب الحيل يطلقون العقد وقد تواطؤا على أمر آخر كما يطلقون عقد النكاح وقد اتفقوا على التحليل ، ويطلقون بيع السلعة إلى أجل وقد اتفقو على أنه يعيدها اليه بدون ذلك الثمن ، فلو جوز لهم التفرق قبل القبض لأطلقوا البيع حالا وأخروا الطلب لاجل الربح فيقعوا في نفس المحذور

(وسر المسألة) أنهم منعوا من التجارة في الاثمان بجنسها لان ذلك يفسد عليهم مقصود الاثمان ، ومنعوا من التجارة في لاقوات بجنسها لان ذلك يفسد عليهم مقصود الاقوات ، وهذا المعنى بعينه موجود في بيع التبر والعين لان التبر ليس فيه صنعة يقصد لاجلها فهو بمنزلة الدراهم التي قصد الشارع أن لا يفضل بينهما ولهذا قال « تبرها وعينها سواء » فظهرت حكمة تحريم ربا النسأ في الجنس والجنسين وربا الفضل في الجنس الواحد ، وأن تحريم هذا تحريم المقاصد ، وتحريم الآخر تحريم الوسائل وسد الذرائع ، ولهذا لم يبح شيء من ربا النسيئة

وأما ربا الفضل فأبيح منه ماتدعو اليه الحاجة كالعرايا فان ماحرم سداً للذريعة أخف مما حرم تحريم المقاصد ، وعلى هذا فالمصوغ والحلية إن كانت صياغته محرمة كالآنية حرم بيعه بجنسه وغير جنسه وبيع هذا هو الذي أنكره عبادة على معاوية فانه يتضمن مقابلة الصياغة المحرمة بالاثمان وهذا لايجوز كآلات الملاهي ، وأما إن كانت الصياغة مباحة كخاتم الفضة وحلية النساء وما أبيح من حلية السلاح وغيرها فالعاقل لا يبيع هذه بوزنها من جنسها فانه سفه واضاعة للصنعة والشارع أحكم من أن يلزم الامة بذلك فالشريعة لا تأتي به ولا تأتي بالمنع من بيع ذلك وشرائه لحاجة الناس اليه فلم يبق إلا ان يقال لايجوز بيعها بجنسها البتة ، بل ببيعها بجنس آخر وفي هذا من الحرج والعسر والمشقة ماتنفيه الشريعة فان أكثر الناس ليس عندهم ذهب يشترون به مايحتاجون اليه من ذلك والبائع لايسمح ببيعه بر وشعير وثياب وتكليف الاستصناع لكل من احتاج اليه إما متعذر أو متعسر والحيل باطلة في الشرع ، وقد جوز الشارع بيع الرطب بالتمر لشهوة الرطب وأين

هذا من الحاجة إلى بيع المصوغ الذي تدعو الحاجة إلى بيعه وشرائه فلم يبق إلا جواز بيعه كما تباع السلع، فلو لم يجز بيعه بالدراهم فسدت مصالح الناس والنصوص الواردة عن النبي ﷺ ليس فيها ماهو صريح في المنع وغايتها أن تكون عامة أو مطلقة ، ولا ينكر تخصيص العام وتقييد المطلق بالقياس الجلي وهي بمنزلة نصوص وجوب الزكاة في الذهب والفضة ، والجمهور يقولون لم تدخل في ذلك الحلية ولا سيما فان لفظ النصوص في الموضعين قد ذكر تارة بلفظ الدراهم ، والدنانير كقوله «الدرهم بالدرهم والدنانير بالدنانير» وفي الزكاة قوله «في الرقة ربع العشر» والرقة هي الورق وهي الدراهم المضروبة ، وتارة بلفظ الذهب والفضة، فان حمل المطلق على المقيد كان نهياً عن الربا في النقدين وإيجابا للزكاة فيهما ، ولا يقتضي ذلك نفي الحكم عن جملة ما عداهما ، بل فيه تفصيل فتجب الزكاة ويجري الربا في بعض صوره لافي كلها ، وفي هذا توفية الادلة حقها . وليس فيه مخالفة بشيء لدليل منها

(يوضحه) أن الحلية المباحة صارت بالصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع لا من جنس الاثمان ولهذا لم تجب فيها الزكاة فلا يجري الربا بينها وبين الاثمان كما لايجري بين الاثمان وبين سائر السلع وإن كانت من غير جنسها ، فان هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الاثمان وأعدت للتجارة فلا محذور في بيعها بجنسها ، ولا يدخلها «إما أن تقضى وإما أن تربي» إلا كما يدخل في سائر السلع اذا بيعت بالثمن المؤجل ولا ريب أن هذا قد يقع فيها لكن لو سد على الناس ذلك لسد عليهم باب الدين وتضرروا بذلك غاية الضرر

(يوضحه) أن الناس على عهد نبيهم ﷺ كانوا يتخذون الحلية وكان النساء يلبسنها وكن يتصدقن بها في الاعياد وغيرها ، ومن المعلوم بالضرورة أنه كان يعطيها للمحاويج ويعلم أنهم يبيعونها ، ومعلوم قطعاً أنها لاتباع بوزنها فانه سفه ، ومعلوم أن مثل الحلقة والخاتم والفتخة لاتساوي ديناراً ولم يكن عندهم فلوس يتعاملون بها وهم كانوا أتقى لله وأفقه في دينه وأعلم بمقاصد رسوله من أن يرتكبوا الحيل أو يعلموها الناس

(يوضحه) أنه لايعرف عن أحد من الصحابة أنه نهى أن يباع الحلي إلا

بغير جنسه أو بوزنه والمنقول عنهم انما هو في الصرف

(يوضحه) أن تحريم ربا الفضل انما كان سداً للذريعة كما تقدم بيانه وما حرم سداً للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة كما أبيحت العرايا من ربا الفضل وكما أبيحت ذوات الاسباب من الصلاة بعد الفجر والعصر، وكما أبيح النظر للخاطب والشاهد، والطبيب والمعامل من جملة النظر المحرم، وكذلك تحريم الذهب والحرير على الرجال حرم لسد ذريعة التشبيه بالنساء الملعون فاعله وأبيح منه ماتدعو اليه الحاجة، وكذلك ينبغي أن يباح بيع الحلية المصوغة صياغة مباحة بأكثر من وزنها لان الحاجة تدعو إلى ذلك وتحريم التفاضل انما كان سداً للذريعة

فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو بالحيل والحيل باطلة في الشرع، وغاية مافي ذلك جعل الزيادة في مقابلة الصناعة المباحة المتقومة بالاثمان في الغصوب وغيرها، واذا كان أرباب الحيل يجوزون بيع عشرة بخمسة عشر في خرقة تساوي فلساً، ويقولون الخمسة في مقابلة الخرقة فكيف ينكرون بيع الحلية بوزنها وزيادة تساوي الصناعة؟ وكيف تأتي الشريعة الكاملة الفاضلة التي بهرت العقول حكمة وعدلا ورحمة وجلالة باباحة هذا وتحريم ذلك؟ وهل هذا إلا عكس للمعقول والفطر والمصلحة، والذي يقضي منه العجب مبالغتهم في ربا الفضل أعظم مبالغة حتى منعوا بيع رطل زيت برطل زيت وحرموا بيع الكسب بالسمسم وبيع النشا بالحنطة، وبيع الخل بالزبيب ونحو ذلك وحرموا بيع مد حنطة ودرهم بمد ودرهم وجاؤا الى ربا النسيئة وفتحوا للتحليل عليه كل باب فتارة بالعينة وتارة بالمحلل، وتارة بالشرط المتقدم المتواطأ عليه، ثم يطلقون العقد من غير اشتراط، وقد علم الله والكرام الكاتبون والمتعاقدان ومن حضر أنه عقد ربا مقصوده وروحه بيع خمسة عشر مؤجلة بعشرة نقداً ليس إلا، ودخول السلعة كخروجها حرف جاء لمعنى في غيره، فهلا فعلوا ههنا كما فعلوا في مسألة مد عجوة ودرهم بمد ودرهم، وقالوا قد يجعل وسيلة الى ربا الفضل بأن يكون المد في أحد الجانبين يساوي بعض مد في الجانب الآخر فيقع التفاضل

فيالله العجب ! كيف حرمت هذه الذريعة الى ربا الفضل وأبيحت تلك الذرائع القريبة الموصلة إلى ربا النسيئة بحتاً خالصاً ؟ وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصناعة بحظها من الثمن الى مفسدة الحيل الربوية التي هي أساس كل مفسدة، وأصل كل بلية ؟ واذا حصحص الحق فليقل المتعصب الجاهل ما شاء وبالله التوفيق.

(فان قيل) الصفات لاتقابل بالزيادة ولو قوبلت بها لجاز بيع الفضة الجيدة بأكثر منها من الردية وبيع التمر الجيد بأزيد منه من الرديء ، ولما أبطل الشارع ذلك علم أنه منع من مقابلة الصفات بالزيادة

(قيل) الفرق بين الصنعة التي هي أثر فعل الآدمي وتقابل بالاثمان ويستحق عليها الاجرة وبين الصفة التي هي مخلوقة لله لا أثر للعبد فيها ولا هي من صنعه فالشارع من حكمته وعدله منع من مقابلة هذه الصفة بزيادة إذ ذلك يفضي إلى نقض ماشرعه من المنع من التفاضل فان التفاوت في هذه الاجناس ظاهر والعقل لايبيع جنساً بجنسه إلا لما هو بينهما من التفاوت ، فان كانا متساويين من كل وجه لم يفعل ذلك ، فلو جوز لهم مقابلة الصفات بالزيادة لم يحرم عليهم ربا الفضل وهذا بخلاف الصياغة التي جوز لهم المعاوضة عليها معه

(يوضحه) ان المعاوضة اذا جازت على هذه الصياغة مفردة جازت عليها مضمومة إلى غير أصلها وجوهرها إذ لافرق بينهما في ذلك

(يوضحه) ان الشارع لايقول لصاحب هذه الصياغة بع هذا المصوغ بوزنه واخسر صياغتك(١) ولا يقول له لاتعمل هذه الصياغة واتركها ، ولا يقول له تحيل على بيع المصوغ بأكثر من وزنه بأنواع الحيل، ولم يقل قط لاتبعه إلا بغير جنسه ولم يحرم على أحد أن يبيع شيئاً من الاشياء بجنسه

(فان قيل) فهب ان هذا قد سلم لكم في المصوغ فكيف يسلم لكم في الدراهم والدنانير المضروبة اذا بيعت بالسبائك مفاضلا وتكون الزيادة في مقابلة صناعة الضرب . قيل هذا سؤال قوي وارد

(١) قد تزيد دقة الصنعة في ثمن الصيغة أضعاف ثمن مادتها من الذهب أو الفضة . وفي لفظ الصياغة المكرر هنا نسخة أخرى الصناعة

(وجوابه) أن السكة لا تتقوم فيه الصناعة للمصلحة العامة المقصودة منها ، فان السلطان يضربها لمصلحة الناس العامة وإن كان الضارب يضربها بأجرة فان القصد بها أن تكون معياراً للناس لا يتجرون فيها كما تقدم والسكة فيها غير مقابلة بالزيادة في العرف ، ولو قوبلت بالزيادة فسدت المعاملة وانتقضت المصلحة التي ضربت لاجلها واتخذها الناس سلعة واحتاجت الى التقويم بغيرها ، ولهذا قام الدرهم مقام الدرهم من كل وجه، وأخذ الرجل الدراهم ورد نظيرها وليس المصوغ كذلك ، ألا ترى ان الرجل يأخذ مائة خفافاً ويرد خمسين ثقالا بوزنها ولا يأبى ذلك الآخذ ولا القابض ولا يرى أحدهما أنه قد خسر شيئاً وهذا بخلاف المصوغ والنبي ﷺ وخلفاؤه لم يضربوا درهما واحداً ، وأول من ضربها في الاسلام عبد الملك بن مروان وانما كانوا يتعاملون بضرب الكفار

(فان قيل) فيلزمكم على هذا أن تجوزوا بيع فروع الاجناس بأصولها متفاضلا فجوزوا بيع الحنطة بالخبز متفاضلا والزيت بالزيتون والسمسم بالشيرج .

قيل هذا سؤال وارد أيضاً

(وجوابه) أن التحريم انما يثبت بنص أو اجماع أو تكون الصورة المحرمة بالقياس مساوية من كل وجه للمنصوص على تحريمها والثلاثة منتفية في فروع الاجناس مع أصولها ، وقد تقدم ان غير الاصناف الاربعة لا يقوم مقامها ولا يساويها في إلحاقها بها ، وأما الاصناف الاربعة ففرعها إن خرج عن كونه قوتاً لم يكن من الربويات ، وان كانت قوتاً كان جنساً قائماً بنفسه وحرم بيعه بجنسه الذي هو مثله متفاضلا كالدقيق بالدقيق والخبز بالخبز ، ولم يحرم بيعه بجنس آخر ، وإن كان جنسهما واحداً فلا يحرم السمسم بالشيرج ولا الهريسة بالخبز فان هذه الصناعة لها قيمة فلا تضيع على صاحبها ولم يحرم بيعها بأصولها في كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس. ولا حرام إلا ماحرمه الله كما أنه لا عبادة إلا ماشرعها الله، وتحريم الحلال كتحليل الحرام اه المراد منه

(الموضوع بقية)

كتاب الوحي المحمدي

﴿ دعوتي الى انتقاده، وذات بيني وبين صديقي الاستاذ الشيخ عبد الله اليابس ﴾

تعودت من سن الشباب وعهد طلب العلم أن أسأل خاصة أصدقائي عما ينتقدون مني لأستعين به على تربية نفسي وان انتقدهم كذلك بحرية واخلاص، ثم جريت على هذه العادة في مجلة المنار فأنا أقترح على قرائها في كل عام أن يكتبوا إلي ماينتقدونه فيها، وأذكر في أثناء العام أو في آخره مايرد إلي من ذلك وأبين رأيي فيه

ولما جمعت بحثي المطول في (الوحي المحمدي) في كتاب مستقل وختمته بدعوة شعوب الحضارة العصرية إلى الاسلام سألت خواص العلماء من أصدقائي وأذكياء تلاميذي عن رأيهم فيه وما ينتقدونه منه لاعتقادي انه لابد أن يعاد طبعه فأكون على بصيرة فيما ينبغي له من تنقيح أو ايضاح أو زيادة أو نقصان . وأول من سألتهم ذلك بالمكاتبة جلالة أمير المؤمنين الامام يحيى حميد الدين صاحب اليمن فقرظه بما نشرته في أول التقاريظ ولم ينتقد شيئا منه، وأول من سألتهم ذلك بالمشافهة أكبر علماء مصر العلامة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر والمعاهد الدينية بالامس، ثم العلامة الاستاذ الفاضل الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية : فأما الاول فلم ينتقد شيئا من مسائله، بل سألته أترى بحث الآيات وخوارق العادات طويلا يحسن اختصاره ؟ قال : كله ضروري لايحذف منه شيء، وبين رأيه في جملته بكتابه الوجيز البليغ الذي كتبه الي عقب مطالعة الكتاب ونشرته فيما اخترته من التقاريظ للطبعة الثانية. وأما الثاني فكان بيني وبينه محاورة طويلة في مسألة وجوب تعلم اللغة العربية على جميع المسلمين ووجوب تدبر القرآن، فانه أنكر إطلاقي الكلام في هذا الموضوع بما يفهم منه جعله ذلك واجبا عينيا، ووافقه فيه صديقنا العلامة الاستاذ الشيخ علي سرور الزنكلوني، وقد اقتنعا بعد طول البحث بأن أقل الواجب وجوبا عينياً على أفراد الاعاجم هو مايتلى في الصلاة، وان ما فوق ذلك من العلم بالقرآن ولغته فهو من فروض الكفاية التي يجب على أولي الامر نشرها والسعي لتعميمها، وكذا من قدر عليه من الافراد والجمعيات

وكان صديقي العلامة الاستاذ الشيخ عبدالله بن علي بن اليابس ممن أهديتهم الكتاب وسألتهم إبداء رأيهم لي فيه بعد مطالعته ، وكنت أحرص على الوقوف على رأيه لانه تلقى العلم أولا في نجد وحذق طريقتهم السلفية المأثورة عن مشايخهم في اتباع الآثار ، ثم عرف طريقة علماء مصر في التدريس والبحث والاستدلال ، وألف أسلوب المنار ونهجه في تأييد السلف تجاه الماديين ودعاة النصرانية والمتكلمين والمبتدعين ، فصار أعرف بالحاجة إلى هذا من علماء بلاده المقيمين فيها ، وأرى من المفيد له أن يتمرن على الانتقاد ويتعود سماع الرد الحر عليه مع حسن النية من الجانبين وقد قصدت هذا ، فقرأ الكتاب بقصد البحث فيه عما يسهل انتقاده ، ثم جاءني وذكر لي ما أحصاه منه ، فأجبته عنه أجوبة مختصرة لم يقتنع بها ، قلت له مرغبا في الكتابة لعلك لو كتبت هذه المسائل وعنيت باقامة الدليل عليها يتجلى لك الصواب ، والتمييز بين الغث والسمين . لان الاستدلال بالكتابة يخرج الكاتب من حيز الاجمال إلى حيز التفصيل فيكتب فأطال كأنه يناظر خصما ليقنعه أو يفند مذهبه

جاءني بما كتب فلم أملك من الفراغ ما أقرؤه وأبين له رأيي فيه وهو كل ما كنت أريده ، ورأيته يبغي نشره فألقيته إلى المطبعة ولم أقرأه فجمع لينشر في باب الانتقاد على المنار المفتوح على الدوام ، وفهمت من رغبته في نشره انه واسع الحرية لا يسوءه أن يرد عليه ويدان كما يدين ، وأنا أظن انني من أوسع اهل هذا العصر صدراً لمثل هذا لأنني ألفته من اول النشأة ورسخ معي في مصر ، وأهلها أوسع اهل الشرق حرية

ثم انني قرأت ما كتبه مجموعا بحروف المطبعة عند ما جاء وقت نشره بحسب الترتيب الذي جريت عليه ، ورأيت انني مضطر للرد على كل ما قاله من المسائل وأدلتها ، فندمت أن وعدت بنشره ، كارهاً ان يظهر في المنار هذا الخلاف بيني وبين صديق كريم ، وأخ وديد من قوم احبهم ويحبونني ، وقد علمت منه انه مثلي يكره ان نظهر بمظهر الخلاف ، وكان مقتضاه ان يختصر في بيان المسائل التي انتقدها وفي مطالبتي بالدليل عليها ، وإذاً لذكرتها مع دليلي عليها بالايجاز كما فعلت في كل انتقاد ، ولكنه أطال وأكثر السؤال ، فصار تطويل الرد حتما لا مناص منه فكان

وقد ساءني ـ أن رأيت ـ الرد ساءه ، ونزغ الشيطان بيني وبينه ، وكان

ذنبي أن دعوته إلى النقد ونشرته له ، وكان ذنبه أن أسرف فيه فخرج به عن المطلوب وهو التنبيه لما يحتاج إلى تصحيح او تنقيح ، إلى التفنيد ومناظرة الخصوم ، ونحمد الله أن كنا ببركة الاخلاص وحسن النية فيما أخطأنا فيه ممن قال لله تعالى فيهم (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)

زارني فبثني الشكوى من ثقل وطأة لرد ، وحمله إياه على تزوير مقال طويل في الرد عليه ، فتفكيره بأن هذا لا يليق بمثلنا في صداقتنا وحسن نيتنا ، فترجيحه لاطلاعي على رأيه الاخير فيه ، وتفويضه إلي أمر تلافيه ، فشكرت له ذلك وقبلته فأقول :

ان بعض انتقاد الاستاذ كان من سوء الفهم لا سوء القصد ، أو عن اختلاف في الاجتهاد والرأي ، وبعضه كان من ناحية البيان والتعبير عنه ، وكل منا في هذا سواء

فأما اعتراضه على مسألة الرق والسبي فقد أورده على عبارة الطبعة الاولى من كتاب الوحي وكانت مختصرة مجملة قابلة للاعتراض ، لانها غير مؤدية للمراد ، وكان ينبغي أن يطلع على عبارة الطبعة الثانية إذ كانت صدرت قبل أن يكتب ولكنه قال انه لم يكن قد اطلع عليها وهو صادق

وكذلك مسألة كلام الله تعالى قد بسطتها في الطبعة الثانية بسطا لا شبهة عليه عنده كما قال ، على انني كنت بسطتها في مواضع من التفسير بما هو أوسع مما في الطبعة الثانية أيضاً ولكنه لم يره أو لم يتذكره

وأما مسألة القتال وآية الامر به مع النهي عن الاعتداء وكون غزوات النبي ﷺ كلها كانت دفاعا فقد كان أكبر أسباب الخلاف بيننا في أصلها دون بعض فروعها اختلاف فهم المراد من الدفاع والاعتداء وما كانت عليه الحال في عهد ظهور الاسلام وفي هذا العصر أيضاً ، فانني رأيت الكثيرين من العلماء — دع العامة — يفهمون ان الاعتداء أو الابتداء بالحرب يعتبر بالهجوم في كل وقعة أو معركة او أخذ غنيمة ، ومن ثم يعدون بعض الغزوات والسرايا في صدر الاسلام دفاعا وبعضها اعتداء أو هجوما ، وهذا خطأ مخالف لعرف العرب وسائر الامم وللواقع ، والحق أن المعتدية من الامتين او الدولتين هي المبتدئة بالعدوان المنشئة لحالة الحرب ، والمدافعة هي المقابلة لها وإن كانت في أثناء حالة الحرب تغنم وتهاجم ما استطاعت ،

ومن المعلوم بالقطع ان قريشاً وسائر قبائل العرب قد عادوا النبي ﷺ واعتدوا عليه وعلى من آمن معه منذ أعلن دعوتهم الى الاسلام ، ومن المعلوم أيضا ان حالة الحرب بين فريقين لا تزول إلا بمعاهدة ، وما عقدت المعاهدة بين المؤمنين والمشركين إلا في الحديبية او آخر سنة ست للهجرة ، ولم يلبث المشركون أن نقضوها فعادت حالة الحرب فأباحت للنبي ﷺ فتح مكة سنة ثمان وما تلاها من غزوة حنين والطائف ، ونزل في ذلك ما نزل من الآيات في اول سورة التوبة التي منها مايسمونه آية السيف ، ومن حججها قوله تعالى (٩ : ١٣ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة) ولم يحط الاستاذ الشيخ عبد الله اليابس فهما بمرادي هذا إلا بالمشافهة الاخيرة فزال الخلاف في الاصل ، ولم يبق حاجة إلى البحث في فروعه والتعبير عنه

وأما آية (٢ : ١٩٠ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) فقد بينا في تفسيرها من جزء التفسير الثاني انها ومابعدها نزلت في القتال في الشهر الحرام وسببها معروف فصلناه هنالك

وأما مسألة اشتراط المرأة في عقد نكاحها حق عصمتها أي حق تطليق نفسها فهو لايزال يرى انه لايصح ، وهو يخالفنا ويخالف من سبقنا الى تقرير ان الاصل في العقود والشروط الصحة فيما لم يخالف حكم الله عملا باطلاق قوله تعالى (أوفوا بالعقود) وأقوالهم حجة وبيانا فيه شيخا الاسلام ابن تيمية وابن القيم ، ويقول : انه خلاف في الاجتهاد : له اجتهاده وإن لنا اجتهادهم واجتهادنا

وأما مطالبته إيانا بحديث أو بخبر صحيح على تعيين يوم مولد النبي ﷺ فيقول انه يعني به الخبر التاريخي لا الخبر المرفوع إلى النبي ﷺ وهو أعلم بمراده سواء وافق ما فهمناه من عبارته أو خالفه

وجملة القول اننا قد تعارفنا بعد تناكر عارض ضعيف لم يلبث أن زال ولله الحمد ولولا حرصي على دوام صداقته ومودته وإعلام من قرأ نقده وردي عليه انه لم يحدث بيننا أقل هجر ولا تقاطع — لما كتبت هذا .

تفنيد كاتب مجلة المشرق اليسوعية في الاعتراض على كتاب الوحي المحمدي

(تابع لما قبله في ج ٤)

(الوجه الثالث النقلي المسيحي) ان الانجيليين نقلوا عن المسيح عليه السلام أنه أنبأ بظهور أنبياء كذبة من بعده ووضع قاعدة كلية للتمييز بين الصادقين والكذبة وهي قوله : من ثمارهم تعرفونهم

فليخبرنا كاتب مجلة المشرق وآباؤها عن نبي له من ثمار الخير والبر التي اعترفوا بها عرضاً ، وهو قليل من كثير ونقطة من بحر كبير ، من ثمار محمد ﷺ التي اهتدى بها الملايين من البشر

ويؤيد هذه القاعدة كثير من الدلائل الخارجية على نبوته ﷺ منها شهادات كتب العهدين العتيق والجديد له بما فصلناه في تفسير المنار وبسطه غيرنا بتفصيل أوسع كالشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق . ومنها شهادة من آمن به من علماء اليهود والنصارى وغير ذلك مما لامحل لايراد الشواهد عليه هنا

بعد هذا نقول لهم إنه ليس لكم أدلة خارجية على كون هذه الرسائل التي تسمونها اليوم بالاناجيل كتبت بوحي ولا إلهام ، وانما رأينا في كتبكم أنكم تستدلون على صدقها بدليل داخلي لايدل عليه وهو أنها لو لم تكن صادقة لكان كاتبوها من الكذبة الاشرار وهذا لايعقل ، وخصومكم لايسلمون هذا لكم ، إذ يمكن أن يقال أيضاً إنه يجوز أن يكونوا غير متعمدين للكذب ولا متحرين للصدق ، ويجوز أن يكون قد دس حزب قسطنطين وغيره شيئا في كتبهم إذ ليس عندكم نقل متواتر بالاسانيد المتصلة اليهم كما سيأتي ، على أنه لو صح هذا الدليل لكنا أولى به منكم ، وان كنا لا نحتاج اليه مثلكم ، لان عندنا ماهو اصح منه وأقوى

﴿ الشبهة الثالثة في الشهادة الخارجية على وحي القرآن ﴾

نحن لم نقتصر في كتاب الوحي المحمدي على الادلة الباطنية والشهادات الداخلية على كون القرآن كلام الله تعالى كما زعم معترض مجلة المشرق بل أوردنا

كثيراً من الشهادات الخارجية والادلة العقلية والعلمية في الطبعة الاولى ، ولما رأيت مثل هـذه الشبهات الكاثوليكية الجزوتية زدتهـا بيانا في الطبعة الثانية أكثرها في فاتحتها وفي الفصل الاول الذي زدته فيهـا ومنها أنني أوردت على النصارى مانقلوه عن المسيح عليه السلام من الشهادة لنفسه وشهادة غيره له فقد نقل عنه يوحنا أنه قال (٥ : ٣١ إن كنت أشهد لنفسي فليست شهادتي حقا ٣٢ الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم ان شهادته التي يشهدها لي هي حق ٣٣ أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد للحق) ثم روى عنه (٨ : ١٣ فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقا ١٤ فأجاب يسوع وقال لهم : وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق) نقلت هذا في سياق شهادة الله تعالى لمحمد ﷺ في قوله (٤ : ١٦٥ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً)

ومن شهادة الله تعالى له ما أيده به من المعجزات وأظهرها بعد القرآن وما فيـه منها أنباؤه عن المستقبل الذي يسمونه بالنبوات كاستيلاء اتباعه على ملك كسرى وقيصر وهم في أشـد أوقات الفقر والضعف كوقت غزوة الخندق إذ تألبت عليهـم قبائل المشركين مع اليهود وهجموا عليهـم في مدينتهم يريدون استئصالهم فأيد الله المؤمنين بريح وجنود من الملائكة لم يروها وقذف في قلوبهم الرعب وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً (وكفى الله المؤمنين القتال) كما هو مفصل في أول سورة الاحزاب

﴿ مطاعن النصارى على القرآن ﴾

قال كاتب مجلة المشرق بعد إيراد تلك الشبهات النحيفة السخيفة «هذا واذا كان الكلام على كتاب فيـه مافيه من العيوب رغم مايحويه من محاسن الجمال وأساليب البيان ، فلا بد من القول ان ذلك الكتاب لايمكن أن ينسب إلى الله» وأيد هذه الدعوى بما نقله عن أشهر كتاب عندهم في الطعن على القرآن ، ولخص

ذلك عند ذكره ونفنده ونبين بطلانه هنا بالايجاز ، وقد سبق الرد عليه بالتفصيل في كتابنا (شبهات النصارى وحجج الاسلام) وسنعيده في الجزء الثاني من كتاب الوحي المحمدي كما وعدنا في تصدير الطبعة الثانية للجزء الاول فنقول :

رد زعمهم ضياع شيء من القرآن

(الطعن الاول) زعم ذلك الطاعن ان القرآن قد ضاع منه شيء فلم يكتب كله ، وان الذي ضاع منه مانسيه النبي ﷺ ومنه مانسيه الصحابة (رض) ومنه مالم يحفظ ، قال « وكثير من آياته لم يكن لها قيد إلا في ذاكرة الصحابة فضاع منها الكثير »

وجوابنا عن هذا انه دعوى مفتراة ليس عليها أدنى دليل فمن المعلوم بالتواتر أن كل ما كان ينزل من القرآن كان يكتب ويحفظه الكثيرون من الصحابة يعبدون الله تعالى به في الصلاة وغيرها وكانت ملكة الحفظ في العرب أقوى منها في غيرهم لاعتمادهم عليها في حفظ أشعارهم وأنسابهم ووقائعهم

من العجيب أن يفتري النصارى على القرآن هذه الفرية وهو الكتاب الذي حفظه الالوف من العرب في عصر نزوله وكتبوه متفرقا ثم مجموعا وما زال يحفظه مئات الالوف في كل عصر - وهم أهل دين لم يكتبوا من انجيل مسيحهم شيئا من لفظه بلغته ، وهذه الرسائل الاربع التي يسمونها في الزمن الاخير بالاناجيل لم تكن معروفة لمن يسمونهم رسله في العصر الاول إذ لم يذكرها أحد منهم في رسائلهم ، وهذا رابعهم يوحنا يقول في آخر إنجيله (٢١ : ٢٤ هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا ونعلم ان شهادته حق ٢٥ وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين !!! فلماذا لم يكتب هو ولا أحد من تلاميذه واتباعه عشر معشارها ؟

كذلك ليس عندهم أصل مكتوب من سائر كتب العهدين في زمن أصحابها بلغاتهم ، ولا يدعون هم ولا اليهود أنهم حفظوا كتابا منها بنصه وحروفه التي جاء بها موسى ولا غيره من أنبيائهم كما فعل المسلمون

رد زعمهم وجود المناقضات فيه

(الطعن الثاني) ماسماه المناقضات وضعف البيان في المتشابهات المحتاجة إلى التأويل ، وفي الناسخ والمنسوخ، فأما الاول فشبهته فيه اختلاف المفسرين في المتشابه وتأويله كما فصلته في تفسير سورة آل عمران ثم في سورة يونس أخيراً، ولا تناقض فيه ولا ضعف بيان ، ولكن الاذهان تتفاوت بطبعها في فهم بعض المسائل بطبيعة موضوعها ولا سيما الوحي وكلام الانبياء عن عالم الغيب

وقد حققنا أن الراسخين في العلم يعرفون معاني المتشابهات وأما تأويلها الذي لا يعلمه إلا الله فهو حقيقة صفات الله تعالى وما تؤول اليه أخبار الوعد والوعيد في الآخرة لأنها من عالم الغيب . ويرى القراء في الجزء الماضي (ج ٤) كلمة لشيخ الاسلام ابن تيمية في هذه المسألة .

على أن أكثر كلام المسيح عليه السلام كان رموزاً لا يفهم تلاميذه المراد منها وهم أولى الناس بفهمها حتى المسائل التي تدعي هذه الرسائل الاربع أنها أساس العقيدة كهدم الهيكل وإقامته في ثلاثة أيام ، ومنه ماحكاه يوحنا في آخر رسالته من أقواله عليه السلام لسمعان بطرس في محبته له ومستقبله ، وقوله للتلميذ الذي كان يحبه « ٢١ : ٢٢ اذا كنت أشاء أنه يبقى حتى أجيء فماذا لك؟(قال يوحنا) ٢٣ فذاع هذا القول بين الاخوة أن ذلك التلميذ لا يموت،ولكن لم يقل يسوع إنه لا يموت الخ . فالتلاميذ كلهم لم يفهموا هذه الكلمة بشهادة يوحنا الذي شهد لنفسه أن شهادته حق!!ومن يوحنا هذا؟هو غير معروف بالتحقيق ، والارجح أنه من تلاميذ بولص (راجع دائرة المعارف الفرنسية) فان عادت المشرق إلى مثل هذا البهتان أتيناها بالشواهد الكثيرة على تصريحهم بغموض كلام المسيح عليه السلام وعدم فهمهم له. فكيف يعيبون غيرهم بالكحل في أعينهم ولا يرون الجذع في أعينهم؟

وأما الناسخ والمنسوخ فقد بينا في تفسير الآية الوحيدة الصريحة فيه وهي قوله تعالى (٢ : ١٠٦ ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) ان المراد بالآيات فيها ما يؤيد الله به رسله بدليل قوله تعالى بعدها (١٠٨ أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل)وبيانه أنه تعالى أيد موسى ببعض الآيات

الكونية ونسخها بتأييد عيسى بمثلها في الدلالة على صدقه، ثم نسخ هذه وأيد محمداً بما هو خير منها، والمقصد من ارسالهم واحد عليهم الصلاة والسلام. وأما نسخ الاحكام فأنكر بعض علمائنا وجوده في القرآن، وقال بعضهم فيه عشرون آية وبعضهم بضع آيات وكل ماعدوه منها فهو فصيح بليغ، وفائدة الناسخ فيه ظاهرة كنسخ الارث بالاسلام والهجرة عند قلة المسلمين باءرث القرابة والزوجية بعد كثرتهم ونسخ القبلة الى بيت المقدس ببيت الله الحرام، على ان قبلة بيت المقدس لم تكن بنص في القرآن

مخالفة القرآن لكتب العهد العتيق هو الحق

(الطعن الثالث) مخالفة القرآن لكتب العهد القديم في بعض المسائل التاريخية وجوابنا عن هذا ان تواريخ العهد القديم لا يقوم دليل على صدقها كما بينه بالتفصيل في تفسير المنار. وأما القرآن فقد قامت البراهين الكثيرة على أنه كلام الله تعالى فما بينهما من خلاف فقول القرآن فيه هو الفصل، وحكمه فهو الحكم بالحق والعدل، كما قال تعالى (٥:٤٨ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) وقال ١٦:٦٣ تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم ٦٤ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

قصة يوسف في القرآن والعهد العتيق

(الطعن الرابع) زعمه ان يوسف بن يعقوب تبين قصته في القرآن أنه قد تراخى للشهوة من ذاته، وقصته في التوراة تبين براءته، يعني ان هذا الفرق يدل على ان التوراة وحي من الله دون القرآن، والجواب عن هذا ان القرآن أثبت لنا ان يوسف عليه السلام قد ابتلاه الله تعالى بتجارب محصه بها تمحيصاً فكان من عباده المخلصين (منها) مراودة امرأة عزيز مصر له في سن شبابه فاستعصم ولم يقع في الفتنة وآثر عليها السجن، وأما قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ففيه وجهان أحدهما وهو المتبادر من اللغة ان كلا منهما هم بمواثبة الآخر والبطش به كما شرحناه في الجزء الاول من المنار أخيراً، والثاني

أنهما هما بالفاحشة ، ولكن رؤيته برهان ربه صرف عنه السوء والفحشاء. وهذه منقبة عظيمة له . وهي أدل على اعتصامه وعدم تراخيه للشهوة مع قوة الداعية الطبيعية لها

ولكن مابال الطاعن يستدل بهذه الفضيلة السلبية للتوراة وينسى ماقذفت به لوط عليه السلام من الزنا ببناته ، وداود عليه السلام من أقبح الزنا العمد بامرأة أوريا الحثي ثم تعريضه للقتل مع نزاهة القرآن عن مثل هذا وما يقرب منه ؟ دع مايرمون به سليمان عليه السلام من الشرك والوثنية لاجل النساء؟؟

(الطعن الرابع) زعمه أن القرآن ذكر اسكندر ذي القرنين بما لا يوافق أخبار التاريخ المحققة وجوابه أن ذا القرنين المذكور في القرآن ليس باسكندر المقدوني وانما هو أحد أذواء اليمن ، ولو خالف أخبار التاريخ لكان ماخالفه فيه هو الحق

(الطعن الخامس) اعتراضه على الاسراء الى المسجد الاقصى بأن المراد به هيكل سليمان قال « مع أن الهيكل في أيام محمد كان خرابا » والجواب عن ذلك أن المراد بالمسجد الاقصى هذا المكان وسماه بهذا الاسم للانباء بأنه سيكون مسجداً للمسلمين يقابل المسجد الحرام الذي كان هيكل أصنام ايضا (وقد كان) والمسجد محل السجود والصلاة فان كان عامراً أو خرب فخرابه لا يسلبه اسم المسجد ولا حرمته في شرعنا

(الطعن السادس) نسبة مريم والدة المسيح عليهما السلام الى عمران (وجوابه) من وجهين أحدهما انه ليس عندهم تاريخ قطعي لنسبها والثاني أنه يصح جعله من باب نسبة المرء الى العظيم أو الرئيس من أجداده قريبا كان أو بعيدا كقولهم في المسيح «ابن داود» واطلاقهم لقب اسرائيل على ذريته وقول نبينا ﷺ «أنا ابن عبد المطلب» وتسمية جميع الناس ملك العربية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل «ابن سعود»

(الطعن السابع) ماحكاه القرآن عن نداء قوم مريم لها (ياأخت هارون) وهذا نحو مما قبله في التجوز المشهور كقولهم يا اخا الهيجاء للشجاع وهارون (ع.م) كان رئيس الكهنة ومريم ألحقت بالكهنة في انقطاعها لعبادة الله تعالى ، فقالوا لها يا أخت هارون تهكما بها اذ اتهموها بالفاحشة وقد برأها الله تعالى في كتابه العزيز من بهتانهم ومن كذب بعض النصارى أيضا بقولهم إن ولدها عيسى من يوسف النجار ، ومن كنودهم وبهتانهم عليه هذه المطاعن المفتعلة . وموعدنا بالرد التفصيلي قريب ان شاء الله

باب الانتقاد على المنار

(الرد على من أفتى بكتمان بعض القرآن ثم حرف بعضه استدلالا على فتواه)

نشرنا في الجزء الاول من منار هذا العام استفتاءاً في قول من زعم أن في القرآن الحكيم آيات لايجوز إذاعتها ولا اسماعها لاهل الكتاب من ذوي ذمتنا، وأخرى لايجوز إسماعها للنساء هي قصة يوسف بل قال سورته (عليه السلام)

ذكر المستفتي اسم الذي زعم مانقله عنه في السؤال، ولم نذكره نحن في الجواب تكريماً له وأملا منا بأن يبين هو الحقيقة بما يبرىء به نفسه مما اتهمه به السائل أو يتأوله ، وصرحنا بشكنا في عزو هذا المنكر العظيم اليه كما قاله السائل، ولم نصرح باسم الصحيفة وهو (الوطنية) التي نشر فيها السائل هذه التهمة مبالغة في كتمانها فلما اطلع على المنار بادر إلى الدفاع عن نفسه بما أثبت التهمة وجنى على القرآن جناية جديدة ، فجاز لنا أن نصرح باسمه تبعا له ، ووجب أن نرد عليه ، ولو كان خطؤه في غير كتمان القرآن والاستدلال عليه بتحريف بعض آياته عن موضعها وتصوير المسألة بغير صورتها لما كان من شأننا أن نرد عليه، ولكن هذا الرد دفاع آخر عن حق القرآن

يؤسفنا أن صاحب الزعمين هو الاستاذ الشيخ محمود محمود وكيل جمعية مكارم الاخلاق . فقد نشر في الجزء التاسع من مجلة الجمعية الذي صدر في شهر ربيع الآخر تفسير آيات له من سورة الانعام منها قوله عز وجل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) فأدخل في عموم النهي عن سب آلهة المشركين سب أهل الكتاب بل قال آلهة النصارى الخ ماستراه، ونقل عمن عبر عنه بقوله « عمدة العلماء في الاندلس » قوله « فاذا كان الكافر في منعة وخيف أن يسب الله أو الاسلام أو الرسول » فلا يحل لمسلم ذم دينه ولا صنمه ولا صليبه ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك » اه

ثم قال « هذا هو مفهوم القرآن الكريم ، والقرآن أعز علينا وأحب الى قلوبنا من صاحب المنار الذي حمله خصومته مع بعض الاساتذة أن يفتي في الجزء

الاول من عام ١٣٥٣ بما يخالف ذلك ، ولعله قد نسي ما قاله في منار ه في تفسير هذه الآية ، والكمال المطلق لله وحده ، والعصمة خاصة بالانبياء (وما سمي الانسان إلا لنسيه)

« أظن ان الشيخ قد كبر فخانته ذاكرته فقد نشر منذ أعوام أن العلماء استنبطوا من هذه الآية أن الطاعة اذا أدت إلى معصية راجحة وجب تركها ، وأن إطلاق لفظ الكفر على من يحرم إيذاؤه من أهل الاديان محرم شرعا إذا تأذى به ولا سيما في الخطاب ، ونقل عن الغنية ومعين الحكام أنه لو قال للذمي ياكافر يأثم إن شق عليه

« وقد أغرب الشيخ في فتواه القائمة على مسألة مكذوبة وطلب من المفتي أن يتوب ، ومن سمعنا أن من أفتى فأخطأ (على سبيل الفرض) يطالب بالتوبة

« بعد هذا أستطيع أن أقول وأظنك معي في الفهم ان سب آلهة المسيحيين وقديسيهم في هذا العصر الذي ضعف فيه المسلمون وتفرقوا وذلوا ، وقوي الكافرون واتحدوا وعزوا ، ولا سيما بالمذياع (الراديو) يدخل في مفهوم هذه الآية ، ولو لم يكن فيه إلا تفريق الامة وافساد باطنها كما فسد ظاهرها ، لكان كافياً في استحباب منعه ، حتى يعود للاسلام عزه ومجده ، وتكون كلمته هي العليا في الخافقين ، كما كانت في أيام سيد الكونين والثقلين ، ويظهره الله على الدين كله مرة أخرى ، وعسى أن يكون قريبا إن شاء الله » اه

(المنار) إن الخطأ في تفسير الاستاذ الشيخ محمود محمود لهذه الآية كثير من ناحية تفسير الآية ومن ناحية الرد به على الفتوى التي أشار اليها ، ومن ناحية ما تضمنه من وصف المسلمين في هذا العصر بأسوأ الاوصاف وأخسها ، ووصف النصارى بأحسنها وأشرفها ، ومن ناحية إثبات الآلهة للمسيحيين ، وغير ذلك من النواحي وما كان لنا أن نتصدى لبيان تلك الانواع من الخطأ فيها وفي غيرها ، ولا أن نناظره في شيء منها ولا من غيرها ، إلا مسألة بعد المسافة بين آية سورة الانعام في النهي عن سب المسلمين لمعبودات المشركين ، وبين الفتوى التي أفتاها هو في كتمان بعض القرآن الذي يسوء أهل ذمتنا منهم بزعمه ، وأهل ذمتنا لا يكونون

أعز منا ولا نكون أدلاء لهم وهم تابعون لنا ، ومسألة افتاء المنار بأن كتمان القرآن لا يجوز ، وأن الله قد لعن فاعله إلا أن يتوب

فاذا كان القرآن أعز عليه وأحب إلى قلبه من صاحب المنار كما ادعى فصاحب المنار أحق أن يكون القرآن أحب اليه منه ، فانه هو أفتى بكتمان بعض آيات القرآن لئلا يسخط النصارى ، وبكتمان بعضها عن النساء بزعمه أنها مفسدة لهن. وصاحب المنار أفتى ببطلان فتواه في المسألتين تعظيما للقرآن ودفاعا عنه، وتنزيهاً له عما ظنه فيه ، وجزما بأن كل ما أنزل فيه نافع لاضرر فيه يبيح كتمانه برأي مثله ولا برأي أعلم أهل الارض فأي المفتيين أحق بعزة القرآن وحب القرآن؟ آلذي يزعم ان فيه سباً وشتما وافساداً للنساء يقتضي كتمانهن؟ أم الذي ينزهه عن هذا وهذا وعن كل مالا يليق بكلام الله عز وجل ، ويثبت أن كل مافيه صلاح وإصلاح يجب إظهاره والدعوة اليه ، وتفنيد كل من يصد عنه ؟

فان كان ظن أن صاحب المنار كبر فخانته ذاكرته فأنساه كبر السن مانشره منذ أعوام موافقا لرأيه هو فأفتى أخيراً بما يخالفه «لخصومته مع بعض الاساتذة» فأحر به هو أن يكون صغر سنه هو أو شرخ شبابه قد حال بينه وبين فهم ما كتبه صاحب المنار أولا وآخراً ، فانه لاخلاف ولا تعارض بين فتويه ، ولم يقع بينه وبين أحد من الاساتذة خصومة حملته على ذلك ، وانما يعني ببعض الاساتذة نفسه ، ولم يكن بيننا وبينه خصومة ، بل كان آخر عهدنا بمودته المتصلة أن يبرنا بر الولد لوالده ، ونوده ود الاخ لاخيه ، فكان بتواضعه يبالغ في المودة جهراً ، ونعتدل فيها سراً وجهراً . فالواجب عليه إذن أن يترك اتباع ظنه في صاحب المنار (إن بعض الظن اثم) ويأخذ باليقين في شأن نفسه، ونحن لانزال على فتوانا بعدم جواز سب النصارى ولا غيرهم ، وإن كان فيهم من يسبوننا ويطعنون في ديننا وكتاب ربنا ورسوله ﷺ لا لما زعمه باطلا بل لان المسلم ليس بسباب ولا لعان

تحرير الموضوع ان الفتوى التي أفتاها صاحب المنار الشيخ الكبير ، ورد عليها الشيخ محمود الشاب الطرير، وكيل جمعية مكارم الاخلاق ومفسر مجلتها ومفتيها النحرير ، بما فسر به آية الانعام برأيه وبنقله لايدخل في موضوعها ما ادعاه من

سب المسلمين الاذلاء بزعمه ، لآلهة النصارى الاعزاء وصليبهم وقديسيهم بوهمه ، وانما موضوعها أنه لا يجوز كتمان شيء من آيات القرآن العظيم الحكيم في هذا العصر بدعوى أنه كان لهذه الآيات ما يبررها في عصر نزولها دون هذا العصر — هذا ما علل به فتواه أولا بحسب ما نقله السائل عنه ، وإنه لحوب كبير واثم عظيم ، وقد زاده في الدفاع عنه في مجلة الجمعية إثماً وجرما بما زعمه من أن تلك الآيات الكريمة متضمنة لسب آلهة القوم وصليبهم وقديسيهم ، والقرآن أجل وأعظم وأنزه من ذلك ، وقد قال في أهل الكتاب (وإلهنا وإلهكم واحد) ولم يذكر صليبهم بسب ولا غيره ، وكل ما قرره فيهم أحكام حق وعدل وإصلاح ونزاهة . فهل هذه محبته للقرآن ؟ وهل يقره عليه أعضاء جمعيته أو أعضاء مجلس إدارتها كما يقرونه على جميع تصرفاته في الجمعية ومدرستها ، وتعليم صبيانها وبناتها ؟ نحب أن نعلم هذا

ومن فروع رده الغريب علينا قوله ان أغرب شيء في فتوانا مطالبته بالتوبة وانه ما سمع ان من أفتى فأخطأ يطالب بالتوبة ! يعني بمطالبتنا إياه بالتوبة إيرادنا لقول الله تعالى (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا) الآية فهو يرد على تذكيرنا إياه بالآية الكريمة بأنه ما سمع ان من أفتى فأخطأ يطالب بالتوبة ! ولا يدري ان سماعه غير حجة فضلا عن عدم سماعه ، فليخبرنا ممن سمع أن من يفتي بما يخالف كتاب الله وإجماع المسلمين لا يطالب بالتوبة ولا يجوز تذكيره بحكم الله في فتواه اذا كان في قوله تعالى ارشاد له الى التوبة ؟ ومن قيد هذا التذكير بكتاب الله بهذا الشرط ؟ وما حجته على ذلك ؟

انني أعود فأطالبه بأن يتوب إلى الله من فتواه الاولى بخلاف كتاب الله ومن استدلاله عليها بما بينت بطلانه ، فان الامر بالتوبة مشروع فيما دون ذلك حتى الهفوات (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) فان لم يقبل هذه النصيحة فليقتصر على ما هو أليق به مما نشره في أواخر هذا الجزء من المجلة من سب الشيخ رشيد رضا وشتمه والطعن فيه ، وفي استاذه الامام ان شاء ، وان كان يحظر

سب الكفار، وله الامان بأن لا نرد عليه بكلمة واحدة ما لم يكن فيما ينشره عبث بالقرآن أو بالسنة، كعبث ذلك الشيخ الذي أفتى بان كل من يؤمن بظاهر القرآن من صفات الله كما كان يؤمن السلف الصالح فهو كافر، وبغير هذا من البدع ومخالفة السنة، وكان الاستاذ الشيخ محمود من أنصارنا عليه، وعاد الآن لتاييده ونصره. ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا وعليهما من كل ذنب، ويهبنا كمال الاخلاص والتقوى، والسلام على من اتبع الهدى

دائرة المعارف الاسلامية ومفاسدها

اسم خادع كسور له باب، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، هو معجم لفقه طائفة من علماء الافرنج المستشرقين لخدمة ملتهم ودولهم المستعمرة لبلاد المسلمين بهدم معاقل الاسلام وحصونه بعد ان عجز عن ذلك دعاة دينهم بالطعن الصريح على كتاب الله العزيز ورسوله خاتم النبيين ﷺ وبعد ان عجز عن ذلك الذين حرفوا القرآن منهم بترجماته الباطلة، والذين شوهوا تاريخ الاسلام بمفترياتهم، ذلك بأن هؤلاء الملفقين لهذا المعجم الذي سموه دائرة المعارف الاسلامية لم يتركوا شيئا من عقائد الاسلام ولا من فضائله ولا من تشريعه ولا من مناقب رجاله إلا وصوروه لقراء معجمهم بما يخالف صورته الصحيحة من بعض الوجوه، إما بصورة مشوهة وإما بصورة عادية لامزية لها، وطالما قلت ان الافرنج قد أتقنوا كثيرا من العلوم والفنون والصناعات ولكن إتقانهم للكذب والافك أي صرف الناس عما يريدون حجبه عنهم من الحقائق قد فاق اتقانهم لغيره مما أتقنوه من علم وعمل

وفي هذه الدائرة عيوب علمية وتاريخية أخرى أهمها كما بدا لنا من نظرة قصيرة فيها انها لم تكتب لتحقيق المسائل التاريخية والعلمية لذاتها بل لاجل بيان آرائهم وأهوائهم والاعلام بما سبق لهم ولعلمائهم فيها من بحث وطعن في كتبهم ورسائلهم المتفرقة

ولقد كنا سررنا إذ علمنا أن جماعة من شباننا شرعوا في ترجمة هذا المعجم بلغة

الاسلام العربية ووضع حواشي لتصحيح مافيه من الاغلاط التاريخية والعلمية والدينية وبيان الحق فيما دسوه فيه من عقائدهم وآرائهم الباطلة في المسائل الدينية ، ونوط هذا وذاك بالعلماء الاخصائيين في كل منهما ، وقد صدر الجزآن الاول والثاني من الاجزاء الصغيرة التي قسموا لها الكتاب مذيلين ببعض الحواشي من هذه التصحيحات والانتقادات ، وهي غير كافية في موضوعها ، ثم أعرض المترجمون عن ذلك وطفقوا ينشرون الاجزاء غفلا من التعليق على موادها المشوهة للاسلام وتاريخه ، بعد ان ظننا انهم سيزيدونه استقصاء وتحقيقا ، فخابت الآمال فيهم وانقلب عملهم النافع ضاراً ، وما كان يرجى من إصلاحهم فساداً وإفساداً

فعلى الذين اشتركوا في أجزاء هذه الدائرة من المسلمين انخداعا بما أعلنوه عنها أن يطالبوهم بالوفاء بما وعدوا به من التعليق على كل مادة أو مسألة مخالفة لدين الاسلام وتاريخه وسيرة عظماء رجاله، فان عادوا الى ذلك استمروا على اشتراكهم فيها ، وان لم يعودوا له بالوجه المرضي وجب عليهم شرعا أن يقطعوا الاشتراك ، وحرم على سائر المسلمين أن يشتروا شيئا من هذه الاجزاء لئلا يكونوا من الذين يبذلون أموالهم للصد عن دينهم ونصر أعدائه عليه ، الا من يرد على هذه الاباطيل بما يحذر المسلمين منها

أقول ولا أخشى لائما ولا مخالفا ان نشر هذا المعجم باللغة العربية كما كتبه واضعوه بدون تعليق على مافيه من الاغلاط والمطاعن ومخالفة الحقائق هو أضر من شر كتب دعاة النصرانية (المبشرين) وصحفهم لأن هذه قلما ينخدع أحد من عوام المسلمين بما فيها من الباطل ، وأما هذا المعجم المسمى بدائرة المعارف الاسلامية المعزو أكثر مانقل فيه الى كتب المسلمين فانه يخدع أكثر القارئين له ممن يعدون من خواص المتعلمين لأنه يقل فيهم من يفرق بين الحق والباطل مما فيه ، ويقل فيهم من يعلم أن مؤلفي هذه الدائرة ممن يتربصون بهم الدوائر (عليهم دائرة السوء ...) فعسى أن يتدارك المترجمون لها ذلك بمثل هذا التذكير القلمي الذي لم نكتبه إلا بعد أن كلفنا بعض اخواننا المعاشرين لهم أن ينذرهم إياه بلسانه ولساننا ، ولعلنا نجد فرصة ننشر فيها بعض الشواهد على ماقلنا

المطبوعات الحديثة

مئة حديث وحديث

من أحاديث رسول الله ﷺ

(تأليف محمود بك خاطر . طبع في مطبعة مصر بغاية الاتقان . سنة ١٣٥٢)

محمود بك خاطر من خيار أدباء مصر نفساً ولغة وتصنيفاً له كتاب (مهذب مختار الصحاح) مطبوع ، وكتاب (مختار القاموس) تحت الطبع

وقد عني أخيراً بجمع مائة حديث وحديث من دواوين السنة وعزا كل واحد منها إلى أحد مخرجيه من أصحابها ، وشرحها شرحا لطيفا وجيزاً، وطبعها في مطبعة مصر - وهو مديرها - طبعاً جميلا، ونشرها بين الناس فكان وقعها حسناً نافعاً ، لانها من الحكمة المحمدية التي تكثر الحاجة اليها في هذا العصر كما قال في بيان غرضه منها: راعيت في اختيارها تعرضها للمسائل الحيوية، والشؤون الاجتماعية، مما يهذب الناشئين ، ويثقف النابهين ، وينبه الغافلين » ولا غرو فمحمود حسن الاختيار حسن الذوق ، محسن متقن لكل مايعمل بقدر طاقته ، وقد تجلى في هذا الكتاب جمال دينه مع جمال عقله وأدبه وذوقه واتقان فن الطباعة الذي تولى فيه إدارة مطبعة من أغنى مطابع مصر أو الشرق وهي مطبعة بنك مصر

تفضل صديقي محمود بك خاطر باهداء الكتاب إلي في أول عهده باخراجه من المطبعة ، وقد سرني ان أبطأت في تقريظه حتى أخذ حظه الكبير من تقريظ الجرائد بأقلام محرريها وغيرهم من الادباء ، ولم أر في أسماء مقرظيه أحداً من المشتغلين بعلم الحديث يكفيني الاشارة الى بعض ما ينتقد على الكتاب مما لا يعلمه إلا أهل الحديث

أهم ذلك ان المؤلف صرف وقتاً طويلا في جمع هذه الاحاديث من دواوين السنة التي ذكرها وفي مراجعة شروح بعضها ، وكان يغنيه عن ذلك كله أو جله وعما كتبه في أول الكتاب (ص٨) وفي آخره (ص٧١-٧٤) من ذكر أسماء

هذه الكتب وأرقام الصحائف التي نقل الاحاديث منها — كان يغنيه عن ذلك كله أو جله شرح الجامع الصغير، مما يكون تخريجه للاحاديث أتم، والثقة بها أكمل، مع موافقتها لاصطلاح أهل الحديث

أكثر هذه الاحاديث مدونة في الجامع الصغير وربما توجد كلها في النسخة التي أضيف اليها ذيله (*) ومؤلفه الجلال السيوطي يعزو كل حديث لى مخرجيه من أصحاب الكتب الستة وغيرهم، ووضع علامات للصحاح والحسان والضعاف منها في الغالب، وما فاته من هذا لايفوت شراحه. فما فائدة تعب المؤلف في قراءة جامع الترمذي كله واختيار بضعة عشر حديثاً منه يعزوها اليه وحده، وأهل الحديث يعلمون ان فيه بعض الاحاديث الضعيفة والمنكرة والشاذة، فعزو الحديث اليه وحده لايفيد انه صحيح ولا حسن، وكذلك سائر الكتب التي نقل عنها ماعدا الصحيحين، وبعض ماعزاه الى واحد من هؤلاء قد يكون مرويا في أحد الصحيحين أو كليهما وقد يكون متفقا عليه أو مما رواه الجماعة كلهم. ومن المنتقد عند أهل الحديث أن ينقل أحد حديثا ويعزوه الى أحد مخرجيه إلا أن يكون أصحهم رواية كالشيخين في صحيحيهما، فان كان فيهما فيعزى اليهما معاً إن كان لفظهما واحداً وإلا اقتصر على البخاري لأنه أصحهما، أو على صاحب اللفظ الذي يختاره مصرحا به

والاستاذ محمود بك يعزو الحديث المتفق عليه الى واحد ممن لايتحرون الصحاح وحدها كالاحاديث الثالث والرابع والسادس والسابع والثامن والتاسع، بل الحديث السادس رواه الجماعة كلهم وقد عزاه الى البخاري وحده وعزا الرابع الى احمد وحده وقد رواه معه البخاري ومسلم كلاهما فهو متفق عليه، وعزا التاسع الى

(*) طبع الجامع الصغير ممزوجا بذيله هذا عن نسخة تولى مزجها الشيخ يوسف النبهاني المشهور بنشر الخرافات والمنكرات والموضوعات فخان الله ورسوله ومؤلف الجامع بحذفه منها علامات الصحة والحسن والضعف ليعتقد قراؤها الذين يقل أن يوجد فيهم محدث بأن كل أحاديثها معتمدة يجب على المسلم اعتقاد ما فيها والاعتماد عليها في العمل على علاتها ومنكراتها فليحذر هذا من اطلع عليها

ابي داود وحده وهو متفق عليه رواه احمد والبخاري ومسلم أيضاً ومثل هذا كثير في الكتاب

ومما ينتقد عليه انه قال في فاتحة (ص ٩) وقد أوردت كل حديث منها باسناده الى من حدث به وهو لم يذكر اسناد شيء منها بالمعنى المعروف عند المحدثين وهو السند أي طريق الحديث من راويه الاول كالبخاري مثلا إلى الصحابي الذي رفعه إلى النبي ﷺ ولكنه يعني بالاسناد معناه اللغوي وهو العزو الى أصحاب الكتب . فيحسن أن يتذكر هذا وذاك اذا وفقه الله تعالى لخدمة الامة بكتاب آخر من مخ راته النافعة . وأن يذكر الكتب الستة ومؤلفيها بترتيب تواريخهم لا بترتيب حروف المعجم ، وأن لا يذكر مسند احمد في الكتب الستة والاشهر ان السادس منها سنن ابن ماجه ، ومنهم من يعد منها الموطأ أو سنن الدارمي دون ابن ماجه

ومن الغريب أن يخطىء المؤلف في تعريفه وبيانه لكتب الحديث التي نقل عنها ومؤلفيها (ص ١٠) في اسم صاحب الصحيح الثاني فيقول « صحيح ابي الحسن مسلم بن مسلم والصواب أنه أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم ، وقل من يذكر اسم جده » ومثله خطؤه في ضبط الترمذي فقد ضبطه في هذا البيان وفي عزو الحديث الاول اليه مشكولا بضم التاء وهي مكسورة بالاتفاق

و فتتح المؤلف الكتاب بمقدمة وجيزة في نسب النبي ﷺ وصورته وسيرته جمعت في ورقتين صغيرتين مالا يستغني مسلم عن معرفته ، والظاهر انه اعتمد فيها على ما كان علق بحفظه فلم تأت بما يعهد في لغته من الدقة . مثال ذلك أنه قال بعد بضعة أسطر من الصفحة الاولى : وعندما بلغ أشده تولى رعي الغنم بالبادية مع أخوته في الرضاع ، وهو ﷺ قد رعاها قبل ذلك ولم يمكث في البادية الى أن بلغ أشده ، وفي الصفحة التي تليها « وجمع رسول الله عشيرته وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب » الخ والصواب وبنو المطلب كما هو ظاهر . ولعل الاستاذ ينقح هذه السيرة الشريفة اللطيفة ويراعي ما قلنا في الطبعة الثانية لهذا الكتاب إذ يرجى أن يطبع مراراً

صفحات الكتاب من مقدمته إلى نهاية فهرسه ٧٨ صفحة وثمنه خمسة قروش صحيحة ويطلب مكتبة مصر فنحث جميع القراء على مطالعته

كتاب الاسلام

كتاب ديني ، أخلاقي ، أدبي ، اجتماعي

مؤلفه الاستاذ أسعد لطفي افندي حسن . طبع طبعا جيداً متقنا في مطبعة فاروق بمصر سنة ١٣٥٠ صفحاته ٣٦٨ من قطع المنار . ثمن النسخة منه عشرون قرشا

رفعه المؤلف (الى الله جل وعلا) بمناجاة ودعاء ثم افتتحه بمقدمة في الشكوى من فشو الفواحش والمنكرات ، والاعراض عن هداية الدين وعلمه لعدم دراسته في المدارس ووجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذى أقدم عليه بهذا الكتاب وإن لم يكن من علماء الدين كما قال ، وتلا هذا تمهيد وجيز في مولد النبي الاعظم وبعثته ورسالته ، فدخول على الموضوع بالتعريف بالاسلام والايمان بالاجمال فتفصيل لما يجب الايمان من صفات الله والايمان بملائكته وكتبه ورسله بإيراد طوائف من آيات القرآن المجيد مشكولة غير مفسرة في كل موضوع منها وفي قصص الرسل (ع . م) من غير تفسير حتى إنه ذكر في رسالة يوسف عليه السلام السورة المسماة باسمه كلها ، ولكنه تكلم فيما يجب لخاتمهم محمد ﷺ على اعجاز القرآن وأخلاقه وحكمه النبوية ، ثم تكلم في الزواج والميراث وحقوق النساء وموضوع الحجاب والسفور الذى عظمت فتنته في هذه السنين بمصر وغيرها

ثم انتقل إلى العبادات فبدأ بالصلاة والطهارة فذكر الضروري من أحكامهما موافقا مذهب الشافعي رحمه الله تعالى في المسائل الخلافية . ثم تكلم على الزكاة والصيام والحج فذكر الضروري من أحكامها مع الالمام بحكمها . ولكن عبارته في بعض هذه الاحكام لم تكن دقيقة كعبارات الفقهاء فهي لا تخلو من أغلاط معنوية . ثم ختم الكتاب في النهي عن البدع الفاشية في هذا الزمان . فرسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها من قبل هارون الرشيد الى قسطنطين ملك الروم يدعوه بها إلى الاسلام

وجملة القول ان الكتاب مفيد وهو خير من جميع الكتب الكلامية التي تقرأ في المعاهد الدينية وعسى أن يعنى بتصحيحه بالدقة التامة في الطبعة الثانية ويعلق على آيات القرآن التي فيه تفسيراً مختصرا يفهم به معناها في الجملة

كتاب الآيات المحمدية

(تأليف محمد عبد الوهاب عضو جماعة الوعظ والدعوة الاسلامية وجمعيات مكارم الاخلاق والهداية الاسلامية والمحافظة على القرآن الكريم. الطبعة الاولى بالمطبعة المتوسطة بمصر سنة ١٣٥٣)

صنف المصنفون كتبا كثيرة في موضوع هذا الكتاب من الآيات الشاملة للمعجزات والارهاصات وغيرها. منها ماجمعة المحدثون من لروايات في ذلك من صحيح وضعيف ومنكر وموضوع اعتماداً على تمييز العلماء بينها من أسانيدها ومن أشهرها دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم وللحافظ البيهقي، ومن أجمعها كتاب الخصائص الكبرى للسيوطي. ومنها كتب لمن بعدهم من الذين يجمعون كل مايرونه في الكتب من مختصر ومطول

وقد اختار الاستاذ الفاضل محمد افندي عبد الوهاب من موظفي وزارة الحربية طائفة من هذه الآيات نقلها كما قال من الصحيحين وتيسير الوصول والسيرة الحلبية وسيرة ابن هشام وزاد المعاد والجواب الصحيح ونور اليقين — ولكنه ينقل عن غيرها بتعيين لما ينقل عنه كدلائل النبوة وبدون تعيين ويذكر بعض الآيات بدون عزو الى كتاب.

وكان قد اقتصر في المقدمة على ذكر النقل من الصحيحين والسيرتين ثم زاد عليها في خاتمته ماذكرنا من الكتب وقد علمت انه زاد على كل ماذكره فيها

واعتذر في كلمته الختامية عن نقل مالم يصح عند المحدثين من تلك المعجزات بان في الصحاح مايزيل استبعاد وقوعها. ولكن ينبغي أن يكون المانع من نقل مالا يصح أنه لايصح لا أنه مستبعد، فاذا نقل وجب أن يبين درجته عند إيراده واستغنى المؤلف عن هذا باعتذاره عنه وهو أقل مايجب

وقد جعل المؤلف ربح هذا الكتاب وهو مايزيد من ثمنه على نفقة طبعته إعانة لفقراء الحجاز فكل من يشتري منه شيئا يكون شريكا له في هذه الصدقة فنحث قراء المنار على ذلك. وصفحات الكتاب ١٥٨ وهو يطلب من مؤلفه في منزله عدد ٦٣ حارة عنبر شارع حيضان الموصلي بالدرب الاحمر بمصر

العبرة بسيرة الملك فيصل

(رحمه الله تعالى)

— ٩ —

مسألة أجنبية عن الترجمة ولكنها من صميم القضية السورية والامة العربية

يوم الجمعة أول شوال ١٨ يونيو

كنا قررنا أن يجتمع ديوان رياسة المؤتمر (بعد تعطيل الجلسات لأجل العيد) أمس فجاء الشيخ عبد القادر الخطيب مبكراً فتكلمت معه في الخلل والاضطراب الذي حصل أخيراً في المؤتمر فشوه سمعته الحسنة ، وفي وجوب التعاون على تلافيه ، ولما جاء عزت افندي دروزه (السكرتير) وصلاح الدين افندي (من الاعضاء) قال الخطيب (في وجوههما) ان أعضاء إدارة المؤتمر مقصرون في حقوق الرئيس إذ تركوه ولم يساعدوه على حفظ النظام حسب القانون

فاعتذر عزة افندي دروزه (عن نفسه) بأنه ترك القعود حول الرئيس لأجل البحث في مواد القانون . فذكرهم الخطيب بما كان من معاونتهم للرئيس السابق هاشم بك الاتاسي اه

ولما اجتمع ديوان الرياسة أول مرة بعد العيد وكان ذلك في ٦ شوال (٢٣ يونيو) صرح صلاح الدين افندي بأن أعضاء الادارة قصروا في معاضدة الرئيس عمداً لانه من العلماء ! وقد كتبت كلمة صلاح الدين افندي الحرة في أعلا صفحة مذكرتي من ذلك اليوم وذكرتها هنا لمناسبتها لما قبلها

وأقول الآن ان عزة افندي دروزه من أركان حزبنا وكان يلازم كرسي رئيس المؤتمر ويقوم معه بأهم أعمال حفظ النظام وغيرها ، ولكنه صار يتركني وينزل من مكانه في منصة الرياسة بالقرب مني ويجلس مع الاعضاء ، وأما الشيخ عبد القادر الخطيب فكان معارضاً لحزبنا من جهة ، وكان بيني وبينه غاية التباين في الافكار

والاصلاح الديني، وانما أظهر نصري في هذه المسألة أو إنكارها علناً لأنه كان يعتقد أن الافندية من حزبنا قد عز عليهم أن يكون رئيس المؤتمر عالما دينياً معمما ، وأحبوا أو أرادوا أن يظهر عجزه عن القيام بجميع حقوق الرياسة ، فليعتبر المسلم بهذا ففيه عبر كثيرة ولا أزيد عليه في هذا الاستطراد شيئا !!!!

أحاديث عيد الفطر في دمشق

﴿ يوم السبت ٢ شوال سنة ١٣٣٨ الموافق ١٩ يونيه (حزيران) سنة ١٩٢٠ ﴾

اجتمعنا في الليلة البارحة في دار جميل مردم بك (على موعد سابق) : أنا وصاحب الدار وناظر الخارجية (الدكتور عبد الرحمن شهبندر) وناظر الحربية (يوسف بك العظمة) والشيخ كامل قصاب (رئيس اللجنة الوطنية) وخالد أفندي الحكيم ، وقد تأخرت عن الموعد لكثرة زائري العيد حتى بعد العشاء ، وموضوع الاجتماع المفاوضة في الوفد الذي يرسل الى أوربة لاجل القضية السورية

سأل وزير الخارجية عن القاعدة التي يبني عليها الوفد مطالبه ؟

قلت : لا قاعدة عندنا إلا قرار المؤتمر السوري

قال الوزير : تعني الاستقلال التام الناجز ووحدة سورية بدخول فلسطين ولبنان فيها على أن يكون للبنان الخيار في شكل إدارته بدون تدخل أجنبي ؟

قلت نعم : ووافقني الاستاذ الشيخ كامل

قال الوزير إن معنى هذا رفض قرار مؤتمر (سان ريمو)

قال الاستاذ الشيخ كامل : فليكن ، قال إذاً لا حاجة الى السفر

وبعد بحث (دار بين الحاضرين كلهم) قال وزير الحربية انه بلغه عن ثقة أن مؤتمر سان ريمو لم يقرر في شأننا شيئا قطعيا

قال وزير الخارجية : أنا لا أعتد بهذه الاشاعات ، عندنا شيء قطعي هو بلاغ اللورد اللنبي عن حكومته أن المؤتمر قرر الاعتراف باستقلال سورية والعراق على قاعدة الانتداب وان فرنسة انتدبت لسورية وانكلترة للعراق وفلسطين ، فاما أن نرفض هذا القرار ولا حاجة حينئذ للوفد ، واما ان نعترف به . ونبحث

معهم في معنى الانتداب ونطالب ألا يمس سلطاننا القومي

قلت بل يحتج الوفد على القرار بمخالفته للمادة ٢٢ من معاهدة فرسايل ويبني مطالبه على هذه المادة . وفصلت ذلك . ثم انصرفنا على عزم العودة الى البحث في جلسة أخرى (انظر مذكرة بعد غد)

يوم الاثنين ٤ شوال ٢١ يونيو

اجتمعت البارحة برئيس الوزارة (هاشم بك الاتاسي) وصباح اليوم بالملك فيصل ، وهو الاجتماع الاول بعد عودته من حلب وتكلمنا في مسألة الوهابية

(حديث مع سمو الامير زيد في مسألتين)

(١) ضعف الحكومة السورية وتدخل الملك فيصل

لما زرني الامير زيد زيارة العيد تكلم معي في مسألة ادارة الحكومة السورية فذكرت له بعض ما يجب لتلافي ضعفها فدعاني الى الغداء معه أمس (وكان الحديث قبله ثاني يوم العيد) لنتوسع في الكلام على انفراد فأجبت . وكان مما اعترف به فساد كثير من رجال البلاط (حاشية الملك) وقال انه يجب تنظيفه من مثل الشيخ (ف . خ) واعتذر عن تدخل الملك في الاعمال بضعف الحكومة وعجزها

قلت ان الواجب عليه اصلاحها لا التصرف الشخصي الذي يزيدها خللا (١)

(٢) مسألة العداء بين الهاشميين وابن سعود

وأخبرني (الامير) بعودة الرسول (... شلاش) الذي ذهب بكتابي وكتاب الملك الى ابن سعود وقال ان ابن الرشيد يود الاتفاق مع شرفاء مكة ، وان ابن سعود مراوغ - أو ماهذا معناه أو مؤداه

ثم ان رئيس الامناء (احسان بك الجابري) أطلعني في المساء - أي مساء أمس (٣ شوال) على كتاب ابن سعود للملك فيصل ، وهو ودي ، وعلى ملحق سياسي له بغير امضاء ولا ختم (كعادته) ينحى فيه باللائمة على الملك حسين ويقول انه لا يود الاتفاق

(١) كان الحديث بيني و بين الامير زيد في ضعف الحكومة واستبداد الملك يصل فيها طويلا مريحا ملأني اعجابا بحريته وذكائه وقليل ما كتبته يشير الى كثيره

ولكن الملك فيصلا يتوقع زحف الوهابية على الحجاز وطلب من الوزارة جيشا سوريا لحماية المدينة المنورة منهم ، والا ترك الملك وذهب لقتالهم مع أبيه

الوحدة العربية

(إيضاح لمسألتها بيني و بين الملك فيصل)

انني على قلة عنايتي بكتابة المذكرات قد كتبت منها أهم مادار بيني وبين الملك فيصل لاجل الرجوع اليه اذا استمر التعاون بيننا على العمل للقضيتين : قضية الوحدة العربية ، وقضية الجامعة الاسلامية اللتين لاتقوم إحداها الا بالاخرى ، ولم أقصد بكتابتها أن تكون مادة لكتابة تاريخ لهما لان وقتي لا يتسع لذلك مع ما أقصده من الاصلاح الاسلامي العام

ومما أزيده من الايضاح على ما كتبت في هذه المذكرة أن الملك فيصلا فتح جواب ابن سعود الذي أرسله إلي مع الرسول (شلاش) الذي حمل الكتاب إليه مع إبقاء ظرفه سليما وأرسله إلي ملصقا ولكن ضعف صمغ الظرف عند فتحه بعرضه على بخار الماء فعلمت أنه فتح قبل إرساله إلي ولكنني تجاهلت ذلك ، وهو جواب عن كتابي الاول الذي كتبته في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨ وأرسل في أوائل رجب لا الكتاب الثاني الذي كتبته في اليوم الثالث من رمضان وأخبرني الملك على مائدة الافطار مساء ١٢ منه انه أرسله مع الوفد الذي كان قرر ارساله الى الامير ابن سعود ، وذكرته في مذكرة ذلك اليوم وانه تبين لي بعد انه لم يرسله ، وما أدري متى أرسله بعد ذلك

وكان الكتاب الاول مطولا ذكرته فيه بما كنت كتبته اليه عن مشروعي للوحدة العربية وأرسلته مفصلا الى إمام اليمن ومجملا لى سموه والى السيد محمد الادريسي الكبير ، وبما حال من التواصل بيننا في أثناء الحرب العامة اذ أرسلت اليه رسولا ليعرض له رأيي فيها وفي القضية العربية الكبرى

ثم قلت فيه : «واكتفي الآن بجنوحكم للسلم مع الحجاز وقبولكم دعوة الوحدة العربية على القاعدة التي بيناها في هذا الكتاب .... ومتى جاء في خطكم مصرحا بهذا وجاء خط

ملك الحجاز لولده الامير فيصل بمثله نشرع في وضع قواعد الاتفاق العربي العام الخ

وذكرت له فيه إنني مرسل إياه مع الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار « وهو خير ثقة من أهل العلم والصلاح هنا فثقوا به فيما يبلغكم عني ويبلغني عنكم وان كان غير متمرس بالسياسة على انني لقنته مالا بد له من العلم به من الاحوال الحاضرة »

وقد سافر رسولي الاستاذ البيطار مع رسول الملك رمضان شلاش ولكنه عرض له عند حدود الحجاز ما أعجزه عن مواصلة السفر الى نجد فأعطى كتابي لرفيقه وأرسلته الحكومة الى المدينة المنورة ومنها عاد الى دمشق

وقد كان جواب الامير ابن سعود لي ثناء علي وإطراء فوق المعهود من أسلوب ابن سعود في كتبه ورسائله لحكمة ظاهرة وفيه استحسان للدعوة إلى الاتفاق والاتحاد بالاجمال وانه يحتاج الى الدرس وانه سيخبرني بما يتراءى له من التفصيل ، وهو مختوم بخاتمه المعروف ، وفيه ملحق وجيز بخطه دون ختمه قال فيه « أيها الاستاذ الاكرم جميع ماذكرتم في كتابكم حق ومعقول ولكن ليس بخاف على سيادتكم أن الاقوال واحدة والافعال مختلفة ، كل تابع هواه » ثم ذكر أن رسولي لو وصل اليه لعرفه كل ما في ضميره وانه يستحسن أن أرسل اليه رسولا عاقلا دينا بصفة تاجر من طريق بمبي (الهند) ليعرفه جميع مافي الخاطر ، وقد أعطيته للملك فيصل مع ملحقه لاعتقادي أنه قرأهما قبلي ، ولولا هذا لكان مقتضى الامانة والمصلحة أن أكتم الملحق عنه مع بقاء السعي والتوسل للثقة بينهما . ومما يدل على أنه كان قرأه أنه لم يطل النظر فيه بل أعاده إلي بدون تريث ولا بطء

وقد اشتد سخطه بعد عودة الرسول من نجد على ابن سعود وخوفه من زحفه على الحجاز وانقطع بحثنا في مسألة الوحدة العربية أياما

وأما كتابي الثاني في أوائل رمضان لسموه فهو مبني على قبول الملك حسين للاتفاق معه الذي عرضه عليه ولده الملك فيصل بالاتفاق معي ، وقد كتبته بعد وصول جوابه عن الاول كما علم مما تقدم

وأما طلب الملك فيصل من الوزارة أن تجهز جيشا سوريا لقتال ابن سعود كما يوجب عليه والده فقد أجابته الوزارة عنه جوابا سلبيا وأن كل ما تسمح به هو

أن يتطوع من شاء من السوريين لهذه المساعدة بشرط أن تكون نفقتهم على حكومة الحجاز وأن تكون حكومة سورية على الحياد ، ولكن أخطأ الظن ولم يزحف ابن سعود بالجيش الوهابي على الحجاز في ذلك العهد وعدنا الى سعينا للوحدة العربية إلى أن أنذره الجنرال غورو الزحف على سورية ، وأذكر هنا آخر كلمة لي في مذكراتي بدمشق في هذه المسألة بعد تمهيد وجيز وهو :

كان اقترح علي الملك فيصل أن أكتب له القواعد أو الاسس التي ارتأيت أن تبنى عليها دعوة أمراء جزيرة العرب للمحالفة لاجل المناقشة فيها قبل تبييضها وكتابة لدعوة فكتبتها ولما عرضت فكرة الخوف من زحف الوهابية على الحجاز امتنعت من اطلاعه عليها حتى اذا انجلى ذلك العارض عرضتها عليه فقال دعها لي حتى أتأمل فيها وبعد ان تأمل فيها مراراً قال لي إنني موافق عليها كلها لم أستطع زيادة كلمة فيها ولا نقص كلمة منها ، وهاك الكلمة الوجيزة التي كتبتها في مذكراتي عنها :

يوم الاحد ١٧ شوال ٤ يوليو (تموز)

أطلعت الملك فيصل على البرنامج الذي رأيت جعله أساسا لدعوة أمراء جزيرة العرب للاتفاق والحلاف فأعجبه جدا ، بل أعجب به جدا ، وقال : أنا أوافق عليه أنا واخوتي علي وعبدالله وزيد وكل ذي كلمة وفهم في مكة ، ولا يمكن أن يغلب سيدنا (يعني والده) علينا كلنا ويرفضه ، بل نتعهد بقبوله إياه ، وتواعدنا على المذاكرة التفصيلية فيه غدا ، ووعدني بأن لا يطلع عليه أحدا قط ولا احسان الجابري اه

ولكنني في ضحوة اليوم التالي (الاثنين) حلفت احسان بك يمين جمعية الجامعة العربية وكتبت فيه أنه سألني بعد القسم هل يحنث باليمين من يوافق على احتلال الاجانب بعض البلاد لانقاذ البعض الآخر ؟ قلت نعم

(ونم صارت ثقتي باحسان بك أقوى من ثقتي بجلالته في مسألة الوحدة العربية لانها عند إحسان مطلقة وعند فيصل مقيدة بمصلحته ومصلحة والده).

﴿ عود الى مسألة الوفد السوري ﴾

يوم الثلاثاء ٥ شوال ٢٢ يونيو

اتفقت أمس مع وزير الخارجية بعد كلام في مهمة الوفد السوري الذي سيسافر إلى أوربة على الاجتماع ليلا في دار مستشارها جميل مردم بك لبسط الحديث وتقرير ما نراه — فاجتمعنا البارحة وكان ثالثنا (غير صاحب الدار) وزير الحربية يوسف بك العظمة ورابعنا وزير المعارف ساطع بك الحصري وخامسنا خالد أفندي الحكيم ولم يبلغ الشيخ كامل موعد الاجتماع

وبعد البحث اتفقوا على رأيي الذي كررته وهو أن تكون قاعدة مطالب الوفد قرار المؤتمر السوري والاحتجاج على قرار مؤتمر سان ريمو لمخالفته المادة ٢٢ من معاهدة فرسايل والبحث في معنى المساعدة الاستشارية المقررة في تلك المادة واشتراطه أن لاتمس الاستقلال التام — وأن يكون الرأي فيها للامة — وأن لايقر الوفد على شيء نهائي بل يحمل ما يتقرر إلى البلاد ويعرضه على مؤتمرها النيابي (كذا ولعل المراد مجلسها النيابي إذ كان مقرراً) ليقرره أو يرفضه أو يطلب تعديله .

حالة الحكومة السورية وملكها وشعبها

يوم الاربعاء ٦ شوال ٢٢ يونيو

تكلمت في جلسة ليلة الثلاثاء مع بعض الوزراء في مسألة الاجتماعات السرية التي يعقدها بعض وجهاء دمشق ومعمميها الموالين لفرنسة وزعماؤهم رضا باشا الركابي والشيخ عبد المحسن الاسطواني والشيخ محمود أبو الشامات والشيخ أسعد الصاحب والشيخ أديب تقي الدين والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد الحميد العطار و..... وقد بلغ الحكومة أنهم قرروا إرسال وفد الى فرنسة ليطلب انتدابها لجميع سورية ، وألقى الحاضرون التبعة في اهمال ما يجب من تربيتهم على ناظر الداخلية « رضا بك الصلح » فقلت إن مثل هذا العمل يجب أن يكون بقرار

مجلس الوزراء لا بأمر وزير الداخلية وحده لأنه يتعلق بالسياسة والادارة العامة ولا بد من الوقائع الموضعية

واليوم زارني وزير الداخلية وأخبرني بضغط زملائه عليه وأنه رفع استقالته الى الملك وطلب مني تعضيده، فدل هذا على أنه يود أن لا يقبل الملك استقالته ليكون مركز الوزارة قويا أمام يوسف بك العظمة وزير الحربية وأعوانه كوزير المعارف ورئيسهم، وسبب هذا الشقاق أن رضا بك الصلح يرى أنه أحق برياسة الوزارة ويميل إلى كبراء الشام المؤسسين للحزب الوطني الأنه أرستقراطي مثلهم) ولا يوافق زملاءه المخالفين على الضغط عليهم، ولا على مساعدة العصابات في جبال عامل ولا في غيره، وهو المصيب في هذه المسألة فان العصابات الموضعية تخرب البلاد بأيديها وأيدي السلطة الفرنسية وتسفك الدماء بدون نتيجة مفيدة، وانما يعقل الاستعانة بالعصابات إن وقعت بشرط أن تكون عامة (لا موضعية) كما قلت للملك فيصل وغيره مراراً. وقد طلبوا منه (أي وزير الداخلية) عزل رئيس البلدية الذي طعنت فيه اللجنة الوطنية وغيرها قولا وكتابة فلم يقبل فاشتد النفور بينه وبين المسلمين (كذا) من أعضاء الوزارة فاستقال — وسأسعى لعدم قبول استقالته اه

يوم الجمعة ٨ شوال ٢٥ يونيو

كلمت رئيس أمناء الملك إحسان بك الجابري في مسألة استقالة رضا بك الصلح فوافقني على السعي لعدم قبولها، وقال إنها لا تزال في جيبه لم يقدمها الجلالة الملك لعل رضا بك يستردها اه (١)

(١) كان بيني وبين رضا بك الصلح رحمه الله تعالى صداقة ومودة شخصية وكنت احب المحافظة عليه في الوزارة لمكانة اسرته وتمثيله لبيروت في حكومة سورية وأما وجهاء دمشق المشار اليهم فلم يكن بيني وبين أحد منهم مودة ولا عداوة إلا علي رضا باشا الركابي كنا صديقين وقد ذكرنا ما وقع بيننا من الفتور في قلب المودة

المنار

١٣١٥

تنبيه : يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص ومؤرخا عليه بتوقيع منشئ المجلة والمستلم ويجب الدفع مسلفا

اشتراك : عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) في مصر و ٢٥ غلنا فيما في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

﴿لمنشئها﴾

السيد محمد رشيد رضا

﴿سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة﴾

﴿كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين﴾

﴿عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤﴾

﴿والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩﴾

﴿المجلدات الثاني والثالث والخامس من المنار﴾

مطلوبة لدار المنار فنرجو ممن توجد عنده كلها أو بعضها ويرغب أن يستبدل بها غيرها من المجلدات أو من تفسير المنار أو غيره من مطبوعات المنار أن يخاطبنا في ذلك

﴿شبهات النصارى وحجج الاسلام﴾

ونحتاج لنسخة من هذا الكتاب وهو من تأليف صاحب المنار ونعطي بدله نسخة من كتاب الوحي المحمدي أو كتاب المنار والازهر أو رسالة التوحيد أو تفسير الفاتحة مع السور الست من خواتيم القرآن

﴿ فهرس الجزء السادس للمجلد ٣٤ من المنار ﴾

(تفسير القرآن الحكيم)

عدم فقه قوم شعيب لكثير من قوله وتهديدهم له بالرجم لولا رهطه وانكاره عليهم نسيان الله في ذلك كامثالهم وتهديده لهم بالعاقبة ٤٠٢

وقوع الوعيد باهلاكهم بالصاعقة ٤٠٤

عاقبة فرعون وملائه مع موسى النار واللعنة في الدارين ٤٠٦

العبرة في قصص الرسل باهلاك الاقوام الظالمة وعذاب الآخرة ٤٠٨

يوم القيامة يجمع الناس له وباليوم المشهود ذي الاجل المعدود و بأنه لا تتكلم فيه نفس الا باذنه تعالى و بانقسام المكلفين فيه الى شقي وسعيد ٤١٢

توفية الكفار جزاء أعمالهم تاما ٤١٧

شك أهل الكتاب في كتابهم ٤١٨

الاستقامة وأمر النبي (ص) ومن معه بها ٤٢١

نهيهم عن الركون الى الذين ظلموا واغلاط المفسرين فيه ٤٢٤

تحقيق مسألة طاعة الائمة والأمراء ٤٣٦

(فتاوى المنار)

(٢٣) المرأة البرزة تخطب الرجال ٤٤١

(٢٤ و ٢٥) حكم قتل العمد وكيفية تنفيذ القصاص فيه ٤٤٣

(٢٦) حكم الصيال اذا قتل الصائل ٤٤٤

(٢٧ و٢٨) حكم اليانصيب ٤٤٥-٤٤٧

(٢٩) حكم حبس الوحوش والطير وغيرهما ٤٤٨

(٣٠) شبهات على تحريم اليانصيب في المنافع العامة ٤٤٨

باب المقالات

تصدير كتاب المنار والازهر ٤٥١

كلمة جديدة في « والشيخ الظواهري ٤٥٩

مباحث الربا والاحكام المالية

سلب الافرنج ثروة المسلمين وسببه والمخرج منه ٤٦٦

اضاعة الدين بالزام المقلدين للائمة اتباع آرائهم فيه ٤٦٧

أصل فطرة الله ودينها في منافع الدنيا الاباحة ٤٦٨

اكمال الله الدين وما فوضه من التشريع للمسلمين ٤٦٩

ما فوضه الله لعباده من أحكام الدنيا ٤٧٠

اجتهاد الفقهاء لا يثبت عقيدة ولا تحريما ٤٧١

التحريم الديني حق الله وحده ٤٧٢

رمضان موسم العبادة الروحية البدنية الاجتماعية ٤٧٣

ترك الصيام منه كفر ومنه معصية ٤٧٤

وفيات الاعيان. الشيخ محمد الجسر ٤٧٥

مزايا الفقيد في القضاء والسياسة ٤٧٦

ترشيح الشيخ نفسه لرياسته للجمهورية وترجيح جميع الطوائف له ٤٧٧

غاية مصطفى كمال من مراحله ٤٧٨

مطبوعات جديدة السنن والمبتدعات ٤٧٩

الثورة العربية الكبرى ٤٨٠

(الجزء السادس) ٤٠١ (المجلد الرابع والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب
المنار
أنشئت ١٣١٥
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

٣٠ شعبان سنة ١٣٥٣ برج القوس سنة ١٣١٣هـ ش ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٤

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(٩١) قَالُوا يٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩٢) قَالَ يٰقَوْمِ أَرَهْطِيَ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٣) وَيٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٤) وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ

فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٥) كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ، أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ

هذه الآيات الخمس في بيان تحول قوم شعيب عن مجادلته بالتي هي أحسن إلى الاهانة والتهديد، ومقابلته إياهم بالانذار بقرب الوعيد، ونزول العذاب الشديد، ووقوع ذلك بالفعل العتيد

٩١ ﴿ قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول ﴾ حققنا في تفسير سورة الاعراف (٧ : ١٧٩) أن الفقه في اللغة أخص من الفهم والعلم وهو الفهم الدقيق العميق المؤثر في النفس الباعث على العمل (١) أي مانفقه كثيراً مما ترمي مما وراء ظواهر أقوالك من بواطنها وتأويلها كبطلان عبادة آلهتنا وقبح حرية التصرف في أموالنا، وعذاب محيط بيدينا ، واصابتنا بمثل الاحداث الجوية التي نزلت بمن قبلنا ، كأن أمرها بيدك وتصرفك أو تصرف ربك ، يصيب بها من تشاء أو يشاء لأجلك ، ﴿ وانا لنراك فينا ضعيفا ﴾ لاحول لك ولا قوة تمتنع بها منا إن أردنا أن نبطش بك ، وأنت على ضعفك تنذرنا العذاب المحيط الذى لايفلت منه أحد ﴿ ولولا رهطك ﴾ أى عشيرتك الاقربون — والرهط الجماعة من الثلاثة إلى السبعة أو العشرة ﴿ لرجمناك ﴾ لقتلناك شر قتلة وهي الرمي بالحجارة حتى تدفن فيها ﴿ وما أنت علينا بعزيز ﴾ أي بذي عزة ومنعة علينا تحول بيننا وبين رجمك ، وإنما نعز رهطك ونكرمهم على قلتهم لانهم منا وعلى ديننا الذي نبذته وراء ظهرك ، وأهنته ودعوتنا إلى تركه لبطلانه وفساده في زعمك

٩٢ ﴿ قال ياقوم أرهطي اعز عليكم من الله ؟ ﴾ هذا استفهام إنكاري أي أرهطي أعز وأكرم عليكم من الله الذي أدعوكم اليه بأمره ﴿ واتخذتموه وراءكم ظهريا ﴾

(١) يراجع في ص ٤٢٠ ج ٩ تفسير

أي أشركتم به وجعلتموه كالشيء اللَّقا الذي ينبذ وراء الظهر لهوانه على نابذه وعدم حاجته اليه فينسى حتى لا يحسب له حساب . تقول العرب : جعله بظهر وظهريا واتخذه ظهريا بالكسر والتشديد أي نسيا منسيا لا يذكر كأنه غير موجود، وكسر الظاء من تصرفهم في النسب ، وكان القوم يؤمنون بالله ويشركون به ، ولا عجب من حالهم هذه فانه شأن أكثر الناس اليوم، لا يراقبون الله في أقوالهم ولا في أعمالهم فيرجوه إذا أحسنوا ، ويخافوه إذا أساءوا ، أو فيمتنعوا عن الاساءة ويتسابقوا إلى الاحسان ابتغاء مرضاته ﴿ ان ربي بما تعملون محيط ﴾ علما فهو يحصيه عليكم ويجزيكم به ، وأما رهطي فلا يستطيعون لكم ضراً ولا نفعا

٩٣﴿ ويا قوم اعملوا على مكانتكم ﴾ هذا أمر تهديد ووعيد من واثق بقوته بربه ،على انفراده في شخصه ، وضعف قومه على كثرتهم ،وإدلالهم عليه وتهديدهم له بقوتهم، أي اعملوا ما استطعتم على منتهى تمكنكم في قوتكم وعصبيتكم [من مكن مكانة كضخم ضخامة -- إذا تمكن كل التمكن مما هو فيه وبصدده] أو على مكانكم الذي أنتم فيه إذ يقال مكان ومكانة [كمقام ومقامة] ﴿ اني عامل ﴾ على مكانتي التي أعطانيها أو وهبنيها ربي من دعوتكم الى التوحيد وأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر ﴿ سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب ﴾ هذا تصريح بالوعيد بعد التلميح له بالامر بالعمل المستطاع ، وهو جواب سؤال مقدر على طريق الاستئناف البياني ، ولذلك لم يقرن بالفاء كقوله في سورة الانعام (٦: ١٣٤ قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) اذ المراد هنالك أن ماقبل سوف سبب لمابعدها ، وقطعها هنا أشد مبالغة في الوعيد والتهديد لاقتضاء تهديد الكفار اياه بالرجم، أن يبالغ في تهديدهم واظهار عزة الله ورسوله بالحق،فان قلتم ماذا يكون من أمرك ؟ أقل لكم سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويذله ؟ أنا أم أنتم ؟ ، ومن هو كاذب في قوله ومن هو صادق مني ومنكم ؟وقد كانوا أنذروه غير الرجم الذي وجد المانع منه : أنذروه انذاراً مؤكداً بالقسم ما حكاه الله عنهم بقوله (٧: ١٨ قال الملأ الذين استكبروا من قومه

لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) الخ فهو يعرض بكذبهم في كل ماصدر عنهم مما حكاه الله عنهم هنا وهناك ، موقنا بوقوع ما أنذرهم به، وهو برهان على أنه على بينة من الله به ﴿ وارتقبوا إني معكم رقيب ﴾ وانتظروا مراقبين لما سيقع إني معكم مرقب منتظر له . رقيب هنا بمعنى مراقب، كعشير بمعنى معاشر ، ويجوز أن يكون بمعنى فاعل

٩٤ ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ بعذابهم الذي أنذروه ﴿ نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ خاصة بهم دون أحد من القوم كما تقدم مثله قريبا ﴿ وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ﴾ أي أخذتهم صيحة العذاب التي أخذت ثمود فأصبحوا كلهم ميتين باركين على ركبهم، مكبين على وجوههم في ديارهم

٩٥ ﴿ كأن لم يغنوا فيها ﴾ أي كأنهم لم يقيموا فيها وقتا من الاوقات ﴿ ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ﴾ أي هلاكا لهم وبعدا من رحمة الله كبعد الهلاك واللعنة التي عوقبت بها ثمود من قبلهم فانهما من جنس واحد وهو الصيحة كما في الآية ٦٧ وسيأتي مثله في سورة الحجر أولا في قوم لوط (١٥ : ٧٣) وذكرنا في قصتهم هنا ، وثانيا في أصحاب الحجر وهو ثمود (٨٣ فأخذتهم الصيحة مصبحين) وكذا في سورة المؤمنون بدون تصريح باسمهم (٢٣ : ٤١ فأخذتهم الصيحة بالحق) وفي سورة القمر (٥٤ : ٣١ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) وتقدم في عذاب ثمود ومدين من سورة الاعراف انهم أخذتهم الرجفة كما في آيتي ٧ : ٧٧ و ٩٠ [ومثلهما آية ١٥٥ في السبعين المختارين من قوم موسى] وسيأتي أيضا في مدين من سورة العنكبوت (٢٩ : ٣٧ فكذبوه فأخذتهم الرجفة) الخ وفي سورة فصلت [حم السجدة] في ثمود (٤١ : ١٧ فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون) وفي سورة الذاريات (٥١ : ٤٤ فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) فعلم بهذا ان المراد بالصيحة صوت الصاعقة ، وفي [٢ : ٥٥ و ٤ : ١٥٢] ان الصاعقة أخذت بني اسرائيل الذين قالوا لموسى : أرنا الله جهرة ، ولكن الله

تعالى أحياهم عقبها . والرجفة هي الهزة والاضطرابة الشديدة ، وهي تصدق باضطراب أبدانهم وأفئدتهم كارضهم، فالجامع بين هذه الالفاظ ان الله تعالى أرسل على كل من ثمود ومدين صاعقة ذات صوت شديد فرجفوا أو رجفت أرضهم وزلزلت من شدتها وخروا ميتين ، فكانت صاعقتهم أشد من صاعقة بني اسرائيل ، لان هذه تربية لقوم نبي في حضرته ، وتلك صاعقة كانت عذاب خزي وهوان لمشركين ظالمين معاندين أنجى الله نبي كل منهم قبلها، وأما قول بعض المفسرين رواية اسرائيلية وبعضهم تقليداً ان الصيحة التي أخذت ثمود ومدين كانت صيحة من جبريل عليه السلام فهو من أخبار الغيب التي لا تقبل لا من نصوص الوحي ، ولا نص فتعين انه من الرجم بالغيب . وقد بينا أسباب الصواعق مراراً آخرها في تحقيق الجمع بين هذه الآيات في هلاك ثمود من سورة الاعراف (*

ومن دقيق نكت البلاغة في الآيات قوله تعالى في إهلاك مدين هنا (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا) الخ فعطف [لما] على ماقبلها بالواو، ومثله في قوم هود ، ولكنه عطفها بالفاء في قصة ثمود [٦٦] وقصة قوم لوط . ووجه هذا الأخير ان الآيتين جاءتا عقب الانذار بالعذاب، واستحقاقه وحلول موعده فعطفتا بالفاء الدالة على التعقيب . وأما عطف مثلها في قوم هود وقوم شعيب فليس كذلك فعطف بالواو على الاصل في العطف المطلق . أما الاول فظاهر لانه ليس قبل الآية وعيد بالعذاب وأما الثاني ففيه وعيد مسوف فيه مقرون بالارتقاب لا الاقتراب ، فلا يناسب العطف عليه بالفاء التي تفيد التعقيب بدون انفصال ، فهل تصادف هذه الدقائق اللغوية في غير القرآن ؟

*) تراجع في ص ٥٠٧ ج ٨ طبعة اولى

﴿ ختم قصص الرسل بآيات من قصة موسى وفرعون ﴾

(٩٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٧) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٨) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ

حكمة هذه الآيات الاربع من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه هي الاعلام بأن عاقبة فرعون وأشراف قومه اللعنة والهلاك ككفار اولئك الاقوام الظالمين ولكن عذاب الخزي لم يشمل جميع قوم فرعون لما بيناه من قبل ولم نر أحداً سبقنا إلى مثله. ولما كان إرسال موسى إلى فرعون لا يصح أن يعطف على إرسال شعيب إلى مدين لانه لا يشاركه في نوعه المشترك مع إرسال صالح وهود ـ عطف على قوله [ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى] وقد بينا حكمة اختلافه عما قبله فراجعه.

٩٦ ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ﴾ أي بآياتنا التسع المعدودة في سورة الاسراء والمفصلة في غيرها [وقد سبق ذكرها في قصته من سورة الاعراف] وسلطان مبين أي وبرهان واضح البيان، وهو ما آتاه الله من الحجة البالغة في محاوراته مع فرعون. وقيل هي العصا لانها أكبر آياته، وعطفها على ما قبلها من عطف الخاص على العام، ولكن الله قال (ومانريهم من آية إلا هي اكبر من أختها)

٩٧ ﴿ إلى فرعون وملئه ﴾ بينا مراراً ان الملأ أشراف القوم وزعماؤهم وأضافهم إلى فرعون وخصهم بالذكر لانهم أهل الحل والعقد والاستشارة في دولته الذين كان يسألهم رأيهم في موسى وفي غيره ويعهد اليهم بتنفيذ ما يتقرر من الامور كمسألة السحرة، وإنما يذكر قومه في مقام الاتباع له في الكفر والظلم وعذاب الآخرة دون عذاب الاستئصال ﴿ فاتبعوا أمر فرعون ﴾ في كل ما قرره من الكفر

بموسى وجمع السحرة لابطال معجزته ، ومن قتل السحرة لايمانهم به ، ومن تشديد الظلم على بني اسرائيل بتقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم ، وغير ذلك مما هو مفصل في قصته من السور الاخرى ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ أي ما شأنه وتصرفه بذي رشد وهدى بل هو محض الغي والضلال ، والظلم والفساد ، في غروره بنفسه ، وكفره بربه ، وطغيانه في حكمه وماذا يكون جزاؤه مع قومه في الآخرة؟ الجواب:

٩٨ ﴿ يقدم قومه يوم القيامة ﴾ أي يتقدمهم ويكونون تبعاً له في ذلك اليوم كما كانوا تابعين له في الدنيا إلا من كان مؤمنا ﴿ فأوردهم النار ﴾ أي فيوردهم نار جهنم معه أي يدخلهم إياها ، فلا يراد هنا بمعنى الادخال كما استعمل الورود بمعنى الدخول ، وعبر عنه بالفعل الماضي لتحقق وقوعه . وقيل ان المراد انه باغوائه إياهم قد جعلهم مستحقين لها ، وقد ورد أنهم يعرضون عليها منذ ماتوا صباحا ومساء من كل يوم وهو قوله تعالى (٤٠ : ٤٥ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ٤٦ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ، ويوم تقوم الساعة : أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)

﴿ وبئس الورد المورود ﴾ هي لان وارد الماء يرده لتبريد كبده وإطفاء غلته من حر الظمأ ، ووارد النار يحترق فيها احتراقا ، وفيه اشارة الى الخيبة

الورود في أصل اللغة بلوغ الماء وموافاته في مورده من نهر وغيره . والورد بالكسر اسم المصدر ، ويطلق على الماء ، يقال ورد البعير أو غيره الماء يرده وروداً ، فهو وارد والماء مورود ، وأورده إياه إيراداً جعله يرده ، ومنه ورود جهنم بمعنى دخولها . قال ابن عباس (رض) في الآية : الورود الدخول . وقال الورود في القرآن أربعة أوراد : في هود قوله (وبئس الورد المورود) وفي مريم (وإن منكم إلا واردها) وورد في الانبياء (حصب جهنم أنتم لها واردون) وورد في مريم أيضا (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) وكان يقول : والله ليردن جهنم كل بر وفاجر (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً)

٩٩ ﴿ وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ﴾ أي وألحقت بهم في الدنيا لعنة أتبعهم

الله اياها بقوله (٢٨ : ٤٢ وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين) وقال هنا ﴿ ويوم القيامة ﴾ أي وأتبعوا يوم القيامة لعنة أخرى فهم يلعنون في الدنيا والآخرة . وقد سمى هذه رفداً تهكماً بهم فقال ﴿ بئس الرفد المرفود ﴾ الرفد (بالكسر) في أصل اللغة العطاء والعون : يقال رفده (من باب ضرب) أعانه وأعطاه ، وأرفده مثله ، أو جعل له رفداً يتناوله شيئا فشيئا ، فرفده وأرفده كسقاه وأسقاه ، وبئس الرفد المرفود أي العطاء المعطى هذه اللعنة التي أتبعوها ، وحكى الماوردي عن الاصمعي ان الرفد بالفتح القدح وبالكسر مافيه من الشراب وهو تفسير العام بالخاص مناسب للورد المورود قبله . أي بئس مايسقونه في النار عند ما يردونها ذلك الشراب الذي يسقونه فيها وهو ما وصفه الله تعالى بقوله (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم)

والعبرة في الآيات انه لا يزال يوجد في البشر فراعنة يقهرون الناس ويستخفونهم ويستعبدونهم فيطيعونهم ويذلون لهم ذل العبد لسيده ، والحمار لراكبه ، والحيوان لمالكه ، ولم يستفيدوا شيئا من هداية القرآن ورشده ، وتجهيله لقوم فرعون في اتباع أمره مع وصفه بقوله (وما أمر فرعون برشيد) وبيان انه كان سببا لاتباعهم لعنة في الدنيا ولعنة يوم القيامة . وانه سيقودهم في الآخرة الى النار ، كما قادهم في الدنيا الى الغي والفساد ، ومنهم من يدعون الاسلام ولم يفقهوا قول الله تعالى لرسوله في آية مبايعة النساء (ولا يعصينك في معروف) وقوله ﷺ « لاطاعة لأحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف (متفق عليه من حديث علي) وقوله لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

﴿ العبرة العامة في إهلاك الامم الظالمة ﴾

(١٠٠) ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ

(١٠١) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ

أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

هذه الآيات الثلاث في العبرة العامة بما في إهلاك الامم الظالمة في الدنيا من موعظة ويتلوها العبرة بعذاب الآخرة . قال تعالى

١٠٠ ﴿ ذلك من أنباء القرى ﴾ أي ذلك الذي قصصناه عليك أيها الرسول بعض أنباء الامم أي أهم أخبارها ، وأطوار اجتماعها في القرى والمدائن من قوم نوح ومن بعدهم ﴿ نقصه عليك ﴾ في هذا القرآن أو هذه السورة لتتلوه على الناس ويتلوه المؤمنون آناً بعد آن، للانذار به تبليغاً عنا، فهو مقصوص من لدنا بكلامنا

﴿ منها قائم وحصيد ﴾ أي من تلك القرى ماله بقايا ماثلة وآثار باقية كالزرع القائم في الارض: كقرى قوم صالح ، ومنها ما عفا ودرست آثاره كالزرع المحصود الذي لم يبق منه بقية في الارض كقرى قوم لوط

١٠١ ﴿ وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم ﴾ أي وما كان إهلاكهم بغير جرم استحقوا به الهلاك ، ولكن ظلموا أنفسهم بشركهم وفسادهم في الارض، وإصرارهم حتى لم يعد فيهم بقية من قبول الحق وإيثار الخير على الشر ، بحيث لو بقوا زمناً آخر لما ازدادوا إلا ظلما وفجوراً وفساداً كما قال نوح عليه السلام (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا) وقد بالغ رسلهم في وعظهم وإرشادهم فما زادهم نصحهم لهم إلا عناداً وإصراراً ، وأنذروهم العذاب فتماروا بالنذر ،

واتكلوا على دفع آلهتهم العذاب عنهم إن هو نزل بهم ﴿ فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ أي فما نفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعونها ويطلبون منها أن تدفع عنها الضر بنفسها أو بشفاعتها عند الله

تعالى لما جاء عذاب ربك تصديقا لنذر رسله ﴿ وما زادوهم غير تتبيب ﴾ أي هلاك وتخسير وتدمير، وهو من التباب أي الخسران والهلاك: يقال تبه تتبيبا أي أهلكه، وتب فلان وتبت يده اي خسر أو هلك « وتبا له » في الدعاء بالهلاك، ومعنى زيادتهم إياهم تتبيبا أنهم باتكالهم عليهم ازدادوا كفرا وإصرارا على ظلمهم وفسادهم، ظنا انهم ينتقمون لهم من الرسل كما قال بعضهم لرسولهم (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء)

١٠٢ ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴾ أي ومثل ذلك الاخذ بالعذاب وعلى نحو منه أخذ ربك لأهل القرى في حال تلبسها بالظلم في كل زمان وكل قوم ﴿ ان أخذه أليم شديد ﴾ أي وجيع قاس لا هوادة فيه ولا مفر منه ولا مناص، فالجملة بيان للتشبيه فيما قبلها . أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى الاشعري (رض) مرفوعا «ان الله سبحانه وتعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ ﷺ هذه الآية .وهو تصريح بعمومها ، ولكن الظالمين قلما يعتبرون ؛ ولا سيما إذا كانوا مع ظلمهم مغرورين بدين يتحلون بلقبه ، ولا يحسبون حسابا لاملاء الله تعالى واستدراجه

﴿ العبرة العامة فى هذه القصص بعذاب الآخرة ﴾

(١٠٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٤) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٥) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٦) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ

رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ

---

١٠٣ ﴿ ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ﴾ أي في ذلك الذي قصه الله من إهلاك أولئك الاقوام ، وما قفى عليه من بيان سنته في الظالمين ، لحجة بينة وعبرة ظاهرة ، على أن ما يجري في خلقه من نظم سننه هو بمشيئته واختياره ، وانما هو آية وعبرة لمن يخاف عذاب الآخرة يعتبر بها فيتقي الظلم في الدنيا بجميع أنواعه ، لايمانه بأن من عذب الامم الظالمة في الدنيا قادر على تعذيبهم في الآخرة ، ولا يفتر بعدم وقوع العذاب عليه في الدنيا كأولئك الاقوام ، كما كانوا مغرورين ، فان كان العذب العام انما نزل بمن أجمع منهم على الشرك والظلم والفساد ، فتلك سنته تعالى في الاقوام دون الافراد ، وقد علم منها ان الله تعالى لا يهلك الامة في جملتها مادام فيها أحد من أهل التوحيد والتقوى ، إذ كان يخرج رسله واتباعهم من قومهم قبل هلاكهم ، وأما الافراد فتعذيبهم في الدنيا بظلمهم كثير ولكنه غير مطرد ، وقد تكون نجاتهم فيها بصلاح غيرهم من أهلها كما بيناه مراراً ، ولذلك أفرد الخائف هنا

قال القاضي البيضاوي : يعتبر بها لعلمه أن ما حاق بهم انموذج مما أعد الله للمجرمين في الآخرة - أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بأنه له إله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ، فان من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار ، وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها اه

أقول : ذكرت في الكلام على العبرة بهلاك قوم نوح بالطوفان ان كفار الماديين وملاحدة الملليين في هذا الزمان يقولون مثل هذا الذي حكاه البيضاوي

عن منكري الآخرة في عصره : يقولون ان الطوفان حدث بسبب طبيعي لا بارادة الله واختياره لتربية الامم ، وانهم هكذا يقولون فيمن هلكوا بالريح وبالصاعقة وبخسف الارض . وقلت في الرد عليهم : إن حدوث المصائب بالاسباب الموافقة لسنن الله في نظام العالم هو المراد بالقضاء والقدر في القرآن ، ولكن الله تعالى أحدث الاسباب في تلك الاوقات بحكمته لاجل عقاب تلك الامم بها ، ولم تكن بالمصادفة والاتفاق ، والدليل على ذلك انذار الرسل لاقوامهم إياها قبل وقوعها ، ومنهم من ذكر موعدها بالتعيين والتحديد ، وهكذا يفعل الله بالظالمين في كل زمان ، وان لم يكن فيه رسل يطلعهم على وقت وقوعه لينذروا الناس به اكتفاء بانذار القرآن ، وقد قال فيه (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

﴿ ذلك يوم مجموع له الناس ﴾ أي ذلك اليوم الذي يقع فيه عذاب الآخرة - فكان ذكره دليلا عليه - يوم يجمع له الناس كلهم أي لاجل ما يقع فيه من الحساب الذي يترتب عليه الجزاء . وفي جعل جمع الناس له (بصيغة اسم المفعول) صفة من صفاته مبالغة كانت بها الجملة هنا أبلغ من جملة (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) في إثبات الجمع ، لا أن تلك سيقت لاجل إثبات ما يقع في ذلك اليوم من التغابن أي غبن الناس بعضهم بعضا بتفاوت أعمالهم من الخير والشر وجزائهم عليها ، لا لأجل إثبات الجمع في ذاته لتصوير هوله ومثله قوله ﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ يشهده الخلائق كلهم من الانس والجن والملائكة والحيوانات وغيرها ، وقد صار هذا التعبير الوجيز البليغ مثلا توصف به المجامع الحافلة بكثرة الناس او الاوقات التي يكثر من يشهدها منهم

١٠٤ ﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ أي وما نؤخر ذلك اليوم إلا لانتهاء مدة معدودة في علمنا لا تزيد ولا تنقص عن تقديرنا لها بحكمتنا ، وهو انقضاء عمر هذه الدنيا وكل ما هو معدود محدود النهاية فهو قريب ، وقد ثبت بنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة ان الله تعالى لم يطلع أحداً من خلقه على وقت قيام الساعة

١٠٥ ﴿ يوم يأتي لا تكلم نفس إلا باذنه ﴾ أي في الوقت الذي يجيء فيه ذلك اليوم المعين لا تتكلم نفس من الانفس الناطقة إلا باذن الله تعالى لانه يومه الخاص الذي لا يملك أحد فيه قولا ولا فعلا إلا باذنه كما قال (٧٨ : ٣٨ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال (٢٠ ١٠٨ يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا ١٠٩ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) وقال في الكفار (٧٧ : ٣٥ هذا يوم لا ينطقون ٣٦ ولا يؤذن لهم فيعتذرون) وقال (٣٦ : ٦٥ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم) الخ وفسرت كلمة (يوم) في الآية بالوقت المطلق أي غير المحدود لانه ظرف لليوم المحدود الموصوف بما ذكر الذي هو فاعل يأتي . وأراد بعضهم الهرب من جعل يوم ظرف لليوم فقالوا المعنى يوم يأتي جزاؤه أو هو له أو الله تعالى ، واستشهدوا له بقوله (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) والشواهد التي أوردناها نص في هذا المقام ولا حاجة الى غير جعل يوم بمعنى وقت أو حين . وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة (يأت) بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة ، وهذا هو الموافق لرسم المصحف الامام وهو لغة هذيل تقول : ما أدر ما تقول . ونفي الكلام في ذلك اليوم إلا باذنه تعالى يفسر لنا الجمع بين الآيات النافية له مطلقا والمثبتة له مطلقا

﴿ فمنهم شقي وسعيد ﴾ أي فمن الأنفس المكلفة التي تجمع فيه شقي مستحق لوعيد الكافرين بالعذاب الدائم ، ومنهم سعيد مستحق لما وعد به المتقون من الثواب الدائم ، ولا يدخل في هذا التقسيم غير المكلفين كالاطفال والمجانين ، وأما من تستوي حسناتهم وسيئاتهم من المؤمنين ومن تغلب سيئاتهم منهم ويعاقبون عليها في النار عقابا موقوتا ثم يدخلون الجنة فهم من فريق السعداء باعتبار الخاتمة في الدنيا والآخرة ، فالسعداء درجات ، والاشقياء دركات

روى الترمذي وحسنه وأبو يعلى وأشهر رواة التفسير عن عمر بن الخطاب (رض) قال لما نزلت (فمنهم شقي وسعيد) قلت يا رسول الله ففيم نعمل : على

شيء قد فرغ منه أو على شيء لم يفرغ منه ؟ قال « بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الاقلام ياعمر ، ولكن كل ميسر لما خلق له » وحديث « كل ميسر لما خلق له » رواه أحمد والشيخان وغيرهما ، ولفظ البخاري عن عمران بن حصين (رض) قلت يارسول الله فيم يعمل العاملون ؟ قال « كل ميسر لما خلق له » وعن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ انه كان في جنازة فأخذ عوداً فجعل ينكت في الارض فقال « ما منكم أحد إلا كتب مقعده من الجنة أو من النار » قالوا: ألا نتكل؟ قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وقرأ (فأما من أعطى واتقى) الخ ومعناه الذي غفل عنه أوجهله الكثيرون على ظهوره : ان الله تعالى يعلم الغيب وعلمه بأن زيداً يدخل الجنة أو النار ليس معناه انه يدخلها بغير عمل يستحقها به بحسب وعده وحكمته ، ولا انه لافرق فيما يعمله في الجزاء ، وإنما يعلم الله المستقبل كله بجميع أجزائه وأطرافه ، ومنه عمل العاملين ومايترتب على كل عمل من الجزاء بحسب وعده ووعيده في كتابه المنزل وكتابه للمقادير ، ولا تناقض ولا تعارض بينهما ، ونحن لانعلم الغيب ولكن النبي ﷺ علمنا مانعلم به ماسيكون في الجملة وهو العمل ، وان كل انسان ميسر ومسهل عليه ماخلقه الله لاجله من سعادة الجنة وشقاوة النار ، وما وهبه للانسان من العزم والارادة يكون له من التأثير في تربية النفس مايوجهها به إلى مايعتقد أن فيه سعادته ثم بين جزاء الفريقين بالتفصيل فقال

---

١٠٦ ﴿ فأما الذين شقوا ﴾ أي الذين شقوا في الدنيا بالفعل بما كانوا يعملون من أعمال الاشقياء لفساد عقائدهم الموروثة بالتقليد حتى أحاطت بهم خطيئاتهم

وأطفأت نور الفطرة من أنفسهم ﴿ ففي النار ﴾ مستقرهم ومثواهم ﴿ لهم فيها زفير وشهيق ﴾ من ضيق أنفاسهم ، وحرج صدورهم ، وشدة كروبهم : فالزفير والشهيق صوتان يخرجان من الصدر من شدة الكرب والحزن في بكاء أوغيره . قال الزمخشري في الكشاف : الزفير إخراج النفس والشهيق رده . قال الشماخ:

بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج

وقال الراغب في الآية: فالزفير تردد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه ثم قال:

الشهيق طول الزفير وهو رد النفس والزفير مده . وقال في اللسان: الشهيق أقبح الاصوات ،شهق (كعلم وضرب)شهيقا وشهاقا ردد البكاء في صدره . والتحقيق ان تنفس الصعداء من الهم والكرب إذا امتد واشتد فسمع صوته كان زفيراً ،وان النشيج في البكاء إذا اشتد تردده في الصدر وارتفع به الصوت سمي شهيقا ،وأصل اشتقاقه من الشهوق وقولهم جبل شاهق ، وما أبلغ قول شيخنا في مقدمة العروة الوثقى يصف كرب المسلمين من شدة اعتداء المستعمرين الظالمين : وسرى الألم في أرواح المؤمنين سريان الاعتقاد في مدار كهم ، :وهم من تذكار الماضي ومراقبة الحاضر يتنفسون الصعداء ،ولا نأمن أن يصير التنفس زفيراً بل نفيراً عاماً، بل يكون صاخة تمزق من أصمة الطمع

---

١٠٧ ﴿ خالدين فيها مادامت السموات والارض﴾ أي ماكثين فيها مكث بقاء وخلود لا يبرحونها مدة دوام السموات التي تظلهم والارض التي تقلهم ،وهذا بمعنى قوله في آيات أخرى (خالدين فيها أبداً) فان العرب تستعمل هذا التعبير بمعنى الدوام ، وغلط من قالوا المراد مدة دوامهما في الدنيا ، فان هذه الارض تبدل وتزول بقيام الساعة ، وسماء كل من أهل النار وأهل الجنة ما هو فوقهم ، وأرضهم ماهم مستقرون عليه وهو تحتهم ، وقال ابن عباس لكل جنة أرض وسماء

وروي مثله عن السدي والحسن ﴿ إلا ما شاء ربك﴾ أي ان هذا الخلود الدائم المعد لهم في الآخرة المناسب لصفة أنفسهم الجهول الظالمة التي أحاطت بها ظلمة خطيئاتها وفساد أخلاقها كما فصلناه مراراً – إلا ما شاء ربك من تغيير في هذا النظام في طور آخر ،فهو إنما وضع بمشيئته ،وسيبقى في قبضة مشيئته،وقد عهد مثل هذا الاستثناء في سياق الاحكام القطعية للدلالة على تقييدها بمشيئته تعالى فقط لا لافادة عدم عمومها ، كقوله تعالى(٧:١٨٨ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله) أي لا أملك شيئا من ذلك بقدرتي وإرادتي إلا ماشاء الله أن يملكنيه منه بتسخير أسبابه وتوفيقه

ومثله في (١٠ : ٤٩) مع تقديم الضر وقوله (٨٧ : ٦ سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء الله) على أن الاستثناء لتأكيد النفي أي إنه تعالى ضمن لنبيه حفظ هذا القرآن الذي يقرئه إياه بقدرته وعصمه أن لا ينسى منه شيئا كما هو شأن الضعف البشري ولكن الله وحده هو القادر عليه إن شاء ﴿ إن ربك فعال لما يريد ﴾ فهو إن شاء غير ذلك فعله ، ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وانما تتعلق مشيئته بما سبق به علمه واقتضته حكمته ، وما كان كذلك لم يكن إخلافا لشيء من وعده ولا من وعيده كخلود أهل النار فيها فإن هذا الوعيد مقيد بمشيئته ، وهي تجري بمقتضى علمه وحكمته ، ولهذا قال في مثل هذا الاستثناء من سورة الانعام (٦ : ١٢٨ قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ماشاء الله إن ربك حكيم عليم) وقد فصلنا في تفسير تلك الآية ماقاله العلماء من المفسرين وغيرهم في الخلاف في أبدية النار وعذابها[1] ووعدنا بالعودة اليه في تفسير هذه الآية وسنجمله في الخلاصة الاجمالية للسورة تبقى سلسلة التفسير هنا متصلة

١٠٧ ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ أي دائما غير مقطوع ، من جذه يجذه (من باب نصر) إذا قطعه أو كسره فهو كقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) والفرق بين هذا التذييل وماقبله عظيم ، فكل من الجزاءين منه تعالى ومقيد دوامه بمشيئته ، ولكنه ذيل هذا بأنه هبة منه وإحسان دائم غير مقطوع ، ولو كان الاول مثله غير مقطوع لما كان فضلا وإحسانا ، وقد تكرر وعد الله المؤمنين المحسنين بأنه يجزيهم بالحسنى وبأحسن مما عملوا ، وبأنه يزيدهم من فضله ، وبأنه يضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها وبأكثر من ذلك إلى سبعمائة ضعف . ولم يعد بزيادة جزاء الكافرين والمجرمين

(١) راجع ص ٦٨ — ٩٩ ج ٨ طبعة اولى

على ما يستحقون ، بل كرر الوعد بأنه يجزيهم بما عملوا وبأن السيئة بمثلها وهم لا يظلمون ، وبأنه لا يظلم أحداً ، دع ما ورد من الآيات في سعة رحمته ، وفي الاحاديث الصحيحة من سبقها لغضبه . وأما ما قاله العلماء في هذا الاشكال من أن عذاب النار الشديد الابدي الذي لانهاية له هو جزاء لاهلها بمثل ما عملوا في سنين معدودة باعتبار انهم كانوا عازمين على الاستمرار على كفرهم وظلمهم وفسقهم لو كانوا خالدين في الدنيا، فهو إذن جزاء لهم على نيتهم وعزمهم فهو غير ظاهر إلا في الجاحدين عناداً واستكباراً من الرؤساء والزعماء وهم الاقلون، لما علم بالاختبار والواقع من إيمان أهل مكة ثم أكثر العرب لما زالت الموانع من الايمان، وظهر لهم منه ما كان خفيا عليهم ، على أن قاعدة هذه الشريعة السمحة ان الله لا يؤاخذ من نوى أن يعمل سيئة ولم يعملها ، والمعقول في تعليل الخلود في النار هو ما بيناه في سورة الانعام وغيرها من أن عذاب النار الدائم أثر طبيعي لتدسية النفس بالكفر والظلم والفساد... وسنعود اليه في الخلاصة الاجمالية للسورة ان شاء الله تعالى

١٠٩ ﴿ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ﴾ هذه فذلكة ما تقدم من الارشاد إلى الاعتبار بما حل بالامم المهلكة، وإنذار أعداء النبي ﷺ به، يقول إذا كان أمر الامم المشركة الظالمة في الدنيا ثم في الآخرة كما قصصناه عليك أيها الرسول فلا تكن في أدنى شك وامتراء مما يعبد قومك هؤلاء في عاقبته بمقتضى تلك السنة التي لا تبديل لها، فالنهي تسلية له ﷺ وإنذار لقومه . ثم بين حالهم في عبادتهم وجزائهم بياناً مستأنفا فقال

﴿ ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل ﴾ فهم مقلدون لآبائهم كما يقولون وكما

قال أقوام أولئك الانبياء من قبلهم ﴿ وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ﴾ أي وإنا لمعطوهم نصيبهم من جزاء أعمالهم في الدنيا والآخرة وافيا تاما لا ينقص منه شيء ، كما وفينا آباءهم الاولين من قبل ، فانه ما من خير يعمله أحد منهم كبر الوالدين وصلة الارحام واغاثة الملهوف وعمل المعروف الا ويوفيهم الله تعالى جزاءهم عليه في الدنيا بسعة الرزق وكشف الضر جزاء تاما وافيا لا ينقصه شيء يجزون عليه في الآخرة. فلا يغترن أغنياؤهم وكبراؤهم بما هم فيه من سعة ونعمة ووجاهة فهو متاع

عاجل لا يلبث أن ينقضي، ولا يحتجن به على رضى الله عنهم واعطائهم مثله في الآخرة على فرض وجودها كما أعطاهم في الدنيا كما حكى عن قائلهم (١٨ : ٣٧ ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلبا) وعن آخر (٤١ : ٥٠ ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى) فان الحسنى عند الرب تعالى في الآخرة لا تكون الا للمؤمنين المتقين ، الذين يزكون انفسهم في الدنيا باتباع رسوله ﷺ وما بلغهم عنه من موجبات الرحمة عنده بفضله

(١١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١١) وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

هاتان الآيتان في بقية العبرة بسنة الله تعالى في الامم وأقوام الانبياء عليهم السلام، ذكر الله قوم خاتم النبيين وأمته أولا بأقوام الذين غلب عليهم الكفر والجحود فلم يؤمن إلا قليل منهم فوفاهم الله جزاء أعمالهم في الدنيا وسيوفيهم إياها في الآخرة ، فان سنته في الدارين واحدة - وذكرهم في هاتين الآيتين بقوم موسى الذين آتاهم الكتاب فاختلفوا فيه ، وكلمته في تأخير جزائهم إلى الآخرة لأنهم لم يستحقوا عذاب الاستئصال في الدنيا ، وان مثل الذين يختلفون من أمته في الكتاب كمثل هؤلاء . قال

١١٠ ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ أي فاختلف فيه قومه من بعده بغياً بينهم وتنازعا على الرياسة فكانوا شيعاً كل شيعة تنتحل مذهبا وتعادي من يخالفها فيه، وإنما أوتوا الكتاب لجمع الكلمة ، وتقدم تفصيل إنزال الله الكتب على الانبياء للحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الآية (٢ : ٢١٣) الجامعة

﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم ﴾ أي في الدنيا باهلاك البغاة المثيرين للاختلاف فيه بأهوائهم وإبقاء المعتصمين بالوحدة والاتفاق على هدايته ، كما أهلك

الذين ردوا دعوة الرسل جحوداً وعناداً ، والمراد بهذه الكلمة إنظارهم الى يوم القيامة ، وتقدم مثل هذا التعليق بالكلمة في جميع المختلفين في (١٠ : ١٩) ثم فسرت في بني اسرائيل بقوله (١٠ : ٩٣ ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ومثله في (٤٥ : ١٧) وسيأتي تحقيق القول في الاختلاف في تفسير الآية ١١٩ هنا ﴿ وإنهم لفي شك منه مريب ﴾ الظاهر ان هذا في قوم موسى وكتابهم التوراة أي انهم لم تكسون في شك من أمر كتابهم موقع في الريب والاضطراب

وذهب بعض كبار المفسرين الى أنه في مشركي مكة وأمثالهم الذين شكوا في القرآن ، وهو خطأ ظاهر في اللفظ والمعنى والسياق ، وما في معنى الآية من السور الاخرى ، ومثلها في سورة حم السجدة (فصلت) بنصها ، وفي معناها من سورة الشورى مايفسر الاجمال في هاتين الآيتين ويفصله فانه بعد ذكر بعثة نبينا ﷺ بالقرآن واختلاف البشر فيه وحكمه تعالى هو في الاختلاف قال (٤٢ : ١٣ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ١٤ وما تفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم ، وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) فهذه الآية الاخيرة تفسير لآيتي هود وحم السجدة (فصلت) فان الذين أورثوا الكتاب من بعد من ذكر في الآيات هم اليهود والنصارى الذين جاءوا بعد أنبيائهم وقبل بعثة نبينا ﷺ وهؤلاء قد عرض لهم من الشك والريب في كتبهم مالم يكن في عهد سلفهم ، فان التوراة التي كتبها موسى عليه السلام قد فقدت في إحراق البابليين لهيكل سليمان كما بيناه مفصلا من قبل . ولذلك قال الله تعالى في عيسى عليه السلام (ويعلمه التوراة والانجيل) فهو لم يأخذ التوراة من أيدي اليهود الذين زعموا ان عزرا كتبها بعد الرجوع من سبي بابل ، وان كان يحتج عليهم بما كانوا يخالفونه مما حفظوه منها ، وقد اختلفوا في كتبهم وفي شرعهم الى مذاهب ، وأما النصارى فكانوا أشد اختلافا في كتبهم ومذاهبهم كما فصلناه من قبل .

ومن الغفلة الشنيعة والتكلف للبعيد أن يفسروا الكتاب في آية سورة الشورى مع هذا التفصيل فيها بالقرآن الذي وصف بأنه لاريب فيه ، ويصفون الذين أورثوه بأنهم في شك منه مريب ، ولا يصح أن يقال فيمن لم يؤمنوا به انهم أورثوه ، وكذلك الذين لم يؤمنوا بموسى وبعيسى لايقال انهم أورثوا التوراة والانجيل ، وانما يقال ورث الكتاب من آمن به سواء منهم من أحسن العمل ومن أساء كما قال تعالى في أمتنا (٣٥ : ٣٢ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) ولكن الذين أخطأوا في فهم الآيتين لمجملتين في السورتين حملوا عليها الآية المفصلة وجعلوا تفسيرهما واحداً

١١١ ﴿وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ أي وان كل أولئك المختلفين فيه أو كل أحد منهم والله ليوفينهم ربك جزاء أعمالهم لا يظلم منهم أحداً ﴿انه بما يعملون خبير﴾ لايخفى عليه منه شيء ، فيترتب عليه بعض التوفية دون بعض ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر (وإن) بتخفيف النون مع إعمالها عمل الثقيلة اعتباراً للاصل و(لما) بالتخفيف على أن لامها موطئة للقسم أو فارقة وهي فاصلة بينها وبين اللام الداخلة على فعل القسم . وأما على قراءة تشديد (لما) وهي قراءة ابن عامر ونافع وحمزة فهي بمعنى إلا وإن نافية قاله الجلال

---

(١١٢) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٣) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ

هذا السياق تفصيل للاوامر والنواهي التي هي ثمرة الاعتبار بما كان من سيرة الامم مع الرسل : من جحدوا فأهلكوا ، ومن آمنوا ثم اختلفوا وتفرقوا ، فمن جمع بين هذا الامر والنهي كمل إيمانه ، وما بعدهما تفصيل لهما .

١١٢ ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ أي اذا كان أمر أولئك الامم كما قصصنا عليك أيها الرسول فاستقم مثل ما أمرناك في هذا الكتاب أي إلزم الصراط المستقيم الذي لا عوج فيه بالثبات عليه واتقاء الاختلاف فيه ﴿ ومن تاب معك ﴾ أي وليستقم معك من تاب من الشرك وآمن بك واتبعك ﴿ ولا تطغوا ﴾ فيه بتجاوز حدوده غلواً في الدين، فان الافراط فيه كالتفريط، كل منهما زيغ عن الصراط المستقيم، وهو يدل على وجوب اتباع النصوص في الامور الدينية وهي العقائد والعبادات وعلى اجتناب الرأي وبطلان التقليد فيها ﴿ انه بما تعملون بصير ﴾ أي أنه تعالى بصير بعملكم يبصر به ويراه ويحيط به علما فيجزيكم به

وقال تعالى في مثل هذا السياق من سورة الشورى بعد ما تقدم (٤٢: ١٥ فلذلك فادع واستقم كما أمرت، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا واليه المصير) أمره أن يدعو إلى الدين الذي كان عليه الرسل في عصورهم، قبل الاختلاف فيه الذي ابتدع من بعدهم، وأن يستقيم عليه كما أمره الله، وأن يخاطب أهل الكتاب بما يتبرأ به من الاختلاف، ومن إثارته بحجج الجدال، واكتفى في سورة هود بالامر بالاستقامة على الجادة والنهي عن الطغيان، ومنه البغي الذي يورث الاختلاف، لان المقام مقام العبرة العامة بقصص الرسل كافة، لا بحال قوم موسى ومن أورثوا الكتاب خاصة، فهذا فرق ما بين المقامين في هذه الآيات المتشابهة

وقد أوجز القاضي البيضاوي في وصف هذه الاستقامة فقال « وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين - والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما أنزل، والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وإفراط مفوت للحقوق ونحوها، وهي في غاية العسر » [كذا قال] ثم قال « وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس أو استحسان » اه وهذا أحسن مما قبله وهو ينقض بعضه فأحق النصوص بالاتباع من غير تصرف نصوص العقائد من صفات الله

تعالى وعالم الغيب إذ لا مجال للعقل والرأي فيها ، وقد كان تحكيم النظريات العقلية فيها مثار الاختلاف والشقاق والافتراق في الامة الذي نعاه القرآن على أهل الكتاب، وحذرنا منه في هذا السياق ، وفيما هو أوضح منه من سياق سورة الشورى، وما في معناهما من السور الاخرى ، وقد ترك البيضاوي بابه مفتوحا بزعمه ان الاستقامة في العقائد وسط بين التعطيل والتشبيه ، ويعني به التأويل الكلامي لانه من أساطين نظاره ، وحجته قوله : بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين

والصواب أن تحكيم العقل البشري في الخوض في ذات الله وصفاته وفيما دون ذلك من عالم الغيب كملائكته وعرشه وجنته وناره طغيان من العقل وتجاوز لحدوده وقد نهي عنه، لاصيانة له، فان أكبر نظار البشر وفلاسفتهم عقولا قد عجزوا إلى اليوم عن معرفة كنه أنفسهم ونفس مادونهم من المخلوقات حتى الحشرات كالنحل والنمل، فأنى لهم أن يعرفوا كنه ذات الله وصفاته وأفعاله أو ملائكته، ولما خرجوا عن هدي سلف الامة من الصحابة والتابعين وحملة الآثار زاغوا فكانوا (٣٠ : ٣٢ من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) سقط بعضهم في خيال التعطيل ، وبعضهم في خيال التشبيه ، وبعضهم في حيرة النفي المحض هربا من الامرين ، وبعضهم في لذبذبة بتأويل بعض النصوص دون بعض ، وهو ماسماه البيضاوي وسطا ، فهم يتأولون علو الرب على جميع خلقه ، واستواءه على عرشه ، ورحمته بعباده ، وحبه للمحسنين والمتوكلين ، وأمثال هذه الصفات المرغبة في الحق والعدل، والمنفرة من الظلم والبغي، يتأولونها هربا من التشبيه بزعمهم لانها مستعملة في صفات البشر ، وما من تأويل لها إلا وهو بألفاظ بشرية مثلها تحتاج إلى تأويل، وقصارى أمره انها إنما ذكرت لما اختاروه في وصفه تعالى على ما أنزله في كتابه ورضيه لنفسه

ثم انهم لا يأولون صفات العلم والقدرة والمشيئة والسمع والبصر مع القطع بأن معانيها اللغوية المستعملة في البشر تستلزم التشبيه الذي قالوه في الرحمة والحب والرضى والغضب، فان علمه تعالى ليس كعلمنا في استمداده من المعلومات ولا في صورتها في النفس ـ فكيف إذا قلنا في الدماغ ـ ولا في انقسامه إلى تصور وتصديق ينقسمان إلى بديهي ونظري ، ولا قدرته تعالى ومشيئته في كنهها وتعلقها بالاشياء ،

فالواجب إذاً أن نؤمن بأن كل ماوصف الله تعالى به نفسه فهو حق وكمال إلا انه أعلى وأكمل من صفات خلقه التي وضعت لها تلك الاسماء ، وكذلك الافعال ، وقد قالوا في رؤيته تعالى انها حق بلا كيف فلم لا يقولون مثل هذا في غيرها ؟

وانما نقول هنا لو أن التأويل الكلامي الذي عناه البيضاوي هنا شيء يقتضيه ادراك العقل البشري بالعلم الضروري أو النظري الذي ينتهي الى الضرورة باجماع العقلاء لما وقع فيه ماوقع من الاختلاف المذموم شرعا ومصلحة حتى انتهى ببعض الفرق الى المروق من الملة بتأويل أركان الدين حتى العملية التي لامساغ فيها للتأويل ، ولم يقع مثل هذا الاختلاف في أصول العقائد ولا أركان الاسلام العملية بين الصحابة رضوان الله عليهم وهم أعلم بالدين ممن بعدهم بالاجماع

فقوله تعالى (فاستقم كما أمرت) يقتضي الايمان بالغيب كله كما جاء في القرآن بلا تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل ، وبذلك دون سواه نجتنب ما أمر الله به جميع رسله وأتباعهم من اجتناب الاختلاف والتفرق في الدين ، الذي أوعد الله أهله بالعذاب العظيم ، وبرأ رسوله من أهله المتفرقين

وكذلك يقتضي التزام كتاب الله وما فسرته به سنة رسوله ﷺ من العبادات العملية بدون تحكم بالرأي والقياس كما قال البيضاوي وغيره ، وفي معناها وحكمها التحريم الديني ، فكل منهما لا يثبت إلا بالنص القطعي أو الاجماع ، وأما الاختلاف فيما عدا ذلك من أمور القضاء والسياسة فهو طبيعي لا يمكن الاحتراس منه ولا يخل بالدين ، ولا يصح أن يجعل سبباً لقطع اخوته ، وقد بين الله المخرج منه في سورة النساء بقوله (٤ : ٥٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) الآية

هذا وإن مقام الاستقامة لأعلى المقامات ، يرتقى به لأعلى الدرجات ، كما يدل عليه هذا الامر به للرسول ﷺ في هاتين الآيتين ، ولموسى وهارون (ع م) في قوله (١٠ : ٨٩ قد أجيبت دعوتكما فاستقيما) وقوله تعالى (٤١ : ٣٠ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا) الآيات . وروى مسلم عن سفيان الثقفي قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل

عنه أحداً بعدك ، قال «قل آمنت بالله ثم استقم» فلا استقامة عين الكرامة

قال السيد عبد الفتاح الزعبي الجيلاني لعم والدي السيد أحمد أبي الكمال وهو زوج عمته : ياسيدي إنك صحبت الشيخ محموداً النعيمي أرى أتباعه يذكرون له كثيراً من الكرامات فأرجو أن تخبرني ما رأيت منه، قال رأيت منه كرامة واحدة هي الاستقامة. أخبرني الشيخ عبد الفتاح هذا الخبر وقال أنا لم أكن أصدق ماينقلونه من تلك الكرامات فسألته لانني أعتقد انه كان من الصديقين في هذا العصر . وكان الشيخ عبد الفتاح نقادة وسيء الظن بما ينقله أهل طرابلس عن بعض شيوخ الطريق الذين اشتهروا بالصلاح ممن لم يدركهم ، ويعتقد ان بعض ما ينقلونه عنهم من الكرامات كذب كما عهده من كثير من معاصريه وبعضه أوهام . واختبر التزام الشيخ احمد للصدق بطول المعاشرة ، لمودة الاسرتين والمصاهرة . وقد ذكرت هذه الحكاية على صغر شأنها لان أولي الصدق والاستقامة في هذه البيوتات القديمة أمسى قليلا في بعضها وخلا من بعض ، وإذا كان البيضاوي قال في القرن السابع وغيره قبله وبعده ان الاستقامة في غاية العسر فما قول ذلك إلا لقلة من يرعاها حق رعايتها بالثبات عليها او بلوغ الكمال فيها ، لا لعسرها في نفسها ، فان الله لم يكلفنا من شرعه عسراً (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)

---

١١٣ ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ﴾ أي ولا تستندوا إلى الذين ظلموا من قومكم المشركين ولا من غيرهم فتجعلوهم ركنا لكم تعتمدون عليهم وتوالونهم في سياستكم الحربية ولا في أعمالكم المالية . فان الظالمين بعضهم أولياء بعض ، فالركون من ركن البناء وهو الجانب القوي منه، ومنه قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام (لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد) والسند بمعنى الركن وقد اشتق منه سند إلى الشيء (ركن اليه) واستند اليه، وفسره الفيروزابادي في قاموسه بالتبع للجوهري بالميل إلى الشيء والسكون له، وهو تفسير بالاعم كعادتهم، وفسره الزمخشري بالميل اليسير وتبعه البيضاوي وغيره من المفسرين الذين يعتمدون عليه في تحريره للمعاني اللغوية لدقة فهمه وذوقه وحسن تعبيره ، وانه لكذلك وقلما يخطيء في اللغة إلا متحرفا لى شيوخ المذهب (المعتزلة) أو متحيزاً إلى فئة رواة المأثور من الصحابة والتابعين

أو نقلة اللغة ، وشيوخ المذهب يخطئون في الاجتهاد ، وفئة الروايات تخطيء في اعتماد الاسانيد الضعيفة والاسرائيليات ، ورواة اللغة يفسرون اللفظ أحيانا بما هو أعم منه أو بلازمه أو بغير ذلك من قرائن المجاز في بعض كلام العرب ، ولا يعنون ان ذلك هو حد اللفظ المعرف بحقيقته ، وقد فسر الركون بعضهم بالميل والسكون إلى الشيء وهو من تساهلهم ، ولكنهم قد ذكروا في مادته ما يدل على هذا التساهل ويؤيد ماحققناه . قال في القاموس المحيط تبعاً للصحاح : ركن اليه كنصر ركوناً مال وسكن ، والركن بالضم الجانب الاقوى (زاد الجوهري من كل شيء) والامر العظيم والعز والمنعة اه ومثله في لسان العرب وذكر الآية وان الركون فيها من مال إلى الشيء واطمأن اليه ، والاطمئنان أقوى من السكون ، وفسره في المصباح المنير بالاعتماد على الشيء وهو أقوى من الاطمئنان ، والمعاني الاربعة أي الميل والسكون والاطمئنان والاعتماد من لوازم معنى الركون ولا تحيط بحقيقته وأقواها آخرها . قال في اللسان كغيره : وركن الشيء جانبه الاقوى ، والركن الناحية القوية ومايتقوى به من ملك وجند وغيره ، وبه فسر قوله تعالى (فتولى بركنه) ودليل ذلك قوله تعالى (فأخذناه وجنوده) أي أخذناه وركنه الذي تولى به الخ ما قال وهو يدل على ماحققناه في معنى الركون الحقيقي ، وإنما عنيت بتحقيقه لما جاءوا به في تفسيره وتفسير الظلم المطلق المعاقب عليه من التشديد الذي لاترضاه الآية كما فعلوا في تفسير الاستقامة إذ تجوزوا بها سماحة دين الفطرة ، ويسر الحنيفية السمحة ، فان الله تعالى جعل دينه يسراً لا عسر فيه ، وسمحاً لا حرج على متبعيه

فسر الزمخشري الذين ظلموا بقوله : أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين ، وحكي أن الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه ، فلما أفاق قيل له ، فقال هذا فيمن ركن إلى ظلم فكيف بالظالم ؟ اه ومعنى هذا ان الوعيد في الآية يشمل من مال ميلا يسيراً إلى من وقع منه ظلم قليل أي ظلم كان ، وهذا غلط أيضاً ، وإنما المراد بالذين ظلموا في الآية فريق الظالمين من أعداء المؤمنين الذين يؤذونهم ويفتنونهم عن دينهم من المشركين ليردوهم عنه ، فهم كالذين كفروا في الآيات

الكثيرة التي يراد بها فريق الكافرين ، لا كل فرد من الناس وقع منه كفر في الماضي ، وحسبك منها قوله تعالى (٢ : ٦ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) والمخاطبون بالنهي هم المخاطبون بالآية السابقة بقوله (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) وقد عبر عن هؤلاء الاعداء المشركين بالذين ظلموا كما عبر عن أقوام الرسل الاولين في قصصهم من هذه السورة في الآيات (٢٧ و ٦٧ و ٩٤) وعبر عنهم فيها بالظالمين أيضاً كقوله (٤٤ وقيل بعداً للقوم الظالمين) فلا فرق في هذه الآيات بين التعبير بالوصف والتعبير بالذين وصلته فانهما في الكلام عن الاقوام بمعنى واحد

فقوله تعالى ﴿ فتمسكم النار ﴾ معناه فتصيبكم النار التي هي جزاء الظالمين بسبب ركونكم اليهم بولايتهم والاعتزاز بهم والاعتماد عليهم في شؤونكم المالية لان الركون إلى الظلم وأهله ظلم (ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) روي عن ابن عباس (رض) أنه فسر الظلم هنا بالشرك والذين ظلموا بالمشركين ، إذ السورة مكية ولم يك في مكة وما حولها غير المشركين الذين ظلموا أنفسهم وظلموا المؤمنين ، ومعنى الآية عام في موضوعها فولاية أهل الكتاب على المؤمنين كولاية المشركين ، لا خلاف في هذا وهو منصوص ، ولكن قال بعض المفسرين ان الآية عامة في كل نوع من أنواع الظلم فيشمل ظلم المسلمين لانفسهم في أحكامهم وأعمالهم وسيأتي بيانه بعد تمام تفسيرها الذي نفهمه من مدلول ألفاظها وسياقها وحال المخاطبين بها مع الظالمين لهم في عصرهم ، ويدل على ما حققناه قوله تعالى :

﴿ وما لكم من دون الله من أولياء ﴾ أي وما لكم في هذه الحال التي تركنون اليهم فيها غير الله من أنصار يتولونكم ﴿ ثم لا تنصرون ﴾ بسبب من الاسباب ولا بنصر الله تعالى فان الذين يركنون إلى الظالمين يكونون منهم وهو لا ينصر الظالمين كما قال (وما للظالمين من أنصار) بل تكون غايتكم الحرمان مما وعد الله رسله ومن ينصره من المؤمنين من نصره الخاص ، فالتعبير بثم للدلالة على الغاية والعاقبة المقدرة لهم إن ركنوا إلى أعدائه وأعدائهم الظالمين . وقال الزمخشري

من تبعه انها دالة على استبعاد نصرهم في هذه الحالة لان حكمة الله اقتضت عقابهم بالنار ، وما قلته أقرب ولله الحمد والمنة

وفي معنى الآية ماورد من الآيات الكثيرة من النهي عن ولاية الكفار واتخاذ وليجة من دون الله ورسوله منهم، وعن اتخاذ المؤمنين بطانة من دونهم ، وقد اتخذ المشركون وسائل كثيرة لاستمالة الرسول ﷺ إلى الركون اليهم فعصمه الله من ذلك بعد أن كاد يرجح له اجتهاده ان في بعض ذلك مصلحة واستمالة لهم إلى الايمان وذلك قوله تعالى (١٧ : ٧٤ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ٧٥ إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) يعني لولا أن ثبتناك بالعصمة لقاربت أن تركن اليهم شيئا قليلا من الركون كأن تصدقهم أنهم أهل لان يعتمد عليهم بعض الاعتماد، إذا أقبلت عليهم وأعرضت عن فقراء المؤمنين لاستمالتهم كما فعلت مع الاعمى، ولكن تثبيتنا إياك عصمك من مقاربة أقل الركون اليهم فضلا عن مقارفة هذا الاقل، فالآية الاولى نص في أنه ﷺ ما ركن أقل الركون ولا قارب أن يركن، والآية الثانية نص في أنه لو فعل ذلك (فرضا) لعاقبه الله عقاباً مضاعفا في الحياة والممات معاً، وهذه مبالغة في الزجر والوعيد على الركون اليهم لاتصل بلاغة الكلام البشري إلى مبادئها فضلا عن أوساطها أو غاياتها

ولو كان معنى الركون في اللغة الميل اليسير مهما يكن نوعه كما زعم الزمخشري ومقلدوه لكان هذا الوعيد الشديد على قليل منه على قلته في نفسه مما لا يمكن أن تراد به حقيقته، لانه أشد الوعيد على ما لا يستطيع بشر اتقاءه إلا بعصمة خاصة من الله تعالى كما ستراه في تفسيرهم له ، أما والحق ما قلناه وهو أن الركون إلى الشخص أو الشيء هو الاعتماد عليه والاستناد اليه وجعله ركنا شديداً للراكن، فأجدر بقليله أن يتعذر اجتنابه على أكمل البشر إلا بالعصمة والتثبيت الخاص من الله عز وجل ، فكيف ينهى جميع المؤمنين عن الميل اليسير إلى من وقع منه أي نوع من الظلم ؟

لم يكن ميل النفس الطبعي من المؤمنين إلى أولادهم وأرحامهم المشركين الظالمين ولا البر بهم والاحسان اليهم محظوراً عليهم ، لانه ليس من الركون اليهم الخاص بالولاية لهم والاعتماد عليهم وهو المنهي عنه ، ولا من الميل لاجل الظلم ولما فعل

حاطب بن أبي بلتعة (رض) فعلته التي هي أقرب إلى الولاية الحربية منها إلى صلة الرحم كما تأولها أنزل الله تعالى سورة الممتحنة التي بين فيها الفرق بين ولاية المشركين الظالمين المقاتلين في الدين، وبين البر والقسط لغيرهم منهم، ولا تنس ما ورد في الصحيح من نزول قوله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت) في حرص النبي ﷺ على إسلام عمه أبي طالب الذي كفله في صغره، وكان يحميه ويناضل عنه في نبوته، واذكر قول السيدة خديجة (رض) له في حديث بدء الوحي: كلا والله لا يخزيك الله أبداً، انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل الخ

بل لم تكن الثقة ببعض المشركين والاعتماد عليهم في أهم الاعمال من الركون المنهي عنه فقد وثق النبي ﷺ والصديق الاكبر (رض) بمشرك من بني الديل واتمناه على الراحلتين اللتين هاجرا عليهما ليوافيهما بهما في الغار بعد ثلاث، وكان المشركون الظالمون يبحثون عنهما وقد جعلوا لمن يدلهم عليهما قدر ديتهما

واختلف أئمة العلم في استعانة المسلمين بالكافر في الحرب لتعارض الاحاديث فيها وجمع الحافظ بينها في التخصيص بقوله ان الاستعانة كانت ممنوعة ثم رخص فيها. قال الشوكاني وهذا أقربها وعليه نص الشافعي اهـ ولا شك أنهم لم يعدوها من الركون اليهم

ومن مباحث القراءات اللفظية ان بعضهم قرأ (تركنوا) بضم الكاف وهي لغة قيس وتميم ونجد. وبعضهم قرأها وقرأ تمسكم بكسر تائهما وهي لغة تميم

﴿ نموذج من قصور أقوال المفسرين وغلطهم في تفسير الآية ﴾

(١) الروايات المأثورة والمعتمدون عليها

روى الامام ابن جرير المتوفى سنة ٣١٠ عن ابن عباس (رض) أنه فسر الآية بالركون إلى الشرك (وهو أقوى ما روي فيها) وروى عنه تفسيره بالميل وانه قال لا تميلوا إلى الذين ظلموا. وروى عنه ابن المنذر وابن أبي حاتم (ولا تركنوا) لا تذهبوا وهو ليس تفسيراً بالمعنى اللغوي ولا يظهر المراد الشرعي منه إلا بقرينة ما قبله إن جمع بينهما بارادة المشركين الظالمين للمؤمنين، وروى عن عكرمة انه فسر الركون بالطاعة أو المودة أو الاصطناع، وعن أبي العالية قال: لا ترضوا أعمالهم

(وهو تفسير بأحد اللوازم البعيدة) وعن الحسن قال: خصلتان إذا صلحتا للعبد صلح ماسواهما من أمره: الطغيان في النعمة والركون إلى الظلم، ثم تلا الآية، وهذا من فقه الآيتين لا تفسير لهما. وعن قتادة قال: يعني لا تلحقوا بالشرك وهو الذي خرجتم منه. وأخذ ابن جرير خلاصة هذه الروايات فقال في تفسير الآية: ولا تميلوا أيها الناس إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله فتقبلوا منهم وترضوا عن أعمالهم فتمسكم النار بفعلكم الخ

وما قاله ورواه حق في نفسه ولكنه لا يحيط بمعنى الآية، وما كانت تلك الروايات إلا كلمات مجملة وجيزة ذكرت بالمناسبة لا بقصد تحقيق معنى الآية في لغتها وأسلوبها وموقعها من العبرة بقصص الرسل مع أقوامهم الظالمين. وقال مثله كل من البغوي وابن كثير فانهما يعتمدان على المأثور قل أو كثر

(٢) قال أبو بكر الجصاص الحنفي المتوفى سنة ٣٧٠ في تفسيره (أحكام القرآن) والركون إلى الشيء هو السكون اليه والمحبة فاقتضى ذلك النهي عن مجالسة الظالمين ومؤانستهم والانصات اليهم، وهو مثل قوله تعالى (فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) اه وقد أبعد كل البعد وإنما هو فقيه لا لغوي ولا مفسر عام

(٣) قال الزمخشري المعتزلي المتوفى سنة ٥٢٨ في كشافه بعد ذكر القراءات في الآية: والنهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع اليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم، وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم، والتشبه بهم والتزيي بزيهم، ومد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم، وتأمل قوله (ولا تركنوا) فان الركون هو الميل اليسير، وقوله (الى الذين ظلموا) أي الى الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل الى الظالمين. اه المراد منه، وذكر بعده حكاية صلاة الموفق خلف الامام الذي قرأ الآية فغشي عليه وتقدمت، وموعظة بليغة وعظها للزهري أحد اخوانه من عباد السلف وزهادهم

أقول كل ما أدغمه في النهي عن الركون إلى الذين ظلموا قبيح في نفسه لا ينبغي للمؤمن اجتراحه، وقد يكون من لوازم الركون الحقيرة، ولكن لا يصح أن يجعل شيء منه تفسيرا للآية مرادا منها والمخاطب الاول بها رسول الله ﷺ والسابقون الاولون إلى التوبة من الشرك والايمان معه، ولم يكن أحد منهم مظنة الانقطاع لظلمة المشركين

والانحطاط في هواهم والرضا بأعمالهم ، وأما زيارتهم ومصاحبتهم ومجالستهم والتزيي بزيهم وأمثال ذلك من العادات فلم يكونوا منهيين عنه، بل كان زي المؤمنين وزيهم واحدا وعاداتهم الدنيوية واحدة . إلا ما كان قبيحاً نهى عنه الاسلام ، وكانت صلة الرحم معهم مشروعة زادها الاسلام تأكيداً، وكذلك سائر فضائل المعاشرة. ولما نزلت هذه السورة كان المسلمون ضعفاء في مكة والمشركون أقوياء فيها ، ولما نزلت سورة الممتحنة كان الامر بالعكس إذ كان النبي ﷺ عازما على الزحف بالمؤمنين لفتح مكة ، وكان الفصل فيها في معاملتهم للمشركين ان الله تعالى لا ينهاهم عن الذين لم يقاتلوهم في الدين أن يبروهم ويقسطوا اليهم وإنما ينهاهم عن الذين قاتلوهم في الدين ... أن يتولوهم وينصروهم

(٤) وقال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي المتوفى سنة ٥٤٣ في أحكام القرآن : في الآية مسألتان (الاولى) الركون فيه اختلاف بين النقلة للتفسير وحقيقته الاستناد والاعتماد على الذين ظلموا (المسألة الثانية) قيل في الذين ظلموا انهم المشركون، وقيل انهم المؤمنون ، وأنكره المتأخرون ، وقالوا أما الذين ظلموا من أهل الاسلام فالله أعلم بذنوبهم ، لا ينبغي أن يصالح على شيء من معاصي الله ولا يركن اليه فيها، وهذا صحيح لان هذا لا ينبغي لأحد أن يصحب على الكفر ، وفعل ذلك كفر ، ولا على المعصية ، وفعل المعصية معصية . قال الله في الاول (ودوا لو تدهن فيدهنون) وسيأتي إن شاء الله . وإن كانت في الكفار فهي عامة فيهم وفي العصاة ، وذلك على نحو من قوله (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الاية . وقال حكيم:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

والصحبة لا تكون إلا عن مودة ، فان كانت عن ضرورة وتقية فقد تقدم ذكرها في آية آل عمران على المعنى ، وصحبة الظالم على التقية مستثناة من النهي بحال الاضطرار . اه وقد أصاب المعنى اللغوي والمأثور دون فقه الآية

وتبعه القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ في تفسيره جامع احكام القرآن فنقل كلامه بدون عزو اليه ولم يزد عليه

(٥) وقال أبو علي الفضل بن الحسن الطوسي الشيعي المتوفى سنة ٥٦١ في تفسيره مجمع البيان :

(اللغة) الركون الى الشيء هو السكون اليه بالمحبة له والانصات والانصباب اليه بالمحبة ، نقيضه النفور (المعنى) ثم نهى الله سبحانه عن المداهنة في الدين والميل الى الظالمين فقال (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) أي ولا تميلوا الى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس ، وقيل لا تداهنوا عن السدي وابن زيد، وقيل إن النهي عن الركون الى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار لرضاء بفعلهم أو إظهار موالاتهم . فاما الدخول عليهم أو مخالطتهم ومعاشرتهم دفعا لشرهم فجائز عن القاضي. وقريب منه ما روي عنهم (ع) ان الركون المودة والنصيحة والطاعة اه وهو لم يأت من عنده بشيء وانما ذكر بعض الروايات المتقدمة وزاد عليها عبارة عن أستاذهم القاضي عن الجبار المعتزلي ورواية عن آل البيت (ع)

(٦) وقال فخر الدين الرازي الشافعي المتوفى سنة ٦٠٦ في تفسيره الكبير مفاتح الغيب

الركون هو السكون الى الشيء والميل إليه بالمحبة ونقيضه النفور عنه ... قال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم وعند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب، فاما مداخلتهم لدفع ضرر أو اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخل في الركون، ومعنى قوله (فتمسكم النار) أي إنكم إن ركنتم إليهم فهذه عاقبة الركون ، واعلم أن الله حكم بأن من ركن الى الظلمة لابد وأن تمسه النار ، وإن كان كذلك فكيف يكون حال الظالم في نفسه » اه

قد تبع الامام الرازي خصمه المعتزلي (الزمخشري) فأساء التقليد واختصر على خلاف عادته وما أفاد، بل زاد عليه الاعتذار لطلاب المنافع ودرء المضار من الظالمين فأخرج مداخلتهم إياهم من جريمة الركون اليهم، وهل يداخلهم أحد إلا لهذا ؟

(٧) وقال القاضي ناصر الدين عبد الله عمر البيضاوي الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) فلا تميلوا إليهم أدنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم إليهم، واذا

كان الركون إلى من وجد منه مايسمى ظلما، كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين بالظلم ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه الانهماك فيه، ولعل الآية أبلغ مايتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه، وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها والتثبيت على الاستقامة التي هي العدل، فان الزوال عنها بالميل إلى أحد طرفي إفراط وتفريط ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه اهـ

فهو قد تبع الزمخشري في خطته في معنى الركون، وزاد في الخطأ بتمثيله له بما ليس مظنة النهي عنه وهو التزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم، فان زي المشركين مؤمنهم ومشركهم كان واحداً وهو معتاد، وتعظيم ذكرهم لم يكن مظنة الوقوع من المؤمنين وكان يكون معذوراً لو أنه ذهل كغيره عن كون هذا النهي موجها إلى الرسول ﷺ ومن آمن معه وهم خير أهل الارض وأعدلهم، ولكنه على تذكره لذلك واستحضاره له وتنبهه لكونه أبلغ مايتصور في الشدة مع الامر بالاستقامة لم يشعر بالخطأ الذي سقط فيه، فليتأمل القارىء الى مداحض الزلل التي تزل فيها أقدام فحول العلماء الاذكياء من تقليد الثقات عندهم بغير روية، ومن الحكم بحالة عصرهم على غيره حتى على عصر النبي ﷺ وأهله

(٨) وقال أبو السعود شيخ الاسلام مفتي دولة الروم العثمانية المتوفى سنة ٩٨٣

(ولا تركنوا) أي تميلوا أدنى ميل (إلى الذين ظلموا) أي الى الذين وجد منهم ظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم، والجمع باعتبار جمعية المخاطبين، وماقيل من أن ذلك للمبالغة في النهي من حيث إن كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم، إنما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون إليهم من حيث إنهم جماعة وليس كذلك، (فتمسكم) بسبب ذلك (النار) واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما، ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم، ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم، ويبتهج بالتزيي بزيهم، ويمد عينيه إلى زهرتهم الفانية، ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية، وهي في الحقيقة من الحبة طفيف،

ومن جناح البعوضة خفيف ، بمعزل عن أن تميل اليه القلوب ، ضعف الطالب والمطلوب ، وخطاب الرسول ﷺ ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل ، فان الميل الى أحد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه أو على غيره اه

(١٠) وقال السيد محمود الآلوسي مفتي الحنفية في بغداد (بعد ان كان شافعيا) في تفسيره روح المعاني :

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) أي لاتميلوا اليهم أدنى ميل ، والمراد بهم المشركون كما روى ذلك ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رض) وفسر الميل بميل القلب إليهم بالمحبة ، وقد يفسر بما هو أعم من ذلك ، كما يفسر الذين ظلموا بمن وجد منه مايسمى ظلما مطلقا قيل ولارادة ذلك لم يقل الى الظالمين ، ويشمل النهي حينئذ مداهنتهم وترك التغيير عليهم مع القدرة والتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم ومجالستهم من غير داع شرعي ، وكذا القيام لهم ونحو ذلك ، ومدار النهي على الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين ، وقيل ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث إن كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم مثلا ، وتعقب بأنه انما يتم أن لو كان المراد النهي عن الركون إليهم من حيث إنهم جماعة وليس فليس (فتمسكم) أي فتصيبكم بسبب ذلك كما تؤذن به الفاء الواقعة في جواب النهي (النار) وهي نار جهنم والى التفسير الثاني ـ وما أصعبه على الناس اليوم بل في غالب الاعاصير من تفسير ـ ذهب أكثر المفسرين ، قالوا واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس الناس النار ، فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم كل الميل ، ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ، ويتعب قلبه وقالبه في إدخال السرور عليهم ، ويستنهض الرجل والخيل في جلب المنافع اليهم ، ويبتهج بالتزيي بزيهم ، والمشاركة لهم في غيهم ، ويمد عينيه الى مامتعوا به من زهرة الدنيا الفانية ، ويغبطهم بما أوتوا من القطوف الدانية ، غافلا عن حقيقة ذلك ، ذاهلا عن منتهى ماهنالك ، وينبغي أن يعد مثل ذلك من الذين ظلموا لامن الراكنين اليهم ، بناء على ماروي أن رجلا قال لسفيان إني أخيط للظلمة فهل أعد من أعوانهم ؟ فقال له لا أنت منهم والذي يبيعك الابرة من أعوانهم اه

من تأمل أقوال من بعد الزمخشري في تفسير الآية يرى انهم كلهم قلدوه فيما فسر به الركون وهو غلط منه كما حققته في أول تفسير الآية وانه هو مشتق من الركون وهو الجانب القوي من البناء ومن كل شيء، فمعنى الركون اليهم الاستناد اليهم والاعتماد على ولايتهم ونصرهم الخ وفي تفسير الذين ظلموا بالذين وقع منهم ظلم ما هو غلط أيضا وانما هو في الكلام على الاقوام كالوصف باسم الفاعل فقوله تعالى (ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) معناه جماعة الكافرين الراسخين في الكفر لا من وقع منهم كفر ما الخ ماتقدم

(١١) وقال السيد محمد صديق حسن خان نائب ملك بهوبال (الهند) المتوفى سنة ١٣٠٧ في تفسيره (فتح البيان في مقاصد القرآن) الذي أودعه تفسير أستاذه القاضي الشوكاني المسمى (بفتح القدير) وزاد عليه ، فكان ما أورده عنه مغنيا عن أصله:

اتفق المفسرون على خطئة الزمخشري ومن تبعه في تفسير الركون بالميل اليسير وأوردوا بعض ماقاله رواة التفسير واللغة في معناه مخالفا له، مما نقلناه وزدنا عليه ، وانفردنا بتحقيق معناه دونهم ودونها ، ثم انفردا بالبحث الآتي بنصه :

«وقد اختلف أيضا الائمة من المفسرين في هذه الآية هل هي خاصة بالمشركين أو عامة فقيل خاصة ، وان معنى الآية النهي عن الركون الى المشركين وأنهم المرادون بالذين ظلموا ، وقد روي ذلك عن ابن عباس، وقيل إنها عامة في الظلمة من غير فرق بين كافر ومسلم وهذا هو الظاهر من الآية ، ولو فرضنا أن سبب النزول هم المشركون لكان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

(فان قلت) وقد وردت الادلة الصحيحة البالغة عدد التواتر الثابتة عن رسول الله ﷺ ثبوتا لا يخفى على من له أدنى تمسك بالسنة المطهرة بوجوب طاعة الائمة والسلاطين و لامراء حتى ورد في بعض ألفاظ الصحيح « أطيعوا السلطان وإن كان عبداً حبشياً رأسه كالزبيبة » وورد وجوب طاعتهم ما أقاموا الصلاة ، ومالم يظهر منهم الكفر البواح ، ولم يأمروا بمعصية الله ، وظاهر ذلك أنهم وإن بلغوا في الظلم الى أعلى مراتبه ، وفعلوا أعظم أنواعه ، مما لم يخرجوا به إلى الكفر البواح ، فان طاعتهم واجبة حيث لم يكن ما أمروا به من معصية الله ، ومن

جملة مايأمرون به تولي الاعمال لهم والدخول في المناصب الدينية التي ليس الدخول فيها من معصية الله، ومن جملة مايأمرون به الجهاد وأخذ الحقوق الواجبة من الرعايا وإقامة الشريعة بين المتخاصمين منهم واقامة الحدود على من وجبت عليه

«وبالجملة فطاعتهم واجبة على كل من صار تحت أمرهم ونهيهم في كل مايأمرون به مالم يكن من معصية الله ، ولا بد في مثل ذلك من المخالطة لهم والدخول عليهم ونحو ذلك مما لابد منه ، ولا محيص عن هذا الذي ذكرنا من وجوب طاعتهم بالقيود المذكورة لتواتر الادلة الواردة به، بل قد ورد به الكتاب العزيز (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) بل ورد أنهم يعطون الذي لهم من الطاعة وإن منعوا ماهو عليهم للرعايا كما في بعض الاحاديث الصحيحة « أعطوهم الذي لهم واسألوا الله الذي لكم » ورد الامر بطاعة السلطان وبالغ في ذلك النبي ﷺ حتى قال « وإن أخذ مالك وضرب ظهرك » فان اعتبرنا مطلق الميل والسكون فمجرد هذه الطاعة المأمور بها مع ماتستلزمه من المخالطة هي ميل وسكون ، وإن اعتبرنا الميل والسكون ظاهراً وباطنا فلا يتناول النهي في هذه الآية من مال اليهم في الظاهر لأمر يقتضي ذلك شرعا كالطاعة أو التقية ، ومخافة الضرر منهم، أو لجلب مصلحة عامة أوخاصة أو دفع مفسدة عامة أو خاصة اذا لم يكن له ميل اليهم في الباطن ولا محبة ولا رضى بأفعالهم اه

(قلت) أما الطاعة على عمومها بجميع أقسامها حيث لم تكن في معصية الله فهي على فرض صدق مسمى الركون عليها مخصصة لعموم النهي عنه بأدلتها التي قدمنا الاشارة اليها ، ولاشك في هذا ولا ريب فكل من أمروه ابتداءً أن يدخل في شيء من الاعمال التي أمرها اليهم مما لم يكن من معصية الله كالمناصب الدينية ونحوها إذا وثق من نفسه بالقيام بما وكل اليه فذلك واجب عليه فضلا عن أن يقال جائز له . وأما ماورد من النهي عن الدخول في الامارة فذلك مقيد بعدم وقوع الامر ممن تجب طاعته من الأئمة والسلاطين والامراء جمعاً بين الادلة، أومع ضعف المأمور عن القيام بما أمر به كما ورد تعليل النهي عن الدخول في الامارة بذلك في بعض الاحاديث الصحيحة ، وأما مخالطتهم والدخول عليهم لجلب مصلحة عامة أو خاصة

أو دفع مفسدة عامة أو خاصة مع كراهة ما هم عليه من الظلم وعدم ميل النفس اليهم ومحبتها لهم وكراهة المواصلة لهم لولا جلب تلك المصلحة أو دفع تلك المفسدة ، فعلى فرض صدق مسمى الركون على هذا فهو مخصص بالادلة الدالة على مشروعية جلب المصالح ودفع المفاسد ، والاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى ، ولا يخفى على الله خافية .

وبالجملة فمن ابتلى بمخالطة من فيه ظلم فعليه أن يزن أقواله وأفعاله وما يأتي وما يذر بميزان الشرع ، فان زاغ عن ذلك فعلى نفسها براقش تجني ، ومن قدر على الفرار منهم قبل أن يؤمر من جهتهم بأمر يجب عليه طاعته فهو الأولى له والاليق به ، يامالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اجعلنا من عبادك الصالحين ، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر الذين لايخافون فيك لومة لائم ، وقوناعلى ذلك ، ويسره لنا ، وأعنا عليه اه

تحقيق مسألة طاعة الأئمة والأمراء

إن هذا البحث الذي فتح بابه ودخله هذان المجددان في تفسيريهما (فتح القدير وفتح البيان) كان استدراكا ضروريا لما فسر به الآية جمهور من قبلهما فاختصروا وقصروا ، ولولاه لما كان اليه حاجة في فهم الآية ، على انهما على سبقهما لم يسلما من تقصير ، ولم يأتيا بكل مايحتاج اليه البحث من تحرير وأوردا الاحاديث بالمعنى بدون تخريج

أهم مافي البحث من حاجة إلى التحرير مسألة طاعة الملوك والسلاطين والامراء الظالمين وإن تفاقم ظلمهم فسلبوا الاموال ، وضربوا ظهور الرجال ، ما داموا لايظهرون الكفر البواح (هو بالفتح : الظاهر المكشوف) وقد اشتهر أن هذا مذهب أهل السنة ، وان وجوب الخروج عليهم مذهب الزيدية

والصواب أن المسألة فيها نظر ، فاطلاق القول فيها يحتاج إلى تقييد ، وإجماله لاينجلي إلا ببيان وتفصيل ، وقد سبق لنا تحريره في كتاب (الخلافة — أو الامامة العظمى) وفي هذا التفسير

وخلاصة القول الحق انه لا تعارض بين وجوب طاعة الأئمة والامراء فيما لامعصية فيه لله تعالى من المعروف، وبين النهي عن الركون إلى الظالمين وحظر مادون الركون اليهم مما قاله المفسرون وغيرهم، ومافي معنى هذا النهي من آيات الذكر الحكيم في تقبيح الظلم وبيان كونه سبباً لهلاك الامم في الدنيا وعذابها في الآخرة، وكذا الآيات الدالة على سلطة الامة عليهم

وما ورد من الاحاديث في طاعتهم يقابله ماورد فيها من وجوب الأخذ على أيدي الظالمين عامة، وعلى أئمة الجور والامراء خاصة، ووجوب تغيير المنكر باليد أولا فان لم يستطع فباللسان وكون إنكاره بالقلب عند عدم الاستطاعة لما قبله أضعف الايمان، ومنه عدم الميل اليهم ولو يسيراً وهو الذي فهمه من ذكرنا من المفسرين من النهي عن الركون، فانكارهم له حق في نفسه، وإنما أخطأ من أخطأ في تفسير الركون به

وحسبنا هنا مارواه الامام أحمد وأصحاب السنن وغيرهم في تفسير قوله تعالى (٥ :١٠٥ عليكم أنفسكم) الآية، ففي المسند من طريق قيس (أبي حازم) قال: قام أبو بكر (رض) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ياأيها الناس انكم تقرءون هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - حتى أتى على آخر الآية — ألا وان الناس اذا رأوا الظالم لم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقابه، ألا واني سمعت رسول الله يقول «إن الناس . . . وفي رواية أخرى عنه انه خطب فقال يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله (ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الناس اذا رأوا المنكر بينهم فلم ينكروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه» وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والحميدي في مسانيدهم وأصحاب السنن الاربعة وغيرهم

وفي معنى هذا الحديث مارواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض فلعنهم (على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون) قال فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئا فقال «لا والذي

نفسي بيده حتى تأطروهم أطراً » وفي رواية أبي داود قال : قال « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يدي الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم الله كما لعنهم » اه أطره على الحق وغيره عطفه وثناه ، وقصره عليه حبسه وأمسكه عليه حتى لا يتعداه (وبابهما ضرب)

والاصل المجمع عليه أن الطاعة الواجبة في الشرع هي لأولي الأمر من الائمة (الخلفاء) ونوابهم من السلاطين وأمراء الجيوش والولاة وكلها مقيدة بالمعروف من الواجب والمباح ، دون المحظور . وأما طاعة المتغلبين فهي للضرورة وتقدر بقدرها بحسب المصلحة ويجب إزالتها عند الامكان من غير فتنة ترجح مفسدتها على المصلحة ، فخروج الامام الحسين السبط عليه السلام على يزيد الظالم الفاسق كان حقا موافقا للشرع ولكنه ما أعد له عدته الكافية ، بل خذله من عاهدوه على نصره ، وقد امتنع أبو حنيفة من الاجابة الى ولاية القضاء ، وفر منها الشافعي وكان من أمر مالك ما كان حتى روي انه ترك صلاة الجمعة مع ولاتهم

قال الامام أبو محمد بن حزم في كتابه (مراتب الاجماع) واتفقوا ان الامام الواجب امامته فان طاعته في كل ما أمر مالم يكن معصية فرض ، والقتال دونه فرض ، وخدمته فيما أمر به واجبة ، وأحكامه وأحكام من ولى نافذة واختلفوا فيما بين مدن الطرفين من امام قرشي غير عدل أو متغلب من قريش أو مبتدع الخ

وأورد الشوكاني في الباب من نيل الاوطار حديث عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الامر أهله ، « إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله سلطان » متفق عليه . وقال الشوكاني في شرحه مانصه :

قوله (عندكم فيه من الله برهان) أي نص آية أو خبر صريح لا يحتمل التأويل ومقتضاه انه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل ، قال النووي المراد بالكفر هنا المعصية ، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الامور في

ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الاسلام فاذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم انتهى

«قال في الفتح وقال غيره ، اذا كانت المنازعة في الولاية فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا اذا ارتكب الكفر وحمل رواية المعصية على ما اذا كانت المنازعة فيما عدا الولاية، فاذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق، ويتوصل الى تثبيت الحق له بغير عنف ، ومحل ذلك اذا كان قادرا ، ونقل ابن التين عن الداودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب ، والا فالواجب الصبر ، وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء ، فان أحدث جورا بعد ان كان عدلا فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع الا أن يكفر فيجب الخروج عليه ، قال ابن بطال ان حديث ابن عباس المذكور في أول الباب حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار

« قال في الفتح : وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه وان طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ولم يستثنوا من ذلك الا اذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها كما في الحديث انتهى

«وقد استدل القائلون بوجوب الخروج على الظلمة ومنابذتهم السيف ومكافحتهم بالقتال بعمومات من الكتاب والسنة في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا شك ولا ريب ان الاحاديث التي ذكرها المصنف في هذا الباب وذكرناها أخص من تلك العمومات مطلقا وهي متواترة المعنى كما يعرف ذلك من له أنسة بعلم السنة، ولكنه لا ينبغي لمسلم أن يحط على من خرج من السلف الصالح من العترة وغيرهم على أئمة الجور فانهم فعلوا ذلك باجتهاد منهم، وهم أتقى لله وأطوع لسنة رسول الله من جماعة ممن جاء بعدهم من أهل العلم ، ولقد أفرط بعض اهل العلم كالكرامية ومن وافقهم في الجمود على احاديث الباب حتى حكموا بأن الحسين السبط (رض) وأرضاه باغ على الخمير السكير الهاتك لحرم الشريعة

المطهرة يزيد بن معاوية لعنهم الله ، فيالله العجب من مقالات تقشعر منها الجلود، ويتصدع من سماعها كل جلمود اه ما في نيل الاوطار

هذا وان حديث ابن عباس الذي عزاه إلى أول الباب هو قوله ﷺ من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر ، فانه من فارق الجماعة شبرا فمات فميتته جاهلية » وهو متفق عليه وهذا ومافي معناه من أحاديث لزوم الجماعة وامامهم الذي بايعوه واجتمعت كلمتهم عليه أخص مما تقدم الكلام فيه عن العلماء في أمراء الجور. وقد قالوا في معنى موته ميتة جاهلية انه يموت وليس في عنقه بيعة لامام يلتزمها مع جماعة المؤمنين. كما صرح به في بعض الروايات ، فيكون كما كان عليه أهل الجاهلية من الفوضى لا انه يكون كافرا

فتاوى المنار

﴿ المرأة البرزة وخطابتها على الرجال مكشوفة الوجه ﴾

(س ٢٣) من حضرة صاحب الامضاء في (بحالفكا — جاوه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى حضرة مولاي قدوة العلماء الاستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار — نفعني الله والمسلمين بوجوده العزيز — آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فما دام قولكم في النساء المتبرزات كالخطبة أمام الرجال مكشوفة الوجه ، كان جوزتم فما مراد قوله تعالى (يأيها النبي قل لازواجك) الآية وقوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن — إلى تفلحون) أفتونا ياسيدي بيانا شافيا فلكم الشكر منا ومن الله الاجر والثواب والسلام محبكم المخلص

عبد الحليم

رئيس هيئة المركزية لشركة العلماء

(٢٣) المرأة البرزة تخطب الرجال سافرة

(ج) قوله في السؤال المتبرزات غلط أو محرف أصله البرزات فالتبرز الخروج الى البراز (بالفتح) وهو الفضاء الواسع وغلب استعماله في قضاء الحاجة. والبرزة (كضخمة) معناها المرأة البارزة المحاسن وغلب استعماله عند العرب والمولدين بما نقله أصحاب المعاجم عن رواة اللغة كقول صاحب لسان العرب: قال ابن الاعرابي قال الزبيري: البرزة من النساء التي ليست بالمتزايلة التي تزايلك بوجهها تستره عنك وتنكب الى الارض، والمخرمقة التي لا تتكلم ان كلمت. وقيل امرأة برزة متجالة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون عنها وفي حديث أم معبد: وكانت امرأة برزة تحتبي بفناء قبتها. أبو عبيد: البرزة من النساء الجليلة التي تظهر للناس ويجلس اليها القوم. وامرأة برزة موثوق برأيها وعفافها، ويقال امرأة برزة اذا كانت كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب وهي مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس الى الناس وتحدثهم، من البروز وهو الظهور والخروج اهـ

وأم معبد التي ذكرها هي الخزاعية الصحابية التي مر بها النبي ﷺ وصاحبه الصديق (رض) في حديث الهجرة في طريقهما من مكة الى المدينة ومعهما خادمهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، ودليلهما عبدالله بن اريقط (وكان مشركا ثم أسلم) فسألوها عن لحم وتمر ليشتروا منها فاعتذرت بالقحط وتمنت لو كان عندها قراء تضيفهما به، وكان بجانب خيمتها شاة عجفاء لا يستطيع الخروج الى المرعى فاستأذنها النبي ﷺ بحلبها فقالت له: احلبها إن وجدت فيها حلبا فمسح ضرعها ودعا الله تعالى وحلبها فدرت فسقى أم معبد ثم من معه ثم شرب على سنته إذ قال «ساقي القوم آخرهم شربا»(١) ثم حلب وأبقى عندها اللبن لتسقي منه أبا معبد عند عوده، وقصتها معروفة في كتب الحديث والسير واسمها (عاتكة بنت خالد الخزاعي) قيل كانت مسلمة قبل مرور النبي ﷺ بها وقيل اسلمت بعد ذلك وعاشت الى عام الرمادة في خلافة عمر (رض)

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وغيرهما بهذا اللفظ، و بدون كلمة «شربا» أحمد والبخاري في التاريخ وأبو داود

فان كان مراد السائل من النساء البرزات فلا حرج في خطبتهن سافرات فقد كان كثير من نساء الصحابة ومن بعدهم برزات يحضرن صلاة الجماعة ومجالس العلم ويخطبن الرجال ويروين الحديث . وان كان مراده بروز النساء للرجال كيفما كانت حالتهن وصفاتهن ومخالطتهن لهم فالحكم يختلف باختلاف ذلك كما هو معروف واننا نرى من بعض نساء مصر في بروزهن مايتبرأ منه الاسلام وكل دين وأدب وشرف

لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ نص في تحريم ماذكرنا، ولا في سيرة نساء السلف الصالح شيء من منع المرأة المسلمة أن تقف مكشوفة الوجه تخطب على الرجال فيما هو حق ومصلحة ، وقد بينا في كتابنا (نداء الجنس اللطيف في حقوق النساء في الاسلام) تحت عنوان (آداب المرأة وفضائلها) جملة ما ورد في ستر النساء وملابسهن ومخالطتهن للرجال ومسألة حجب نساء الامصار ، وفسرنا فيه الآيتين الكريمتين اللتين ذكرتا في السؤال وغيرهما بما يعلم منه جوابه مفصلا ، فليراجعها الرئيس الفاضل في المسائل ٥٤ — ٥٧ من صفحة ١٠٦ الى ١١٣ منه إن لم يكن قرأها بعد إرسال سؤاله الينا ، فان بقي له بعد ذلك في الموضوع ما يبغي بيانه فليتفضل بالسؤال عنه

﴿ أسئلة عن أحكام القصاص في القتل والصيال والقمار ﴾

(س ٢٤ — ٢٧) من صاحب الامضاء من صولو بجاوه

الحمد لله وحده

الى حضرة صاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية وخادم الاسلام، عزيزي الاستاذ السيد محمد رشيد رضا محرر مجلة المنار الغراء بمصر القاهرة دام إجلاله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (أما بعد) فأرجو من فضيلتكم أن تفتونا على صفحات مجلتكم المنار الغراء عن مايلي لتكتسب الثواب في الدنيا والآخرة وتهدونا إلى سواء الصراط ، آجركم الله وجازاكم بالخير الجزيل في الاولى والآخرة آمين

(١) كيفية حكم القصاص في الشريعة المحمدية السمحة ولا سيما في القتل الشائع مابين المسلمين البين !

(٢) ما حكم الشريعة المحمدية في شخص يدين بدين الاسلام تعرض مسلما آخر ماشيا في سبيله وسفك دمه بغير حق ؟

(٣) هل تحكم الشريعة المحمدية بالاعدام على المعتدي السافك لدم أخيه المسلم أم لا ؟

(٤) من دافع عن ماله وروحه وحان القضاء والقدر وسفك دم المسلم المعتدي عليه هل تحكم الشريعة المحمدية عليه بالاعدام أم تبرئه لانه غير قاصد الشر بل قصده المجرم بالشر وكيفية إجراء الحكم الشرعي على المجرم . وهل يجازيه ربه في الآخرة بخير أم بشر ؟

(٥) ما قولكم في اليانصيب (اللتري) الشائع في جميع العالم : هل هو حرام أم مكروه أم جائز ؟ فاننا نرى كثيراً من اخواننا المسلمين يشترون تذكرة اليانصيب بثمن ١١ ربية تقريبا آملين أن يحصلوا مائة وخمسين ألف ربية . فمنهم من يحصل ذلك المبلغ ومنهم من يتأسف على مبلغه الذي يهديه لمصلحة اليانصيب بلا فائدة تعود عليه أفيدونا مأجورين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ السائل

أفندي البحري بصولو جاوه

(ج) أقول قبل الجواب إن السائل أعطاني لقبين أولهما غير صحيح وإنما هو لقب ثابت لموظف رسمي من قبل الحكومة المصرية وصاحبه في هذا العهد الاستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم فهو مفتي الديار المصرية ، ولعل السائل يظن أن كل من يفتي في مصر يصح أن يوصف بهذا اللقب

ثم إن الاسئلة الثلاثة الاولى يصح أن تجعل سؤالين مقترنين وهو حكم قصاص القتل وتنفيذه فنلخصها كما فهمناه من عبارته وإن لم نعرف سبب السؤال ونجيب عنه

(٢٤ و ٢٥) حكم قتل المسلم لأخيه عمدا وكيفية تنفيذ القصاص

أما حكم قتل العمد بغير حق فهو القود بأن يقتل القاتل قصاصا إلا أن يعفو عنه أولياء الدم أو بعضهم ، وإنما يقتل بحكم ولي الامر ، وكيفية القتل التي كانت

معهودة في عصر التشريع الديني هي قطع الرأس بالسيف . ومن مباحث الاجتهاد فيها هل هي واجبة دينا يمتنع أن يستبدل بها ما يكون أسهل منها وأقل تعذيبا وإيلاما للمقتول كالشنق والقتل بالكهرباء عملا بقوله ﷺ « إن الله كتب الاحسان على كل شيء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » الحديث فالقتلة والذبحة في الحديث بكسر أولهما اسم لكيفية القتل أو الذبح ، وهو يدل على وجوب ترجيح أحسن الكيفيات ، والحديث رواه مسلم وأصحاب السنن عن شداد بن أوس

(٢٦) حكم الصيال اذا قتل الصائل

إن دفاع المرء عن نفسه وماله وزوجه وأولاده اذا اعتدى عليه معتد مشروع ويسمى هذا الاعتداء الصيال ، وأحكامه مبسوطة في كتب الفقه ، والاصل فيه أن يدافع الصائل بالاخف فالاخف فلا ينتقل من وسيلة لدفعه إلى وسيلة أشد منها الا اذا كانت غير كافية ، فان أفضى بهذه الصفة الى قتله كان دمه مهدرا لا قصاص فيه ولا دية ولا كفارة كما نص عليه في مذهب الشافعية الذي عليه أهل جاوه ، والاصل فيه حديث النسائي عن مخارق قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال الرجل يأتيني فيأخذ مالي ، قال « ذكره بالله » قال فان لم يذكر ؟ قال « فاستعن عليه من حولك من المسلمين » قال فان لم يكن حولي أحد من المسلمين ؟ قال « فاستعن عليه بالسلطان » قال فان نأى السلطان عني ؟ قال « قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة أو تمنع مالك »

وروى أصحاب السنن الثلاثة من حديث سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال « من قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » والمراد بدون ما ذكر الدفاع عنه

وفي صحيح مسلم أن رجلا جاء النبي ﷺ فقال يارسول الله أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالي ؟ قال « فلا تعطه مالك » قال أرأيت ان قاتلني ؟ قال « قاتله » قال أرأيت ان قتلني ؟ قال « فأنت شهيد » قال أرأيت ان قتلته ؟ قال « هو في النار »

(٢٧) حكم اليانصيب

اليانصيب نوع من أنواع الميسر بيناه في تفسير قوله تعالى (يسألونك عن الخمر والميسر » الآية في الطبعة الثانية من الجزء الثاني من تفسير المنار (ص ٣٢٩ و ٣٣٠ منه) بعد بيان ميسر العرب وقلنا انه لا يظهر فيه كل ما وصف به ميسر العرب مع الخمر في آيات سورة المائدة وهذا نصه :

(اليانصيب) هو عبارة عن مال كثير تجمعه بعض الحكومات أو الجمعيات أو الشركات من ألوف من الناس كمائة ألف دينار (جنيه) مثلا تجعل جزءاً كبيراً كعشرة آلاف منه لعدد قليل من دافعي المال كمائة مثلا يقسم بينهم بطريقة الميسر وتأخذ هي الباقي . ذلك بأن تطبع أوراقا صغيرة كأنواط المصارف المالية (بنك نوت) تسمى أوراق (اليانصيب) تجعل ثمن كل واحدة منها ديناراً واحداً مثلا يطبع عليها وتجعل العشرة الآلاف التي تعطى ربحا لمشتري هذه الاوراق مائة سهم أو نصيب تعرف بالارقام العددية وتسمى النمر (جمع نمرة) ويطبع على الورقة المشتراة عددها وما تربحه كل واحدة من العشر الاوائل منها ، وتجعل باقيها للتسعين الباقية من المائة بالتساوي بترتيب كترتيب أزلام الميسر يسمونه السحب . ذلك بأنهم يتخذون قطعا صغيرة من المعدن ينقش في كل واحدة منها عدد من أرقام الحساب يسمونه نمرة من واحد إلى مائة ألف اذا كان المبيع من الاوراق مائة ألف ، ويضعونها في وعاء من المعدن كري الشكل كخريطة الازلام (القداح) التي بيناها آنفا فيها ثقبة كلما أديرت مرة خرج منها نمرة من تلك النمر ، فاذا كان يوم السحب أديرت بعدد الارقام الرابحة فما خرج منها أولا سمي النمرة الاولى مهما يكن عددها وهي التي يعطى حاملها النصيب الأكبر من الربح كالقدح المعلى عند العرب ، وما خرج منها ثانيا سمي النمرة الثانية ويعطى حاملها النصيب الذي يلي الاول حتى اذا ما انتهى عدد النمر الرابحة وقف السحب عنده وكان الباقي خاسراً

وأما كون هذا النوع لا يظهر فيه ما في سائر الانواع من ضرر العداوة

والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، فلان دافعي المال فيه لا يجتمعون عند السحب ، وقد يكونون في بلاد أو أقطار بعيدة عن موضعه ، ولا يعملون له عملا آخر فيشغلهم عن الصلاة أو ذكر الله تعالى كقمار الموائد المشهورة ، ولا يعرف الخاسر منهم فرداً أو أفراد أكلوا ماله فيبغضهم ويعاديهم كميسر العرب وقمار الموائد ونحوه ، وكثيراً مايجعل (اليانصيب) لمصلحة عامة كانشاء المستشفيات والمدارس الخيرية وإعانة الفقراء ، أو مصلحة دولية ولا سيما الاعانات الحربية . والحكومات التي تحرم القمار تبيح (اليانصيب) الخاص بالاعمال الخيرية العامة أو الدولية . ولكن فيه مضار القمار الاخرى وظهرها أنه طريق لأكل أموال الناس بالباطل ، أي بغير عوض حقيقي من عين أو منفعة وهـذا محرم بنص القرآن كما تقدم في محله ، وقد يقال إن المال الذي يبنى به مستشفى لمعالجة المرضى أو مدرسة لتعليم أولاد الفقراء ، أو ملجأ لتربية اللقط : لا يظهر فيه معنى أكل أموال الناس بالباطل إلا في آخذي ربح الثمر الرابحة دون آخذي بقية المال من جمعية أو حكومة ، وهو على كل حال ليس فيه عداوة ولا بغضاء لأحد معين كالذي كان يغرم ثمن الجزور عند العرب ، وليس فيه صد عن ذكر الله وعن الصلاة

ومن مضرات الميسر ما نبه اليه الاستاذ الامام ولم يسبقه اليه أحد من المفسرين وهو إفساد التربية بتعويد النفس الكسل ، وانتظار الرزق من الاسباب الوهمية ، واضعاف القوة العقلية ، بترك الاعمال المفيدة في طرق الكسب الطبيعية وإهمال الياسرين (المقامرين) للزراعة والصناعة والتجارة التي هي أركان العمران

ومنها وهو أشهرها تخريب البيوت فجأة بالانتقال من الغنى إلى الفقر في ساعة واحدة ، فكم من عشيرة كبيرة نشأت في الغنى والعز وانحصرت ثروتها في رجل أضاعها في ليلة واحدة فأصبحت غنية وأمست فقيرة لا قدرة لها على أن تعيش على ماتعودت من السعة ولا مادون ذلك اهـ

فاذا ثبت ان هذا النوع لايدخل في عموم الميسر المحرم في القرآن فلا يعد من الحرام القطعي بالنص ، ويظهر هذا ان فعلته حكومة أو جمعية خيرية لاتأكل من ربحه شيئا . ولكن شراءه قد يكون ذريعة لغيره فينهى عنه من هذا الباب

﴿ اليانصيب وتربية الوحوش وغيرها في الاقفاص ﴾

(س ٢٨ و٢٩) من صاحب الامضاء في سمبس برنيو (جاوه)

مولاي الاستاذ العلامة الجليل ، والمصلح الكبير ، صاحب المنار المنير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . (أما بعد) فأرجو من فضلكم الجواب عن الاسئلة الآتية وهي :

(١) إن حكومتنا الهولاندية قد تعمل بعض الاعمال الكبيرة كبناء المستشفيات واللاجيء أو إعانة المنكوبين بما يسمونه لوتراي (يانصيب) وقومته بنحو مئة ألف روبية ، وجعلتها عشرة آلاف سهم (لوت) وتبيع كل سهم منها بعشر روبيات وتأخذ من ثمن هذه الاسهم خمسين ألفا مثلا لبناء المستشفيات واللاجيء أو إعانة المنكوبين . ثم تقسم الخمسين الى نحو عشرين قسما تدفع للذين اشتروا هذه الاسهم بطريق القرعة بينهم فمن خرجت له فله نصيب منها

فهل يجوز شراء هذا السهم (اللوت) وأخذ ربحه أم لا ؟ وهل يجوز لنا طلب شيء من الخمسين التي أخذتها الحكومة تنفقه على مدرسة إسلامية أو غيرها من مصالح المسلمين ؟ وهل يجوز أن نعمل مثل هذا العمل (لوتري) باذن الحكومة لضعف المسلمين واعراضهم عن البذل في سبيل الخير العام ؟ أم يعد هذا العمل من القمار الذي حرمه الله بنص القرآن ؟

(٢) هل يجوز تربية الطير أو غيرها من الوحوش في الاقفاص فرداً أو زوجا مع ما يكفيها من الاكل والشرب وغيرهما وذلك الالتماس بصورتها أو صوتها وهل يعد ذلك ظلما لها أم لا ؟ وقد أفتى من أفتى بأن حبس الطير في القفص ظلم لها وان لم يقصر في أكلها وشربها

هذا وتفضلوا بالجواب ، ولكم مني الشكر ومن الله الاجر والثواب

محمد بسيوني عمران

(٢٨) اليانصيب أيضا

قد بينا حكم هذه المسألة بالتفصيل في الفتوى ٢٧ آنفاً . أما شبهة جعله

للمنافع العامة فقد بينا مافيها في جواب سؤال من بلادكم نشر في ص ٦٧٠ من مجلد المنار٣٣ . وأما إذا فعلت حكومتكم ذلك وأعطتكم منه شيئا للمنافع العامة فان لكم أخذه لذلك بغير شبهة

(٢٨) حكم حبس الوحوش والحيوان والطير في الاقفاص

قال بعض الفقهاء إن حبس الحيوان والطير ظلم فهو حرام. ويظهر وجه هذا القول اذا كان حبسها لاجل تعذيبها ، والمعهود المعروف عندنا في) حدائق الحيوانات بمصر) وأمثالها في الامصار الكبيرة في الشرق والغرب أن هذه الحيوانات يعتنى بغذائها وتناسلها وجعل الجو الذي توضع فيه كجواء الاقطار التي تجلب منها ،وان الغرض منها انتفاع العلماء بدرس طباعها وسنن الله فيها ،وتمتع العامة برؤيتها ، وقد خلق الله هذه الارض وما فيها لمنافع الناس المختلفة فلا وجه مع هذا لتحريمها قال تعالى (هو الذي خلق لكم مافي الارض جميعا)

﴿ شبهات على تحريم اليانصيب الخاص ربحه بالمنافع العامة ﴾

(٣٠) من صاحب الامضاء في قوص

حضرة صاحب الفضيلة العالم العلامة السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني والحق أقول . قلّ أن أجد كفءا واسع الاطلاع يرتاح إلى اجابته ضمير السائل غير شخصكم المحبوب لهذا أرسل الى فضيلتكم كلمتي الآتية كشبهة في مجموعها حول تحريم اليانصيب أرجو بيانها وإرسال شعاع من نور علمكم الفياض يكشف لي الحق وينير طريقه — وهي ليست شبهات متعنت أو مجادل ليس إلا ،وانما هو طلب الوقوف على الحقيقة التي لا يصل اليها علمي القاصر والله أسأل أن يطيل في حياتكم وينفع بكم الاسلام والمسلمين

حسن النجار أحمد

مدرس الزامي

﴿ شبهاتي حول تحريم اليانصيب ﴾

يقول الاصوليون ان المآلات معتبرة شرعا واعتبارها لازم في كل حكم (أولا) فقد يكون العمل في الاصل مشروعا ولكن ينهى عنه نظرا لما يؤول اليه من المفسدة : مثال ذلك امتناع الرسول ﷺ عن قتل من ظهر نفاقه معللا ذلك بقوله «أخاف أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»

(ثانيا) النهي عن سب من يدعو المشركون من دون الله معللا ذلك في قوله تعالى (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم)

(ثالثا) النهي عن التشدد في العبادة خوف الانقطاع عنها

فالاصل في كل هذه الامثلة وما ماثلها على المشروعية ولكن نهى عنه نظرا لان مآله غير مشروع بضرره والمفسدة المؤدية اليه، والشرع إنما مبناه على جلب المصالح ودرء المفاسد، وقد يكون العمل أيضا في الاصل ممنوعا ولكن يترك النهي عنه نظرا إلى مايؤول اليه من المصلحة

ومثاله : تحريم قتل النفس ثم إباحتها عند القصاص نظرا لمآله الذي عبر القرآن الكريم عنه بقوله (ولكم في القصاص حياة)

ومثاله إباحة الكذب عند قصد الصلح مثلا — وإباحة الغيبة وذكر عيوب الناس لغرض شريف مشروع كالاستعانة على تحسين حاله أو الانتصاف منه الخ —

ومثاله إباحة كشف العورة عند التداوي، وإباحة أكل الميتة للمضطر، ومثاله ماجاء في حديث البائل في المسجد حيث أمر الرسول بتركه حتى يتم بوله نظرا لان الضرر المترتب على تركه اقل من الضرر المترتب على قطعه بوله، فلم لا تطبق هذه القاعدة في اليانصيب والغاية منه شريفة ومفيدة كالاستعانة بما يجمع منه على ازالة الامية ورفع الجهل عن كاهل الامة — او كالاستعانة به في بناء مستشفى لتخفيف آلام المرضى من الفقراء والمساكين كما هو الحال في يانصيب جمعية المؤاساة الاسلامية بالاسكندرية

ارجو اجابتي على هذه الشبهات بما افهم فيكم من دقة البحث وسعة الاطلاع.

والسلام عليكم ورحمة الله حسن النجار احمد

(٣٠) لم لا يباح قمار اليانصيب لجعل ربحه في المنافع العامة

(ج) لاريب ان جميع احكام الشريعة السمحة في المعاملات مبنية على اساس المنافع والمصالح العامة واجتناب المفاسد ودرئها، ومعللة بها، والحكم يدور مع العلة وجوداً وعدما كما قالوا، ولكن ماثبت منها بنص الشارع القطعي الرواية والدلالة لامجال للاجتهاد في أصله، ومنه تحريم الميسر فيجب اتباعه وإن لم تظهر لنا علته في بعض أنواعه مع الجزم بأنه لابد أن تكون له علة صحيحة، ولا تجوز مخالفته إلا بدليل نص مثله كدليل إباحة الضرورات للمحظورات كما سيأتي. وقد بين الكتاب العزيز ان في الخمر والميسر إثما كبيراً ومنافع للناس وان إثمهما أكبر من نفعهما وقد حرمهما الله تعالى مع ذلك مبينا علة تحريمهما في آيات سورة المائدة، فان كان ما يُسمى (اليانصيب) من هذا الميسر فلايقال لمَ لم يبح هذا النوع منه لما فيه من المنفعة الزائدة على ما كان من منافع الميسر الذي كان عند العرب عند نزول الآية، لاننا نقول إن النص يجب اطراده وإن لم تظهر العلة في جميع أفراده كما هو الاصل في جميع قواعد التشريع العامة: الدينية والقانونية

بيد أن هنا شبهة على تحريم اليانصيب الخيري المحض الذي تفعله الحكومات والجمعيات الخيرية بيناها في الفتوى ٢٧ آنفا وهي أن يقال ان هذا اليانصيب ليس مما يدخل في عموم ميسر العرب بالازلام ولا تظهر فيه علة تحريمه المشتركة بينه وبين الخمر وهي قوله تعالى (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) واذا كان فيه إثم وضرر مما ذكرناه في تفسير آية البقرة فلا ريب في أن نفعه أكبر من إثمه وضرره، فلا يظهر وجه لتحريمه في هذا النوع خاصة بخلاف غيره والله أعلم

تصدير طبع كتاب المنار والازهر

(إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (٣٥:٢٧) يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٥٨:١١) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً — فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ ؟ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ (٤٥:٢٣) هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩ منها)

صدق الله العظيم

ماللازهر وما عليه من الحق

الحق أقول إنه لايوجد فى العالم الاسلامى بيئة (أو مايعبر عنه فى العرف المدنى بالشخصية المعنوية) أجدر من هذا الازهر بالكرامة فى نفسه . وبالتكريم من الامة وحكومتها ، ولكنه ظلم وهضم حقه بل حقوقه ، منذ تفرنجت حكومته ، ولم تعد تشعر بالحاجة الى علم الدين وأهله ، فازدرتهم وحرمتهم من مناصب الدولة ، وقد قبل علماؤهم هذا وذاك بلادفاع أو بلا شعور ، فصار من التقاليد المتبعة والعرف العام الذى يراعى فى القوانين ويشبه الشرع الالهى المنزل . وما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم ، فظلمتهم حكومتهم ، وخذلتهم أمتهم : حتى قيض الله تعالى لهم عالما أفغانياً ؛ سيداً حسينياً . فأيقظهم من سباتهم ، ونبههم من غفلتهم عن أنفسهم : وذكرهم بحقوقهم فى الدولة وبحقوق الامة عليهم . وأهاب بهم ليأطروا الظالم على الحق أطراً ؛ ويقسروه على العدل قسراً . كما هداهم نبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وإلا أهلكهم الله تعالى بخضوعهم للظلم ؛ وتنكيس رءوسهم للذل ، وليستعدوا لذلك باحياء العلم الذي تحيا به الأمم ، وتقوم به الدول

ثم خلفه من مريديه عالم من بنى جلدتهم ؛ ونبتة باسقة من تربة أزهرهم ؛ جهر

بدعوته هذه معه وبعده ، إذ قال في بيانه لها في سياق ما دعا اليه من الاصلاح العلمي والعملي:

«جهرنا بهذا والظلم في عنفوانه : والاستبداد قابض على صولجانه : ويد الظالم من حديد : والناس كلهم عبيد له أي عبيد . » فماذا جرى ؟

نفى الظلم الداعي الأول من القطر . ونفى الثاني أولا من القاهرة الى بلده محلة نصر . ثم الى خارج وطنه : ثم كان ماذا ؟ أو ماذا كان؟ عاد الى مصر عزيزاً كريماً . وجدد الدعوة الى اصلاح الأزهر واصلاح مصر والأمة الاسلامية به . فسالمه الظلم آناً ثم ناوأه آونة، واستعان على صده عن الأزهر ببعض أهل الازهر . وقد كان من أعوان الظلم عليه وعلى الاصلاح بعد أن كان معه الشيخ محمد الاحمدي الظواهري شيخ الازهر اليوم الذي عمل في افساد اصلاحه واذلال الازهر وظلم أهله مالم يعمله أحد منهم ولا من غيرهم

الاساس الاداري لاصلاح الامام للازهر الاستقلال

أتكلم في هذا التصدير عن اصلاح الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده قدس الله روحه من وجهة إعلائه لشأن الازهر واستقلال أهله به، وكف يد كل من الحكومة والأمير عن الاستبداد فيه : وهي الوجهة التي عنى الشيخ الظواهري بافسادها ، وظهر لكل أهل الازهر ولغيرهم سعيه وسعايته لهدم الأساس الذي وضعه الامام لها ، وقد تكلمت في صلب الكتاب عن كيده للاصلاح العلمي الديني بالافساد البدعي الخرافي

كان الأساس الذي وضعه الامام محمد عبده لادارة الازهر أن يكون علماؤه مستقلين فيه بنظام وقانون لا سلطان للحكومة ولا للامير على العبث به ، كما بينت ذلك بالتفصيل في المنار ثم في الجزء الأول من تاريخه (أي تاريخ الأستاذ الامام)

وذكرت من جملة الشواهد على ذلك من وقائعه أن سمو الامير أرسل الى شيخ الازهر رجلا من أكبر رجالات مصر المكرمين (هو الشيخ محمد توفيق البكري) يبلغه فيه أمر سموه بتوجيه كسوة تشريف من الدرجة الأولى لغير المستحق لها من العلماء ، فلما عرض توجيه الكسوة المنحلة في مجلس ادارة الازهر لم يتسن شيخ الازهر أن يوجهها الى غير مستحقها والشيخ محمد عبده في الجلسة بل وجهت لى مستحقها بمقتضى القانون

حتى اذا ما اجتمع كبار العلماء في حضرة الامير في أول مقابلة له في قصر عابدين ، صب سموه سوط التثريب على شيخ الازهر قائلا له : ألم أكن أمرت بكذا ؟ فحصر

لسان فضيلة الشيخ عن الجواب وفرك إحدى كفيه بالأخرى : فبادر الشيخ محمد عبده الى إنقاذه قائلا : ان الذي قرره مجلس الادارة فى الكسوة المذكورة هو التنفيذ لأمر أفندينا ، لأنه مقتضى القانون الموقع بامضاء سموه : والمجلس لا يعرف له أمراً غيره . ولا يمكنه العمل بالاوامر الشفوية المخالفة له ، فاذا شاء أفندينا أن توجه « كساوى التشريف » الى من يشاء من العلماء فليلغ القانون بدكريتو (مرسوم) يقول فيه ان كساوى التشريف توجه بارادة سنية منا ! ! فلما سمع الامير هذا تبيغ دماء وتفصد عرقا ، وانتصب واقفاً لينصرف العلماء فانصرفوا

هدم الظواهري لاستقلال الازهر بنفوذ مستخدمي البلاط

وأما الشيخ الظواهرى فهو يخالف قانون الازهر وما هو فوقه من هداية كتاب الله وسنة رسوله بكلمة من القصر غير صادرة له عن لسان جلالة الملك المطاع ؛ بل من تلفون الابراشى باشا أو من دونه من حاشية البلاط ، لا لحفظ استقلال الازهر وكرامة أهله ، بل للتمتع بمنافع السلطان الاستبدادى فيه : فالشيخ لذته في التمتع بلذة الرياسة ، فى ظل استبداد السياسة ، حتى روي أنه يبذل أكثر راتبه لشريكه فى تبادل المنفعة(١) ولذة هذا الشريك فى جمع المال لنفسه ؛ وجل منافع الشيخ المادية ماينالـه ولده وأهل بيته وبعض أعوانه من الوظائف بجاهه . هذا ما يقوله ويكتبه المنقبون فى سيرته . ومثل هذا قد فعل غيره ولكن الذي لم يفعله أحد من مشايخ الازهر هو هذا الاسفاف والتدلى فى اهانة علم الدين وأهله بجعل رئيسهم يذل ويخزى بخنوعه لموظف إدارى أو كتابى ليس له عليه أدنى سيطرة ولا سلطان ، وكل مايخشاه ويرجوه من وجوده فى القصر الملكى أن يكتم عن جلالة الملك ظلمه واستذلاله للعلماء ، أو يتأوله بأن فيه خدمة دينية لجلالته . أي أنه يرجو منهم أن يغشوا ولى الأمر به ، وتسمية هذا خدمة للدين أو اتباعا لما أوجبه الله تعالى من طاعة أولى الأمر ، من تلبيس إبليس ، ولبس الدين مقلوبا كالفرو . كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه

وقد بينت فى خاتمة هـذا الكتاب أقوال أشهر المفسرين فى الظلم والركون الى

(١) اذا كان هذ الخبر حقا لامبالغة فيه كما يقولون فلعله يكون بهدايا بعض الجواهر الغالية فان راتب الشيخ كبير

الظالمين ، والى من تدنس بشيء من الظلم وان قل وكونه سبب الدخول النار معهم ، وما يجب من طاعة الامراء والسلاطين بالمعروف ، ومن نهيهم عن المنكر ، ومن كون السلطة العليا عليهم للامة ينفذها أهل الحل والعقد من زعمائها

وقد قال حجة الاسلام الغزالي في (كتاب الحلال والحرام) من الاحياء : (الباب السادس فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم ، وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم) « اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال : الحالة الأولى وهي شرها أن تدخل عليهم ، والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك ، والثالثة وهي الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك »

ثم شرح كل حالة من هذه الثلاث وهو يخاطب بهذا كل مسلم ، فما قولك بعلماء الدين المتصدرين للامامة والقدوة فيه ؟ ثم ما قولك فيهم اذا كانت حالتهم معهم دون الحالة التي قال انها شر الاحوال بأن يكون العالم الكبير أمام أحدهم كالأجير الصغير ، بل رئيس العلماء الأكبر كالمرءوس الحقير ؛ ان الامام الغزالي لم يكن على سعة عقله واختباره لأهل زمانه يتصور ان يضع أحد من العلماء نفسه في هذا الدرك الاسفل وهو الذي كتب ما كتب في علماء السوء وازدلافهم للسلاطين ، وتذكيرهم بعزة علماء الدين ، ووعظهم للخلفاء العباسيين : وهو الذي زاره الخليفة في بيته واقترح عليه أن يؤلف كتابا في ابطال شبهات الباطنية ، وتفنيد دعوتهم المفسدة للدين والدولة ، فمن كان هذا شأنه في مقام العلم الكريم ، لا يخطر في باله ان يكون رئيس العلماء الاكبر في مصر اسلامي كما نرى في مصرنا هذا

كان عندنا في الازهر ذلك الامام الكامل الذي كان يهابه أميره . بله بطانته وأعوانه . وكانت مزاياه ترى من الهند في الشرق ، وتونس والجزائر في الغرب ، وأوربة في الشمال ، من حيث لا يراه الازهر الذي يجاهد فيه لرفع ذكره . وإعلاء قدره . فاضطره الاستبداد إلى الخروج منه والاستقالة من خدمته ، ليوجه جهاده إلى ميدان آخر ، فلم يشعر الازهر يومئذ بهذه الصدمة التي قرع بها : وقد شعر بقارعتها وشكا منها الشرق والغرب كما شرحنا ذلك في المنار ثم في (تاريخ الاستاذ الامام)

يومئذ خدعوا الازهر بأنهم يريدون إرجاعه إلى ماوجد لأجله بزعمهم ، وهو « العبادة وعلوم الدين لاغير ؛ ومنع كل ماسواها من علوم العصر ، وقصر كل مايسمونه الاصلاح على صحة الطلبة وغذائهم . وخدعوا الرجل الطيب علامة مصره

الشيخ عبدالرحمن الشربيني (رحمه الله) بهذا فاتخذوه آلة لتنفيذه ،وقبول مشيخة الازهر لأجله ؛ بعد التمهيد له بخطاب مفتوح رفعه الشيخ محمد الاحمدي الظواهري الى سمو الخديو قال فيه: وأرجو ويرجو المسلمون من سموكم أن تشملوا هذه المدارس (يعني الازهر والمعاهد الدينية) بعنايتكم وأن تقطعوا منها جراثيم الفساد والانحطاط،

ثم أرسلوا صاحب الجوانب المصرية الاديب السوري المعروف إلى الاستاذ الشيخ الشربيني لأخذ حديث منه ينشر فيها فتنقله جريدة المؤيد فيخفى على الناس أنه سكر مدبر كما ظنوا ، فكان أول ماسأل الشيخ عنه :

« ماذا يرى مولانا فيما قام يلتمسه اليوم الشيخ الظواهري من الجناب الخديو ؟ »

أجاب الأستاذ : الظواهري إنما ينطق بلسان كل محب لخير الازهر عالم بالغرض الذي أسس له والخدمة التي أداها للدين ، ثم بين في جواب سؤال آخر أن هذه الخدمة عبادة الله وطلب شرعه كما تركه لنا الأئمة الأربعة (رض) لاغير « وما سوى ذلك من أمور الدنيا وعلوم الاعصر فلا علاقة للازهر به ولا يرجى له » الخ ما فصلناه في تاريخ الاستاذ الامام، فكيف قبل الظواهري في رياسته للازهر اليوم ما طالب الخديو بقطع جراثيمه بالامس، بل جعل لعلوم العصر ومدرسيها السلطان الاعلى على الازهر وعلماء الدين فيـــه ؟

ماذا فعل العلامة الشربيني الذي لم يدر ماأريد به كما أنه لم يكن يدري لماذا أنشىء الازهر ولا مافعله الازهر ؟ ثم ماذا فعل من بعده من مشايخ الازهر منذ تركه الاستاذ الامام سنة ١٣٢٣ هـ (و١٩٠٥ م) إلى هذه السنة ١٣٥٣ ؟

لم يفعل أحد منهم شيئا وانما تركوا أمرهم للخديو، ثم تركه الخديو للحكومة فسنت له قانونا بعد قانون، ولم يكن لأحد منهم رأي في عبث الحكومة بالازهر، ولا تأثير علمي ولا ديني فيما تقلب فيه الازهر من التنقل في الاطوار، ولا فهم أحد منهم إلى أن ولي رياسته الشيخ محمد مصطفى المراغي فكان هو الرجل الذي عرف ماتجدد في الازهر من أطوار ، وما يضطرب فيه من موج ويصطخب من تيار ، فوضع له القانون الذي يمكن أن يجري فيه فلك الاصلاح آمناً من الاخطار ، فنوزع في بعض مواده التي يتعذر بدونها حمل تبعة العمل واستقلال فيـه فاســـتقال منه ، فظهر من مزاياه وخلائقه العليا بهذه الاستقالة مالم يكن يعرف كنهه أعرف الناس بادارته وسيرته في مدته القصيرة في رياسة الازهر ،ولا فيما قبلها من رياسة المحكمة الشرعية العليا ولا فيما قبلها من رياسة القضاء الشرعي في السودان

وأما أهل الازهر فكان يعرفه بعض أذكيائهم المستقلين فى العلم والرأى ولم يعرفه علماؤهم وطلابهم كلهم إلا بعد أن جربوا رياسة خلفه المضاد له في جميع مزاياه « وبضدها تتميز الأشياء » بل عرفه الآن جميع الناس حتى العوام فى القاهرة والاسكندرية وبقية الامصار التي هي مقر المعاهد الدينية والمدارس العليا إذ صكت أسماعهم أصوات الألوف المتظاهرة على الشيخ الظواهري من الازهريين وطلاب المدارس العليا صائحة فى الشوارع باسقاطه نابزة له بألقاب الخيانة ونعوت الاهانة، وهاتفة بالدعاء بحياة المراغي معترفة له بصفة الاصلاح ولقب الامامة ، وملحة فى مطالبة الوزارة التوفيقية الحرة باعادته إلى مشيخة الأزهر ورياسة المعاهد الدينية .

ثم عرف هذا كله سائر الأمصار والقرى فى هذا القطر وفى غيره بنشر الجرائد له فى العالم مؤيدا بمقالات كثير من علماء الازهر وغيرهم من حملة الأقلام، فكان أقوم شهادة لما يسمى فى هذا العصر بالرأى العام

طور الأزهر الجديد ومن يصلح لرياسته

إن الازهر قد دخل في طور انقلاب عصري جديد فيه خطر كبير على الدين والدولة وفيه رجاء عظيم لهما : فلا يصلح لادارته فيه إلا عالم كبير العقل عزيز النفس، عالي الهمة : قوي الارادة . حكيم الادارة : صادق اللسان ، راسخ الخلق : عزوف عن السفاسف والدنايا والمطامع : يشرف الرياسة فيزداد بها شرفا . ويضطر كل من يتصل به أن يجله ؛ سواء أوافقه فى الرأي أم خالفه ؟

مثل هذا الرجل يندر وجوده فى صنف العلماء وغيرهم من الطبقات الراقية كرجال المدارس العالية والقضاة والمحاماة والوزراء والامراء . لافى مصرنا هذه التى تشكو من فقر الاخلاق المدقع فيها، بل فى أمصار الشرق والغرب أيضاً . ولكن يكثر فى طبقاتنا العراة المجردون من حللها كلها أو أكثرها . وأكبر المصائب على الامة أن تقلد المناصب وتناط المصالح بهؤلاء العراة البادية سوآتهم . أو ببعض المستورين بالاسمال والاخلاق البالية لأجل تجربتهم : ولكن أهل الازهر أكلوا من شجرة أبيهم آدم عليهم السلام فبدت لهم سوآت بيئتهم : ورأوا بعين بصيرتهم العريان من جلل تلك المزايا والفضائل والعاطل من حليها فهم يرغبون فيه، ويرون من زينه الله بأجمل

زينتهما فهم يرغبون فيه ، وإنهم لعلى هدى فى الامرين ، وان ما تطلبه المصلحة بلسان الحال ، أقرب مما تطلبه الرغبة بلسان المقال (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)

بيد ان الثورة قد تزين للشبان طلب مالا ترضاه الحكمة، من حيث لا يدرون أن مثل هذا الطلب قد يكون مانعا لا مقتضيا ، لأن الحكومات تأبى أن تكون منفذة لرغبات طلاب المعاهد والمدارس لذاتها ، بل يخشى ان يكون التظاهر سبب تأخير ما اقتضته المصلحة العامة منها، إلا إذا كانت الحكومة كوزارة محمد توفيق باشا نسيم فى إيثار المصلحة على كل شيء ، وهذا الوزير المستقل فى رأيه وارادته اعلم من كل هؤلاء المتظاهرين ومن غيرهم : بمزايا الشيخ المراغى فى نفسه ، وبمكانته فى قلوب أمته ؛ وأعلم بحالة الازهر ومشيخته الحاضرة ، وزادته هذه المظاهر الحرة التى لولاها لم تكن علما ، ولا يخفى عليه أن ما قيل وما كتب وما فعل من قبل ومن بعد فى إهانة الظواهرى واظهار الازهر لاحتقاره كاف لابعاده عنه لو كان مبالغا فيه ، فكيف وقد ظهر عجزه عن ادارته ، وان فى بقائه فى المشيخة إهانة للاسلام والمسلمين فى اعتقادهم إن لم نقل فى الواقع ؟ وإننى لأقول هذا عن عقيدة ورأي، ولا يخالف فيه ذو حجر ، والامور مرهونة بأوقاتها ، ونسأل الله التوفيق لأولياء أمورنا

نصيحة لطلاب الازهر والمعاهد الدينية

اخواني : إنكم ستنالون ما ترضون من تولي من تمقتون عنكم ، وتولية من تحبون عليكم ، لا بقوة مظاهرتكم لزيد وتظاهركم على عمرو ، بل لأنه الحق والخير والمصلحة ، ولأن الامة الاسلامية كلها معكم فيه ، ولأنكم فى عهد وزارة تقدر هذه القوى الاربع قدرها ، وجديرة بأن ترضى الله تعالى بارضائها ، وإن هذا لهو خير لكم من إجابتكم إلى ما طلبتم خضوعا لقوة اجتماعكم لذاتها ، نعم ان الاجتماع قوة ، ولكن قوة الحكومة أشد من قوة الطلبة، بيد أنها دون قوة الامة، التى تطلب الحق بوسائل العقل والحكمة، وقد قال حكيمنا السيد الحسينى الافغاني : العاقل لا يظلم فكيف إذا كان أمة؟

اخواني: اننى قلت فى مقدمة هذا الكتاب التى كتبتها منذ سنة ونصف سنة : إنه

ليؤلمني ألذع الألم أن تضطر الأمة الاسلامية وصحفها الى هذا التشهير بسيرة الرئيس لأكبر مصلحة إسلامية في مصر الخ ثم بينت السبب الطبيعي لهذا في القسم الاخير منه في الكلام على العبرة بهذه العاقبة السوءى للمسيء بمقتضى سنة الله تعالى في الاجتماع المدني

وأقول هنا : إن صراخكم في الشوارع باسقاط شيخ الازهر مع نبزه بالالقاب والهجوم على مكتبه وتحطيم مافيه لجريمة ثورية ذات شعب من الضرر ثالثها إهانة المرءوسين لمنصب الرياسة ، بما يخشى أن يكون سنة سيئة لا يبقى معها للنظام ولا للمنصب حرمة ، فتعقب هذه السنة أن يجتنب هذه الرياسة أهلها الكرام، ويتكالب عليها الطامعون اللئام ، الذين يخنعون للاهانة فيكونوا حربا للامة وتكون حربا لهم، واعتبروا في الفريقين حكمة النبوة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عوف ابن مالك مرفوعا : « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » اه والصلاة في الحديث الدعاء المتضمن للعطف ، فالخير داعية الخير ، والشر داعية الشر ، والمخرج من هذه العاقبة ماترونه في الكلام على الامراء والسلاطين في خاتمة هذا الكتاب

اخواني : إن التعليم الديني لن يكون وسيلة لسعة الرزق للالوف من المتخرجين في هذه المعاهد، ولا ينبغي أن يكون كذلك ، وإنما يجب أن يقصد به إعادة مجد الاسلام من حيث هو دين هداية وسيادة وسياسة وتشريع عام لجميع البشر ، ولن يكون وسيلة إلى بلوغ رجاله هذه الغاية إلا إذا كان أهله مستقلين دون الحكام في إدارته ونظمه ومناهجه ورزقه ودرجاته العلمية بقانون يكفل لهم ذلك ، فالى هذه الغاية يجب أن تتوجه قوة المعاهد الدينية ، فان لم تفعل كانت عاقبة الدين في مصر ، كعاقبته في حكومة الترك، فلا أزهر ولا مدارس دينية ، ولا محاكم شرعية ، ولا أوقاف اسلامية ، وإن فعلت رجي أن تعم هداية الاسلام الشرق والغرب ، ويتم بها وعد الله باستخلاف أهله في الارض ، واظهاره على الدين كله ، فيكون علماؤه من الائمة الوارثين ، وهي فاعلة ان شاء الله تعالى وبه التوفيق اه

كلمة جديدة فى الكتاب والشيخ الظواهري

إن ما أعلمه حق العلم من تاريخ الشيخ محمد الاحمدي الظواهري وأخلاقه وآرائه وأعماله من قبل توليته رياسة الازهر والمعاهد الدينية قد بدت في سيرته وأعماله في هذه الرياسة بل تكشف هو بها فظهر بصورة لا أستبيح لقلمي وصفها ، ولولا غيرتي الدينية على هذا المعهد الاسلامي واعتقادي أن رياسته له في هذا الطور الجديد وفي ظل النظام الاستبدادي المدبر كان خطرا على الازهر وعلى الاسلام لما كتبت ما كتبت فيه ، ولقد نصحت له من قبل أن أكتب شيئا ثم أنذرته راجيا أن يكفيني أمر الاضطرار إلى الكتابة والنشر ، ولكن خلقه وغروره بالمنصب أبيا عليه قبول النصيحة والاعتبار بالانذار

جئته أول مرة أو زرته بمكتبه في إدارة المعاهد لما رأيته شرع في الانتقام من بعض العلماء المهتدين بنور الكتاب والسنة بالنقل من الازهر إلى بعض المعاهد واتهامهم بما أمر بالتحقيق فيه ، فتلقاني بالحفاوة والترحيب كدأبه ، وأظهر لي الرغبة في التعاون معه على خدمة الاسلام، مصرحا بقوله نحن إخوة إن كنا نختلف في بعض الآراء فلا يمنعنا هذا عن التعاون على خدمة الاسلام العامة، ولعله كان رأي في المنار ما أسميه القاعدة الذهبية للاتفاق بين أتباع المذاهب والطوائف وهو قولي « نتعاون على ما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضا فيما نختلف فيه » وكان فضيلة الاستاذ مفتي الديار المصرية المحب للاصلاح المعتصم بالاخلاص حاضراً ، فسر بكلمة الشيخ الأكبر وتكلم فيما يراه من وجوب التعاون بيننا ، ولكنني لم أكن أعتقد أن الشيخ مخلص في قوله كالمفتي، فكانت أول تجربة له أن ألقيت اليه النصيحة التي زرته لأجلها ، فقلت له إن العرب كانت تقول إن آلة الرياسة أو شرطها الحلم وسعة الصدر ، ولم أذكر له الشرط الثاني لهم في بيت الشعر المشهور الذي يذكر في شواهد النحو :

بيذل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك إياه عليك يسير

قلت وإذ كانت فضيلتكم ترى أن الاختلاف في بعض المسائل لا ينافي الاخوة والتعاون على المتفق عليه فأرى أن يتسع صدركم لما تنكرونه على فلان وفلان من العلماء ولا تفتحوا على أنفسكم باب الانتقام، ولا تجعلوا لكم خصوما من مرؤسيكم الخ فوعدوعداً حسناً في ظاهره، يومي إلى مكر في باطنه، ثم ظهر هذا المكر في أقبح صوره، بعزل من أوصيته بهم من التدريس في الازهر وهم الذين يكره منهم ما عرف عنهم من انكار للبدع واتباع للسنن على مذهب السلف واستقلال في العلم، وعزل آخرين معهم من كبار السن بالشبهة التي اشتهرت وعلم جميع أهل الازهر وغيرهم من العارفين بطلانها

ثم إنه لما أغرى سفيهه من محرري مجلة المشيخة (نور الاسلام) بنشر تلك المقالات المعروفة في تأييد البدع والخرافات والطعن على الوهابية ورجال الحديث ثم على المنار بعد أن نصحت لها بسلوك الطريقة المثلى اللائقة بأول مجلة دينية رسمية تصدرها مشيخة الازهر، ورأيتني مضطراً إلى الرد على ما افتريته علي؛ كاشفت الشيخ بأنه يجب علي شرعا أن أرد على ما افتريته علي مجلة المشيخة فان أذن بنشر الرد فيها اقتصرت به على بيان خطأ المفتري بايراد النصوص الصحيحة المبينة للحقيقة من المنار بدون زيادة، وإلا رددت عليها بما أنشره في المنار وفي بعض الجرائد اليومية بما يسوءه من اظهار جهلها وافترائها، فأظهر قبول الاقتراح الاول وكان ما كان من محاولة خداعي بالصلح والاتفاق كما بينته في المنار ونشر في بعض الجرائد وجمع في هذا الكتاب

ثم طبعت هذه المقالات مستقلة ورأيت أن أضيف اليها بعض الشواهد من مجلدات المنار على ما قمت به من خدمة الازهر والدعوة إلى إصلاح التعليم والتربية فيه والمقترحات الاسلامية التي توجبها حاجة العصر على علمائه، وأن أقدم على هذا خلاصة لترجمتي العلمية وتربيتي الدينية التي جعلت كل همي من حياتي الدعوة إلى

الاصلاح الاسلامي وهاجرت إلى مصر للقيام بها وأنشأت المنار لها ،

وكان الغرض الاول من كتابة هذه الترجمة أن تدل قارئها على أن الباعث النفسي على الرد على مجلة الازهر هو ما نشأت عليه تربية وتعليما وعلما وعملا ، ولم يكن غرضا عارضا ، ولا جزاء محضا للظواهري ولسان حاله الدجوي بطعنهما علي عملا بما أباحه كتاب الله من جزاء السيئة بمثلها ، فان خلقي يأبى على هذا ، ولو أردته لعجزت عن كتابة مثل تلك الرسالة الهجائية (صواعق من نار في الرد على صاحب المنار) التي استقاها الثاني واستساغها الاول وكانت توزع في الجامع الازهر بالمجان ، ووعد الشيخ الاكبر بمنع توزيعها فأخلف الميعاد كعادته ، وانما كتبت لتطهير الازهر الشريف مما لطخاه به من العار ، وصد ما استهدف له من الاخطار ، ودفاعا عن حق المنار

وقد بدا لي بعد الشروع فيها أن أبيح لقلمي فيها حرية قد ينتقدها بعض قارئيها من شئ شأن يعدها من تزكية النفس المذمومة ، ومن صديق مزك يود أن أجب عن نفسي الغيبة ، وهو ذكر بعض ما وقع لي من الامور الروحية غير العادية في أثناء الاشتغال بالرياضة الصوفية وكثرة الذكر ، مما يعده الجمهور من كرامات الاولياء ، وقد اشتهرت بالانكار على المغرورين بها ، والتأويل لأشهر ما يعدونه او يدعونه منها ، حتى ان بعض أعداء الاصلاح من الخرافيين الذين اتخذوا دعوى الكرامات والمنامات حرفة يأكلون بها أموال العوام بالباطل ويستهوونهم لاعتقادولايتهم واتباع بدعهم والبذل لهم ، ما زالوا يصدون هؤلاء العوام الجاهلين عن الاصلاح الذي يدعوهم اليه المنار بأن منشئه من منكري الكرامات ومبغضي الاولياء

ولقد وقع اذ نشرت هذه الترجمة في المنار ما كنت أتوقع من نقد بعض المحبين وحمد آخرين ، ولكن كان من البواعث لي على نشره في الكتاب لا الموانع دونه ، وإنني أشير هنا إلى جملة هذه البواعث ولولا حدوث ما اقتضى تعجيل إصدار الكتاب لنشرتها فيه وهي :

إن أكثر المسلمين أو الشرقيين الذين عرفنا أحوالهم بالمشاهدة والمحادثة

والمكاتبة في البلاد التي نشأنا فيها والبلاد التي سافرنا اليها من عربية وتركية وهندية ينقسمون في الامور الروحية إلى فريقين كبيرين ، وفريق ثالث صغير أو قليل

الفريق الاول يصدقون كل ما يقرءون وما يسمعون من الاخبار المخالفة للعادات المألوفة عن المتقدمين الذين يسمونهم الاولياء ، ويسمون أعمالهم بسمة الكرامات ، وعن المعاصرين من مشايخ الطريق ومدعي استخدام الجن ، ويخضعون للمنتحلين لها ويرجون نفعهم ويخافون ضرهم ، ويبذلون لهم أموالهم ، وربما ائتمنوهم على أعراضهم ونسائهم ، وفي ذلك من الخرفات والمعاصي المفسدة لأمور الدين والدنيا ما تفاقم شره ، واستشرى فساده وعظم وزره ، وما هو شرك صريح بالله تعالى

والفريق الثاني ماديون يكذبون جميع هاته الاخبار وينكرون وجود ما ليس له سبب طبيعي منها أو امكانها ، ويعدونها مفتريات مختلقة لخداع الجاهلين الغافلين وسلب أموالهم ، ومنهم الذين يكذبون الاديان كلها لاتفاقها على أخبار معجزات الانبياء ، وكرامات القديسين والاولياء ، ويحتجون على ذلك بأنها في هذا الاصل الديني سواء ، مع اختلافها فيما هو أهم منه من أصول الدين ، وبأن العلم والتاريخ قد كشفا كثيراً من خفايا أهلها ودجلهم وحيلهم وكذبهم ويقاس غيره عليه

والفريق الثالث يعتقدون ان لها أصلا ثابتا ، ولكن فيها دجلا وأباطيل يتعذر التمييز بينها ، ومن هؤلاء من لا يصدق منها إلا ما أثبته الافرنج المشتغلون بالأمور الروحية وما يسمونه استحضار الارواح ، وهم في حيرة من تعارض أخبارهم مع عقائد الاديان ، وكثيراً ما ينقلون ما يرونه في الصحف الافرنجية من أحداثها ويعدونه كغيره من الغرائب المادية التي تهدي اليها التجارب في نور العلم

ومن موضوع المنار البحث في هذه المسائل والتصدي لهداية أهلها للحق فيها لهذا رأيت من المفيد أن أذكر في ترجمة حياتي ما وقع لي مما يؤهلني لذلك ويبين لقارئه أنني أتكلم فيه على بصيرة فيما أنتقده وفيما أقره وما أتأوله ، كما أتكلم في إصلاح

التربية والتعليم في الازهر وغيره ، وأنه ليس لي فيه هوى ولا منفعة ولا أخشى به فتنة أحد ، بل مقاومة الجهل والدجل ، أحمد الله عز وجل أن حفظني ببركة الاخلاص من هذه الفتنة في الزمن الذي فتن في مثله الكثيرون في كل عصر ، فقد ألهمني أن كنت أهون أمر تلك الامور الروحانية على من يرونها بأعينهم (كشفاء المصروعين والمرضى) ويسمعونها بآذنهم (كالمكاشفات) من حيث أرى أهل الدعوى والتلبيس والدجل قد فتنوا كثيرا من الناس بأنفسهم ، وسلموا الكثير من أموالهم، وأسأل الله تعالى أن يتم النعمة ، ويحسن الخاتمة بفضله وكرمه

وإني لأستغرب أن يقصد في بعض علماء أوربة الباحثين في الامور الروحية للبحث معي فيها وأن يعدو بي من بعض أعضاء جمعياتهم من حيث لا أرى أحداً من قومي يعنى بذلك ولا يسأل عنه ، وقد اتسعت دائرة المباحث والتجارب الروحية في أوربة في هذه السنين وكثرت اخبار غرائبها وان جرائدنا تنقل منها ما تظن أنه طريف ونحن نعلم أنه تليد ، وان ما في كتبنا منه كثير

وإن إظهار العالم لعلمه عند ما يرى الحاجة اليه ليسئل عنه مطلوب شرعا مع الاخلاص ومجاهدة هوى النفس، والمأثور في هذا عن أئمتنا في العلم والعرفان معروف والذين كتبوا وقائعهم وتاريخهم مفهم كثيرون ، ومن علماء الغرب أكثر ، وما شرع شيخنا الاستاذ الامام في كتابة ترجمة حياته إلا بالحاح بعض هؤلاء الغربيين عليه فيه ، ومن سوء حظنا أنه لم يتمه ، ونحمد الله أن وفقنا لتدوين ما علمناه منه

لعله وضح بهذا ماخفي على بعض اخواننا وغيرهم من نيتنا في كتابة هذه الترجمة قبل أن ينقرض من أهل وطننا من يعرف أكثرها ، ووضح أيضاً انني لم أقصد بكتابة هذا الكتاب وبيان مساوي الشيخ الظواهري فيه إلا ما كان يقصده أئمتنا من علماء الجرح والتعديل بتراجم رواة الحديث الضعفاء والوضاعين ، وعلماء الحديث المدافعين عن السنة بالرد على المبتدعين، فجهادي به موجه إلى المسيء إلى الاسلام بمنصبه ، دون المجاهر بالاساءة إلي بحسده وراتبه ، فما هذا إلا سيئة من سيئات ذاك، وما كنت أعبأ بجهله علي وعلى السنة . أئمتها من أهل الحديث ومتبعي السلف قبل جعله إياه ناطقا باسم مشيخة الإزهر في مجلتها .

وما ندمت على شيء كتبته فيه الا ما نقلته من خبر بذله جل راتبه هدايا الى وليه وناصره لان ظاهر عبارته انه من المساوىء الشخصية على انني قصدت به إزالة عجب الناس من ابقائه في منصبه بعد ظهور مساويه تنزيها لولي الامر عن علمه بها واقراره عليها

ولقد أرجأت تصديره ثمانية عشر شهراً لأنني أعلم أنه يقرب أن يتقرب به إلى أوليائه في الحكومة تلك المستبدة الظالمة فيزداد استمساكهم به (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) وما كادت تسقط وتخلفها الوزارة الحرة المرجوّة إلا وصراخ الازهر وعويله من ظلمه قد طبق الآفاق، واخترق السبع الطباق، وطبق عليه الطلاب والعلماء، وأجمع عليه الكتاب والشعراء والخطباء، متعذراً أن يتهم به فرد من الافراد أو جمع قليل متواطئون عليه، فنشرت الكتاب موقنا بقرب عزله إن لم يعتزل، وإقالته من منصبه لا من عثرته إن لم يستقل، لأن لا استعجال بهذا أهون الشرين عليه من الاملاء له فيه، فان الازهر لن يطيق الصبر بعد على احتمال الذل والهوان ببقاء رياسته، ولكنه هو يحتمل شرا من ذلك بالاصرار عليها وتمني قهر مرؤسية بحماية حرس من الحكومة له في بيته وفي طريقه وفي الازهر يمنعه ان ينكلوا او يمثلوا به، وما كانت شدة الحرص على الرياسة لتأتي بخير، وانما خير أهلها من ترغب فيهم ورغبون عنها، ويرونها عبئا ثقيلا لا يقبل إلا لأجل المصلحة العامة، لهذا قال ﷺ « إنكم ستحرصون على الامارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة، وبئست الفاطمة » رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة، وروى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي موسى الاشعري أنه قال دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحدهما يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله، وقال الآخر مثل ذلك، فقال ﷺ « إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه » ولقد رأينا في عصرنا رجلا واحدا حرص على رياسة الازهر أشد الحرص وأذله وأسخفه، ورجلا واحدا زهد فيها أشد الزهد واعزه وأشرفه

مباحث الربا والاحكام المالية

﴿ تابع لما قبله ﴾

الاصول والقواعد العامة

(للحلال والحرام في المعاملات المالية)

مقدمة في تلخيص إجمالي لما تقدم

قد بينا حقيقة الربا المحرم بنص القرآن القطعي وهو ربا النسيئة أي ما يأخذه الدائن من المديون المعسر عند استحقاق الدين المؤجل عليه وعجزه عن قضائه لأجل تأخيره الى أجل آخر، وهو زيادة لا مقابل لها، فهي ظلم قد يتضاعف اذا عجز المديون عن القضاء كلما حل أجل جديد، فيكون أفحش أنواع الظلم والقسوة، وبينا حقيقة ما سمي ربا الفضل وهو ما نهى عنه النبي ﷺ من بيع أحد النقدين أو أصول الاقوات التي عليها مدار معيشة الامة بمثله من جنسه مع زيادة أو تأخير، وبينا أن حكمة النهي عنه سد ذريعة الربا القطعي المحرم بنص كتاب الله تعالى. وبينا ان الفقهاء توسعوا باجتهادهم في أحكام المعاملات المالية حتى أدخلوا في معنى الربا كثيراً من صور البيوع والقروض والشركات التي لا تدخل في ربا القرآن الاصلي (النسيئة) ولا في ربا الحديث الاحتياطي من باب ولا منفذ، إلا بالتأويلات المستنبطة من التعاريف والاقيسة والضوابط المذهبية الاجتهادية، وأن جمهور المسلمين يظنون ان كل ما حظره الاجتهاد المذهبي وعده من الربا فهو محرم كالذي حرمه الله بالنص القطعي وتوعد عليه بأعظم الوعيد لشدة ضرره وظلم الاخ لاخيه فيه، والذي نهى عنه رسوله ﷺ احتياطا لسد ذريعة الظلم الذي حرمه الله تعالى على عباده كما حرمه على نفسه

ومن أجل هذا الفهم الباطل ضاعت عليهم سبل المعاملات ووقعوا في مأزق العسر والحرج الممنوع من شريعة الحنيفية السمحة بنص كتابها العزيز، واضطروا

الى طرق أبواب الحيل لاستحلال ماحرمه الله لا ماحرمه هؤلاء الفقهاء برأيهم فقط، ولم يضع لهم هؤلاء الفقهاء حدوداً وضوابط للاضطرار أو الحاجة الى المحظور في قاعدتهم : الضرورات تبيح المحظورات ، وفي قولهم إن المحرم لذاته يباح للمضطر اليه ، وان المحرم لسد الذريعة يباح للحاجة اليه ورجحانها على المفسدة .

ان هؤلاء المقلدين حرموا على أنفسهم وعلى عباد الله مالم يحرمه عليهم ربهم، فمنهم من حرم على نفسه منافع أحلها الله له ، ومنهم من أقدم على ارتكاب ما يعتقد ان الله تعالى حرمه عليه إما بحيلة يعلم أنها لا تخفى على الله ولا ترضيه، وإما بغير حيلة، ودخل أدعياء الفقه منهم في عموم من قال الله تعالى فيهم (٤١ : ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ومن قال فيهم (٩ : ٣١ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد فسره النبي ﷺ بأنهم هم الذين كانوا يحلون لهم ويحرمون عليهم فيتبعونهم

وآل أمر أكثر المسلمين الى أن تغلب الافرنج على أكثر بلادهم بالفتح السياسي أو الحربي ، أو بالنفوذ الاقتصادي والاداري ، وصارت جميع أحكامها المالية بالقوانين التي تبيح ماحرموا من الربا وغيره من ضروب الكسب ، فصاروا يؤكلونهم الربا ولا يأكلون منهم ، ويكسبونهم أموالهم ولا يكسبون منهم ، حتى ان المسلم الغني يودع ماله في مصارفهم [بنوكهم] بدون فائدة له فيستغلونها لأنفسهم ، والمسلم المحتاج يستدين منهم بالربا، فازدادوا بهذا عسراً وفقراً ، وفرت ثروة بلادهم من أيديهم إلى أيدي مستعبديهم، وصاراً كثرهم أجراء بل عبيداً للافرنج فيها، وتبع ضياع الثروة والنفوذ ضياع العلم الديني والدنيوي، وبدأ يتبع ذلك ضياع الدين التقليدي، ولا يمكن أن يجدوا مخرجا من هذه المآزق إلا بمسابقة الافرنج إلى الثروة وتنظيمها وبذلها في المنافع والمصالح الملية ، فمنهم من يلتمس هذا بترك الاسلام نفسه سراً أو جهراً ، ومنهم من يوطن نفسه على ذلك طوعا أو كرها ، وأكثرهم كالناقة العشواء ، تخبط في الظلماء ، أو كالذي يتخبطه الشيطان من المس

هذه المسألة من أظهر المسائل التي يعبرون عنها بقولهم « عمت بها البلوى » وعموم البلوى في الامور العامة مما يبيح المحظور اللامة، كما ان الضرورة الشخصية

تبيح المحظور للافراد ، وبناء عليها قال الامام الغزالي في كتاب الحلال والحرام من الاحياء ، ان المال إذا حرم كله حل كله فيستأنف فيه التعامل بالاحكام الشرعية على انه حلال

ان جمهور المسلمين لفي حرج شديد في هذه المعاملات المالية العصرية ، وكلهم يتمنون لو يجدون لهم مخرجا منه مع المحافظة على دينهم ، وأنى يجدونه وهم يطلبونه من أدعياء الفقه الديني الذين وصفهم شيخنا الاستاذ الامام بحملة العمائم ، وسكنة الاثواب العباعب ، وهم حماة التقاليد الفقهية التي أدخلتهم في جحر الضب اتباعا لسنن من قبلهم من أهل الكتاب ، لكن بعد أن خرج هؤلاء منه ، وهم الذين قال فيهم قبيل وفاته :

ولكنه دين أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

ذلك بأنهم هم أئمة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » (رواه البخاري ومسلم) وبأنهم أجهل ممن قال فيهم أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا ، وإذ كانوا هم حماة التقاليد التي حصرت الامة في جحر الضب (أي الضيق) فوظيفتهم أن يقذفوا كل مصلح يحاول اخراجها منه الى فضاء الحنيفية السمحة بأنه خارج من الدين أو عليه بمخالفته لأئمة المذاهب الواجب اتباع واحد منهم على كل واحد من المسلمين بنص عقيدة جوهرة التوحيد للقاني :

ومالك وسائر الائمة كذا أبو القاسم هداة الامة

فواجب تقليد حبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهم

ويعنون بوجوب تقليد حبر من هؤلاء الائمة الفقهاء وأبي القاسم الجنيد من أئمة الصوفية تقليدا في هذه الكتب الكثيرة المؤلفة فيما يسمونه مذاهبهم وفي طرائق الصوفية ، ولا عذر عندهم لمن يخالفهم فيها الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا الى أدلة هؤلاء الائمة ونصوص كتبهم المروية عنهم أيضاً ، فالاخذ عن الائمة والعمل بنصوصهم ممنوع عندهم أيضاً ، وكذا اتباع الطبقة العليا من أصحابهم كأبي يوسف ومحمد بن الحسن صاحبي أبي حنيفة ، وكذا من يليهم من طبقات

مجتهدي المذهب وأصحاب التخريج والترجيح بين الاقوال المختلفة والتصحيح فيه مباشرة وانما الواجب شرعاً في رأيهم العمل بما يعتمده متأخرو المؤلفين من أقوال من قبلهم من المصححين ، كما قال علامتهم ابن عابدين في [رسم المفتي] وهم الذين سماهم أسرى النقل المحض من كتب مخصوصة للمقلدين

وانني بعد أن حاربت هذه التقاليد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مع اتباع هدي الائمة من السلف الصالح كالذين ذكرهم اللقاني لا تقليدهم ، أقدم على بيان ما أرى فيه المخرج للامة من الجحر الضيق المظلم الى الفضاء المشرق بنور الله تعالى مبتدئا بالاصول الآتية:

الاول اصل الاصول

في منافع الكون الدنيوية الاباحة بمقتضى فطرة الله ودينه المكمل لها

الاصل في جميع منافع الكون الاباحة للخلق بدليل هداية الفطرة ودينها، وقد بين ذلك الكتاب العزيز بمثل قوله تعالى (٢:٢٩ هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) وقوله (٦٧:١٥ هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله (٤٥:١٣ وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) فهم يعرفون منافعها بالتجارب ويترقون فيها بالتعاون حتى تكون معارفهم علوما مدونة ، وفنونا متوارثة ، وهداية الحواس والعقل كافية في ذلك بهدي الرسول ﷺ في قوله « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما في معناه رواه مسلم

ثم ان الله شرع الدين لعباده ليعلمهم مالا تستقل عقولهم بمعرفته بالدلائل والتجارب وهو معرفته تعالى الصحيحة وعبادته التي ترضيه، وما يهذب أخلاقهم ويزكي أنفسهم من الفضائل ، ليعيشوا بالتعاون والتحاب والعدل والاحسان، ويجتنبوا الرذائل الضارة بأفرادهم وجماعاتهم الكبيرة والصغيرة كالظلم والعدوان، وبمجموع هذين الامرين يكونون أهلا لاجتناء ثمرة الدين في حياتهم الدنيا بقدر استعدادها المشوب بالشوائب الكثيرة — وأهلا للسعادة الكاملة في الآخرة

والدليل على ذلك ان الله تعالى قص علينا في كتابه دعوة أشهر رسله لاقوامهم فلم نجد فيها مايدل على ان مما بعثوا له تعليم أقوامهم الزراعة والتجارة والصناعة، وانما وجدناها متفقة على عبادة الله وحده والنهي عن الشرك والظلم والفساد في الارض، وعلى الامتنان على الناس بنعم الارض واستعمارهم فيها، وكون الدين يزيدهم فيها قوة ونعما، ووجدنا في قصة شعيب انه نهى قومه عن نقص المكيال والميزان وعن بخس الناس أشياءهم والفساد في الارض لان هذه الرذائل قد فشت فيهم

ووجدنا في أخبار بني اسرائيل أن الله تعالى حرم على اليهود طيبات كانت أحلت لهم بسبب ظلمهم تربية لهم، وان نبيه عيسى عليه السلام أحل لهم باذن الله بعض ماحرم عليهم، ثم جاء محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ فوضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم كلها، فعلمنا ان ذلك كان تحريما عارضا في شعب واحد معروف إلى أجل معلوم، وان شريعة خاتم النبيين السمحة هي الدائمة

﴿ الاصل الثاني ﴾

ما أكمله الله من الدين فلا يقبل زيادة فيه

أكمل الله تعالى ببعثة محمد ﷺ دينه لجميع الشعوب والقبائل في جميع أقطار الارض إلى آخر الزمان فحدد لهم في كتابه وما بينه من سنة رسوله خاتم النبيين جميع ما يحتاجون اليه من أصول التشريع الديني العام الدائم، وفوض اليهم ما وراء تلك الحدود، ووعدهم باستخلافهم في الارض وتمكين دينهم وسيادتهم وقوتهم فيها، وإظهار دينهم على الدين كله، وختم بذلك النبوة والتشريع الديني، فليس لاحد بعد كتاب الله القرآن وبيان السنة المحمدية له، أن يفرض على البشر عقيدة ولا عبادة ولا تحريما دينياً لشيء من الاشياء، ولا لعمل من الاعمال، فالدين قد كمل فلا يقبل زيادة ورد من الاوراد ولا عبادة من العبادات ولا تحريم شيء، وأسعد أتباعه من يقتدي فيه برسول الله ﷺ وأصحابه من بعده

﴿ الاصل الثالث ﴾

ما فوضه الله الى عباده من أحكام الدنيا

وأما مصالح الدنيا ومعاملاتها المدنية والاقتصادية والسياسية فقد ترك الشرع مالم يبينه منها إلى اجتهاد هذه الامة الكبيرة لانها لايمكن حصرها وهي تختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، فما أدى اليه اجتهاد أحد من الافراد عمل به ولا يكون دينا لغيره ، وما أدى اليه اجتهاد أولي الامر من المصالح العامة من سياسة وقضاء عملوا به على انه ضبط للمعاملات للفصل في الخصومات واقامة العدل ، ولكن ليس لاحد منهم أن يجعل شيئا منه دينا يكلف الناس أن يدينوا الله تعالى به . فكل مالم يكن في عهد رسول الله ﷺ دينا لا يكون بعده دينا كما قال الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى ، وقد كان مما يوصي به النبي ﷺ أمراء الجيش أو السرايا قوله « اذا حاصرت أهل حصن وأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لاتدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا » رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث بريدة (رض) وهو من الدلائل على تفويض مصالح الامة إلى أولي الامر منها كما فصلناه في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم)

﴿ الاصل الرابع ﴾

اجتهاد الفقهاء لايشرع عقيدة ولافريضة ولا تحريما

والغرض من هذا أن آراء الفقهاء وأحكام الامراء والقضاة في المسائل الاجتهادية ليس من أحكام الله تعالى في عبادة ولا حلال ولا حرام ، فأما في العبادات فقد بينا حكمه ، وأما في المعاملات المالية ونحوها فاجتهاد الافراد لهم وعليهم ، واجتهاد أولي الامر بشرطه تجب طاعتهم فيه اذا حكموا به ولم يكن مخالفا لكتاب الله أو سنة نبيه ﷺ ، وانما تجب لاجل منع الفوضى وحفظ الحقوق ومنع العدوان ، واقامة النظام ، ولكن لايجوز لهم أن يسموه حكم الله تعالى ، ويدعوا ان الله تعبد عباده به ، وان المخالف له عاص لله تعالى فاسق عن أمره ، خارج عن هداية دينه ، يستحق عذابه في الآخرة ، فضلا عن كونه يخرج من الملة بانكاره أو استحلال مخالفته ، كما يتوهم أكثر

المسلمين في مخالفة اجتهاد الفقهاء ، ومنها ما نحن فيه من الكلام في أحكام الربا الاجتهادية: يتوهمون ان كل من خالف الصحيح المعتمد في المذهب الذي ينسب اليه في مسألة منه ـ ككون كل نفع للمقرض من المقترض ربا ـ انه واقع في الوعيد الشديد في آيات سورة البقرة بأنه محارب لله ولرسوله في الدنيا ، وأنه يقوم من قبره يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ، وأنه حقت عليه لعنة الله في حديث « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه هم فيه سواء » رواه احمد ومسلم بهذا اللفظ من حديث جابر واحمد وأصحاب السنن عن غيره

بل أقول إن أصول علم الحديث تمنع أن يدخل في عموم هذا الوعيد الالهي الخاص بالكبائر من يأكل ربا الفضل (الذي جعله بعض الحنفية كمفتي الهند الذي رددنا عليه في كتابنا هذا بياناً لربا القرآن) في مثل صرف ريال مصري بأربعة أرباع الريال المعروفة مع تأخير في القبض أو اختلاف في المجلس مثلا ، كما أن الوعيد على الزنا لا يعم ما سمي باسمه من ذرائعه كالنظر واللمس ولو بشهوة

وما قررته في هذه المسألة موافق لأصول الأئمة المجتهدين كما انه هو المتبادر من النصوص ، ولكن أكثر المسلمين يجهلونه ، وفي بعض كتب الفقه ولاسيما كتب الحنفية نصوص فقهية في تكفير من يقول أو يفعل مايدل على عدم إذعانه واحترامه لهذه الكتب وما فيها من الفتاوى ، أو الطعن على مؤلفيها أو غيرهم من الفقهاء ، بشبهة ان ذلك يستلزم الطعن في شرع الله ودينه ثم في الله عز وجل ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ، ولو جاز لأحد التكفير بمثل هذه اللوازم لكان من يكفر أحداً من المسلمين بهذه الآراء أولى بأن يحكم بكفره ، بل يمكن الاستدلال على كفره ابتداء بأنه افترى على الله وشرع لعباده مالم يأذن به

بل أقول ان جميع هؤلاء الائمة مجمعون على أن آراءهم الاجتهادية ليست شرعاً دينياً يجب اتباعهم فيه ، وأنهم ليسوا إلا باحثين فيما شرعه الله تعالى لعباده مبينين لما يفهمونه منه ، وانه لايجوز لاحد العمل به إلا من ظهر له صحة دليله واقتنع به. وقد فصلنا هذا بدلائله وبالنقل عنهم رضي الله عنهم في مواضع من مجلة المنار ، ومنها ماجمع في كتاب [الوحدة الاسلامية] وكتاب [يسر الاسلام ، وأصول التشريع العام]

أطلت في هذه المسألة على ما سبق في معناها لفشو الجهل بها على عظم شأنها ، وأنتقل منها إلى بيان ماجاء في الكتاب العزيز في مسألة التحريم والتحليل والحرام والحلال في المعاملات المالية ، ثم إلى مجمل ماورد في الاحاديث النبوية الصحيحة من النهي عن بعض المعاملات المالية ، وحكم هذه المناهي ومذاهب الفقهاء فيها . ثم أثني على ذلك بما عليه أهل هذا العصر في الاقطار الاسلامية التي تعامل شعوب الحضارة ودولها من المعاملات التجارية والشركات المالية، وماهو محرم منها في دين الاسلام وما هو غير محرم، وأستغني بهذا عن إفتاء من يستفتونني في هذه المسائل من الشرق والغرب وأبدأ ببيان الدلائل على أن التحريم الديني حق الله تعالى فأقول:

نصوص القرآن في التحريم الديني

(وكونه لله تعالى وحده)

ان التحريم الديني هو حق الله تعالى على عباده فليس لأحد من خلقه حق أن يحرم عليهم شيئاً إلا باذنه في وحي منه ، فكل ماقاله ويقوله الفقهاء في التحريم الديني باجتهادهم غير مستند إلى نص صريح من الشارع فهو باطل كالقول في أصول العقائد والعبادات ، دون صفة الاداء كالقبلة. ومن أدلة هذه القاعدة ما يأتي:

(١) قوله تعالى (٤٢ : ٢١ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)

(٢) قوله تعالى (١٦ : ١١٦ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) الآية

(٣) قوله تعالى (١٠ : ٥٩ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا : قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ؟) ويدخل في هذا ما أنكره على المشركين وذمهم عليه من تحريم بعض الحرث والانعام عاما أو خاصاً في آيات معروفة

(٤) قوله تعالى (٧: ٣١ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وفي تحريم الطيبات وتحريم الاطعمة آيات أخرى ليس هذا محلها

وقد اشترط أئمة العلم من السلف كالحنفية ان التحريم لا يثبت إلا بنص قطعي من الشارع بل قال بعضهم من القرآن دون الدليل الظني وسيأتي بيانه

شهر رمضان موسم العبادة الروحية البدنية الاجتماعية

كتبنا في السنين الخالية ، ونشرنا في مجلدات المنار الخالدة ، مقالات كثيرة في أحكام الصيام وحكمه وفوائده الصحية المتفق عليها عند الاطباء والاجتماعية التي تتفق فيها العادات، في مواعيد الطعام والدعوات عليها بين الاقران، والصدقات على الفقراء ، والاجتماع على بعض العبادات الخاصة بهذا الشهر كصلاة التراويح ومجالس الوعظ وتلاوة القرآن ، ولكل من هذه العبادات والعادات الاسلامية تأثير في النفس وشعور روحي خاص يزيد المؤمنين إيمانا بربهم ، ومودة بينهم ، وقوة في رابطتهم ، والذين لايصومون محرومون من حلاوة هذا الشعور الشريف وإن شاركوا المؤمنين في بعض ظواهره

وشر هؤلاء المفطرين من لا يشعر بألم حرمانه من هـذه الحلاوة الروحية والعاطفة الملية ، كأنهم من الحيوانات أو الحشرات ذات الحياة الفردية ، فاني أظن أن ما يعيش عيشة الاجتماع منها كالنمل والنحل تشعر أفراده بلذة خاصة في تعاونها الاجتماعي فوق اللذة بتوفية أبدانها مافيه قوام حياتها الشخصية والنوعية، وأعتقد أن جميع البهائم خير لأنفسها من فساق البشر المجرمين، وأن الصيام خير مانع للفسق وجناية الانسان على نفسه وعلى غيره، لافي أثناء صيامه فقط بل في كل آن اذا كان صيامه عبادة لاعادة . والفرق بين الصيامين أن من يترك الشهوات البدنية في النهار مجاراة لاهل ملته في أيام معدودات هي أيام شهر رمضان لايعدو عمله أن يكون تغيير عادة من العادات بتحويل ما كان يفعله في النهار إلى الليل، وهو لايخلو من الفوائد البدنية والاجتماعية ، وإنما صيام العبادة بالنية والاحتساب أي رجاء ثواب الله ومرضاته ، وآيته أي علامته الظاهرة زيادة الطاعة ولا سيما الصلاة واجتناب الآثام كصيانة اللسان من فحش القول والغيبة والنميمة والكذب، ولا شيء أدل على صيام العادة كترك الصلاة وكذا تأخيرها عن وقتها، كالذين يسهرون ثلثي الليل في اللغو المنهي عنه ليؤدوا سنة السحور في الثلث الاخير ثلث التهجد والاستغفار في الاسحار ، فيتسحرون وينامون، وأكبر مايخسرونه جماعة صلاة

الفجر التي يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ويشهدون لصاحبها عند الله تعالى كما ورد في تفسير (ان قرآن الفجر كان مشهودا)

وقد ورد في الحديث عند الامام احمد وغيره « الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة » أي كالغنيمة التي يناالها الجيش من الاعداء بدون حرب ولا قتال، من حيث إنه لا يجوع الصائم فيه ولا يعطش في الغالب ، لقصر النهار وعدم الحر ، ويفسره حديث «الشتاء ربيع المؤمن» رواه احمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري (رض) بسند حسن ورواه البيهقي بزيادة « قصر نهاره فصام، وطال ليله فقام » أي قام فيه لتهجده بغير مشقة كصيامه وهو بهذه الزيادة ضعيف السند قوي المتن لأنه مفسر للمراد منه فكل منهما يقوي الآخر

وإن أهم ما أبغي بيانه في هذه الذكرى أن من يستحل الافطار في نهار رمضان كله بغير عذر شرعي من مرض أو سفر يكون كافراً مرتداً عن الاسلام فيبطل عقد زواجه إن كان متزوجا ، ويحرم على زوجه أن تعامله معاملة زوجية، واذا مات في هذه الحالة أي قبل أن يتوب لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين وهو كذلك لا يرث ولا يورث ، وحكم هذه الردة مجمع عليه لا خلاف فيه بين المذاهب الاسلامية . ولكن من الناس من لا يعرف معنى الاستحلال المخرج لصاحبه من دين الاسلام في هذه المسألة وغيرها كاستحلال ترك الصلاة والزكاة وفعل الزنا والسرقة والسكر وغير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فيظن ان معناه أن يعتقد أن ذلك حلال وهذا غلط فان اعتقاد حله ينافي كونه معلوما من الدين بالضرورة، وانما استحلال ذلك عدم الاذعان لحكم الشرع فيه وعده بالعمل كالمباحات من الشرب والأكل في غير رمضان أو في لياليه ، أو عد شرب الخمر كشرب الماء والاستمتاع بالاجنبية كالاستمتاع بالزوجة ، لا شعوره معه بحرمة الاوامر والنواهي الالهية ولا بوجوب التوبة والاستغفار

فمن أجل هذا لا يعقل أن يقع من مؤمن بالله ورسله وشرعه، بخلاف من يشتد عليه الجوع أو العطش فتغلبه شهوته على الأكل والشرب وهو يشعر بذنبه واستغفار ربه فهذا عاص لا كافر لانه غير مستحل ، وقلما يقع لمسلم في صيام مثل هذه الايام من فصل الشتاء الذي سماه النبي ﷺ الغنيمة الباردة

وفيات الاعيان

﴿ الرزيئة القومية الوطنية بالشيخ محمد الجسر ﴾

قبيل فجر يوم الاحد ثالث شهر شعبان (١١ نوفمبر ـ تشرين الثاني) من هذا العام (١٣٥٣هـ ١٩٣٤م) رزئت الامة العربية والوطن السوري اللبناني بوفاة رجل لا كالرجال ، وفرد لا كالأفراد، بل علم لا تطاوله الاعلام : رزئنا بأخينا الشيخ محمد الجسر أبرع نابغة سياسي وطني، ابن استاذنا ومربينا الشيخ حسين الجسر أنفع عالم ديني عصري ، ابن الشيخ محمد الجسر أورع صالح صوفي، ثالث ثلاثة أنبتتهم لهذه الامة رياض مدينتنا طرابلس الشام ، فكان رزؤه مصابا كبيرا عاما لجميع أهل هذا الوطن على اختلاف أديانهم ومذاهبهم السياسية المتباينة التي لم تجمعها على غيره جامعة ، وانما كان إجماع طوائفهم على إكبار المصاب به فرعا لاجماعها على الاعجاب بعلمه بزمنه، وأدبه في معاشرته ، وعدله في حكمه ، وبراعته في سياسته ، مزايا لم تتفق في هذا الوطن لغيره ، بل أقول إن إجماع طوائف هذا الوطن على الاعتراف بها لرجل من أهلها معجزة من معجزات النبوغ العقلي، والتوفيق العملي

فحق لطرابلس أن تفخر به على الامصار ، وحق لهذا البيت الاسلامي أن يباهي به البيوتات من جميع الاديان ، وحق لهذا الوطن أن يفيض حزنا ويذوب أسفا على هذا النابغة الذي فقده في أشد أوقات الحاجة اليه ، وقد كملت حنكته، وتمت خبرته ، وعمت الثقة به ، في بلاد تأبى عليها ذلك تربيتها الدينية وتقاليدها الطائفية، وتعاليمها المدرسية، التي لا نظير لها في وطن من أوطان أمة من امم الارض

وأغرب مدارك هذا الاعجاز في ثقة نصارى لبنان بالشيخ محمد الجسر العالم المسلم المعمم ابن الشيخ حسين الجسر الذي انتهت اليه رياسة علماء الاسلام ، حفيد الشيخ محمد الجسر أشهر صلحاء صوفية المسلمين بالولاية والكرامات ، أن ينال هذه الثقة في عهد سيطرة الدولة الفرنسية على لبنان واعتزاز نصارى لبنان بها ، وهي التي تعد شنئان الاسلام ومجاهدة أهله من أسس تقاليدها السياسية والصليبية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول

كان الشيخ محمد الجسر أحد الافراد الذين شذوا دون طائفتهم باظهار الميل إلى الاحتلال الفرنسي فسخطت عليه وكان مسلمو بلده (طرابلس) أشدهم سخطا لخيبة رجائهم فيه أن يكون أول حامل للواء الوطنية فيهم، لانه أجدرهم بمعرفة خطر هذه السيطرة عليهم في دينهم ودنياهم ، ولم يكن يختلج في خاطر أحد منهم أن يكون أقدر رجل فيهم بل في بلادهم كلها على خدمة هذا الوطن الذي دهي بأقتل الدواهي القاصمة والفواقر المفقرة ، فيكون البدر الطالع في غاسق الظلم إذا وقب، والطبيب الآسي لشر سحرة السياسة النفاثات في العقد

كان أول منصب ظهر فيه للطوائف كلها فضله منصب القضاء الاهلي برياسة محكمة الجنايات للجمهورية فشهد له جميع المتقاضين وجميع العارفين بضعف القضاء في البلاد بأنه أعطى العدل والمساواة جميع حقوقهما، حتى حكي عن بعض من كانوا أظهروا له العداء من إحدى الطوائف النصرانية أنهم وقعوا بين يديه في قضية يخفى مسلك الحق والعدل فيها ، ويتسنى للقاضي الجائر أن يتصرف كيف شاء في الحكم لمن يميل له أو عليه من خصومها ، وظنوا أنه آن له أن ينتقم منهم، ولم يلبثوا أن رأوا من عدله وإنصافه المالك عليه زمام أمره ما بدل خوفهم أمنا ، وبغضهم له حبا

ليس كثيرا على شيخ مسلم سليل بيت الفقه والتصوف وقد تولى رياسة محكمة الجنايات واءتمن على الدماء، أن يكون عدلا في القضاء ، فهذا فرض يوجبه عليه دينه عقيدة وعلما وتربية ، فنص القرآن يوجب المساواة في العدل بين جميع الناس كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم ، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم ، وانما بزغ نبوغ ابن الجسر كالشمس في توليه رياسة مجلس النواب اللبناني ست سنين كان يديره فيها كما يدير خاتمه في خنصره، فلا يتعاصى شيء على إرادته، فأعجب بسياسته وكياسته الوطنيون والاجانب على سواء

حتى اذا ما انتهت المدة القانونية لرئيس الجمهورية اللبنانية وأريد انتخاب الرئيس الذي يخلفه علم موسيو بونسو مندوب فرنسة السامي ورجاله كغيرهم أن السواد الاعظم من جميع الطوائف منتخبون للشيخ محمد الجسر لا محالة، حتى نواب الموارنة الذين يعدون لبنان بتأييد فرنسة لهم وطنا نصرانيا مورانيا كما صرح بذلك بطركهم

فكبر على غبطته أن يكون الشيخ رئيس جمهوريته ، ورأى أن المندوب السامي الفرنسي قد أظهر ارتياحه لانتخابه، ورضاه برياسته، فلجأت الى حكومة باريس العليا حتى اصدرت امرها الى مندوبها بوجوب منع هذه الكارثة ، فماذا يفعل وقد تجلى له انه عاجز عن منع انتخابه، وأن جلاء فرنسة عن لبنان وسورية أيسر خطبا من جعل رئيس جمهورية لبنان شيخا مسلما معمما ؟ لم ير حيلة للتفصي من هذه المعضلة إلا إقناع الشيخ بترك ترشيح نفسه لها، فبذل المستطاع من دهائه وأمانيه له، فأبت فتاة الشيخ أن تلين لغمزته وحية دهائه أن تستجيب لرقيته ، فلما أيقن أن الانتخاب مفض إلى جلوسه بعمامته البيضاء على كرسي رياسة الجمهورية لم يجد مناصا من هذه النتيجة إلا إصدار أمره الدكتاتوري بالغاء دستور لبنان من أساسه

أكتب هذا مؤبنا ، لا مؤرخا له مدونا لسيرته، فاني أرجئها الى الجزء التالي وأقتصر هنا على بيان أكبر ما أحاط باعجابي من مزايا نبوغه الذي انفرد به ، فكان جديرا بحزني وحزن وطنه وأمته عليه ، وشعورهم بعظم الخطب بفقده بعد اكتمال حنكته واستعداده لما يرجى من الرجال العظام الافذاذ ، الذين لا يظفر تاريخ الامم بأمثالهم الا في بعض الاجيال ، عسى أن يكون في هذا التنويه عبرة للمنافقين الذين يظنون ان العظمة في نيل المناصب والرواتب ، ولو بخيانة الامة والوطن والاخلاص في العبودية للاجانب ، وأنى للمنافقين في صغار أنفسهم أن يعقلوا معنى العظمة الصحيحة ، أو مادونها من مراتب الفضيلة ؟

لاشيء يعزينا عن فقيدنا العزيز إلا ماروي لنا من تحقق ما كنا نتمناه من كتابة مذكرات حرة دون فيها ماعلمه وخبره في أثناء معالجته للامور العامة ومعاشرته للعاملين من الوطنيين والاجانب ، فهذه المذكرات كنز نفيس هي خير عوض تفيد الامة أنفع ما كانت ترجو أن تتلقاه منه ، ولكن الذي لا عوض عنه هو ما كانت ترجوه من عمله عند ما تتاح الفرصة للعمل ، بعد التمهيد له بالثقة وجمع الكلمة الذي لا ينهض بدونه وطن، فالمرجو من نجله الكبير وصنوه الكريم ، أن يعجلا بنشر كل ما يمكن نشره منها ، ونسأل الله تعالى أن يحسن عزاءهما ، ويطيل بقاءهما، وينفع الامة بهما، وأن يديم ذكر هذا البيت فخرا وذخرا لهذا الوطن المسكين ، ويفرغ عليهما وعليه الصبر في هذا المصاب والله مع الصابرين

غاية مصطفى كمال من مراحله

لما علمت أن مصطفى كمال باشا صرح بأن له غاية يجري اليها في مراحل مقدرة، ورأيته قطع ثلاث مراحل منهـا ، ايقنت بالحدس المنطقي ان غايته أن يؤسس بالجمهورية التركية اللادينية دولة جديدة وقد فعل، وامة جديدة تسمى تركية الى ان يتم تكوينها ثم تسمى باسمه فهو يقبل دخول كل عنصر فيها اذا قبل مقوماتها ومشخصاتها التي يقترحها وينفذها بالقوة ـ ولغة جديدة غير اللغة التركية المعروفة في تركستان وفي الاناضول ولكنها مركبة منهما ومن اللغات اللاتينية ولا سيما الفرنسية وتكتب بحروفها حتى اذا نشأ عليها وحدها جيل جديد بعد الجيل الأول المخضرم نسبت اليه ، وتنقطع الصلة بين هذه اللغة وجميع لغات الشرق الاسلامية ولا سيما العربية التي سبقه ملاحدة الاتحاديين الى مناوئتها، واقدم هو وحده على الاجهاز عليها وقطع دابرها من الشعب التركي في مراحل خاصة بها ، وهو يعتقد انه لا يتم له الاجهاز على الدين الاسلامي ومحو جميع آثاره من هذا الشعب الا بذلك ، ويظن أنه متفق مع زعماء البلاشفة على الانتهاء الى الالحاد والتعطيل بيد أنه يلوح لي انه إن طال عمره وبلغ آخر هذه المرحلة فانه يضم لهذا الشعب الذي سينسب اليه دينا جديدا مستمدا من الديانة الطبيعية التي وضعها لاوربة بعض فلاسفتها، فاستحسنها جميع شعوبها وعدوها موافقة للعقل والحضارة والسياسة ولكن لم يتدين بها أحد لان مصدر الدين الموافق للفطرة لا بد ان يكون سلطانه غيبيا فوق سلطان العقل البشري لأنه هو ملجؤها في كل ما تعجز عنه عقول البشر في الدنيا ، وهو وجهتها الروحانية الى ما تجنح له وترتقي اليه من عالم الغيب

يظن المعطلة الماديون أن الانبياء المرسلين هم الذين وضعوا الاديان التي دعوا اليها فيزين لبعضهم غرور القوة إمكان محوها ، ولبعض آخر أن يخضعوا أقوامهم الضعفاء إخضاعا تعبديا كما يخضعونهم اخضاعا سياسيا واجتماعيا ، ولا تزال اكثر شعوب البشر ضعيفة قابلة لتجارب عجيبة كتجارب البولشفيك في الروس ومصطفى كمال في الترك ، ولكل بداية غاية ، وكل شيء بلغ الحد انتهى

مطبوعات جديدة

﴿ كتاب السنن والمبتدعات المتعلقة بالاذكار والصلوات ﴾

تأليف الداعي إلى السنة والصاد عن البدعة ، الشيخ محمد عبدالسلام خضر الشقيري الحوامدي مؤسس الجمعية السلفية بالحوامدية (جيزة) قال في طرته «قد ذكرنا فيه ٧٠٠ حديث مابين صحيح وحسن وقليل من الضعيف المقبول الوارد في الترغيب والترهيب، و٩٦٠ بدعة أو أكثر في الصلوات والاذكار والصيام والحج وغير ذلك — و١٣٠ من الاحاديث الموضوعة والخرافات الفاشية بين المسلمين»

كثرت الجمعيات الدينية في هذه البلاد، وان لبعضها مجلات، وأكثرها تعقد الاجتماعات لالقاء الخطب والمحاضرات ، وان من مؤسسي بعضها العلماء رسميين من خريجي الازهر وغيره من المعاهد الدينية ، وآخرين من خريجي مدرسة دار العلوم وغيرها من المدارس الاميرية ، وأما الجمعية السلفية الحوامدية فهي تمتاز باشتغال رئيسها بكتب الحديث والدعوة إلى الاهتداء بها ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بأدلة كتب السنة، فأعضاؤها يتناهون عن جميع البدع والمنكرات في الدين ، وينكرون على كل من يزعم أن البدعة الدينية تنقسم إلى حسنة وسيئة، ولا يقبلون قول أحد من الاحياء ولا الميتين في تحسين بدعة ولا تأويل سنة مما اهتدى به السلف الصالح ، وهم لم يتخذوا جماعتهم عصبية ولا كتب مؤسسها مذهبا يتعصبون له كالسبكية ، بل يقبلون نصيحة كل من ينصحهم بعلم ويقبلونها، وقد جربت مرشدهم وداعيتهم بالنصيحة فالفيته يقبلها مغتبطا مسرورا داعيا لي ، ولما رأيته في أول رسالة له ينقل الاحاديث النبوية من غير عزوها الى مخرجيها، وبيان ماقالوه في تصحيحها أو تضعيفها كما يفعل أكثر المؤلفين المعاصرين ومحرري المجلات حتى مجلة الازهر منها وانكرت عليه ونصحت له بالمراجعة وتخريج الاحاديث فقبل النصيحة ونوه بها في هذا الكتاب

ومن فوائد هذا الكتاب بيان البدع والخرافات الفاشية في هذه البلاد ، وإنكاره على العلماء الرسميين إقرار العامة عليها، وتأويل بعضهم لها بما يضللهم ويخدعهم بأنها مشروعة ، وصفحاته ٣٢٠ وثمن النسخة منه ٧ قروش ما عدا أجرة البريد

﴿ الثورة العربية الكبرى ﴾

للاستاذ أمين سعيد المحرر في جريدة المقطم عناية بدرس أطوار الشعوب الشرقية عامة والامة العربية خاصة ، فهو يجمع ما ينشر في الصحف والمصنفات الجديدة من أخبارها وأحداثها، ويفصلها فصولا ويجعل لها أبوابا وفهارس لتسهيل الرجوع اليها ، وقد ألف عدة كتب أبسطها وأمتعها كتاب (الثورة العربية الكبرى) عرف موضوعه بقوله « تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن » الذي أصدرته في هذا العام مطبعة (عيسى البابي الحلبي وشركائه بمصر) في ثلاثة أجزاء أو مجلدات موضوع الاول (النضال بين العرب والترك) وهو الحلقة الاولى من هذا التاريخ وفي مقدمته الكلام على الدولة العثمانية وتاريخها القديم والحديث مع العرب والجمعيات العربية التي أفضت إلى الثورة ، وموضوع الثاني (النضال بين العرب والفرنسويين والانكليز) وهو يشتمل على الحلقة الثانية منه وهو تاريخ الحكومة الفيصلية من قيامها حتى سقوطها مع تاريخ القضية العراقية من ابتداء الحرب العظمى حتى إنشاء الدولة الجديدة في بغداد سنة ١٩٢١) وموضوع الثالث (إمارة شرق الاردن وقضية فلسطين وسقوط الدولة الهاشمية وثورة الشام) وهو أكبر الاجزاء تبلغ صفحاته ٦٥٢ فهو يزيد على حجم اللذين قبله وصفحات أولهما ١٣٠ وثانيهما ٣٣٦

لقد كان هذا الكتاب حاجة في نفس الامة العربية مهدها لها كاتب من أبنائها فجمع لها مالم يجمعه غيره من مواد تاريخها الحديث فاستحق شكرها بالقول والعمل فشكر القول الثناء عليه، والتنويه به باللسان والقلم، ومنه نقده ببيان ما قدفات المؤلف من الوثائق، وما نقصه من الحقائق، وتمحيص مالم يمحصه من المسائل، وشكر العمل قراءة الكتاب ونشره الذي يساعد المؤلف على المزيد من اتقانه وتكميله في طبعة أخرى وتصنيف غيره من الكتب النافعة . وأرجو أن يكون لي عودة اليه بعد أن يتاح لي مطالعة الكثير منه. وان فيما نشرته في مجلدات المنار من قبل وما لا ازال أنشره من سيرة الملك فيصل رحمه الله تعالى لحقائق عظيمة الشأن بعيدة الغور في تاريخ امتنا الحديث والوحدة العربية التي كنت في طليعة من كتب فيها ومن دعا اليها ولله الحمد

﴿ الجزء السابع ﴾ ١٣٥٣ ﴿ المجلد الرابع والثلاثون ﴾

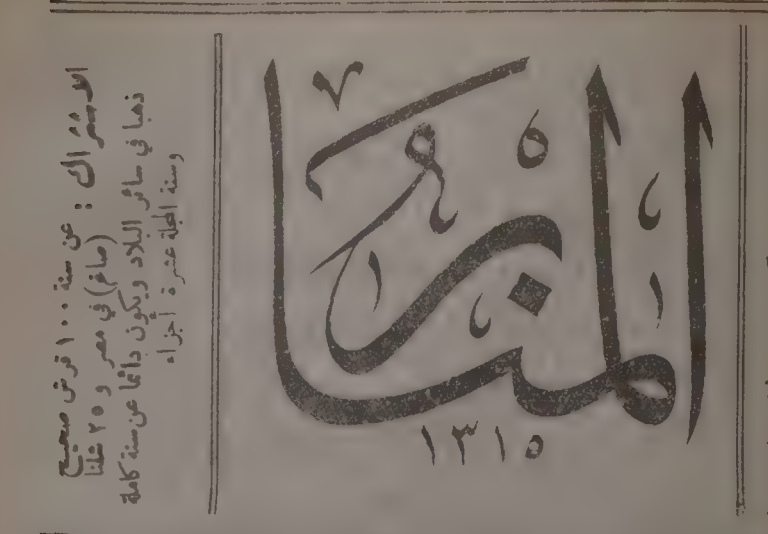
المنار
١٣١٥

تنبيه : يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشىء المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

الاشتراك : عن سنة ١٠٠ قرش صحيح (صاغ) في مصر و ٢٥ شلنا ذهبا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

﴿ لمنشئها ﴾

السيد محمد رشيد رضا

﴿ سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة ﴾

﴿ كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين ﴾

﴿ عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤ ﴾

﴿ والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩ ﴾

﴿ المجلدات الثاني والثالث والخامس من المنار ﴾

مطلوبة لدار المنار فنرجو ممن توجد عنده كلها أو بعضها ويرغب أن يستبدل بها غيرها من المجلدات أو من تفسير المنار أو غيره من مطبوعات المنار أن يخاطبنا في ذلك

﴿ شبهات النصارى وحجج الاسلام ﴾

ونحتاج لنسخة من هذا الكتاب وهو من تأليف صاحب المنار ونعطي بدله نسخة من كتاب الوحي المحمدي أو كتاب المنار والازهر أو رسالة التوحيد أو تفسير الفاتحة مع السور الست من خواتيم القرآن

فهرس الجزء السابع من المجلد ٣٤

(تفسير القرآن الحكيم)

الصلوات الخمس . أوقاتها في القرآن ٤٨٢
الحسنات . تكفيرها للسيئات ٤٨٣
التوبة المكفرة ومغفرة الذنوب ٤٨٤
الصبر وفوائده ٤٨٥
المحسنون لا يضيع أجرهم ٤٨٥
بقية اولى الاحلام وحفظ الامم بارشادهم ٤٨٦
الامم : اسباب هلاكها وبقائها ٤٨٦
الترف . مفاسده واهلاكه للامم ٤٨٧
سنة الله في اهلاك الامم بالظلم وبقائها بالاصلاح ٤٨٨
سنة الله في خلق الناس مستعدين للاختلاف ٤٨٩
رحمة الله للمتفقين وعذابه للمختلفين ٤٨٩
الدين : جزاء الاختلاف والاتفاق فيه ٤٨٩
كلمة الله في ملء جهنم من الانس والجن ٤٩٠
حكمة قصص الرسل في القرآن وفوائدها ٤٩١
الآية الجامعة لفوائد قصص الرسل ٤٩١
سورة هود وفوائدها وخاتمتها ٤٩١
نبينا . تثبيت فؤاده بقصص الرسل وما فيها من الحق ٤٩١
التوكل على الله كمال التوحيد ٤٩٣
الخلاصة الاجمالية لسورة هود
الباب الاول في توحيد الله وصفاته وأفعاله ٤٩٤
الباب الثاني في القرآن العظيم ٤٩٩
الباب الثالث في الرسالة والرسل ٥٠١
الفصل ٣ منه في وظيفة الرسل وصفاتهم وبيناتهم وفيه تسع عقائد ٥٠٣
الباب الرابع في البعث والجزاء ٥١٠
تفسير سورة الكوثر ٥١٣
» سورة الكافرون ٥١٥
» سورة الاخلاص ٥١٧
» المعوذتين ٥٢٠
وفيه بيان حقيقة الخير والشر والفلق والغاسق والنفاثات في العقد والحسد وشره
علاوة سحر منافق يهودي للنبي (ص) ٥٢٦ وتفسير سورة الناس وفيه حكمة تكرار لفظ الناس فيها وبلاغته وحقيقة وسوسة شياطين الانس والجن ٥٣٠
نصيحة في مراقبة النفس للوقاية من الشيطان ٥٣٤

باب المقالات

(مأساة أميرة شرقية) للعلامة الهلالي ٥٣٥ وفيها مباحث أخطاء المستشرقين وخطاياهم ٥٣٥
ليلى الغسانية مع خالد بن الوليد ٥٤٠
فسطاط خالد كما صوره كراهام الانكليزي ٥٤٢
التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي ٥٤٤
(المولد النبوي) احتفال المسلمين والهندوس به ٥٤٩
ترجمة الشيخ محمد الجسر التاريخيه ٥٥٣
كلمات في كتاب الوحي المحمدي
كلمة سليمان باشا الباروني ٥٥٦
« عبد الرحمن بك فهمي
« أمين باشا سامي
« الشيخ عمر القره داغي الكردي ٥٥٧
« الشيخ عبد الحميد الامام الكردي ٥٥٨
الحج في طوره المدني المترف ٥٦٠

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

المجلد الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ رمضان سنة ١٣٥٣ برج الجدي سنة ١٣١٣ هـ ش ٥ يناير سنة ١٩٣٥

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري ميزته عصرية الإرشاد الاجتماعي السياسي

(١١٤) وَأَقِمِ الصَّلٰوةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ ذٰلِكَ ذِكْرٰى لِلذّٰكِرِينَ (١١٥) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

هذا أمر بأعظم العبادات وبأعظم الاخلاق ، اللذين يستعان بهما على ماقبلهما من الامر بالاستقامة والنهي عن الطغيان والركون الى أولي الظلم ، ولذلك عطفا عليهما

١١٤ ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار ﴾ خص إقامة الصلاة بالذكر في هذه الوصية العامة المجملة لانها رأس العبادات المغذية للايمان والمعينة على سائر الأعمال ، أي أدها على الوجه القويم وأدمها في طرفي النهار من كل يوم ، طرف الشيء والزمن

الناحية والطائفة منه ونهايته ، فطرفا النهار هنا البكرة والاصيل أو الغدو والعشي. وقد أمرنا تعالى في التنزيل بالذكر والتسبيح فيها ﴿ وزلفا من الليل ﴾ أي وفي زلف من الليل جمع زلفة وهي بالضم كقرب جمع قربة لفظا ومعنى وتطلق كما في معاجم اللغة على الطائفة من أول الليل لقربها من النهار، وقالوا الزلف ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الليل ، روي عن ابن عباس أن صلاة طرفي النهار المغرب والغداة (أي الفجر) وزلف الليل العتمة (أي العشاء) وعن الحسن أن صلاة طرفي النهار الفجر والعصر ، وقال في زلف الليل هما زلفتان صلاة المغرب وصلاة العشاء ، وقال: قال رسول الله ﷺ « هما زلفتا الليل » وهذا أقرب إلى اللغة مما قبله، فان صح المرفوع فلا معدل عنه ، وأدخل بعض المفسرين صلاة الظهر في طرفي النهار ، إذ يصح أن يسمى وقتها طرفا بمعنى أنه طائفة وناحية من النهار يفصلها من غيرها زوال الشمس ولكنه طرف ثالث واللفظ هنا مثنى، وفي سورة طه (٢٠: ١٣٠ فسبح بحمدك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل وأطراف النهار لعلك ترضى) فجمع الاطراف بعد ذكر الطرفين الاخيرين بالمعنى وهما وقتا صلاتي الفجر والعصر

والاظهر في أمثال هذه الآيات ذكر الله تعالى المطلق فيدخل فيه الصلاة وغيرها والآية الصريحة في أوقات الصلوات الخمس قوله تعالى (٣٠: ١٨ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ١٩ وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) تمسون تدخلون في المساء وهو ما بين الظهر إلى المغرب ، نقله في المصباح عن ابن القوطية وذكر هو وغيره مثل هذا في تفسير العشي وهو غلط سببه اشتراك الوقتين باتصال آخر المساء بأول العشي وهو أول الليل حيث يختلط النور بالظلام، فصلاة المغرب العشاء الاولى، وصلاة العتمة العشاء الآخرة التي يزول عندها الشفق وهو آخر أثر لنور النهار، وفي معنى هذا قوله تعالى (١٧: ٧٨ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) الآية فدلوك الشمس زوالها أي أقمها لأول وقتها

هذا وفيه صلاة الظهر، منتهيا الى غسق الليل وهو ابتداء ظلمته ويدخل فيه صلاة العصر والعشاءين وأقم صلاة الفجر

﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ الجملة تعليل للأمر قبلها مبين لحكمته وفائدته ومعناها أن للاعمال الحسنة من تزكية النفس واصلاحها، مايمحو منها تأثير الاعمال السيئة وافسادها، روي عن ابن مسعود وابن عباس تفسير الحسنات فيها بالصلوات الخمس، زاد ابن عباس والباقيات الصالحات، ولا غرو فالصلاة أعظم الحسنات، وأكبر العبادات المكفرة للسيئات، ولكن لفظ الحسنات عام يشمل جميع الاعمال الصالحات حتى التروك فانها عمل نفسي ومنه (٤: ٣١ إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) ﴿ إن في ذلك لذكرى للذاكرين ﴾ أي إن فيما ذكر من الوصايا من الامر بالاستقامة إلى هنا لموعظة للمتعظين الذين يراقبون الله ولا ينسونه، وفي الحديث « وأتبع السيئة الحسنة تمحها »

وقد فسروا السيئات هنا بالصغائر، وأيدوه بما روي في سبب نزول الآية عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك كأنه يسأله عن كفارتها فأنزلت عليه (وأقم الصلاة طرفي النهار) الخ فقال يارسول الله ألي هذه؟ قال « هي لمن عمل بها من أمتي » رواه الجماعة إلا أبا داود، وأشهر رواة التفسير المأثور، وفي رواية لغير البخاري وأبي داود منهم ان الرجل قال للنبي انني وجدت امرأة في البستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها قبلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك، فافعل بي ماشئت، فلم يقل له رسول الله ﷺ شيئا فذهب الرجل فقال عمر: لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه، فأتبعه رسول الله بصره فقال « ردوه علي » فردوه فقرأ عليه (وأقم الصلاة طرفي النهار) الآية. فقال معاذ بن جبل يارسول الله: ألله وحده أم للناس كافة؟ قال « بل للناس كافة » وليس في هذه الرواية أن الآية نزلت في هذه النازلة، وهنالك روايات أخرى عن معاذ بن جبل وابن عباس في معنى حديث ابن مسعود في الجملة أو مغزاه وقد سمي الرجل في بعضها بأبي اليسر، ومنها حديث أبي أمامة عند أحمد

ومسلم وأبي داود وغيرهم أن رجلا قال للنبي ﷺ يارسول الله أقم في حد الله، مرة أو مرتين فأعرض عنه ثم أقيمت الصلاة فلما فرغ منها قال « أين الرجل ؟» قال أنا ذا، قال «أتممت الوضوء وصليت معنا آنفا ؟» قال نعم ،قال« فانك خرجت من خطيئتك كيوم ولدتك أمك فلا تعد » والمراد خرجت من خطيئتك التي طلبت تكفيرها باقامة الحد وهي لاحد فيها. وانما يجب في تكفيرها التوبة والعمل الصالح الذي يزكي النفس . ومن أعظمها الوضوء التام واقامة الصلاة ؛ وقد تاب الرجل توبة نصوحا بدليل طلبه اقامة الحد عليه، والتوبة مع العمل الصالح تكفر الصغائر والكبائر إلا حقوق العباد ، فانه يجب أداؤها أو استحلال أهلها منها إن أمكن . وذهب بعض العلماء إلى أن تكفير الحسنات للصغائر لا يشترط فيه التوبة اذا اجتنبت الكبائر ، ويقول الغزالي ان كل نوع من الحسنات يكفر ماهو ضده من السيئات ، كتكفير البخل بالانفاق والاساءة الى الناس بالاحسان الخ

والآيات في تكفير السوء والسيئات المطلقة والمعينة كثيرة ، ومن الثاني كفارات الظهار ومحرمات الاحرام والحنث بالايمان ، وأمثال هذه لا يشترط فيها التوبة ، فذنوبها عارضة ليس من شهوات النفس تكرارها كالفواحش والمنكرات المدنسة للنفس باتباع الهوى والشهوات فهذه لا يطهرها منها ويزكيها الا التوبة ولا معنى لتكفير الذنوب وغفرانها الا هذا ،

وإنما تتحقق التوبة بالندم على فعل الذنب المقتضي لتركه وإزالة أثره من النفس بالعمل الصالح ، فبجملة هذه المعاني الثلاث يحصل الرجوع إلى الله بعد الاعراض والبعد عنه بعصيانه ، وشرح الغزالي هذا المعنى للتوبة بقوله إنها مركبة من علم وحال وعمل كل منها سبب لما بعده ، فالعلم بحرمة الذنب وكونه سبباً لسخط الله تعالى وعقابه يوجب الحال وهي الخوف وألم النفس وهذا يوجب العمل وهو ترك الذنب وتكفيره بالعمل الصالح اهـ بالمعنى موجزا

وقد تكلمنا على التوبة في مواضع من هذا التفسير منها الكلام على توبة آدم في سورتي البقرة والاعراف ، ومنها في سورة النساء قوله تعالى (٤ : ١٧ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) إلى آخر الآيتين،

ومنها في سورة الانعام (٦ : ٥٤ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) وسيأتي في معناه من سورة النحل (١٦ : ١١٩ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) ومثله في سورة طه (٢٠ : ٨٢ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وناهيك بما تقدم في أواخر التوبة من آيات التوبة ولا سيما توبة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ففيها أكبر العبر للمؤمنين المسلمين

١١٥ ﴿ واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ أي ووطن نفسك على احتمال المشقة في سبيل ما أمرت به وما نهيت عنه في هذه الوصايا حتى الصلاة كما قال (٢٠ : ١٣٢ وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) واستعن بالصبر والصلاة على سائر أعباء الدعوة إلى الاسلام والاصلاح، وانتظار عاقبتها من النصر والفلاح، فان هذا من الاحسان الذي لا جزاء له إلا الاحسان ، فان الله لا يضيع أجر المحسنين في أعمالهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، ولكن للجزاء في أمور الأمم آجالا وأقدارا يجب الصبر في انتظارها ، وعدم استعجالها قبل أوانها .

---

(١١٦) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٧) وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ (١١٨) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٩) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ

هذه الآيات الثلاث في بيان سنن الله العامة في اهلاك أولئك الأقوام الذين قص على رسوله قصصهم وأمثالهم بعد ما تقدم من بيان عاقبتهم في الدنيا والآخرة ، وانذار قومه ﷺ بهم ، وما يجب عليه وعلى من آمن وتاب معه من الاستقامة والصلاح، واجتناب أهل الظلم والفساد ، قال

١١٦ ﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض ﴾ لولا تحضيضية بمعنى هلا ، والقرون الأمم والأقوام ، والقرن في اللغة كما في المصباح : « الجيل من الناس قيل ثمانون سنة وقيل سبعون » اقول ثم اشتهر تقديره بمائة سنة . والبقية من الشيء ما يبقى منه بعد ذهاب أكثره ، ومن الناس كذلك ، واستعمل في الخيار والاصلح والانفع ، قيل لأن الناس ينفقون في العادة أردأ ماعندهم وأقربه إلى التلف والفساد أولا ويستبقون الأجود فالأجود ، ونقول لأن الأحياء يهلك منهم الأضعف فالأضعف أولا ويبقى الأقوى فالأقوى ، ومن هذا ما يعرف في علم الاجتماع بسنة الانتخاب الطبيعي، وهو إفضاء تنازع الاحياء الى بقاء الأمثل والأصلح، كما ورد في المثل الذي ضربه الله للحق والباطل بقوله تعالى (١٣: ١٧ فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) ومن ثم يعبرون عن الخيار بالبقية يقولون: في الزوايا خبايا، وفي الناس بقايا ، وبهذا فسرت الآية

والمعنى : فهلا كان أي وجد من أولئك الاقوام الذين أهلكناهم بظلمهم وفسادهم في الارض جماعة أصحاب بقية من النهى والرأي والصلاح ينهونهم عن الفساد في الارض وهو الظلم واتباع الهوى والشهوات التي تفسد عليهم أنفسهم ومصالحهم ، فيحول نهيهم إياهم دون هلاكهم ، فان من سنتنا أن لا نهلك قوما

إلا إذا عم الفساد والظلم أكثرهم كما يأتي في الآية التالية ﴿ إلا قليلا ممن أنجينا منهم ﴾ أي لم يكن فيهم بقية من هؤلاء العقلاء الأخيار ، الناهين عن المنكر ، الآمرين

بالمعروف ، ولكن كان هنالك قليل من الذين أنجيناهم أو هم الذين أنجيناهم مع الرسل منهم وكانوا منبوذين مهددين مع رسلهم بالطرد والابعاد ، بعد الاذى والاضطهاد ﴿ واتبع الذين ظلموا ﴾ وهم الاكثرون منهم ﴿ ما أترفوا فيه ﴾ أي ما رزقناهم وآتيناهم من أسباب الترف والنعيم فبطروا . يقال أترفته النعمة أي أبطرته وأفسدته، والبطر الطغيان في المرح وخفة النشاط والفرح ﴿ وكانوا مجرمين ﴾ أي متلبسين بالاجرام الذي ولده الترف راسخين فيه ، فكان هو المسخر لعقولهم في ترجيح ما أعطوا من ذلك على اتباع الرسل .

روى ابن مردويه في تفسيره عن أبي بن كعب قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولوا بقية وأحلام » والأشبه عندي أنه ﷺ ذكر الاحلام تفسيراً لا قرآنا . والمعنى ان العقول السليمة الرشيدة كافية لفهم ما في دعوة الرسل عليهم السلام من الخير والصلاح لو لم يمنع من استعمال هدايتها الافتتان بالترف ، والتفنن في أنواعه، بدلا من القصد والاعتدال فيه وشكر الله المنعم به عليه ، فالاتراف هو الباعث على الاسراف والفسوق والعصيان ، والظلم والاجرام ، يظهر في الكبراء والرؤساء ، ويسري بالتقليد في الدهماء ، فيكون سبب الهلاك بالاستئصال، أو فقد الاستقلال ، وذلك قوله تعالى (١٦:١٧ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) فهذا بيان لسنته تعالى في الامم قديمها وحديثها ، ولا تغني عن شعوب الافرنج معرفتهم بهذه السنة ومحاولة اتقائهم لها، فحكامهم وهم أولو البقية والاحلام الذين ينهونهم عن الفساد في الارض يصرحون بأنهم سيهلكون كما هلك من قبلهم، ولن تغني عنهم قوتهم ، بل تكون هي المهلكة لهم بأيديهم، كما قال تعالى (٦٥ : ٧ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض) فراجع تفسيرها

ومن عجائب الجهل والغي أن متبعي الاتراف من شعوبنا يقلدون الافرنج

في الاسراف فيه دون ما هم به يرجون اتقاء الهلاك من فساده وهو القوة الحربية والثروة والعلم فاذا كان فسق الاتراف يهلك الامم القوية ، فكيف تبقى مع اتباعه وفساده الامم الضعيفة ؟ وكيف يزول والمتبعون له هم الملوك والامراء ، والزعماء والحكام ، والكتاب والخطباء ، وهم الاكثرون الظاهرون ، والناهون عن فسادهم الاقلون الخاملون ؟!!

ثم بين سنته تعالى في إهلاك الأمم وما يحول دونه بهذه الآية الوجيزة

---

١١٧ ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ اي وما كان من شأن ربك وسنته في الاجتماع البشري أن يهلك الامم بظلم منه لها في حال كون أهلها مصلحين في الارض ، مجتنبين للفساد والظلم ، وانما أهلكهم ويهلكهم بظلمهم وإفسادهم فيها ، كما ترى في الآيات العديدة من هذه السورة وغيرها

وفي الآية وجه آخر وهو انه ليس من سنته تعالى أن يهلك القرى بظلم يقع فيها مع تفسير الظلم بالشرك وأهلها مصلحون في أعمالهم الاجتماعية والعمرانية ، وأحكامهم المدنية والتأديبية ، فلا يبخسون الحقوق كقوم شعيب ، ولا يرتكبون الفواحش ويقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر كقوم لوط ، ولا يبطشون بالناس بطش الجبارين كقوم هود ، بل لا بد أن يضموا إلى الشرك الافساد في الاعمال والاحكام ، وهو الظلم المدمر للعمران ، ويحتمل أن يراد أنه لا يهلكها بظلم قليل من أهلها لأنفسهم ، إذا كان الجمهور الاكبر منهم مصلحين في جل أعمالهم ومعاملاتهم للناس ، أخرج الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمي عن جرير ابن عبدالله قال : سمعت رسول الله ﷺ يسئل عن تفسير هذه الآية فقال « وأهلها ينصف بعضهم بعضا » وروي موقوفا على جرير (رض) ، فتنكير الظلم في هذا للتقليل والتحقير ، وفيما قبله للتعظيم ، وهو مأخوذ من قوله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) والآية تدل على أن إهلاك المصلحين ظلم فلذلك يتنزه الله عنه

وذكر المفسرون في الوجه الثاني القول المشهور المعبر عن تجارب الناس ، وهو

ان الامم تبقى مع الكفر ، ولا تبقى مع الظلم ، والاوجه الثلاثة في الآية صحيحة ويجوز إرادتها كلها على القول بأن جميع ما يدل عليه الكلام مما شأن صاحبه أن يعلمه ولا يكون متعارضا في نفسه يصح أن يكون مراداله، وإن كان من المشترك أو كان بعضه حقيقة وبعضه مجازاً ، ومن أركان بلاغة القرآن جمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل ، وأن يكون بعضها واضحاً في هذه المعاني وبعضها خفيا يراد به أن يذهب الذهن والفكر فيه كل مذهب ، وهذا مما يتنافس فيه البلغاء

١١٨ ﴿ ولو شاء ربك ﴾ أيها الرسول الحريص على إيمان قومه الآسف على إعراض أكثرهم عن إجابة دعوته، واتباع هدايته ﴿ لجعل الناس أمة واحدة ﴾ على دين واحد بمقتضى الغريزة والفطرة لا رأي لهم فيه ولا اختيار ، وإذن لما كانوا هم هذا النوع من الخلق المسمى بالبشر وبنوع الانسان ، بل لكانوا في حياتهم الاجتماعية كالنحل أو النمل، وفي حياتهم الروحية كالملائكة مفطورين على اعتقاد الحق وطاعة الله عز وجل، فلا يقع بينهم اختلاف، ولكنه خلقهم بمقتضى حكمته كاسبين للعلم لا ملهمين، وعاملين بالاختيار وترجيح بعض الممكنات المتعارضة على بعض لا مجبورين ولا مضطرين ، وجعلهم متفاوتين في الاستعداد وكسب العلم واختلاف الاختيار، وقد كانوا في طور الطفولة النوعية في الحياة الفردية والزوجية والاجتماع البدوي الساذج أمة واحدة لا مثار للاختلاف بينهم، ثم كثروا ودخلوا في طور الحياة الاجتماعية فظهر استعدادهم للاختلاف والتنازع فاختلفوا ، كما قال تعالى (١٠ : ٢٠ وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا) في كل شيء بالتبع لاختلاف الاستعداد ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ في كل شيء حتى الدين الذي شرعه الله لتكميل فطرتهم وإزالة الاختلاف بينهم ﴿ إلا من رحم ربك ﴾ منهم فاتفقوا على حكم كتاب الله فيهم ، وهو القطعي الدلالة منه الذي لا مجال للاختلاف فيه ، وعليه مدار جمع الكلمة ووحدة الامة ، إذ الظني لا يكلفون الاتفاق على معناه لانه موكول إلى الاجتهاد الذي لا يجب العمل به إلا على من ثبت عنده رجحانه ، وتقدم تفصيل وحدة البشر فاختلافهم فبعثة النبيين وانزال الكتاب معهم للحكم بين الناس في

الآية (٢ : ٢١٣) وتفسيرها في الجزء الثاني من هذا التفسير .

﴿ ولذلك خلقهم ﴾ أي ولذلك الذي دل عليه الكلام من مشيئته تعالى فيهم خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم ومعارفهم وآرائهم وشعورهم ، وما يتبع ذلك من إرادتهم واختيارهم في أعمالهم ، ومن ذلك الدين والايمان والطاعة والعصيان ، وحكمته أن يكونوا مظهر الأسرار خلقه المادية والمعنوية في الاجسام والارواح وسننه في الاحياء ، وتعلق قدرته ومشيئته بخلق جميع الممكنات كما فصلنا ذلك من قبل قال الحسن وعطاء خلقهم للاختلاف ، وقال مجاهد وعكرمة خلقهم للرحمة ، وقال ابن عباس خلقهم فريقين : فريقا يرحم فلا يختلف ، وفريقا لا يرحم فيختلف ، فذلك قوله (فمنهم شقي وسعيد) وهذا أصح مما قبله لانه جامع للقولين ، وفي معناه قول مالك بن أنس وقد سأله أشهب عن الآية فقال : خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير اه أي كان الاختلاف سبب دخول كل من الدارين ، وفي الرواية عن ابن عباس تقديم المعلول على العلة ، والمعقول المشروع عكسه ، فالترتيب في الجزاء أن يقال : فريق اتفقوا في الدين فجعلوا كتاب الله حكما بينهم فيما اختلفوا فيه فاجتمعت كلمتهم وكانوا أمة واحدة فرحمهم الله بوقايتهم من شر الاختلاف وغوائله في الدنيا ومن عذاب الآخرة ، وفريق اختلفوا فيه كما اختلفوا في مصالح الدنيا ومنافعها وسلطانها فكان بأسهم بينهم شديداً فذاقوا عقاب الاختلاف والشقاق في الدنيا وأعقبهم جزاءه في الآخرة فكانوا محرومين من رحمته بظلمهم لانفسهم لا بظلم منه لهم ﴿ وتمت كلمة ربك ﴾ التي قالها في غير المهتدين ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ أي من عالمي الانس والجن الذين لا يهتدون بما أرسل به رسله وأنزل معهم كتبه لهداية المكلفين والحكم بين المختلفين ، ففي سورة ألم السجدة (١٣:٣٢ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم) الآية ، فهذا فريق السعير ، ومنه يعلم جزاء الفريق الآخر ، والمقام يقتضي الانذار

(١١٩) وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

هذه الآيات الاربع خاتمة هذه السورة وهي في بيان ما أفادت رسول الله وخاتم النبيين ﷺ من أنباء أشهر الرسل الاولين مع أقوامهم في نفسه، وما تفيده المؤمنين بما جاء به، وما يجب أن يبلغه غير المؤمنين به من الانذار والتهديد لهم، والاشارة الى ما ينتظره كل فريق، وان عاقبته له لا لهم. ثم أمره بعبادته والتوكل عليه، وعدم المبالاة بما يعملون من عداوته والكيد له، قال تعالى:

١٢٠ - ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ﴾ أي وكل نوع من أنباء الرسل نقص عليك ونحدثك به على وجهه الذي يعلم من تتبعه واستقصائه به، فان معنى القص في الاصل تتبع أثر الشيء للاحاطة به، ومنه (وقالت لأخته قصيه) ثم قيل قص خبره اذا حدث به على وجهه الذي استقصاه، والنبأ الخبر المهم، فهذه الكلية تشمل أنواع الانباء المفيدة من قصص الرسل الصحيحة في صورها الكلامية وأساليبها البيانية، وأنواع فوائدها العلمية، وعبرها ومواعظها النفسية، دون الامور العادية المستغنى عن ذكرها، كالتي تراها في سفر التكوين الذي يعدونه من التوراة وأمثاله ﴿ ما نثبت به فؤادك ﴾ أي نقص منها عليك ما نثبت به فؤادك، أي نقويه ونجعله راسخا في ثباته كالجبل في القيام باعباء الرسالة

ونشر الدعوة بما في هذه القصص من زيادة العلم بسنن الله في الاقوام ،وماقاساه

رسلهم من الايذاء فصبروا صبر الكرام ﴿ وجاءك في هذه الحق ﴾ اي في هذه السورة ـ وهو المروي عن ابن عباس وابي موسى الاشعري من الصحابة وسعيد ابن جبير والحسن البصري من التابعين وعليه الجمهور ، ـ وقيل في هذه الأنباء المقتصة عليك ـ بيان الحق الذي دعا اليه جميع أولئك الرسل من أصل دين الله وأركانه وهو توحيده بعبادته وحده واتقائه واستغفاره والتوبة اليه وترك ما يسخطه من الفواحش والمنكرات والظلم والاجرام والايمان بالبعث والجزاء والعمل الصالح

﴿ وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ الذين يتعظون بما حل بالامم من عقاب الله ويتذكرون مافيها من عاقبة الظلم والفساد ، ونصره تعالى لمن نصره ونصر رسله، فالمؤمنون هنا يشمل من كانوا آمنوا بالفعل ، والمستعدين للايمان الذين آمنوا بهذه الموعظة والذكرى كالذين آمنوا بعد،وفي هذه الآية من اعجاز الايجاز ،ما يناسب اعجاز تلك القصص التي جمعت فوائدها بهذه الكلمات

١٢١ ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم ﴾ أي فبشر به المؤمنين الذين يتعظون ويتذكرون،وقل للكافرين الذين لا يؤمنون فلا يتعظون : اعملوا على مافي مكنتكم أو تمكنكم واستطاعتكم من مقاومة الدعوة وإيذاء الداعي والمستجيبين له،وهذا الامر للتهديد والوعيد ، أي فسوف تلقون جزاء ما تعملون من العقاب والخذلان

﴿ إنا عاملون ﴾ على مكانتنا من الثبات على الدعوة وتنفيذ أمر الله وطاعته ﴿ وانتظروا ﴾ بنا ماتتمنون لنا من انتهاء أمرنا بالموت أو غيره مما تتحدثون به ، ومنه ماحكاه تعالى عنهم في قوله (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وما في معناه

﴿ إنا منتظرون ﴾ ماوعدنا ربنا من النصر وظهور هذا الدين ولو كره الكافرون ،

وإتمام نوره ولو كره المشركون ، وعقاب المعاندين منهم في الدنيا بعذاب من عنده أو بأيدي المؤمنين

١٢٢ ﴿ ولله غيب السموات والارض ﴾ أي وله وحده ماهو غائب عن علمك أيها الرسول وعن علمهم من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، مما تنتظر من وعد الله لك ووعيده لهم ، ومما ينتظرون من أمانيهم وأوهامهم ، فهو المالك له المتصرف فيه ، العالم بما سيقع منه وبوقته الذي يقع فيه ﴿ واليه يرجع الامر كله ﴾ فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن ، قرأ الجمهور « يرجع » بفتح الياء وكسر الجيم ، ونافع وحفص بضم الاولى وفتح الثانية ، والمعنى واحد ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ أي واذا كان له كل شيء ، واليه يرجع كل أمر ، فاعبده كما أمرت باخلاص الدين له وحده من عبادة شخصية قاصرة عليك ، ومن عبادة متعدية النفع لغيرك ، وهي الدعوة إلى ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، وتوكل عليه ليتم لك وعليك ما وعدك بما لا تبلغه استطاعتك ، فالتوكل لا يصح بغير العبادة ، والاخذ بالاسباب المستطاعة ، وانما يكون بدونهما من التمني الكاذب والآمال الخادعة ، كما أن العبادة وهي ما يراد به وجه الله من كل عمل لا تكمل إلا بالتوكل الذي يكمل به التوحيد ، قال (ص) « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن شداد بن أوس بسند صحيح ﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾ جميعاً : ماتعمله انت أيها النبي والمؤمنون من عبادته والتوكل عليه ، والصبر على أذى المشركين ، وتوطين النفس على مصابرتهم وجهادهم ، فهو يوفيكم جزاءه في الدنيا والآخرة ، وما يعمله المشركون من الكفر والكيد لكم ، وهذه قراءة نافع وحفص ، وقرأ الجمهور (يعملون) بالتحتية ، وهي نص في وعيد المشركين وحدهم بالجزاء على جميع أعمالهم ، وقد صدق الله وعده ، ونصر عبده محمداً رسول الله وخاتم النبيين ، فالحمد لله رب العالمين

(تم تفسير السورة التفصيلي ويليه خلاصته الاجمالية)

الخلاصة الاجمالية لسورة هود عليه السلام

(وفيها أبواب)

هذه السورة أشبه السور بسورة يونس التي قبلها في أسلوبها وما اشتملت من أصول عقائد الاسلام التي بيناها في خلاصتها من التوحيد والبعث والجزاء والعمل الصالح وعاقبة الظلم والفساد في الارض ، وحجج القرآن واعجازه والتحدي به ، واثبات نبوة محمد ﷺ وقصص الرسل عليهم السلام وسنن الله في الامم ، ومناسبتها في براعة المطلع والمقطع كما بيناه في فاتحة هذه ـ ولكن في تلك من التفصيل في محاجة المشركين في تلك الاصول ما أجمل في هذه ، وفي هذه من التفصيل في قصص الرسل ما أجمل في تلك . لهذا نختصر في خلاصتها الاجمالية فيما عدا قصص الرسل وعاقبة الاقوام في الدنيا والآخرة فنقول :

(الباب الاول)

(في توحيد الله تعالى وصفاته وتدبيره لأمور عباده وسننه في تصرفه فيهم بالرحمة والفضل ، وجزائهم على أعمالهم بالعدل ، والتنزه عن الظلم وفيه ثلاثة فصول :

(الفصل الاول في توحيد الربوبية والالوهية)

(١) توحيد الالهية

هو أول مادعا اليه محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وأول مادعا اليه جميع من قبله من رسل الله عز وجل ، أعني عبادة الله وحده ، وعدم عبادة شيء غيره أو معه ، كما تراه بعد افتتاح السورة بذكر القرآن من خطابه تعالى لقومه وأمته بقوله في الآية الثانية (ألا تعبدوا إلا الله) ومثله أول مادعا اليه نوح عليه السلام في الآية (٢٦) منها ، وفي معناه أول ما دعا هود في الآية (٥٠) وصالح في الآية (٦١) وشعيب في الآية (٨٤) (قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

وان أكثر الذين يقرءون القرآن أو يسمعونه وهم يأخذون عقائدهم المشوبة بالوثنية من تقاليد آبائهم الجاهلين لا من القرآن يظنون أن المراد بالعبادة في هذا الامر والنهي عبادة الاسلام المنزلة من الصلاة والصيام ونحوهما مما جاء به أولئك الرسل ايضا ، لأنهم يجهلون أن دعوتهم هذه هي أول ما وجهوه إلى المشركين غير المؤمنين بهم، قبل فرضية العبادات المنزلة عليهم، نهوهم بها عن عبادتهم الوثنية التقليدية وهي دعاء غير الله لجلب النفع وكشف الضر ، والذبح لغير الله ، والنذر لغير الله ، وشد الرحال لتعظيم غير الله تعظيما تعبديا يتقربون به إلى غير الله ليقربهم إلى الله ،ويشفع لهم عنده، ويظنون أن المراد بغير الله من هذه المعبودات خاص بالاصنام كما يرون تفسيرها في مثل الجلالين ، وان دعاء الانبياء والاولياء لدفع الضر وجلب النفع والنذور وتقريب القرابين لهم لا ينافي دين الله وتوحيده على هذا التفسير

والصواب المجمع عليه المعلوم من دين الاسلام بالضرورة ونصوص القرآن القطعية أنه لا فرق في عبادة غير الله بمثل ما ذكرنا بين الاصنام وغيرها من حجر وشجر وكوكب ، أو بشر ولي أو نبي ، أو شيطان أو ملك ، إذا توجه العبد اليها توجها تعبديا ابتغاء نفع أو كشف ضر في غير العادات والاسباب التي سخرها الله لجميع الناس ، فعبادة الملك أو النبي أو الولي كفر كعبادة الشيطان أو الوثن والصنم بغير فرق ، اذ كل ما عدا الله فهو عبد وملك لله، لا يتوجه اليه مع الله ولا من دون الله ، ولا لاجل التقريب زلفى إلى الله ، بل يتوجه في كل ماسوى العادات العامة إلى الله وحده كما أمر الله ابراهيم ومحمداً ﷺ في كتابه ، ولا فرق في هذا التوجه بين تسميته عبادة كما كانت العرب تقول وهي أعلم بلغتها ، وبين تسميته توسلا أو استشفاعا كما فعل بعض المتأخرين ، فالمعنى واحد لا يختلف حكمه باختلاف أسمائه

(٢) توحيد الربوبية

الاله هو المعبود الذي يتوجه بالدعاء والتأله والخشوع الخاص بالايمان بالسلطان الغيبي ، والرب هو الخالق المربي والمدبر لعباده والمتصرف فيهم بذاته ، ومقتضى حكمته ونظام سننه ، وتسخيره الاسباب لمن شاء بما شاء ، وكان أكثر

مشركي العرب ومن قبلهم من أقوام الانبياء يؤمنون بأن الرب الخالق المدبر واحد، وإنما يقولون بتعدد الآلهة التي يتقرب اليها توسلا إلى الله وطلباً للشفاعة عنده، وكانت الانبياء والرسل تقيم الحجة عليهم بأن توحيد الربوبية يقتضي توحيد الالوهية، إذ العبادة لا تصح ولا تنبغي إلا للرب وحده، وآيات القرآن في هذا كثيرة جداً

تأمل كيف خاطب الله أمة خاتم النبيين في الآية الثانية من هذه السورة بعبادته وحده، وفي الآية الثالثة عقبها باستغفار ربهم والتوبة اليه من كل ذنب ليمتعهم متاعا حسنا ويؤتي كل ذي فضل فضله، وتجد مثل هذا في قصة هود (٥٢) وفي قصة شعيب (٩٠) وتأمل كيف بين لنبيه في الآيتين ٦ و٧ أنه ما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، وانه هو الذي خلق السموات والارض الخ والمراد أن العبادة لا تصح ولا تنبغي إلا له سبحانه

ثم تأمل كيف أخبر نوح وهو أول الرسل قومه وهم أول من ابتدع الشرك بالغلو في تعظيم الصالحين في الآية (٣١) بأنه ليس عنده خزائن الله فيقدر على رزقهم أو نفعهم، وانه لا يعلم الغيب ولا يقول إنه ملك يتصرف في تدبير العالم باقدار الله اياه على ذلك كما فعلوا اذ صاروا يدعون غير الله من المقربين عنده والمقربين اليه بزعمهم، وتقدم مثلها عن نبينا ﷺ في الآية (٥٠) من سورة الانعام وفي معناها من سورة الاعراف (٧ : ١٨٧) ومن سورة يونس (١٠ : ٤٩)

ثم تأمل في قصة هود آية (٥٦ اني توكلت على الله ربي وربكم) الخ وفي معناه توكل شعيب في الآية (٨٨) ثم ختم السورة بأمر نبينا صلوات الله وسلامه عليه بقوله (١٢٣ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه) فجمع بين العبادة وهي أعلى توحيد الالوهية، والتوكل وهو أعلى توحيد الربوبية، وحسبنا هذه الشواهد عن الرسل (ع.م) من هذه السورة

الفصل الثاني في صفاته تعالى

في السورة من صفات الذات والافعال: الحكيم الخبير العليم القدير الوكيل الغفور الرحيم الحفيظ القريب المجيب القوي العزيز الرقيب الودود البصير، فمنها

ماوصف به تعالى مفرداً وما وصف به مقترنا بغيره ، وما اتصل بمتعلقه ، ولكل منها أتم المناسبة لموضوعه في موضعه مما يذكر المتدبر له بتدبيره تعالى لأمور عباده ، ويزيده إيمانا بمعرفة جلاله وجماله ، وكماله في صفاته وأفعاله ، ورحمته وإحسانه للمحسنين ، وتربيته وعقابه للمجرمين والظالمين ، وحسبك شاهداً عليه في نفسك تدبر إحاطة علمه تعالى بما تسر وتعلن في الآية الخامسة (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ، ألاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور) فلا تغفلن عن هذه المعاني أيها التالي للقرآن أو المستمع له فيفوتك من العرفان وغذاء الايمان ، ما أنت في أشد الحاجة اليه لتزكية نفسك ، التي هي أقرب الوسائل لفلاحك وسعادتك ، فان تأمل هذه الاسماء في مواضعها من بيان شئونه تعالى في العباد أقوى تفقيها في الدين وتكميلا للعرفان من تكرار الاسم الواحد مراراً كثيرة كما يفعل المتصوفة المرتاضون ، ومقلدهم المرتزقون ، وهو غير مشروع خلافا لما زعمه المتأولون لقوله تعالى (قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) فاسم الجلالة هنا مبتدأ لجملة في جواب سؤال حذف خبره لدلالة ما قبله عليه وهو قوله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) الخ والمعنى : قل الله هو الذي أنزله ، فهو ليس اسما مفرداً يكرر تعبداً

ومثله تأولهم لحديث « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله » رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أنس ، ولفظ الجلالة فيه مرفوع على أنه مبتدأ حذف خبره للعلم به من القرينة ، والمعنى - حتى لا يقال : الله فعل كذا ، الله أمات وأحيا ، لذهاب الايمان به تعالى . والاسم المفرد في ذكرهم يكررونه بالسكون لا يقصد به معنى جملة ، وإنما يقصد به حصر التوجه وجمع الهمة بما جربه الرياضيون ، وجهله المقلدون

﴿ الفصل الثالث آياته تعالى في الخلق والتقدير ، والتصرف والتدبير ﴾

(وفيه أربعة شواهد على ما قبله)

(ش ١) قوله تعالى بعد آية توحيد العبادة للاله الواحد استدلالا عليه بتوحيد الربوبية (٣ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا) الخ فهو صريح

في أن رب الناس هو الذي يعطيهم ما يتمتعون به من منافع الدنيا المادية الجسدية ، وما يفضل به بعضهم بعضا من الفضائل النفسية من علم وأدب وخلق ، وأن الوسيلة لهذا وذاك بعد الايمان بوحدانيته ولقائه في الآخرة هي استغفاره من كل ذنب ، والتوبة من كل تقصير في طاعته ، والرجوع اليه عقب كل إعراض عن آيات هدايته ، ليس لغيره تأثير شخصي في إعطاء هذا ولا ذاك بتصرفه بنفسه ، ولا بشفاعته عنده ، فيدعى من دونه أو يتوجه اليه معه في طلبه ، ومن راقب نفسه وحاسبها في هذا شاهد تأثيره في نفسه ، فازداد إيمانا بربه ، وشاهده في غيره من الموحدين المستغفرين التوابين ، وضده في المشركين والمصرين على ذنوبهم وجرائمهم ، فانه يرى أكثر هؤلاء متاعا في همّ واصب ، وتنغيص دائب ، لان سعادة الدنيا من صفات النفس ، لا من كثرة الاعراض في اليد

ولهذا كان رسل الله الاولون يأمرون أقوامهم بعد التوحيد بالاستغفار والتوبة أيضا كما ترى في الآية (٥٢) من قصة هود وقد جعل جزاءه إرسال المطر وهو سبب سعة الرزق ، وزيادة القوة البدنية ، اذ كان هذا أهم ما يطلبه قومه من ربهم ، ويتوسلون الى ما يعجزون عنه منه بالهتهم ، وفي الآية (٦١) من قصة صالح وقد بنى الامر فيها على ما سبق من فضله تعالى على قومه بسعة الرزق واستعمارهم في الارض ، وفي معناها الاية (٩٠) من قصة شعيب عليهم السلام

(ش٢) قوله تعالى (٦ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) الآية ـ أي عليه وحده فانه لم يشاركه في خلق رزق هوامها وأنعامها وطيرها ووحشها وإنسها وجنها أحد من الانداد الذين اتخذهم المشركون ، ولا يشاركه أحد منهم في تسخير هذا الرزق لها ولا في ايصاله اليها بشفاعة ولا وساطة أخرى بينه وبينها ، فلذلك لم يشرك به أحد منها ولا من غيرها من خلقه غير بعض الانس والجن المكلفين

(ش٣) قوله بعدها وهو دليل على مضمونها (٧ خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) الآية . أي خلقهما وما كان يوجد معه أحد من هؤلاء الشفعاء والاولياء المزعومين ، فهو غني عنهم الآن وفي كل آن ، كما كان غنيا عنهم عند بدء

التكوين ، وراجع ما فصلناه في تفسيرها من خلق كل شيء حي من الماء ، تر فيه من عجائب قدرته وحكمته ما يربأ بكل عاقل أن يجعل له وسيطا بينه وبين خلقه من هذا الانسان الضعيف كما وصفه خالقه

(ش٤) الآيات (٩ و ١٠ و ١١) في بيان أحوال الناس فيما يذيقهم ربهم بحكمته من البأساء والضراء ، في هذه الحياة الدنيا دار البلاء ، وأصنافهم فيها من يائس كفور ، وفرح فخور ، وصبور شكور ، فبهذا التقسيم المشهود المخبور ، تعرف توحيد الله تعالى وفضله على المؤمنين الموحدين ، وجدارتهم بسعادة الدارين ، واستحالة أن يكون له شريك في فضله عليهم ، أو وسيط في نعمه وتكريمه لهم

الباب الثاني

(في الوحي المحمدي «القرآن العظيم» وإثبات رسالته ﷺ به ، وفيه سبع مسائل)

(م الاولى) افتتح هذه السورة كالتي قبلها بذكر هذا الكتاب العظيم ، وإحكام آياته ثم تفصيلها من لدن حكيم خبير ، إعلاما بأن إحكامها مبني على أساس الحكمة ، وتفصيلها مرفوع على قواعد العلم ودقة الخبرة

(م الثانية) قوله تعالى (١٢ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك) يعني ان حالك أيها الرسول مع هؤلاء المنكرين المقترحين عليك ما ليس أمره اليك ، حال من يتوقع منه ترك بعض ما يثقل عليهم من الوحي ، وضيق صدره من ذلك القول ، فلا تترك شيئا مما يوحى اليك ، ولا يضق صدرك به ، إنما أنت رسول وظيفتك التبليغ والانذار ، لا الاتيان بالآيات ، ولا الوكالة عليهم فتكرههم على الايمان

(م الثالثة) الرد في الآية (١٣) على قولهم «افتراه» بتحديهم بالاتيان بعشر سور مثله مفتريات ، ودعوة من استطاعوا من دون الله لمظاهرتهم وإعانتهم على الاتيان بها إن كانوا صادقين . وقد بينا في تفسيرها معنى هذا التحدي بالعشر

المفتريات بعد ما سبق في سورة يونس من التحدي بسورة واحدة ، وهو ما لا تجد مثله في تفاسير الاولين ولا الآخرين، والحمد لله رب العالمين ، وفيه إثبات أن المراد بهذه السور ما اشتمل على قصص الرسل ، وان في إعجاز هذه القصص بالبلاغة والاساليب والنظم والعلم ما ليس في غيرها ، وحكمة جعلها عشراً ، وما في العشر من هـذه السورة وما قبلها من أنواع العلم والهدى والاصلاح ، فراجعه (في ص ٣١ — ٤٦)

(م الرابعة) قوله (١٤ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزل بعلم الله) وبينافي تفسيره معنى إنزاله بعلم الله وكونه حجة على ما فسرنا الاعجاز فيها وقد غفل عنه المفسرون

(م الخامسة) قوله (٤٩ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وهو استدلال بقصة نوح على رسالة النبي ﷺ ووجه الدلالة انه ما كان يعلمها هو ولا قومه من قبل إنزالها عليه في هذا الوحي الالهي، ولو كان أحد من قومه يعلمها قبل ذلك لاحتجوا به عليه ، وإذن لامتنع إيمان من لم يكن آمن منهم ، ولارتد من كان آمن

(م السادسة) قوله تعالى (١٠٠ ذلك من أنباء القرى نقصه عليك) الآية ، وفيه الاستدلال بجملة قصص السورة على كونها وحياً من وجهين أحدهما ما في المسألة الخامسة من كونها مما لم يكن علمه محمد النبي الامي ﷺ وثانيهما ما اشتملت عليه من العلم الالهي والاجتماعي والتشريعي الذي فصلناه في بيان التحدي بالعشر السور من عشر وجوه

(م السابعة) قوله تعالى (١٢٠ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) الآية وهي في موضوع التي قبلها من فوائد قصص الرسل الا أن تلك في فوائدها الاجتماعية في الامم واهلاك الظالمين ، وانجاء المتقين ، وهذه في فوائدها الخاصة بالرسول ﷺ في نفسه وتأييد دعوته ، وفي المؤمنين به من قومه

فهذه جملة ما في السورة خاصا بالقرآن العظيم من حيث كونه وحيا من الله تعالى دالا على نبوة محمد ﷺ ورسالته ، وقد تفصل معنى كل منها في موضعه

الباب الثالث

في الرسالة العامة وقصص الرسل مع أقوامهم وفيه ستة فصول

الفصل الاول في رسالة محمد (ص)

بدئت السورة بدعوة هذه الرسالة من أولها إلى الآية ٢٤ وهي متضمنة لأصول دين الله (الاسلام) على ألسنة جميع الرسل وهي التوحيد والبعث والجزاء والعمل الصالح ، المبينة في الآية (٢ : ٦٢) وسأذكرها في أول الفصل ٣ ومتضمنة لاعجاز القرآن بقسميه اللغوي والعلمي ، وقد فصلناه بفضل الله وإلهامه بما لا نظير له في سائر التفاسير ، ثم ختمت بمثل ما تضمنته أوائلها من الآية (٩٩ الى ١٢٣) فالتقى قطراها واحتبك طرفاها ، فأحاطا بالقصص التي بينهما مؤيدة لها ، وذكر في أثنائها برهان على رسالته ﷺ في آخر قصة نوح (ع . م) وهو الآية (٤٩ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك) الخ ولعل حكمة تخصيص هذا بالذكر ما في هذه القصة من زيادة التفصيل والتأثير ببلاغته الممتازة ، وإلا فسائر هذه القصص من أنباء الغيب ودلائل اعجاز القرآن ، كما أشير اليه في الآية (١٠٠) وهي المقصودة بالذات ، فيسهل على المتفقه في القرآن أن يراجع تفسير هذه الآية مضمومة إلى كلامنا المفصل في إعجازه بقسميه المشار اليه آنفا من ص ٣١ إلى ٤٧ — وأن يتأمل الآيات الاربع والعشرين من أول السورة والآيات الخمس والعشرين من آخرها ، ليحيط بما في السورة من علوم رسالة خاتم النبيين علما إجماليا

واما بيان أنواعها مفصلة في السورة فيراها في الفصول التالية من هذا الباب وفي الابواب التي بعدها ويفقه سر افتتاحها بقوله تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) وجعله عنوانا لها

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في الهداية الاجمالية في قصص السورة وأصول الدين الثلاثة التي دعا اليها جميع الرسل)

قد بينا في الكلام على إعجاز القرآن العلمي الذي فصله في قصص الرسل (ع م) وتكرارها أنها مشتملة فيه على عشرة أنواع كلية من العلم والهداية فراجعها أيها المتدبر المتفقه في الصفحة ٤١ — ٤٣ وتأملها إجمالا ، ثم تأمل مافي هذه السورة منها في الفصول التالية

وأما أصول الدين ففي قول الله تعالى (٢:٦٢) ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

(الاصل الاول) الايمان بالله تعالى وقد بينا في الباب الاول شواهده من قصص السورة كلها

(الاصل الثاني) الايمان باليوم الآخر وهو البعث والجزاء وسيأتي تفصيله في الباب الرابع

(الاصل الثالث) العمل الصالح وهو قسمان ما أمر الله تعالى به وما نهى عنه على ألسنة رسله (ع . م) بعد الامر بالتوحيد والنهي عن الشرك. وقد ذكر العمل الصالح باللفظ المجمل الدال على كل ماتصلح به أنفس البشر في موضعين من هذه السورة (الاول) قوله بعد بيان قسمي اليئوس الكفور والفرح الفخور من الناس (١١ إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) الآية. (الثاني) قوله بعد ذكر الذين خسروا أنفسهم (٢٣ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) وفي معناها الاحسان في قوله (٧ ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وقوله (١١٥ إن الحسنات يذهبن السيئات)

وأما الاوامر والنواهي المفصلة فتذكر في الباب الخامس

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في وظيفة الرسل الاساسية وصفاتهم وبيناتهم وفيه تسع مسائل أو عقائد)

(الاولى وظيفة الرسل الاساسية) هي ما بعثهم الله لاجله من تبليغ رسالته بانذار من تولى عن الايمان وعصى، وتبشير من أجاب الدعوة فآمن واهتدى ، والشواهد عليها من هذه السورة قوله تعالى في دعوة رسوله خاتم النبيين (٢) إنني لكم منه نذير وبشير) وقوله له (١٢) إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) ومثل هذا الحصر في القرآن كثير ، وقوله حكاية عن نوح (ع ٠ م) وهو أول رسله الى الاقوام المشركة (٢٥ إني لكم نذير مبين) وقوله حكاية عن رسوله هود (ع ٠ م) ٥٧ فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم)

وموضوع التبليغ هو الدعوة إلى أركان الدين الثلاثة المبينة آنفا وعليها مدار سعادة المكلفين في الدنيا والآخرة، وكلها مبطلة لما كان عليه أقوامهم المشركون من أن بينهم وبين الله تعالى وسائط منهم أو من غيرهم من خلقه يقربونهم اليه بجاههم الشخصي، ويقضون حوائجهم من جلب نفع أو دفع ضر بشفاعتهم لهم عنده ، أو بتصرفهم في خلقه بما خصهم به من خوارق العادات ،إلا ما جعله من آياته دليلا على صدقهم في دعوى الرسالة ، كابراء عيسى عليه السلام الاكمه والابرص واحيائه للموتى باذن الله له ، بأن دعاه في ذلك فاستجاب له وسيأتي بيانه

(الثانية أنهم بشر مرسلون) أي لايملكون من أمور العالم شيئا مما هو فوق كسب البشر غير ما خصهم الله به من الرسالة دون شئون ربوبيته أو ما خص به ملائكته، حتى انهم لايملكون هداية أحد إلى الدين بالفعل لان هدايتهم خاصة بالتبليغ والتعليم كما تقدم آنفا ، وحكاية نوح مع ابنه الكافر حجة في هذا الموضوع واضحة، والشواهد على هذا في القرآن كثيرة

و (منها) في هذه السورة ما علمت من آيات توحيد الربوبية ، والرد على مشركي مكة في اقتراحهم مجيء الملك بقوله تعالى (١٢ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك : انما

أنت نذير والله على كل شيء وكيل) وقوله حكاية عن نوح (٣١ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إني ملك) وتقدم مافي معناه عن خاتم النبيين ﷺ قريبا ، وفي معناه آيات كثيرة في السور الاخرى

(ومنها) في احتجاج المشركين على رسلهم بأنهم بشر في قصة نوح (٢٧ فقال الملأ الذين كفروا من قومه : مانراك إلا بشراً مثلنا) وقد قال مثل هذا سائر أقوام الرسل بعده إلى خاتمهم محمد صلوات الله عليهم أجمعين

ولو كان أولئك الرسل في عصرهم على غير مايعهد أقوامهم من البشر ، بأن كانوا يتصرفون في الكون بالضر والنفع وعلم الغيب لما احتجوا عليهم بأنهم بشر مثلهم كما يدعي الذين ضلوا من أقوامهم من بعدهم عما جاؤا به مع دعوى اتباعهم ، فزعموا أنهم هم وبعض من وصفوا بالصلاح والولاية من أتباعهم يضرون وينفعون ، ويُشقون ويُسعدون ، ويميتون ويحيون : أحياؤهم وأمواتهم في هذا سواء ، بل يزعمون أنهم أحياء في قبورهم حياة مادية بدنية يأكلون فيها ويشربون ، ويسمعون كلام من يدعوهم ويستغيث بهم ، ويستجيبون دعاءهم فيها ، وقد يخرجون من قبورهم فيقضون حوائجهم في خارجها ، يخالفون بهذا الدعاوى مئات من آيات القرآن المحكمات في التوحيد وصفات الربوبية ، وفي صفات الانبياء وكونهم بشراً لا يقدرون على شيء مما لا يقدر عليه البشر ، وأن النبوة والرسالة وآياتها ليست من كسبهم ، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فيما ورد فيه من بعض أنباء الغيب في حياة الشهداء البرزخية ، فيقيسون عليها بأهوائهم حياة أوليائهم رجما بالغيب وافتراء على الله ، وحسبنا هنا التذكير بما امر الله نبينا ان يرد به على الذين سألوه بعض الآيات الكونية (قل سبحان ربي : هل كنت الا بشرا رسولا ؟)

(الثالثة بيناتهم وآياتهم) مامن نبي دعا قومه إلى الله إلا وجاءهم ببينة على صدقه في دعواه من حجة عقلية وآية كونية ، وكانت تشتبه على عامتهم الآيات الكونية بالسحر لانهم يرون ان كلا منهما أمر غريب لا يعرفون سببه ، ويرونه من الدجالين والمرتزقة ، وكان المهتدون هم الذين يميزون بين الفريقين بالبينات العقلية ، والهداية الخلقية والعملية ، وكذلك الجاحدون المعاندون منهم

بينت لنا هذه السورة ان كل رسول كان يحتج ويستدل على قومه بأنه على بينة من ربه ، وليس فيها ولا في غيرها أن كلا منهم تحدى قومه بآية كونية كما تحدى موسى فرعون وملأه وكما تحدى محمد قومه والانس والجن معهم، ومن استطاعوا ليظاهروهم على معارضة القرآن بمثله في مزايا إعجازه العامة الظاهرة في كل سورة منه، ومزايا إعجازه المكررة في عشر سور مما ادعوا افتراءه منه ، ثم انه بعد التحدي بعشر مثله مفتريات في الآية (١٣) من هذه السورة ، وبعد تقرير عجزهم عن المعارضة في الآية (١٤) قال في تقرير الحجة العقلية والنقلية التاريخية (١٧ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة)

ثم قال في حجة نوح (٢٨ قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم) الآية، وحكى عن قوم هود أنهم (٥٣ قالوا يا هود ماجئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين) ولكنه كذبهم بعد ذلك بقوله عز وجل (٥٩ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) الآية

ثم قال في قصة صالح (٦٣ قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة) الآية ، وذكر بعدها آيته الكونية التي أنذرهم العذاب بها فقال (٦٤ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) الخ ثم قال في قصة شعيب (٨٨ قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا) الآية ثم قال (٩٦ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ٩٧ إلى فرعون وملائه) الآية

ومن المعلوم القطعي أن هذه الآيات وغيرها ليست من أعمال أولئك الرسل وكسبهم ولا في حدود استطاعتهم، فآية خاتمهم الكبرى هي كلام الله عز وجل كان عاجزا عن الاتيان بسورة مثله بعد النبوة فعجزه قبلها أظهر ، وناقة صالح لم تكن من خلقه ولا كسبه ، ولما رأى موسى آيته الكبرى وهي العصا إذ ألقاها فاذا هي حية تسعى ، ولى مدبرا خائفا منها ، كما ترى في سورتي النمل والقصص

وأما آيات عيسى التي أسند اليه فعلها فقد صرح القرآن بأنها كانت باذن الله تعالى وإرادته ،وفي رسائل الاناجيل المتداولة أنه كان يدعو الله تعالى ويتضرع اليه بطلبها ليؤمنوا به ويعلموا أنه يستجيب له ، وقد قال اليهود انها سحر مبين،

وأهل هذا العصر يوردون عليها شبهات من غرائب صوفية الهنود وغيرهم من الروحانيين ، كما بيناه في كتاب الوحي المحمدي ، وبينا أن آيات موسى كانت أعظم منها مظهراً ، وأدل على قدرة الله تعالى وتأييده له ، لا يمان أعلم علماء السحر بها ، ولم تكن فتنة للناس بموسى كما كانت تلك فتنة للناس بعيسى إذ اتخذوه بها إلها ، فالذين فتنوا وضلوا بخوارق العادات الصورية من الاولين والآخرين ، أضعاف أضعاف الذين اهتدوا بالحقيقي منها ، فان الملايين من مدعي اتباع عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام يتبعون الدجالين المدعين للتصرف في الكون بأنفسهم أو باستخدامهم للجن ، وسدنة قبور الاولياء والمقدسين الذين يدعون التصرف لمن تنسب اليهم ، وكل هؤلاء يجهلون حقيقة الايمان الذي بعث الله به جميع رسله ووظيفة رسالاتهم

(الخامسة حجة الرسل على أقوامهم باخلاصهم لله وعدم طلب أجر على عملهم)

هذه المسألة مكررة في القرآن ومن الشواهد عليها هنا حكاية عن نوح قوله تعالى [٧٩ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن اجري إلا على الله] وتقدم عنه معناه في سورة يونس وسيأتي مثله في سورة الشعراء بلفظ الاجر [ومنها] عن هود [٥١ يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) وراجع مثل هذا عن الرسل في سورة الشعراء [٢٦ : ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠]

وقد تكرر هذا عن نبينا ﷺ في عدة سور : الانعام (٦ : ٩٠] ويوسف (١٢ : ١٠٤) والشورى (٤٢ : ٢٣) ونص هذه الاخيرة بعد تبشير الذين آمنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور) والاستثناء في هذه الآية منقطع ، والمعنى لا أسألكم عليه اجرا البتة ، سنة الله في النبيين المرسلين ، ولكن اسألكم المودة في أولي القربى لكم وصلة أرحامكم ، وكانت هذه الوصية مما يحمدونه من هدي الاسلام لتعصبهم لانسابهم ، ويفسرها قوله تعالى (٣٤ : ٤٧ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) ولكن الشيعة جعلوا الاستثناء متصلا وفسروا المودة في القربى بمودة قرابته

ﷺ وخصوها بابن عمه علي وذريته عليهم السلام دون عمه العباس وذريته وسائر ذرية أعمامه ، واشتهر هذا التأويل الباطل في كتب التفسير والمناقب ودواوين الشعر ، وجعلوه عبداً من الله عاهد عليه المؤمنين كما قال شاعر العراق في عصره عبد الباقي العمري :

وعهد لا أسألكم عليه من أجر لمن به الولا قد وجبا

وهذا التأويل تحريف للقرآن وطعن شنيع على رسول الله وخاتم النبيين ﷺ باخراجه من سنة الله تعالى في جميع رسله بأنهم يبلغون رسالاته لوجهه الكريم لا يسألون عليه أجراً لانفسهم ولا لأولي قرباهم ، وأنه هو الذي انفرد بطلب الاجر لاولى قرباه ، (وحاشاه) وهل يسعى جميع طلاب الدنيا إلا لذرياتهم ؟ وللتنزه عن هذه الشبهة حرم الله تعالى الصدقة على آل رسوله وهم بنو هاشم ومن كان يواليهم من بني المطلب دون إخوتهم من بني أمية وبني عبد شمس الذين كانوا يعادونهم ، وموالاة علي وآله واجبة لا خلاف فيها ، ولا حاجة إلى الاستدلال عليها بهذا التحريف للقرآن بباطل التأويل للآيات المحكمات اللاتي هن أم الكتاب

(السادسة : عصمتهم صلوات الله تعالى عليهم في تبليغ الدعوة والعمل بها)

من الشواهد عليها قوله تعالى (١٢ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) الآية المراد منها انه لا يترك مما أوحي اليه شيئا لا يبلغه (ومنها) قوله حكاية عن نوح (٢٩ وما أنا بطارد الذين آمنوا) الآية ، والنفي فيها للشأن ، أي ما كان طردهم من شأني ، ولا مما يقع من نبي مثلي ، فأنا معصوم من إجابتكم اليه فلا تطمعن فيها ، والوعيد عليه في الآية (٣٠) التي بعدها مبني على فرض وقوع الطرد منه المعبر عنه بأداة الشرط التي ليس من شأن فعلها أن يقع (ومنها) قول شعيب لقومه (٨٧ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه وهو يدل على أن الرسول لا ينهى عن شيء لا ينتهي هو عنه ، فهو لا يخالف رسالته في شيء ، إذ لو خالفها لدحض حجته ، ونقض دعوته ، (ومنها) قوله لهم (٩٣ ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل) الآية وما فيه من الوعيد

فان قيل : ان أمر الله تعالى ونهيه لهم بالتكاليف ووعيده على المخالفة والمعصية

الشامل لهم ولأقوامهم والخاص بهم كقوله تعالى لنوح (٤٦ اني أعظك أن تكون من الجاهلين واستعاذة نوح به تعالى من مخالفة الموعظة وقوله (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الجاهلين) وحكايتهم عن أنفسهم ما يعملون وما يتركون - كل هذا وأمثاله يدل على جواز وقوع المعصية منهم لا استحالته، وفي بعضه ما يدل على وقوع الذنب بالفعل، ومنه سؤال نوح ربه نجاة ولده الكافر، وكونه من سؤال ما ليس له به علم، وهو منهي عنه

«قلت» ان المتكلمين استدلوا على ما سموه عصمة الانبياء بالعقل لا بالنقل، وتأولوا الآيات والاحاديث الواردة بوقوع الذنوب منهم بله الدالة على إمكانها، وليس المراد بدلالة العقل على عصمتهم أنها كعصمة الملائكة منافية لطباعهم، فان ما فضلوا به على الملائكة انهم بشر كسائر البشر جبلوا على الشهوات الجسدية، وداعية كل من المعصية والطاعة، كما علم من قصة أبيهم آدم، ولكنهم بقوة الايمان ومعرفة الله عز وجل والخوف منه والرجاء فيه والحب له يرجحون الطاعة على المعصية بملكة راسخة فيهم، يعصمهم الله تعالى بها من الخطأ في التبليغ و من الكتمان لشيء مما امروا به منه، ومن مخالفته، ومن الرذائل والمعاصي المنافية للرسالة، المبطلة للحجة، دون الخطأ في الاجتهاد والرأي، الذي لا يخالف مدلول الوحي، فاذا وقع منهم بهذا الاجتهاد ما كان الخير والكمال لهم في علم الله خلافه بينه الله لهم تعليما، وعلمهم ماهو الأليق بهم تربية وتكميلا، ومنه اجتهاد نوح الذي رجح له بالحنان الابوي جواز دخول ابنه الكافر فيمن وعده الله بنجاتهم كما بيناه في موضعه، ولم يعلم ان سؤاله ربه ما ليس له به علم قطعي ممنوع إلا بعد أن سأله نجاة ولده فأجابه بهذه الموعظة، وقد فصلنا هذه المسألة في تفسير أخذ النبي ﷺ الفداء من أسرى بدر من سورة الانفال [٨:٦٧] وتفسير عتابه على الاذن لبعض المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك والعفو عنه من سورة التوبة [٩:٤٣]

﴿السابعة : كمال إيمانهم وثقتهم بالله وتوكلهم عليه وشجاعتهم ويقينهم بعاقبة أمرهم﴾

هـذه المزية الجامعة لعدة من مزاياهم ظاهرة أوضح الظهور في كل قصة من قصصهم إذ هي عبارة عن تصدي رجـل واحد من وسط قوم لتجهيلهم في تقاليدهم الدينية الموروثة ودعوتهم لتركها إلى ماهو خير منها في حقيقته وكماله وحاله ومآله ، وتوبيخهم على الاصرار عليها ، وانذارهم سوء عاقبتها ، وعـدم مبالاته بكفرهم به ، وسخريتهم منه، وتهديدهم له ، ومقابلته لذلك بما هو أشد منه، كما ترى في الآيتين (٣٨و٣٩) من قصة نوح وما هو أشد منها في معناها من سورة يونس (١٠ : ٧٦) التي صرح لهم فيها باعتصامه بالتوكل على الله وأمرهم باجماع أمرهم وشركائهم والتثبت فيه والقضاء اليه بما يجمعون عليه من عقابه بدون انظار ولا امهال ، وفي معناه من هذه السورة الآيات (٥٥ـ٥٧)

﴿ الثامنة ﴾ انذارهم الاخير لاقوامهم وقوع عذاب سماوي يهلكهم، ويقطع دابر المعاندين المصرين على جحودهم وظلمهم ، ووقوع ذلك كله كما بلغوهم عن الله تعالى بلا تأخير ولا تقديم

﴿ التاسعة ﴾ احتجاج المتأخر من هؤلاء الرسل على قومه بما وقع لمن قبله من الرسل مع أقوامهم المعروفين عند قومه كما ترى في انذار شعيب قومه ذلك في الآية(٨٩) وفي سورة الاعراف تذكير هود قومه بقوم نوح قبلهم، ثم تذكير صالح بقوم هود من قبلهم، وقد أنذر محمد ﷺ قومه بجميع هؤلاء الاقوام وما حل بهم. فدل على أنه وقع بأمره عقابا لهم ، وان كان مواقفا لسننه تعالى في الاسباب العامة

وجملة القول في قصص الرسل مع أقوامهم وما فيها من أصول دين الله تعالى « الاسلام » ومن سننه تعالى في تبليغهم له وهدايتهم وفضائلهم وضلال المكذبين لهم وظلمهم وفسادهم — أنها دلائل واضحة على رسالة خاتمهم محمد ﷺ واعجاز كتابه وكونه من عند الله تعالى أكمل به دينه ، ووجوه الدلالة فيها كثيرة من عقلية وعلمية واجتماعية وتاريخية وغيبية ، وقد فصلناها في « كتاب الوحي المحمدي » تفصيلا .

(الباب الرابع في البعث والجزاء)

آيات البعث في القرآن نوعان (أحدهما) لدعوة المشركين إلى الايمان به والاستدلال على قدرة الخالق تعالى عليه وإزالة استبعادهم له وتقريبهم من ادراكه بضرب الامثال له (والثاني) لتذكير المؤمنين به للترغيب والترهيب والموعظة، والجزاء قسمان أيضاً : جزاء المؤمنين المتقين الصالحين. وجزاء الكافرين الظالمين المجرمين ، ولكل من البعث والجزاء بقسميه ألوان من البيان الرائع العجيب ، وأساليب في التعبير البليغ ، وكل من النوعين والقسمين يجتمعان ويفترقان في التعبير عنهما والخطاب بهما بتلك الاساليب المختلفة في الآية والآيتين والآيات، ولكل منهما تأثيره في الخوف والرجاء ، بجعل التكرار الضروري لتثبيت المعاني في النفس غير ممل للسمع ، ولا مسئم للطبع ، وهذا من أبدع ما يمتاز به كلام الرب المعجز على كلام خلقه . فتأمل ذلك وتدبره في الشواهد الآتية

(١و٢) تأمل قوله في أول السورة بعد ذكر الانذار والتبشير، والتخويف من عذاب يوم كبير (٤ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير) ثم تأمل قوله بعد ذكر خلق السموات والارض إذ كان عرشه على الماء ليبلو العقلاء المخاطبين أيهم أحسن عملا (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) فالآيتان من نوع الاستدلال على البعث والجزاء معاً بأن الخالق القدير ، ذي الحكمة البالغة في التقدير والتدبير ، لا تظهر عظمة قدرته وسر حكمته في تقديره ، إلا باختبار عباده الذين وهبهم العقل والتمييز بين الحق الذي تتجلى به الحكمة في الخلق، والباطل العبث بخلوها منه، وبالجزاء على ما يعملون من خير وشر ، وحسن وقبيح وهذا الجزاء لا يكون تاما عاما في الدنيا لقصر أعمارهم فيها ، فدل على أن الحكمة الربانية تقتضي أن يكون في حياة بعد هذه فكل ما يدل على ربوبيته تعالى وحكمته وعدله يدل على البعث والجزاء لانه من لوازمها

وإن مابعد هذا من الآيات في رسالة نبينا ﷺ قد تكرر فيه جزاء الكافرين والمؤمنين في الآخرة لان مشركي العرب كانوا أكثر جدالا من كل قوم في البعث بعد الموت فترى بعدها كل جدال نوح وصالح لقومه في عقيدة التوحيد في العبادة دون البعث، وزاد شعيب مسألة الامر والنهي في مسألة المكيال والميزان، وانحصر انذار لوط في النهي عن الفحشاء والمنكر، ثم ختم الله العبرة بهذه القصص بهلاكهم في الدنيا وعدم إغناء آلهتهم عنهم من شيء وهو دليل التوحيد وبعذاب الآخرة إذ عاد الكلام كما بدأ في إنذار مشركي أم القرى وما حولها من العرب فذكر اليوم الآخر وما فيه بتلك الآيات البليغة الممتازة (١٠٣ إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) الآيات - ولما بين فيها جزاء كل من فريقي الأشقياء والسعداء وخلودهم في النار والجنة استثنى بعد كل منهما استثناء لم يسبق له فيما قبله ولا فيما بعده من القرآن نظير في ذاته ولا في التفرقة بينهما وهو قوله في أهل النار (خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) وفي أهل الجنة (خالدين فيها ما دامت السموات والارض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ)

حار في هذا الاستثناء والتفرقة فيه المفسرون من علماء الآثار والمتكلمين والصوفية لتعارضه في الظاهر مع الآيات الكثيرة في خلود الفريقين وتأكيد بعضها بكلمة التأبيد ولكن أكثره في المؤمنين أصحاب الجنة حتى في الآيات التي فيها المقابلة بين الفريقين كما تراه في سورة النساء (٤ : ٥٦ مع ٧٥ و١٢١ مع ١٢٢) وفي سورة التغابن (٦٤ : ٩ مع ١٠) وفي سورة البينة (٩٨ : ٦ مع ٨) ففي هذه الآيات يؤكد خلود المؤمنين في الجنة بالتأبيد دون خلود الكافرين في النار، كما يؤكده في آيات أخرى من سور كالنساء والتوبة والمائدة والطلاق بدون مقابلة، ومثل هذه الفروق لاتأتي في الذكر الحكيم جزافا أو عن غفلة ككلام البشر بل يتعين أن يكون لها حكمة في التشريع، ونكتة في بلاغة التعبير، ولا يقدر

على الغوص في هذا البحر الخضم واستخراج أمثال هذه الدرر منه الا الجامع بين اسرار العلمين ـ علم حكم التشريع وعلم اسرار البلاغة ـ ولقد كان أقرب ما يقال في تلك الآيات أنها بمعنى الاستثناء في هاتين الآيتين المتبادر منهما في ذاتهما وهو التفرقة بين الجزاء بالفضل فوق العدل الذي يضاعف من عشرة اضعاف الى سبعمائة ضعف ، والجزاء بالعدل والمساواة الذي لا يظلم فيه مثقال ذرة ، وما فوقه من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، ولكن يقف في طريق هذا الفهم على وضوحه أن التأبيد أكد به جزاء الذين كفروا وظلموا في أواخر سورة النساء (١٢٨:٤) وجزاء الذين لعنهم الله منهم في سورة الاحزاب (٢٣ : ٦٤) وجزاء العصاة في سورة الجن (٧٢ : ٢٣ ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) والقواعد تقتضي جعل العصيان هنا عاما لترك الايمان بمعنى الشرك

على اننا بينا في تفسير ما تقدم من الآيات في الخلود والتأبيد معناهما اللغوي وانه لم يكن عند العرب لفظ منها ولا من غيرها يدل على التأبيد في الاصطلاح الشرعي وهو عدم النهاية في الوجود وان قدرت بألوف الالوف وما لا يحصى من السنين

وبينا في تفسير الاستثناء هنا وفي سورة الانعام ان جمهور المفسرين تأولوه لموافقة المقرر في العقائد من أن خلود أهل النار كاهل الجنة ، وان بعضهم جعله على ظاهره لانه معارض بنصوص القرآن والحديث الصريحة في سعة رحمة الله وعدله وكون العقاب عنده على قدر الذنب لان الزيادة ظلم وهو محال على الله عز وجل عقلا ونقلا ، وكنت وعدت بأن أذكر هنا كل ماقاله العلماء في هذا الموضوع ثم رأيت الآن ان لا حاجة اليه بعد ان وجهت تفسير الاستثناء بما يجمع بين النصوص المتعارضة الظاهر وما سبق في تفسير آية الانعام (٦ : ١٢٧ ص ٦٨ ـ ٩٩ ج ٨ تفسير طبعة أولى) وهو مابسطه المحقق ابن القيم من دلائل الفريقين وقد تعرض لهذا الموضوع من المفسرين المتأخرين القاضي الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) وتبعه السيد حسن صديق خان في تفسيره (فتح البيان) وكل منهما مطبوع فليراجعهما من شاء (للخلاصة بقية)

تفسير سورة الكوثر (١٠٨)

(وهي مكية وآياتها ثلاث)

من المعلوم القطعي في القرآن أن كبراء قريش في مكة كانوا يعيرون النبي ﷺ بفقره وضعفه ، ويتربصون به ريب المنون لانتهاء أمره ، وانقطاع ذكره ، وورد في الروايات عن أشدهم شنآنا له كالعاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وأبي لهب أنهم كانوا يشمتون بموت أولاده الذكور ويقولون يقي « أبتر » أي نقطع عقبه فلم يبق له من يذكر به ، فنزلت هذه السورة المعجزة بايجازها وإعجازها مفتدة لباطلهم ثم جاء الزمان مصدقا لها ومكذبا لهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)

(إنا) بما لنا من القدرة على كل شيء (أعطيناك) أيها الرسول من خيري الدنيا والآخرة (الكوثر) أي الشيء الكثير الذي لا تحد كثرته ولا تحصر ، من الدين الحق ، وهداية الخلق ، ومالا يحصى من الأتباع ، ومالا يحصر من الغنائم والنصر على الاعداء ، ومالا ينقطع من الذرية التي تنسب اليك فتذكر بذكرهم ، ويصلي ويسلم عليك وعليهم ، ثم من الشفاعة العظمى يوم الفزع الاكبر ، والحوض الذي يرده المؤمنون في المحشر ، فلفظ الكوثر يشمل كل هذا وغيره ، وانما يكون كل نوع منه في وقته ، وكان الاخبار به في أول الاسلام من البشارة ونبأ الغيب

وذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه كقوله (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) أو على معنى الانشاء وهو أنه تعالى قدره وأمضى حكمه به

وصل تعالى هذه البشارة العظمى بالامر بشكرها فقال (فصل لربك) أي مربيك وكافلك ومتولي أمرك، الذي من عليك بهذه النعم وحده مخلصاً له الدين (وانحر) ذبائح نسككك له وحده — فهو كقوله تعالى (٦ : ١٦٢ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) وهذا يدل على أنه سيكون له الغلب على المشركين ، الذي يتم بفتح مكة وبحجه ونسكه مع اتباعه — وقد كان — ونحر ﷺ في حجة الوداع مائة بدنة (ناقة) فهذه بشارة خاصة ، بعد تلك البشارة العامة ، وكلاهما من أنباء الغيب

ثم قفى على ذلك ببشارة ثالثة هي تمام الرد على أولئك الطغاة المغرورين بأموالهم وأولادهم أوردها مفصولة غير موصولة بالعطف على ماقبلها لانها جواب عن سؤال تقديره : وماذا تكون عاقبة شانئيه ومبغضيه الذين رموه بلقب «الابتر» وتربصوا به الدوائر ، لما يرجون من انقطاع ذكره ، واضمحلال دعوته ؟ فأجاب (ان شانئك) أي مبغضك وعائبك بالفقر وفقد العقب (هو الابتر) من دونك — وهذا إخبار آخر بالغيب قد صح وتحقق بعد كر السنين، ولفظ شانيء مفرد مضاف فمعناه عام ، فهو يشمل العاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما ممن نقل عنهم ذلك القول فيه ﷺ لفظا أو موافقة لاخوانهم المجرمين، فقد بتروا كلهم وهلكوا ، ثم نسوا كأنهم ماوجدوا ، وزال ما كانوا يرجون من بقاء الذكر بالعظمة والرياسة وكثرة الولد والعصبية ، فلم يعد أحد منهم يذكر بخير ، ولا ينسب له عقب يفتخر به .

فأنت ترى أن هذه السورة على إيجازها في منتهى الفصاحة والبلاغة ، قد

جمعت من المعاني الكثيرة الصحيحة ومن أنباء الغيب التي فسرها الزمان ما تعد به معجزة بينة الاعجاز ، وفيها من المعاني واللطائف غير ماذكرنا فيراجع تفسيرها في مفاتح الغيب وغيره من المطولات ، يرى فيها العجب العجاب

﴿ تم تفسير سورة الكوثر ولله الحمد ﴾

تفسير سورة الكافرون (١٠٩)

(وهي مكية وآياتها ست)

روي في أسباب نزول القرآن وأخبار السيرة النبوية أن كبراء مشركي قريش كانوا يطمعون في اقناع النبي ﷺ بالكف عن تفنيد شركهم ، وتحقير آلهتهم على أن يجزوه بالاعتراف له بالرياسة ، وتمتيعه بالثروة ، حتى قيل إن الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن المطلب وأمية بن خلف وهم من أشد المعاندين له ﷺ قالوا له : هلم يامحمد فلتعبد ماتعبد ، ونعبد ماتعبد ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله ، فأنزل الله هذه السورة إيئاسا لهم ، وإيذانا بالبراءة من دينهم الباطل وعبادتهم الشركية المخترعة . وسواء أصح هذا أم لم يصح ، السورة نزلت في هذا المعنى لاقتضاء الحال لها في بيان الفصل بين التوحيد والشرك في الحال والاستقبال . وهاك خلاصة معناها الذي تستحضره عند قراءتها في الصلاة وغيرها ، والخطاب للنبي ﷺ ثم لجميع المؤمنين به .

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

(قل يا أيها الكافرون) بالله الذين اتخذتم له أندادا تحبونهم كحب الله أي من جنس حبه لا من جنس حب المخلوقات بعضهم لبعض ، اذ تزعمون أنهم ينفعون ويضرون بتصرف غيبي خاص بهم او بشفاعتهم عند الله ، فتتوجهون اليهم عند وقوع الشدائد والمصائب ، والحاجة الى ما تعسر او تعذر سببه من الرغائب ، فتدعونهم لكشف الضر وجلب النفع (لا أعبد ما تعبدون) أي لا أعبد ما عشت ما تعبدون من آلهة اتخذتموها وجعلتم رب العالمين واحداً منها ، أو إله قيدتم سلطانه المطلق بشفاعتها ووساطتها ، وانما أعبده وحده مخلصا له الدين ، وأوجه وجهي اليه حنيفا أي مائلا عن غيره وما أنا من المشركين ، فجملة (لا أعبد) تدل على نفي هذه العبادة لمن يعبد كل منهم في الاستقبال مع الاستمرار

(ولا انتم عابدون) في الحال التي أنتم عليها (ما أعبد) أي الاله الذي أعبده أنا وهو الرب الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، الغني عن الولد ، المنزه عن الشركاء ، من الشفعاء والاولياء (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) ولم ينف عبادتهم في المستقبل للرب الذي يعبده للرجاء في ايمانهم بدين التوحيد

(ولا أنا عابد ما عبدتم) أي ولا أنا عابد في وقت من الاوقات عبادتكم أي عبادة مثل عبادتكم التي جريتم عليها الى الآن وأنا أدعوكم الى تركها (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي عبادتي (فما في هاتين الجملتين مصدرية ، وفي اللتين قبلهما موصولة) والمعنى أن عبادة كل منا تخالف عبادة الآخر ، كما أن معبود كل منهما يخالف معبود الآخر ، فعبادتي قد أمرني بها ربي ، وعبادتكم ابتدعتموها بأهوائكم ، أو آراء رؤسائكم ، وعبادتي خالصة له وحده ، وعبادتكم مشوبة بالشرك معه

(لكم دينكم) الذي ابتدعتموه أو ابتدعتم فيه ما لم يأذن به الله ، (ولي ديني) الذي اوحاه إلي ربي لا شائبة فيه ، وبينهما غاية الخلف والمباينة في صورتها

ومعناهما وتأثيرهما في النفس ، فديني مصلح للبشر افرادهم وجماعاتهم بمعرفة الله وتنزيهه وتزكية الانفس من رذائل الفواحش والمنكرات ، وإقامة الحق والعدل والمساواة بين الناس فيهما ، ودينكم بضد ذلك كله ، فان منكم من ينكر البعث والجزاء على الاعمال ، ومنكم من يجعل الجزاء الالهي في الدنيا والآخرة بالمحاباة وشفاعة الوسطاء المزعومين بين الله والناس ، وكل من هذا وذاك مانع من تزكية النفس والعروج بها الى سماء الكمال .

(١١٢) سـورة الاخلاص

وهي مكية وآياتها أربع

هذه السورة مكملة ومتممة لسورة الكافرون من حيث إن الاولى نفية لعقائد الكفار وعبادتهم الشركية ، وهذه مثبتة لعقيدة التوحيد وهادمة لعقائد الشرك بجميع أنواعه ، ولذلك كان النبي ﷺ يجمع بينهما اذا صلى ركعتين خفيفتين كركعتي سنة الصبح وتحية المسجد والطواف ، وقد أفردها غير واحد من العلماء بتفسير خاص لعل أجلها تفسير شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

روى الترمذي والحاكم وابن خزيمة من طريق أبي العالية عن ابي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فأنزل الله (قل هو الله أحد) الى آخرها وأخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر بن عبد الله . وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ : صف لنا ربك الذي بعثك ، فأنزل الله (قل هو الله أحد) الى آخرها ، وظاهر هذا أنها مدنية ، وما قبله أنها مكية ، والاول أقوى سنداً ومعنى ، ويحمل الثاني على أنه ﷺ تلاها على اليهود عند ما سألوه فظن الراوي أنها نزلت وقتئذ

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

(قل) أي قل أيها الرسول فيما تبلغه للناس من معرفة الله وتوحيده وتنزيهه، ولمن سألك من الكفار أن تنسب لهم ربك أو عن صفاته، (هو الله أحد) ضمير هو يعود الى المسئول عنه إذا صح ان السورة نزلت عقب السؤال، اوهو الضمير الذي يسمونه ضمير الشأن والحديث أو القصة فلا يحتاج إلى مرجع، ومعناه الشأن العظيم الذي يجب ان يعرفه كل عاقل، ان الله أحد، أي واحد وحدة حقيقية غير قابلة للتعدد والكثرة في ذاته ولا في ربوبيته ولا في ملكه ولا في ألوهيته، فهو غير مركب من أصلين كما زعمت الثنوية، ولا من ثلاثة أصول أو أقانيم كما زعم المثلثون من قدماء وثنيي الهند وغيرهم وتبعهم النصارى. على خلاف أصل دين موسى وعيسى ومن قبلهما من النبيين

(الله الصمد) معنى كلمة الصمد في اللغة السيد الذي يصمد اليه ويقصد لقضاء الحوائج، والجملة هنا تفيد الحصر، أي إن الصمد هو الله تعالى وحده، فهذه الصفة لا تليق بل لا تصح إلا له عز وجل، لانه هو القادر على قضاء كل ما يحتاج اليه عباده من الحاجات وكفايتهم جميع ما يعجزون عنه من المهمات، بما يسخره لهم من الاسباب، وما يهديهم اليه من سننه فيها

فلو كان مبتدعة عبادة القبور وأسرى الخرافات يفقهون معنى هذه الكلمة ويؤمنون بها إيمانا اذعانيا صحيحا يملك قلوبهم، لما صمد أحد منهم الى قبر أحد من الصالحين، ولا الى رجل حي من المعتقدين، ولا الى دجال يدعي استخدام الجان وتسخير الشياطين، ليقضي له ما عجز عنه من منافعه ومصالحه، أو من دفع الاذى عن نفسه واهله وولده، فان هؤلاء الأحياء الدجالين كالموتى من الصالحين، عاجزون كلهم عما يظنه الجاهلون فيهم من التصرف في عالم الغيب

والشهادة ، وقد يغترون ببعض مايجهلون حقيقته من شعوذة وحيل، أو مصادفات يوجد امثالها عند امثالهم من جميع أهل الملل ، ولكن هذا الغرور لاسلطان له على الموحدين المؤمنين بوحدانية الله تعالى

(لم يلد ولم يولد) لأنه ليس بمخلوق له مزاج وجنس نشأ عن غيره ونشأ غيره عنه، فتكون الربوبية والألوهية أسرة وعشيرة كسائر الأحياء الحادثة التي يتوقف وجود بعضها على بعض ، بل هو أحد ، لا شيء قبله ولده ، ولا شيء مثله ولد منه ، فيحل محله ، بل هو ازلي أبدي سرمدي منزه عن مشابهة كل ما في العالم من الاجناس المتسلسلة من الافراد البسيطة والمركبة ، والله غني عن الوالدية والمولودية وهما نقص في حقه يستلزمان الحاجة ، وينافيان الربوبية والالوهية

فلو كان تبارك وتعالى مولودا لكان حادثا مسبوقا بالعدم الذاتي في نفسه ، ولجاز ان يكون والده مولودا مثله وكذا والد والده ، ويتسلسل الجواز الى ما لانهاية له في الماضي، ويستلزم ذلك أن يكون للمخلوقات أرباب آلهة لاعدد لهم، وهو غير معقول ولم يقل به أحد من البشر على سخافات كثير منهم

ولو كان تعالى والدا وكان هذا كما لا في حقه لجاز أو لوجب أن يكون له أولاد لاعدد لهم ، واذ كان يكون ولده مثله لزم أن يكون للخالق آلهة لا تحصى أيضا . ولم يقل بهذا أحد منهم

أجمع انبياء الله تعالى وحكماء البشر المثبتون لوجود إله لهم على أن الاله يجب شرعا وعقلا أن يكون واحدا، لأن التعدد غير معقول ويترتب على القول به نقائص كثيرة ، ولهذا ادعى القائلون بالتثليث أن الثلاثة واحد فرارا من نقائص التعدد ، وحاولوا أن يجعلوه تعدداً صوريا أو اعتباريا لا حقيقيا

ثم ان كل ما يحتاج البشر ومادونهم من الاحياء الى الاولاد لأجله لا يتأتى مثله في الخالق تعالى بل هو غني عنه فهو لا يضعف ولا يعجز فيعينه ولده، ولا يموت فيخلفه ويحفظ ذكره ، وليس له أقران فيفاخرهم بكثرة ولده ، ولذلك قال تعالى (١٠: ٦٨ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني ، له ما في السموات وما في الارض ، إن عندكم من سلطان بهذا ، اتقولون على الله ما لا تعلمون ؟)

(ولم يكن له كفوا احد) الكفؤ النظير المكافيء ، أي ليس له تعالى مثل ولا ند في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله كما زعم عابد والشيطان من الوثنيين ، وكذا متخذو الانداد للوساطة والشفاعة عنده تعالى من الكتابيين ، فالسورة أبطلت جميع أنواع الشرك الذي ضل به البشر في كل جيل وزمن . وشبهة المبتدعة من المنسوبين الى المرسل عليهم الصلاة والسلام هي شبهة الوثنيين من قبلهم بعينها ، يقولون إننا معرضون بالخطايا والذنوب فلا يليق بنا أن نتوجه الى الله وحدنا ، بل لا بد لنا من واسطة بيننا وبينه من أوليائه يقربنا اليه زلفى ، وقرىء (كفوا) بلواو وبالهمزة وبضم الفاء وسكونها

روى البخاري والنسائي من حديث أبي هريرة رفعه « قال الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك . فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون علي من اعادته ، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا ، وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »

تفسير المعوذتين

بين الله تعالى في كتابه الكريم لعباده كل ما يحتاجون اليه من توحيده ومعرفته وعبادته وأحكام شرعه وحكمه ، لتزكية أنفسهم واعدادها لسعادة الدارين بقدر الاستعداد البشري ، وافتتحه بالسبع المثاني (الفاتحة) التي اجمل فيها أصول الهداية لهم ، وختمه بهاتين السورتين اللتين حذرهم فيهما من مصادر الشر الظاهرة والباطنة في هذه الحياة الدنيا ليعوذوا بالله منه ، ويتذكروا ما ينبغي لهم من اتقاء أسبابه

واعلم أولا ان الشر اسم جامع لمعاني المضار والمساوىء والمفاسد ، وما يضاد

الخير الجامع لمعاني المنافع والمحاسن والمصالح ، والخير هو الاصل في المخلوقات ، والشر عارض أو نسبي ، فقد يكون ما هو خير لأناس شراً لآخرين من حيث النفع والضر والعكس ، فالماء الذي هو الاصل للحياة النباتية والحيوانية خير عظيم بمنافعه الكثيرة وقد يضر بكثرته فيغرق بعض الناس والحيوان والزرع ، ويقوض بعض الابنية ، فيكون شراً لمن أصابه ضرره لا لذاته ، وسم الافاعي والثعابين والعقارب والنحل والزنابير هو سلاحها الذي تحارب به أعداءها فيضرهم . وقد ثبت انه دواء وترياق يشفي بعض الادواء بل جميع السموم أدوية ، وما خلق الله شيئاً الا وفي خلقه حكمة وفائدة ، وانما الشر في بعضها أمر عارض أو نسبي كما تقدم ، وليس فيها شر محض في ذاته وجنسه ، ولا في مقتضى فطرة الاحياء أن تفعله ، وإنما فطر الله الاحياء على العمل النافع لها بما فيه من حفظ حياتها الشخصية والنوعية ودفع الضرر عنها بحسب إدراك كل منها

حتى إن الشيطان لم يخلق شراً محضاً فانما الشياطين هم فساق المجرمون من الجن المكلفين . وليس ضررهم وإيذاؤهم لاعدائهم من الانس بالوسوسة والاغراء بالمعاصي بأشد ضرراً وايذاء من فساق الانس لاعدائهم من أبناء جنسهم ، بل إيذاء الانس لانفسهم أشد

العقلاء من الثقلين هم الذين يدركون ما في أعمالهم لمنافعهم ودفع المضار عنهم من التعارض ، وما يقتضيه من وضع حدود لحق كل من أفرادهم وجماعاتهم فيها «أي المنافع والمضار» حتى لا يبغي بعضهم على بعض . وقد فعلوا ذلك من أول عهدهم بالحياة الاجتماعية ، وحدوث التنازع بينهم فيها ، ولكنهم كانوا وما زالوا يتبعون أهواءهم في وضع هذه الحدود ثم في العمل بها . فيحكم الاقوياء أطماعهم في الضعفاء ، ومن ثم كان صلاح حياتهم المدنية متوقفاً على هداية دينية يكون لها الحكم المطاع بوازع العقيدة فيما يقع بينهم في الاجتماع من التنازع ، واختلاف الاهواء والمطامع ، وهو البرهان الفطري على حاجة البشر إلى الدين الموحى به من ربهم عزوجل كما فصلناه في محله من التفسير وكتاب الوحي المحمدي

وقد ثبت بالتجارب في الامم المختلفة ان الناس تقل بينهم الشرور بقدر

اعتصامهم بالدين الصحيح عن ايمان وإذعان ، وإن قلت علومهم بفلسفة الشرائع والقوانين البشرية ، والآداب العرفية، وغيرها من العلوم والفنون ، وتكثر بضعف الدين حتى تكون العلوم والفنون من وسائل التفنن فيها

واعتبر ذلك بقلة البغي والعدوان والفواحش في أكثر بلاد جزيرة العرب المسلمة، وتفاقم شرورها في أوربة وأمريكة ، سواء من الفريقين أفرادهم وجماعاتهم ودولهم ، وتأمل في الحرب الاخيرة بين إمامي دولتي الجزيرة السعودية والمتوكلية، والسرعة التي انتهت بها بالصلح الشريف الذي عقد بينهما ، والموازنة بينها وبين الحرب بين دول أوربة وأمريكة قديما وحديثا ، وكل صلح يعقدونه كيف يبرمونه على دخل ، ثم ينقضونه أنكاثا بضروب التأويل والحيل

أكثر الشرور في البشر من أنفسهم، وإنما الباعث عليها هو الجهل بحقيقة المنافع والمضار ، أو بالترجيح بين ما يتعارض منها باتباع الهوى ، وسببه فساد الاعتقاد والاخلاق ووسوسة الشيطان ، المغريان بالبغي والعدوان ، وهاتان السورتان ترشدان المؤمن إلى اجتناب جميع الشرور باتقاء أسبابها، والاستعاذة بالله عز وجل والاعتصام به للتغلب عليها (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)

---

(١١٣) سورة الفلق وهي مكية وآياتها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

تقول (أعوذ) بكذا، أو عاذ به فلان يعوذ عوذاً (كقال يقول) أي اعتصم واحتمى به. وكانوا في الجاهلية يعوذون بعظماء الجن من أذى من دونهم فيقول من نزل واديا : أعوذ بعظيم هذا الوادي . قال تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أي زادوهم طغيانا وغيا يرهقهم ويغشاهم

بهذه الاستعاذة الخرافية . ويصح هذا في كل منهما، و (الفلق) بالتحريك الصبح من الفلق بفتح فسكون كالفرق والشق فان ضوءه يشق ظلام الليل . ومنه (إن الله فالق (الحب والنوي) أي عند بدء إنباتهما ، إلى قوله (فالق الاصباح) و (الشر) الضر والاذي و (الغاسق) ظلام الليل في أوله . ومنه (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) أي أوله وفيه صلاة العشائين ، ويقال غسق القمر إذا أظلم بخسوفه . و (وقب) وقبا ووقوبا اشتد ودخل في كل شيء و (النفاثات) جمع نفاثة من النفث ، وهو النفخ مع إلقاء شيء قليل من البزاق كالتفل (وبابهما ضرب) و (العقد) جمع عقدة (كغرفة وغرف) وهي معروفة وينفث فيها بريق من الفم لاجل أن تلين فيسهل حلها. وينفث الراقي فيها أيضا عند عقدها. و (الحاسد) من يكره النعمة على غيره فيتمنى زوالها عنه .

(قل أعوذ برب الفلق) أي قل أيها المؤمن أعوذ وأعتصم بالله رب الفلق وهو الصبح الذي يفلق بضوئه ظلمة الليل بما وضعه تعالى من النظام لهذه الشمس وسيارتها بحسبان كان منه ليل ونهار (من شر ما خلق) أي من كل ضرر وأذى يصيبني من أي شيء خلقه تعالى في هذا الطور من الزمان الذي يبتدىء بفلق هذا الصباح وهو عامة نهار الذي تحدث فيه أكثر أعمال الناس وغيرهم من الحيوان ، من كسب الارزاق ، والتنازع في أعمال الحياة ، من جهاد وخصام ، وكيد واحتيال ، وبغي وعدوان ، وهي مثار أكثر الشر بين الناس

(ومن شر غاسق) أي ومن شر ما يقع في ظلام الليل الذي يغسق عقب زوال النهار بغروب الشمس (إذا وقب) أي اشتد ودخل في كل شيء حتى ملا الافق ، وخفي به على الانسان ما يدب فيه من الهوام السامة . والوحوش المفترسة ، واللصوص المستخفية ، وعسر عليه من وسائل الدفاع عن نفسه وأهله وماله مايسهل في النهار ، ومن ثم قيل في الامثال « الليل أخفى للويل »

والاستعاذة من هذين الشرين تشمل جميع الشرور في كل زمان من ليل

ونهار روى مسلم من حديث ابن مسعود في دعاء الصباح والمساء أن النبي ﷺ كان يقول «اللهم اني أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، واعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها» ويقول في دعاء الصباح مثل هذا

(ومن شر النفاثات في العقد) الذي لا يعرف له وقت من ليل أو نهار يتقى فيه وتتخذ الوسائل لاجتنابه، والمجترحون له صنفان من الناس يقترف كل واحد منهما طائفة من النفث في العقد، وهو جمع نفاثة ويطلق على الرجل والمرأة لانه صيغة مبالغة كعلامة ووالادة

(الطائفة الاولى) منتحلوا السحر بالدجل والشعوذة والحيل الخفية، والتأثير بتوجه النفس وقوة الارادة (ومنه ما عرف للجمهور في هذا العصر مما يسمى التنويم المغناطيسي) ومن الوسائل القديمة لسحر هؤلاء عقد يعقدونها في خيط مثلا لمنع الرجل من أداء وظيفة الزوجية في بدئها قبل الدخول غالبا، ومنها عقد يحلونها لازالة هذا المنع ولأعمال أخرى، وجرت عادتهم عند ذلك أن يقرؤا شيئا مما يسمونه العزائم على هذه العقد وينفثون فيها، وهي لا تأثير لها في نفسها ولا في خصية خفية فيها، وإنما يقع التأثير لبعض المسحورين باستيلاء الوهم عليهم إذا أعلموا بأنهم سحروا أو عقدوا (بالبناء للمجهول) ويقع لبعضهم بقوة توجه الارادة، والعادة المعروفة في هذا من علم النفس أن هذا التأثير لا يكون إلا من قوي الارادة في ضعيفها وهذا النوع من شر النفاثات في العقد يروج في سوق العوام الجاهلين، ويكسد في سوق العقلاء والمثقفين بهداية الدين، ولقد كان يشكو الي بعض هؤلاء المعقودين في بلدنا (القلعون) فأكتب لهم شيئا يحلونه فتنحل عقدتهم وسبب ذلك تأثير اعتقادهم وان كان بعضهم من نصارى لبنان.

والنوع الثاني أكثر منه رواجا، وأعسر علاجا. وهو الذي اعتمد وبينه شيخنا في تفسير السورة بقوله «والمراد بهم هنا النمامون المقطعون لروابط الالفة، المحرقون لها بما يلقون عليها من ضرام نمائمهم، وإنما جاءت العبارة كما في الآية لان الله جل شأنه أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين الذين إذا أرادوا أن يحلوا عقدة المحبة بين المرء وزوجه مثلا فيما يوهمون به العامة، عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلوها

يكون ذلك حلا للعقدة التي بين الزوجين ، والنميمة تشبه أن تكون ضربا من السحر لانها تحول ما بين الصديقين من محبة إلى عداوة بوسيلة خفية كاذبة ، والنميمة تقتل وجدان الصديقين كما يضلل الليل من يسير فيه بظلمته ، ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق إذا وقب ، ولا يسهل على أحد أن يحتاط للتحفظ من النمام فانه يذكر عنك ما يذكر لصاحبك وأنت لا تعلم ماذا يقول ولا ما يمكن أن يقول . وإذا جاءك فربما دخل عليك بما يشبه الصدق حتى لا يكاد يمكنك تكذيبه ، فلابد لك من قوة أعظم من قوتك تستعين بها عليه وهي قوة الله » اه

(ومن شر حاسد) الحاسد من يكره نعمة الله على غيره ولا سيما أقرانه وعشرائه ويتمنى زوالها عنهم ، والحسد خلق خبيث لا يتمكن الا من الانفس الخبيثة ، يكون في الافراد والقبائل والشعوب ، وأول الحاسدين من الجن إبليس : حسد آدم عليه السلام فعصى الله بالامتناع من السجود له ، فصار عدوا له ولذريته ، ومن البشر قابيل بن آدم حسد أخاه هابيل أن تقبل الله قربانه دونه ، فطوعت له نفسه قتله فقتله ، والحسد يجني دائما على صاحبه باعتراضه على أقدار ربه ، ويعاقب عليه في الدنيا بآلامه المحرقة لقلبه ، ومن الامثال : قاتل الله الحسد ما اعدله ، بدأ بصاحبه فقتله . ولله در التهامي حيث قال في مرثيته المشهورة :

اني لأرحم حاسدي لفرط ما ضمت صدورهم من الاوغار
نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار

وانما يؤذي صاحب هذا الخلق محسوده اذا أطاع داعيته وسعى لارضائها بالعمل الاختياري وهو معنى قوله تعالى (اذا حسد) أي اذا عمل بمقتضى حسده والمؤمن المذعن يجاهدها فيكف نفسه عن كل عمل تزينه له وتغريه به . وورد في الحديث أن المخرج للمسلم من الحسد ألا يبغي على المحسود بعمل اختياري ، وشره وأضره حسد الرؤساء والزعماء من رجال الدين والدنيا فان بغيهم وكيد بعضهم لبعض يتعدى ضرره الى غيرهم ويفسد على الامة مصالحها العامة . ومن كان لا يرضيه ولا يكف شره الا زوال نعمتك فما حيلتك فيه ، وما أشد حاجتك الى الاستعاذة بالله منه ، والاستعانة بقدرته وكفايته على كف بغيه عنك !!

علاوة لتفسير السورة

في حديث سحر منافق من اشرار اليهود للنبي ﷺ

روى الشيخان من حديث عائشة (رض) قالت: سحر النبي حتى إنه ليخيل اليه أنه فعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال «اشعرت ياعائشة أن الله أفتاني فيما استفيته فيه؟ قلت وما ذاك يارسول الله؟ فقال: جاءني رجلان فجلس أحدهما على رأسي والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الاعصم اليهودي من بني زريق، قال فيم ذا؟ قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر (١) قال وأين هو؟ قال في بير ذي أروان ومن الرواة من قال: بئر ذروان قال: وذروان بئر في بني زريق، فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال: والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رءوس الشياطين (٢) قلت يا رسول الله أفأخرجته؟ قال «لا أما أنا فقد عافاني الله وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شراً» وأمر بها فدفنت وفي رواية للشيخين: كان ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن بنحوه. وفيه: سحره رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً (٣). وعن (زيد بن أرقم) سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما فأتاه جبريل

---

(١) المطبوب الذى يعالج مرضه الطبيب والمسحور، والمشط بالضم هو الذي يمشط به الشعر، والمشاطة ما يسقط من الشعر عند مشطه (فعله من بابي نصر وضرب) ومشطه تمشيطا كسرحه، وجف طلعة ذكر معناه غطاء طلعة من طلع نخلة ذكر. فالجف بضم الجيم وتشديد الفاء الغطاء الذى يخرج منه طلع النخل وهو ما يطلع منه فيكون منه ثمره. ومن المعروف أن منه ذكرا وأنثى

(٢) اي في قبحها الذي تضرب العرب به المثل وتسمى بعض الحيات شيطانا وهو ثعبان قبيح الوجه (٣) بنو زريق بطن من الخزرج فهو على هذه الرواية يهودي بالحلف لا بالنسب

فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا فأرسل ﷺ فاستخرجها فحلها فقام كأنما أنشط من عقال فما ذكر ذلك لذلك اليهودي ولا رآه في وجهه قط ، رواه النسائي . والايام جمع قله ولكن بالغ بعض الرواة في غير الصحيحين فجعلوها اشهرا

فهذا الحديث صريح في أن المراد من السحر فيه خاص بمسألة مباشرة النساء ولكن فهم اكثر العلماء أنه ﷺ سحر سحرا اثر في عقله كما اثر في جسده فانكره بعضهم وبالغوا في إنكاره وعدوه مطعنا في النبوة ومنافيا للعصمة لقول عائشة حتى انه كان يخيل اليه أنه فعل الشيء ولم يكن . فعله فعظمت هذه الرواية على علماء المعقول وعدوها مخالفة للقطعي في النقل وهو ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم فيه كعادة أمثالهم في رسلهم بقولهم (٢٥ : ٨ إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) وتفنيده تعالى لهم بقوله (٢٥ : ٩ انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) ومخالفة للقطعي في العقل من عصمة النبي ﷺ من كل ما ينافي النبوة والثقة بها ، إذ يدخل في ذلك التخييل ما هو من التشريع ، ومخالفة لعلم النفس الذي يعلم منه أن الانفس السافلة الخبيثة لا تؤثر في الانفس العالية الطاهرة . فأنكر صحة الرواية بعض العلماء ، وأقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين الفقهاء أبو بكر الجصاص في كتابه أحكام القرآن ، وآخرهم شيخنا الاستاذ الامام في تفسير « جزء عم »

وقد أطال شيخنا في هذا وبالغ فيه . وبنى انكاره له على القاعدة المتفق عليها عند علماء العقائد وأصول الفقه في معارضة الظني للقطعي إذ الحديث آحادي وهو يفيد الظن فيرد بالقطعي عقلا ونقلا وهو ما ذكرناه آنفا ، وقد اتفقوا على أن أحاديث الآحاد لا يحتج بها في أصول العقائد ، وقال إن كونه يفيد الظن خاص بمن صح عنده وإن له أن يتأوله أو يفوض الامر فيه على قاعدتهم الاخرى في النصوص المعارضة للعقل ، ولعمري إن ما نعرفه عن شيخنا محمد عبده قدس الله روحه من اجلاله وإكباره لشأن محمد رسول الله وخاتم النبيين في نفسه الزكية ، وروحه القدسية ، وعلو مداركه العقلية ، مما لم نعرف مثله عن أحد من العلماء العقليين كفلاسفة المسلمين ومتكلميهم ، ولا من العلماء الروحيين كالصوفية ، ولا من علماء النقل كجامعي

الروايات الكثيرة في معجزاته (ﷺ) وحسبك منها تلك الآثرة البليغة في رسالة التوحيد، بل كان يقول إن روحه ﷺ كانت منطوية على جملة هداية الدين، ومدارك التشريع التي فصلت في كتاب الله تعالى وسنته تفصيلا تاما كما تقدم عنه في تاريخه

وأجاب عن الرواية المحدثون المصححون لها علما والمقلدون لهم بأن غاية ما تدل عليه أن ذلك السحر إنما أثر في بدنه دون روحه وعقله. فكان تأثيره من الاعراض الجسدية كالأمراض التي لم يعصم الانبياء عليهم السلام منها

وقد محصت هذه المسألة مرارا آخرها في الرد على مجلة الازهر (نور الاسلام) في زعمها المفترى أنني كذبت حديث البخاري في سحر النبي ﷺ فبينت أن الحديث الصحيح في المسألة عن عائشة (رض) توهم عبارة بعض رواياته ما هو أعم من المعنى الخاص الذي اراده منها وهو مباشرة الزوجية بينه ﷺ وبينها. فقولها: كان يخيل اليه أنه يفعل الشيء وهو لم يفعله - كناية عن هذا الشيء الخاص لا عام في كل شيء، فلا يدخل فيه شيء من امور التشريع ولا غير غشيان الزوجية من الأمور العقلية أو الامراض البدنية، فضلا عما كان يريده الذين يرمون الانبياء بسحر الجنون لأن امورهم فوق المعقول عند أولئك الكافرين، فالمسألة محصورة فيما يسمونه حتى الآن الربط أو العقد اي عقد الرجل المانع من مباشرة زوجه فقط

وبينت أيضا أن الرواية في أصح اسانيدها عند الشيخين عن هشام عن أبيه عن عائشة فيها علة من علل الحديث الخفية التي يشترط في صحة الحديث السلامة منها وهي أن بعض منكري الحديث أعلوه بهشام هذا وألف بعضهم كتابا خاصا فيه محتجا بقول بعض علماء الجرح والتعديل إنه كان في العراق يرسل عن أبيه عروة ابن الزبير ما سمعه من غيره، وعروة هو راوية عائشة الثقة وهي خالته. وقال ابن خراش كان مالك لا يرضاه يعني هشاما وقد نقم منه حديثه لاهل العراق، وقال ابن القطان تغير قبل موته. ولا شك أن تعديل الجماعة له ومنهم الشيخان خاص بما رواه قبل تغيره فهذا عذر من طعن في روايته لهذا الحديث الذي انكروا متنه بما

علمت ، والامر فيه أهون مما قالوا (١) فالتحقيق أنه خاص بمسألة الزوجية كما جاء التصريح به في الرواية الثانية كما تقدم ولا يعتد بغير هذا

أما ما رواه البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس في مرضه ﷺ وأنه كان شديدا وأنه كان سحراً في بئر تحت صخرة في كربة وأنهم أخرجوها فأحرقوها فاذا فيها وتر فيه احدى عشرة عقدة وأنزلت عليه هاتان السورتان (يعني المعوذتان) فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة . اه ملخصا ، فهذا حديث باطل مخالف لحديث الصحيحين في المسألة ولروايات نزول السورتين بمكة وهو من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس والكلبي هذا متهم بالكذب وطريقه أوهى الطرق عن ابن عباس واسمه محمد بن السائب

وأما ما رواه أبو نعيم في الدلائل عن أنس قال صنعت اليهود للنبي ﷺ شيئاً فأصابه من ذلك وجع شديد فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه لما به فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوذه بهما فخرج الى أصحابه صحيحا . فهو من طريق ابي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وهما ضعيفان . وليس في متنه ذكر السحر ولا أن المعوذتين نزلتا في ذلك الوقت ولا في شيء من روايات الصحيحين فالاستدلال به على انهما مدنيتان ضعيف ، فالحق انهما مكيتان كما تقدم

---

١) راجع تفصيل المسألة في كتاب المنار والازهر ص ٩٥ ـ ١٠٥

١١٤ سورة الناس ، مكية وآياتها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

سورة الفلق نزلت في الاستعاذة بالله من شرر وجميع الخلق الظاهرة التي تطرأ في جميع الازمنة من ليل ونهار ، كالضرر في الابدان والاعراض والاموال ، وهذه السورة في الاستعاذة من الشر الخفي النفسي وهو الفساد في العقائد والعقول والآراء ، كالشكوك والخرافات والاوهام ، ولذلك جعل الاستعاذة الاولى برب الفلق ، المحدث لنور الوجود في ظلمة العدم ، وجعل الاستعاذة في هذه السورة بما تقرأ في قوله عز وجل:

(قل أعوذ برب الناس) أي اعتصم واحتمي برب الناس الذي خلقهم ويربيهم بنعمه ، ويؤدبهم بنقمه ، ويصلح ذات بينهم بتشريعه ، ويؤلف بين قلوبهم بهداية دينه ، (ملك الناس) المدبر لأمور حياتهم بقدرته ، المتصرف في منافعهم ومضارهم بمشيئته ، الذي يحكم بينهم فيما يختلفون فيه بحكمته ، فأسباب رزقهم ومحياهم ومماتهم في قبضته ، (إله الناس) أي معبودهم الحق الذي إياه يدعون بالحق خفية وتضرعا ، وخوفا وطمعا ، وله يسجدون طوعا وكرها ، ذي السلطان الغيبي الأعلى على الاسباب والمسببات الذي تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وإليه تتوجه قلوبهم إذا عجزت قواهم عن مطالبها ، وتقطعت بهم الاسباب دون رغائبها ، من رفع ضر أو جلب نفع

وحكمة إعادة كلمة الناس في إضافة كل من هذه الصفات الثلاث هي أظهر وأجلى من كل ما تقرر في علم المعاني من اقتضاء البلاغة لوضع الاسم الظاهر موضع الضمير ، ومن اقتضاء سياق الكلام للاعادة والتكرير ، لما يجدده في العقل من

يقظة التفكير، وفي القلب من قوة التأثير، كقوله تعالى في سورة الرحمن (والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) فتكريره للفظ الميزان المفرد تنبيه لعظم شأن الحسي والمعنوي منه في نظام الكون ،فالاول الآلات التي تعرف بها نسب الاشياء ومقاديرها من الثقل والمساحة وغيرهما ، والثاني العدل الذى توزن به الحقوق ويميز بين الراجح منها والمرجوح. ومثله تكريره فيها لآية (فبأي آلاء ربكما تكذبان) بعد ذكر كل نوع من نعم الله تعالى الحسية والمعنوية في الدنيا والآخرة لاجل تدبرها ومراعاتها في العمل

القرآن هداية للناس غايتها ان يكونوا بالاهتداء كملة احرارا أعزة سعداء في الدنيا والآخرة ، لا يذلون ولا يدينون لمخلوق مثلهم، ولكنهم اهانوا أنفسهم شر الاهانة ، وأذلوها أقبح الذل ، باتخاذ أرباب لهم من خلقه نحلوهم صفات ربهم الحق في الخلق والتدبير ، والرزق والتقدير ، والهداية والتشريع — وباتخاذ ملوك لهم من أنفسهم يطيعونهم في معصية الله ، ويرضون بان يكونوا عبيدا لهم من دون الله ، ويذلون لهم بعد أن أعزهم الله، وقد يرون من نقائصهم ومساويهم ما يعلمون به أنهم دونهم علما وعملا ، ولذلك ادعى بعضهم أن سلطتهم على رعاياهم إلهية ، وخضوعها لهم عبودية ، فلما استذلوها سموا انفسهم آلهة وأربابا ، — وباتخاذ آلهة من دونه يجعلونهم شركاء له في السلطة الغيبية المسخرة لاسباب المنافع والمضار ، والتصرف الذاتي في ملك الله ، فيدعونهم مع الله أو من دون الله ، وينذرون لهم كما ينذرون لله، ويذبحون لهم القرابين كما يذبحون ويقربون لله ، ويحلفون بهم كما يحلفون بالله، بل ربما أقدموا على الحنث إذا حلفوا به ولا يحنثون اذا حلفوا بهم، فيجعلونهم أعز وأكرم عليهم من الله عز وجل — فجميع مصائب الناس ومخازيهم المفسدة لدينهم والمذلة لهم في دنياهم ، لا مصدر لها الا أوهام الناس وخواطر الناس وهواجس الناس ، فقد كرر لهم كلمة الناس ليذكرهم بأن جل شرورهم ومصائبهم من أنفسهم من حيث إنهم هم الناس ،فان البهائم لا تجني على أنفسها مثل هذه الشرور التي حذرهم منها بما يقرر في أنفسهم كمال التوحيد في ربوبيته وملكه وألوهيته ، وأن يعوذوا به مما يصرف قلوبهم عنها ، وذلك قوله عز وجل

(من شر الوسواس) وهو كما في المصباح : بالفتح اسم من وسوست إليه نفسه اذا حدثته ، وبالكسر مصدره، ويقال لما يخطر في القلب من شر ولما لا خير فيه وسواس (أي بالفتح) اه وقال الراغب الوسوسة الخطرة الرديئة ، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلي والهمس الخفي اه فالوسواس يكون من نفس الانسان ومنه (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) ويكون من الشيطان ومنه قوله تعالى في آدم (فوسوس اليه الشيطان) وفي آدم وحواء (فوسوس لهما الشيطان) وقد استعمل بمعناه المصدري وهو خواطر النفس الرديئة وحديثها الضار ، واستعمل صفة للسبب الذي يحدثها في النفس بمعنى الموسوس - كالثرثار - أوصف به للمبالغة و(الخناس) صفة له بهذا المعنى وهو صيغة مبالغة من خنس (كضرب) أي انقبض ورجع ، ويستعمل متعديا فيقال خنسته فانخنس أي قبضته وأخرته فانقبض أى تأخر وتوارى ومنه (الجواري الكنس) وهي الكواكب التي تنقبض وتختفي في ضوء الشمس بالنهار . والمعنى ان هذا الوسواس يعرض للانسان في حال الغفلة ويخنس وينزوي في حال التذكر والبصيرة، كما قال الله تعالى (٧ : ٢٠١ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فهو يوسوس له تارة ويخنس تارة دواليك، فلا يدوم أبدا ، ولا يزول وينقطع سرمدا ، فيجب عليه ان يفطن له لمنع شره ، فانه إذا غفل عنه ملكه واستعبده (الذي يوسوس في صدور الناس) دائما — كما تفيده صيغة الفعل المضارع — بما يلقي في خواطرهم من الشكوك والشبهات في الدين ، والاوهام في المنافع والمضار ، واتباع الشهوات المحرمة ، وإغراء العداوات الضارة، والمكايد المفسدة ، التي تنشرح صدورهم لبعضها وتنقبض لبعض، بحسب ما يناسبها من أهواء النفس . والمراد من الصدور القلوب التي تحويها إذ هي التي تشعر بالقبض والبسط ، والانفعال المؤلم والملائم للنفس ، فيسند الادراك اليها ، كما يسند إدراك المبصرات الى العينين، والمسموعات الى الاذنين ، وهذا لا يمنع أن تكون آلة جميع أنواع الادراك العصب ، وأن يكون مركزه الكلي أو العام الدماغ

(من الجنة والناس) هذا بيان للوسواس أو للذي يوسوس من شياطين الجن والانس، فان بعضه من الجنة أي المخلوقات الخفية التي نشعر بأثرها إذا فطناله ولا نراها لانها من جنس أنفسنا لا من جنس ابداننا، وبعضه من الناس امثالنا الذين نراهم بأعيننا، ونسمع كلامهم بآذاننا، وقد نغفل عما يلقونه في قلوبنا من الوسواس المفسد للعقائد، والمغوي بالمفاسد، والمغرى بالفتن والمنكرات، والمزين لاتباع الهوى في الشهوات، لأنهم يدسون سمومها في دسم النصيحة من حيث يدرون ويقصدون، أومن حيث لا يشعرون. فيساعدهم على قبولها ما يتراءي للموسوس له أنهم له ناصحون بمساواته بأنفسهم، وتمنيهم له ما يتمنونه لها، أو ما ظفروا به منها.

قال تعالى (٧ : ١١٢ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا. ولو شاء ربك مافعلوه، فذرهم ومايفترون (١١٣) ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) أي اقتضت سنتنا بأن يكون لكل نبي أعداء يصدون قومه عما بعث به من البينات والهدى، هم شياطين الانس والجن أى شرارهم، يوحي بعضهم إلى بعض بالوسواس ما يزينونه بزخرف القول الخادع يغرونهم ويخدعونهم بخلابته فيقبلونه ويفتتنون به (١)

وان شياطين الانس لأقوى شرا واشد ضرا من شياطين الجن، وجل فسادهم منهم، وشرهم رؤساؤهم من الملوك المستبدين، والعلماء المنافقين، والعباد الجاهلين الدجالين، والاغنياء المتكبرين، والشعراء الغاوين، ويوم القيامة يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض ويتحاجون في النار كما اخبرنا الله تعالى به في سور البقرة وابراهيم والعنكبوت وسبأ والصافات والمؤمن

وان شيطان الجن يخنس وينزوي ويترك وسواسه إذا ذكر الانسان الله تعالى بقلبه ولسانه او بقلبه فقط، وكذا إذا تذكر ان هذه الوسوسة منه. واما

(١) راجع تفسير الآيات في الجزء السابع من تفسير المنار

شيطان الانس فلا يخنس ولا يرجع عنك وإن ذكرت الله وذكرته به، بل يجادل في الله وفي كتاب الله وآياته

فالخناس يصح ان يكون صفة للوسواس الذى هو حديث النفس وخواطرها الرديئة فانه يخنس وينقبض اذ فطنت له وسلطت عليه ذكر الله وآياته ووعده ووعيده ، ويصح ان يكون وصفا لشيطان الجن إلموسوس وعليه الجمهور، وليس له سلطان على الانسان بغيره، وكل ما يدعيه بعض الدجالين من تسلط الشيطان اوملوك الجان على بعض الناس وقدرتهم على نفعهم وضرهم فهو كذب وحيل من شياطين لانس وحدهم ، ومن أراد تفصيل وسوسة الشيطان للانسان ومعالجته بذكر الله فليطلبه من تفسير (٧ : ٢٠٠ ـ ٢٠٢) في (ص٥٣٩) من الجزء التاسع من تفسير المنار

نصيحة لكل مؤمن

يجب عليك أيها المؤمن الذي يريد تزكية نفسه بحفظها من الشر وجعلها خيرة وأهلا لسعادة الدارين ، أن تعنى بوقايتها من الشر قبل وقوعه وبمعالجتها بعد وقوعه ، كما تعنى بوقاية بدنك من الامراض قبل وقوعها وبمعالجتها منها بعد وقوعها ، . وان تعلم ان لكل من أمراض النفس والبدن أسبابا ظاهرة وأسبابا خفية ، فالخفية من أمراض البدن أحياء دقيقة تملأ الارض والفضاء يسميها الاطباء « الميكروبات» وما عرفوها الافي القرن الماضي، فهم يرونها الآن بالمناظير المكبرة ، وأما الخفية من أمراض النفس فهي لاترى ولذلك سماها الوحي الجنة والجن (بكسر الجيم) ومنشؤها الوسواس الذى تلقيه الشياطين في خواطر الناس وهم شرار الجنة ، وقد علمنا الوحي أن لكل إنسان منا شيطانا يوسوس له بالشر الذى يغويه ، فالذي يجب على كل منا اتقاء وسواسه بمراقبة خواطره ووزنها بميزان الشرع ليميز بين الحق والخير منها الذى يكون بهداية الدين وسلامة الفطرة الالهية ، والباطل والشر الذى يكون بوسوسة شياطين الجن والانس ، فاذا نسي نفسه والتمييز بين خواطره غلب عليها الشر وكان من الغاوين ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم

مأساة أميرة شرقية

نقد وتحليل بقلم الأستاذ العلامة المصلح الشيخ محمد تقي الدين الهلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

نشرت مجلة (The Illustrated Weekly of India Bombay المصور الأسبوعي للهند بمباي في ٢٧ أغسطس ٩٣٣) ضمن سلسلة مقالات في تاريخ الشرق للكاتب الانكليزي (كراهام لويس) مقالا تحت عنوان „ مأساة أميرة عربية „ ارتكب فيه أخطاء عظيمة . وها أنا ذا مترجم مقاله فراد عليه بما يجلي الشبهة ويوضح الحقيقة بعد مقدمة وجيزة في بيان سبب كثرة الأخطاء والأغلاط الجهلية ، والخطيئات العمدية ، التي تكثر جدا في كل ما يكتبه الافرنج عن الاسلام والمسلمين ، والشرق والشرقيين

مقدمة في أخطاء المستشرقين وخطاياهم

أيجوز أن نتلقى بالقبول كل ما يكتبون عن الشرق؟

لهؤلاء العلماء الاوربيين الذين يتسمون بالمستشرقين أخطاء ، ولهم خطيئات أيضا . أما أخطاؤهم فمنشؤها القصور ؛ لأن أكثرهم إذا لم يكن كلهم يتعلمون الآداب والعلوم الشرقية بأنفسهم بمطالعة الكتب ، ويستعينون بتراجم أمثالهم ممن سبقهم ، فيلمون باللغات والعلوم إلماما ضعيفاً لا يمكن صاحبه أن يجلس على منصة الحكم ويقضي بالقسطاس المستقيم . والكتب وحدها لا تهدي ضالا ولا تعلم جاهلا ، وما أحسن ما قاله أبو حيان النحوي وإن كان قد أخطأ في إيراده بالتعريض بالامام ابن مالك

يظن الغُمر أن الكتب تَهدى أخا فهم لادراك العلوم
ومن يُدري الجهول بأن فيها غوامض حيرت عقل الفهيم
إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم
وتلتبس الأمور عليك حتى تكون أضل من تُوما الحكيم (١)

وقد قيل : لا تأخذ العلم عن صحفي ، ولا القرآن عن مُصحفي (٢) فأكثر المستشرقين صحفيون فى العلوم الشرقية . ولنضرب لذلك مثلا (جورج سايل) أول من ترجم القرآن إلى الانكليزية. وهو أحد الثلاثة الذين شهد لهم العلامة أحمد بن فارس الشدياق رحمه الله بالمعرفة الحقيقية للغة العربية وحكم على سائر المدعين لمعرفتها على عهده فى البلاد البريطانية أنهم لا يعلمون . ولذلك قرأت شيئاً من ترجمته فوجدت فى الجزء الأول من القرآن أربعين غلطة وكتبت فى ذلك مقالات نشرتها فى مجلة الضياء الهندية فى السنة الماضية (١٣٥٢)

ومثال آخر رسائل أبى العلاء المعري ترجمها الى الانكليزية عالم انكليزى نسيت اسمه وطبعت فى أوربة . طالعتها فوجدتها مشحونة بالأغلاط .

ومثال ثالث ترجمة محمد مار ماديوك العالم الأديب الشهير صاحب مجلة « اسلاميك كلتشر » أي الثقافة الاسلامية وله تصانيف جياد

(١) المنار : اشتهر اسم توما الحكيم حتى مضرب المثل في الجهل المركب من جهلين الجهل بالامر والجهل بهذا الجهل ، - اذقال الشاعر فى هجائه : -

قال حمار الحكيم توما لو أنصف الناس كنت أركب
لأننى جاهل بسيط وصاحبى جاهل مركب

(٢) الصحفى من يأخذ العلوم عن الصحف بدون تلق عن العلماء وهو بالتحريك نسبة الى الصحيفة لأن العرب تنسب الى المفرد لا الى الجمع، والمصحفى من يتلقى القرآن من المصحف لا عن القراء الحفاظ وكل منهما يكون كثير الغلط والخطأ

قرأت شيئاً من ترجمته للقرآن فوجدت فيها أغلاطا واضحة جدا ، وكتبت اليه بشيء منها فاعترف وأجابني شاكرا وطالبا المزيد . الا في غلطة منها فانه أبى أن يعترف وعميَ عليه فهم الصواب فيها وهي في قوله تعالى (ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) ومثيلتها قوله بعد ذلك (ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) ترجمها بما معناه أليسوا سفهاء الخ ووضع علامة الاستفهام في آخر الجملة وكذلك صنع بالتي بعدها . فلم يميز بين (ألا) المركبة التي هي همزة الاستفهام ولا النافية كقوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟) وقول الشاعر:

ألا اصطبار لمن ولت شبيبته وآذنت بمشيب بعده هرم

وبين «ألا» الاستفتاحية البسيطة كما في الآية . وفي قول امرىء القيس : ـ ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ـ البيت . فكتبت اليه جوابا وضحت له المسألة فرجع الى الاعتراف وقال : انني متعجب جدا من عدم انتباه الأستاذ الغمراوي لهذه الأغلاط ، وأنا قد اعتمدت عليه في تصحيح الكتاب ، وأقمت سنتين في مصر بقصد تنقيحه

ولو كان الزمان مواتيا والفرصة سانحة لصححت ترجمته من أولها الى آخرها ، لأنها أول ترجمة قام بها انكليزي مسلم وآخرها أيضا ، وان لم تسلم من الأغلاط المعنوية أيضا ، ولكنها على كل حال أفضل من تراجم النصارى

وأما الخطيئات فيرتكبها ثلاثة أضرب من المستشرقين :

(الضرب الأول) هم القسيسون المتعصبون كجورج سايل المتقدم ذكره ومارجليوث وزويمر ومن على شاكلتهم ، والحامل لهم على ارتكابها شدة بغضهم للاسلام وللشرق كله من أجل الاسلام .

(الضرب الثانى) السياسيون المستعمرون وغرضهم معروف ،

(الثالث) الأدباء الذين لا يترفعون عن الكذب وزخرف القول ليكتسبوا بذلك المال الوافر والشهرة الواسعة. واعجاب القراء الاوربيين الجاهلين . الذين يصدقون كل ما يقرءون عن الشرق والشرقيين

ولعل (مستر لويس كراهام) محرر المقالات الشرقية الأدبية التاريخية فى مجلة « المصور الأسبوعى » التى تنشر باللغة الانكليزية فى مدينة (بمباى — الهند) من هذا الضرب الأخير . فانه كتب مقالا فى المجلة المذكورة بتاريخ . . . . . تحت عنوان (مأساة أميرة شرقية) وملأه بالأكاذيب والاخطاء والخطايا . وستقف على ذلك فترى كيف يعبث كتّاب أوربة بالحقائق . ويتحدثون عن التاريخ العربى بما يشبه قصص ألف ليلة وليلة . لا فيما ينشر فى بلادهم فقط . بل فيما ينشر فى الشرق الانكليزى وأكثر المستعمرات وشبه المستعمرات أيضا . ونحن عن ذلك غافلون أو متغافلون

قبل الشروع فى نخل مقال كراهام ووضعه على محك النقد يجب علىّ أن أعترف بأن هنالك قسما رابعا من المستشرقين هم بريئون من تعمد الخطيئات ومبرءون عنها . وكانوا قبل هذا الزمان قليلا جدا . فمنهم توماس كارليل وجيبون وكوتى . وأما فى هذا العصر فهم بحمد الله كثير لا يحصون . ولكن الخاطئين أكثر منهم بكثير . بل لا مناسبة بينهم . فيجب علينا أن نفتح عيوننا . ونتظر ماذا يقال عن أدبنا وتاريخنا فى الصحف والمخيلات (السينمات) ودور التمثيل وسائر الأندية ، ونغبر فى وجوه المبطلين اه

قال لويس كراهام:

الجمال فى النساء يجلب لمن تحلت به كفلين متساويين من سعادة وشقاء. وصحف التاريخ طافحة بالحوادث التى أتاح الحسن فيها للمرأة الثراء والغنى، والمكانة، والنعيم، والعذاب.

يظهر أن كل صورة ظهرت ملأى بالنور والغبطة تكون خاتمتها أبدا ظلمة وانحطاطا من شامخ الى هوة سحيقة.

ليلى بنت الجودى الغسانى رئيس القضاة وُهب لها جمال زاهر يحرق قلوب الرجال ويبعث أهواءهم. لقد اشتهرت شهرة واسعة بالجمال الفاتن منذ صباها. ولم تلبث أن تزوجت بمالك بن نويرة، وكان مالك صديقا حميما للبطل الاسلامى العظيم «خالد بن الوليد» ولأسباب خارجة عن هذه القصة أتى مالك عملا جعل خالدا لا يثق به. وساءت العلاقات بينهما جدا. حتى انتهى ذلك الى أن صار كل منهما رئيساً لفرقة معادية للأخرى. وكلتا الفرقتين تبذل أقصى جهدها للفتك بالاخرى بحجة شرعية فى معتقدها الخاص. ولم تدم هذه الواقعة طويلا حتى وقع البائس مالك بن نويرة هو وحليلته ليلى اسيرين فى يد خالد

والآن قد ألممنا بشىء من وصف ليلى نقول انها وهبت قلبها لزوجها، وعزمت على أن تبذل كل مرتخص وغال فى الدفاع عنه لتربح حياته، وكانت النساء إذ ذاك محتجبات. وكان كشف وجوههن يعد خزيا وعاراً. ومع ذلك تزينت ليلى بحليها. وأرادت أن تجعل حسنها شفيعاً في زوجها. فعزمت على أن تقصد خالداً تطلب منه الرحمة، وتظهر أمامه سافرة. وتضم إلى حسنها شفيعاً آخر وهو أعذب ما تقدر عليه من الكلام لعله يهب لها حياة مالك

كانت تلك الليلة ليلة لهو وطرب وسرور، وانبساط وشرب خمور، في معسكر خالد ، والجنود مغتبطون قاعدون حول النار يصطلون ، ويعددون أعمال ذلك اليوم «الوقعة» . وبينما هم كذلك اذا بشبح متزمل بعباءة كثيفة يجتازهم حتى يقف أمام فسطاط خالد ، فما هي إلا همسة يهمسها الشبح للحارس حتى يلج الفسطاط ويرى خالداً مضطجعاً على سريره ليستريح ، وكانت ستائر الخيمة من الجوخ العالى الذى أخذ من الغنائم ـ وذلك السرير بعينه جاء من قافلة فارسية . وكان الفسطاط مضاء بنور ضئيل ، ورائحة العود تعبق فيه وتزيده روعة وجلالا . وما وقع بصر خالد على الشبح حتى نزع العباءة الضخمة التى كانت تحيط به ، وظهرت ليلى أمام خالد ، ولم تلبث الا لحظة حتى جثت على ركبتيها ، وتفجر من بين شفتيها الجميلتين جدول منحدر من الكلام ، وكأن قلبها في مخالب طائر ، وأسعدتها عيناها ففاضت بالدموع ، فرأت ابتسامة على شفتى خالد ، واها ! لقد نجحت ! لقد أذاب جمالها قلب القائد الحربى الحديدي ، سرت ليلى بذلك

بغتة يكسر صوت خالد ذلك السكون وكان صوته غليظا خشنا من الغضب ، ما كادت ليلى تسمع رنين لفظه حتى جحظت عيناها من الرعب ، ولما رأت الرجل الذي دعاه خالد فزعت منه وأرادت ان تجفل ولكن دمها صار جمداً حين سمعت نص الحكم الذي فاه به القائد — اضرب عنق مالك في الحين ، وادع لى اماما يعقد لي على ليلى الآن

أما الرعب والفزع الذي وقع لهذه المرأة السالبة للعقول فلا يمكن وصفه . فتصور القارىء له خير من أن أصفه له ، فكرت ليلى لحظة وهي في غاية الاضطراب فتحققت أن جمالها هو الذي خذلها وأسلمها . لقد أنتج

عملها ضد المقصود ، فبدلا من أن توقظ رحمة خالد أيقظت هواه. لم يضع شيء من الوقت ففي الحال أبلغ البائس مالك الحكم ، وما شعرت ليلى وهي لا تزال جاثية ذاهلة أمام سرير خالد الا وصوت مالك يرشق قلبها المثقل بالآلام ضغثاً على ابالة ,, هذا هو سر القضية ، ما قتلني الا انت ،، .

وهكذا صارت ليلى زوجا لخالد لاعنة جمالها الذي كان نكبة عليها

حقا لقد كان جمال هذه المرأة مدهشا ، وناهيك أنه في وقعة عقرباء جالت جنود خالد جولة (انهزمت انهزامة قليلة) فهجم العدو على فسطاط خالد . وكان سيدهم (مجاعة) قد أسرته خيل خالد من قبل ، فوجدوه مطروحا هناك موثقا ، فأراد هؤلاء البدو المتوحشون أن يقتلوا ليلى . لكن جمالها الفتان كان قد سرى في قلب (مجاعة) وعمل عمله ، فدفعهم عنها وأجارها منهم ، وأرادوا أن يفكوا أسره ، فأبى وفضل أن يبقى أسيراً عند ليلى ليمتع بصره بالنظر اليها حينا

واشتهر جمال ليلى وطار صيتها في الآفاق حتى صار الناس يتغنون به في المدينة ، فهاج هوى عبد الرحمن (بن أبي بكر) فأخذ يشبب بها ويتغنى بحبه لها ، وما زال هائما بها حتى أسعده الحظ بتزوجها فرفعها الى اعلى مكانة من الاجلال حتى هجر لأجلها نساءه وخليلاته (سراريه)

لكن ذلك الاجلال والعشق كان فارغا لأنه انما كان يحب الجمال الجسمي ، ضاربا عرض الحائط بجمالها النفسي ، كان زواجه غما عليها وحزنا ، لم تزل الاميرة البائسة تذكر مالكا وأيامه السعيدة . ولما وجدت نفسها في مستوى الحيوان الأعجم إن هي الا متعة وملهاة ، انقبضت نفسها ، واستولى عليها الهم ، وغلب عليها الصمت ، فنحل جسمها ، وذبل جمالها فذبل معه حب عبد الرحمن لها

وفي خاتمة الأمر رجعت الى بيت أبيها لتقضي بقية أيامها في تفكير هادىء . وهكذا كانت عاقبة هذه المرأة العجيبة — كانت حياتها كما ترى حياة شاقة أدت لأجلها ثمنا عاليا حتى على حسنها وجمالها

(في الفسطاط)

صور الكاتب داخل فسطاط خالد صورة تضاهي غرفة أحد ملوك الهند في العصر الحاضر . فهذه النارجيلة الطويلة قائمة منتصبة . وهذه باطية بلورية مملوءة خمرا تحفها الكاسات النفيسة . وهذه المباخر يتصعد في جو الحجرة دخانها ويعبق طيبها . وهذه المصابيح الجميلة معلقة يتوقد نورها . وهذا خالد بن الوليد الذي اخترعته مخيلة كراهام مرتديا ثيابا فاخرة على الزي المصري تخاله أحد العمد المترفين جالسا على كرسي مزخرف بديع وتحت قدميه الحافيتين كرسي جميل لوضع القدمين . وهاهي ذي المائدة البهية منصوبة عليها من الفواكه ألوان وافنان

وهذه ليلى ابنة الجودي عارية النصف الأعلى من جسمها تقريبا متزينة باقراطها وقتخاتها وثلاثة أزواج من الأساور ، فزوج في عضدها وآخر أسفل قليلا من مرفقها وثالث في معصمها ، متجردة في سراويل بلا غلالة ولا درع ، وحجالها في أسفل ساقيها الى كعبيها ، غادة بيضاء ، وسيمة جيداء ، ملفوفة لفاء ، هضيمة الخصر عظيمة ماتحته ، طوالة زلحة برهرهة (ولولا التأدب مع المرحوم العلامة أحمد بن فارس صاحب الساق على الساق لأسهبت في سرد الأوصاف) ترى هذه المرأة الفتانة جاثية على ركبة واحدة ، محدقة النظر في وجه خالد العبوس ، جزوعا هلوعا ، مستعطفة مسترحمة بعينيها ومنظرها الذي يذيب الجماد ، بله ، جدول الكلام المنصب المنساب من شفتيها كما قال كراهام مخترع القصة نفسه

وأما خالد هذا الخيالي فيتصوره الرائي مقطب الوجه الا أن عينيه لا تستطيعان أن تخفيا ما سرى في جسمه ونفسه من الهيام بحسن هذه الدمية الجاثية بين يديه. وهي كما قال الكاتب (تراجيدي) أي مأساة ترق لها قلوب الأسود الهصر، والسباع الضارية. لو كانت حقيقية أو خيالية. أما وقد أساء مخترعها الى القراء بأن جعلها في الدعوى حقيقة تاريخية وفي الواقع خرافة خيالية فان ذلك يغض من روعتها ويقلل من تأثيرها ويشوش تصورها

فيا ليت شعري أكان كراهام لويس جادا أم هازلا، جاهلا أم متجاهلا، مستهزئا بنفسه ام بالقراء ام بالتاريخ ام بالأدب، حين أخذ صورة امراة خليعة من نساء الفرس الساكنين في بمباي ووضعها بين يدي صورة فلاح غني من ريف مصر في غرفة راجا هندي مترف. وقال للناس هذه صورة خالد بن الوليد القائد العربي، لا في بيعة بحمص او دمشق (فيكون الامر لولا النارجيلة والخمر قريباً) بل في معسكره بالبطاح من ارض بني تميم وهو في سرية متحفز لقتال اهل الردة؟ لكن هذا الكاتب الظريف ابى له خياله الا ان يجعل فسطاطه مجلس كسرى او قيصر، واضاف اليه نارجيلة لئلا يحرم من زينة مجالس اولي النعمة والترف من أهل الشرق الاقصى، وليس على فكره بمستنكر ان يجمع الازمنة في زمان واحد والامكنة المختلفة في مكان واحد، والاشخاص المتعددين في شخص واحد، كما سيأتي بيانه في تحقيق قصة ليلي ابنة الجودي. ولقد اعجبني جدا ماقاله الاستاذ معين الدين احد رفقاء دار المصنفين في رده على هذا الكاتب في مجلة معارف الأوردية فانه بعد ان فند ما تكذب به الكاتب وادى اليه ما يستحقه من الاحتقار قال ما ترجمته: تصويره خالدا وفسطاطه كمن يصور المسيح على طيارة يحوم في جو باريس ويتفرج على قصورها. إه

(يتبع)

التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي

كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، تلوكهما الالسنة والاقلام ويجولان في جميع الاذهان ، ويتحدث بهما الرجال والنساء والولدان ، وقد أجمع الناس في هذا الزمان على أنهما مصدر السعادة للبيوت « العائلات » والشعوب أفرادهما وجملتهما ، ولو سألت كل فرد من أفراد هؤلاء الناس عن هذا الاجماع لأجاب انه حق لاريب فيه ، وانه من القضايا الضرورية التي لا يتوقف الحكم فيها على برهان ولا دليل .

ثم انك لو سألت كل واحد من هؤلاء عن تفسير هاتين الكلمتين وتفسير كلمة السعادة وعن الرابط بينها وبينهما الذي كانا بها علة أو سببا ، وكانت هي معلولة ومسببا أوسألته عما هو معروف الآن لكل مطلع على أحوال البيوت « العائلات » في بلده وأحوال الشعوب التي تشرحها جرائدها وتنشرها في العالم وعن تطبيق تلك القاعدة الاجتماعية عليها في جملتها أو في تفصيل ما تشكو منه وتصفه من أنواع الشقاء في مصالحها الادبية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بل لو سألته عن أفظع وقائع المظالم والجنايات والخيانات فيها ، هل وقع بفعل الناس من الاميين ومن على مقربة منهم ممن لم يتح لهم إلا التعليم الابتدائي أو الثانوي لأجابك كل واحد عن السؤال الاخير بأن كل ما ذكرت من أنواع الجرائم الكبرى لم يقترفه إلا النابغون في التعليم العالي وما يليه ، يجيبك هذا لانه هو القطعي المعلوم بالمشاهدة المنقول بالتواتر ، ولكنه يعجز عن الجواب عما قبله من فائدة التربية والتعليم ، ومن معنى السعادة ، ومن الوسط الرابط بينهما ، لان هذه كلها قضايا نظرية كان يقلد غيره فيها ويعد المسلمات من الضروريات

معنى كل من هاتين الكلمتين يختلف باختلاف متعلقه والغرض منه وكونه على منهاج يؤدي إلى الغرض أو يقرطس في الهدف. التربية تنشئة قوى الانسان الجسدية والعقلية والروحية بما تربو به وتنمي وتترعرع حتى تبلغ كمالها الشخصي في محيط الملة والامة ، فمن أعمالها ما هو مفيد لكل أفراد الناس لأنه لا يختلف

باختلاف الاقوام في مقوماتها الملية ومشخصاتها الوطنية ، كتربية الابدان المبني على قواعد الصحة في الغذاء والنظافة والرياضة ، ومنها مايختلف اختلافا واسع المسافة بعيد الشقة ، فما يعده بعض زعماء الاقوام والامم مصلحة يعده غيرهم من أكبر المفاسد ، وتفصيل ذلك يطول وليس من موضوعنا الآن ،

والتعليم تلقين العلم الذي يساعد التربية على تكميل الانسان وهو كالتربية منه مالا بد منه لجميع الناس في كل زمان ومكان ، ومنه مايختلف الحاجة اليه باختلاف الاطوار والاحوال ، وحاجة الاقوام والاوطان ، والاصل فيه أن يعلم النشء ما يرشده إلى العمل الذي لا بد له منه في حياته الشخصية والمنزلية والوطنية الخ

التعليم افادة العلم والعلم بيان للعمل صفته واتقانه . وأما الباعث للعامل على العمل بعلمه فهو ثمرة تربية النفس على مايوجهها إلى طلب منافعها ومصالحها الحسية والمعنوية ، أو المادية والادبية - كما يقول كتاب عصرنا — أو إلى ما فيه الخير لها في المعاش وفي المعاد كما يقول علماء الدين ، فمنفعة التعلم رهينة بحسن التربية . وهذه المباحث كلها طويلة الذيول ، متدفقة السيول ، وإنما أشرت تمهيدا للسائلة عن التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي ما هما وأين يوجدان في هذا القطر ؟ أيوجدان في بيوت المسلمين كافة ، أو بيوت بعض الطبقات منهم ؟ أيوجدان في مدارس وزارة المعارف ، أو مدارس الاوقاف الملكية ، أو مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية ، أو المدارس الحرة ؟ أيوجدان في مدارس المعاهد الدينية الازهر وملحقاته ؟ الذي أعلمه أنا لا يوجد في بيوت المسلمين ولا في المدارس الرسمية ولا غير الرسمية ولا في المعاهد الدينية تربية اسلامية مدونة أو متبعة بالعمل في تنشئة أطفالهم في البيوت ثم تلاميذهم في المدارس والمعاهد على أخلاق الاسلام وآدابه وعباداته كالصدق والحرية والحياء والامانة وعزة النفس وبر الوالدين وصلة الرحم والتعاون والاقتصاد والتراحم واجتناب البذاء والفحش في القول الخ حتى يترعرع ويشب معتقدا أن المسلم باسلامه أعز الناس نفسا وأجدرهم بالكرامة واتباع الحق واحتقار الباطل وحب الخير للناس كافة ، وأنه يجب بذلك

أن يكون قدوة لهم في كل فضيلة وعادة وعمل، ولا يليق به أن يكون تابعا ومقلدا لقوم آخرين فيما يعد تفضيلا لهم على قومه ، مع اعترافه لكل ذي حق بحقه ، وكل ذي فضل بفضله ، وبراءته من كل ما فشا في قومه من البدع والخرافات والعادات الضارة والسعي لازالتها عند ما يكون أهلا لذلك ، ولكن يوجد في بعض البيوت بقايا متبعة ذلك

وأما تربية المدارس فروحها تفرنج يقتل الاسلام قتلا بتفضيل كل ما هو افرنجي على ما يخالفه من عقائد الاسلام وشعائره وعباداته وأخلاقه وآدابه ومشخصاته ، وحسبك أن الصلاة التي هي عمود الاسلام وعنوانه ، ومغذية الايمان ، غير واجبة على أساتذة هذه المدارس ولا على تلاميذها فلا يطالب بها أحد ، كما أنها غير محرمة عليهم فلا يمنع من أرادها في غير وقت الدرس . وقد أجمع المسلمون سلفهم وخلفهم على أن من استحل ترك الصلاة يكون مرتدا عن الاسلام لا يشارك المسلمين في شيء من أحكامهم من إرث وزواج ولا يدفن في مقابرهم وان كان متزوجا انفسخ عقد زواجه بل يجب على الحكومة استتابته فان لم يتب قتل كفرا . وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن غير مستحل فأهون ما قاله الفقهاء أنه يحبس حتى يتوب . كذلك الصيام اختياري في مدارس الحكومة المصرية ، وهو من أركان الاسلام من استحل تركه كفر

هذه المدارس قد وضع الانكليز نظمها ، وعينوا لها وجهتها وغايتها كما شاؤا ، ومن مقاصدهم فيها ألا يكون لمن يتعلم فيها أدنى شعور بأن لقومه ملة اسلامية ، لها من المزايا في دينها وتشريعها وحضارتها وتاريخها ما تعلو به على جميع الملل بل ما لا تشاركها فيه ملة أخرى . وقد اتفق أن جيء لمدرسة البنات السنية على عهد القس الشهير المستر دانلوب المسيطر على وزارة المعارف بناظرة انكليزية ممن تربين تربية حرة عالية ، فلما كتبت تقريرها المعتاد في آخر السنة المدرسية اقترحت على وزارة المعارف الزام جميع من يتعلم فيها من البنات أن يتعلمن

عقائد الدين الاسلامي وأحكامه ويؤدين عباداته من صلاة وصيام، وعلات ذلك بأن عاقبة هؤلاء البنات أن يكن أمهات مربيات لنشء الأمة ولا يصلح للتربية إلا الام المتدينة الصالحة لأن تكون قدوة ، ولذلك أجمعت الامم كلها على تربية البنات تربية دينية علمية عملية « قالت » ولما كان في هذه البلاد ثلاثة أديان كلها تأمر بعبادة الله وبالتحلي بالفضائل واجتناب الرذائل ، وهي الاسلام والنصرانية واليهودية ، ولما كان اختلاف التعليم الديني مضرا بالتربية ومخلا بوحدة الأمة ، وكان الاسلام هو دين الاكثرية الغالبة وجب جعله هو الدين الذي يبنى على أساسه نظام التعليم والتربية في هذه المدرسة ، فأنا أقترح جعله رسميا الزاميا فيها

أترى أيها القارىء ما فعلت وزارة المعارف بهذا التقرير ؟ لعلك تعلم أن القسيس دنلوب كان هو الوزارة وكان الوزير ومن دونه مستخدمين له أو آلات بيده ، وقد عزل جنابه هذه الناظرة عزلا ، وحفظ تقريرها أو مزقه تمزيقا .

جميع المدارس التي تسمى إسلامية في مصر تسير وراء وزارة المعارف في تربيتها وتعليمها سير القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل ، حتى مدارس الاوقاف الملكية ، وكذا مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية التي كان غرضها الوحيد على عهد رئيسها الاستاذ الامام ومديرها حسن باشا عاصم « تغمدهما الله برحمته » تربية أولاد الفقراء من المسلمين تربية إسلامية خالصة وتعليمهم ما لابد منه لكل مسلم من عقائد دينه وأحكامه وآدابه مع مبادىء لغته وسائر ما يلقن في المدارس الابتدائية من حساب وغيره . وغاية ذلك كله أن يكون أولاد الطبقات الفقيرة من المسلمين كما يجب أن يكون المسلم في أدبه وصدقه وكرامته وأمانته وموضع الثقة في عمله أيا كان

أتدري أيها القارىء المسلم ما أصاب هذه المدارس من الانتكاس والارتكاس بعد ذينك الرجلين المصلحين اللذين لم تنبت طينة مصر مثلهما منذ قرون؟ حسبك أن تعلم أن الجمعية أنشأت مدرسة للبنات لتمرينهن على الرقص دون تمرينهن على

الصلاة ؟ وأما الثمرة العامة لتربية البنات وتعليمهن. فانك ترى النساء بعينك في الاسواق والشوارع والمحافل والمجامع، والملاعب والمراقص، والمراسح وفي الحمامات البحرية والجمعيات النسائية ، فقد بلغن من الخلاعة والرقاعة بل الاباحة دركا ، صار يستقذره الكتاب الاباحيون الذين دعوا اليه من قبل

ألفت كتابا (في حقوق النساء في الاسلام) أبنت فيه أن الاسلام كرمهن وأعطاهن من الحقوق الدينية والمدنية والسياسية مالم يسبق الى مثله أو مايقرب منه دين من الاديان ، ولم يبلغ شأوه فيه قانون ولا نظام وسميته (نداء للجنس اللطيف الخ) فقرظته الصحف وصرحت بأنه لم يكتب مثله في موضوعه ، فلم يبلغني أن جمعية نسائية ولا امرأة مسلمة طلبت الاطلاع على هذا الكتاب ، بل أهديته الى كاتبة أديبة مسلمة ينشر لها المقطم رسالات كثيرة في الآداب والعادات وغيرها فقرظته تقريظا حسنا ورغبت المعلمات في قراءته بقولها: ان مؤلفه يبذله لكل من تطلبه منهن بدون ثمن ، فلم يطلبه منهن أحد ، فأين الاسلام وأين التربية الاسلامية في مصر ؟

وإذا كان هذا شأن من يتعلمن ويتربين في المدارس التي تسمى إسلامية فما رأيك فيمن يتعلمن في مدارس جمعيات التنصير وراهبات الكاثوليك ؟ ان هؤلاء يحتقرن الاسلام وكل من ينتمي اليه ويحتقرن لغته أيضا . روت طالبة سورية في مدرسة أمريكانية أن زميلتين لها من بنات باشوات مصر قالتا لها وقد كلمتهن باللغة العربية : كيف ترضين أن تتكلمي بهذه اللغة القذرة !!؟ فلعنة الله عليهما وعلى والديهما ووالدتيهما في الدنيا والآخرة . اه المقالة

(المنار) كنت كتبت هذه المقالة لمجلة التعليم الالزامي استجابة لطلبها ، وأردت أن أتم موضوعها بمقالة ثانية فحال دونها زحام شواغل دار المنار ، وقيل « شغل الحلي أهله أن يعار » والصحف قلما ينقل بعضها مقالات بعض ، ولكن قد يسرق بعضها من بعض ، وقد يكلف بعض محرريها أن يكتبوا لغير مم صحفهم حتى يتفق أن يطلب منا مقالات وفتاوى لتنشر في صحف مصرية وغير مصرية في وقت واحد ! ! !

المولد النبوي

(احتفل في هذا العام به في بمباي (الهند) احتفالا وصفه مراسل البلاغ بما يأتي)

لم تشهد بمباي منذ سنوات احتفالا شعبيا رائعا كالاحتفال الكبير الذي أقامه مسلمو بمباي هذا العام ففي اليوم الثاني عشر من ميلاد أشرف الكائنات ،وفخر الموجودات المثل الاعلى ، وحجة الله العظمى، محمد بن عبد الله صلوات الله تعالى عليه وسلم، في نحو الساعة الثانية والنصف بعد الظهر عقد المسلمون له في بمباي أعظم جلسة برياسة مولانا (هيزهولينس تقدس ما آت يير سيد مطاع الدين متاميان جشتي صاحب) حضرها ما يزيد عن عشرين ألف نسمة ، يتقدمهم من أعيان المسلمين وكبرائهم عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطي وخان بهادر شيخ علي باعكظة وقنصلا إيران والافغان ، والدكتور خالد شلدريك ، والمستر محمود دير الانجليزي محرر التيمس في بمباي (الذي أسلم مع زوجته وولديه منذ سنة في بمباي وكان محرراً في الاجبشيان دايلي ميل قبل سنوات) وزعيمة الهند مسز سروجيني نايدو ومولانا أبو السعود محمد سعد الله المكي وفضيلة الشيخ أحمد يوسف ورهط كبير من أعيان الفرس والهندوس وفضلى السيدات وكرائم العقيلات

وقد افتتح الجلسة مولانا أبو السعود سعد الله بعشر من القرآن الكريم ثم قرىء المولد النبوي الشريف ، ثم انتخبت هيئة الجلسة سمو السلطان صالح القعيطي لافتتاح الحفلة فاستهل الموقف بخطبة جليلة استعرض فيها حياة الرسول الاطهر ﷺ وأثر المدنية العربية في الشعوب الاسلامية وانتقالها إلى أوربا وأمريكا، وأفاض في ذلك طويلا ببلاغة وطلاقة تنمان عن علم غزير وسعة اطلاع.

ثم وقف السردار سليمان قاسم ميتا وخان بهادر شيخ علي باعكظة وسيد أحمد صديق كهتري صاحب، ومولانا خجندي صاحب، وأيدوا بالاجماع اسناد تلاوة السيرة النبوية إلى مولانا (هيز هولينس) رئيس الجلسة ، وقد وافق الحاضرون على ذلك ، فشرع حضرته في تلاوة السيرة النبوية الشريفة باللغة الانجليزية وأخذ في شرحها شرحا وافيا

ثم وقف الدكتور خالد شلدريك بعد أن قدمه أحد أعضاء الجلسة باسم المرشح الوحيد لعرش تركستان الصينية، فاستهل الموقف بخطبة حماسية طويلة بالانجليزية أثنى فيها بالسبب الذي دعاه لاعتناق الاسلام، وكيف فتش طويلا وبحث كثيراً في كل ما كتب السلف والخلف عن الاديان، وأنه لم يقبل الدين الاسلامي إلا عن علم ومعرفة، وأنه خير الاديان وأقومها، إذ جاء في مصلحة المجتمع البشري ورفاهيته. وأن الدين الاسلامي اجتذبه بسحره ومغنطيسه فاحتضنه بين يديه وهو ابن التاسع، وليس هذا بعجيب

ثم انتقل إلى حالة المسلمين في الصين وعن رحلته فيها وقال ان عددهم أكثر من خمسين مليونا، وأن مسلمي الهند يبلغ عددهم أكثر من سبعين مليونا، وان عدد المسلمين في أفريقا يزداد يوما فيوما، وأن برناردشو أنذر أوربا وأمريكا بأن الاسلام سيكتسحهما في الوقت القريب العاجل.

ثم انتقل إلى حالته الخصوصية وكيف اضطهد من البوليس وروقب في الصين وغيرها لقيامه بالدعاية الاسلامية والتبشير في كل محل حل فيه، ووصف حالة المسلمين وما هم عليه اليوم من تشتت واضمحلال، وقال إن خير طريق لتقدم المسلمين واسعادهم هو الرجوع إلى القرآن بالعمل بما فيه، ونبذ التحزب والشقاق بالاتحاد، وان الكتلة المجموعة لاتقدر على قصمها اليد الواحدة

ثم وقف أحد الاعضاء وأعلن الحاضرين مشاركة (أعليحضرت آصفجاه الملك سمو نظام حيدر أباد مير عثمان عليخان خلد الله ملكه) للمحتفلين في شعورهم بنظم قصيدة عصماء في مدح النبي ﷺ تلاها العضو بصوت رخيم خاشع ملكت على الحاضرين مشاعرهم وعواطفهم، واستعادوها مراراً وتكراراً. والقصيدة بالفارسية ومطلعها كما يأتي:

(شه ملك رسالت صاحب تاج وسر آمد وزير وراز دارو نائب رب قدير آمد)

ثم وقف عضو آخر وأعلن المجتمعين بمشاركة حضرة صاحب الدولة يمين السلطنة صدر مهام الدولة سير كيشن برشا رئيس وزراء مملكة حيدر أباد دكن

بقصيدة غراء من نظمه في مدح أفضل الموجودات وأشرف الكائنات سيد العرب والعجم ﷺ باللغة الاوردية تلاها (سيد قمر صاحب) بصوت عذب رخيم واستعادها الحاضرون أيضاً مراراً وتكراراً، والظاهرة الوحيدة التي يسجلها التاريخ هنا لصاحب الدولة يمين السلطنة أنه هندوسي لم يمت إلى الاسلام بصلة إلا أن حبه للرسول ﷺ جعله ينظم الكثير من قصائده ويجعلها وقفا عليه ﷺ

ثم وقف مولانا (خجندي صاحب) وقدم مسز سروجيني نايدو الهندوسية للحاضرين وخيرهم في أن يلتمسوا منها الخطابة بالاوردية أو الانجليزية فدوي المكان بالتصفيق وطلبوا منها الاوردية وتحمسوا لها كثيراً، ثم وقفت زعيمة الهند وتكلمت بالاوردية بفصاحة وطلاقة. والتمست أيضاً هي من الحاضرين أن يسمحوا لها بالتكلم بالانجليزية وقالت:

ان ضيوفنا الاعزاء الذين تشرفوا باعتناق الدين الاسلامي الحنيف ينبغي لنا أن نراعي شعورهم واحساسهم (تشير بذلك إلى المستر محمود دير المسلم الانجليزى محرر التيمس وزوجته والدكتور خالد شلدريك) وأن نتكلم باللغة التي يفهمونها لكي لا يعدوا أنفسهم غرباء عنا، ثم انطلقت كالاسد الشرود فصالت وجالت بالانجليزية الفصحى فتكلمت عن محاسن الدين الاسلامي طويلا وعن عبقرية محمد (صلوات الله تعالى عليه) الفذة، وعن حياته وسيرته وأعماله، وكيف تغلغل الاسلام في العالم شرقا وغربا، وما كان عليه المسلمون من السلف من العز والسؤدد والشأن والسلطان، وكيف أن الهندوس مع وفرة عددهم وكثرة عددهم، يرتعبون كل الرعب ويحسبون للمسلمين ألف حساب، وان محمداً الذي جاء لتحرير العالم من ربقة الذل والعبودية، كذلك جاء تلميذه المهاتما (غاندي) اليوم لتحرير المنبوذين من ربقة الذل والعبودية، وان الاسلام لا يحتاج لامرأة مثلها أو غيرها من كبار الكتاب والفلاسفة أن يشرحوا محاسنه ولا أن يظهروا فضيلته

ثم انتقلت فجأة إلى الكلام عن حالة المسلمين اليوم وشقائهم، وتفرقهم وانحطاط قواهم وضعفهم، وعن الجهل والاضمحلال، وعن الذل والعبودية اللذين يرتع فيهما أكثر المسلمين اليوم، وأنحت باللائمة عليهم جميعهم لتقدم غيرهم من

الامم ، واحتلال أماكنهم والتربع على عرش سؤددهم ومجدهم

وقالت ان الاسلام يحتضر فكما أن الحسين (رضي الله عنه) ذبح في كربلاء، فاليوم يذبح الاسلام في عقر داره، وإن كل بقعة من بلاد المسلمين هي كرب وبلاء، ونبهت المسلمين إلى تدارك حالهم ، وجمع كلمتهم ، ولم شعثهم ، وتوحيد صفوفهم ، وتنظيم أمورهم، وربط أولهم بآخرهم ، وآخرهم بأولهم ، وتدارك الامر قبل فوات الوقت ، ثم قالت : إننا وإياكم نعبد إلها واحداً ، وما قال الله أنا رب المسلمين، وانما قال تعالى جل شأنه أنا رب العالمين ، واستغرقت خطبتها نحو ساعة كاملة

ووقف المستر محمود دير الانجليزي المسلم وتلا تقريراً كبيراً مؤثراً عن حياته الاولي وشغفه وبحثه في الاديان، وتطوع الكثيرين من أفاضل المصريين وعلمائهم في تسهيل مهمته وارشاده ، وتنوير ذهنه مدة وجوده في مصر موظفا في تحرير الاجبشيان دايلي ميل ، ومدح المصريين كثيراً وأثنى عليهم وقال : اننا نغبط أنفسنا معشر المسلمين اليوم بوجود أمة فاضلة عربية مجيدة لها تاريخ حميد كالامة المصرية ، وإن العالم ليدين لهذه الامة الناهضة الفتية بقسط وافر من حيويته ونهضته الآن، وأن مصر سحرته بجمالها، ورجالها أسروه بفضلهم وعلمهم وعبقريتهم، وأنه لن ينسى أصدقاءه المصريين مادام فيه عرق ينبض

ثم خطب بالانجليزية (ديوان بهادر كريشنا صاحب) أحد كبار الهندوس وأدبائهم مادحا الرسول الاعظم ﷺ وخطب بالاوردية نواب زاده سيد مرتضى خان صاحب رئيس المؤتمر الشيعي وبالكجراتية أيضاً مولانا نوربهاي صاحب

وانفضت الجلسة في الساعة السادسة والنصف تماما، وقد جهزت القاعة بالراديو وربطت بثلاث أحياء عظيمة اسلامية في بمباي ليتسنى لأكبر عدد ممكن من المسلمين سماع كل ما يجري من الحفلة حرفيا، ومثلت الحفلة اثنتان وأربعون هيئة اسلامية .

وفي المساء عقد المسلمون جلسة كبرى برآسة مولانا شوكت علي ومولانا عرفان صاحب وغيرهما من أهل بومباي في ميدان (جوته قبرستان) حضرها نحو ٣٠ ألفا من المسلمين وتليت القصة النبوية الشريفة ، وانفضت الجلسة في نحو منتصف الليل.

ترجمة الشيخ محمد الجسر

(هذه خلاصة تاريخية لترجمته مستمدة من آله رحمه الله واحسن عزاءهم عنه)

(١) تولى والده تربيته فصنع على عينيه وألبسه الزي العلمي الديني وهو في الثانية عشرة من عمره. وعلمه عقائد الدين وأحكامه بنفسه، وخرجه في المدارس الرسمية التركية وجعل له معلماً خاصا يعلمه اللغة الافرنسية، لعدم العناية بتعليم الافرنسية في مدارس الحكومة العثمانية، وهو المعلم عثمان أفندي الارنؤوط الشهير بتعليم الافرنسية في طرابلس

(٢) في العشرين من عمره عين مدرساً لمدرسة اللاذقية الاعدادية الرسمية فمكث فيها زهاء سنة، ثم نقل على سبيل الترقية مديرا للمدرسة الاعدادية الرسمية في طرابلس، وظل في هذا المنصب الى سنة ١٣٢٩ هجرية

(٣) في هذه السنة وقع الانقلاب الدستوري في الدولة العثمانية وتولت جمعية الاتحاد والترقي زمام الامر فيها، وكان والده العلامة معدودا من رجال السلطان عبد الحميد فكانوا ينظرون اليه نظر الريبة وإن لم يتدخل في سياستهم وربما أظهر نجله الشيخ محمد السخط عليهم فاستقال من مديرية المدرسة وأراد والده رحمه الله أن يسلك سبيلا حراً في العمل ويترك الوظائف فأطاعه وأخذ يشتغل بالتجارة فبورك له في عمله، وجنى منه ربحا غير قليل. وما كان يظن بمثل الشيخ في علو جاهه ومقامه العلمي أن يرضى لولده أن يكون تاجرا صغيراً ولكن سعة عقله وعلمه بحال زمنه كانا فوق أفق أقرانه من كبار العلماء وعامة الوجهاء

(٤) وكان والده رحمه الله قد ترك اليه من قبل ذلك بسنتين تحرير جريدة طرابلس فكان الشيخ محمد يشتغل بالتجارة وبتحرير هذه الجريدة في آن واحد وكان يكفيه أن يستغني بالتحرير عن التجارة، وكان غيره يعجز عن الجمع بينهما

(٥) وفي سنة ١٩١٢ ميلادية رشح نفسه للنيابة عن لواء طرابلس في مجلس المبعوثان، وكانت حكومة الاتحاديين قد رشحت لها رجلا تركيا مقيما في طرابلس، ولكن الطرابلسيين اجتمعوا إلبا واحداً على انتخاب الشيخ محمد

فرأت الحكومة أنها مضطرة الى موافقتهم فتنازلت عن مرشحها الخاص له ففاز بالنيابة فوزاً شعبيا باهراً كان يومه مشهودا ، ولا تزال مهرجاناته حديث الناس حتى اليوم ، وقد استفاد من ممارسته لاعمال المجلس في سنة واحدة علما واختباراً واعتبارا في السياسة والنظام ، ما كان ليستفيده في خارجه الا في عدة أعوام

(٦) بعد ان أغلق الاتحاديون المجلس النيابي سنة ١٩١٣ عاد الى طرابلس ورشح نفسه لانتخابات المجالس العمومية للولايات ففاز فيها وذهب لبيروت فنال حظوة كبيرة عند الوالي باكير سامي بك الشهير ، ثم عند الوالي عزمي بك لما رآياه فيه من الفضل والعلم والذكاء العجيب والدهاء الغريب ، وما لبث أن عرف الناس في بيروت وجميع أنحاء الولاية أن الشيخ محمد الجسر هو الرجل الذي يلي الوالي في النفوذ وإدارة دفة الحكومة طول مدة الحرب فأتاح له هذا المقام الرفيع أن يسدي الاحسان الى كثير من الناس من طرق ووسائل شتى ، فأجمعت القلوب على حبه ولا سيما النصارى الذين كانوا يرون من آثار شفقته مالم يكونوا يحتسبون

(٧) لما وضعت الحرب أوزارها واحتل الحلفاء البلاد وجدوا الشيخ محمدا في رئاسة المجلس العمومي التي شغلها طول مدة الحرب فأقروه فيها ، ثم اختلف مع الحاكم الفرنسي فاستقال حالا وكان يعرف سبيل الحياة الحرة الذي يغنيه عن الحكومة كما علمه أبوه فعاد فوراً الى الاشتغال بالتجارة في بيروت .

(٨) لكن الافرنسيين لم يتركوه فما لبث أن بلغ قرارا من الحاكم الافرنسي العام بتعيينه لرئاسة محكمة الجنايات العليا في بيروت فوجم لذلك لانه لم يسبق له اشتغال بأمور القضاء لا قاضيا ولا محاميا ، ولكنه قبل المنصب الرفيع وأخذ يجهد نفسه بدرس القوانين الجنائية حتى برع فيها وتمكن بفرط ذكائه من الاضطلاع بأعباء هذا المنصب على أكمل وجه فأدهش رجال القضاء وجماعة المحامين

(٩) مكث في هذه الوظيفة من سنة ٩١٩ الى سنة ٩٢١ وفي هذه السنة عهد اليه بمنصب رئيس النيابة العمومية في محكمة التمييز فمكث فيها شهرين تقريبا ثم عهد اليه بمنصب (وزارة الداخلية) في الحكومة اللبنانية ، وبعد سنتين عهد اليه [بوزارة المعارف] وظل فيها الى سنة ١٩٢٦

(١٠) في هذه السنة أعلنت الجمهورية اللبنانية فعين الشيخ محمد عضواً في مجلس الشيوخ اللبناني وانتخب رئيساً له، ولما أدغم مجلس الشيوخ في مجلس النواب انتخب رئيساً له، وظل في هذه الرئاسة ينتخب في كل عام بلا انقطاع ولا مزاحمة من أحد الى تاريخ ٩ مايو سنة ١٩٣١ إذ عطل الدستور وحل المندوب السامي الفرنسي المجلس النيابي

وقد كان سبب حل المجلس على ماهو مشهور موقف الشيخ محمد نفسه من قضية رئاسة الجمهورية فانه رحمه الله رشح نفسه لرئاسة الجمهورية وأيده في ترشيحه أكثر النواب ، ولكن بطريرك الموارنة ملأ سماء فرنسا صراخا وعويلا لكي لا يكون على رأس لبنان حاكم مسلم ، وصور ذلك لوزارة الخارجية الفرنسية بصورة خرق للنواميس والتقاليد المعروفة عنيا مع النصارى عامة والمارونية خاصة، ولم ينفع معه اقناع المفوض السامي المسيو بونسو أنه لم يكن يرى بأساً بنجاح المسلم بنيل هذا المنصب ، فظل البطريرك مصراً على رأيه يطالب فرنسة بتعصب صليبي صريح أن توسد رئاسة الجمهورية اللبنانية لشخص مسيحي لانه مسيحي حتى اضطرت وزارة الخارجية الى تنفيذ ارادته وأمرت المفوض السامي ببذل كل نفوذه لتحقيقه. فحاول حمل الشيخ على الانسحاب فأبى وأصر على ترشيح نفسه حتى النهاية. وبعد مرجعات كثيرة أمرت وزارة الخارجية مفوضها السامي بحل المجلس وتعليق الدستور عند عدم النجاح في انتخاب المرشح المسيحي ففعل .

(١١) عزم الشيخ محمد عقب هذه التجربة عزما قاطعا على ترك الحياة السياسية لانه اذا اشتغل بشيء وجه له كل قواه؛ فانقطع للاشتغال بالعلم والمطالعة والتأليف فوضع مصنفات أهمها سيرة حياة والده مفصلة كان من مادتها ما كتبته له بطلبه ثم وعدني بعرضها علي قبل نشرها ، ودون مذكراته السياسية وما كان اعراضه عن مناصب الحكومة بصارف للوجوه عنه ، بل ظل محترما مبجلا محبوبا من الجميع حتى الافرنسيين أنفسهم ، وبقي كذلك لا يفكر بالحياة السياسية ولا تبدر منه أقل بادرة تدل على التقرب من رجال السياسة وطنيين واجانب الى أن وافاه الاجل المحتوم في التاريخ الذي بيناه في الجزء الماضي، فكانت نهايته في كل أمر خيرا من بدايته، وانما الاعمال بالخواتيم ، غفر الله لنا وله وأدخلنا برحمته في عباده الصالحين

كلمات في الوحي المحمدي

أنشر هنا بعض ماجاءني من المكتوبات الخاصة لبعض قراء كتاب (الوحي المحمدي) من طبقات أهل العلم والرأي في الاقطار المختلفة فيما كان له من التأثير في أنفسهم

﴿ كلمة عجلى لرب السيف والقلم، العالم العلم، سليمان باشا الباروني ﴾

حضرة العلامة الجليل، المتفاني في اعلاء كلمة الله واحياء سنة رسول الله، فخر محققي العصر، الاستاذ السيد رشيد رضا دام موفقا

السلام عليك من أخ لك في الله مولع بتتبع أخبارك، ومطالعة آثارك، معجب بجهادك في دفع شبه الملحدين، وتأييد حجج المؤمنين. هذا وقد تلقيت بيد الاحترام هديتك الثمينة «مؤلفك الوحي المحمدي» فتتبعت - بشغف زائد - أبوابه، وتصفحته على سبيل الاجمال (الآن) فكان في نظري سيفا بتاراً لرقاب أعداء الدين، وحجة بالغة للمؤمنين، فلله جهادك العظيم، ولله قلمك الفياض

أمدك الله بروح من عنايته، ووفق رجال الاسلام الى اقتنائه والعمل لما فيه، وسأكتب اليك غير هذا بعد أن أتفرغ لمطالعته مع تأمل ان شاء الله، ودم معززاً ترسا للاسلام

بغداد في ٢٤ صفر سنة ١٣٥٣ من أخيك المخلص
سليمان الباروني

﴿ الكتيب الوجيز، المغني عن الوسيط والبسيط، للاستاذ المستقل ﴾

(عبد الرحمن بك فهمي، أمين السر لتأسيس الوفد المصري من مصطافه في النمسة)

سيدي الاستاذ الجليل، السلام عليك ورحمة الله وبركاته (وبعد) فقد فرغت من تلاوة مؤلفك الفذ (الوحي المحمدي) ولا أقول فيه أكثر من أنني لم أعثر مدة حياتي على كتاب انشرح له صدري، واطمأن له قلبي، وارتاحت له كل

مشاعري، بعد كتاب الله غير «الوحي المحمدي» فجزاكم الله خير الجزاء عن الاسلام والمسلمين. وان هذا المؤلف الجليل القدر، لجدير بأن يقتنيه كل مسلم ويتلوه مثنى وثلاث ورباع ،وهكذا حتى يستوعب كل مافيه من درر وآيات بينات ، يرد بها بقدر استطاعته أقوال الملحدين من أمته ، ويدفع به سيل المهاجمين من غيرهم

متعك الله بالصحة والعافية لتبقى ذخراً للاسلام والمسلمين ، والسلام عليك وعلى من تحب وتختار ؟ فينا في ٥ يوليه سنة ٣٤ المخلص

عبدالرحمن فهمي

﴿ كلمة سعادة عالم التاريخ ، ومربي العلماء والاستاذين ﴾

أمين باشا سامي الشهير

حضرة صاحب الفضل والفضيلة العالم العلامة الاستاذ الشيخ رشيد منشيء المنار ، ومصدر العلم والمفيض على العالم أسطع الانوار

اليوم بحمد الله أتممت مطالعة كتابك الجليل (الوحي المحمدي) فحيا الله منك براعتك وإخلاصك ،فقد صورت فيه عواطفك الشريفة فأبدعت تصويرها حتى زهاها الحسن ،فأهنئك بهذه المكانة السامية من الادب والتوفيق الى أقوم المراتب العالية في تفسير آي الله الكريم ، وأشكر لك شكر المخلص الحميم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟ الداعي أمين سامي

محطة رشدي باشا برمل الاسكندرية في ٦ اغسطس سنة ١٩٣٤

(تقريظ علامة الاكراد الشيخ عمر القره داغي)

(المدرس بكردستان العراق في بلدة سليمانية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المؤيد رسالته ببراهين هادية لأولي الالباب ، وعلى آله وصحبه وتابعيهم الى يوم الحساب

(وبعد) فقد وقفت على كتاب الوحي المحمدي للعلامة المشهير ، والفهامة

النحرير، السيد محمد رشيد رضا أطال الله عمره، فوجدته حاويا لحقائق قامعة لغياهب شبه المتمردين والمبتدعين، وفوائد ترشد المتحيرين، وفلكا مشحونا بدرر فرائد الشواهد النقلية الباهرة، وفلكا مرصعا بكل كوكب دري توقد بالنكت والدلائل العقلية القاهرة، وقد أتقن فيه براهين اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ وما يتعلق بها واستقصاها، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وخلص فيه نكتا قرآنية بحيث لم ينسج أحد على منوالها، ولم تسمح قريحة بمثالها، ويذعن بها العالمون، ولا يجحد بها إلا القوم الظالمون، فشكرت الله تعالى على تزيين عصرنا بوجود هذا الحبر الذي هو علامة الزمان، ولا يختلف في كمال فضله اثنان، لازال مستخرجا من بحر علومه أمثال هذه الجواهر، ومتلألأ من سماء فضائله هذه النجوم الزواهر، أداء الله نفعه للمسلمين، ووفقه على نشر هذه الآثار المؤيدة للدين، والدافعة لظلمة أوهام المبطلين، بجاه سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

ابن القره داغي عمر

﴿ تقريظ الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الحميد الامام بقرية (ته نكي سدر) ﴾

التابعة للسليمانية

بعد تقديم مقامات الاحترام، وتبليغ قصارى مدارج السلام، الى محضركم الملفوف بالعلم المذاب، والكمال المستطاب:

إن سعيكم في سبيل توطيد أركان الدين المبين لمشكور، وعملكم لتوثيق عرى المودة بين طوائف المسلمين لمأجور، وجهادكم للذب والدفاع عن حوزة الاسلام لمبرور، ولا يخفى لدى ذوي البصائر ما لأناملكم الشريفة من اليد الطولى على آحاد المؤمنين، ولخريطة خيالكم الوقادة من الرئاسة العظمى على الناس أجمعين

فلله الحمد والمنة والشكر والنعمة والثناء، حيث لا يترك أمر هذه الامة اليتيمة شتى، ولا يجعل شأنها بينها متفرقة فوضى، بل يبعث في كل عصر من يجمع لها شملها، ويلم شعثها، من ينكر مالكم على العالم الاسلامي من النعمة العظمى،

والفضيلة الكبرى ، مع أن ما تقاسونه من السهد والسهر خلال الليالي والايام ، وما تتجرعونه في الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، وهي الحنيفية البيضاء ، والشريعة السمحة الأحمدية الغراء ، من المرارات التي لايفي بها التقرير ، ولا يبلغها التحرير ، لان الوجدانيات لاتنال بالتعبير ، فجزاكم الله عن الاسلام والمسلمين آمين

وإن مما هز العالم وفي الآفاق لمع ، وسر آدم وبنيه أجمع ، إلا من في قلوبهم أكنة ، وعلى أبصارهم غشاوة ، وأسدلوا على مخيلتهم الجهالة والغباوة ، تصنيف لطيف نبع من مناهل أنامل حضرتكم الاستاذ ، وتفجر من ينبوع جمجمة ذلك الفاضل اللاذ ، فانتشر في الآفاق صيته وصداه ، واشتهرت لدى الفضلاء والعقلاء لطافة مبناه ، ولا غرو لان موضوعه موضوع طالما طاف حوله الفحول ، وتزاحموا عليه بالمعقول والمنقول ، الحق يقال ما أتوا بالمصفى الغربل ولا بالمنقى المنخول ، وهو إثبات الوحي المحمدي ، المتوقف على إثبات الوحي المطلق توقف الكل على الجزء المادي ، المستدعى لاثبات عالم الغيب الذي هو ركن بل أساس للديانات كلها ، برد كيد الماديين على نحورهم بالادلة والبراهين الواضحة ، والسلطان والحجج اللائحة ،

نعم ان الامور مرهونة بأوقاتها ، وإن زماننا هذا لأحوج الازمان الى هذا الكنز الثمين ، الا يرى أن الحق منكوب بدعايات الزنادقة المارقين ، بدوام الخافقين في المشرقين ، ولعمري إن من غاص بالفكر في مستجادات ذاك العباب ، وسرح النظر في مكنونات ذلك الكتاب ، يستبين أن الديانة الاسلامية في الكفة الراجحة ، وإن نبيه عليه السلام جاء بالحجة الواضحة ، وإنه لنبي عظيم مؤيد من الله القادر ، لم ير له مثلا إنسان عين الانسان ، ولن يراه أبدا ، فاني أرجو من حضرتكم أن تسمحوا من ذلك الكتاب بنسخة أو نسختين كيلا لا يحرم بلادنا عن شذاه ورياه ، يربحكم الله في الدارين به وبأمثاله التي هي من ثمار حياتكم النافعة ، وهذا الحقير لايتعاطى مايعود عليكم بالغبن والخسران ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الحميد الامام

الحج في طوره المدني المترف

كان كثير من المسلمين يحجون إلى بيت الله الحرام رجالا أي مشاة على أقدامهم حتى إن هارون الرشيد حج ماشيا ، وأكثرهم يحجون ركبانا على لابل ، وبعضهم على الخيل والبغال والحمير ، وكان بعض أهل الاقطار البعيدة عن الحجاز في الشرق والغرب الذين وراء البحار أو في جزائرها يركبون السفن الشراعية فيقاسون في مصارعتها للأمواج وعواصف الرياح أهوالا ، يرون فيها من الموت صنوفا ألوانا ، وكانوا ينفقون في سفر الحج أموالا عظيمة ، وربما استغرق سفر الحج سنة أو أكثر ، وكان مريد الحج يوطن نفسه على الموت فيكتب وصيته ويودع أهله لبعد المشقة وشدة المشقة ولفقد الامن على الانفس والاموال ، وكانوا يعدون ماينفقونه في سفر الحج أفضل نفقاتهم ، ويعدون فضلها في تطهير أنفسهم وتزكيتها ماينفقونه في نفس الحرمين الشريفين من الصدقات والقربات على أهلهما ، مهما يكن من عنائهم فيهما

ولما أنشئت البواخر الكبار المواخر في جميع البحار قربت المسافات ، وقلت النفقات ، ولكن أصحابها من شعوب الفرنجة المستعمرين للاقطار الاسلامية تواطؤا على معاملة الحجاج فيها اسوأ من جميع أصناف المسافرين ، ليصرفوا أكثر أغنياء المسلمين المترفين عن الحج وزادوهم رهقا بما وضعوا من النظم الشديدة للحجر الصحي عليهم ، ووافقتهم الحكومة المصرية على ذلك فكانت معاملات رجالها للحجاج في موانيها ومحاجرها أقسى من كل يقاسونه في غيرها شدة وإهانة ونفقة ولا تزال تعد أرض الحجاز بيئة وبائية بسوء خضوعها للسيطرة الاوربية ، وقد مرت عشرات من السنين لم يقع فيها وباء في الحجاز ، ومن المعلوم بالقطع انه ماوقع وباء فيه من قبل إلا منتقلا اليه من غيره من الاقطار ولا سيما الهند ، ولا تزال الحكومة المصرية تفرض على من يسافر الى الحجاز لاداء فريضته ومن يعود منه معاملة شاذة مرهقة لاتعامل بمثلها من يسافر من الهند أو يجيء منها ، على أن وطأتها خففت في السنين الاخيرة ، وقد دخل موسم هذا العام في طور جديد من الراحة والسهولة والاقتصاد والانتظام بما أعدته له شركة بواخر مصر في باخرتيها زمزم والكوثر ، وسنبين ذلك في مقال آخر مع مايجب على الحجاج في دينهم شكرا على هذه النعم عليهم

﴿ الجزء الثامن ﴾ ١٣٥٣ ﴿ المجلد الرابع والثلاثون ﴾

المنار

١٣١٥

الاشتراك : ثمن سنة ١٠٠ قرش مصري (صاغ) في مصر و ٢٥ شلنا ذهبا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

تنبيه : يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشئ المجلة والمستلم ويجب الدفع سلفا

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

﴿ عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤ ﴾

﴿ والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩ ﴾

المجلدات الثاني والثالث والخامس من المنار

مطلوبة لدار المنار فنرجو ممن توجد عنده كلها أو بعضها ويرغب أن يستبدل بها غيرها من المجلدات أو من تفسير المنار أو غيره من مطبوعات المنار أن يخاطبنا في ذلك

شبهات النصارى وحجج الاسلام

ونحتاج لنسخة من هذا الكتاب وهو من تأليف صاحب المنار ونعطي بدله نسخة من كتاب الوحي المحمدي أو كتاب المنار والازهر أو رسالة التوحيد أو تفسير الفاتحة مع السور الست من خواتيم القرآن

(تفسير القرآن الحكيم)

تتمة خلاصة سورة هود الاجمالية

الباب الخامس في صفات النفس وأخلاقها أسلوب القرآن المعجز في الاخلاق الخ ٥٦١

(الفصل الاول)

في المساوي وأعمالها وعاداتها وهي ٢١ مسألة ٥٦٣ — ٥٧٣

(الفصل الثاني في الفضائل النفسية والعملية) وهي ٢١ فضيلة ٥٧٤ — ٥٧٩

(الباب السادس في السنن الالهية) ٥٧٩

الفصل الاول في سنن التكوين والتقدير وفيه خمسة أنواع ٥٧٩

الفصل ٢ سنن الغرائز البشرية وفيه تسعة أنواع ٥٨٢

(الفصل ٣ في سنن الاجتماع والعمران) وفيه بضعة عشر شاهدا ٥٨٤

(باب فتاوى المنار)

(٢٣ — ٢٦) في علاقة الجن والشياطين بالبشر ٥٩٠

(باب المقالات)

مقدمة كتاب تفسير الفاتحة وخواتيم القرآن وملحقاته ٥٩٣

(انذار واستتابة لمسلمي فلسطين) وخطر اليهود عليهم وعلى العرب كافة ٦٠١

(قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث) تعريف بالكتاب ٦١٣-٦٢٨

كتاب الامام ورأيه في تفسير المنار وفي مؤلفات صاحبه ٦٢٩

جواب المنار العام ، بعد جواب صاحبه الخاص ٦٣٠

الحاد في القرآن جديد لابتداع مذهب أو دين ٦٣١ — ٦٤٠

بحث تحليلي في مشكلة المرأة

ومكانها الطبيعي من المجتمع

لقد أصبح الجمهور في حيرة من شأن المرأة وهل الخير لها وللمجتمع أن تسير سيرتها الاولى ، أم في سيرها الجديد من مزاحمتها للرجل في ميادين الحياة والاعمال ، وهل تساعدها طبيعتها على ذلك ، لقد تصدي لهذا البحث الهام عالم اجتماعي كبير فبين ما يجب للمرأة وعليها والمركز اللائق بها في الحياة ، ونقل عن فلاسفة الغرب ما يؤيد نظريته ، وطبعه على ورق جيد ويطلب من مكتبة المنار بشارع الانشا بمصر وثمنه ٣ صاغ خالص أجرة البريد — ارسل القيمة طوابع بريد مصرية يصلك الكتاب

(الجزء الثامن) ٥٦١ (المجلد الرابع والثلاثون)

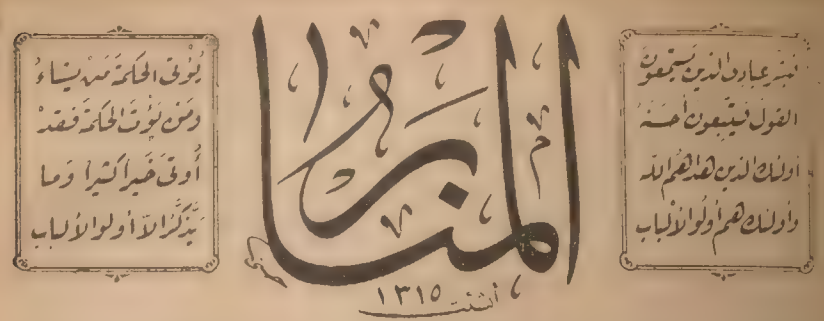
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
المنار
أنشئت ١٣١٥
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٢٩ ذي القعدة ١٣٥٣ برج الحوت سنة ١٣١٣ هـ ش ٥ مارس سنة ١٩٣٥

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(تتمة خلاصة سورة هود الاجمالية)

الباب الخامس

في صفات النفس وأخلاقها من الفضائل والرذائل التى هى مصادر الاعمال من الخير والشر والحسنات والسيئات والصلاح والفساد وفيه فصلان

مقدمة في أسلوب القرآن المعجز في الاخلاق والفضائل والرذائل

للحكماء والصوفية والأدباء والشعراء مناهج وأساليب مختلفة في علم الاخلاق وما يترتب عليها من الاعمال خيرها وشرها ، والعادات حسنها وقبيحها ، كما تراه في كتب أهلها من فلسفة وحكمة ، وأدب وتربية ، وحكايات تمثيلية لوقائع بين الناس أو أساطير الاولين ، أو على ألسنة الحيوان ، أو خرافات الشياطين والجان ، تبارى

في تصنيفها علماء الشعوب في عهد حضارة كل منها ، وفي كل منها فوائد اقرائها بقدر استعدادهم ، وأخطاء ينكرها بعضهم على بعض ، ولم تهتد أمة من الامم بكتاب منها كما اهتدى اتباع الانبياء المرسلين الذين آمنوا لهم في دينهم

وعند الامم المتدينة كتب مقدسة في أصول أديانها وآدابها يعزى بعضها إلى الوحي الالهي وبعضها إلى مواعظ الانبياء و الصالحين من سلفها ، وعلاها الاحاديث الشريفة المسندة إلى نبينا محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ رويت منثورة متفرقة ، ثم جمعت في دواوين مرتبة ، فما تجد من خير وفضيلة عند هؤلاء الامم فهو من تأثير اتباع هذه الكتب وما حفظوا وفقهوا منها ، وما تجد من شر وباطل فهو من فلسفة رؤساء الدين والدنيا واضلالهم إياهم عنها ، أو تحريفهم لها ،

وأما القرآن فلا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء من هذه الكتب في أسلوبه ، ولا في منهاجه وترتيبه ، ولا في تربيته وتأديبه ، ولا في تأثيره فيما يحمده ويرغب فيه ، ولا فيما يذمه ويزجر عنه ، فيه كل ما يحتاج اليه المكلفون لتزكية أنفسهم وتطهيرها عقلا و نفسا وخلقا ، وكأنه ليس فيه شيء منها تصنيفا ووصفا ، فمن تلاه حق تلاوته ، وتدبره حق تدبره ، وجد كل علم وحكمة ، وخير وفضيلة ، وبر ومكرمة ، حاضراً في نفسه ، وكل جهل وشر كان ملتاثا به أو عرضة له كأن بينه وبينه حاجزاً كثيفا ، أو أمداً بعيداً ، ولكنه لا يجد شيئا من هذا ولا ذاك في سوره مدلولا عليه بعناوينه كما يجده في أبواب الكتب التي صنفها علماء البشر وفصولها ، فمقاصده ومعانيه ممزوج بعضها ببعض في جميع سوره ، طوالها وقصارها ، بل في جملة آياته منها ، لاجل أن يرتل بنغمه اللائق به ترتيلا ، ويتعبد بتدبر ما فصله من آياته تفصيلا ، فجملة القول فيه انه هو أعلى من كل ما عهده البشر وعرفوه صورة ومعنى ، وهداية وتأثيراً ، كما فصلناه في كتاب (الوحي المحمدي) مقتبسا من هذا التفسير ، ولاسيما اجمال كل سورة فسرت فيه بعد تفصيل ، وتأمله في فصلي هذا الباب ، وما هو ببدع من سائر الابواب .

يقرأ كثير من الناس هذه السورة فلا يكادون يفطنون لما فيها من بيان فضائل الرسل والمؤمنين التي يجب التأسي بها ، ومساوي الكفار التي يجب تطهير

الانفس منها ، فمن قرأ منهم تفسيرها في أكثر كتب التفسير المتداولة كانت أشغل شاغل له عن ذلك بمباحث الفنون العربية والمجادلات الكلامية ، والاساطير الاسرائيلية ، ومن يهمه العلم الذي يعينه على تهذيب نفسه صار يطلبه من كتب الاخلاق والادب والتصوف دون القرآن ، وهو هو الذي قلب طباع الامة العربية كلها وزكى أنفسها ، وسوّدها على بدو العالم وحضره منذ الجيل الاول من اسلامها ، إلى أن أعرضوا عن هدايته وأدبه اشتغالا بفلسفة الشعوبية وآدابها ، أو تنازعا في زينة الدنيا وسلطانها ، فكانوا يبعدون عن الحق والعدل والفضل والسيادة والملك بقدر ما يبعدون عن هداية القرآن فيها

انني بعد أن كتبت تفسير السورة ونشرته وشرعت في كتابة هذه الخلاصة تأملت السورة في المصحف الشريف وحده فوقفت في هذا الباب منها أطول من وقفاتي فيما سبقه من الابواب ، فرأيت في تضاعيف الآيات من دعوة نبينا ﷺ في فاتحتها وخاتمتها ، ومن قصص الرسل في وسطها ، زهاء عشرين مسألة في عقائل الفضائل ومكارم الاخلاق وأحاسن الاعمال ، ومثلها في فساد النفس باتباع الهوى ، واجتناب الهدى ، بعضها يخص العقل والفهم ، والعلم والجهل ، وبعضها يخص الخلق والعادة والاعمال ، لهذا جعلت هذا الباب في فصلين أعد في كل منهما مسائله عدا بقدر ما لاح لفهمي منها

﴿ الفصل الاول ﴾

(في مساوي النفس العقلية والخلقية وسيئات الاعمال والعادات وفيه ٢١ مسألة)

﴿ المسالة الاولى خسارة النفس ﴾

أبدأ بهذه المسألة وان كانت نتيجة تابعة لمفاسد ذكرت قبلها سيأتي ذكرها ، لغفلة أكثر الناس في عصرنا عنها ، على تكرار ذكرها في القرآن ، وانفراده دون جميع كتب العلم البشرية والسماوية بالتذكير بها ، فقال في الظالمين لأنفسهم بالافتراء على الله الصادين عن سبيله يبغونها عوجا ، الذين فقدوا الاستعداد للانتفاع بسمعهم وأبصارهم (٢١ أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل ما كانوا

يفترون (٢٢) لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون) ثم ذكر أضدادهم من المؤمنين الصالحين ، وضرب للفريقين مثل الاعمى والاصم والسميع والبصير ، فكان هذا آخر ما افتتحت به السورة من الكلام في رسالة خاتم النبيين ﷺ ومعنى هذه الخسارة هنا يفهم مما قبل الآيتين وما بعدهما وخلاصته أن فطرتهم الانسانية فسدت كلها فنقدت استعدادها الخاص بها الخ أرأيت من خسر نفسه فأي شيء بقي له ؟ أيغني عنه ربح تجارته وكثرة ماله وجاهه بالباطل ؟ كلا ، إنك تفهم من معنى هذه الكلمة الكبيرة المرعبة باستعمال عوام المصريين لها ما لا تفهمه من مثل تفسير الجلالين ، يقولون فيمن فسد خلقه وضاع شرفه وصار مهينا محتقرا : فلان خسر — أي ذهبت مزاياه وفضائله حتى لم تبق له قيمة في الوجود

﴿ م — الثانية فقد هداية السمع والبصر وهما أول طرق الاستدلال ﴾

وهذا معنى يغفل عنه أكثر الناس أيضا ، ولذلك قرره القرآن كثيرا بأساليب بليغة ، ومنها في هذه السورة قوله (٢٠ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ونكتة اختلاف التعبير فيه أن الانسان يسمع الاصوات وان لم يقصد سماعها ولم يصغ لها ، فالمراد هنا أنهم لشدة كراهتهم أن يسمعوا آيات الله وحججه في كتابه ما كانوا يستطيعون إلقاء السمع له إذا تلي لئلا يسمعوه فيحول لهم عما كانوا فيه كما يدل عليه قولهم (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها) ولو ألقوا السمع لما سمعوا سماع فهم وتأمل ، ولو سمعوا لما عقلوا وفقهوا كما قال في الانفال (٨: ٢١ — ٢٣) وقال هنا حكاية عن قوم مدين (٩١ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول) وكذلك ما كانوا يبصرون الآيات المرئية إذا هم نظروا دلائلها ومنها رؤية المصطفى ﷺ ولذلك قال فيهم (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) ووضح هذا بضربه المثل لهم وللمؤمنين بقوله فيهما (٢٤ مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع والبصير)

﴿م — الثالثة الشك والارتياب في دعوة الرسل﴾

وصف القرآن الكفار بهذا في قوله تعالى حكاية عن قوم صالح (٦٢ أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإنا لفي شك مما تدعونا اليه مريب) ومثله في قوم موسى الذين اختلفوا في كتابه قال (١١٠ وانهم لفي شك منه مريب) وفي سائر السور كثير من هذا وأمثاله ومنه وصفهم باتباع الظن وبالخرص ونفيه العلم عنهم، فهذه شواهد في وصف حالهم العقلية وردت في سياق قصصهم دالة على مطالبة الاسلام الناس بالعلم وفقه الشرائع وبراهين العقائد، وانى لهم به والتقليد يصدهم عن النظر العقلي الموصل اليه؟

﴿م — الرابعة التقليد﴾

المراد منه اتباع بعض الناس لمن يعظمه أو يثق به أو يحسن به الظن فيما لا يعرف أحق هو أم باطل، وخير هو أم شر، ومصلحة أم مفسدة، وأصل التقليد في اللغة تحلية المرأة بالقلادة أو الرجل بالسيف أو الهدي بما يعرف به (وهو بالفتح ما يهديه مريد النسك إلى الحرم من الانعام) وتقليده أن يعلق عليه جلدة أو غيرها ليعرف انه هدي فلا يتعرض له، ومنه تقليد الولايات والمناصب، يقال قلده السيف أو العمل فتقلده، وقولهم قلد فلان الامام الشافعي مثلا معناه جعل رأيه وظنه الاجتهادي في الدين قلادة له، والاصل أن يقال تقلد مذهب الشافعي. وعرف الفقهاء التقليد بأنه العمل بقول من لا يعرف دليله، وقد نهى الأئمة المعروفون الناس عن تقليدهم في دينهم، وقالوا لا يجوز لأحد أن يتبع أحدا إلا فيما عرف دليله وظهر له أنه حق، فالعالم مبين للحكم لا شارع له، والتقليد بهذا المعنى شأن الطفل مع والديه والتلميذ مع أستاذه، وهو لا يليق بالراشد المستقل، ولكن المرءوسين مع الرؤساء والعامة مع الزعماء والامراء كالاطفال مع الامراء المستبدين، وتلقي النصوص القطعية والسنن العملية عن ناقليها ليس بتقليد لهم، وكذا أخذ الفنون والصناعات عن متقنيها ولكن تشبه الشرقيين بالافرنج فيما لا باعث عليه الا تعظيمهم لانهم أقوى منهم ولا سيما أزياء النساء والعادات كله من التقليد الضار، الدال على الصغار

ولما كان الاسلام دين الرشد والاستقلال أنكر على العقلاء البالغين المكلفين جمود التقليد على ما كان عليه آباؤهم من أمر دينهم ودنياهم لا لأجل أن يقلدوا آخرين من أهل عصرهم ويسنوا لمن بعدهم تقليدهم، بل ليكونوا مستقلين في طلب الحقائق من أدلتها، وعلله بقوله تعالى (أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون) على ما بيناه في مواضع من هذا التفسير متفرقة، ثم في كتاب الوحي المحمدي مجتمعة، وفي قصص هذه السورة من حكاية هذا التقليد عن ثمود (٦٢ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) وعن مدين (٨٧ قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما كان يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء؟)

ومن عجائب الجهل بالقرآن أن يعود الخلق الكثير من مدعي اتباع القرآن إلى التقليد — لا تقليد أئمة العلم المتقدمين الذين نهوهم عن التقليد اتباعا للقرآن — بل تقليد آبائهم وشيوخهم المتأخرين المقلدين حتى فيما ابتدعوا أو قلدوا أهل الملل من عبادة غير الله بدعاء غير الله والنذر لغير الله، وشرع ما لم يأذن به الله، ولئن سألتهم ليقولن ليس هذا بعبادة لغير الله، بل توسل إلى الله وتقرب اليه؟! فان قلت لهم ان هذا ما كان يقوله المشركون الذين قاتلهم لاجله رسول الله ﷺ آل أمرهم إلى الاستدلال على الشيء بنفسه وهو تقليدهم من يفعل فعلهم أو يقره من مشايخ الازهر ومشايخ الطريق، فان قلت لهم: إن هؤلاء مخالفون لنصوص الكتاب والسنة وللائمة الذين يدعون اتباعهم؟ قالوا انهم أعلم منا بما كان عليه الائمة المختصين بفهم الكتاب والسنة * فما أضيع البرهان عند المقلد * ولو كان التقليد حجة مقبولة عند الله لقبلها من مقلدي جميع الامم والملل فانه هو الحكم العدل، لا يظلم ولا يحابي بعض عباده على بعض

﴿م — الخامسة الاختلاف في الدين﴾

الاختلاف طبيعي في البشر وفيه من الفوائد والمنافع العلمية والعملية مالا تظهر مزايا نوعهم بدونه، وفيه غوائل ومضار شرها وأضرها التفرق والتعادي به، وقد شرع الله لهم الدين لتكميل فطرتهم والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه بكتاب الله

الذي لا مجال فيه للاختلاف، ولكنهم اختلفوا في الكتاب المزيل للاختلاف أيضا، فاستحق الذين يحكمونه فيما يتنازعون فيه رحمة الله وثوابه، والذين اختلفوا فيه سخطه تعالى وعقابه، وذلك مابينه في الآية ١١٩ في خاتمة هذه السورة، وما تفسيرها الحكيم منك ببعيد

هذا مايتعلق بالعقل والعلم والفهم من هذه الرذائل، وهاك الشواهد الخاصة بصفات النفس من الاخلاق والاهواء والاعمال، تابعة لما قبلها في العدد

﴿م — السادسة اتباع الاتراف وما فيه من الفساد والاجرام﴾

بين الله لنا في خواتيم هذه السورة الاسباب النفسية لهلاك الامم الذين قص علينا أنباء إهلاكهم فكانت الآية (١١٦) أجمعها للمعاني والمراد منها هنا أن مثار الظلم والاجرام الموجب لهلاك أهلها هو اتباع أكثرهم لما أترفوا فيه من أسباب النعيم والشهوات واللذات، والمترفون هم مفسدو الامم ومهلكوها، وفي معنى هذه الآية آيات أخرى في سور الاسراء والانبياء والمؤمنون وسبأ والزخرف والواقعة، ويؤيد مضمونها علم الاجتماع الحديث ووقائع التاريخ، وإن كل ما نشاهده من الفساد في عصرنا فمثاره الافتتان بالترف واتباع ما يقتضيه الاتراف، من فسوق وطغيان وافراط واسراف.

علم هذا المهتدون الاولون بالقرآن من الخلفاء الراشدين، وعلماء الصحابة والسلف الصالحين، فكانوا مثلا صالحا في الاعتدال في المعيشة، أو تغليب جانب الخشونة والبأس والشدة، على الخنوثة والمرونة والنعمة، فسهل لهم فتح الامصار، ثم أضاعها من خلف بعدهم من متبعي الاتراف، فانظر كيف اهتدى السلف الصالح بالقرآن وحده وبيان السنة له إذ خرجوا به من ظلمات الجاهلية، إلى نور العلم والعرفان والحكمة، ثم كيف ضل الخلف الطالح عنه بعد أن استفادوا العلوم والفنون والملك والسلطان به؟

﴿ م ــ السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة ﴾

(ضعف العزيمة ، وما يلزمه من اليأس من رحمة الله، أو فرح البطر والغرور وما يلزمه من الأمن من مكر الله)

تأمل في هذه الصفات النفسية الآيات الثامنة والتاسعة والعاشرة واقرأ تفسيرها فانها تصورها لك ماثلة أمام عينيك في الحالتين المتضادتين اللتين تعرضان للمترف الخوار ، والكفور الختار اذا أذاقه الله نعماء بعد ضراء مسته ، إذ ينسيه فرح البطر الاعتبار وشكر المنعم فيأمن مكر الله، واذا نزعت منه بذنبه ، نعمة كان ذاقها من رحمة ربه ، إذ يخونه الصبر فييأس من رحمته ، ثم كيف استثنى الصابرين الذين يعملون الصالحات ، تجد في نفسك من العظة والاعتبار ، مالا تجده في قراءة المطولات من تلك الاسفار

﴿ م ــ الحادية عشرة حصر الارادة في شهوات الحياة الدنيا وزينتها ﴾

(دون الآخرة والاستعداد لها)

خلق الله تعالى هذا الانسان مستعداً لعلوم ومعارف لاحد لها ، فجعله خليفة له في الارض (وعلم آدم الاسماء كلها) ولذلك ترى الناس يبحثون عن جميع الموجودات مما في الارض وفي السموات، من كشف عن قطبي الارض وشناخيب أعلى الجبال، وغوص في أعماق البحار، وتحليق في أقصى محيط الهواء ، بل تجاوزوا كل هذا الى رؤية ما فوقه من شموس وأقمار ، وما تتألف منه من ضياء وأنوار ، وما فيها من عجائب وأسرار، ويبذلون في سبيل ذلك الاموال والشهوات والحياة أيضاً، وهم مستعدون بفطرتهم الروحية للوصول إلى ماهو أعلى من ذلك كله من عالم الغيب والوصول إلى العلم الاعلى بالله الواحد القهار، ومعرفته معرفة كشف ورؤية بالبصائر يغشى نورها الابصار ، بالتجلي الذي ترفع به أكثر الحجب والاستار، بغير كيف ولا حد ولا انحصار ، في حياة بعد هذه الحياة الدنيوية ، المقيدة فيها أرواحهم بهذه الاشباح الكثيفة الجسدية ، وان له تعالى هنالك لتجليات لعباده

المقربين ، كما تجلى كلامه في الدنيا لاسماعهم وأبصارهم وعقولهم وقلوبهم بما يعلو كلام المخلوقين .

أفليس من الحماقة والجناية على هذا الاستعداد العلوي العظيم ، أن يجعل هذا الانسان إرادته محصورة في هذه الحياة المادية ، وزينتها الجسدية ، فيكون منكراً أو كالمنكر لتلك الحياة الابدية ؟ بلى وذلك قوله تعالى (١٥ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ١٦ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) وما في معناهما من الآيات ،

(فان قيل) وما تفعل بقوله تعالى (٣٢:٧ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) الآية (قلت) انما كانت للمؤمنين في الدنيا بالاستحقاق ، وإن شاركهم غيرهم بالكسب وسنن الاسباب ، لانهم هم الذين يشكرونها لله ولا تشغلهم عنه فتكون إرادتهم محصورة في التمتع بها ، كيف وهم الذين قال فيهم (٥٢:٦ و ٢٨:١٨) واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) فالمؤمن الشاكر الصابر تزيده النعم شوقا الى الله وحبا ، والشدائد معرفة بالله وقربا

﴿م—الثانية عشرة : ازدراء الكفار المستكبرين ، للفقراء والضعفاء من المؤمنين﴾

كان الملأ المستكبرون من الاقوام ، المغرورون بالمال والجاه ، هم أول الذين يجحدون آيات ربهم ويكذبون رسله ، لانهم يرون في اتباعهم لهم غضاً من عظمتهم ، وخفضا من علو رياستهم ، ووقوفا مع الدهماء ، حتى الفقراء والضعفاء ، في صف التابعين لاولئك الانبياء ، وجعلهم مثلهم مرءوسين لهم ، كما حكاه التنزيل عن جواب ملأ فرعون لموسى وأخيه (ع. م) بقوله (١٠ : ٧٨ قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض ؟) كما كان الذين يسبقون إلى الايمان بهم من هؤلاء الضعفاء والفقراء وكذا الوسط ، ولهذا كان الكبراء المستكبرون يزدادون إعراضا عن الانبياء وعداوة لهم كما بينه التنزيل مراراً

وتكراراً ، ومنه في قصة نوح (٢٧ — ٣١ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي — الى قوله عليه السلام — ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً) ومنه تهديد مدين لرسولهم شعيب (ع.م) بالرجم هنا لولا رهطه، وتهديده ومن آمن معه في سورة الاعراف بالنفي والاخراج من أرضهم ، ومنه تهديد فرعون لموسى وأخيه ، وما فعله مشركو مكة برسول الله وخاتم النبيين من التهديد بالقتل أو الحبس أو الاخراج من وطنه ، وقد فعلوا ما استطاعوا ، وكذلك يفعلون بدعاة الاصلاح وكل من يرشد الشعوب إلى مقاومة الظلم والاستبداد، والرياسة الطاغية المتكبرة في كل زمان ومكان ، فهذا الارشاد الرباني في كتاب الله تعالى عام دائم لانهاية له ، ولا غنى عنه. وقد غفل أهل القرآن عنه

﴿ م — الثالثة عشرة : الصد عن سبيل الله وبغيها عوجا ﴾

كان الظالمون المعاندون للرسل يستهزئون بدعوتهم ويزدرون أتباعهم من الضعفاء حتى إذا ما كثروا وخافوا منهم قوة الكثرة طفقوا يصدونهم عن سبيل الله أي الطريق الموصلة الى مايحبه لهم من الحق والخير والسعادة ، يصدونهم بكل ما استطاعوا من أسباب الصد كالاهانة والتخويف والتعذيب للضعفاء ، وتزيين العصبية وحب الرياسة والغنى للاقوياء ، ويبغونها عوجا أي يطلبون جعلها معوجة بذمها وادعاء بطلانها وضررها ، وقد ورد هذان الوصفان في الآية ١٩ من سياق رسالة نبينا ﷺ هنا وفي سورتي ابراهيم والاعراف، وفي قصة شعيب من سورة الاعراف أيضا إذ كان قومه يقعدون في كل طريق من طرقهم يصدون الناس عن دعوته ويبغونها عوجا ، وتكرر ذكر الصد عن سبيل الله بدون وصفها بالعوج في سور أخرى، وكذلك يفعل أعداء الاسلام من الملاحدة ودعاة الاديان الباطلة حتى هذا الزمان

(م — الرابعة عشرة: العداوة بالكيد والتهديد والوعيد للرسل)

جاء في قصة هود (ع م) قوله (٥٥ فكيدوني جميعا ثم لاتنظرون) فقد كان يتوقع هذا منهم وهل كان وقع له فقاس المستقبل على الماضي أم علمه من حالهم ، أم

فرض وقوعه فرضا وأنبأهم بعدم مبالاته به ؟ كل جائز . وفي قصة شعيب (ع م) حكاية عن قومه (وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) وفيها من العبرة ان هذا دأب المفسدين في عدواة المصلحين ورثة الانبياء وأشدهم كيدا لهم أهل الحسد والبدع من لابسي لباس العلماء ، وأعوان الملوك والامراء

(م — الخامسة عشرة : افتراء الكذب على الله تعالى)

الدين في حقيقته وطبيعته وعرف جميع الملل تشريع إلهي موضوعه معرفة الله تعالى وعبادته وشكره وتزكية النفس وتهذيبها باجتناب الشر وفعل الخير والتعاون بين الناس على البر والتقوى الخ ومصدره وحيه تعالى لمن اصطفى من عباده لرسالته ، وتبليغهم لما ارتضاه وشرعه لهم من الدين ، فليس لاحد غيره تعالى أن يشرع لهم عبادة ولا حكما دينيا من حرام أو حلال ، ومن فعل ذلك كان مفتريا على الله الكذب ، سواء أسنده اليه تعالى بالقول أم لا ، لان كل ما يتخذ دينا من قول أو فعل أو ترك فهو يتضمن معنى نسبته إلى الله وادعاء أنه هو الذي شرعه ، لان الدين لا يكون إلا منه وله ، وآيات القرآن صريحة في هذا سبق بعضها في السور التي فسرناها ولا سيما الانعام والاعراف والتوبة ويونس ، ومنه في هذه السورة [١٨ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا] الآية ، أي لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا ما ، ومنه القول في الدين بغير علم من عقيدة وعبادة وتحليل وتحريم ، وهو شرك بالله يتعدى ضرره الى عباده ، وبهذا كان أشد جرما وكفرا من عبادة الاصنام وغيرها كما تقدم بيانه في تفسير (٧ : ٣٣ وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ومن ثم كان ابتداع العبادات والتحليل والتحريم في الدين شركا وكفرانا ، إذ الجاهلون يعدونها عبادة يرجون بها ثوابا ويسمون مبتدعيها أولياء لله وأحبابا ، ويجهلون انهم اتخذوهم من دونه أندادا وأربابا [1]

«١» راجع تفسير ٩ : ٣١ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا الآية ج ١١ تفسير

﴿م ــ السادسة عشرة: الاستهزاء بالانبياء وماجاؤا به من الحق﴾

(والسخرية منهم ووصفهم بالسحر)

اقرأ في مسألة السحر الآية السابعة وفي مسألة الاستهزاء بالحق وما أنذروا به من العذاب الآية الثامنة وكلاهما في قوم خاتم النبيين، وفي السخرية الآية ٣٨ في قوم نوح، وفي هذا المعنى آيات في سور أخرى، وتقدمت الشواهد في صفة المستهزئين المغرورين بزعامتهم وثروتهم وإترافهم، واحتقارهم للضعفاء والفقراء في المسائل (١١ ــ ١٤) وهذا نوع منه فلا نطيل في العبرة به وبأهله في عصرنا

﴿م ــ السابعة عشرة: اعتقاد بعضهم أن آلهتهم تنفع وتضر بنفسها﴾

بينا مرارا أن غريزة الشعور بوجود إله للخلق هو مصدر غيبي للنفع والضر بذاته هي أصل الدين الفطري، وان العبادة الفطرية هي التقرب الى المعبود النافع الضار بقدرته الذاتية غير مقيد بالاسباب الكسبية، وان سبب الشرك توهم أن بعض ما في عالم الشهادة يضر وينفع بذاته أو بوساطته عند الرب ذي القدرة الذاتية الغيبية على ذلك. فالشرك دركتان إحداهما أسفل من الاخرى، والظاهر أن قوم هود كانوا في الدركة السفلى إذ قالوا له (٥٤ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) وأما قوم نبينا ﷺ فقد ارتقوا عن هذه الوثنية السفلى، إذ كانوا يعتقدون ان آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولكنها تشفع لهم عند الله تعالى يقولون (٥٩ : ٣ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ونجد أمثالا للفريقين في مدعي الايمان بالقرآن كما بيناه في تفسير تلك الآية وغيرها، فهم يقولون في كل من تصيبه مصيبة من المنكرين لخرافتهم وتصرف أوليائهم في العالم: إن الولي تصرف فيه أو عطبه، وراجع تفسير الآية، والكلام في التوحيد ووظائف الرسل من هذه الخلاصة

كل هذه الرذائل والمخازي المبينة في المسائل السبع عشرة هي من فساد العقائد وصفات النفس الباطنة، ومن الرذائل العملية التي اشتهر بها أولئك الاقوام إسراف بعضهم في الشهوة البدنية، وإسراف آخرين في الطمع المالي، ونجد في قصص هذه السورة منها المسألتين ١٨ و١٩

﴿ م — الثامنة عشرة : استباحة شهوة اللواط واعلان المنكرات ﴾

وهي ما حكاه الله تعالى عن قوم لوط في عدة سور ومنها في هذه السورة الآيات ٧٧ وما بعدها ، وقد بينا مخازيها في تفسير سورة الاعراف

﴿ م — التاسعة عشرة : استباحة أموال الناس بالباطل ﴾

وهو ما حكاه عن قوم شعيب من التطفيف في المكيال والميزان ، وبخس الناس أشياءهم ، والعثي في الارض بالفساد ، واحتجاجهم على ذلك بحرية التصرف في الاموال ، وهو ماحكاه تعالى عنهم في الآيات ٨٤ — ٨٨

(م — العشرون : اجتناب الطغيان والركون الى الظالمين)

الطغيان تجاوز الحد في الشر والركون إلى الظالمين ظلم وهما من أمهات الرذائل فاجتنابهما من الفضائل السلبية التي لاتتم الاستقامة بدونها ، ولذلك عطف النهي عنهما على الامر بها بقوله (ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ١١٤ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) الآية ، وقد أطلنا في الكلام على الركون إلى الظالمين ، وأوردنا فيه أقوال أشهر المفسرين فراجعه في (ص ١٦٩ — ١٨٥)

(م — الحادية والعشرون : الظلم)

جريمة الظلم أم الرذائل كلها لانها تشمل ظلم المرء لنفسه بدنا وعقلا ودينا ودنيا ، وظلمه للناس أفراداً وجماعة وامة ، فكل ماسبق من الرذائل فهو داخل في معناها ، ولذلك جعل اهلاك أولئك القرون عقابا على الظلم ، وترى بيان هذا في الباب السادس من هذه الخلاصة

وجملة القول في هذا الفصل ان كل ما فيه من الرذائل يدخل في باب قسم المحرمات المنهي عنها من الركن العملي من أركان الدين الذي هو عمل الصالحات المستلزم لترك أضدادها ، وأما قسم المأمورات فهو ماتراه في الفصل الثاني وهو :

﴿ الفصل الثانى من الباب الخامس ﴾

(فى الاخلاق والفضائل النفسية والعملية البدنية)

قلنا إن هذه السورة في دعوة النبي ﷺ قومه إلى الاسلام والتثبيت عليها بقصص أشهر الرسل الذين خلو من قبله في جزيرة العرب وما جاورها مع أقوامهم مما يفهمه مشركو قومه وتقوم به الحجة عليهم ، فليس موضوعها بيان تفصيل الفضائل والاعمال الصالحة التي توجه إلى المؤمنين به ، ولكن ما يخصهم منها على قلته ، كثير في معناه وفائدته ، ولهم من الذكرى وما يجب التأسي به من فضائل الرسل غير ما خصهم الله من لوحي والعصمة ، ما يكفي المتدبرين له المعتبرين به في تزكية أنفسهم وجعلهم أسعد الناس بمعرفة ربهم وعبادته وارشاد عباده ، فالفضائل فيها قسمان نسرد لقارئي هذ التفسير ما فهمناه من مسائلهما والشواهد عليها جميعا وهي عشرون

﴿ الاولى والثانية استغفار الرب والتوبة اليه من كل ذنب ﴾

هاتان فضيلتان فريضتان متلازمتان فكأنهما واحدة ، جاء الامر بهما في الآية الثالثة من صدر هذه السورة عقب النهي عن عبادة غير الله عز وجل من دعوة نبينا ﷺ ثم كرر في دعوة غيره في الآيات ٥٢ و ٦٠ و ٩٠ فعلم أنه كان أمراً عاما على ألسنة سائر الرسل (ع . م) وسنذكر فائدتهما العمرانية في الكلام على السنن الالهية من الباب السادس من هذه الخلاصة

﴿ الثالثة الصبر ﴾

ذكر الصبر في صفة المؤمنين في الآية الحادية عشرة من الكلام في رسالته ﷺ ثم أعيد ذكره في آية الاحتجاج على رسالته ﷺ بعد قصة نوح بقوله تعالى له (٤٩ فاصبر إن العاقبة للمتقين) ثم في آخر السورة بقوله تعالى (١١٥ واصبر فان الله لايضيع أجر المحسنين) فراجع تفسيرهما

﴿ الرابعة العمل الصالح المطلق ﴾

ذكر العمل الصالح مع الصبر في آيته الاولى ، ثم ذكر في صفة المؤمنين في الاية ٢٣ وتقدم ذكره في اجمال الباب

﴿ الخامسة الاخبات الى الرب عز وجل ﴾

ذكرت هذه الفضيلة معطوفة على العمل الصالح في آيته الثانية و٢٣ وياها من فضيلة تدل على كمال الايمان والعرفان والفرقان فراجع تفسير الآية في (ص٥٧)

﴿ السادسة الاستقامة كما أمر الله تعالى ﴾

أمر الله رسوله خاتم النبيين في خواتيم هذه السورة بهذه الفضيلة بقوله (١١٣ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) فجعل هذا الامر بعد قصص الرسل فذلكة لفوائدها ، وأشرك معه فيها المؤمنين من أتباعه فراجع تفسيرها (في ص١٦٦) وما فيه من تعظيم شأنها

﴿ السابعة اقامة الصلاة في اوقاتها من النهار والليل ﴾

جاء الامر للرسول ﷺ بهذه الاقامة للصلاة معطوفا على ما قبله من النهي عن الطغيان والركون إلى الظالمين والامر بالاستقامة ، وعلله بالقاعدة العامة في تكفير الحسنات للسيئات ، وأعظم الحسنات الروحية اقامة الصلوات ، إرشاداً لأمته إلى المبادرة إلى تطهير أنفسهم وتزكيتها في إثر كل مايعرض لهم مما يدسيها ويدنسها ، فراجع تفسيرها وتحقيق معنى هذا التطهير فيه بما يرشد اليه علم النفس

(الثامنة والتاسعة : النهي عن الفساد في الارض ، ويلزمه الامر بالصلاح فيها)

(أو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

بعد أن بين الله تعالى لعباده في آخر كتبه على لسان رسوله خاتم النبيين ما يكفره سيئاتهم أفراداً وهو فعل الحسنات التي تمحو أثرها السيء من أنفسهم بين لهم ماهو منجاة للامة والشعب من الهلاك في الدنيا قبل الآخرة وهو وجود

طائفة عظيمة التأثير فيها تنهاها عن الفساد في الارض بالظلم والفساد والفسوق بارتكاب الفواحش والمنكرات ، وهو قوله (١١٦ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض) وبين لنا عقب هذا في الآية ان القرون التي أهلكها لم يكن فيها الا قليلا من أمثال هؤلاء هم الذين أنجاهم مع رسلهم ، وان الجمهور الذين أهلكهم كانوا متبعين للاترف بالفسوق والاسراف ، وهو غاية الفساد والافساد ، فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر سياج الدين والآخلاق والآداب

وصرح في الآية التي بعدها (١٧) بأن سنته في الامم انه لا يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون في الارض ، وعبر عن الامم بالقرى وهي عواصم ملكها ، لانها مأوى الزعماء والرؤساء الحاكمين الذين تفسد الامم بفسادهم ، وتصلح بصلاحهم ، وهي حقائق فسرها علم الاجتماع الحديث ، واننا لنرى مصداقها بأعيننا ، والذين يتعبدون بألفاظ القرآن دون معانيه لا يعتبرون بها لانهم لا يفقهون ما فيه وسنعود الى ذكرها في بيان سنن الاجتماع من الباب السادس ، ولا بد من التكرار في هذه الابواب

فهذه التسع من امهات الفضائل تكفي من تدبرها علماً وعرفانا وهداية وإرشاداً لجميع الاعمال الصالحات التي هي الركن الثالث من أركان الدين ، وفي السورة من الفضائل التي تستمد فيها من سيرة الرسل عليهم السلام ويقتدى بهم فيها فنشير اليها تتمة للعدد

(العاشرة : البينة من الله تعالى في الدين)

ان ما تقدم في صفات الرسل عليهم السلام من انهم كانوا على بينة من ربهم بما خصهم به من الوحي والآيات يشاركهم فيها المؤمنون بهم بالاتباع لهم فيها كما قال الله تعالى لنبينا ﷺ وهو خاتمهم (١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فبصيرته ﷺ مقتبسة من نور القرآن ، تلقاه هو من وحي الله ، وتلقيناه نحن من تبليغه عن ربه وربنا عز وجل مؤيداً بالحجة والبرهان ، وانما المحروم من نوره ، من يتلقى عقيدته وعبادته من غيره

(الحادية عشرة الحرية والاستقلال في هذه البينة)

قال تعالى حكاية عن رسوله نوح عليه السلام (٢٨ قال ياقوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) فيؤخذ من هذه الآية التي بلغها أول المرسلين لقومه ومن قوله تعالى لخاتم النبيين والمرسلين (١٠: ٩٩ ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ومن إنزاله عليه عند إمكان الاكراه في عهد القوة (٢ : ٢٥٦ لا إكراه في الدين) ان دعوة الدين والهدى تقوم بالبينة والحجة، لا كما فعل نصارى الافرنج ولا تزال تفعل بعض دولهم من نشر النصرانية بالاكراه والقوة ، أو بالخداع والحيلة، فعلى كل مسلم أن يكون على بينة من ربه وبصيرة في دينه، وقد فسروا البصيرة بالحجة، والدعوة إلى سبيل الله كما أمر بالحكمة والموعظة الحسنة

(الثانية عشرة الاحتساب والاخلاص لله في الدعوة دون التجارة بها)

تقدم في صفات المرسلين عليهم السلام ان دعوتهم وهدايتهم كانت لاعلاء كلمة الله تعالى وإرادة وجهه الكريم، وانهم كانوا يصرحون لأقوامهم بأنهم لا يسألونهم عليها مالا ولا أجرا كما رأيت في الآيتين ٢٩ و ٥١ من هذه السورة وذكرناك بمثلها في السور الاخرى ، فعلى كل داع إلى الله تعالى أن يكون في دعوته وهدايته مخلصا لله تعالى لا يبتغي بها مالا ولا جاها في الدنيا ، ولكن هذا لا يمنع وجوب بذل المسلمين المال لمساعدة الدعاة فانه تعالى قال لهم (وتعاونوا على البر والتقوى)

(الثالثة عشرة ولاية فقراء المؤمنين وضعفائهم ككبرائهم)

تقدم في صفات الرسل عليهم السلام ان هذه الفضيلة من أخص فضائلهم ، واستشهدنا عليها بما رد به نوح (ع.م) على أشراف قومه إذ طعنوا أتباعه ولقبوهم بأراذلهم في الآيات ٢٧ — ٣٠ وما في معناها ، وناهيك في هذا الباب بسورة الاعمى ففيها العبرة الكبرى لكل ذي بصر وبصيرة ، ومن خصائص المسلمين الثابتة في الكتاب ان بعضهم أولياء بعض ، ومن صفاتهم في السنة ان ذمتهم

واحدة ويجير عليهم أدناهم ، وانهم كالجسد الواحد ، وبهذا يكونون الآن كما كان سلفهم أمة قوية كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا في قتالهم وسلمهم

(الرابعة عشرة النصيحة العامة)

كان الانبياء (ع . م) كلهم ناصحين لأقوامهم فيجب الاقتداء بهم وقد ذكرنا من شواهد النصح في قصة نوح قوله (٣٤ ولا ينفعكم نصحي) الآية ، وفيها من سورة الاعراف قوله لقومه (٧ : ٦٢ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) وفي قصة هود منها (٦٨ أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) وفي قصة صالح منها (٧٩ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وفي قصة شعيب منها (٩٣ فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) وقال نبينا ﷺ الدين النصحية لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم

(الخامسة عشرة محبة الاولاد وحدود السعي لخيرهم)

محبة الاولاد فضيلة من فضائل الفطرة الانسانية ، بل الغريزة الحيوانية ، وحقوقهم على الوالدين مقررة في الشرع بما يحدد دواعي الغريزة والطبع ، ويقف بها دون الغلو المفضي الى عصيان الله تعالى أو هضم حقوق عباده ، وفي قصة نوح مع ولده الكافر في هذه السورة ما فيه إرشاد وهدى للمؤمنين في ذلك

(السادسة عشرة اكرام الضيف وحفظ كرامته)

في خبر ابراهيم الخليل مع الملائكة المبشرين له باسحاق وعنايته بضيافتهم ، ثم في قصة لوط معهم وشدة عنايته بحفظهم من شر قومه قبل أن يعرف أنهم ملائكة جاؤا لتعذيبهم — خير أسوة في فضيلة اكرام الضيف وتكريمه وقال نبينا (ص) من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه » وقال « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » متفق عليهما

(السابعة عشرة العمل بالعلم والائتمار والانتهاء على من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر

هذه فضيلة هي فريضة ثابتة بنصوص القرآن تؤيدها بداهة العقل، وهي شرط طبيعي لقبول العلم والارشاد من القائمين به، ورسل الله تعالى أئمة الهدى فيها، وفي هذه السورة منها قول شعيب (ع . م) لقومه (٨٨ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وانها لعبارة بليغة في موضوعها فراجع تفسيرها وأعم منها

(الثامنة عشرة الاصلاح العام بقدر الاستطاعة)

ما شرع الله الدين للبشر إلا ليكونوا صالحين في أنفسهم مصلحين في أعمالهم وقد بين ذلك شعيب (ع . م) بصيغة الحصر في الآية ٨٨ وهي (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت) وهو أبلغ البيان وأعمه وأتمه وهو واجب على كل مسلم

(التاسعة عشر والعشرون الاستقامة والثبات على الفضائل والاعمال الصالحة)

قال تعالى (١١٢ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) وأهمها المحافظة على الصلوات في أوقاتها ومن شواهدها هنا (١١٤ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل) وقال ﷺ «أحب الاعمال الى الله أدومها وإن قل» متفق عليه

(الحادية والعشرون التوكل على الله عز وجل)

تقدم الكلام عليه في بحث التوحيد من الباب الاول وبحث الرسالة من الباب الثالث

الباب السادس

في سنن الله تعالى في التكوين والتقدير والطبائع والغرائز والاجتماع البشري وفيه ثلاثة فصول

(الفصل الاول في سنن التكوين والتقدير أي نظام الخلق وفيه أنواع)

(سننه تعالى في رزق الاحياء)

(النوع الاول) قوله تعالى (٦ وما من دابة في الارض إلا على رزقها) يشير الى سنن كثيرة فان الرزق المضاف إلى ضمير هذه الدواب الكثيرة عام

يشمل أنواعا كثيرة منها ، ومن المعلوم من الآيات المنزلة والآيات المشاهدة أن رزق الله تعالى لجميع الاحياء هو ما خلقه من الاقوات لكل جنس ونوع منها وهداه إلى التغذي به لحفظ حياته ونمائه وبقائه إلى الاجل المقدر له ، ويجري ذلك بسنن كثيرة وضع البشر لتفصيلها علوما كثيرة في النبات والحيوان ، وظائف أعضاء التغذي والهضم وغير ذلك

(سننه في مستقر الاحياء ومستودعها)

(الثاني) قوله (ويعلم مستقرها ومستودعها) يشمل سننا أخرى كثيرة ، فقد بينا في تفسير المستقر والمستودع ما فيهما أقوالا يحتملها اللفظ ونقول على المذهب المختار في جواز أن يكون كل معنى يحتمله اللفظ مرادا منه : إن تعدد أنواع الاستقرار والاستيداع ، أماكنهما وأزمانهما لكل نوع من الدواب في الحمل به وحضانته وولادته وحياته ونموه ، وطنه ونقله تقتضي أن يكون لكل من ذلك سنن في منتهى الحكمة والنظام ، وذلك أن تجملها في نوع واحد وأن تفصلها فتجعلها عدة أنواع

(الثالث) قوله تعالى (كل في كتاب مبين) بيان لنوع آخر من النظام

(سننه في كتابة نظام العالم ومقاديره)

وهو نوع الكتابة الشامل لما ذكر قبله من نوع تعلق العلم ، وما قبله من نوع تعلق القدرة بما وجد من المعلومات بالفعل ، ومثاله المقرب لتصوير حكمته تدوين كتاب ديوان الحكومة النظامية لكل ما فيها من أعيان وأموال وأعمال ومقادير وتدبير ، فالوحي يعلمنا أن الكون الاعظم قائم بنظام أحاط به علم الله تعالى وان مقاديره التي نفذت بقدرته تعالى (كل ذلك كان في الكتاب مسطوراً) فهو مسطور في لوح محفوظ في عالم الغيب لا نعلم تأويله ولا صفة كتابته فيه ، وله تعالى في كل نوع منه وفي جملته في عالم الشهادة سنن حكيمة يقوم بها بقدرته وارادته (وكل شيء عنده بمقدار) وهو النظام فله تعالى كتابان ، في احدهما نظام التكوين وفي الآخر بيان التكليف ، فكتاب التكليف بين لنا ما نحن محتاجون اليه مما يفتح لنا أبواب العلم بما في كتاب التكوين ، وكل منهما كتاب مبين ، وقد اشتبه على بعض المفسرين أحد الكتابين بالآخر

(سننه فى خلق السموات والارض فى ستة أيام)

(الرابع) قوله تعالى (٧ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام) فيه من بيان سننه تعالى في التكوين أنه كان أطواراً في أزمنة مقدرة بنظام محكم ولم يكن شيء منه أنفا (بضمتين) أى فجائيا بغير تقدير ولا ترتيب ، فان كلمة الخلق معناها التقدير المحكم الذي تكون فيها الاشياء على مقادير متناسبة . ثم أطلقت بمعنى الايجاد التقديري ، ومنه أن كل جرم من الاجرام السماوية يرى فوق أهل أرض من الارضين ، وكل أرض هي مستقر العقلاء الناظرين ، فهي قائمة بسنن دقيقة النظام ، وان كل نوع من أنواع ما فيها من البسائط والمركبات الغازية والسائلة والجامدة قائم بسنن أيضا ، وان الكون في جملته قائم بسنة عامة في ربط بعضه ببعض ، وحفظ نظامه أن يبغي بعضه على بعض ، كالذي يسميه العلماء نظام الجاذبية العامة والجاذبيات الخاصة

(سننه فى خلق الاحياء من الماء وخلق المركبات أزواجا)

(الخامس) قوله تعالى بعد ذكر هذا الخلق (وكان عرشه على الماء) ففيه إشارة إلى نوع من أنواع التكوين الاول ، وهو الماء الذي خلق منه جميع أنواع الأحياء ، وقد كتبنا في تفسير هذه الجملة فصلا في هذا التكوين ذكرنا من سننه سنة الزوجية في خلق جميع المركبات ، فقد قال (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وكذلك قال (ومن كل شيء خلقنا زوجين) وقال (سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وقد وصل علم البشر في عصرنا إلى كثير من هذه السنن وما قامت به مما لم يكن يعلمه المتقدمون من علم المواليد وغيرها ، ولا يزالون يتوقعون أن يظهر لهم غيرها ، مما يدل على أن هذه المخلوقات لا يحيط بها إلا علم خالقها عز وجل ، كما بسطنا في تفسير هذه الآية (٧) ونعيد القول بان هذا برهان عقلي قطعي على أن القرآن كتاب من عند الله عز وجل ، كما بسطناه في كتاب الوحي المحمدي وغيره

حسبنا الاشارة إلى هذه الانواع الخمسة من سنن الرب تعالى في نظام الخلق والتكوين من فاتحة هذه السورة التي تقل فيها هذه الآيات في موضوعه لأن أكثرها في الرسالة وقصص الرسل مع الأمم

(الفصل الثاني في سنن الطبائع والغرائز البشرية)

(وفيه بضعة شواهد)

(سننه في اختبار البشر في احسان كل عمل)

(الشاهد الاول) بين الله تعالى لنا بعد ما تقدم آنفا من بدء الخلق حكمته العظمى فيه للبشر بقوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) فان احسانهم لأعمالهم التي أعدهم لها هي التي تظهر ما في هذا الخلق علويه وسفليه من الحكم والاسرار التي لا حد لها ولا نهاية، بين هذا بأسلوب الالتفات عن الخبر إلى الخطاب العام، وياله من أسلوب لا يعرف له ضريب في كلام بلغاء البشر، ثم التفت عنه إلى خطاب الرسول ﷺ بقوله (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) وفي هذا الخبر المؤكد بصيغة القسم الذي علم مصداقه بالفعل بيان لسنتين من سنن الله تعالى في البشر، إحداهما في حالة من أحوال اجتماعهم وموضعها الفصل الثالث، والاخرى في نوع من أنواع غرائزهم وطباعهم وهي أنهم اذا أخبروا بشيء لم تصل إلى إدراكه عقولهم أنكروه، على أنهم مستعدون بالفطرة للعلم بكل شيء كما قال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) فاذا قال لهم الرسول المخبر إن هذا الخبر عن الله القادر على كل شيء وجاءهم بالآية الدالة على صدقه من علمية أو عقلية يعجزون عن مثلها قال أكثرهم (إن هذا إلا سحر مبين) أي بين ظاهر، يعنون أنهم ما عجزوا عن مثلها إلا لأن لها سببا خفيا عليهم قد يعرفه غيرهم وقد يعرفونه بعد، فهذه سنة من سننه تعالى فيهم في حال من أحوالهم الناقصة المتعارضة كما بينته في محله من قبل، والمراد هنا التذكير لا تفصيله وتحقيقه

(غريزة الناس في العجل والاستعجال)

(ش٢) قوله تعالى عقب ذلك (٨ ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة) الآية يرشدنا إلى سنتين من سننه تعالى في غرائز البشر وفي اجتماعهم كالتين فيما قبله، نرجيء إحداهما إلى الفصل الثالث ونبين الاولى بأن من طباعهم العجلة والاستعجال لما يطلبون من خير للتمتع وما ينذرون من شر ينكرونه للاحتجاج على بطلانه كما بيناه في تفسير (١٠ : ١١ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم) فراجعه في (ص ٣١١ ج ١١ تفسير)

(غريزة الفرح بالنعمة واليأس عند المصيبة)

(ش٣و٤) في الآيتين ٩ و١٠ بيان لغريزتين متقابلتين من الصفات المذمومة بيناهما في الفصل الاول من الباب الخامس من الوجه البشري وهما فرح البطر بالنعمة ، ويأس الكفر عند المصيبة ونذكر بهما هنا من وجه النظام الالهي والسنن العامة ، ومن دقائق التناسب بين الآي ورود هذه السنن متعاقبة متصلة

(غريزة الافراط فى توجيه القوى الى شيء يلزمه ضعف ضده)

(ش ٥) قوله تعالى (١٥ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية . فيه شاهد على سنة العجل في غرائز البشر المبينة في الشاهد الثاني آنفا ، وشاهد على سنة أخرى هي ان الانسان إذا وجه إرادته بكل قوتها إلى ما فيه متاعه له من اللذة والمنفعة العاجلة عسر عليه أن يعقل ما ينذر به من الضرر الآجل الذي يعقبه في الدنيا ، وما ينذر به مما لا يؤمن به من عذاب الآخرة يكون فقهه له أعسر ، واقتناعه به أبعد ، إلا أن يهديه الله للايمان بالقرآن ، إيمانا يشترك فيه العقل والوجدان

(فقد هداية السمع والبصر)

(ش٦) قوله تعالى (٢٠ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) في معنى ما تقدم من سنته تعالى في توجيه الانسان كل إرادته الى شيء يضعف فيه غريزة الادراك لما يخالفه ، ونزيد عليه انه يضعف هداية السمع والبصر حتى يفقد القدرة على الاهتداء بهما والانتفاع بدلائلها ، فهي من هذه الناحية سنة أخرى ،

(الايمان بالاقناع دون الاكراه واستعداد البشر للاضلال)

(ش٧) الآية ٢٨ حكاية عن نوح (ع.م) في شأن ما آتاه الله من البينة على صحة دعوته لهم إذا عميت عليهم أنه لا يمكن أن يلزمهم إياها وهم كارهون لها ، تدل على أن سنته في البشر ان الايمان لا يكون بالالزام ، وان الكراه للشيء لا تتوجه إرادته إلى طلبه وفهم ما يدل عليه من الآيات والحجج ، وان دعوة الرسل توجه الى استعمال ما أعطوا من الاستعداد للنظر والاستدلال وهو المراد بقوله تعالى في غريزة الانسان (وهديناه النجدين) وقوله في صفة نفسه (فألهمها فجورها وتقواها)

(سنته في ضلال الناس وغوايتهم)

(ش٨) قوله تعالى حكاية عنه في مجادلة قومه (٣٤ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) فيه بيان لسنته تعالى في غواية الغاوين وكفر الكافرين وضلال الضالين الخ وقد بيناها في تفسير الآيات الكثيرة التي أسند فيها اليه تعالى فعل شيء من ذلك بما خلاصته ان الاغواء والاضلال عبارة عن وقوع الغواية والضلال بسنة الله في تأثير ارتكاب أسبابهما من الاعمال الاختيارية والاصرار عليها إلى أن تتمكن من صاحبها وتحيط به خطيئته حتى يفقد الاستعداد للرشاد والهدى ، وقد غفل عن هذه السنن علماء الكلام فطفقوا يتنازعون بينهم في خلق الله الكفر والضلال للانسان حتى يكون عاجزاً عن الايمان والعمل الصالح هل هو جائز من الخالق عقلا وشرعا وواقع فعلا ، أم هو مستحيل عليه وينزه عنه لانه ظلم ينافي العدل والحكمة ؟ وأي الآيات فيه يجب تأويلها ؟ والحق ان شاء الله ماقلنا فلا تأويل

(ش ٩) قوله تعالى (١١٨ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) نص في أن سنته تعالى في البشر ان يتفرقوا بمقتضى الغريزة الى شعوب وقبائل ويكونوا مختلفين في العقول والافهام والمنازع ، وفي اللغات والاديان والشرائع ، ومتنازعين في المصالح والمنافع

﴿ الفصل الثالث في سنن الاجتماع والعمران وفيه بضعة عشر شاهدا ﴾

(سنة الله في توبة الامم من الذنوب كالافراد)

(ش ١) أمر القرآن الامم كالافراد باستغفار الرب والتوبة اليه من كل ذنب في الآيات ٣ و ٥٢ و ٩٠ وجعلها سببا وشرطا لما وعدها به من التمتيع المادي والفضل المعنوي في الاولى ومن إدرار الغيث وزيادة القوة في الثانية بصراحة المنطوق ، وما في معناها من حفظ النعم بدلالة المفهوم في الثالثة فالآيات الثلاث ، بيان لسنة من سنن الاجتماع وهو أن الصلاح والاصلاح سبب لارتقاء الاقوام والامم وحفظها كما انه سبب لارتقاء الافراد ، والخطاب هنا للاقوام لا للافراد ، وما كل فرد يعاقب

على ذنوبه في الدنيا ، ولكن كل أمة تعاقب على ذنبها في الدنيا ،وعقابها نوعان فصلناهما من قبل (أحدهما ديني) وهو ما تقدم من اهلاك أقوام الرسل بتكذيبهم لهم وظلمهم لانفسهم حسب انذارهم ، ومثاله عقاب الحكام لمخالفي شرائعهم وقوانين حكومتهم (وثانيهما أثر طبيعي) اجتماعي لذنبها الذي يتحقق بفشوه فيها كما بيناه في تفسير هذه السورة وغيرها مفصلا ، ونذكره في شواهد هذا الفصل مجملا، وقد كانت هذه السنة معروفة للمهتدين بالقرآن من سلفنا الصالح ، ومن الآثار المروية عن العباس (رض) انه لما قدمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) على نفسه في صلاة الاستسقاء لتذكير المؤمنين بالنبي ﷺ لقربه وشبهه به فتخشع قلوبهم ، كان مما قاله العباس في دعائه: اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يرفع الا بتوبة الخ

أما كون الظلم والبغي والفساد في الارض سببا لانحطاط الامم وضعفها وهلاكها ،فسيأتي في آخر هذا الفصل، وأما كونها سببا لقلة المطر والقحط أو للطوفان والجوائح فليس مما ثبت في علم الاجتماع لان الانقلابات الجوية لا يعرف لها البشر اتصالا بالذنوب الشخصية ولا القومية التي توصف بالاجتماعية . ولقد شرحنا هذه المسألة في العلاوة الرابعة لحادثة الطوفان (في ص١٠٩ — ١١٤ ج ١٢ تفسير)

(ارتقاء الامم باحسان الاعمال واتقانها)

(ش٢) قلنا في أول الفصل الذي قبل هذا ان قوله تعالى في الآية السابعة (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) فيه ارشاد الى سنة من سنن الاجتماع ونقول هنا في بيانها ان من ضروريات هذا العلم ان ارتقاء الشعوب في مصالحها القومية والوطنية وفي عزتها الدولية هو أثر طبيعي لاحسان أعمالها في أسباب المعاش والثروة والقوة الحربية والتكافل والتعاون على المصالح والمقومات العامة لها

(عقاب الامم له آجال طبيعية)

(ش ٣) قلنا أيضا ان في قوله تعالى (٨ ولئن أخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه) سنة اجتماعية ونقول هنا في بيانها ان المراد بهذه السنة ان هذا العذاب له أجل عند الله معلوم ، وزمن في كتاب نظام الخلق معدود ،وهو ما يبلغ به ذنبها حده في الافساد . وقد علمت آنفا انه لا يقع عقاب الا بذنب ،

ولكن الامم الجاهلة لا تعقل هذا ، وانما يعقله بعض حكمائها وقد ينذرونها وقوعه في وقته فلا تغني عنهم النذر شيئا كما يعلم من قصص الرسل وسنبسطه قريبا

(أول أتباع الرسل والمصلحين الفقراء)

(ش٤) قوله تعالى حكاية عن قوم نوح (٢٧ وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) الآية هو نص في سنة الله في السابقين الى اتباع الرسل وكذا غيرهم من المصلحين كما بيناه في تفسير الآية وفي هذه الخلاصة ، وتتمته في الشاهد التالي وهو

(فلاح الجماعات والامم بتكافل المصلحين فيها)

(ش ٥) قوله عليه السلام في جوابه لهم (٢٩ وما أنا بطارد الذين آمنوا) الآية مبني على سنن الاجتماع في الزعامة والعصبية وتأليف الجماعات التي تحدث الانقلابات في الامم ، وكون ثباتها وظفرها رهنا بايمان الجماعة التي تألفت لأجله إيمان يقين عقلي ، ووجدان قلبي ، وتكافل عملي ، ومنه ولاية بعضهم لبعض بصفة يكون فيها الزعيم خير قدوة للافراد بتفضيله أدنى المؤمنين منهم على أعظم الكبراء من خصومهم ، فأما الرسل عليهم السلام فقد هداهم الوحي إلى هذه السنة كما تقدم في بيان سنته تعالى في عداوة كبراء الدنيا من المتكبرين لهم ، وأما زعماء الأمم في القرون الاخيرة فقد هدتهم اليه عبر التاريخ والتجارب إلى أن دون علماء فلسفة التاريخ علم الاجتماع وفصلوا فيه سننه تفصيلا فعملوا به ، وكان إمامهم حكيمنا العربي عبد الرحمن ابن خلدون رحمه الله تعالى

(تنازع رجال المال ودعاة الاصلاح)

(ش٦) في قصة شعيب مع قومه مسألة من أهم مسائل الاجتماع في العالم المدني وهي التنازع بين رجال المال ورجال الاصلاح في حرية الكسب المطلقة من الفريق الاول وتقييد الكسب بالحلال ومراعاة الفضيلة فيه ، فقوم شعيب كانوا يستبيحون تنمية الثروة بجميع الطرق الممكنة حتى التطفيف في المكيال والميزان ، فاذا كالوا أووزنوا للناس نقصوا وأخسروا ، وإذا اكتالوا عليهم لانفسهم استوفوا وأكثروا ، وكانوا يبخسون الناس أشياءهم في كل أنواعها ، وكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك كله ويوصيهم بالقسط فيه واجتناب أكل أموال الناس بالباطل والقناعة بالحلال ، وكانت حجتهم حرية الكسب مقرونة بحرية الاعتقاد كما حكاه الله عنهم

بقوله (قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما كان يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء) وتقدم الاستشهاد بهذه الآية في الكلام على رذيلة التقليد ورذيلة استحلال أكل أموال الناس بالباطل، والكلام على فضيلة حرية الاعتقاد ومنع الاكراه في الدين، ونذكره شاهداً على كون هذا التنازع بين أهل الحق والفضيلة، وبين أهل الباطل والرذيلة، من سنن الاجتماع المعروفة، والانبياء ينصرون الحق والفضيلة بالوعظ والارشاد المؤيدين بالحجة ووسائل الاقناع، لا بالقوة ووسائل الاكراه، ومن كان له منهم شريعة مدنية كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كانت جامعة للوازعين: وازع النفس بمقتضى الايمان، ووازع الشرع بمنع الاعتداء على حقوق الناس وما زال التنازع المالي أعقد مشاكل الاجتماع، وزعم بعض علماء الاسلام ان الاصلاح المالي أعظم أسس الاسلام، ولاجله عادى كبراء قريش بعثة محمد عليه الصلاة والسلام، وتقدم تفصيل هذا في خلاصة صورة التوبة وفي كتاب الوحي المحمدي

(سننه تعالى في جعل العاقبة للمتقين)

(ش ٧) قوله تعالى (٤٩ إن العاقبة للمتقين) هو الاساس الاعظم لسنن الاجتماع في فوز الجماعات الدينية والسياسية والشعوب والأمم في مقاصدها وغلبها على خصومها ومناوئيها، كما أنه هو الاساس الراسخ لفوز الافراد في أعمالهم الدينية والدنيوية من مالية واجتماعية، فهذه الجملة البليغة آية من آيات كتاب الله الكبرى في جمع الحقائق الكثيرة، في المقاصد المختلفة في كلمة وجيزة، ولئن سألت أكثر علماء الدين في الازهر وأمثاله ممن لا بضاعة لهم في علم القرآن إلا مثل تفسير البيضاوي وما دونه كالجلالين وحواشيه وكذا تفسير الآلوسي الجامع لخلاصة هذه التفاسير، فقلت لهم ما معنى كون العاقبة للمتقين؟ وما التقوى التي جعلها هذا النص علة لكون العاقبة لهم على قاعدتكم في تعليق الحكم على المشتق؟ ليقولن أوسعهم اطلاعا: إن التقوى فعل الطاعات وترك المعاصي، أو امتثال الاوامر واجتناب النواهي، وان الله وعد هؤلاء بحسن الجزاء في الدنيا والآخرة، وهذا تفسير مجمل مبهم يمكن اختصاره بأن تقول: المتقون هم المسلمون الصالحون، وماذا عسى أن يقول قارئوا هذه التفاسير على قلتهم غير هذا أو ما في معناه وقد قصر كل مؤلفيها فيما يجب من البيان

التفصيلي لها في تقوى الافراد والجماعات وتقوى الامة ؟ فانه لم يشر أحد منهم الى معناها العام وهو اتقاء كل مايفسد العقائد والاخلاق والروابط الخاصة والعامة وتحري ما يصلحها بهدي الكتاب و سنه وما أرشد إليه من سنن الله تعالى في حياة الامم وموتها ، وقوتها وضعفها ، وبقاء دولها وزوالها ، وكون هذه السنن مطردة في جميع الشؤون العامة من منزلية ومدنية ومالية وحربية وسياسية ، لا تبديل لها ولا تحويل ، ولا محاباة فيها بين أهل الملل والنحل ، وبهذا كله تكون العاقبة المرجوة لهم في السيادة والسعادة ، وقد بينا هذا المعنى في مواضع من هذا التفسير لعل أجمعها وأدقها بالاجمال تفسير قوله تعالى (٨ : ٢٩ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) الآية[1] ومن التفصيل له ما ترى في هذه الشواهد

(نهي اولى الاحلام عن الفساد يحفظ الامة من الهلاك)

(ش ٨) قوله تعالى (١١٦ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الارض) جاءت هذه الآية بعد بيان إهلاك الامم بظلمهم وإفسادهم في الارض للاعلام بأنه لو كان فيهم جماعات وأحزاب أولوا بقية من الاحلام والفضائل والقوة في الحق ينهونهم عن ذلك لما فشا فيهم وأفسدهم وإذن لما هلكوا ، فان الصالحين المصلحين في الارض هم الذين يحفظ الله بهم الامم من الهلاك مادام وا يطاعون فيها بحسب سنة الله ، كما أن الاطباء هم الذين يحفظ الله بهم الامم من فشو الامراض والاوبئة فيها مادامت الجماهير تطيعهم فيما يأمرون به من أسباب الوقاية قبل حدوث المرض ، ومن وسائل العلاج والتداوي بعده ، فاذا لم يمتثل الجمهور لأمرهم ونهيهم فعل الفساد فعله فيهم ، وقد فهم الوعاظ والفقهاء من خلفنا الجاهل خلاف ما كان يفهمه السلف الصالح من بركة الصالحين المتقين وحفظ الله الامم بهم ، فظنوا ان المراد بهم الذين يكثرون من الصيام والقيام وقراءة الاوراد والاحزاب ، كما قال الشاعر ، وضرب الشيخ احمد ابن حجر الهيتي المثل بقوله في الزواجر

لولا أناس لم ورد يقومونا وآخرون لهم سرد يصومونا

(١) راجع تفسيرها في ص ٦٤٧–٦٥٠ من جزء التفسير التاسع

لدكدكت أرضكم من تحتكم سحراً فانكم قوم سوء لا تطيعونا

كلا، ان من أصحاب الاوراد من يقوم ليله بورد من تشريع مبتدع هو به عاص لله تعالى لعبادته بغير ما شرعه، فكان ممن قال فيهم أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم) أي بهلاكهم وفي الحديث «رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر»(١) كم من مصل هو مصداق كحديث « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » (٢) وكذلك كان دراويش مهدي السودان، وأمثالهم من المسلمين الجاهلين لهداية القرآن، فتكل بهم الافرنج بمساعدة الفاسقين من المسلمين واستولوا على بلادهم. وقد علمنا من خبار هذا المهدي أنه كان على علم وبصيرة في صلاحه و لكن قواده لم يكونوا مثله، وصلاح دراويشه لا بصيرة فيه ولا علم،

كلا ان المراد بالصالحين الذين يحفظ الله بهم الامم هم الذين قال الله فيهم (٢١: ١٠٥ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون) وهم المتقون الذين قال فيهم (٧: ١٢٨ ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال (٢٤: ٥٥ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم) الآية، وقد تقدم الكلام فيهم قريبا، وان الله لا يحفظ الامم بذواتهم وبركة أجسادهم، ولا بعباداتهم الشخصية القاصر نفعها عليهم، بل بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وطاعة الامة لهم

نعم ان الله لا يهلك الامة كلها بعذاب الاستئصال مادام فيها جماعة من الصالحين ولكنه يعذبها بذنوبها فيما عدا ذلك مما فصلناه في علاوة قصة الطوفان الرابعة

(الطغيان والركون الى الظالمين سبب الحرمان من النصر)

(ش ٩) قوله تعالى (١١٣ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا) وقوله بعدها (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) فيهما من سنن الله تعالى في الاجتماع أن الطغيان والركون الى الظالمين من أسباب هلاك الامم وحرمانهم من النصر على أعدائهم، وهذا يشترك الظلم مع في شواهده الآتية (للسنن بقية)

(١) رواه ابن ماجه بهذا اللفظ واحمد والحاكم بتقديم وتأخير

(٢) رواه احمد في الزهد عن ابن مسعود موقوفا وابن جرير عنه مرفوعا

فتاوى المنار

أسئلة من صاحب الامضاء في بيروت في الجن (من ٢٣ — ٢٦)

حضرة صاحب الفضيلة أستاذنا الجليل السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فكلما حز بنا أمر من أمور ديننا الحنيف لم نر سواك ملجأ نلجأ اليه ، وكما نزلت بنا نازلة تلفتنا فهدانا [منارك] إليك ، وكشف لنا عن موضعك ، وقال بلسان الحال هذا هو إمام العصر ، وارث علم الامام ، ورافع لواء السنة ، وهادم بناء البدعة ، فلا نجد عندئذ بدا من التوجه إليك في مهماتنا الدينية ، أبقاك الله للاسلام ذخراً ولسانا ، وحفظ عليك نعمة الألمعية ونعمة العافية

مولاي الأستاذ : جرى الحديث بيني وبين أحد إخواني العلماء في جمع من أهل المعرفة فيما يدعيه بعض الدجاجلة من القدرة على استخدام الأرواح وتسخير الجن في قضاء الحاجات ، وشفاء الأمراض ، وقطع المسافات البعيدة في المدة الوجيزة ، وغير ذلك ، فأنكرت عليه قدرة الانسان على شيء من ذلك ، كما أنكرت أن يكون لهذه الأرواح سلطان على البشر إلا ما توسوس به إليه ، فاستظهر عليّ بالآية الكريمة (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) وحاول أن يتخذ منها دليلا على تسلط الشيطان على الانسان — فاحتكمت وإياه إلى الجزء الثالث من تفسير المنار ، وبمراجعته وجدنا كم قد اختصرتم القول في هذا الموضوع اختصاراً لا يشفي غلة المتطلع ، فآثرت أن أتوجه بالسؤال لفضيلتكم علكم تبسطون القول في [منارك] الأغر في موضوعنا هذا بما يشفي ويكفي ، مع التفضل بالاجابة على ما يأتي

(س ٢٣) هل الآية قاطعة في وجود هذا النوع من التسلط كما يقتضيه ظاهر التشبيه ، وهل هناك دليل قاطع سواها ؟

(س ٢٤) هل جاء في السنة الصحيحة مايدل على شيء من ذلك ؟ وهل يصح

الاستدلال بحديث « ان الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم » على فرض صحته أم يحمل ذلك على المجاز والمراد الوسوسة ؟

(س ٢٥) هل من الممكن أن يخالط الشيطان الانسان أو يمسه؟ وهل صحيح مايحكى من تزوج الآدميين بزوجات من نساء الجن ؟

(س ٢٦) هل يظهر الجن لبني آدم أم إن مادة الاجتنان تحكم بعدم ظهوره للعيان . أفيدونا من واسع علمكم بما يثلج صدورنا ، وتطمئن اليه نفوسنا ، ولفضيلتكم الأجر العظيم والشكر الجزيل ؟

م . ح
المحامي الشرعي

﴿ تسخير الناس للجن وسلطان الجن على الناس ﴾

[جواب المنار] إن كنت قد اختصرت في الكلام على الجن والشياطين في تفسير آية آكلي الربا من الجزء الثالث فقد أطلت في ذلك في تفسير آيات من سورة الأنعام والاعراف وغيرها وفي مواضع من المنار ، ولذلك أوجز هنا في الجواب فأقول : لو كان الجن مسلطون على الانس بما يشاؤن من نفع وضر وكان دجاجلة يسخرونهم في هذا كما يشاؤن ، لتحكم هؤلاء الدجالون في أموال الناس وأنفسهم ، ولتنافس الملوك والاغنياء في اصطناعهم ، ولكنا نراهم أحقر الناس وأفقرهم إلا من استطاع بدهائه أن يخدع بعض الاغبياء الجاهلين والنساء فيسلب أموالهم بالحيل كما ظهر في مصر في هذين العامين وفي غيرها عند ما رفعت القضايا على بعض من اشتهروا باستخدام ملوك الجن ، على أن كثيراً من الناس حتى المتعلمين والاذكياء يخدعون بحوادث يخفى عليهم الدجل فيها ، وان لقوى نفس الانسان تأثيراً في كثير من الامور بما يخالف المألوف المعروف وهي شاذة لا تتخذ سنناً عامة

(٢٣) تخبط الشيطان من المس

إن آية تشبيه قيام آكلي الربا بقيام الذي يتخبطه الشيطان من المس ، لا تفيد دلالة قطعية على تسلط الجن والشياطين على الناس بما شاؤا من نفع وضر فان كان التشبيه مبنيا على ما كان معهوداً عن العرب وغيرهم ولا سيما النصارى من

اعتقادهم أن بعض الجنون يكون بملابسة الشيطان للمجنون من غير أن يكون إقراراً لهم عليه كما قال البيضاوي وغيره من المفسرين فالأمر ظاهر ، وإن كان يتضمن إقرارهم عليه كما يقول آخرون ، فهذه الملابسة غيبية لا تعرف حقيقتها ولا سببها، ولا تدل الآية دلالة قطعية على أنها تكون بسلطة الشيطان عامة أو خاصة هو مختار فيها، وربما كان الاقرب إلى العقل فيها ان الانسان إذا عرض له ضعف في أعصابه واختل إدراكه ومزاجه ، تحدث لنفسه مناسبة قوية بروح الشيطان الذي وظيفته الوسوسة فيقوى تأثيره فيها بهذا النوع من الجنون ، كما تقوى المناسبة بين جسد الانسان وبعض ميكروبات الامراض باختلال مزاج الجسم فتلابسه بما لا تستطيعه في حالة قوة الجسم وسلامته ، ولهذا جرب شفاء هذا النوع من الجنون بالعلاج الروحاني الذي هو عبارة عن توجه روح بشرية قوية طاهرة إلى روح المجنون بما يقويها ويطرد روح الشيطان منها ، ومن وسائل هذا العلاج الدعاء والرقية ، وهو المروي عن المسيح عليه السلام وعمن دونه من الروحانيين ووقع لنا شيء منه ذكرناه في مثل هذا البحث من المنار وتفسيره

(٢٤) حديث « إن الشيطان يجري من آدم مجرى الدم من العروق » متفق عليه

هذا الحديث لا يدل على ان الشياطين مسلطون على الناس بما يشاءون من ضر ونفع غير ماهو ثابت في القرآن من الوسوسة لهم ، وانما هو تشبيه لتغلغل وسوستهم في النفس وعدم شعور الناس بها إلا من راقب خواطره وأفكاره وحاسب نفسه على مثاراتها فهو كقول الشاعر * جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي

(٢٥ و ٢٦) إمكان مخالطة الشيطان للانسان وظهوره له

الامكان العقلي لا نزاع فيه ، وما كل ممكن يقع ، وأما الشرع فلا يكلفنا تصديق مايحكيه الناس من ذلك ، وظاهر قوله تعالى (٧:٢٦ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) ان الانسان غير مستعد لرؤية الجن والشياطين كما خلقهم الله ولكنهم قد يتشكلون بصور مادية لطيفة أو كثيفة ترى بالعينين ، فراجع تفسير هذه الآية (في ص ٣٥٩ — ٣٧٢ من جزء التفسير الثامن ففيه مباحث كثيرة في الموضوع

﴿ مقدمة كتاب تفسير الفاتحة وخواتيم القرآن العظيم ﴾

في التعريف به

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ

(سورة آل عمران ٣ : ١٣٨)

يجب على كل مؤمن بالقرآن أن يحاسب نفسه على حظه من بيان القرآن للدين ، ومن هداه له من ضلال الضالين ، ومن موعظته للغافلين والمقصرين ، فبمقدار حظه من هذه الانوار الثلاثة يكون مقامه في المتقين ، ومكانه من الجنة التي قال فيها (أعدّت للمتقين) وان هذا المقدار ليصغر ويكبر بالتبع لفهم القرآن وتدبره ، إذ تتجلى له في كل سورة منه يتلوها في الصلاة وغيرها آيات من بيانه ، في علمه وعرفانه ، وحكمه وأحكامه ، تفيض عليه أنوارها ، من طوالها وقصارها

وانك لتجد في هذا الكتاب تفسيراً لفاتحة الكتاب التي يقرؤها كل مسلم في كل ركعة من صلواته فرضها ونفلها ، وتفسيراً لست سور هي أقصر خواتيمه التي يحفظها أكثر المسلمين كلها أو بعضها ، ويسهل على كل امرأة ورجل من العوام حفظها ، ليقرأ بعد الفاتحة واحدة منها ، فينفخ تدبرها في روح المصلي روح الصلاة التي هي عماد الدين وأعظم أركانه ، الذي به تكون ناهية عن الفحشاء والمنكر ، وبه يعرف من نفسه معنى كون الصلاة قرينة لخلق الصبر في الاستعانة بها على عظائم الاعمال ، ومصائب الحياة ، في قوله (٢ : ٤٥ واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين) ويتقي الهلع والجزع في قوله (٧٠ : ١٩ إن الانسان

خلق هلوعا ٢٠ اذا مسه الشر جزوعا ٢١ واذا مسه الخير منوعا ٢٢ إلا المصلين) الخ إذ استثنى الله من هاتين الخلتين الذميمتين المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون

وإنني أشير في هذا التعريف الى ما في تفسير كل من هذه السور السبع من صفات القرآن الثلاث في الآية التي صدرته بها

تفسير الفاتحة

للفاتحة في هذا الكتاب تفسير مطول منقول من تفسير المنار ، فيه بيان لجميع أنواع هداية القرآن ، وأصول عقيدة الاسلام ، التي أجملت فيها اجمالا ، وفصلت في سائر سوره تفصيلا ، وقد اقتبسنا فيه جملة ما قاله شيخنا الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده) قدس الله روحه في دروس التفسير في الازهر وطبع في حياته فأعجبه ، ثم زدنا فيه زيادة صالحة ، وهذه الطبعة السادسة له وهي أوسع مما قبلها

وفيه تفسير مختصر لها هو الذي يتدبره المصلي في صلاته ليكون خاشعا لله فيها ، بتذكر رحمته العامة للعالمين ، والخاصة بالمؤمنين المتقين ، وحمده على نعمه ، الفائضة من كرم ربوبيته ، وكونه الملك الحق المالك لأمر يوم الدين ، والحساب والجزاء للعاملين ، وما شرف كل مؤمن من أمره بخطابه كفاحا بلا واسطة ، يتعرف اليه بتوحيده بالعبادة الخالصة له ، واستعانته وحده على جميع أمور الدنيا والآخرة ، ودعائه بهداية الصراط المستقيم ، والالتحاق بالمنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، غير المغضوب عليهم ممن عرفوا الحق فتركوه إيثاراً للهوى على الهدى ، وغير الضالين عنه بجهله ، (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا)

أي مؤمن بالله يناجيه بهذه المعاني العالية في كل يوم وليلة سبع عشرة مرة من ركعات الصلاة المفروضة وما يتطوع به من السنن والنوافل ، وهو

موجه وجهه إلى قبلة المؤمنين، أول بيت وضع لعبادة الناس بمكة مبارکا وهدى للعالمين ، وموجهاً وجهه الروحي إلى ربه العظيم ، المستوي على عرشه فوق جميع عباده بغير تشبيه ولا تمثيل ، ثم لا تكون هذه المعاني العالية أعظم همه من حياته، ويكون كل ما عداها من شئون الحياة تابعا لها ، وعونا عليها

ويلي تفسير الفاتحة علاوات من تفسير المنار في كون البسملة من الفاتحة بالتحقيق ، ومن كل سورة بالترجيح ، وحكم قراءتها في الصلاة ، وحكم التأمين بعدها ، وتفنيد شبهة نصراني على بلاغتها ،وما تفضل به ما يسميه النصارى بالصلاة الربانية

تفسير سورة العصر

لهذه السورة في هذا الكتاب تفسيران أيضا : تفسير مطول لشيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان ألقاه محاضرة أو درسا على علماء مدينة الجزائر ووجهائها سنة ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ م وكتبه بيده،وهذا التفسير آية من آيات الله عز وجل يظهر به معنى قول الامام الشافعي (رض) لو لم ينزل إلا هذه السورة لكفت الناس وفي رواية لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم ،وقد طبع من قبل ويليه تفسير مختصر لنا في بيان ما يتدبره المصلي عند قراءة هذه السورة وملخصه ان الانسان بمقتضى طبعه وغرائزه وبيئته في خسر لا يسلم أحد من نوع منه ، وشره خسار نفسه الموبق لها ، إلا المؤمنين بالله واليوم الآخر وما يكون فيه من الجزاء على الاعمال ، والعمل الصالح الذي تصلح به أعمالهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض ، وتواصيهم بالحق الذي عليهم لربهم ولانفسهم ولأمتهم ، وتواصيهم بالصبر واحتمال المشاق في سبيله ، ويدخل فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

تفسير سورة الكوثر

هي أقصر سورة في القرآن ، وفيها أنواع من دلائل الاعجاز ، وأنباء الغيب التي فسرها الزمان ، فهي من أعظم أغذية الايمان ،والتذكير بما أعطى الله رسوله

خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام ، من أنواع الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، الذي رفع ذكره ، وخلد تاريخه ، ومحق ذكر شانئيه ، وقد بينا في تفسيرها القدر الذي يتدبره المصلي عند قراءتها من هذا البيان والهدى والموعظة للمتقين

تفسير سورة الكافرون

فيه بيان الفصل بين عبادة التوحيد المحض الذي جاء به خاتم النبيين لاحياء ما كان عليه كل منهم ، وعبادة الشرك المبتدعة من أساسها ، أو العارضة على أديان الانبياء السابقين ، وبراءة النبي ومن اتبعه من عبادة ما يعبد المشركون من الانداد والشفعاء ، ومن نوع عبادتهم لهم ، وإيئاسهم من الاتفاق معهم واقرارهم عليها ، والفصل التام بين دينهم المخترع ، ودينه الذي هو دين الله المنزل

تفسير سورة الاخلاص

هذه سورة توحيد المؤمنين المخلصين ، المتممة لمعاني سورة الكافرين ، فتلك نافية لكفر الوثنية ، وهذه مثبتة لايمان الحنيفية ، ببيان أحدية الله تعالى وصمديته ، وبطلان ما ابتدعته الاديان الوثنية القديمة وسرى منها إلى آخر ملة قبل الاسلام من اتخاذ الولد له سبحانه ، وتلطيف شناعة الولادة والوالدية بتسميتها انبثاقا ، مع الاصرار على لقب والدة الاله ووالدة الرب ، وما ابتدعوه من اتخاذ الانداد والاكفاء له عز وجل ، الذين يعبدونهم كعبادته بدعائهم حتى في الشدائد ، والنذر لهم وقربان الذبائح وتسمية متأخري عبادهم إياهم بالاولياء والشفعاء ، المتصرفين في الاكوان ، وتسمية عبادتهم لهم بالتوسل والاستشفاع ، ومعنى الاحد والصمد ينقض هذا كله

وقد فصل بين السورتين بسورة اللهب لحكمة بالغة هي الحجة الناهضة بالمثال الحسي على الفرق بين دين الوثنية ودين التوحيد فالاول مبني على ان نجاة البشر من خسر أنفسهم وفوزهم بالسعادة في دينهم ودنياهم ، منوط بوساطة الشفعاء بين الله وعباده والآخر مبني على تجريد التوحيد لله والعمل الصالح الذي تتزكى به النفس فتكون أهلا لسعادة الدارين .

تفسير سورة الفلق

ختم مصحف القرآن العظيم بالمعوذتين لحكمة بالغة خلاصتها ان دين الله الذي بعث به جميع رسله وأكمله بهذا الكتاب المبين الذي بعث به رسوله (محمداً) خاتم النبيين (ص) يرتقي بجميع مقاصده الاصلاحية الى أمر واحد لا يكمل المكلف بدونه، وهو معرفة الانسان بربه وتوحيده إياه، وقد فصل هذه المقاصد فيه فجعل التوحيد روحها، ثم ختمه بسورة التبرؤ من أديان الوثنية كلها وأهلها الكافرين، فسورة الاخلاص المجملة لأركان التوحيد وهدم أنواع الشرك كلها، فسورتي الاستعاذة بالله من الشرور المعارضة لخير الانسان في مقاصده الانسانية الجسدية والروحية كلها، بما يشعره بصفات الوحدانية له عز وجل

ففي سورة الفلق تنبيه إلى ما في العالم من شرور المخلوقات التي هو عرضة لها في عامة أوقاته من ليل ونهار، وخص بالذكر غاسق الليل إذا وقب ظلامه فعم الآفاق، وخفيت فيه مسالك طوارق الشر وطرق اتقائها، وشر النفاثات في العقد من السحرة الدجالين، والمفسدين النمامين، وشر الاعداء الحاسدين، ليتقي مضار هذه الشرور بما استطاع من الوسائل الكسبية، ويستعيذ مما يجهله أو يعجز عنه منها برب الفلق وهو الفجر المنير، يشق له ظلمة الليل البهيم، فيرى في ضوئه منها ما لم يكن يراه، وينال باعاذته ومعونته له حفظه مما يخشاه

فسرناها بهذا الارشاد النافع، في هذا الضوء الساطع، بعد مقدمة وتمهيد في تحقيق معنى الشر ومفاسده في العالم، وكونه ليس شيئا مخلوقا مستقلا بذاته وإنما جله من أفعال المكلفين، وأقله من تقصيرهم في اتقاء حوادث الكون النافعة بذاتها، الضارة لبعض الناس ببعض عوارضها

وجعلنا له خاتمة في مسألة السحر وما روي من جعل النفاثات في العقد منه، وكون بعض اليهود سحر النبي ﷺ وما توهم بعض العلماء من تأثير ذلك السحر

فيه تأثيراً ممن آخرين منهم على انكار الحديث من أصله ، وحققنا فيه أن رواية الصحيحين له تدل على أنه خاص بمسألة مباشرة النساء الذي يعبر عنها في عرف الناس بعقد الرجل أو ربطه بما يكون به عاجزاً عن المباشرة الزوجية ، ولم يكن له أدنى تأثير في عقله المنير ، ولا في جسمه الشريف ، بعد إيراد خلاصة ماقاله منكرو الحديث ومثبتوه في الرواية

تفسير سورة الناس

نزلت هذه السورة منبهة ومذكرة للناس بشر من أكبر شرور تلك المخلوقات المشار اليها فيما قبلها، وهو الشر الخفي الكامن في النفس الذي يفسد العقائد والافكار، ويثير الفتن بين الجماعات والعداوة بين الافراد ، بما يلقيه شياطين الانس والجن من الوسواس في القلوب ، وينفثونه من سموم الاضغان في الصدور ، فبينا في تفسيرها مايجب على الناس من الفطنة والبصيرة في الخواطر التي تجول في صدورهم من الوسوسة الخفية النفسانية والشيطانية ، والتي تتولد من وحي شياطين الانس الدعاة الى الباطل في الاعتقاد أو العمل ، وما ينبغي لهم من الاستعانة على اتقاء شرها بالاستعاذة برب الناس ملك الناس إله الناس ، وحكمة تكرار لفظ الناس ، باضافة كل صفة من هذه الصفات ، وقصاراه ان أكثر شرور الناس ومفاسدهم من الناس أنفسهم لا من غيرهم ومثارها جهلهم وضعف إيمانهم بهذه الصفات الثلاث لربهم التي لا يكمل توحيدهم إلا بفهمها كما يجب.

(القسم الثاني من الكتاب)

خمس أثارات للاستاذ الامام في شبهة التوسل على التوحيد ، ومشكلات أو شبهات في التفسير ، ومحاضرة في العلم والتعليم ، لم تنشر في جزء المنشآت من تاريخه

(الأثارة الاولى) فتوى في التوسل بالانبياء والاولياء بين فيها ماسرى إلى الجاهلين بحقيقة التوحيد من النزغات الوثنية والشرك في الالوهية من باب الغلو في جاههم وأطلقوا عليه اسم التوسل

(الأثارة الثانية)

في أفعال العباد واسنادها تارة إليهم وتارة الى الله تعالى في قوله تعالى (وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هـذه من عندك قل كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟) وقوله تعالى عقيبها (ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً) وتفسير الآيتين بما تتجلى به الحقيقة في كل منهما ويرتفع التعارض الموهوم فيهما

(الأثارة الثالثة)

مسألة الغرانيق ، وجعل رواياتها الباطلة تفسيراً لقوله تعالى من سورة الحج (٢٢ : ٥٢ ـ ٥٥ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الآيات وهذه الرواية رواية الغرانيق أشنع دسيسة في الطعن على عصمة النبي ﷺ في تبليغ الوحي ، دسها الزنادقة في سيرته ﷺ وفي تفسير كتاب الله تعالى ، واغتر بعض المفسرين والمحدثين بتعدد رواتها ، على اعترافهم بانقطاع أسانيدها كلها ، وجهل حال من سقط من رجالها ، واحتمال أن يكونوا من الزنادقة ، وقد بين الاستاذ الامام فيها ما هو الحق ، واستشهد بكلام من جمعوا فيها بين العلم والعقل

(الأثارة الرابعة)

مسألة زيد وزينب ، وهي قرينة لمسألة الغرانيق في كونها رواية حديث باطل المتن منقطع الاسناد أدخلت في تفسير القرآن ، وقريبة منها في كونها اتخذت مطعنا في النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم كبره دعاة النصرانية لرواج مثله عند أهل ملتهم ، ولا سيما الافرنج منهم ، ولكنها بعيدة كل البعد في مكان سحيق من معاني الآيات الحكيمة التي وردت في تزويج النبي ﷺ زيد بن حارثة الذي كان عبداً له فأعتقه وتبناه قبل الاسلام ، ببنت عمه زينب بنت جحش ، فانه

زوجه بها بأمر الله تعالى على كره منها ومن أخيها امتثالا لأمر الله تعالى له بذلك ، واعلامه إياه بأنهما لن يتفقا في حياتهما الزوجية فلا يلبث أن يطلقها ، وإيجابه عليه أن يتزوجها هو بعد طلاقها ، ليكون قدوة لقومه وأمته في ابطال ما كانوا قد اعتادوه في الجاهلية من إدخال الادعياء في أنسابهم بالتبني ، وجعلهم للدعي جميع حكام الابن الحقيقي ، فاختلق واضع الرواية سببا باطنيا باطلا لهذه الآيات يتبرأ منها وتتبرأ منه في معانيها واسلوبها وحوادثها ، وخلاصته أن النبي ﷺ رأى زينب عقب ذلك الزواج فأعجبته فقال « سبحان مقلب القلوب » ففهمت زينب من هذه الكلمة أن قلبه ﷺ علق بها ، فكان هذا سبب الشقاق بينها وبين زيد المفضي إلى تطليقها ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يراها من أول نشأتها لمكان القرابة ولم يعلقها ، وكان تلك الكلمة « سبحان مقلب القلوب » والقسم بمقلب القلوب هجيراه يكثر ورودها على لسانه ، وكان يعلم كره زينب لزيد وعده غير كفؤ لها في الزواج ، لأنها صرحت له هي وأخواها بذلك عند ما خطبها له . وقد امتنع بعض كبار المفسرين من ذكر هذه الرواية لبطلان معناها وضعف سندها وانقطاعه كالحافظ ابن كثير ، وذكرها بعضهم وسكت عليها كعادتهم في نقل كل ماروي على علاته ، وبعضهم تقليدا بغير تمييز ، وذكرها بعضهم لتفنيدها ، فأظهر بطلانها ، وقد سئل الاستاذ الامام رحمه الله عنها ، فحقق الحق وفند الباطل

ولكن بعض أدباء النصارى لم يقتنع بما كتبه ونشرناه في المنار ، فوضحنا الحق منه في مقالة أخرى ونشرناهما معا في هذا المجموع

(الأثارة الخامسة)

محاضرة ألقاها الاستاذ الامام طيب الله ذكره في حاضرة تونس في العلم والتعليم ، تهدي الى الحق وإلى صراط مستقيم ، وهي خاتمة هذا المجموع المفيد إن شاء الله تعالى ؟

انذار واستتابة

ويل للعرب ، من شر قد اقترب

« حديث صحيح »

هَذَا نَذِير مِنَ النُّذُرِ الأُولى * أَزِفتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ ، وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ؟

نعم انكم سامدون، أي غافلون عن الخطر، لاهون عن الخطب المنتظر، وقد أزف بل حضر، منكم من يبيع أرضه لليهود: ومنكم من يشتري أرض غيره لهم ، ولا تدرون ما تجنون على أنفسكم ووطنكم ، وعلى قومكم وأمتكم، كل ما كتبه المقدرون لخطر اليهود فيما يسمونه المسألة الصهيونية قليل ، وكل ما كتبه المصغرون لخطبها ضعيف ، فالخطر أكبر ، والخطب أعظم ، وسوط انتقام الله تعالى من البشر مصبوب على أهل فلسطين أولا ، وعلى الاقرب فالأقرب اليهم من العرب ثانيا، ثم الذين يلونهم من العرب ، ثم الذين يلونهم منهم ومن غيرهم ، ثم يكون البلاء الأكبر على اليهود أخيراً (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ)

ذلك بأن الاقدار الالهية تقذف الظالمين جلموداً بجلمود ، ولا جلمود في الشعوب أشد وأقوى من اليهود ، فهم سوط الله ينتقم بهم، ثم ينتقم منهم، كذلك كان الامر من أول تاريخهم وهكذا يكون ، إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

ألم تروا كيف أخرج الله أصولهم من البدو إلى مصر فكانوا فيها صاخين مصلحين ، وفي نعمة حضارتها فارهين ، وظلوا بعنصرية نسبهم معتصمين ، في ظل ملوك العرب الرعاة آمنين ، ثم استذلهم فراعنة المصريين ، خوفا من عصبيتهم وإضعافا لها ، حتى أخرجهم بموسى (ع م) من ذل العبودية ، بما أيده به من الآيات السماوية، فأباد الأذلة المستضعفين منهم في حياة التيه البدوية ، وأخرج شطأهم الموحدين في شمس الخشونة والحرية ، فسلطهم على شعوب فلسطين الوثنيين المجرمين ، وجعلهم بقوة التوحيد والفضيلة هم الائمة الوارثين ، ثم كيف أفسدوا فيها فانتقم منهم بالبابليين ، ثم تابوا وأصلحوا فعادت الكرة لهم ، ثم أفسدوا فكانت الكرة عليهم ، ثم سلط عليهم المسيحيين فانتقموا منهم، وسلبهم الله ملكهم ووطنهم ،ومزقهم في الارض كل ممزق ،

تدبروا أيها الناس من عجائب القرآن كيف سميت إحدى سوره المكية بسورة بني اسرائيل وبسورة الاسراء ، لانها افتتحت بتسبيح الله الذي أسرى بعبده ورسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ، وتلا هذا فيها ذكر إفساد بني اسرائيل في الارض التي كانوا فيها مرة بعد أخرى ، وكيف كان ينتقم منهم في كل مرة ، حتى انه سلط الوثنيين على هيكلهم في كل منها فقال في الثانية (وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً) ثم سلط عليهم النصارى بعد الوثنيين ففعلوا بهم الافاعيل إلى أن ظهر الاسلام وفتح أهله البلاد ، فأنقذوهم من الظلم والاضطهاد، ثم سلطهم على أمم أوربة منهم فأحدثوا فيها كل انقلاب

لا مناسبة بين الاسراء بمحمد ﷺ من المسجد الاول إلى الثاني إلا الاشارة بل البشارة باعادة مكان الهيكل مسجداً معظما مبجلا يعبد الله تعالى فيه على ملة ابراهيم، جد محمد وجد أنبياء بني اسرائيل ، ومعيد دين التوحيد بعد أن شوهه الجميع بالشرك

فاليهود انتزعوا هذا الوطن من الوثنيين ليبطلوا الشرك والظلم بالتوحيد والعدل، وهذا نصرهم الله عليهم، ثم انتزعه النصارى من الوثنيين إذ كانوا خيراً منهم، ثم انتزعه العرب المسلمون من النصارى لما ظلموا اليهود وكان المسلمون أعدل منهم وكان يعاقبهم ويخذلهم في أثناء قتالهم اذا عصوا وظلموا كما ترون في تاريخهم مع أنبيائهم من أوله إلى آخره، أنظروا في الفصل السادس من سفر نبيهم يوشع عليه السلام كيف فتح الله تعالى لهم (أريحا) وأعطاهم غنائمها وكيف أوصاهم باجتناب الحرام بقوله «١٨:٦ وأما أنتم فاحترزوا من الحرام لئلا تحرموا وتأخذوا من الحرام وتجعلوا محلة اسرائيل محرمة وتكدروها » وانظروا ما حكاه عنهم في أول الفصل السابع من اقترافهم الخيانة وأخذهم الحرام فنصر الأموريين عليهم وخذلهم في محاولة فتح (عاي) بعد أريحا « ٥ فذاب قلب الشعب وصار مثل الماء ٦ فمزق يشوع ثيابه وسقط على وجهه إلى الارض أمام تابوت الرب إلى المساء هو وشيوخ اسرائيل ووضعوا ترابا على رءوسهم ٧ وقال يشوع : آه يا سيد الرب لماذا عبرت هذا الشعب الاردن تعبيراً لكي تدفعنا إلى يد الاموريين ليبيدونا ، ليتنا ارتضينا وسكنا في عبر الاردن الخ ما قال في استغاثة ربه واسترحامه باستتابتهم .

« ١٠ فقال الرب ليشوع قم ، لماذا أنت ساقط على وجهك ١١ قد أخطأ اسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به ، بل أخذوا من الحرام بل سرقوا (إلى أن قال) ولا أعود أكون معكم إن لم تبيدوا الحرام من وسطكم» الخ هكذا كان

وقد عدنا اليوم إلى كلمة المثل العصري « التاريخ يعيد نفسه » ولكن بشكل جديد ، وهو الفتح المادي ، اليهود الماديون استخدموا الانكليز الماديين في فتح فلسطين ، وقد وقفوا بهم الآن أمام عبر الاردن ، وكلهم ظالمون يأكلون الحرام، فالله لن يكون معهم، فان كان خصومهم من العرب أصحاب هذه البلاد وما وراءها ماديين مثلهم فلن يقدروا على كف عدوانهم إلا بالتفوق عليهم في الاسباب المادية ،

وإن كانوا مع الله تعالى فان الله يكون معهم ، يجمع كلمتهم ، ويوحد قوتهم ، فتكون قوتهم المعنوية العظيمة ، مرجحة لقوة كثرتهم المادية العظيمة ، ويتمكنون بهاتين القوتين أن يفرقوا بين اليهود والانكليز ، ويعينهم المتدينون من هؤلاء على الماديين ، فان كانت قوتهم المالية دون قوة اليهود ، فان قوة الكثرة ورقبة الارض ، أعظم من قوة النقد ، وهما في أيدي العرب ، والانكليز أحوج إليهما وإلى أهلهما اذا عرفوا كيف ينتفعون بهما

الحياة جهاد ، وتنازع في أسباب السيادة والبقاء ، والقوة نوعان مادية ومعنوية ، وإن لله تعالى في القوى المادية سننا ثابتة يجب مراعاتها في العمل ، وإن له في القوى المعنوية سننا ثابتة يجب التوفيق بينها وبين المادية فيه ، فمن أتقن العلم والعمل بكل منهما ، كان أجدر بالفوز والفلاح ممن تقيد بأحدهما ، ومن جهل كلا منهما أو أهمل مراعاتهما باء بالخيبة والخسار حتما ، ومن اقتصر على أحدهما أو قصر فيه كان الترجيح بينه وبين خصمه منوطا بحظ كل منهما من السير على هذه السنن

قال عز وجل (٣ : ١٣٧ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا) الآية ، ثم قال (١٣٩ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين) ثم قال في التي بعدها (١٤٠ وتلك الايام نداولها بين الناس) فالآية الاولى بيان للسنن العامة المطلقة في الامم ، والآية الاخرى في السنة المعنوية العليا في فوز المؤمنين ، وانهم هم الذين قال فيهم (٤٩ : ١٥ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) والآية التي بعدهما في سنة التعارض بين الامم التابع لتلك السنن كلها

وما بين الله لنا سننه في الامم إلا لنعتبر بها ، فلا نغتر بديننا مع الجهل به وترك العمل بهديه ، ولا نيأس من انجاز وعد الله لنا ، مهما تكن قوة خصومنا ، وقد علمنا من

تاريخ سلفنا ما كان من نصر الله لهم ، على فقرهم وقلتهم ، إذ كانوا ينصرونه مهتدين بكتابه ، ومن خذلان من خلف من بعدهم لما أعرضوا عن كتابه ، وتنكبوا سننه في عباده

قلنا آنفا إن القوة المادية الحقيقية في هذا العالم هي رقبة الارض التي هي مصدر الثروة ، والايدي العاملة التي تفجر ينابيع الثروة منها ، وانما أرض فلسطين والاردن والشام والعراق وجزيرة العرب كلها للعرب ، والايدي العاملة فيها أيدي العرب ، ولكن اليهود يفوقون العرب في القوة المعنوية وهي العلم والوحدة والنجدة والتعاون والتناصر ، ألا وقوة الدين ألا وقوة الدين ، ألا وقوة الدين أيضاً

إن جل قوة الدين في الاخلاق والاخوة والتكافل والتعاون والتناصر والجهاد بالاموال والانفس ، وقد نقضت التربية الفاسدة في الامصار العربية غزلها ونكثت فتلها ، وما بقي منها في البدو وما يقرب منه في القرى فليس له نظام يجمع أهواء أهله المتفرقة فيوحدها ، والمتفرقون لاقوة لهم ولا نجدة ، فكثرتهم قلة

وأما اليهود فهم على تفرقهم في أقطار الارض كلها كتلة واحدة وإلب واحد في قوميتهم وتعاونهم الديني والدنيوي ، فان فرضنا أن الملاحدة والفساق منهم ومن الانكليز أشد فسقا وظلما وأكلا للحرام من أمثالهم في العرب ، فاننا لا نجهل أنهم يظلمون بذلك غيرهم لا أنفسهم ، ويأكلون أموال الناس بالحرام والباطل لا أبناء جلدتهم ، وأن خصومهم من العرب عون لهم على قومهم بالخيانة والفسق ، إذ كل من يبيعهم أرضه أو يشتري لهم أرض أخيه العربي فهو خائن لقومه ، فاسق عن دينه ، عاص لربه . فهل يقترف اليهودي أو الانكليزي هذه الخيانة لقومه كالعربي ؟

لقد وصف الله اليهود الذين نصر رسوله خاتم النبيين عليهم بقوله (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) فهل نعتبر بهذا ونرى أي الفريقين منا ومنهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم في هذا العصر ؟

ثم وصفهم بقوله (بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم

لا يعقلون أفأي الفريقين منا ومنهم يصح فيه هذا الوصف اليوم ؟ فاذا كنا نريد أن نحفظ وطننا وأمتنا من استيلاء اليهود علينا بقوة الدين المعنوية فيجب علينا أن نتبع فيه سيرة سلفنا الذين انتصروا عليهم في العصر الاول وأخرجوهم من جزيرة العرب

وإذا أردنا أن نغلبهم بقوتنا المادية وهي كثرتنا وملكنا الرقبة الارض فيجب علينا أن نجمع كلمة الامة العربية ونوحد قواها لتكون يداً واحدة وإلبا واحداً في الذود عن حقها وحفظ أرضها لها

انهم يأخذون أرضنا الآن ببيع الخائنين منا وسمسرتهم ، وان ما يأخذه خونتنا منهم من مال قليل سيعود إليهم بفسق هؤلاء الخونة وجهلهم ، وسينتهي هذا التنازع إلى القتال وهم يستعدون له ونحن لا نستعد ، وقد تنبأ نبينا ﷺ بهذا ووعدنا بالظهور والنصر عليهم فقال « تقاتلكم اليهود فتظهرون عليهم حتى يقول الشجر والحجر : ههنا ورائي يهودي تعال يا مسلم فاقتله » رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من عدة طرق ، ولكن هذا الوعد لا يظهر إلا فيمن يكون وطنهم باهله وشجره وحجره متفقا على هذا الدفاع ، فما ذكر الرسول الشجر والحجر فيه إلا من باب التمثيل فمتى نكون كذلك ؟

انني كررت هذا الحديث في المنار لأقيم به الحجة على أن بشارة نبينا لنا أصرح في أمر المستقبل من بشارة أنبيائهم المبهمة في مسيحهم وعودة ملك اسرائيل به إلى فلسطين ، وأرى بعض الناس يتأول به نصرنا على عدوان الصهيونيين ، بدون ما شرطه الله لنصر المؤمنين ، وقد نوه به خطيب جمعية الشبان المسلمين بمصر في حفلة ذكرى تاريخ عهد بلفور المشئوم في هذا العام وتعقبته ببيان الحق وتفصيله في المحاضرة التالية :

محاضرتي في جمعية الشبان المسلمين

ايها الاخوان

كنت عازما على أن أسمع في اجتماع هذا العام ولا أتكلم، حتى إذا ما فرغ الخطيب الاول صديقي الاستاذ المؤرخ الشيخ عبد الوهاب النجار من خطبته، بدا لي أن أتعقبه أو أقفي عليه متطوعا بكلمة تكون مقابلة لكلامه من ناحية غير الناحية التي سلكها وهي لا مندوحة عنها فأقول:

مضت سنة الامم أن يسلك مرشدوها في الكوارث التي تنزل بها طريقتين (إحداهما) تهوين الخطب، وتصغير الكارثة، وتقوية الرجاء بزوالها وانكشافها عن قريب، إشفاقا عليها من اليأس، وقد سلك هذه الطريقة الاستاذ فصور كارثة اليهودية الصهيونية بسحابة صيف تنذر فلسطين بطوفان عظيم ثم لا تلبث أن تنقشع وتزول، ولكنه توقع أن يكون خذلان اليهود فيها والقضاء على ملك اسرائيل الذي يحاولون تأسيسه في مهد ملك داود وسليمان بظهور مسيحهم الدجال الذي حذر منه الانبياء عليهم السلام وآخرهم خاتمهم محمد رسول الله ﷺ الذي أمر أمته أن تستعيذ بالله من فتنته في الدعاء المأثور بعد التشهد الاخير من الصلاة

فان كان المصاب بعدوان اليهود على فلسطين لا ينكشف إلا بظهور مسيحهم الدجال فياللهول ويالارزية، إنه لبلاء لا ينكشف إلا في آخر عمر الدنيا، ولا تلبث بعده أن تقوم الساعة

وقد أشار الاستاذ الخطيب إلى ما ورد في الاحاديث النبوية الصحيحة من القتال بين اليهود والمسلمين، والبشارة بأن المسلمين يظهرون عليهم فيه، وذهب علماؤنا إلى أن هذا سوف يقع في عهد المسيح الدجال

وأما الطريقة التي أريد سلوكها في بيان ما يجب على الامة العربية والشعوب

الاسلامية ، من العبرة بالنكبة اليهودية الصهيونية ، فهي طريقة الاسباب الدنيوية ، والسنن الاجتماعية ، التي يسير عليها أهل البصيرة والعلم قبل وقوع ما أنبأ به الانبياء عليهم السلام من مقدمات خراب العالم وقيام الساعة ، ومنها ظهور المسيح الدجال الذي رجحت في تفسير المنار أن اليهود سيهيئون أسبابه ومعجزاته بالعلوم الكونية

وإنني — مع هذا — أعتقد أن العدوان الصهيوني الحال بمساعدة الانكليز على فلسطين لا ينتهي إلا بقتال بينهم وبين العرب ، لا أقول هذا تحريضاً لكم أيها الحاضرون عليه ، فانني لا أظن أن أحداً منكم أهلا ولا مستعداً له ، وإنما هذه عاقبة طبيعية لما هو واقع هنالك ، فقد ثبت في الاخبار المتواترة أن اليهود في فلسطين يقتنون السلاح ويستزيدون منه بالتهريب من أوربة ، وقد عثرت الحكومة على باخرة تحمل شيئا ليس بالقليل منه لليهود من أيام قليلة ، وان أمة غنية تريد إخراج قوم من ديارهم لجعلها ملكا لها لا بد لها من الاستعداد للقتال ، فاليهود يجلبون السلاح العصري من أوربة ، والدولة الانكليزية قد نزعت سلاح عرب فلسطين من أيديهم ، وهي تريد نزع سلاح إخوانهم في شرقي الاردن عند سنوح الفرصة بمساعدة خونة العرب وسواعدهم ، ومتى تم هذا يسمح لليهود بنزع أرض شرقي الاردن كما ينزعون أرض فلسطين ، هذا رأي لي قديم في عاقبة الحكومة الموقتة في شرقي الاردن طالما صرحت به لمن لقيت من أهل البلاد ، وقل من كان يعقله ، ولكنهم سيرونه بأعينهم

هذه مقدمة سنحت قبل الكلمة المقصودة من وقفتي هذه ، وهاؤم اسمعوها بالاختصار : ان خطر ما يسمونه (المسألة اليهودية الصهيونية) كبير هائل جدا ، هو أكبر من كل ما قيل وما كتب في تكبيره وتهويله ، ولو ظل اليهود على اعتقادهم القديم وانتظار المسيح الذي بشروا به وفسروه بملك دنيوي يعيد لهم ما فقدوا من ملك سليمان عليه السلام بتأييد الله تعالى له بالآيات والمعجزات ، لما كان خطب الصهيونية هو

الخطر الذي أعنيه ، بل لما وجدت هذه الصهيونية التي نخشاها وننذر الامة خطرها

تلك عقيدة دينية مرت القرون ولم يستعد اليهود لظهورها وإظهارها بقوة اجتماع ولا سلاح ولا مال، ولا عمل من الاعمال ، بل كانت مانعة لهم من الاستعداد لإعادة ملكهم من طريق الاسباب ، لاعتقادهم أنه سيكون بآيات إلهية هي فوق الاسباب ، مثلهم فيه كمثل جماهير المسلمين — ولا سيما الشيعة — في عقيدة المهدي المنتظر بظهوره بعد أن تملأ الارض ظلماً وجوراً : فيملؤها عدلا .

كانت هذه العقيدة من أسباب خنوع المسلمين وسكونهم وسكوتهم على ما أصابهم من جور الظالمين المحربين منهم ، ثم من سلب الافرنج لأكثر ملكهم: كلما ظهر فيهم عاقل يدعوهم إلى الدفاع عن أنفسهم يصدونه بقولهم : ان الارض ملئت جورا وظلما ، وقد قرب زمن ظهور المهدي ولن ينقذها غيره ، ولم يخطر في بال أحد من زعمائهم أن يدعوهم الى الاستعداد لظهوره ليكونوا معه كما كان المهاجرون والانصار مع النبي ﷺ لاعتقادهم أن ظهوره وعمله سيكون بالكرامات وخوارق العادات ، ولذلك خُدع ألوف منهم بظهور الدجالين المدعين لهذه المهدوية ولما هو فوقها ومتمم لها من ظهور المسيح ، كما فعل الباب والبهاء وغلام أحمد القادياني ، فكانت عقيدة المهدي المنتظر والمسيح المنتظر مثار فتن وحروب مبيرة ، سفكت فيها دماء غزيرة

رأى بعض اليهود — الذين درسوا العلوم الكونية والاجتماعية والتاريخ في أوربة — أن قومهم يعللون أنفسهم بأمنية ظهور مسيح يجدد لهم ملكهم ، وأن القرون تتلو القرون على هذا الاعتقاد وهم لا يزدادون إلا تفرقا وذلا بفقد الملك ، ورأوا من عبر التاريخ أن أفرادا من أصحاب الهمة والعزيمة قد أسسوا ممالك قوية ، فتوجهت عزائمهم إلى تأسيس ملك لقومهم بالاسباب الاجتماعية دون الاعتماد على الاوهام الاعتقادية المنافية لسنن الاجتماع ، فأسسوا هذه الدعوة الصهيونية على قواعد العلم والمال ، وتوحيد قوة الامة وجمع كلمتها

وضعوا لعملهم رأس مال كبير فكان بنك الصهيونية، ووضعوا له دائرة معارف يهودية صهيونية، ووضعوا نظاما اجتماعيا لجمع كلمة الامة يعقدون له المؤتمرات تلو المؤتمرات، في أمصار أوربة وأمريكة، ولقد كان اليهود - المتكلون على ظهور (مسيا) مؤيد بالعجائب والخوارق السماوية - ينفرون من هذا النظام ويعدونه كفرا وإلحادا، أو هرطقة وزندقة، ولكن الحقائق العلمية والمساعي العملية، ما زالت تدحض الآراء الوهمية، حتى صار يهود العالم كلهم أنصاراً للجمعية الصهيونية، حتى ان فقراء يهود اليمن والمغرب الجاهلين يهاجرون الى فلسطين، ليشهدوا تأسيس ملك اسرائيل

ماينبغي لنا ولا لعاقل أن يستصغر عمل هؤلاء القوم أو يستكبر نهوضهم به مهما يكن كبيراً في نفسه، فاليهود شعب قوي العزيمة، شديد الشكيمة، عظيم الكيد والحيلة، قد أحدثوا أعظم انقلاب في الدول والامم، وكان آخر ما أحدثوا انقلاب دولة الخلافة التركية الحميدية، ودولة القيصرية الروسية، ثم كانوا هم السبب في انكسار الدولة الالمانية القاهرة، في حرب المدنية العامة، وإن دولة بريطانية العظمى لترى نفسها مسخرة لهم في مساعدتهم على تأسيس ما سمته (الوطن القومي في فلسطين) بمقتضى وعدها لهم بما يسمى (عهد بلفور) وهو الذي اجتمعنا للاحتجاج عليه اليوم كما نفعل في كل عام، وقد سبقونا هم للاحتفال بهذه الذكرى في مصر وفي كل قطر، وشتان ما بين اجتماعنا واجتماعهم، نحن نجتمع للندب والاحتجاج بالكلام، وهم يجتمعون للتهاني والتعاون بالاموال والاعمال

فالذي أبغيه بكلمتي هو أن نعتبر بأعمالهم ونقتدي بهم فيها، بل نقتدي بما أمرنا به كتاب ربنا من المحافظة على ملتنا وأمتنا بالجهاد في سبيله بأموالنا وأنفسنا،

إن عدد اليهود في العالم كله بضعة عشر مليونا على أكثر تقدير — ١٥ أو ١٧ مليونا — وإن عدد المسلمين ليبلغ أربعمائة مليون، وان عدد العرب الذين يريدون نزع فلسطين من أيديهم لا يقل عن مائة مليون، وان اليهود خصوم للمسلمين

والنصارى منهم على سواء، إنهم خصوم لهم في وطنهم المشترك ومعاهدهم المقدسة فيه ، بل خصوم لهم في دينهم أي في دين الاسلام ودين النصرانية ـ كيف هذا ؟

ان عقيدة اليهود في إعادة ملك اسرائيل بالمسيح المنتظر تكذيب لدين الاسلام وتكذيب أصرح للمسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، فانه هو المسيح الذي بشرهم به أنبياؤهم فكذبوه ، وهو الذي أنذرهم خراب هيكلهم السليماني حتى لا يبقى فيه حجر على حجر ، وهم يريدون اعادته إتماما لتكذيبه . ومن عجائب همتهم وكيدهم أنهم يسخرون الدول المسيحية كلها لمساعدتهم الادبية ، وسخروا بريطانية المسيحية لتأسيس هذا الملك لهم بقوتها السياسية والعسكرية ، ومخالفة تقاليدها النصرانية والادبية ، فانظروا إلى مبلغ كيدهم وقوتهم

ماذا عسى أن يفعل العرب في إيقاف الدولة البريطانية عند هذا الحد الذي بلغته من تسخيرهم لها وليس عندهم إلا الكلام ؟

ان في بلاد الانكليز خصوما لليهود كخصومهم في سائر بلاد أوربة ، ولكنهم أعظم نفوذاً في هـذه الدولة من خصومهم من أهلها ، فماذا عسى أن يبلغ تأثيرنا فيها ؟ ان نفوذهم قائم على أساس المال والصحف السياسية لأنهم يملكون القسم العظيم من سهام شركاتها

وإن للعرب لقوة أعظم من قوتهم بكثرة عددهم وسعة بلادهم ونفوذهم المعنوي الديني في الهند وغيرها من الامبراطورية البريطانية ، ولكنهم يجهلون وسائل الانتفاع بهذا النفوذ في جمع المال وفي تهديد الدولة الانكليزية وإلجائها إلى ترجيح مصلحتهم على مصلحة اليهود الصهيونيين .

وقد قلت لكم في هذا المكان من قبل : ان الانتفاع بهذه القوة العربية ، من اسلامية ومسيحية ، وبالقوة الاسلامية التي تؤيدها ، يتوقف على نظام لا يجوز شرحه في هذه المحافل ، وإني أعيد هـذه النصيحة وأكرر التذكير بها عملا بقوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى) انتهت المحاضرة

(فتوى واقتراح ، على قارئي هذا الانذار)

إن من يبيع شيئا من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للانكليز فهو كمن يبيعهم المسجد الاقصى، وكمن يبيع الوطن كله لان ما يشترونه وسيلة إلى ذلك وإلى جعل الحجاز على خطر ، فرقبة الارض في هذه البلاد هي كرقبة الانسان من جسده ، وهي بهذا تعد شرعا من المنافع الاسلامية العامة ، لا من الاملاك الشخصية الخاصة ، وتمليك الحربي لدار الاسلام باطل ، وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الاسلام . ولا أذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة، وانما أقترح على كل من يؤمن بالله وبكتابه وبرسوله خاتم النبيين أن يبث هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرون على خيانتهم في كل شيء من المعاشرة والمعاملة والزواج والكلام حتى رد السلام

ورد في صحيح مسلم أن الله تعالى وعد رسوله ﷺ لأمته « أن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها » الخ ما معناه حتى يكونوا هم الذين يفعلون بأنفسهم ذلك ، وقد بينت في شرحه من جزء التفسير السابع (ص ٤٩٥ و٤٩٦ طبعة ثانية)

أنه ما زال ملك الاسلام عن قطر إلا بخيانة من المسلمين . فتوبوا إلى الله أيها الخائنون

(يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون * واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وان الله عنده أجر عظيم)

قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث

تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

المتوفى سنة ١٣٣٢هـ — ١٩١٤م

نعي الينا القاسمي في شهر رجب من سنة ١٣٣٢ فكتبت له ترجمة نشرتها في هذا الشهر والذي بعده من مجلد المنار السابع عشر وصفته في أولها بقولي (ص ٥٥٨ منه)

« هو علامة الشام ، ونادرة الايام ، والمجدد لعلوم الاسلام ، محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم ، والتهذيب والتأليف ، وأحد حلقات الاتصال بين هدي السلف ، والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن . الفقيه الاصولي ، المفسر المحدث ، الاديب المتفنن ، التقي الأواب ، الحليم الاواه ، العفيف النزيه ، صاحب التصانيف الممتعة ، والابحاث المقنعة ، صديقنا الصفي ، وخلنا الوفي ، وأخونا الروحي ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، وأحسن عزاءنا عنه »

ثم ذكرت تصانيفه ورسائله (في ص ٦٢٨ منه) مرتبة على الحروف فبلغت ٧٩ ومنها هذا الكتاب (قواعد التحديث) الذي عني بطبعه نجله الكريم السيد ظافر القاسمي فتم في هذا الشهر (شوال سنة ١٣٥٣) وكان يرسل إلي ما يتم طبعه منه متفرقا لأنظر فيه ، وأكتب للقراء تعريفا به ، على علم تفصيلي بمباحثه وأسلوبه ، وتقسيمه وترتيبه ، فأقول :

ليتني كنت أملك من وقتي الحاشك بالضروريات ، الحاشد بالواجبات ، فرصة واسعة أو نهزاً متفرقة في شهر أو شهرين أقرأ فيه هذا السفر النفيس كله ، فأتذكر به من هذا العلم ما لعلي نسيت ، وأتعلم مما جمعه المؤلف فيه ما جهلت ، فهو الحقيق بأن يقرأ ما كتب ، ويحصى ما جمع ، لتحريه النفع ، وحسن اختياره في الجمع ، وسلامة ذوقه في التعبير والتقسيم والترتيب والوضع ، وقد بلغ في مصنفه هذا سدرة المنتهى من هذا العلم الاصطلاحي المحض ، الذي يوعى بكد الحافظة ، ويستنبط بقوة الذاكرة ، فلا يستلذه الفكر الغواص على حقائق المعقولات ، ولا الخيال

الجوال في جواء الشعريات ، ولا الروح المرفرف في رياض الادب أو المحلق في سماء الالهيات ـ إذ جعله كأنه مجموعة علوم وفنون وأدب وتاريخ وتهذيب وتصوف، مصطفاة كلها من علم حديث المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله، ومن كتب طبقات العلماء المهتدين به ، كأنه قرص من أقراص أبكار النحل جنته من طرائف الازهار العطرية ، ومجت فيه عسلها المشتار من طوائف الثمار الشهية ، فلعل الظمآن لهذا العلم لايجد فيه كتابا تطيب له مطالعته كله، فينهله ويعله ولا يمله ، كأنه أقصوصة حب أو ديوان شعر ، اللهم إلا هذا الكتاب

أقول هذا بعد أن طفت بجميع أبوابه ، وكثير من مباحثه وفصوله ، طوافا سريعا كأشواط الرمل في طواف النسك ، ثم قرأت فيه بعض ما اختلف العلماء في تحقيقه ، وبعض مالم يسبق لي الاطلاع عليه من مختارات نقوله ، فصح لي أن أصفه وصفا صحيحا مجملا يهدي الى تفصيل :

صفة للكتاب وما فيه

فأما تقسيمه وترتيب أبوابه وفصوله ومباحثه ووضع عناوينها ، فهو غاية في الحسن وتسهيل المطالعة والمراجعة بكثرتها ، وجعلها عامة شاملة لوسائلها كمقاصدها، وفروعها كأصولها ، وزادها حسنا مراعاته في الطبع، بجعلها على أحدث وضع : من ترك بياض واسع بين سوادها، شامل للمعدود بالارقام من مباحثها ، مع إفراط فيه بترك بعض الصفحات بعد ختام للفصل أو البحث خالية كلها . ولكن اذا اشتد البياض صار برصا ،

ومن آيات إخلاص المؤلف وحسن اختيار الناشر أن طبعه في هذا العهد الذي توجهت فيه هم الكثيرين من أهل الدين وطلاب العلم إلى الاشتغال بما كان متروكا من علم الحديث والاهتداء بالسنن الصحيحة في هذه الاقطار العربية ، واجتناب الروايات الموضوعة والمنكرة والواهية ، واشتدت حاجتهم إلى معرفة الشذوذ والعلل والتعارض والترجيح فيها ، وبيان ذلك في كتاب سهل العبارة ، جامع لأهم مايحتاجون اليه من المصطلحات في الرواية والدراية، ووصف دواوين السنة من المسانيد والصحاح والسنن، وكل ما يرشد إلى الاحتجاج والعمل، وأحسن أقوال

الحفاظ ورجال الجرح والتعديل وعلماء أصول الفقه في ذلك، وأنهم ليجدون كل هذه المطالب في هذا الكتاب دانية القطوف، مع زيادة يندر فيها المنكر ويكثر المعروف

وأما طريقة المؤلف في تدوينه فهو انه طالع كثيراً من مصنفات المحدثين والاصوليين والفقهاء والصوفية والمتكلمين والادباء من المتقدمين والمتأخرين، وكتب مذكرات فيما اختار منها في هذا الفن وما يتصل به من العلم، ثم جمعها ورتبها كما وصفناها، وقد وفى بعض المسائل حقها، ببيان كل ما تمس اليه حاجة طلابها، وأوجز في بعضها واختصر، إما ليمحصه في فرصة أخرى، وإما ليفوض أمره الى أهل البحث والنظر، ولا غضاضة عليه في هذا فامام المحدثين محمد بن اسماعيل البخاري قد سبقه في بعض أبواب جامعه الصحيح الى مثله

وقد فتح فيه بعد الخطبة والمقدمة تسعة أبواب لمباحث الحديث من فضله وعلومه ومصطلحاته ورواته وكتبه ومصنفيها ودرجاته وما يحتج به ومالا يحتج به وحكم العمل به وغير ذلك من المسائل في نوعي الرواية والدراية، فاستغرق ذلك ٢٥٤ صفحة، وفتح الباب العاشر لفقه الحديث ومكانه من أصول الدين والمذاهب فيه، وما روي وألف في الاهتداء والعمل به، فبلغت صفحاته بهذه المباحث ٣٨٣ يليها الخاتمة وهي في فوائد متفرقة يضطر اليها الاثري

الكتب التي استمد منها هذا الكتاب

وأما المصنفات التي استمد منها مباحث الكتاب ومسائله فأكثرها لأشهر علماء الاسلام من الأئمة المستقلين أو المنتسبين الى المذاهب المتبعة في الامصار المعتمدة عند أهلها، وأقلها للمشهورين عند عوام القراء ومقلدة العائم بالعلم والعرفان، أو بالولاية والكشف والالهام، لهذا تجد فيه كل فئة من القراء ما تنتقد عليه نقله، من حيث تجد فيه كل فئة ما تعتمد ممن تقبل علمه ورأيه

وأما المؤلف فغرضه من هذا وذاك أن تنتفع بكتابه كل فئة من هذه الفئات، فأهل البصيرة والاستدلال يزدادون علما ونوراً بما اختاره لهم من كتب الأئمة وعلماء الاستقلال، ولا يضرهم مالا يوثق به من أقوال المقلدين ومدعي الكشف والالهام، ولكن الذين يقدسون هؤلاء يجدون من أقوالهم ونقولهم وكشفهم أنهم

يتفقون مع الآخرين على ان أصل هذا الدين (الاسلام) الاساسي المقدس المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كتاب الله وكلامه (القرآن العظيم) ويليه ما بينه للناس بأمره من سنة رسوله خاتم النبيين، التي تواترت أو اشتهرت عنه بعمل الصحابة والتابعين وأئمة الامصار، ويليها ماصح عند هؤلاء الائمة من حديثه ﷺ المروي بنقل الثقات، وما دون هذا من الاخبار والآثار التي اختلف الحفاظ في أسانيدها، أو استشكل فقهاؤهم متونها، فهو محل اجتهاد

ويجد قارىء هذا الكتاب من أقوال أصناف العلماء فيه مالعله لا يجده مجموعا في غيره، واني أورد نموذجا من مباحثه وطريقته في نقوله

المذاهب في الضعيف والمرسل والموقوف

من اهم هذه المباحث أقوال المحدثين في معنى الحديث الضعيف الذي وقع الاختلاف في العمل به، فاستحبه بعضهم في فضائل الاعمال، والاخذ به في المناقب، ومن فروع هذا الاختلاف أن الضعيف في جامع الترمذي دون الضعيف في مسند احمد فيقبل من ضعاف المسند مالا يقبل من ضعاف الترمذي لانها تساوي الحسان فيه

ومنها الاحتجاج بالحديث المرسل واختلاف المذاهب فيه، واستثناء الجمهور مراسيل الصحابة، وحجتهم وحجة مخالفيهم، والاقوال في الموقوف على الصحابي الذي له حكم المرفوع والذي يعد رأيا له، والاقوال في عدالة جميع الصحابة في الرواية عند جمهور أهل السنة وحجة مخالفيهم فيها، وغير ذلك من المسائل التي لا يستغني عن معرفتها الذين هداهم الله في هذا العهد الى الاهتداء بهدي محمد ﷺ على صراط الله الذي استقام عليه السلف الصالح وهي كثيرة، وقد بين المؤلف رحمه الله تعالى رأيه وفهمه في بعضها دون بعض، وما كان لمن يعنى بكثرة النقل، وعرض وجوه الاختلاف في العلم، أن يمحص المسائل كلها فيه، ويكون له حكم الترجيح بينها، على ان رأي كل مؤلف في مسائل الخلاف ينتظم في سلك سائر الآراء، والواجب على المطلع عليه من أهل العلم أن ينظر في دليله كدلائل غيره، ويعتمد ما يظهر له رجحانه كما فعل المؤلف في بحث الجلال الدواني في الحديث الضعيف وأبدي رأيه في الاختلاف فيه إذ قال:

(٣٥) بحث الدواني في الضعيف

« قال المحقق الجلال الدواني في رسالته أنموذج العلوم: اتفقوا على أن الحديث الضعيف لا تثبت به الاحكام الشرعية ، ثم ذكروا أنه يجوز بل يستحب العمل بالاحاديث الضعيفة في فضائل الاعمال ، وممن صرح به النووي في كتبه لاسيما كتب الاذكار ، وفيه اشكال لان جواز العمل واستحبابه كلاهما من الاحكام الشرعية الخمسة، فاذا استحب العمل بمقتضى الحديث الضعيف كان ثبوته بالحديث الضعيف وذلك ينافي ماتقرر من عدم ثبوت الاحكام بالاحاديث الضعيفة »

ثم نقل عن الدواني أن بعضهم حاول التفصي من هذا الاشكال وتصحيح كلام النووي بما أورده وناقش فيه ، ثم نقل عن الشهاب الخفاجي مناقشة للدواني في المسألة من شرحه للشفاء ، ورد عليه رداً شديداً فوق المعهود من لين الاستاذ القاسمي بأن حكم على كل مناقشات الخفاجي بأنها عادة استحكمت في مصنفاته لا يحظى واقف عليها بطائل، وأنه سودوجه القرطاس هنا . وأن كلام الجلال لاغبار عليه ، وأن مؤاخذته بمطلق الفضائل افتراء أو مشاغبة ، وختم الرد بقوله « فتأمل لعلك تجد القوس في يد الجلال ، كما رآها الجمال » اه

وأقول نعم إنها قد تحات وتجات بحلة الجلال والجمال ، ولو أن الثاني حول نظره عن كتب هذه الطبقة الوسطى من العلماء المستدلين كالدواني والنووي والمناقشة العلمية فيها ، إلى كتب المناقب والفضائل لجامعي كل ماروي من المحدثين ، وكتب الاوراد والتصوف التي لفقها من دونهم من المؤلفين ، لوجد فيها من الغلو في الاطراء المنهي عنه والتشريع الذي لم يأذن به الله ومن الاحتجاج بأقوال الصوفية ومقلدة الفقهاء وعباداتهم المبتدعة ، ما فيه جناية على عقائد الاسلام القطعية ، ومخالفة لنصوص القرآن والاحاديث الصحيحة ، ولوجدهم يحتجون عليها بقول من قالوا إنه يجوز الاخذ والعمل بالاحاديث الضعيفة ، وهم لايميزون بين الضعاف التي ألحقوها بالحسن ، والمنكرة الواهية التي لم يقل بالاخذ بها أحد ، والتي نقل لنا القاسمي عن الامام مسلم في مقدمة صحيحه وعن غيره من الانكار عليها مانقل ، ولعقد لهذا البحث فصلا خاصا به .

الموضوعات والاحاديث غير المخرجة

عقد المؤلف المقصد ٤٨ من الباب الرابع للكلام على الحديث الموضوع بعد أن تكلم على الحديث الضعيف بما نقلنا بعضه عنه آنفا ، وأورد في هذا المقصد ١٤ مسألة الخامسة منها فتوى الشيخ أحمد بن حجر الفقيه الشافعي في خطيب لا يبين مخرجي الاحاديث نقلها من كتابه الفتاوى الحديثية ملخصة فلم يذكر فيها اعتماده على ما نقله عن الحافظ ابن حجر في منع ولي الامر لهذا الخطيب من الخطابة اذا لم يكن محدثا يروي الحديث بنفسه ، فعلم بهذا أن ما اشترطه على نفسه من التزام نقل الاقوال بحروفها أغلبي لا مطرد، ثم قال :

(٣٦) ماجاء في نهج البلاغة من وجوه اختلاف الخبر وأحاديث البدع

«سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عما في أيدي الناس من أحاديث البدع واختلاف الخبر فقال « ان في أيدي الناس حقا وباطلا ، وصدقا وكذبا ، وناسخا ومنسوخا ، وعاما وخاصا ، ومحكما ومتشابها ، وحفظا ووهما ، ولقد كذب على رسول الله ﷺ على عهده حتى قام خطيبا فقال « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وانما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس »

« رجل منافق مظهر للايمان ، متصنع بالاسلام، لا يتأثم ولا يتحرج ، يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً » . . وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ... ثم بقوا بعده (ع . م) فتقربوا الى الائمة بعده[1] ﷺ فولوهم الاعمال، واكلوا بهم الدنيا ، وانما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله »

« ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه فوهم فيه » الخ

« ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم ، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه ، ولو علم المسلمون أنه منسوخ لرفضوه »

« وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله » ووصفه بجودة الحفظ ومعرفة الناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمتشابه ومحكمه ، ما عني به رسول

١) في نسخة من النهج : الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان

الله ﷺ من كل ذلك » ثم قال « وقد كان يكون من رسول الله ﷺ الكلام له وجهان : فكلام خاص وكلام عام ، فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ، ولا ماعنى به رسوله ﷺ فيحمله السامع ، ويوجهه على غير معرفة بمعناه وما قصد به ، وما خرج من أجله ، وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه ، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي الطارىء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا ، وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألت عنه وحفظته ، فهذه وجوه ماعليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم » اه (من ص٤٥ و١٣٦)

(أقول) نقل المصنف عفا الله عنا وعنه هذا وسكت عنه ، وقصاراه أنه لا يصح أن يقبل من أحاديث الصحابة المسندة المرفوعة الا بعض أفراد القسم الرابع منهم ، وظاهره انه لم يوجد منه إلا فرد واحد هو صاحب الكلام ، وكأنه شهد لنفسه — إن صح إسناده اليه — وان عسى أن يكون مثله فيما أثبته لها بعد النفي ، ووجود مثله مشكوك فيه ، ولو صح معناه لكان هادما لكل ما نقله المصنف من قبول مراسيل الصحابة وموقوفاتهم التي قيل إن حكمها حكم المرفوع الى النبي ﷺ وإن المرفوع من الوحي ، بل مبطلا لكل رواياتهم المرفوعة الى النبي ﷺ أو مشككا في أكثرها ومبطلا لاقلها ، ولما نقله بعد ذلك في الباب الخامس الذي فتحه لمباحث الجرح والتعديل من قول جمهور أهل السنة بعدالتهم كلهم ، بل هو عند واضعيه هادم لكتب الحديث كلها صحاحها وسننها ومسانيدها ، ولكل ماوضع لرواتها ورواياتها من كتب التاريخ والجرح والتعديل والمصطلح والاصول ، ولما استنبط منها من القواعد والآداب وأحكام الفروع ، فكيف ينقله ويسكت عنه ؟ لعله لو طبع الكتاب في حياته لحذفه منه أو لرد عليه

رواية نهج البلاغة موضوعة ومن قال كله موضوع

إنني على مخالفتي لمن قال من الحفاظ إن نهج البلاغة موضوع بجملته على أمير المؤمنين علي عليه السلام وإن واضعه هو الشريف المرتضى أو الرضي ، وعلى ماعندي من النظر في مذهب من اطلقوا القول في الاحتجاج بمراسيل الصحابة والقول

بأن ماوقفه الصحابي مما لامجال للرأي فيه له حكم المرفوع ، واطلاق القول بأن جميع الصحابة (رض) عدول مع تعريفهم الصحابي بأنه من رأى النبي ﷺ وهو مسلم ، وما سبق لي من التحقيق في هذه المسائل بمجلتي (المنار) انني على هذا كله أجزم بأن الجملة التي نقلها الجمال القاسمي هنا عن نهج البلاغة موضوعة على علي كرم الله وجهه ، ولكنني لا أقول إن الشريف هو الواضع لها فالله أعلم بواضعها

إن حفاظ الحديث لا يعتدون برواية لخبر نبوي ولا لأثر صحابي ولا لقول محدث ولا فقيه إلا إذا كان له سند متصل رجاله معروفون يكون الحكم بقبوله أو رده تبعا لحال رجال هذا السند في ميزان الجرح والتعديل . وجامع نهج البلاغة لم يرو شيئا منه بالاسانيد المعروفة ولا المجهولة التي وجودها كعدمها عندهم ، فلهذا كان حكمه حكم الموضوع في ان رواياته لايحتج بها على رأي المعزوة اليه ، وان كان هذا لا يمنع أن يكون لبعضها أصل كما قالوا في الموضوعات والاحاديث المنكرة والواهية ، ولكن العمدة فيما يحتج به في الدين والعلم أن يكون له سند صحيح متصل بقائله لاشذوذ فيه ولا علة ، فلا يرد عليهم ماقاله المنكرون لحكمهم على نهج البلاغة بالوضع من ان عدم السند المتصل له على طريقتهم لا يقتضي أن يكون المروي كله أو جله كذبا مفترى ، وأن يكون ناقله هو المفتري له ، ومن أن بعض مافي النهج مذكور في كتب أخرى مؤلفة قبل جمع الشريف له ، فان المحدثين يقولون في روايات تلك الكتب ماقالوه فيه

ثم إن لعلماء فقه الحديث من وراء نقد أسانيد الاخبار والآثار نقداً آخر لمتونها من نواحي معانيها ولغتها وحكم العقل والشرع فيها وتعارضها مع غيرها ، ويشاركهم في هذا النوع من النقد رجال الفلسفة والادب والتاريخ ويسمونه في عصرنا النقد التحليلي ، ومن ثم استشكلوا كثيرا من الاحاديث حتى الصحيحة الاسانيد تكلموا عليها في شروحها ، وصنف بعضهم فيها كتبا خاصة بها أشهرها كتاب (مشكل الآثار) للطحاوي ، . وكلمة نهج البلاغة التي نحن بصدد البحث فيها لا تثبت امام هذا النوع من النقد ، بل يكون مثلها فيه (كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا) أو (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف)

لا تفر منه ذرة ، لهذا نحكم بأنها موضوعة على امام الأمة الأعظم علي كرم الله وجهه وانني أشير في هذا التقريظ الى المهم من مستندات وضعها ، فان سهل المراء في بعضها لم يسهل في جملتها ، فأقول :

مستندات وضع رواية نهج البلاغة

(أولها) انه لم يكن في عهد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أحاديث في البدع ولا في غيرها تتداولها أيدي الناس فتقبل دعوى سؤاله عنها ، فان الصحابة رضي الله عنهم لم يدونوا الاحاديث ويلقوها الى الناس ، بل لم يصح عنهم انهم كتبوا منها الا قليلا لم تتداوله الايدي ، أصحه صحيفته كرم الله وجهه التي كان علقها بسيفه ، فقد قال «ما كتبنا عن رسول الله ﷺ إلا القرآن وما في هذه الصحيفة» رواه الشيخان وأصحاب السنن الاربعة ، وكان فيها تحريم المدينة كمكة وأحكام العقل أي الدية وفكاك الاسير ولا يقتل مسلم بكافر — كما في روايات البخاري ، وفي مسلم ان فيها «لعن الله من ذبح لغير الله» وزاد النسائي وأحمد على ذلك

وروى البخاري والترمذي عن أبي هريرة انه قال ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر مني حديثا إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب ، والمحدثون لا يعدون ما يوجد في صحيفة محدث أو عالم رواية صحيحة عنه إلا إن حدث أنه سمعها من صاحبها ، ويسمونها الوجادة بالكسر ، واختلافهم في الاحتجاج بها معروف ، ومن المشهور عندهم الاختلاف في رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص ، قالوا كانت عنده صحيفة فأنكروا عليه مالم يصرح بسماعه من ابيه عن جده وحملوه على النقل من تلك الصحيفة مع احتمال ان يكون ما فيها هو ما كتبه جده عبدالله بن عمرو مما سمعه من النبي ﷺ

(ثانيها) أن تقسيم الاخبار الى ما ذكر ولا سيما الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه والحفظ والوهم وعلل الحديث تقسيم في حدث بعد عصر الصحابة والتابعين مما اصطلح عليه المصنفون في أصول الفقه بعد الشروع في تدوين

الاحاديث ولم يكن مما يدور على ألسنتهم ولا مما يروونه عن النبي ﷺ وما ورد في القرآن من هذه الالفاظ لم يرد كله بهذه المعاني الاصطلاحية التي حدوها حتى قوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها) الآية كما حققناه في تفسيرها، وكذلك المحكم والمتشابه، وما روي من أثر القاضي الذي سأله علي عن معرفة الناسخ والمنسوخ بهذا اللفظ فقال لا، قال هلكت وأهلكت، ما أراه يصح فانه لم يرو عن علي أنه كان يسأل قضاته عن ذلك ولا أنه كان يعلمهم إياه، وروي مثل هذا الاثر عن ابن عباس. وقد ورد في النسخ آثار أخرى تدل على أن معناه عندهم أعم من معناه الاصطلاحي. وكانوا يقضون بالقرآن ثم بالسنة العملية التي قضى بها النبي ﷺ أو الخلفاء من بعده. ولم يكن في أيديهم أحاديث قولية من موضوع بحثنا يقضون بها، و يطلب منهم معرفة ناسخها من منسوخها مثلا. وجملة القول في هذا النقد أن ذلك الكلام في جملته مما يستبعد أن يجعله علي (ر ض) تفصيلا لأنواع الاحاديث التي قيل إنه سئل عنها، وإن كان معناه غير الاصطلاحي مما لا يعزب عن علمه الواسع

(ثالثها) ان حديث «من كذب علي متعمداً» الخ لم يكن سببه كذب المنافقين عليه ﷺ ولا كان المنافقون يبالون بهذا الوعيد، وفي القرآن ما هو أشد عليهم، وانما هو للتحذير من جريمة الكذب عليه ﷺ وأنه ليس كالكذب على غيره ليحتاط كل مؤمن فيه

(رابعها) أن المنافقين الاقحاح الذين كانوا يستحلون الكذب عليه ﷺ كانوا كلهم من أهل المدينة وما حولها ولم يكن في المهاجرين أحد منهم، وأكثر كذبهم كان للدفاع عن أنفسهم لا في رواية الاحكام الشرعية لغش المؤمنين بها، فان هذه الاحكام لم تكن تعنيهم، وكانوا يتربصون بهم الدوائر ظانين أن الاسلام يزول بوفاة النبي ﷺ أو بظهور المشركين أو الروم عليهم. وقلما بقي إلى خلافة علي أحد منهم، فقد آمن أكثرهم قبلها بظهور أمر الاسلام على الروم والفرس كما وعد الله رسوله ﷺ فان وجد شيء من رواياتهم فهو قليل فيما لا شأن له. خلافا لما تتقوله الرافضة على الصحابة حتى كبار المهاجرين منهم، ويحتجون بعبارة نهج البلاغة الموضوعة على رفض أحاديثهم

(خامسها) أن تهمة تقرب المنافقين الى الائمة الذين قبله رضي الله عنه وعنهم وتوليتهم إياهم الاعمال وأكلهم الدنيا بهم، فيها نظر من وجوه، نعم ان من المعلوم بالضرورة من تاريخه وسيرته كرم الله وجهه أنه لم يكن يثق بدين معاوية وعمرو ابن العاص اللذين توليا مصر والشام في إمامة عمر، وأنه كان يعتقد بحق أنهما من طلاب الدنيا والملك، ولكنهما لم يكونا من رواة الاحاديث التي قيل إنها في أيدي الناس في عهده، وليس فيما روي عنهما في الصحاح من بعده ماهو محل تهمة وهو قليل، ليس لمعاوية في صحيح البخاري إلا ثمانيه أحاديث ولا لعمرو إلا ثلاثة أحاديث، ولم يكونا من المهاجرين الاولين فان عمراً أسلم بين الحديبية وخيبر أو في صفر سنة ثمان. ومعاوية أظهر اسلامه عام الفتح، وروى الواقدي أنه كان أسلم بعد الحديبية وكتم اسلامه والواقدي لا يحتج بروايته، وعلى كل فهما ليسا من المهاجرين السابقين، ولكن الطعن في سياستهما بحق، لا يقتضي الطعن في روايتهما بدون شبهة، بل الطعن في إيمانهما، ولقد كانت سيرة عمرو في مصر حميدة ولا تزال محل اعجاب مؤرخي الافرنج وغيرهم، فهل كان هذا إلا من هداية الاسلام؟

(سادسها) أن الرجل الثاني من رواة الصحابة الصادقين الذي وهم في حديثه ولم يكذب، والثالث الذي عرف الناسخ ولم يعرف المنسوخ، هما مما يحكم العقل بامكان وجودهما وأن تعذر معرفة أشخاصهما، ونقاد الاحاديث من الحفاظ والفقهاء هم الذين قاموا بما يجب من التمييز بين الروايات عن الجميع، ومن معرفة سيرة الرواة كلهم ووزنها بميزان الجرح والتعديل، فلذلك لا يقبلون حديثا ولا أثراً ليس له سند معروف كهذا الاثر وأمثاله من آثار نهج البلاغة

(سابعها) قال في آخر الكلام عن القسم الرابع من رواة الصحابة وهو الفرد الكامل في الصدق والضبط والعلم والفهم» وليس كل أصحاب رسول الله ﷺ من كان يسأله ويستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي الطارىء فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا» وهذا القول فيه نظر وبحث من وجوه (منها) أنهم كانوا يسألونه ويستفهمونه عن كل مايشكل عليهم حتى النساء لاتمنعهن مهابته

ﷺ عن الواجب لاقترانها بلطفه وتواضعه ، ومن استحيا من سؤال كلف غيره ان يسأله عنه كما أمر علي المقداد بسؤاله عن حكم المذي اذ كان كرم الله وجهه مذاء . وقد أغضبوه مرة لكثرة سؤالهم وهو على المنبر حتى سأله بعضهم من ابي؟ لشكه فيه فقال « ابوك حذافة » رواه الشيخان (ومنها) أنهم لم يكونوا يسألونه ﷺ عما نهاهم الله ورسوله عنه من السؤال وقد فصلناه في تفسير (٥ : ١٠٤ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) من جزء التفسير السابع ص ١٢٥ (ومنها) أن سبب نهيهم عن كثرة السؤال الثابت في الصحاح أنه يقتضي كثرة أحكام التكليف والله ورسوله يريدان التخفيف عن هذه الامة (ومنها) أن الأعراب لم يكونوا يعلمون هذا النهي فكان أحدهم يسأل عن كل ما يخطر بباله ويرى أنه محتاج اليه ، وكانوا كلهم يحبون الزيادة من العلم فيعجبهم سؤال الاعرابي الطاريء ولا فرق بينه كرم الله وجهه وبين سائر علمائهم في شيء من ذلك ، إلا أنه كان في الذروة منهم ، وفي الآيات والاحاديث الصحيحة ما يدل على ما قلناه ، وهذه الاربعة تضم الى ماقبلها وما بعدها .

(وثامنها) أن هذا الكلام في جملته قد وضع بالاصطلاح الجدلي ليكون أساسا لمذهب الشيعة الامامية في الطعن على الخلفاء الثلاثة وعلى «جمهور» الصحابة من المهاجرين والانصار الذين نزل القرآن مصرحا برضى الله عنهم ورضاهم عنه ، وبعدم الاحتجاج بالاحاديث المروية في الصحاح والسنن ، ويعارضه ما هو مخالف له من المروي عن علي (رض) بأسانيد الثقات في اعتقاده وعلمه وعمله وتأييده وولايته للائمة الذين قبله وفي قضائه والاحاديث المروية عنه ، وفي أسلوب كلامه أيضا ، وله نظائر في نهج البلاغة وغيره مما انفردوا بحكايته عنه وعن آله (ع . م) من غرائب بأسلوب يشبه نظريات المتكلمين وتكلفات المولدين

كلام ابن ابي الحديد في شرح كلمة النهج

هذا - وانني قد راجعت بعد كتابة ما تقدم شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة فرأيته يستشكل هذا الكلام ويتكلف تصحيح معانيه لأن شرحه للنهج مبني على التسليم لروايته ففرض بقاء بعض المنافقين بعد النبي ﷺ ومخالطة حديثه ﷺ

كذب كثير منهم بقصد الاضلال على مابينه من اشتغالهم بالحرب والفتح والغنائم عما كانوا ينقمونه من أمور الاسلام وتصريحه بأنه قد صح إيمان بعضهم

والحق أن أكثر الموضوعات في هذا الباب كان من مبتدعة الرافضة والخوارج وغيرهم ، وقد قال (ابن أبي الحديد بعد ذكر هذا من ص ١٥ مجلد ٣) ما نصه :

« وقد قيل انه افتعل في أيام معاوية خاصة حديث كثير على هذا الوجه، ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا بل ذكروا كثيرا من هذه الاحاديث الموضوعة وبينوا وضعها وان رواتها غير موثوق بهم، إلا ان المحدثين إنما يطعنون فيما دون طبقة الصحابة ولا يتجاسرون في الطعن على أحد من الصحابة لأن عليه لفظ الصحبة، على أنهم طعنوا في قوم لهم صحبة كبسر بن أرطأة وغيره

« فان قلت : من هم أئمة الضلالة الذين يتقرب اليهم المنافقون الذين رأوا رسول الله ﷺ وصحبوه الزور والبهتان ؟ وهل هذا إلا تصريح بما تذكره الامامية وتعتقده ؟ قلت ليس الامر كما ظننت وظنوا ، وانما يعني معاوية وعمرو ابن العاص ومن شايعهما على الضلال كالخبر الذي رواه من رواه في حق معاوية »

(وذكر بعض أحاديث الفضائل وقول الباقر فيها ثم قال (في ص ١٧) :

«وعلم أن أصل الاكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فانهم وضعوا في مبدأ الامر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم (وأشار إلى بعضها ثم قال) فما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الاحاديث » (وأشار إلى بعضها رأيه) والمحدثون بينوا كل ذلك ولم يكن فيهم طائفة تسمى البكرية

ثم قول ان هذا التقسيم الذي قاله صحيح في جملته واستدلاله، وإن أسلوبه الكلامي والمنطقي قوي ولكن علمه بالروايات ضعيف ، فالرجل معتزلي متكلم ومتشيع غير محدث. والاحاديث الموضوعة في العقائد وأصول الاحكام والتفسير يضع أحد من الصحابة شيئا منها، لا مؤمنوهم الصادقون وهم السواد الاعظم ولا منافقوهم القليلون الذين ربما كانوا قد انقرضوا عند وضعها ، وانما وضعها الزنادقة من مسلمة اليهود والمجوس وملاحدة الشيعة الباطنية لا الامامية

ولكن الامامية خدعوا بالكثير منها لظنهم أن أولئك الملاحدة منهم وأن أكثر الصحابة كانوا أعداء لعلي وأهل بيته فلا يوثق بروايتهم ، مع قلة علمهم بنقد الروايات، وقد اشتهر الشيعة بالكذب عند المحدثين والمؤرخين حتى الافرنج وأهم أسبابه ما أشرت اليه . وحسبي هذا الاستطراد الضروري في تقريظ كتاب (قواعد التحديث) وأعود الى بيان أهم فوائده فأقول:

أهم فوائد الكتاب المقصودة منه بالذات

الجمال القاسمي رحمه الله تعالى من المصلحين المجددين في هذا القرن (الرابع عشر للهجرة) وغرضه الاول من هذا الكتاب بث هداية الكتاب والسنة في الامة على منهاج السلف الصالح وتسهيل سبيلها، وما أهلك المسلمين في دينهم ودنياهم إلا الاعراض عن هذه الهداية التي شرع الله الدين لأجلها

ولهذا الاعراض سببان أهونهما الجهل البسيط وهو عدم العلم بما خاطب الله الناس في كتابه ، وبما بينه لهم رسوله ﷺ منه بسنته وهديه ، وبما كان عليه أهل العصر الاول عصر النور من الاهتداء بالكتاب والسنة علما وعملا وخلقا وجهادا وفتحا وحكما بين الناس ، وأعسرهما وأضرهما الجهل المركب وهو التعليم التقليدي لكتب المتأخرين من المتكلمين والفقهاء والصوفية، والاستغناء بها عما كان عليه السلف ومنهم أئمة الامصار من المحدثين والفقهاء بشبهة شيطانية، هي أن فهم الكتاب والسنة خاص بالمجتهدين، وأن المتأخرين من العلماء أعلم بما فهمه المصنفون المقلدون للأئمة في القرون الوسطى، وأولئك أعلم بما فهمه الأئمة المجتهدون منهما مباشرة، وان العلماء على طبقات في تقليد بعضهم لبعض عدها بعض متأخري الفقهاء خمسا، وعدها الشعراني من متأخري الصوفية ستا ، كل طبقة تحجب أهل عصرها عما قبله ، حتى تجرأ بعض من يؤلفون ويكتبون في المجلات ممن أعطوا (لقب كبار علماء الازهر)- وهم الطبقة العاشرة على حساب الشعراني - على التصريح في عصرنا هذا بأن من يؤمن بآيات القرآن في بعض صفات الله تعالى على ظاهرها يكون كافرا (!!!) وتجرأ بعض من قبله منهم على التصريح في مجلس ادارة الازهر بأن من يقول إنه يعمل بما صح من الاحاديث على خلاف فقهاء المذهب فهو زنديق (كما بيناه في المنار وفي تاريخ

الاستاذ الامام) وهؤلاء يكرهون علم الحديث وأهله وقد صرح الحفاظ الاولون بان الوقيعة في أهل الاثر من دأب أهل البدع كما نقله المؤلف (في ص ٣١)

نقوله ودروسه وغرضه الاصلاحي فيهما

نقل لنا الجمال القاسمي بحسن اختياره وجماله وقسامته في إرشاده ، نصوصا من كتب أشهر الائمة من علماء الملة المستقلين ، وكتب المنتسبين الى مذاهب الكلام والفقه والتصوف المقلدين ، صريحة في اتفاق الجميع على وجوب الاهتداء والعمل بكتاب الله وسنة رسوله واتباع سلف الملة في الدين ، وعلى خطأ من يخالفهم في هذا مما يقطع ألسنة الذين يصدون عن سبيل الله من عميان الجهل المركب ، الذين لايعلمون ، ولا يعلمون أنهم لا يعلمون ، وهم الذين وصفهم أبو حامد الغزالي بقوله : وأولئك هم العميان المنكوسون ، وعما هم في كائنا العينين ، فهذه حكمة نقلها عن كل طبقة من العلماء المشهورين حتى المعاصرين له ولنا من المصنفين ومحرري المجلات العلمية ومنها المنار ومما نقله عنه ما ترى في ص ٢٥٠ ولكنه لم يصرح باسمه ولا باسم صاحبه خوفا من الحكومة

وصفت الاستاذ القاسمي في ترجمة المنار له بالاصلاح ، ورددت على من ينكر علي هذا الوصف بما بينت به طريقته فيه ، واستنبطت مما اطلعت عليه من كتبه ومن حديثي معه أربعا من مزاياه في الاستقامة على هذه الطريقة

(أولاهن) سبب تدريسه لبعض الكتب المتداولة كجمع الجوامع وكتب السعد التفتازاني وما هي كتب اصلاح بل فنون اصطلاح أشبه بالألغاز

(الثانية) الاستعانة بنقول بعض المشهورين على اقناع المقلدين والمستدلين جميعا من المعاصرين بما يقوم عليه الدليل

(الثالثة) أنه كان يتحرى مذهب السلف في الدين وينصره في دروسه ومصنفاته ، وما مذهب السلف إلا العمل بالكتاب والسنة بلا زيادة ولا نقصان

وذكرت شاهدين من شعره على مذهبه هذا

(الرابعة) أنه كان يتحرى في المسائل الخلافية الاعتدال والانصاف ، واتباع مايقوم عليه الدليل من غير تشنيع على المخالف ولا تحامل

وقد أطلت في هذه بما لم أطل فيما قبلها ، وذكرت ما أنكره عليه بعض متبعي السلف من أنه خالفهم في كتابه (تاريخ الجهمية والمعتزلة) وكتابه (نقد النصائح الكافية) وبينت ما توخاه من التأليف بين فرق المسلمين الكبرى فيهما ، بما لا محل لاعادته هنا ، وانما ذكرت هذا الموضوع لأذكر به من يستنكر مثله في هذا الكتاب ، وقد نقل فيه عن داعية السلف المحقق العلامة ابن القيم سبقه إلى مثله وتصريحه بأن في كلام كل فرقة ومذهب حقا وباطلا

كذلك: وقد ألف لاستاذ الشيخ طاهر الجزائري رحمه الله بعده كتاب (توجيه النظر ، الى أصول أهل الأثر) وهو في موضوع (كتاب قواعد التحديث) والعلامتان الجزائري والقاسمي كانا سيين في سعة الاطلاع وحسن الاختيار ، الا ان الجزائري أكثر اطلاعا على الكتب ، وولوعا بالاستقصاء والبحث ، والقاسمي أشد تحريا للاصلاح ، وعناية بما ينفع جماهير الناس ، فمن ثم كان كتاب الجزائري وهو أطول قاصرا على المسائل الخاصة بمصطلح الحديث وكتب المحدثين التي قلما ينتفع بها لا المشتغلون بهذا العلم ، فقد وفي بعض مسائلها حقه من الاستقصاء بما لم يفعله القاسمي ، ولكنه أطال كل الاطالة بتلخيص (كتاب علوم الحديث) للحاكم النيسابوري وهي اثنان وخمسون نوعا ، ثم بما لخصه من (كتاب علل الحديث) لابن ابي حاتم الرازي ، ثم بما استطرد من الكلام في مبحث كتابة الحديث الى الكلام في « الخط العربي وتدرجه بالترقي الى وصوله للكمال الذي عليه الآن ، وما يحتاج اليه بعد هذا الكمال من علائم الوقف والابتداء ، وهو على اطالته في هذا الفن لم يراعه في العمل فكتابه كأكثر الكتب القديمة ، وكتاب القاسمي كما علمت في تقسيمه وتفصيل عناوينه والبياض بينها لتسهيل المطالعة ولمراجعة ، فهو في هذا وفي طبعه على أحسن ما انتهت اليه الكتب الحديثة ، كما أنه أكثر جمعا ، وأعم نفعا ، وخلاصة القول في تقريظ هذا الكتاب أننا لا نعرف مثله في موضوعه وسيلة ومقصدا ، ومبدأ وغاية ، فنسأل الله تعالى ان يحسن جزاء مؤلفه وطابعه ، وان يوفق الامة للانتفاع به ،

كتاب الامام ، ورأيه في تفسير المنار

(وفي مؤلفات صاحبه عامة وكتاب المنار والازهر خاصة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(من أمير المؤمنين ، المتوكل على الله رب العالمين ، يحيى بن محمد حميد الدين)

حضرة العلامة الهمام ، والاستاذ الفاضل عز الاسلام ، السيد محمد رشيد رضا الحسيني ، مد الله عمره في طاعته ، وأدام حميد سعيه وإفادته ، وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تناولنا كتابكم المؤرخ ١١ رمضان الكريم، وقد وصل ما أرسلتموه من أجزاء تفسيركم الكبير، وذلك أحد عشر جزءاً وشكرنا اهتمامكم بارسالها ، وهو تفسير حري بكل اعتبار وتقدير ، وما نظرنا مؤلفاتكم إلا بعين الاكبار والاستحسان ، لما تحويه من جليل المقاصد ، وجزيل الفوائد ، وتشبعها بروح الانصاف ، وصبها في قالب ذلك النفس النفيس المعبر عن المقصود بغير تكلف ، والقيام من نصرة الاسلام بما يشفي العليل بلا تكلف ولا تعسف ، ووصل أيضاً (المنار والازهر) وساءنا بلوغ الامر إلى تلك العبارات في وقت يجب أن نكون فيه جنبا إلى جنب لنصرة الاسلام ، فتداركوا الامر بكل ممكن من الحكمة عافاكم الله تعالى

وانا نحثكم على إكمال التفسير المبارك، فاكماله ينبغي أن يكون من أجل ما يتوجه اليه اهتمامكم وعنايتكم ، والمثوبة على ذلك من الله جزيلة ، ومنفعة المسلمين به جليلة، ونسأل الله تيسير ما أشرتم اليه من أسباب الكمال في إدارة البريد وسواها، وقد أمرنا الولد عبد الله الوزير عافاه الله بايصال مائة جنيه بواسطة بعض المصارف بعد الوقوف على إمكان وصولها بهذه الطريقة ، ولعل هذه السطور لا تصل إليكم إلا بعد وصولها

وتفضلوا بارسال أحسن المصنفات في الرد على شبه النصارى الحديثة التي ينسبونها إلى الاسلام ، والدعاء مستمد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحرر في ٢ شوال سنة ١٣٥٣

(جواب المنار العام ، بعد جواب صاحبه الخاص)

هذا نص كتاب جلالة الامام ، أيد الله بعلمه وحكمه العرب والاسلام، فأما مجموعة تفسير المنار فقد أرسلت إلى مقامه العالي بأمره ، وكان قد وصل اليه بعضها متفرقا ، وسنقر عين مقام الامامة بزيادة العناية باكمال التفسير المطول، وبما شرعنا فيه من كتابة التفسير المختصر المفيد

وأما كتاب (المنار والازهر) فقد أرسلناه معها لانه صدر في وقت شحنها وما ساء مولانا الامام من بلوغ الامر في مسألة شيخ الازهر إلى الحد الذي أشار اليه ، جدير بأن يسوء كل مسلم فكيف بمثله في مقام امامة العلم والحكم والغيرة على الاسلام ومصالحه ، وقد بذل هذا العبد الضعيف كل وسعه في تدارك الخطب قبل تفاقمه ، وعجز مثله عن درء مفاسده، بتكرار النصيحة للاستاذ الأكبر الشيخ محمد الظواهري، امتثالا للامر النبوي المطاع «الدين النصيحة » الخ وبمواتاة العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصرية في سعيه الحميد إلى الصلح، فحال اختلاف الظواهر والبواطن من الشيخ دون نجاح السعي

ثم أرجأت إصدار (كتاب المنار والازهر) أكثر من سنة ونصف لعله يتذكر أو يخشى ، ويكفينا أمره بما هو أليق بمنصبه وأولى ، فكان ما جناه عليه اجتهاده أن أسخط جماعة الازهر والمعاهد الدينية كافة من سيرته، وصار علماؤهم وطلابهم كلهم إلبا عليه ، يشكون منه ويهتفون باسقاطه في أزهرهم ومعاهدهم، ويطعنون عليه في الجرائد والمساجد والشوارع ، وتظاهرهم عليه سائر طبقات الامة خاصيها وعاميها حتى أعيا الحكومة تدارك أمره معهم ، وكان المخرج له من ذلك استقالته من رياسته عليهم، ولكنه مازال يرجح جميع ضروب الاهانة، على ما هو دونها من ذل الاستقالة، ولو كان أمر عزله منوطا بالحكومة وحدها لعزلته ، واراحت نفسها والامة منه ، فرئيسها ووزير الاوقاف فيها أعلم الناس بمساويه ولا سيما الرسمي منها ، وقد أظهر التحقيق عليه بعض ما يجهله الجمهور منها ، وقد كانت نازلته من النوازل المحلية ، فصارت من الفتن العامة الاسلامية ، فنسأل الله عز وجل أن يقي العلماء وسائر المسلمين شرها ويجزي من تولى كبرها، بقدرته القاهرة وحكمته البالغة في الظالمين ، ورحمته الخاصة بالمتقين المحسنين . آمين

إلحاد في القرآن جديد

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا، أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

(مقدمة) أول من اجترأ على الالحاد في كتاب الله تعالى بتحريف كلمه عن مواضعه التي تدل عليها لغته هم الشيعة الباطنية، وكان الباعث لهم على هذا سياسياً دينيا هو الادالة للفرس المجوس من العرب بهدم دينهم الذي جمع كلمتهم وكون دولتهم وجعلهم الائمة الوارثين لملك كسرى وقيصر، فهؤلاء الشيعة هم الذين نفخوا روح الشقاق بين المسلمين والتفرق في مسألة الامامة والسلطان، بالبناء الذي أسسه عبدالله بن سبأ اليهودي، وهذا غرض كبير ألفت له الجمعيات الدينية والسياسية والثورية والفدائية، وكان أكبر ضحاياها وأولها قتل المؤسس لدولة الاسلام وفاتحها وسياسيها الاكبر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) ولا تزال فتنتهم أقوى الاسباب لكل فساد سياسي يضعف الاسلام وأهله، وهو الذي زلزل ملكه، وآخر فرق هؤلاء الباطنية المحرفين للقرآن بسوء التأويل المخالف للغته وبيان الرسول ﷺ له، هم البابية الايرانية من أزلية وبهائية، والمسيحية الهندية من قاديانية واحمدية، وكل من الفريقين من أعوان الدولة البريطانية، وقد رد المنار على كل منهما وفند تحريفهما، فليس كفرهما هو الذي نعني بهذا الالحاد الجديد

انما نعني به تقليداً للبهائية والقاديانية جد حقير، تجرأ عليه طويلب علم صغير، قصد به أن يكون له شأن كبير، يتوسل اليه بحزب قوي قدير، وهو حزب الوفد المصري، بأن يؤيده هذا الحزب بجرائده ونفوذه فيؤسس مذهبا أو نحلة كنحل هؤلاء الملاحدة الباطنية ظن انه يجد له أولياء وانصاراً من ملاحدة المتفرنجين، وهو لا يحتاج في هذا المذهب الى شيء من علوم الحديث والآثار وسيرة الرسول ﷺ كما فعلوا من قبله، لأنها ليست من الدين بزعمه، ولا الى علوم الفقه والاصول

لانها لاتدخل فيه بالاولى، فهو لم يدرسها ولا ينظر في شيء من كتبها، ويزعم أنه أعلم بالاسلام من أئمتها ومن حفاظ السنة أيضا. ولا يحتاج الى علم اللغة وآدابها وبلاغتها، ولا الى شيء من علوم الحكمة والمعقول والتاريخ، فجميع هذه العلوم عنده باطلة مضلة، والدين هو القرآن وحده وهو يفسر بعضه بعضا، وما عليه الا ان يطبقه على حوادث الخارج في كل زمان ومكان بما يرضى للناس، وان خالف مدلول متن اللغة وفقه فنونها وما فهمه أهل العصر الاول وعملوا به وان أجمعوا عليه

فمن ذلك أنه الف رسالة أنكر فيها الرق والتسري وتأول الآيات في ذلك بما يخالف اللغة وسنة النبي ﷺ العملية وعمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم

وألف رسالة في التنزلف الى الوفد المصري المؤلف من المسلمين والقبط جعلها على قاعدته تفسيراً لقوله الله تعالى (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً)

ثم أخذ المصحف الشريف ووضع له حواشي سماها (الهداية والعرفان في تفسير القرآن) جل مافيها أنه يذكر رقم آية أو اكثر من سورة ويحيلك على آيات أخري أو على سورة كاملة لتقرأها وتفهم منها معني الآية التي لم تفهمها، وهو ضرب من جنون الجهل ليس له فيه ضريب، ويزيد على ذلك تحريف آيات الله الكونية للانبياء عليهم السلام بما هو مخالف لاجماع أهل القبلة من المسلمين، ويوافق تحريف الباطنية الملحدين، من فرق الاسماعيلية والقرامطة الاولين، والبهائية والقاديانية المعاصرين، وقاعدته انكار وقوع شيء في العالم مخالف لما يعلم من سنن الطبيعة !! كالحمل بعيسى (ع.م) وولادته وتكليمه الناس في المهد، واحيائه الموتى وابراء الاكمه والابرص له، فهذه عنده عبارة عن التعليم والوعظ النافع المحيي للقلوب والمبرىء من امراض النفوس، لا من الآيات الكونية لعيسى عليه السلام، وإنباؤه لبني اسرائيل بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم عبارة عن تعليمهم لتدبير المنزل، كأن اليهود كانوا مقصرين في نظام المعيشة الدنيوية والمالية !! هذه أصول دين الشيخ أبي زيد الدمنهوري في تحريف كتاب الله والالحاد فيه

وقد طبع المصحف مشوهاً له بهذا التحريف المشتمل على الكفر الصريح،

فانكره علماء الأزهر وغيرهم وبينوا مافيه من الالحاد ، وجزموا بتحريم نشره ، ووجوب احراقه أو اغراقه ، فصادرته الحكومة المصرية ، وكان أقوى مارد به عليه مقالات نشرناها في المنار ،

وقد خاب ما كان يأمله من نصر الوفد المصري له ، ونبذه الناس ولفظوه كالنواة وصار اذا ظهر في الشارع من بلده يصيح به الصبيان : يا كافر يا كافر ، ولكنه مع هذا لم يعلن توبة ولا رجوعا الى عقائد الاسلام ، وإنما سعى في موسم الحج الماضي لدي محمد طلعت باشا ليرسله الى الحجاز ويجعله واعظا للحجاج في الباخرة التي تحملهم فخاب سعيه ، وكان من عزم بعض العلماء الذين سافروا في باخرة شركة مصر أن يحذر الحجاج منه لو قبل وتصدى للوعظ

ثم استأنف سعيه في هذا الموسم ومهد السبيل له بمقالات نشرها في جريدة كوكب الشرق من جرائد الوفد ، ظاهر الدعوة الى الحج وزيارة قبر النبي ﷺ وباطنها إلحاد جديد في القرآن وتحريف له ، نفاقا للوفد المصري ولسعادة طلعت باشا ، ومدحا لملك العربية السعودية في ظاهر عقيدته بما هو أكبر ذم في عقائد الاسلام لو كان صحيحا

أما اطراؤه لطلعت باشا فلأجل ارساله الى الحجاز على نفقة شركة بواخر البنك وجعله واعظا للحجاج فينسى الناس ما اشتهر من الحده ، ليعود الى تجديد دعوته فأدرج في هذا المقال نفاقه للوفد المصري بجعل مؤتمره الوطني المصري الذي عقده من عهد قريب كفريضة الحج الذي سماها كغيره بالمؤتمر الديني ، فهذا من قبيل ما سبق من تشبيه وفده الى لندن بوفد المتقين يوم الحشر في الآخرة الى الرحمن عز وجل ، وأقتصر على ما خص به محمد طلعت باشا حرب وما خص به الملك عبد العزيز من إلحاده في آيات الله وتحريفه لكتابه بما لا يتجرأ عليه الا منافق يتجر بالقرآن ويشتري بآيات الله ثمنا قليلا

﴿ إلحاد أبي زيد بتحريف سورة الكوثر بجعلها لطلعت حرب باشا ﴾

نشر في العدد ٣٠٣٣ من جريدة الكوكب التي صدرت في ١٤ ذي القعدة ، مقالة عنوانها سورة الكوثر بنصها الكلام على الباخرة التي سمتها شركة بنك مصر (الكوثر) على مذهبه في تطبيق القرآن على حوادث الزمان ، بما تتبرأ منه اللغة وعقائد الاسلام فزعم أنها أنزلت على النبي ﷺ لتثبته أمام أعدائه والحاقدين عليه — والسورة أنزلت لغير هذا — ثم قال

« ولما كان القرآن يقتبس نوره في كل مكان ، وتنطبق آياته على حوادث كل زمان ، جئت بثلاث آيات منه تكونت منها سورة الكوثر بمناسبة الكلام في هذه الايام عن آية الوطنية (الباخرة الكوثر)

ثم شرع في التطبيق بين آية محمد طلعت حرب وكوثره وآية محمد رسول الله وخاتم النبيين وكوثره بما حرف به السورة كلها على قاعدة دينه في الالحاد في آيات الله فقال في تفسير آية (إنا أعطيناك الكوثر)

« والكوثر معناه الكثير أي أعطيناك الكثير من العطاء ، وقد أعطى الله طلعت باشا حرب الكثير من العطاء ، فقد أعطاه الله بنك مصر وفروعه وأعطاه شركات مصر بانواعها ، وهذا شيء ليس بالقليل في عالم الاقتصاد والثروة . وقد كان طلعت باشا موفقا حتى في اختيار الاسماء ، ومن التوفيق أن يكون للكوثر اسم في القرآن فهي رمز للخير الكثير [فصل لربك] أي فاسجد واركع لله شكراً حتى يبقى العطاء مستمراً [وانحر] أي انحر الذبائح شكراً لله أيضا وصدقة على عباده ، والا [وانحر] عدوك وشانئك لان العدو الشانيء الحاقد ينحره عملك الطيب وتقربك من الله

« واذا أخذنا المعنى الاول فربما يقول لنا طلعت باشا : هذا ينافي الاقتصاد لأن نحر الذبائح يحتاج الى زيادة المصروفات في الميزانية ، وأما نحر العدو الشانيء فلا خسارة فيه بل فيه ربح [! !] وإني ارى أن المعنى الاول وهو نحر الذبائح

فيه المعنى الثاني أيضا لان العدو الحاقد عليك ينحره معك أنك تتصدق لله، كما أنه ينحره منك أن يحبك الناس لفعل الخير والبر [! !]

[إن شانئك] لذي يعيبك ويكيد لك ويحقد عليك ويطعن فيك [هو الابتر] الناقص الذي لا يعقب خيراً، ولا تنتظر الامة من ورائه منفعة ولا مصلحة] اه

ويلي تفسيره الالحادي لسورة كوثر طلعت باشا وخطاب بأن يزيد في الشكر وعمل الخير ليزيده الله في الكوثر كما زاده الباخرة [كوثر] على الباخرة زمزم

تبا لك أيها المنافق المتجر بتحريف القرآن والالحاد فيه: أتعمد الى سورة في كتاب الله عز وجل هي أقصر السور الثلاث (١) التي خص بها الله تعالى رسوله خاتم النبيين بالمنة عليه بانه أعطاه من الخير الكثير [الكوثر] ما لو كاثر به جميع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لكثرهم وفضلهم، فتجعلها بتحريف الجهل باللغة والدين منطبقة على رئيس شركة مالية من أمته لاجل أن يحملك على إحدى بواخرها الى الحجاز لتدفع عن نفسك مقت المسلمين لك بما سبق لك من تحريف القرآن مع إصرارك عليه بتحريفك لها

ويحك أيها المنافق المتسول: إن الكوثر الذي أعطيته لمحمد طلعت حرب — عطاء — ما لا تملك لمن لا يقبل — هو ملك لشركة لها أعضاء كثيرون من الوطنيين والاجانب من الملل المختلفة، فكيف تجعله له لتقرنه بالكوثر الذي أعطاه الله لمحمد رسول الله ﷺ وأوله في الدنيا القرآن العظيم ومنه هذه السورة التي خصه بها وجعلها على قصرها معجزة له ببلاغتها وما فيها من نبأ الغيب كما أشرنا اليه في تفسيرها (٢) وآخره في يوم القيامة الحوض العظيم، وهو تعالى لم يعط مثلهما لاحد من النبيين والمرسلين، أفتشبه أكبر عطايا رب العالمين لسيد ولد آدم وأفضل الخلق بباخرة صغيرة لشركة مالية دنيوية ينتفع بها مئات من الناس في دنياهم الحقيرة؟؟ والمنتفعون بكوثر محمد ﷺ في دينهم ودنياهم وآخرتهم يعدون بمئات الملايين في هذا العصر: دع ما قبله من المهتدين به منذ أربعة عشر قرنا؟

(١) هذه الثلاث هي الضحى والانشراح والكوثر وموضوعها مكمل لموضوعهما

(٢) اني فسرتها اولا في الكلام على اعجاز القرآن من سورة البقرة وآخراً في تفسير الفاتحة وخواتيم القرآن الذي صدر في هذا العام

ويحك أيها المنافق الشحذ، إن محمد طلعت حرب الذي نعهده يمقت المنافقين في دنياهم بما دون نفاقك في دينك، غني عن جعلك إياه شريكا لنبيه رسول الله الى جميع الخلق لانه يعلم من مقامه ﷺ ما لا تعلم في جميع ما امتن الله به عليه من خير الدنيا والآخرة، ومن خدمته الاقتصادية لمصر بشركة بنك مصر وفروعها عامة وبهاتين الباخرتين خاصة قد ملأت الصحف ثناء على همته وحسن ادارته بما لا اعتداء فيه على مقام الرسول ﷺ ولا جرأة على العبث بكتاب الله عز وجل، وليس له أعداء عيابون حاقدون عليه يكيدون له فتوصيه أن ينحرهم بخرفان يضحي بها، ولقد كنت أقل ديناً وذوقا وأدبا مع الله ورسوله من ذلك الشيخ المنافق الذي أراد ان يزدلف الى الخديو توفيق باشا عند خروجه من الجامع الاحمدي في طنطا وقد زاره إذ قال له ذلك المنافق: أبشر أفندينا برؤيا عظيمة رأيتها له، رأيته راكباً والنبي ﷺ واقف بجانبه يشيعه (بل قل كلمة لا أستبيح حكايتها) فانتهره الخديو موبخاً له قائلا ما معناه: ويلك إني أعد أعظم شرف لي لو حظيت بشرف ركابه وتقبيل نعله ﷺ الخ ومحمد طلعت باشا أجدر بمثل هذا القول من محمد توفيق باشا

على أنك ظلمت طلعت باشا بجهلك إذ فسرت صلاته بسجود الشكر وركوعه على نعمة باخرة الشركة (كوثر) أو بواخرها لاجل أن تزيده باخرة أخرى، ولم تفسرها بعبادة الصلاة المفروضة عليه، وأهنته إذ صورته يعترض على تفسيرك بنحره الضحايا بانها تنافي الاقتصاد وتنقص الميزانية، وان من دونه ثروة وسخاء يذبح الضحايا في كل عام ولا يعدها منافية للاقتصاد، وقد أهنته إذ صورت له أعداء كثيرين يذمونه ويكيدون له ويحقدون عليه ويتمنون زوال نعمته، وأرشدته الى نحرهم بما ذكرت من رأي سخيف وإلحاد وتحريف، ونحن لا نرى وجيهاً في مصر تمدحه جميع طبقات الناس ولا نرى أحداً يقدح فيه مثله

ومن عجيب إعجابك بهذا الجهل والعبث باعجاز أقصر سورة في القرآن أن تزعم أنك خدمته بجعلها إعلانا للباخرة المسماة باسمها فجعلت السورة لها فقلت فض الله فاك « واني بعد هذا أرى الناس رافعين أبصارهم لرؤية صورة الكوثر بعد أن قرأوا وسمعوا سورتها » ! !

﴿إلحاده بتفسير البيت العتيق بالأثري التاريخي؛ والاباحيّ الديني﴾

(وزعمه أن الامام عبد العزيز هو المبيح لكل العقائد والتعاليم فيه)

زعم في المقالة الخامسة مما نشره في جريدة كوكب الشرق بعنوان (الحج الى بيت الله الحرام، وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام) ان وصف الله تعالى للكعبة المعظمة بالبيت العتيق من سورة الحج له معنيان (أحدهما) أن العتيق هو القديم الاثري الذي تعده الامم من آثار سلفها كالأهرام والكرنك من آثار فراعنة المصريين فهم يعظمونها لهذا، ثم قال في المقالة السادسة ما نصه:

[رأى قراء الكوكب في المقالة السابقة المعنى الاول للبيت العتيق وفهموا أنه البيت القديم لاثري وتبين لهم ما في الآثار عند الامم. كف ن كل أمة تعظم بمظمة آثارها. واليوم نذكر المعنى الثاني في البيت العتيق وهو المعنى الذي اذا سمعته الآذان تطرب له النفوس وتطمئن به القلوب، وهو الحر فالبيت العتيق معناه البيت الحر الذي ليس لاحد عليه سلطة وليس لاي قوة في العالم أن تتحكم فيه وتستبد به، فهو البيت الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد، تظهر حوله المساواة بأجلى معانيها (!) وتتجلى فيه الحرية بأكبر مظاهرها (!) فليس كالبيوت الاخرى والمساجد التي في بلاد المسلمين، فانها وان كان يطلق عليها أنها بيوت الله ليست حرة إذ لا يمكن لاحد من الناس أن يجهر فيها بالتعليم الديني الذي يخالف سياسة الحكومة القائمة على تلك البيوت والمساجد

[ولكن في مكة في البيت العتيق تجهر بما تشاء من التعليم (!) وتعبد ربك بما تعتقد من العقائد (!) وإذا أردت لامثال على هذه الحرية فارجع الى تاريخ المؤتمر في الحجاز لترى كيف قام الشيخ لاحمدي الظواهري شيخ الازهر الحالي على المنبر ونادى بأعلى صوته أنا أقول كذا وكذا وهذه عقيدتي فمن يمنعني؟ قال ذلك وهو يعتقد أنه ينادي بما يخالف عقيدة الملك وقومه!) ومع هذا لم يمنعه مانع ولم يسئ اليه مسيء!!!]

ثم استشهد على تفسيره الباطل بما كان يجاهر به بعض الهنود (شوكت علي وأخوه محمد علي) من الطعن على الملك عبد العزيز وعدم مؤاخذته إياهم، قال لا لأنهم ضيوفه بل لأنهم بزعمه في البيت الحر الذي يباح لكل أحد أن يجهر فيه وحوله بما شاء من التعاليم والعقائد غير مقيد بتوحيد ولا تشريع وليس لأولياء الامر فيه أن يمنعوه أو يؤاخذوه

كل ما قاله هذا الجاهل في وصف بيت الله تعالى باطل بأدلة اللغة والشرع والعقل والتاريخ، والباعث له عليه أشد بطلانا، فليس معنى البيت العتيق المكان الاثري الذي يعظم لانه من آثار الامة التاريخية، وليس معناه البيت الحر الذي يجوز لكل أحد أن يعبد الله كما يشاء وبما يشاء ويصرح فيه بكل اعتقاد، ولا الذي يباح فيه كل قول وفعل وإن كان منكراً كأنه في مواخير باريس وأشباهها في مصر، كل هذه الاقوال باطلة مخالفة للقرآن والسنة وإجماع المسلمين والروايات الصحيحة عن النبي ﷺ وأصحابه وعلماء التابعين، وسأبين هذا مفصلا بأدلته في الجزء الآتي من المنار إن شاء الله تعالى فقد طال هذا المقال

وأكتفي هنا بأن أهدم إلحاده هذا بقوله تعالى (٩ : ٢٨ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وقوله (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) وقد ذكر ملحد دمنهور الجملة الاولى ليستدل بها على تحريفه وحرية إلحاده وسكت عن الثانية لأنه يفسر القرآن بهواه فجعل الآية في الوعيد على أدنى الالحاد فيه دليلا على اباحة أشد الالحاد وحريته، وهو إلحاد بظلم في آيات الله بكتابه العزيز الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وزعم أن الملك عبد العزيز ليس له ولاية تخوله منع ما يخالف عقيدة التوحيد التي يدين الله بها منه لان الله جعل حرية العقائد فيه والتعاليم مطلقة غير مقيدة بالاسلام والله يقول في المشركين (٨ : ٣٦ وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه الا المتقون) فالمشركون كانوا يصدون النبي ﷺ والمؤمنين عن عبادة الله وعن الجهر بتعاليم الاسلام فيه، ولما صارت ولايته إلى المؤمنين منعوا منه عبادة الشرك والمشركين

أن يقربوه ، فعبد العزيز الفيصل هو صاحب الولاية على بيت الله الحرام ، ويجب عليه منع الجهر بعقائد الشرك والالحاد الصريح منه وتعاليمه

ولم يسكت الملك السعودي للشيخ الظواهري وولدي علي على منكر قالوه أو فعلوه جهرا لان المنكر مباح هنالك لايجوز لولي الامر منعه بيده ولا بلسانه كما فرض الله عليه وعلى المسلمين في كل مكان ، فبيت الله أحق مايجب حفظه من المنكرات ، فضلا عما هو شر منها من الشرك والالحاد ، إذا كان صاحبه يجهر به على رءوس الاشهاد ، ولكن الهنود طعنوا في شخصه وسياسته فوسعهم حلمه أن ينتقم منهم لنفسه ، وكان النبي ﷺ لا ينتقم لنفسه . والشيخ الظواهري ما علمنا انه صرح بشيء هو كفر قطعي مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كالذي يصرح به ويكتبه أبو زيد الدمنهوري من إنكار معجزات الانبياء وأحكام الدين الاجماعية بمصر ، وانما سمعنا منه في المؤتمر كلمة واحدة تحتمل معنيين فاعترض عليه أحد الاعضاء السلفيين ببيان المعنيين وبطلان الباطل منهما ، كما قال أبو زيد هذا كلمة مثلها تحتمل معنيين ، فاعترضه أحد الاعضاء أيضا

أما كلمة الشيخ الظواهري فخلاصتها ان أحد الحجاج المصريين قال له في الحرم الشريف ان رجلا سمعه يقول يارسول الله ! فأنكر عليه ، وقال الظواهري انه ليس في هذه الكلمة مايصح أن ينكر ، وانه هو يقولها ، وانه ينبغي التساهل وعدم الشقاق بين المسلمين فيما يختلفون فيه مما لايخالف عقائد الاسلام القطعية

فقام الاستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار الدمشقي السلفي وصعد منبر المؤتمر وقال ماحاصله : ان كلمة نداء الرسول ﷺ يختلف معناها المراد منها وحكمها بحسب اعتقاد قائلها وما قد يبينه بعدها . فاذا قال المسلم المتبع : يارسول الله جزاك الله عنا أو عن أمتك خير الجزاء مثلا ، لقد بلغت الرسالة وأديت الامانة ، ومافي معنى هذا فهو كلام معروف لا ينكره على قائله أحد . وإذا قال الجاهل المبتدع يارسول الله فرج كربي وأغثني واشفني مثلا فهو منكر مناف للتوحيد لانه طلب منه مالايطلب إلا من الله عز وجل الخ فما وسع الظواهري الا السكوت

وأما الشيخ أبو زيد الدمنهوري فقد كان المؤتمر يتناقش فيما اقترح بعضهم

على الملك عبد العزيز من فرض ضريبة مالية على الحجج لاجل إنشاء سكة حديدية من جدة إلى مكة المكرمة وجواب الملك عن هذا بأنه يقبل كل اقتراح للاصلاح والعمران بشرط موافقة الشرع وعدم تدخل الاجانب وغير المسلمين في أمور الحجاز، فقام الشيخ أبو زيد وصار ينادي بأعلى صوته مامعناه ان كل مافيه إصلاح وعمران فهو يوافق الشرع فان الاسلام لايمكن أن يمنع الاصلاح، فقام كاتب هذا على أثره وبين مافي هذا الاجمال من احتمال الخطأ وأن آراء الناس من الحكام وغيرهم تختلف في معنى الاصلاح ووسائله، فمنها ماهو جائز في الشرع وماهو محرم قطعاً، ومنها ماهو اصلاح عند قوم وإفساد عند آخرين، ومنها مايتنازعه الوجهان فيحتاج الى دليل يرجح أحدهما على الآخر الخ

ثم علمنا أن أبا زيد هذا ينكر جميع ما في كتب الشرع الا ما يوافق فهمه في القرآن وان كان مخالفا لما صح عن رسول الله ﷺ وما أجمع عليه المسلمون من حلال وحرام، كما بينه في أول هذا المقال، وظاهر مقالاته الاخيرة أنه مصر عليه. ومن كان يظهر الاسلام لايجهر بما يخالف القطعي منه فليس لاولي الامر أن يحاسبوه على ما في قلبه، فالاحكام العملية تبنى على الظواهر، وأتمنى أن يتوب هذا الرجل توبة صحيحة صريحة يتبرأ بها من كل ما جهر به مخالفا لاجماع المسلمين، وينشرها في جريدة أم القرى بمكة المكرمة بعد أن اشتهر بما اشتهر به

واني لاخشى مع هذا أن يكون ذهابه الى الحج بعد هذا التمهيد له في جريدة إسلامية شهيرة تحافظ على الدين ومصالحه أغفلها فنشرته له من غير مراقبة، يريد به إثارة فتنة جديدة لا انشر رأيي فيها اتباعا للظن، ولكنني أسأل الله أن يقي المسلمين من فتن الملحدين

﴿ اعتذار للقراء عامة والحجاج خاصة ﴾

رأى قراء المنار في آخر الجزء الماضي صفحة في (الحج) ختمت بالوعد بكتابة مقال فيما يجب على الحجاج في هذا العهد المترف، ولكنني رأيت قبل كتابتها مانشره الشيخ أبو زيد في الكوكب فوجب علي الرد عليه شرعا فكان بدلا من ذلك المقال وسببا لتأخير مواد أخرى

المنار

١٣١٥

تنبيه : يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع مندوب المجلة والمستلم ويجب القبض بيدها

الاشتراك : عن سنة ١٠٠ قرش صحيحة (صاغ) في مصر و ٢٥ شلنا دفعا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة وسنة المجلة عشرة أجزاء

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

عنوانها البريدي : دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤

والتلغرافي « المنار بمصر » . رقم التليفون : ٤٣٣٤٩

المجلدات الثاني والثالث والخامس من المنار

مطلوبة لدار المنار فنرجو ممن توجد عنده كلها أو بعضها ويرغب أن يستبدل بها غيرها من المجلدات أو من تفسير المنار أو غيره من مطبوعات المنار أن يخاطبنا في ذلك

شبهات النصارى وحجج الاسلام

ونحتاج لنسخة من هذا الكتاب وهو من تأليف صاحب المنار ونعطي بدله نسخة من كتاب الوحي المحمدي أو كتاب المنار والازهر أو رسالة التوحيد أو تفسير الفاتحة مع السور الست من خواتيم القرآن

(فهرس جزء المنار التاسع من المجلد ٣٤)

﴿ التفسير ﴾

(تتمة خلاصة سورة هود الاجمالية)
الشواهد على سنة اهلاك الامم بالظلم ٦٤١
الشاهد على سنة اختلاف الدين ٦٤٤
سورة يوسف (ع.م) كلمة اجمالية ٦٤٦
انزال القرآن عربيا ليعقل ٦٤٧
معنى كونه احسن القصص ٦٤٨
رؤيا يوسف ونهي ابيه له عن قصها على اخوته وما فهمه منها ٦٤٩
قصة يوسف بعد مقدمتين لها واقتباس مؤلفي القصص لاسلوبها ٦٥٣
الآيات فيها للسائلين عنها ٦٥٥
حسد اخوة يوسف بقتله أو ابعاده ٦٥٧
احتيالهم على ابيهم ليرسله معهم ٦٥٩
إلقاؤه في الجب وكذبهم على أبيهم بدعوى أكل الذئب له وحزنه وصبره الجميل عليه ٦٦١
قصته في سفر التكوين ٦٦٤
اخراجه من الجب وبيعه بثمن بخس ٦٦٦
قصته مع امرأة وزير مصر ٦٦٨
مسألة المراودة والهم والمطاردة ٦٧١
همها بالبطش به وهمه وما رأى من برهان ربه وخطأ جمهور المفسرين في تفسيره ٦٧٣
استباقهما الباب ووجود زوجها عنده ٦٨٢
تصريحه بمراودتها له وشهادة شاهد من اهلها بما يثبت الذنب عليها ٦٨٣
عدم غيرة الوزير وما قيل في نساء مصر ٦٨٤

﴿ فتاوى المنار ﴾

اسئلة من صاحب الامضاء في بيروت ٦٨٥
صد جهلة المقلدين عن المنار وكتبه وما يقال لهم ٦٨٧
هداية الكتاب والسنة لا تستلزم الاطلاع على جميع كتب الحديث ٦٨٨
سؤال العامي للعالم بها ٦٨٩
أولو الامر وشرط طاعتهم ٦٨٩
(اجوبة الاسئلة)
٢٧ الكتب في احكام القرآن والسنة ٦٩٠
٢٨ لا دليل على التقليد الاعمى وما لا يجوز التقليد فيه مطلقا ٦٩٠
٢٩ أخذ الربا من البنوك للتصدق ٦٩١
٣٠ ابليس من الملائكة ام الجن ٦٩١
باب المقالات
خطبة الملك ابن السعود الموسمية ٦٩٢
خطبة الاستاذ التفتازاني ٦٩٦
خطاب أمان الله خان ملك الافغان الاسبق ٦٩٨
خطاب سفير الافغان في الحجاز ومصر ٦٩٩
الخطب الاكبر في محاولة اغتيال الملك ابن السعود ٧٠٠
تأثير الحادثة في العالم ٧٠٥
الكشافة العراقية وخطاب جلالته لهم وعهده العام ٧٠٦
خطابا الاميرين سعود وفيصل لكشافة العراق ٧٠٧
محاريب المساجد ومذابح الكنائس ٧٠٨
العبره بسيرة الملك فيصل ٧١٠
تأبين أحمد زكي باشا ٧١٣
ثورة الازهر ومنتهى علاجها ٧١٧
كريم أمرکاني ينشر الوحي المحمدي في الشرق ٧١٨
مقدمة التفسير المختصر المفيد ٧١٩
الكلمة الاخيرة لمشتركي المنار ٧٢٠

(الجزء التاسع) ٦٤١ (المجلد الرابع والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

أسست ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

٢٩ ذي الحجة ١٣٥٣ برج الحمل سنة ١٣١٣هـ ش ٣ إبريل سنة ١٩٣٥

تفسير القرآن الحكيم

تفسير ساغي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(تتمة خلاصة سورة هود الاجمالية)

﴿ الشواهد ٩ ـ ١٥ على اهلاك الامم بالظلم ﴾

(في الآيات ١٠٠ — ١٠٢ و١١٢ و١١٣ و١١٦ و١١٧)

أولها في هذا السياق قوله عز وجل لرسوله خاتم النبيين (١٠٠ تلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد) والثانية (١٠١ وما ظلمناهم) أي باهلاكهم بل أنذرناهم عاقبة ظلمهم (ولكن ظلموا أنفسهم) ظلما عاما فكان هلاكهم عاما، وكان أكبر ظلمهم الشرك، فكانوا يدعون آلهتهم أن تدفع عنهم العذاب فاتكلوا عليها في دفع ما أنذرهم الرسل (فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء) الآية

هذا معنى لا يكابر فيه أحد يدعي التوحيد والايمان بالقرآن ، ولكن كثيراً من الجاهلين بعقائد القرآن اذا بينت لهم مايخالف تقاليدهم منها أنكروه، وأول ما ينكرونه أساسها الاعظم وهو توحيد الله ومعنى الشرك به منها، إذهم يظنون أن شرك أولئك الاقوام عبارة عن عبادة أصنام وأوثان من الجماد ، فاذا قيل لهم إن أصله الغلو في الصالحين ولاسيما الميتين منهم واعتقاد تصرفهم في الكون ودعاؤهم في طلب النفع ودفع الضر، وان مثله أو منه ما كان يحكى عن مسلمي بخارى أن شاه نقشبند هو الحامي لها فان تستطيع الدولة الروسية الاستيلاء عليها، وما كان يحكى عن مسلمي المغرب الاقصى من حماية مولاي ادريس لفاس وسائر المغرب أن تستولي عليها فرنسة ، أنكروا على القائل أن هذا كذلك ، وقالوا انما هو توسل بجاه الاولياء عند الله ، وليس من المنكر أن يدفعوها بكرامتهم، فكرامة الاموات ثابتة كالاحياء ، وقد بينا لهم جهلهم هذا بتبدل الاسماء، ومخالفته لكتاب الله تعالى وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح من الامة في فتوحاتهم وتأسيس ملكهم وحفظه، وخصصنا اخواننا أهل المغرب الاقصى بالانذار منذ أنشيء المنار ، وأرشدناهم إلى تنظيم قواتهم الدفاعية العسكرية ، وطلب الضباط له من الدولة العثمانية ، وإلى العلوم والفنون المرشدة إلى القوة والثروة والنظام، وإلا ذهبت بلادهم من أيديهم قطعاً، فقال المغفون لهم من أهل الطرائق القِدَد بلسان حالهم أو مقالهم : إن صاحب المنار معتزلي منكر لكرامات الاولياء ، وما هو بمعتزلي ولا أشعري، بل هو قرآني سني، وهاهي ذي فرنسة استولت على بلادهم كما أنذرهم، وظهر ان أكبر مشايخ الطريق نفوذاً ودعوى للكرامات بالباطل كالتجانية كانوا ومازالوا من خدمة فرنسة ومساعديها على فتح البلاد واستعباد أهلها أو اخراجهم من دين الاسلام الى الالحاد أو النصرانية من حيث يدرون أو لا يدرون

يجهل أمثال هؤلاء وغيرهم من الذين يظنون ان الشرك بالله تعالى خاص بعبادة الاصنام والاوثان ان أصل هذا الشرك هو الغلو في تعظيم الصالحين والتبرك أو التوسل بأشخاصهم لا بطال سنن الله تعالى، وأولهم قوم نوح فقد كانت آلهتهم (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) رجالا صالحين غلوا في تعظيمهم بعد موتهم ووضعوا لهم الصور والتماثيل للتذكير بهم كما رواه البخاري عن ترجمان

القرآن عبد الله بن عباس (رض) فكانوا يعتقدون ان أولئك الصالحين هم الذين ينفعون ويضرون ، ويدفعون العذاب بكراماتهم أو بشفاعتهم عند الله لا تماثيلهم بل نرى هؤلاء وأمثالهم من الذين يلجئون إلى قبور الصالحين لدعائهم أو مايسمونه التوسل بهم في مثل ذلك يجهلون جميع عقائد القرآن وسنن الله تعالى فيه التي أجملناها في خلاصة هذه السورة من التوحيد ووظائف الرسل — إلى هذه السنن في اهلاك الظالمين ، وامثالها في غير هذه السورة . وأكبر مصائب الاسلام أن افتتان المسلمين بالصالحين الذي اتبعوا فيه سنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعا بذراع كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ قد كان سبباً لالحاد فريق كبير من الذين يتعلمون علوم العصر ومنها سنن الخلق والاجتماع ومروقهم من الدين باعتقادهم ان الاسلام دين خرافي هو الذي أضاع ملك المسلمين ، حتى ان حكومة الترك الحاضرة تركت الاسلام الحق المنزه عن الخرافات وعادى رئيسها ومؤسسها القرآن والسنة ولغتهما وحروفهما بما لم يسبق له نظير في عهد الجاهلية والصليبيين (فظلت أعناقهم له خاضعين)

وخلاصة معنى الآية الثانية (١٠٢) أن أخذ الله للقرى الظالمة عند استحقاقهم له في المستقبل سيكون على نحو أخذه لها في الماضي أليما شديداً لا هوادة ولا رحمة ولا محاباة

وخلاصة الثالثة والرابعة (١١٣ و ١١٤) أمر الله لرسوله بالاستقامة هو ومن تاب معه كما أمر ، ونهيهم عن الطغيان والافراط فيه ، وعن الركون إلى الظالمين من المشركين ، المشبهة حالهم في قريتهم (مكة) لحال أولئك الظالمين من أهل القرى المهلكة ، لأجل أن ينجيهم من العذاب اذا وقع عليهم ، كما أنجى أتباع أولئك الرسل قبيل اهلاك قومهم ، لأن سنته تعالى في عباده واحدة

وخلاصة الخامسة (١١٦) ان الوسيلة لمنع وقوع العذاب بالامم الظالمة هو وجود أولي بقية فيها ينهون عن الفساد في الارض فيطاعون ، إذ بفقدهم يتبع الظالمون ما أترفوا فيه فيكونون مجرمين فيهلكون ، ان لم يكن باستئصالهم فبذهاب استقلالهم

وخلاصة السادسة (١١٧) أنه لم يكن من شأن الله تعالى ولا من سنته في عباده أن يهلك القرى بظلم منه وأهلها مصلحون في أعمالهم وأحكامهم ، وهو الاساس الاعظم لعلم الاجتماع في حياة الامم وموتها وعزتها وذلها ، فراجع تفسيرها

إن علماء الصحابة (رض) والتابعين وأئمة الامصار الذين ورثوا لغة القرآن بالسليقة وسنة النبي وبيانه له بالاتباع، كانوا يفهمون هذه السنن الالهية في الخلق ويهتدون بها، وإن لم يضعوا لها قواعد علمية وفنية لتفقيه من بعدهم فيها، ثم زالت سليقة اللغة من علماء المولدين فصاروا يفسرون القرآن بقواعد الفنون التي وضعوها للغة وللدين بقدر معارفهم الممزوجة بما ورثوا وما كسبوا من الشعوب التي اهتدت بالاسلام، ولم يكن علم الاجتماع مما دونه أحد، فلهذا لانرى في تفاسيرهم شيئا من هذه السنن الخاصة بسياسة الامم، بل تنكبوا هداية القرآن فيها فكانت عاقبة أمرهم ما نشكو منه ونحاول تلافيه

﴿ الشاهد ١٦ في الاختلاف في الدين ﴾

ترى في الآيتين (١١٨ و١١٩) * بيان سنة الله تعالى في اختلاف الامم في الدين كاختلافهم في التكوين والعقول والفهوم وحكمة جعلها في خاتمة السورة أنها أهم مافيها من العبر للمؤمنين بالقرآن، وهو أكمل هداية وهبها الله للانسان، لتكون كافلة كافية له الى آخر الزمان، ذلك بان ماقبلها كله من سنن الاجتماع المبينة لاسباب فساد الافراد والامم وقد أرشدهم القرآن لاتقائها فهو جامع لوصف أمراض البشر كلها ولوصف علاجها فمن آمن به وتدبره من الافراد والجماعات الصغرى (البيوت والفصائل والعشائر) والكبرى (الشعوب والقبائل) عمل به، ومن عمل به سلم من الفساد والهلاك حتما، وانما ينحصر الخوف عليهم في ترك العمل به، وهذا الترك اذا كان من بعض الافراد فخطبه سهل لانه إما أن يكون من جهله بالحكم الذي خالفه ودواؤه التعليم، وإما ان يكون من فساد تربيته ودواؤه النصيحة والارشاد، وكل منهما مفروض على اخوانه المسلمين، فان لم يقبل النصيحة بالقول فعلاجه من جماعة المؤمنين ومن حكومتهم معروف، وكذا اذا كان الترك من الجماعات الكبيرة أو الصغيرة للجهل أو لأسباب مالية أو عداوة شخصية، أو عصبية دنيوية، علاج كل ذلك في القرآن ظاهر

وانما البلاء الاكبر والموت الاحمر والخطر الاسود المظلم فهو اختلاف الشيع والاحزاب في الدين والزيغ عن القرآن باتباع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء

(*) هما آيتان في عد الكوفيين وآية واحدة في عد غيرهم وهو الراجح في المعنى

تأويله ، فهذا الذي أشير اليه في هاتين الآيتين بحرمان أهله من رحمة الله في قوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) والمراد بهذه الرحمة في الدنيا ماوعد به المؤمنين واختصهم به في آيات كثيرة منها ماهو في رحمته المطلقة كقوله (إنه بهم رءوف رحيم * وكان بالمؤمنين رحيما) ومنها ماهو خاص برحمته بكتابه الاخير الذي أكمل به دينه وأتم على المؤمنين نعمته ، كقوله فيه (وهدى ورحمة للمؤمنين) (ومنها ماهو خاص برحمته برسوله خاتم النبيين وهو وصفه تعالى إياه بما وصف به نفسه في قوله (بالمؤمنين رءوف رحيم) فهذه الرحمة الخاصة بالمؤمنين بالله الاول الآخر وبكتابه الاخير وبنبيه الخاتم ﷺ لا تتم لأفرادهم الا بتمام الاهتداء والاتباع لما كلفوه بقدر الاستطاعة الشخصية ، ولا تكون لجماعتهم وهي الامة إلا باعتصامها بحبل الله وعروة الوحدة الوثقى باجتناب السواد الاعظم منها لما نهوا عنه من التفرق والتنازع في الاصول القطعية من النصوص والسنة العملية ، ورد الاختلاف والتنازع في غير القطعي الى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وترجيح أولي الامر في المصالح العامة من السياسة والقضاء وترجيح الافراد في المسائل الاجتهادية الخاصة ، وقد فصلنا هذا في مواضعه ، فالحق فيه ظاهر ، ولكن تنفيذه يتوقف على وجود الجماعة التي أمرنا الرسول ﷺ باتباعها وعدم مفارقتها قيد شعرة ، وهي جماعة (أولي الامر) وأهل الحل والعقد ، وهم الذين يثق بهم السواد الاعظم من الامة . وينوط بهم الشرع نصب الأئمة (الخلفاء) والسلاطين عليها وعزلهم ، وقد فقدوا من أمتنا باستبداد الظالمين من ملوك العصبيات المختلفة بعد ان قضى عليها الاسلام وتبرأ الرسول ﷺ ممن دعا الى عصبية وممن قاتل على عصبية . فالواجب على المصلحين وضع نظام لاعادة حكم الاسلام وقد بسطناه في (كتاب الخلافة أو الامامة العظمى)

وأختم هذه الخلاصة بحديث « شيبتني هود وأخواتها » رواه الطبراني في الكبير عن عقبة بن عامر وأبي جحيفة مرفوعا وأشار في الجامع الصغير الى صحته . وروي عن بضعة نفر من الصحابة بزيادة «قبل المشيب» وبزيادة «وأخواتها من المفصل» في بعضها وبتسميته الواقعة والحاقة والمرسلات وعم يتساءلون وغيرها من سور قيام الساعة في بعض . وأسانيدها حسنة فليتدبرها المؤمنون .

١٢ – سورة يوسف عليه السلام

هي مكية وآياتها مائة وإحدى عشرة آية فقط ، وما قيل من أن الثلاث الاولى منها مدنيات فلا تصح روايته ولا يظهر له وجه وهو يخل بنظم الكلام، ثم راجعت الاتقان فاذا هو ينقله ويقول : وهو واه جداً فلا يلتفت اليه ، ومن العجائب أن يذكر هذا الاستثناء في المصحف المصري ويزاد عليه الآية السابعة . والمناسبة بينها وبين سورة هود أنها متممة لما فيها من قصص الرسل (ع.م) والاستدلال في كل منهما على كونها وحياً من الله تعالى دالا على رسالة محمد خاتم النبيين ﷺ بآيتين متشابهتين، ففي آخر قصة نوح من الاولى (١٩ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) وفي آخر الثانية (١٠٢ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وإشارة التأنيث في الاولى للقصة المنزلة بهذا التفصيل والبلاغة العجيبة وقيل للسورة، وإشارة التذكير في الثانية لقوله تعالى في أول السورة (نحن نقص عليك أحسن القصص) والفرق بين قصتها وقصص الرسل في التي قبلها وفي سورة الاعراف وغيرها ان تلك قصص الرسل مع أقوامهم في تبليغ دعوة الرسالة والمحاجة فيها، وعاقبة من آمن بهم ومن كذبهم، لانذار مشركي مكة ومتبعيهم من العرب، وقد كررت بالاساليب والنظم المختلفة لما فيها من أنواع التأثير ووجوه الاعجاز التي تقدم بيانها في مباحث الوحي المحمدي ثم في بحث التحدي بعشر سور مثله مفتريات . وأما سورة يوسف فهي قصة نبي واحد وجد في غير قومه قبل النبوة صغير السن وشب واكتهل فنبيء وأرسل ودعا الى دينه، وكان مملوكا ثم تولى إدارة الملك لقطر عظيم . فأحسن الادارة والتنظيم، وكان خير قدوة للناس في رسالته وجميع ما دخل فيه من أطوار الحياة وطوارئها وطوارقها، وأعظمها شأنه مع أبيه وإخوته آل بيت النبوة فكان من الحكمة أن تجمع قصته في سورة واحدة كما سنفصله إن شاء الله في خاتمتها . وهي أطول قصة في القرآن افتتحت بثلاث آيات تمهيدية في ذكر القرآن وحسن قصصه ، ثم كانت الى تمام المئة في تاريخ يوسف وختمت باحدى عشرة آية في الاستدلال بها على ما أنزلها الله لاجله من إثبات رسالة خاتم النبيين وإعجاز كتابه والعبرة العامة بقصص الرسل (ع.م)

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الر ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ

فاتحة هذه السورة هي فاتحة سورة يونس إلا وصف القرآن بالمبين هنا وبالحكيم هنالك ، وهما في أعلى ذروة من البيان ، وأقصى مدى من الحكمة والإحكام ، اختير في كل من السورتين ما يناسبها ، فسورة يونس موضوعها أصل الدين وهو توحيد الالوهية والربوبية وإثبات الوحي والرسالة باعجاز القرآن والبعث والجزاء وهي من الحكمة . وهذه موضوعها قصة نبي كريم تقلب في أطوار كثيرة كان قدوة خير وأسوة حسنة فيها كلها ، فالبيان بها أخص . يقول تعالى هنا

﴿ ١ ـ الر ، تلك آيات الكتاب المبين ﴾ أي آيات هذه السورة هي آيات الكتاب البين الظاهر بنفسه في حقيته وإعجازه وكونه ليس من كلام البشر ، والمظهر لما شاء الله من حقائق الدين ومصالح الدنيا ، وقال مجاهد : بين الله حلاله وحرامه ، وقال الزجاج : مبين للحق من الباطل والحلال من الحرام . تقول العرب أبان الشيء فعلا لازما بمعنى ظهر واتضح . وتقول أبان الرجل كذا إذا أظهره وفصله من غيره مما شأنه أن يشتبه به ، ويجوز الجمع بينهما هنا

﴿ ٢ ـ إنا أنزلناه ﴾ أي على رسولنا النبي العربي حال كونه ﴿ قرآنا عربيا ﴾ أي يبين لكم بلغتكم العربية ما لم تكونوا تعلمون من الدين والعلم والحكمة والادب والسياسة وأنباء الرسل ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ معانيه أيها العرب ، وما ترمي اليه من

مدارك العقل ، وتزكية النفس ، وتثقيف مدارك الوجدان والحس ، المراد بهما صلاح الحال ، وسعادة المآل ، والقرآن اسم جنس يطلق على بعضه كالسورة الواحدة وقيل انه المراد هنا ، وعلى جملته كلها

﴿ ٣ ـ نحن نقص عليك ﴾ أيها الرسول المصطفى ﴿ أحسن القصص ﴾ أي نحدثك أحسن التحديث بيانا وأسلوبا وإحاطة ، أو أحسن ما يقص ويتحدث عنه موضوعا وفائدة ، ويجوز الجمع بين المعنيين . فالقصص مصدر أو اسم من قص الخبر إذا حدث به على أصح الوجوه وأصدقها ، لانه من قص الاثر واقتصه إذا تتبعه وأحاط به خبراً ، كأنه قال نقصه عن اقتصاص وإحاطة ، ويجوز أن يكون بمعنى اسم المفعول ، فيكون القصص بمعنى المقصوص من الاخبار والاحاديث

﴿ بما أوحينا اليك هذا القرآن ﴾ أي بايحائنا اليك هذه السورة من القرآن ، إذ هو الغاية العليا في حسن فصاحته وبلاغته وتأثيره وحسن موضوعه ، ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ أي وان الشأن وحقيقة ما يتحدث عنه من قصتك أنت انك كنت من قبل ايحائنا إياه اليك من جماعة الغافلين عنه من قومك الاميين الذين لا يخطر في بالهم التحديث بأخبار الانبياء وأقوامهم ، وبيان ما كانوا عليه من دين وتشريع كيعقوب وأولاده في بداوتهم ، ولا ما كانت الامم فيه من ترف وحضارة كالمصريين الذين وقع بينهم يوسف وحدث لهم ما حدث في بعض بيوتاتهم العليا ثم في بيت الملك وادارة نظام الدولة

(٤) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٥) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى

آلِ يَعْقُوبَ كما أَتَمَّهَا عَلى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ ، إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

هذه الآيات الثلاث في بيان ماوقع بين يوسف في طفولته ، وأبيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام ، فاستدل أبوه برؤياه على أنه سيكون له شأن عند الله وعند الناس ، فتعلق به أمله ، وشغف به قلبه ، فكان مبدأ لكل ماحدث له من الوقائع المحرقة ، ومن العاقبة المشرقة ، فهذه الرؤيا لايظهر تأويلها الا في آخر هذه الرواية ، وأصحاب القصص المنتحلة في عصرنا يحتذون أسلوب قصة يوسف في سورته هذه بوضع خبر مشكل خفي يشغل فكر القاريء في أولها ويظل ينتظر وقوع مايحل اشكاله ، ويفسر مآله ، فلايصيبه الا في آخر القصة ، وقد قال النبي ﷺ « ان الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم » رواه أحمد والبخاري وغيرهما ، وفي رواية الكريم بن الكريم

﴿ ٤ ـ اذ قال يوسف لأبيه ياأبت ﴾ هذا شروع في بيان أحسن القصص فهو بدل منه يشتمل عليه . والاكثرون يعدونه بدء كلام جديد يقدرون له متعلقا : اذكر أيها الرسول اذ قال يوسف لأبيه : ياأبت الخ والتاء هنا بدل من ياء المتكلم وهو مسموع من العرب في نداء الاب والام والفصيح كسرها وسمع فتحها وضمها أيضا ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ﴾ في المنام بدليل مايأتي بعد ، ثم بين الصفة التي رأى عليها هذه الجماعة السماوية بقوله ﴿ رأيتهم لي ساجدين ﴾ والسجود التطامن والانحناء الذي سببه الانقياد والخضوع أو المبالغة في التعظيم وأصله قولهم : سجد البعير ـ إذا خفض رأسه لراكبه عند ركوبه ، وكان من عادات الناس في تحية التعظيم في بلاد فلسطين ومصر وغيرهما ، واستعمل في القرآن بمعنى انقياد كل المخلوقات لارادة الله تعالى وتسخيره فهو سجود طبيعي غير إرادي ، ولا يكون السجود عبادة إلا بالقصد والنية من الساجد للتقرب الى من يعتقد أن له عليه سلطانا ذاتيا غيبياً فوق سلطان الاسباب المعهودة . وكأن الاصل في التعبير

عن سجود هذه الكواكب التي ليس لها إرادة أن يقول رأيت كذا وكذا ساجدة لي ، ولكنه أراد أن يخبر والده أنه رآها ساجدة سجود إرادة واختيار كسجود العقلاء المكلفين فأعاد فعل رأيت وجعل مفعوله ضمير العقلاء وجمع صفة هذا السجود جمع المذكر السالم ، فعلم أبوه أن هذه رؤيا إلهام لا يمكن أن تعد من أضغاث الاحلام ، التي تثيرها في النوم الخواطر والافكار، ولا سيما خواطر غلام صغير كيوسف يخاف أبوه أن يأكله الذئب ، وفي سفر التكوين أنه كان قد بلغ السادسة عشرة وهو بعيد

٥ ـ ﴿ قال يابني لاتقصص رؤياك على أخوتك ﴾ يابني تصغير لكلمة ابن في نداء العطف والتحبب، وقص الرؤيا على فلان كقص القصة معناه أخبره بها على وجه الدقة والاحاطة كما تقدم آنفا، وقد يفهم منه المعبر البصير المعنى المناسب للرائي القص أو المعنى الذي تؤول اليه في المستقبل إن كانت رؤيا حق كما يقع للانبياء عليهم السلام قبل وحي التكليم ومقدماته ، وقد فهم هذا يعقوب واعتقد أن يوسف سيكون نبياً عظيما ذا ظهور وسلطان يسود به أهله حتى أباه وأمه وإخوته ، وخاف أن يسمع إخوته ماسمعه ويفهموا مافهمه فيحسدوه ويكيدوا لاهلاكه فنهاه أن يقص رؤياه عليهم وعلله بقوله ﴿ فيكيدوا لك كيداً ﴾ أي إن تقصصها عليهم يحسدوك فيدبروا ويحتالوا للايقاع بك تدبيراً شيطانياً يحكمونه بالتفكير والروية ، كما يفعل الاعداء في المكايد الحربية ، يقال كاده إذا وجه اليه الكيد مباشرة ، وكاد له اذا دبر الكيد لاجله سواء كان لمضرته وهو المراد هنا ، أو لمنفعته ومنه قوله تعالى في تدبير يوسف لابقاء أخيه عنده (كذلك كدنا ليوسف) وسيأتي بيان هذه المقابلة

﴿ إن الشيطان للانسان عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة بينها لا تفوته فرصة لها فيضيعها . هذا بيان مستأنف للسبب النفسي لهذا الكيد وهو أنه من وسوسة الشيطان في النزغ بين الناس عند ماتعرض له داعية من هوى النفس وشرها الحسد الغريزي في الانسان ، كما عبر عنه يوسف بعد وقوعه وسوء تأثيره وحسن عاقبته بقوله (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي) وفي قصته من سفر التكوين

أن يوسف قص رؤياه على أبيه وإخوته جميعا من أول وهلة . وما قصه الله هو الحق الذي روي بالتواتر القطعي وسفر التكوين غير مروي بالاسانيد المتصلة المتواترة، ولا دليل على أن أصله وحي من الله تعالى، ولكنه كتاب قديم التاريخ له قيمة لا تعصمه من الخطأ

٦ ـ ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ﴾ أي ومثل ذلك الشأن الرفيع والمجد البديع الذي تمثل لك في رؤياك ، يجتبيك ربك لنفسه ويصطفيك على آلك وغيرهم فتكون من عباده المخلصين (بفتح اللام كما وصفه الله فيما يأتي قريبا) فالاجتباء افتعال من جبيت الشيء إذا خلصته لنفسك ، والجباية جمع الشيء النافع كالماء في الحوض والمال للسلطان ولي الامر ﴿ ويعلمك من تأويل الاحاديث ﴾ أي يعلمك من علمه الدني تأويل الرؤى وتعبيرها أي تفسيرها بالعبارة والاخبار بما تؤول اليه في الوجود، وهو تأويلها كما سيأتي حكاية لقول يوسف لابيه (هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) أو ماهو أعم من ذلك من معاني الكلام ، وسميت الرؤى أحاديث باعتبار حكايتها والتحديث بها ، وقال بعض المفسرين وتبعه غيره إن الرؤيا حديث الملك إن كانت صادقة وحديث الشيطان إن كانت كاذبة، وهذا القول يخالف الواقع فان رؤيا يوسف ليس فيها حديث وكذا رؤيا صاحبيه في السجن ورؤيا ملك مصر ، وانما سميت رؤيا لانها عبارة عما يرى في النوم كما ان الرؤية اسم لما يرى في اليقظة فهما كالقربة والقربى وفرق بينهما للتمييز، وقد يسمع رائيها أحاديث رجل يحدثه ولكن تأويل رؤياه يكون لجملة ما رآه وسمعه لا لما سمعه فيها فحسب ، كما يقصه بحديثه على من يعبره له . أي يعبر به من مدلول حديثه اللفظي إلى مايؤول اليه. وقد يكون قريبا كرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك، وقد يكون بعيداً كتأويل رؤيا يوسف نفسه ، ولفظ الاحاديث اسم جمع سماعي كالأباطيل . والرؤيا الصادقة ضرب من إدراك نفس الانسان أحيانا لبعض الاشياء قبل وقوعها باستعدادها الفطري ، إما بعينها وهو قليل ، وإما بمثال يدل عليها وهو المحتاج إلى التأويل ، وسنبين الفرق بين الرؤيا الصادقة وبين أضغاث الاحلام ، ورأي علماء الافرنج ومقلديهم فيها في خلاصة السورة الاجمالية إن شاء الله تعالى ،

وتعليم الله التأويل ليوسف إيتاؤه إلهاما وكشفا للمراد منها وفراسة خاصة فيها وفيما أعم منها ، كما يدل عليه قوله الآتي لصاحبي السجن (١٢ : ٣٦ لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي) روي عن ابن زيد انه قال في تأويل الاحاديث : تأويل العلم والحلم وكان يوسف من أعبر الناس ، وقال الزجاج تأويل أحاديث الامم السالفة والكتب المنزلة

زعم الزمخشري وتبعه مقلدوه ان هذه الجملة كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك وبنى هذا على ما فهمه من دلالة الرؤيا على الاجتباء فقط ، وما هذا الفهم إلا من تأثير قواعد النحو ، والذي نجزم به ان يعقوب عليه السلام فهم من هذه الرؤيا فهما مجملا كل ما يبشر به ابنه رائيها ، وأما كيد اخوته له اذا قصها عليهم فقد استنبطه استنباطا من طبع الانسان ، وعداوة الشيطان . فلما حذره من الاستهداف لذلك باثارة حسدهم ، قفى عليه ببشارته بما تدل عليه الرؤيا من اجتباء ربه الخاص به ، ومن تأويل الاحاديث وهو الذي سيكون وسيلة بينه وبين الناس الى رفعة قدره وعلو مقامه ، فهو معطوف على الاجتباء مشترك معه في البشارة

ثم عطف عليه ﴿ ويتم نعمته عليك ﴾ بالنبوة والرسالة والملك والرياسة ﴿ وعلى آل يعقوب ﴾ وهم أبواه وإخوته وذريتهم (وأصل الآل أهل بدليل تصغيره على أهيل ، وهو خاص في الاستعمال بمن لهم شرف وخطر في الناس كآل النبي صلى الله عليه وسلم وآل الملك ويقال لغيرهم أهل) باخراجهم من البدو ، وتبوئهم المقام الكريم بمصر ، ثم بتسلسل النبوة في أسباطهم الى أجل معلوم ﴿ كما أتمها على أبويك من قبل ﴾ أي من قبل هذا العهد أو من قبلك ﴿ ابراهيم واسحق ﴾ هذا بيان لكلمة أبويك وهما جده وجد أبيه ، وقدم الاشرف منهما ، وهذا الاستعمال مألوف عند العرب وغيرهم وكانوا يقولون للنبي ﷺ يا ابن عبد المطلب بل قالها هو أيضا ، وهذا التشبيه مبني على ما كان يعلمه يعقوب من وعد الله لابراهيم باصطفاء آله ، وجعل النبوة والكتاب في ذريته ، وانما علم من رؤيا يوسف انه

هو حلقة السلسلة النبوية الاصطفائية بعده من أبنائه ، فلهذا علل البشارة بقوله ﴿ إن ربك عليم حكيم ﴾ أي عليم بمن يصطفيه حكيم باصطفائه، وبإعداد الاسباب وتسخيرها له: وكان هذا العلم من يعقوب بما بشر الله به أبويه لهما ولذريتهما، وبدلالة رؤيا يوسف على أنه هو حلقة السلسلة الذهبية لها ، هو السبب كما قلنا لزيادة حبه وعطفه وحرصه عليه ، الذي هاج ما كان يحذره من حسد اخوته وكيدهم له، ولكونه لم يصدق ما زعموه من أكل الذئب له، ولم ينقطع أمله منه، بل لم ينقص ايمانه بما أعده الله له ولهم به، ولكن علمه بذلك كان اجماليا لا تفصيليا ، وقد جاءت قصته من أولها الى آخرها مفصلة لهذا الاجمال ، تفصيلا هو من أبدع بلاغة القرآن ، وزاد بعض المفسرين في التشبيه إنجاء إبراهيم من النار وإنجاء اسحق من الذبح ، ولكن التحقيق أن الذبيح إسماعيل لا اسحق كما يدل عليه قوله تعالى بعد قصته من سورة الصافات (وبشرناه باسحق) وكون القصة كانت في الحجاز وهي الاصل في اضاحي منى هناك ، وإنما الذي نشأ في الحجاز اسماعيل لا اسحق كما هو معلوم بالتواتر

(٧) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ (٨) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ، إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ

هذا شروع في القصة بعد مقدمتين أولاهما في صفة القرآن وكونه تنزيلا من الله دالا على رسالة من أنزل عليه، وكونه عربيا تقوم به الحجة على العرب الذين يعقلونه وكون النبي ﷺ كان من قبله غافلا عما جاء فيه لا يدري منه شيئا ، ونتيجة هاتين القضيتين تأتي بعد تمام القصة في قوله تعالى (١٠٢ ذلك من أنباء الغيب) الخ والمقدمة الثانية رؤيا يوسف وما فهمه منها أبوه فهما إجماليا كليا كما بيناه آنفا،

وحذره وأنذره مايستهدف له قبله من كيد إخوته، وبشره بحسن عاقبته، ونتيجة هاتين القضيتين ماقاله لأبيه بعد دخولهم عليه وسجودهم له (١٠٠ ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا) الخ

فمثل هذا الترتيب المنطقي العقلي البديع يتوقف نظمه وسرده على سبق العلم بالقصة وتتبع حوادثها والاحاطة بدقائقها ، ثم على وضع ترتيب ينسق عليه الكلام كالقصص الفنية المتكلفة، ثم توضع له المقدمة والخاتمة في الغاية التي ألفت القصة لأجلها، فتجعل الاولى براعة مطلع ، والآخرة براعة مقطع ، فقل لمن جهل سيرة محمد ﷺ وتاريخه : إن محمدا لم يكن قارئا ولا كاتبا ، ولا خطيبا ولا شاعرا ، ولامؤرخا ، ولاراويا، ولاحافظا للشعر ولاناثرا، بل كان كماقال الله تعالى غافلا عن هذه القصة وكل ماجاء في القرآن، وكانت تنزل عليه السورة القصيرة فيعجل بقراءتها لئلا ينسى منها شيئا، فنهي عن ذلك عندماعرض له في أثناء نزول سورة القيامة بقوله تعالى (٧٥ : ١٦ لاتحرك به لسانك لتعجل به ١٧ إن علينا جمعه وقرآنه ١٨ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ١٩ ثم إن علينا بيانه) وبقوله (٢٠ : ١١٤ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما) وقوله (سنقرئك فلا تنسى) وقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فلما ضمن ربه له أمن ضياع شيء منه بعدم حفظه عند تلقيه ، أو نسيانه بعده ، زال خوفه ، وترك الاستعجال بقراءته

وهذه السورة الطويلة نزلت عليه دفعة واحدة كأكثر السور المكية حتى الطوال منها كسورة الانعام فلم يكن يدري من هذا الترتيب والنسق لها ولامن موضوعها شيئا حتى كمل له تلقيها عن الروح الأمين عليهما السلام، ولكن العجب أن يغفل عنه أو يجهله أحد من المفسرين فرسان البلاغة الفنية، والآن وقد بينته لقارىء هذا التفسير ليفطن لدلالة السورة بنظمها على إعجاز القرآن اللفظي، وبما فيها من علم الغيب على إعجازه المعنوي ، وبالاعجازين كليهما على نبوة محمد ﷺ

ورسالته، أشرع في تفسير القصة متبرئا من حولي وقوتي إلى حول الله وقوته، وهي:

٧ ﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ﴾ أي لقد كان في قصة يوسف وإخوته لأبيه أنواع من الدلائل على أنواع من قدرة الله وحكمته، وتوفيق أقداره ولطفه بمن اصطفى من عباده، وتربيته لهم، وحسن عنايته بهم، للسائلين عنها، من الراغبين في معرفة الحقائق والاعتبار بها، لأنهم هم الذين يعقلون الآيات ويستفيدون منها، ومن فاته العلم بشيء أو بحكمته أو بوجه العبرة فيه سأل عنه من هو أعلم به منه، فان الظواهر غايات لا تعلم حقائقها إلا منها، فأخوة يوسف لو لم يحسدوه لما ألقوه في غاية الجب، ولو لم يلقوه لما وصل الى عزيز مصر، ولو لم ير العزيز أمانته وصدقه لما أمنه على بيته ورزقه وأهله، ولو لم تراوده امرأة العزيز عن نفسه ويستعصم لما ظهرت نزاهته وعرف أمرها، ولو لم تخب في كيدها وكيد صواحبها من النسوة لما ألقي في السجن لاخفاء هذا الامر، ولو لم يسجن لما عرفه ساقي ملك مصر وعرف براعته وصدقه في تعبير الرؤيا، ولو لم يعلم الساقي منه هذا لما عرفه ملك مصر وآمن له وجعله على خزائن الارض، ولو لم يتبوأ هذا المنصب لما أمكنه أن ينقذ أبويه واخوته وأهلهم أجمعين من المجاعة ويأتي بهم إلى مصر فيشاركوه في رياسته ومجده، بل لما تم قول أبيه له (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) فما من حلقة من هذه السلسلة إلا وكان ظاهرها محرقا، وباطنها مشرقا، وبدايتها شرا وخسرا، وعاقبتها خيرا وفوزا، وصدق قول الله عز وجل (والعاقبة للمتقين)

فهذه أنواع من آيات الله في القصة للسائلين عن وقائعها الحسية الظاهرة، وما هو أعلى منها من علومها وحكمها الباطنة كعلم يعقوب بتأويل رؤيا يوسف وعلمه بكذبهم بدعوى أكل الذئب له، ومن شهادة الله له بالعلم بقوله (وإنه لذو علم لما علمناه) الآية، ومن شمه لريح يوسف منذ فصلت العير من أرض مصر قاصدة أرض كنعان. ومن علم يوسف بتأويل الاحاديث، ومن رؤيته لبرهان ربه، ومن كيد الله له ليأخذ أخاه بشرع الملك، ثم من علمه بأن إلقاء قميصه على

أبيه يعيده بصيراً بعد عمى سنين كثيرة ، في القصة مجال لسؤال السائلين عن كل هذه المعاني من العلم الروحاني ، وهي أخفى مما قبلها ، وأحق بالسؤال عنها .

وقيل ان المراد بالسائلين جماعة من اليهود جاؤا مكة وسألوا النبي سؤال امتحان عن نبي كان بالشام أخرج ابنه الى مصر فبكى عليه حتى عمي؟ فأنزل الله تعالى عليه سورة يوسف جملة واحدة كما في التوراة ، وروي ان بعضهم لقنوا بعض أهل مكة أن يسألوه عن قصة يوسف ، وروي ان بعضهم سألوه عن أسماء الكواكب الأحد عشر التي رآها يوسف في منامه ولم يكن يعرفها فنزل عليه جبريل فلقنه اياها فجاءت موافقة لما في التوراة ، وذكروا هذه الاسماء في تفاسيرهم ، فالمراد بالآيات على هذا دلائل نبوة محمد ﷺ ولا يصح من هذه الروايات شيء بل هي من الاسرائيليات ، وليس في التوراة ذكر لأسماء هذه الكواكب ، وقصة يوسف في القرآن موافقة لجملة ما في سفر التكوين ومخالفة له في بعض دقائقها وسنذكر من ذلك غير ما ذكرنا آنفا

٨ ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا﴾ أي ان في قصتهم لآيات في الوقت الذي ابتدؤا فيه بقولهم جازمين مقسمين : ليوسف وأخوه الشقيق له واسمه بنيامين ، أحب الى أبينا منا كلنا(١) ﴿ونحن عصبة﴾ أي يفضلهما علينا بمزيد المحبة على صغرهما وقلة غنائهما والحال اننا نحن عصبة عشرة رجال أقوياء أشداء معتصبون نقوم له بكل ما يحتاج اليه من أسباب الرزق والحماية والكفاية ﴿ان أبانا لفي ضلال مبين﴾ انه لفي تيه من المحاباة لهما ضل فيه طريق العدل والمساواة ضلالا بينا لا يخفى على أحد ، اذ يفضل غلامين ضعيفين من ولده لا يقومان له بخدمة نافعة ، على العصبة أولي القوة والكسب والنجدة . وهذا الحكم منهم على أبيهم جهل مبين وخطأ كبير ، لعل سببه اتهامهم اياه بافراطه في حب أمهما من قبل ، فيكون مثاره الاول اختلاف

(١) الاخبار بمثل هذا التفضيل يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع مذكراً ومؤنثا ، والمعرف بأل تجب فيه المطابقة وبالاضافة يجوز فيه الوجهان

الامهات بتعدد الزوجات ولا سيما الاماء منهن (*) وهو الذي أضلهم عن غريزة الوالدين في زيادة العطف على صغار الاولاد وضعافهم وكانا أصغر أولاده ، فقد سئل والد بليغ : أي ولدك أحب اليك ؟ قال صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر ، ومريضهم حتى يشفى

ومن فوائد القصة وجوب عناية الوالدين بمداراة الاولاد وتربيتهم على المحبة والعدل واتقاء وقوع التحاسد والتباغض بينهم ومنه اجتناب تفضيل بعضهم على بعض بما يعده المفضول اهانة له ومحاباة لأخيه بالهوى ، وقد نهى عنه النبي ﷺ مطلقا ، ومنه سلوك سبيل الحكمة في تفضيل من فضل الله تعالى بالمواهب الفطرية كمكارم الاخلاق والعلم والذكاء . وما كان يعقوب بالذي يخفى عليه هذا ، وما نهاه عن قص رؤياه عليهم الا من علمه بما يجب فيه . ولكن ما يفعل الانسان بغريزته وقلبه وروحه ؟ أيستطيع أن يحول دون سلطانها على جوارحه ؟ كلا

دلائل العشق لا تخفى على أحد كحامل المسك لا يخلو من العبق

﴿ ٩ ـ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا ﴾ أي اقتلوه قتلا لا مطمع بعده ولا أمل في لقائه ، أو انبذوه كالشيء اللقا الذي لا قيمة له في أرض مجهولة بعيدة عن مساكننا أو عن العمران بحيث لا يهتدي إلى العودة الى أبيه سبيلا إن هو سلم فيها من الهلاك ﴿ يخل لكم وجه أبيكم ﴾ فيكون كل توجهه اليكم ، وكل اقباله عليكم ، يخلو الديار ممن يشغله عنكم أو يشارككم في عطفه وحبه ، وهذه الجملة من فوائد

(*) كان ليعقوب من الولد اثنا عشر ولدا ذكرا وهم (١) رأوبين بكر يعقوب (٢) وشمعون (٣) ولاوي (٤) ويهوذا (٥) ويساكر (٦) وزبولون وهؤلاء من ليئة بنت خاله لابان (٧) ويوسف (٨) وبنيامين من راحيل بنت خاله الأخرى وهما أصغر اولاده (٩) ودان (١٠) ونفتالي من بلها جارية راحيل (١١) وجاد (١٢) واشير من زلفى جارية ليئة وهؤلاء الاولاد ولدوا له وهو في فدان ارام يرعى غنم خاله لابان مهرا لابنتيه ليئة وراحيل واجرا لما زاده من خدمته في رعيها وعاد بهم بعد انقضاء الاجل وبما أخذ من غنم خاله إلى أرض كنعان إلا بنيامين فقد ولد في كنعان

درر الكلام البليغ بتصويرها حصر الحب وتوجه الاقبال والعطف بصورة الضروريات التي لاختيار الرأي ولا للارادة فيها ، لامن ظاهر الحس ، ولا من وجدان النفس ، بعد وقوع هذه الجناية التي تقتضي إعراض الوجه ، واعراض الكراهة والمقت ﴿ وتكونوا من بعده ﴾ أي من بعد يوسف أو بعد قتله وتغريبه ﴿ قوما صالحين ﴾ تائبين الى الله من هذه الجريمة ، مصلحين لأحوالكم بما يكفر إثمها ، وعدم التصدي لمثلها ، فيرضى عنكم أبوكم ويرضى ربكم ، هكذا يزين الشيطان للمؤمن المتدين معصية الله تعالى ولا يزال يزغ له ويسول ، ويعد ويمني ويأول ، حتى يرجح داعي الايمان ، أو يجيب داعي الشيطان ، وهذا الذي غلب على اخوة يوسف فكان ، ولكن بعد رأفة مخففة لحكم الانتقام ، وهو مقتضى الحكمة التي أرادها الله :

١٠ ﴿ قال قائل منهم ﴾ أبهمه القرآن لان تعيينه بتسميته لا فائدة منها في عبرة ولا حكمة ، وانما الفائدة في وصفه بأنه منهم ، وهي أنهم لم يجمعوا على جناية قتله ، وقال السدي انه يهوذا ، وفي سفر التكوين انه رأوبين ﴿ لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب ﴾ الجب البئر غير المبنية من داخلها بالحجارة وهو مذكر والبئر مؤنثة وتسمى المطوية منها طويا ، وغيابته بالفتح ما يغيب عن رؤية البصر من قعره أو حفرة بجانبه تكون فوق سطح الماء يدخلها من يدلى فيه لاخراج شيء وقع فيه أو إصلاح خلل عرض له ، وعلم من التعريف انه جب معروف كان هنالك حيث يرعون ، وجواب ألقوه ﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ وهم جماعة المسافرين الذين يسيرون في الارض يقطعون الارض من مكان إلى آخر لأجل التجارة فيأخذوه إلى حيث ساروا من الاقطار البعيدة فيتم لكم الشق الثاني مما اقترحتم وهو إبعاده عن أبيه ﴿ إن كنتم فاعلين ﴾ ما هو الصواب المقصود لكم بالذات فهذا هو الصواب ، وجناية قتله غير مقصودة لذاتها ، فعلام اسخاط الله باقترافها والغرض يتم بما دونها ؟ وفي سفر التكوين ان رؤبين مكر بهم اذ كان يريد أن يخرجه من الجب ويرجعه الى أبيه ، وانهم وضعوه في البئر وكانت فارغة لا ماء

فيها ، فمرت بهم سيارة من تجار الاسماعيليين (العرب) مسافرة الى مصر فاقترح عليهم يهوذا اخراجه وبيعه لهم اذ لا فائدة لهم من قتله وهو من لحمهم ودمهم ففعلوا ، فهذا مادار بينهم وأجملوه من أمرهم

(١١) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١٢) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٣) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٤) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ

هذا بيان مستأنف لما كادوا به أباهم بعد اثمارهم بيوسف ليرسله معهم وهو الحق ، وفي سفر التكوين ان أباهم هو الذي أرسله اليهم بعد ذهابهم

١١ ﴿ قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف ﴾ يعنون أي شيء عرض لك من الشبهة في أمانتنا فجعلك لاتأمنا على يوسف ؟ وكانوا قد شعر وامنه بهذا بعد ما كان من رؤيا يوسف ويظهر انهم قد علموا بها ، كما انه شعر منهم بالتنكر له على حد قول الشاعر * كاد المريب بأن يقول خذوني * ﴿ وإنا له لناصحون ﴾ أي والحال إنا لنخصه بالنصح الخالص من شائبة التفريط أو التقصير ، أكدوا هذه الدعوى بالجملة الاسمية المصدرة بان وتقديم « له » على خبرها واقترانه باللام . ولولا شعورهم بارتيابه فيهم لما احتاجوا الى كل هذا التأكيد

١٢ ﴿ أرسله معنا غداً يرتع ويلعب ﴾ أي أرسله معنا غداة غد اذ نخرج كعادتنا الى مراعينا في الصحراء يرتع معنا ويلعب . وقرىء في المتواتر أيضا نرتع ونلعب بنون الجماعة وهي مفهومة من قراءة الياء فان المراد من خروجه معهم مشاركته اياهم في رياضتهم وأنسهم وسرورهم بحرية الاكل واللعب والرتوع وهو

أكل مايطيب لهم من الفاكهة والبقول وأصله رتع الماشية حيث تشاء . قال الزمخشري في الكشاف (نرتع) نتسع في أكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة اه وأما لعب أهل البادية فأكثره السباق والصراع والرمي بالعصي والسهام ان وجدت. وسيأتي ان لعبهم كان الاستباق بالعدو على الأرجل ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ مادام معنا نقيه من كل سوء وأذى ، أكدوا هذا الوعد كسابقه مبالغة في الكيد

وفي التفسير المأثور عن ابن عباس (رض) أرسله معنا غداً نرتع ونلعب . قال نسعى ونتنشط ونلهو . وعن ابن زيد [يرتعي بالياء وكسر العين قال يرعى غنمه وينظر ويعقل ويعرف مايعرف الرجل] وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن هارون قال كان أبو عمرو يقرأ (نرتع ونلعب) بالنون فقلت لأبي عمرو كيف يقولون [نرتع ونلعب] وهم أنبياء ؟ قال لم يكونوا يومئذ أنبياء . وقد توسع بعض المفسرين في هذه المسألة وعدوها مشكلة لظنهم ان اللعب غير جائز وقوعه من الانبياء . والتحقيق ان من اللعب ما هو نافع فهو مباح أو مستحب ، ومنه ملاعبة الرجل لزوجه وملاعبتها له كما ورد في الحديث الصحيح ، وأن اخوة يوسف لم يكونوا أنبياء يومئذ ولا بعده كما حققناه في محله ، وإن من التنطع والغفلة استشكال اللعب المباح في نفسه ممن شهد الله عليهم بالكيد لاخيهم والائتمار بقتله وتعمد إيذائه وفجيعة أبيهم به وكذبهم عليه وغير ذلك من كبائر المعاصي !!

١٣ ﴿ قال إني ليحزنني أن تذهبوا به ﴾ أي قال أبوهم جوابا لهم : اني ليحزنني ذهابكم به بمجرد وقوعه ، والحزن ألم النفس من فقد محبوب أو وقوع مكروه ، وفعله من باب قتل في لغة قريش وتعديه تميم بالهمزة واللام في قوله ليحزنني للابتداء ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب ﴾ والخوف ألم النفس مما يتوقع من مكروه قبل أن يقع ﴿ وأنتم عنه غافلون ﴾ أي في حال غفلة منكم عنه واشتغال عن مراقبته وحفظه بلعبكم ، قيل لو لم يذكر خوفه هذا لهم لما خطر ببالهم أن يقع ، ولعله قاله من باب الاحتياط أو الاعتذار بالظواهر ، وإن كان يعلم حسن عاقبته في الباطن ، على

علمه هذا كان مجملا مبهما ومقيدا بالاقدار المجهولة كما أشرنا اليه من قبل

١٤ ﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾ أي والله لئن اختطفه الذئب من بيننا وأكله والحال اننا جماعة شديدة القوى تعصب بنا الامور، وتكفي ببأسنا الخطوب ﴿إنا إذن لخاسرون﴾ وخائبون في اعتصابنا أو لهالكون لا يصح أن نعد من الاحياء الذين يعتد بهم ويركن اليهم، وهذه الجملة جواب للقسم أغنى عن جواب الشرط

أجابوه عما يخافه بما يرجون أن يطمأنه، وأما حزنه فلا جواب عنه لانه في حد ذاته لا بد منه وليس في استطاعتهم منعه، إذ هو لازم لفراقه له ولو فراقا قليلا فيه منفعة ليوسف في صحته بترويض جسمه في ضحى الشمس وهبوب الرياح وحركة الاعضاء في زمن قصير يعود بعده فيزول حزنه ويكون سروره مضاعفا لو صدقوا

---

(١٥) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٦) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٧) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٨) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ، قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ

هذه الآيات الاربع في بيان ما نفذوا به عزمهم بالفعل، وما اعتذروا به لأبيهم من كذب، وما قابلهم من تكذيب وصبر، واستعانة بالله عز وجل، قال

١٥ ﴿فلما ذهبوا به﴾ في الغد من ليلتهم التي استنزلوا فيها أباه عن امساكه

عنده ﴿ وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب ﴾ أي أزمعوه وعزموا عليه عزما اجماعيا لا تردد فيه بعد ما كان من اختلافهم قبل في قتله أو تغريبه ، وجواب « لما » محذوف للعلم به مما قبله ومما بعده وتقديره نفذوه بأن ألقوه في غيابة ذلك الجب بالفعل ﴿ وأوحينا اليه ﴾ عند إلقائه فيه وحيا إلهاميا علم أنه منا مضمونه: وربك ﴿ لتنبأنهم بأمرهم هذا ﴾ معك إذ يظهرك الله عليهم ويذلهم لك ويجعل رؤياك حقا ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ يومئذ بما آتاك الله ، أو الآن بما يؤتيك في عاقبة هذه الفعلة التي فعلوها بك ، أو بهذا الوحي في الجب وهو المرتبة الاولى من مراتب التكليم الالهي للانبياء بعد التمهيد له بالرؤيا الصادقة . وقد هون الله تعالى على يوسف مصيبته به فعلم أنها مصيبة في الظاهر نعمة في الباطن ، وقد نقلوا عن السدي أن إخوة يوسف طغوا في القسوة عليه والتنكيل به فقالوا وفعلوا مالا يصدر مثله إلا عن رعاع الناس وأراذل المجرمين الظالمين، وما هي إلا الاسرائيليات المنفرة من الاسلام والمسلمين

١٦ ﴿ وجاؤا أباهم عشاء يبكون ﴾ أي جاءوه في وقت العشاء إذ خالط سواد الليل بقية بياض النهار فهذه حال كونهم يبكون ليقنعوه بما يبغون وقد بينه تعالى بقوله:

١٧ ﴿ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق ﴾ أي ذهبنا من مكان اجتماعنا الى السباق يتكلف كل منا أن يسبق غيره ، فالاستباق تكلف السبق وهو الغرض من المسابقة والتسابق بصيغة المشاركة التي يقصد بها الغلب، وقد يقصد لذاته أو لغرض آخر في السبق وعنه (فاستبقوا الخيرات) فهذا يقصد به السبق لذاته لا للغلب ، وقوله الآتي في هذه السورة (واستبقا الباب) كان يقصد به يوسف الخروج من الدار هربا من حيث تقصد امرأة العزيز باتباعه إرجاعه، وصيغة المشاركة لا تؤدي هذا المعنى ، ولم يفطن الزمخشري علامة اللغة ومن تبعه لهذا الفرق الدقيق

﴿ وتركنا يوسف عند متاعنا ﴾ من فضل الثياب وما عون الطعام والشراب

(مثلا) يحفظه إذ لا يستطيع مجاراتنا في استباقنا الذي يرهق به قوانا ﴿ فأكله الذئب ﴾ إذ أوغلنا في البعد عنه فلم نسمع صراخه واستغاثته ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ أي بمصدق لنا في قولنا هذا لاتهامك إيانا بكراهة يوسف وحسدنا له على تفضيلك إياه علينا في الحب والعطف ﴿ ولو كنا صادقين ﴾ في الامر الواقع أو نفس الامر ، أو — ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدقتنا في هذا الخبر لشدة وجدك بيوسف

١٨ ﴿ وجاؤا على قميصه بدم كذب ﴾ المراد من هذه الجملة الفذة في بلاغتها أنهم جاؤا بقميصه ملطخا ظاهره بدم غير دم يوسف يدعون أنه دمه ليشهد لهم بصدقهم فكان دليلا على كذبهم ، فنكر الدم ووصفه باسم الكذب مبالغة في ظهور كذبهم في دعوى أنه دمه حتى كأنه هو الكذب بعينه ، فالعرب تضع المصدر موضع الصفة للمبالغة كما يقولون شاهد عدل ، ومنه * فمن به جود وأنتم به بخل * وقال « على قميصه » ليصور للقارىء والسامع أنه موضوع على ظاهره وضعا متكلفا ولو كان من أثر افتراس الذئب له لكان القميص ممزقا والدم متغلغلا في كل قطعة منه ، ولهذا كله لم يصدقهم ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا ﴾ هذا إضراب عن تكذيب صريح تقديره : إن الذئب لم يأكله بل سهلت لكم الامارة بالسوء أمرا إمرا ، وكيدا نكرا ، وزينته في قلوبكم فطوعته لكم حتى اقترفتموه ، أي هذا أمركم وأما أمري معكم ومع ربي ﴿ فصبر جميل ﴾ أو فصبري صبر جميل لا يشوبه جزع اليائسين من روح الله ، القانطين من رحمة الله ، ولا الشكوى إلى غير الله ﴿ والله المستعان على ما تصفون ﴾ من هذه المصيبة لا أستعين على احتمالها غيره أحدا منكم ولا من غيركم

هذا هو الفصل الاول من قصة يوسف وهو صفوة الحق من أحسن القصص بما فيه من الدقة والعبرة ، وقد شوهه رواة الاساطير والمفتريات الاسرائيلية بما ظنوا انه من أخبار التوراة وما هو منها ومن شاء فليقرأ هذا الفصل من قصة يوسف في سفر التكوين ليرى الفرق البعيد بين كلام الله وكلام البشر ، وليعلم المغرور

بما نقله المفسرون من الاسرائيليات فيها كالسدي الكبير الذي هو أقل كذبا وأكثر إتقانا لاساطيره من السدي الصغير ، أن كل ما فيها من الزيادة لا أصل له عند أهل الكتاب ولا هو مروي عن نبينا ﷺ فهو كذب صراح (*)

(*) الفصل أو الاصحاح ٣٧ من سفر التكوين

وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان ٢ هذه مواليد يعقوب إذ كان يوسف ابن سبع عشرة سنة وكان يرعى مع اخوته الغنم وهو غلام عند بني بلهة وبني زلفة امرأتي أبيه . وأتى يوسف بنميمتهم الرديئة الى أبيهم ٣ وأما اسرائيل فأحب يوسف أكثر من سائر بنيه لأنه ابن شيخوخته فصنع له قميصا ملونا ٤ فلما رأى إخوته ان أباهم أحبه أكثر من جميع إخوته أبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام ٥ وحلم يوسف حلما وأخبر إخوته فازدادوا أيضا بغضا له ٦ فقال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي حلمت ٧ فهانحن حازمون حزما في الحقل واذا حزمتي قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتي ٨ فقال له إخوته ألعلك تملك علينا ملكا أم تتسلط علينا تسلطا، وازدادوا أيضا بغضا له من إجل أحلامه ومن أجل كلامه ٩ ثم حلم أيضا حلما آخر وقصه على اخوته ، فقال إني قد حلمت حلما أيضا واذا الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا ساجدة لي ١٠ وقصه على أبيه وعلى اخوته فانتهره أبوه وقال له ماهذا الحلم الذي حلمت؟ هل نأتي انا وأمك واخوتك لنسجد لك الى الأرض ١١ فحسده اخوته وأما ابوه فحفظ الأمر ١٢ ومضى اخوته ليرعوا غنم أبيهم عند شكيم (١) ١٣ فقال اسرائيل ليوسف أليس اخوتك يرعون عند شكيم ؟ تعال فأرسلك اليهم ، فقال له ها أنذا ١٤ فقال له اذهب انظر سلامة اخوتك وسلامة الغنم ورد لي خبراً ، فأرسله من وطاء حبرون (٢) فأتى الى شكيم ١٥ فوجده رجل واذا هو ضال في الحقل فسأله الرجل قائلا ماذا تطلب ١٦ فقال انا طالب اخوتي أخبرني أين يرعون؟ ١٧ فقال الرجل قد ارتحلوا من هنا لأني سمعتهم يقولون لنذهب الى دوثان، فذهب يوسف وراء اخوته فوجدهم في دوثان ١٨ فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب اليهم احتالوا له ليميتوه ١٩ فقال =

(١) وشكيم هذه في محل نابلس اليوم (٢) هي مدينة الخليل والوطاء الوادي

(١٩) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ

= بعضهم لبعض هو ذا هذا صاحب الأحلام قادم ٢٠ فالآن هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله فنرى ماذا تكون أحلامه ٢١ فسمع رأوبين وأنقذه من أيديهم وقال لا نقتله ٢٢ وقال لهم رأوبين لا تسفكوا دما، اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا اليه يداً، لكي ينقذه من أيديهم ليرده الى أبيه ٢٣ فكان لما جاء يوسف الى أخوته انهم خلعوا عن يوسف قميصه القميص الملون الذي عليه ٢٤ وأخذوه وطرحوه في البئر، وأما البئر فكانت فارغة ليس فيها ماء ٢٥ ثم جلسوا ليأكلوا طعاما فرفعوا عيونهم ونظروا واذا قافلة اسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم حاملة كثيراء و بلسانا ولاذنا ذاهبين لينزلوا بها الى مصر ٢٦ فقال يهوذا لأخوته ما الفائدة ان نقتل أخانا ونخفي دمه ٢٧ تعالوا فنبيعه للاسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه اخونا ولحمنا فسمع له اخوته ٢٨ واجتاز رجال مديانيون تجار، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر و باعوا يوسف للاسماعيليين بعشرين من الفضة فأتوا بيوسف الى مصر ٢٩ ورجع رأوبين الى البئر واذا يوسف ليس في البئر فمزق ثيابه ٣٠ ثم رجع الى اخوته وقال الولد ليس موجوداً وانا الى أين أذهب ٣١ فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيسا من المعزى وغمسوا القميص في الدم ٣٢ وأرسلوا القميص الملون وأحضروه الى أبيهم وقالوا وجدنا هذا حقق أقميص ابنك هو أم لا ؟ ٣٣ فتحققه وقال قميص ابني وحش رديء أكله ، افترس يوسف افتراسا ٣٤ فمزق يعقوب ثيابه ووضع مسحا على حقويه وناح على ابنه أياما كثيرة ٣٥ فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه فأبى أن يتعزى وقال اني أنزل الى ابني نائحا الى الهاوية وبكى عليه أبوه ٣٦ وأما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط

هاتان الآيتان في استعباد قافلة من التجار ليوسف (ع م) والاتجار به

١٩ ﴿ وجاءت ﴾ ذلك المكان الذي كانوا فيه ﴿ سيارة ﴾ صيغة مبالغة من السير (كجوالة وكشافة) أي جماعة أو قافلة وفي سفر التكوين أنهم كانوا من الاسماعيليين أي من العرب ﴿ فأرسلوا واردهم ﴾ المختص بورود الماء للاستقاء لهم ﴿ فأدلى دلوه ﴾ أي أرسله ودلاه في ذلك الجب فتعلق به يوسف فلما خرج ورآه ﴿ قال يابشرى هذا غلام ﴾ يبشر به جماعته السيارة . قرأها الجمهور يابشراي بالاضافة إلى ياء المتكلم والكوفيون بدونها وأمال ألفها حمزة والكسائي . ونداء البشرى معناه أن هذا وقتها وموجبها فقد آن لها أن تحضر ، ومثله قولهم : ياأسفا وياأسفي ، وياحسرتا وياحسرتي . إذا وقع ما هو سبب لذلك. فاستبشر به السيارة ﴿ وأسروه بضاعة ﴾ أي أخفوه من الناس لئلا يدعيه أحد من أهل ذلك المكان لأجل أن يكون بضاعة لهم من جملة تجارتهم ، والبضاعة ما يقطع من المال ويفرز للاتجار به ، مشتق من البضع وهو الشق والقطع ومنه البضعة والبضع من العدد وهي من ثلاث لى تسع والبضعة من اللحم وهي القطعة . وما قيل من أن الذين أسروه هم الوارد الذي استخرجه ومن كان معه دون سائر السيارة أو ان الضمير في أسروه لاخوة يوسف فهو خلاف الظاهر ﴿ والله عليم بما يعملون ﴾ أي بما يعمله هؤلاء السيارة وما يعمله إخوة يوسف فلكل منهم ارب في يوسف: السيارة يدعون بالباطل أنه عبد لهم فيتجرون به، وإخوة يوسف أمرهم مع أبيهم في اخفائه وتغريبه ودعوى أكل الذئب إياه معلوم وانه كيد باطل . وحكمة الله تعالى فيه فوق كل ذلك

٢٠ ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة ﴾ شرى الشيء يشريه باعه واشتراه ابتاعه ، أي باعوه بثمن قليل ناقص عن ثمن مثله على انه ليس له مثل ، هو دراهم لادنانير ، معدودة لاموزونة، وإنما يعد القليل ويوزن الكثير ، وكانت العرب تزن ما بلغ الأوقية وهي أربعون درهما فما فوقها وتعد ما دونها ، ولهذا

يعبرون عن القليلة بالمعدودة ، والبخس في اللغة الناقص والمعيب (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) وروي تفسيره هنا بالحرام وبالظلم لانه بيع حر فيكون وصفه بدراهم معدودة مستقلا لا تفسيراً لبخس وظاهر النظم ان الذين شروه هم السيارة. وفي سفر التكوين أن إخوته قرروا بيعه الاسماعيليين ، وقد أخرجه من الجب جماعة من مدين وباعوه لهم وقد بعد ذكرهم ، ويحتمل أن يكون لفظ شروه قد استعمل بمعنى اشتروه وهو مسموع ، ويكون المراد انهم اشتروه من اخوته بثمن بخس ثم باعوه في مصر بثمن بخس أيضا وهو ادماج من دقائق الايجاز ، وأما الثمن البخس الذي بيع به ففي سفر التكوين أنه كان عشرين (شاقلا) من الفضة وقدر علماء التاريخ القديم الشاقل بخمسة عشر غراما من الوزن العشري اللاتيني المعروف في عصرنا فيكون ثمنه ٣٠٠ غرام من الفضة ، وعن ابن مسعود (رض) أنه عشرون درهما ولعله سمعه عن اليهود فظن العشرين عندهم هي الدراهم عند العرب

﴿ وكانوا فيه من الزاهدين ﴾ أي وكان هؤلاء الذين باعوه من الراغبين عنه الذين يبغون الخلاص منه لئلا يظهر من يطالبهم به لانه حر ، والثمن لم يكن مقصودا لهم ولهذا قنعوا بالبخس منه

حادثة يوسف مع امرأة العزيز

(٢١) وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ، وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٢) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

(هاتان الآيتان تمهيد للقصة في وجهة نظر مشتريه فيه وتمكين الله له وتعليمه وغلبه على أمره وإيتاؤه حكما وعلما وشهادته باحسانه)

﴿ وصية مشتريه لامرأته به ورجاؤه في تبنيه وعناية الله به ﴾

٢١ ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه ﴾ لم يبين القرآن اسم الذي اشتراه من السيارة في مصر ولا منصبه ولا اسم امرأته لأن القرآن ليس كتاب حوادث وتاريخ وإنما قصصه حكم ومواعظ وعبر وتهذيب ، ولكن وصفه النسوة فيما يأتي بلقب العزيز وهو اللقب الذي صار لقب يوسف بعد أن تولى ادارة الملك في مصر فالظاهر أنه لقب أكبر وزراء الملك ، وللمفسرين أقوال في اسمه واسمها واسم ملك مصر ليس للقرآن شأن فيها . وفي سفر التكوين انه كان رئيس الشرط وحامية الملك وناظر السجون ، وان اسمه فوطيفار ، ووصف فيه بالخصي ولكن الخصيان لا يكون لهم أزواج فقيل في تصحيحه لعله لقب لا يقصد به هذا المعنى . وقد تفرس هذا الوزير الكبير في يوسف أصدق الفراسة اذا وصى امرأته باكرام مثواه ، والمثوى مصدر واسم مكان من ثوى بالمكان يثوي (كرمى يرمي) ثواء أي أقام ، فتضمنت هذه الوصية اكرامه وحسن معاملته في كل ما يختص باقامته بحيث يكون كواحد منهم ولا يكون كالعبيد الخدم ، وعلل ذلك بما يدل على أمله ورجائه فيه ﴿ عسى أن ينفعنا ﴾ بالقيام ببعض شئوننا الخاصة أو شئون الدولة العامة لما يلوح عليه من مخايل الذكاء والنباهة ﴿ أو نتخذه ولداً ﴾ فيكون قرة عين لنا ، ووارثا لمجدنا ومالنا ، اذا تم رشده وصدقت فراستي في نجابته ، وفهم من هذا الرجاء أن العزيز لم يكن له ولد وما كان يرجو ان يكون له ، وروي أنه كان عقيما . وكان رجاؤه هذا كرجاء امرأة فرعون موسى فيه من بعده ، وكانت صالحة ملهمة ، وأما العزيز فكان ذكياً صادق الفراسة فاستدل من كمال خلق يوسف وخلقه ، وذكائه وحسن خلاله ، على ان حسن عشرته وكرم وفادته وشرف تربيته ، خير متمم لحسن استعداده الفطري ، إذ لا يفسد أخلاق الاذكياء الا البيئة الفاسدة وسوء

القدوة ، وما كان الا صادق الفراسة ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الارض ﴾ أي وعلى هذا النحو من التدبير والتسخير جعلنا ليوسف مكانة عالية في أرض مصر كان هذا العطف عليه والرجاء فيه من هذا العزيز مبدأها ليقع له في بيته ثم في السجن ما يقع من التجارب والاتصال بساقي الملك فيكون وسيلة للوصول اليه ﴿ ولنعلمه من تأويل الاحاديث ﴾ كتعبير الرؤيا ومعرفة حقائق الامور ما ينتهي به إلى الغاية من هذا التمكين، وقول الملك له (إنك اليوم لدينا مكين أمين) وقوله للملك (اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم) ﴿ والله غالب على أمره ﴾ أي على كل أمر يريده ويقدره فلا يغلب على شيء منه بل يقع كما أراد ، فكل ما وقع ليوسف من اخوته ومن مسترقيه وبائعيه ومن توصية الذي اشتراه لامرأته باكرام مثواه ومما وقع له مع هذه المرأة وفي السجن قد كان من أسباب ما أراده تعالى له من تمكينه في الارض ، وان كان ظاهره على خلاف ذلك ، ويجوز ان يكون المعنى والله غالب على أمر يوسف فهو يدبره ويلهمه الخير ولا يكله الى تدبير نفسه واتباع هواه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ انه تعالى غالب على أمره بل يأخذون بظواهر الامور ، كما استدل اخوة يوسف بابعاده على أن يخلو لهم وجه أبيهم ويكونوا من بعده عنهم قوما صالحين. ويقابل الاكثر في هذا المقام يعقوب عليه السلام، فقد كان يعلم ان الله غالب على أمره ، وأقواله صريحة في الدلالة على علمه ما تقدم منها وما تأخر في هذه القصة ، ولكن علمه كلي إجمالي لا يحيط بتفصيل الجزئيات المجهولة في مطاوي الاقدار كما قلنا من قبل

بدئت هذه القصة ببيان إيتاء الله الحكم والعلم ليوسف عند استكمال سن الشباب وبلوغ الاشد ، وان هذا العطاء جزاء منه سبحانه له على إحسانه في سيرته منذ سن التمييز لم يكن مسيئا في شيء قط ، وختمت بشهادته تعالى بما كان من امتناع العزيز ببراءته من الخطيئة والتياث امرأته بها وحدها . قال عز وجل :

٢٢ ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ أي رشده وكماله قوته وشدته باستكمال نموه البدني والعقلي ﴿ آتيناه حكما وعلما ﴾ أي وهبناه حكما إلهاميا بما يعرض له أو عليه

من النوازل والمشكلات مقرونة بالحق والصواب، وعلما لدنيا صحيحا بحقائق ما يعنيه من الامور، وهذه السن في عرف الاطباء تتم في خمس وعشرين سنة، ولأهل اللغة ورواة التفسير فيها أقوال فعن عكرمة أنها ٢٥ سنة وعن ابن عباس انها ثلاث وثلاثون سنة ولعله أخذه من قوله تعالى في كمال البنية الانسانية (حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة) فجعلها درجتين بلوغ لاشد وبلوغ الاربعين وهي سن الاستواء كما قال في موسى (٢٨ : ١٤ فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين) فالاول مبدأ استكمال النمو العضلي والعصبي والثاني مستواه، وبه يتم الاستعداد للنبوة ووحي الرسالة وقد ثبت عن علماء النفس والاجتماع ان الانسان يظهر استعداده العقلي والعلمي بالتدريج حتى اذا بلغ خمساً وثلاثين سنة لا يظهر فيه شيء جديد من العلم الكسبي غير ما ظهر من بدء سن التمييز الى هذه السن، وإنما يكمل ما كان ظهر منه اذا هو ظل مزاولا له ومشتغلا بتكميله، وقد بينا ذلك في تفسير قوله تعالى (١٠ : ١٦ فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون) وفصلناه في كتاب الوحي المحمدي وقد ظهر حكم يوسف وعلمه

بعد بلوغ أشده في مصر كما يأتي تفصيله في مواضعه ﴿ وكذلك نجزي المحسنين ﴾ أي وكذلك شأننا وسنتنا في جزاء المتحلين بصفة الاحسان، الثابتين عليه بالاعمال، الذين لم يدنسوا فطرتهم ولم يدسوا أنفسهم بالاساءة في أعمالهم، نؤتيهم نصيبا من الحكم بالحق والعدل، والعلم الذي يزينه ويظهره القول الفصل، فيكون لكل محسن حظه من الحكم الصحيح والعلم النافع بقدر إحسانه، وبما يكون له من حسن التأثير في صفاء عقله، وجودة فهمه وفقهه، غير ما يستفيده بالكسب من غيره، لا يؤتى مثله المسيئون باتباع أهوائهم وطاعة شهواتهم، وقال ابن جرير الطبري: وهذا وان كان مخرج ظاهره على كل محسن فالمراد به محمد ﷺ يقول له عز وجل كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من أخوته ما لقي... فكذلك افعل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة وامكنك في الارض الخ اه ولا شك أن هذه السنة في جزاء المحسنين عامة ولكل محسن منها بقدر إحسانه، وإذن يكون حظ محمد ﷺ أعظم من حظ يوسف وغيره من الانبياء عليهم السلام

(٢٣) وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ: هَيْتَ لَكَ، قَالَ مَعَاذَ اللهِ، إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٤) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ، كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٥) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ، قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(مسألة المراودة والهم والمطاردة)

٢٣ ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ﴾ هذه الجملة معطوفة على جملة وصية العزيز لامرأته بإكرام مثواه وما علله به من حسن الرجاء فيه، وما بينه الله تعالى من عنايته به وتمهيد سبيل الكمال له بتمكينه في الارض، يقول ان هذه المرأة التي هو في بيتها نظرت اليه بغير العين التي نظر اليه بها زوجها، وأرادت منه غير ما أراده هو وما أراده الله من فوقهما، هو أراد ان يكون فهرمانا أو ولداً لها، والله أراد أن يمكن له في الارض ويجعله سيد البلاد كلها، وهي أرادت ان يكون عشيقا لها، وراودته عن نفسه أي خادعته عنها وراوغته لأجل ان يرود أو يريد منها ما تريد هي منه مخالفا لارادته هو وإرادة ربه، والله غالب على أمره، قال في المصباح المنير: أراد الرجل كذا ارادة وهو الطلب والاختيار، وراودته على الامر مراودة وروادا من باب قاتل طلبت منه فعله وكأن في المراودة معنى المخادعة لان المراود يتلطف في طلبه تلطف المخادع ويحرص حرصه. وقال الراغب:

المراودة أن تنازع غيرك في الارادة فتريد غير مايريد ، أو ترود غير مايرود ، وذكر شواهد الآيات في هذه القصة ومنها قول إخوة يوسف له (سنراود عنه أباه) أي نحتال عليه ونخدعه عن إرادته ليرسل أخاه معنا . وقال في أساس البلاغة : وراوده عن نفسه خادعه عنها وراوغه ، وقال في الكشاف المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ، كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت مايفعل المخادع عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده ، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه ، وهي عبارة عن التحيل لمواقعته إياها اه ولو رأت منه أدنى ميل اليها وهي تخلو به في مخادع بيتها لما احتاجت إلى مخادعته بالمراودة ، ولما خابت في التعريض له بالمغازلة والمهازلة ، تنزلت إلى المكاشفة والمصارحة ، إذ كان كل ماسبقه منها وحدها لم يشاركها فيه ،

﴿ وغلقت الابواب ﴾ أي أحكمت اغلاق باب المخدع الذي كانا فيه وباب البهو الذي يكون أمام الحجرات والغرف في بيوت الكبراء وباب الدار الخارجي ، وقد يكون في أمثال هذه القصور أبواب أخرى متداخلة ﴿ وقالت هيت لك ﴾ أي هلم أقبل وبادر ، وزيادة « لك » بيان للمخاطب كما يقولون هلم لك وسقيا لك . واقتصر على هذا في التنزيل ، وهو منتهى النزاهة في التعبير ، والله أعلم بمازادته من الاغراء والتهييج الذي تقتضيه الحال ، ونقل رواة الاسرائيليات عنها وكذا عنه من الوقاحة ما يعلم بالضرورة أنه كذب فان مثله لا يعلم الا من الله تعالى أو بالرواية الصحيحة عنها أو عنه ولا يستطيع أن يدعي هذا أحد كما يأتي قريبا . وهيت اسم فعل قري ء بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبضمها كحيث ، وروي انها لغة عرب حوران ، وكان سبب اختيارها انها أخصر ما يؤدي المراد بأكمل النزاهة اللائقة بالذكر الحكيم ، وهو مالم يعقله أولئك الرواة لما يخالفه وينافضه ﴿ قال معاذ الله ﴾ أي أعوذ بالله معاذاً وأتحصن به فهو يعيذني أن أكون من الجاهلين الفاسقين ، كما قال بعد ان استعانت عليه بكيد صواحبها من النسوة (وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين)

وجملة قال معاذ الله الخ بيان مستأنف لجواب يوسف مبني على سؤال تقديره : وماذا قال بعد تسفل المرأة وهي سيدته إلى هذه الدركة من التذلل له ؟ وهو كما قالت

مريم ابنة عمران للملك الذي تمثل لها بشراً سويا (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) وحلل هذه الاستعاذة بقوله ﴿ إنه ربي أحسن مثواي ﴾ أي إنه تعالى ولي أمري كله أحسن مقامي عندكم وسخركم لي بما وفقني له من الامانة والصيانة فهو يعيذني ويعصمني من عصيانه وخيانتكم ، ويحتمل أنه أراد بربه مالكه العزيز في الصورة وان كان حرا مظلوما في الحقيقة ، كما يقال رب الدار ، وكان من عرفهم طلاقه على الملوك والعظماء كما يأتي في قوله عليه السلام لساقي الملك في السجن (اذكرني عند ربك) ولكن الله عاقبه انه لم يذكر حينئذ ربه ، فكان نسيانه له سببا لطول مكثه في السجن كما يأتي ، ثم إنه قال لرسول الملك . اذ جاءه يطلبه لأجله (ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم) وعلى هذا القول وقد جرى عليه الجمهور يكون الضمير في « انه » ما يسمونه ضمير الشأن والقصة أي ان الشأن الذي أنا فيه هو ان سيدي المالك لرقبتي قد أحسن معاملتي في اقامتي عندكم وأوصاك باكرام مثواي فلن أجزيه على احسانه بشر الاساءة وهو خيانته في أهله ، وهذا التفسير تعليل لرد مراودتها بعد الاستعاذة بالله منها ، لا تعليل للاستعاذة نفسها كالأول ، والفرق بينهما دقيق لما بينهما من العموم في الاول والخصوص في الثاني . ثم علل امتناعه بما هو خاص بنزاهة نفسه فقال ﴿ إنه لا يفلح الظالمون ﴾ لانفسهم وللناس كالخيانة لهم والتعدي على أعراضهم وشرفهم ، لا يفلحون في الدنيا ببلوغ مقام الامامة الصالحة والرياسة العادلة ، ولا في الآخرة بجوار الله ونعيمه ورضوانه . . وفي جملة الجواب من الاعتصام والاعتزاز بالايمان بالله والامانة للسيد صاحب الدار والتعريض بخيانة امرأته له المتضمن لاحتقارها ما أضرم في صدرها نار الغيظ والانتقام ، مضاعفة لنار الغرام ، وهو ما بينه تعالى بقوله مؤكدا بالقسم لانه مما ينكره الاخيار من شرور الفجار :

٢٤ ﴿ ولقد همت به ﴾ أي وتالله لقد همت المرأة بالبطش به لعصيانه أمرها ، وهي في نظرها سيده وهو عبدها ، وقد أذلت نفسها له بدعوته الصريحة إلى نفسها بعد الاحتيال عليه بمراودته عن نفسه ، ومن شأن المرأة أن تكون مطلوبة لا طالبة ،

ومراودة عن نفسها لامراودة ، حتى ان حماة الانوف من كبراء الرجال ، ليطئطئون الرءوس لفقيرات الحسان ربات الجمال ، ويبذلون لهن مايعتزون به من الجاه والمال ، بل إن الملوك ليذلون أنفسهم لمملوكاتهم ولا يأبون ان يسمون أنفسهم عبيداً لهن ، كما روي عن بعض ملوك الاندلس :

نحن قوم تذيبنا الاعين النجـ ـل على أننا نذيب الحديدا
فتوانا لدى الكريهة أحرا رآ وفي السلم للملاح عبيداً

ولكن هذا العبد العبراني الخارق للطبيعة البشرية في حسنه وجماله ، وفي جلاله وكماله ، وفي إبائه وتأله ، قد عكس القضية ، وخرق نظام الطبيعة والعوائد بين الجنسين ، فأخرج المرأة من طبع أنوثتها في إدلالها وتمنعها ، وهبط بالسيدة المالكة من عزة سيدتها وسلطانها ، ودهور الاميرة (الاتوقراطية) من عرش عظمتها وتكبرها ، وأذلها لعبدها وخادمها ، بما هو نه عليها : قرب الوساد ، وطول السواد (١) والخلوة من وراء الابواب ، حتى انها لتراوده عن نفسه في مخدع دارها ، فيصد عنها علواً ونفاراً ، ثم تصارحه بالدعوة إلى نفسها فيزداد عتواً واستكباراً ، معتزاً عليها بالديانة والامانة ، والترفع عن الخيانة ، وحفظ شرف سيده وهو سيدها وزوجها وحقه عليها أعظم ، ان هذا لاحتقار لايطاق ، ولا علاج لهذا الفتن المتمرد إلا تذليله بالانتقام ، هذا ماثار في نفس هذه المرأة المفتونة بطبيعة الحال (كما يقال) وشرعت في تنفيذه أو كادت ، بأن همت بالبطش به في ثورة غضبها ، وهو انتقام معهود من مثلها وممن دونها في كل زمان ومكان ، وأكثر بما تروبه لنا منه قضايا المحاكم وصحف الاخبار ، وكاد يرد صيالها ويدفعه بمثله وهو قوله تعالى

﴿ وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ ولكنه رأى من برهان ربه في سريرة نفسه ، ماهو مصداق قوله تعالى (والله غالب على أمره) وهو إما النبوة التي تملي الحكم

---

١) السواد بالفتح شخص الانسان وبالكسر مصدر ساوده اذا ساره فقرب سواده من سواده أي شخصه من شخصه . والكلمة لابنة الخص اعتذرت بها عن نفسها بعد ان فتنت فقيل لها : لم ... وأنت سيدة قومك ؟ فقالتها فارسلتها مثلا يجب أن يعتبر به الذين يتساهلون في السماح لنسائهم بالخلوة بالرجال من الخدم فضلا عن غيرهم

والعلم للذين آتاه الله إياهما بعد بلوغ لاشد ، وشاهده قوله تعالى (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا) وإما معجزتها كما قال تعالى لموسى في آيتي العصا واليد (فذانك برهانان من ربك) وإما مقدمتها من مقام الصديقية العليا وهي مراقبته لله تعالى ورؤية ربه متجليا له ناظرا اليه ، وفاقا لما قاله أخوه محمد خاتم النبيين في تفسير الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » فيوسف قد رأى هذا البرهان في نفسه ، لا صورة أبيه متمثلة في سقف الدار ، ولا صورة سيده العزيز في الجدار ، ولا صورة ملك يعظه بآيات من القرآن ، وأمثال هذه الصور التي رسمتها أخيلة بعض رواة التفسير المأثور بما لا يدل عليه دليل من اللغة ولا العقل ولا الطبع ولا الشرع ، ولم يرو في خبر مرفوع إلى النبي ﷺ في الصحاح ولا فيما دونها ، وما قلناه هو المتبادر من اللغة ووقائع القصة ، ومقتضى ما وصف الله به يوسف في هذا السياق وغيره من السورة ولا سيما قوله في أوله (وكذلك نجزي المحسنين) وما فسر النبي ﷺ به الاحسان ، وقوله في تعليله

﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ أي كذلك فعلنا وتصرفنا في أمره لنصرف عنه دواعي ما أرادته به أخيراً من السوء وما راودته عليه قبله من الفحشاء ، بحصانة أو عصمة منا تحول دون تأثير دواعيهما الطبيعية في نفسه ، فلا يصيبه شيء يخرجه من جماعة المحسنين الذين شهدنا له بأنه منهم ، إلى جماعة الظالمين الذين ذمهم وشهد هو في رده عليها بأنهم لا يفلحون وشهادته حق

﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ بفتح اللام وهم آباؤه الذين أخلصهم ربهم وصفاهم من الشوائب وقال فيهم (٣٨ : ٤٥ واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الايدي والابصار ٤٦ إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ٤٧ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) وقد قلنا في أول القصة ، إن يوسف هو الحلقة الرابعة في سلسلتهم الذهبية ، وان أباه بشره بذلك بعد أن قص عليه رؤياه إذ قال له (وكذلك يجتبيك ربك) فالاجتباء هو الاصطفاء ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر (لمخلصين) بكسر اللام . والقراءتان متفقتان متلازمتان فهم مخلصون لله في إيمانهم به وحبهم وعبادتهم له ، ومخلصون عنده بالولاية والنبوة والعناية

والوقاية من كل ما يبعدهم عنه ويسخطه عليهم، والجملة تعليل لصرف الله السوء والفحشاء عنه ، ولم يقل لنصرفه عن السوء والفحشاء فانه لم يعزم عليهما بل لم يتوجه اليهما فيصرف عنهما ، وهمه لأول وهلة بدفع صياحها هم بأمر مشروع وجد مقتضيه مقترنا بالمانع منه وهو رؤيته برهان ربه فلم ينفذه ، فكان الفرق بين همها وهمه أنها أرادت الانتقام منه شفاء لغيظها من خيبتها واهانته لها فلما رأى أمارة وثوبها عليه استعد للدفع عن نفسه فكان موقفهما موقف المواثبة ، والاستعداد للمضاربة ، ولكنه رأى من برهان ربه وعصمته مالم تر هي مثله ، فألهمه أن الفرار من هذا الموقف هو الخير الذي تتم به حكمته سبحانه وتعالى فيما أعده له، فلجأ إلى الفرار ترجيحا المانع على المقتضي، وتبعته هي مرجحة للمقتضي على المانع حتى صار جزما ، واستبقا باب الدار ، وكان من امرهما مايأتي بيانه في الآية التالية، ونقدم عليه رأي الجمهور في الآية

﴿ رأى الجمهور فى همت به وهم بها وبيان بطلانه ﴾

ذهب الجمهور الى أن المعنى انها همت بفعل الفاحشة ولم يكن لها معارض ولا مانع منها ، وهم هو بمثل ذلك ولولا أنه رأى برهان ربه لاقترفها ، ولم يصح بعضهم ان يروى من أخبار اهتياجه وتهوكه فيه ووصف انهماكه وإسرافه في تنفيذه ، وتهتك المرأة في تبذلها بين يديه ، مالا يقع مثله الا من أوقح الفساق المسرفين المستهترين، الذين طال عليهم عهد استباحة الفواحش وألفتها حتى خلعوا العذار، وتجردوا من جلاليب الحياء، وأمسوا عراة من لباس التقوى وحلل الآداب، كأهل مدنية هذا العصر من الرجال والنساء في مواخير البغاء السرية ، وفي حمامات البحر الجهرية، حتى كادوا يعيدون للعالم فجور مدينة (بومباي) الرومانية، التي خسف الله بها وأمطرها من براكين النار مثلما أمطر على قرية قوم لوط من قبلها ، فان مثل هذا الذي افتروه في قصة هذا النبي الكريم لا يقع مثله ممن ابتلي بالمعصية أول مرة من سليمي الفطرة ، ولا من مزج الاعراب الذين لم تغلبهم سورة الشهوة الجامحة على حيائهم الفطري وإيمانهم وحيائهم من نظر ربهم اليهم،

فضلا عن نبي عصمه الله ووصفه بما وصف وشهد له بما شهد ، وقد بلغ بهم الجهل بالدين والوقاحة وقلة الادب ان يزعموا ان يوسف عليه السلام لم ير برهانا واحدا بل رأى عدة براهين من رؤية والده متمثلا له منكرا عليه ، وتكرار وعظه له ، ومن رؤية بعض الملائكة ونزولهم عليه باشد زواجر القرآن بآيات من سوره ، فلم تنهه من شبقه ، ولم تنهه عن غيه ، حتى كان أن خرجت شهوته من أظافره ، ومعنى هذا أنه لم يكف إلا عجزاً عن الامضاء ، أفبهذا صرف الله عنه السوء والفحشاء ، وكان من عباد الله المخلصين ، وأنبيائه المصطفين المجتبين الاخيار ؟

ولئن كان عقلاء المفسرين أنكروا هذه الروايات الاسرائيلية الحمقاء ، حماية لعقيدة عصمة الانبياء ، فانه لم يكد يسلم أحد من تأثير بعضها في أنفسهم ، وتسليمهم لهم ان الهم من الجانبين بمعنى العزم على الفاحشة ، إلا من خالف قواعد اللغة فقال ان قوله تعالى (وهمّ بها) جواب لقوله (لولا أن رأى برهان ربه) ومن قال إن جوابه محذوف دل عليه ما قبله ، فهو على هذين القولين لم يهم بشيء ، وهو خلاف المتبادر من العبارة أو ظاهرها ، وتأوله بعضهم بأن همه بالفاحشة بمقتضى الداعية الفطرية لاينافي العصمة وانما ينافيها طاعتها بدليل ما صح في الحديث ان من هم بسيئة ولم يفعلها لم تكتب عليه ، وان امتناعه عنها بترجيح داعية الايمان وطاعة الله تعالى مع طغيانها وإلحاحها الطبيعي عليه أدل على الايمان والطاعة من كونه لم يفعلها كراهة لها وعزوفا عنها لقبحها ، ولهم تأويلات من هذا ولقد كانوا لولا تأثير الرواية في غنى عنها ،

والتأويل الاخير أوله مقبول وآخره مردود ، فهنا مرتبتان إحداهما الكف عن المعصية جهاداً للنفس وكبحا لها خوفا من الله تعالى ، وهي مرتبة الصالحين الابرار ، ومرتبة الكراهة لها والاشمئزاز منها حياء من الله ومراقبة له واستغراقا في شهوده ، وهي مرتبة الصديقين والنبيين الاخيار ، الذين اذا عرضت لهم الشهوة المستلذة بالطبع ، بالصورة المحرمة في الشرع ، يعارضها من وجدان الايمان ، وتجلي الرحمن ، ماتقلب به روحانيتهم الملكية ، على طبيعتهم الحيوانية ، وهذا مما قد يحصل لمن دون الانبياء منهم ، فكيف بمن يرون برهان ربهم بأعين قلوبهم ، وينعكس نوره عن

بصائرهم فيلوح لأبصارهم ، كما أشرنا اليه في تفسيره آنفا ؟

ولهذه المرتبة درجات منها فقد الشهوة الطبيعية في هذه الحال، أو فقد الشعور بالقدرة على وضعها في الموضع المحرم مع وجودها على أشدها ، ولا عجب فقوى النفس وانفعالاتها الوجدانية تتنازع فيغلب أقواها أضعفها . حتى ن من الابحيين والاباحيات من أهل الحرية الطبيعية من يملك في مثل تلك الخلوة منع نفسه أن يبيحها لمن يراوده عنها، لاخوفا من الله ولاحياء منه لانه غير مؤمن به أو بعقابه، بل وفاء لزوج أو عشيق عاهده على الاختصاص به فصدقه

حدثنا مصور سوري كان زير نساء أنه كان في بعض الولايات المتحدة الامريكانية فأعلن في بعض الجرائد أنه يطلب امرأة جميلة لاجل أن يصورها كما يشاء بجعل معين من المال وهذا معهود عند الافرنج، فجاءه عدة من الحسان اختار إحداهن وخلا بها في حجرته الخاصة وأوصد بابها ، وأمرها بالتجرد من جميع ثيابها، فتجردت فطفق يصورها على أوضاع مختلفة من انتصاب وانحناء ، وميل والتواء، وإقبال وإدبار ، وهو لا يفكر في غير إتقان صناعته ، فعرض لها دوار في رأسها ، فجلست على أريكة للاستراحة فجلس بجانبها وأنشأ يلاعبها ويداعبها وهي ساكنة ساكتة ، فتنبه في نفسه من الشعور ما كان غافلا أو نائما ، فراودها عن نفسها ، فتمنعت بل امتنعت ، فعرض عليها المال فأعرضت ، فقال لها أنت حرة في نفسك ولكني أرجو منك أن تجيبيني عن سؤال علمي هو بيان سبب هذا الامتناع ؟ قالت سببه أنني عاهدت رجلا يحبني وأحبه على أن يكون كل منا للآخر لا يشرك في الاستمتاع به أحداً ، ولا يبتغي به بدلا ، فقال لها اني أهنئك وأحترم وفاءك هذا ، ثم أتم صناعته ونقدها الجعل المعين فأخذته وانصرفت

والراجح عندي ان هذه المرأة لم تشته مواتاة هذا الرجل فتجاهد نفسها على الامتناع ، وان المانع من اشتهائه توطين نفسها على الوفاء لعشيقها الاول حتى لم تعد تتوجه الى الاستمتاع بغيره ، وتوجيه النفس الى الشيء أو عنه هو صاحب السلطان الأعلى على الارادة ، وتربية الارادة هي أصل التخلق بالفضائل والتخلي عن الرذائل باتفاق الحكماء والصوفية ، ويسمي هؤلاء سالك طريق الحق مريدا ،

والواصل إلى غايته مرادا ، أي مجتبى مختارا، وهو لا يكون على كماله الا لاصحاب الايمان اليقيني الوجداني ، ومن ذاق عرف ، ومن حرم انحرف ، كما قال استاذنا في رسالة التوحيد ، ولقد عجبنا أن أنكر علينا بعض المحرومين عن هذا ممن نعدهم بحق من الصالحين قولنا في المقصورة الرشيدية فيمن امتنع من رقية صدر فتاة حسناء: أنت فتى خاف مقام ربه مازال ينهى نفسه عن الهوى

لم يقترف فاحشة قط ولم يعزم ولا همَّ بها ولا نوى

بغرة منها وصفو نية في معزل تشهيه اقصى ما اشتهى

مما يمنيه به شيطانه من حيث لا يطمع منه في خنا

لكنه استعصم راويا لها ما امر الله به وما نهى

إذ ظن انه فضل نفسه على يوسف عليه السلام ، وأين هذا من ذاك (*)

وجملة القول ان أعظم مزايا البشر في قوة الارادة فلولاها لكان الانسان كالحيوان الاعجم عبد الطبيعة ، ولذلك كانت المراودة احتيالا لتحويل الارادة وجعلها خاضعة للمراود ، وإنما يظفر فيها من كانت إرادته أقوى ، وفوق ذلك عناية الله تعالى (فتأمل وتدبر)

فاذا كان في أهل الاباحة والحرية المطلقة من تملك إرادتها ولا تلين لمراودها، ولا يغريها المال وهو المعبود الاكبر لامثالها في بلادها، فيحملها على نقض عهدها في مثل تلك الخلوة وذلك التجرد بين يدي مصورها ، ولقد كان من أجمل الشباب وأبرعهن في تصبي النساء ، أفيكثر أو يستغرب في رأي أولئك الرواة أن يكون يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم في وراثته الفطرية والادبية ومقام النبوة عن آبائه الاكرمين، وما اختصه به ربه وكونه هو الغالب على أمره من تربيته وعنايته، وما شهد له به من العرفان والاحسان والاصطفاء ، وما صرف عنه من دواعي السوء والفحشاء، وما قص علينا من شهادة تلك المرأة له على نفسها بقولها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي استمسك بعروة العصمة الوثقى التي لا انفصام لها ، ثم ما شهد له به صواحبها من المراودات من قولهن (حاش لله ما علمنا عليه

(*) راجع ص ٥٤٥ من جزء التفسير التاسع وما قبلها وما بعدها

من سوء) أي ادنى شيء سيء، ثم مايدت به شهادتهن من قولها (الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) أيكثر عليه أو يستغرب منه أن يكون بمنجاة من الهم الذي زعموه، وصوروه بشر ماتصوروه، أو بما صوره لهم مضلوهم من زنادقة اليهود ليلبسوا عليهم دينهم، ويشوهوا به تفسير كلام ربهم؟ ثم يكون منتهى شوط المنكرين عليهم أن يتأولوا تفسيرهم تأويلا، والقرآن يتبرأ منه بلغته وأسلوبه وأدبه وهدايته والعبرة المرادة منه لخاتم رسله والمؤمنين به، ولا يغرنك إسناد تلك الروايات إلى بعض الصحابة والتابعين، فلو لم يكن لنا من الادلة على وضعها عليهم إلا بطلان موضوعها في نفسه وكونه من علم الغيب في القصة التي لم يعلم رسول الله منها غير ماقصه الله عليه في هذه السورة كما صرح به آخرها - لو لم يكن لنا من أدلة وضعها غير هذا لكفى، فكيف وهي مخالفة للقرآن في لغته كهدايته أيضا

رد قول الجمهور في تفسير همها وهمه عليه السلام

فأنا أرد على جميع من فسروا هم المرأة بغير مااخترته لاهمه وحده، وأقول لولا الغرور بالروايات الباطلة لم يخطر لاحد منهم غيره، أرد عليهم بعبارة القرآن في مدلولها اللغوي فهو حجة عليهم فأقول:

أجمع أهل اللغة على ان الهم انما يكون بالاعمال، لا بالشخوص والاعيان، وتحقيق معناه أنه مقاربة فعل تعارض فيه المانع والمقتضي فلم يقع لرجحان المانع، وهو الموافق لقول علماء الاصول في التعارض الأعم، ولكن رجحان المانع هنا قد يكون بارادة صاحب الهم ومنه هم يوسف، وقد يكون من غيره ومنه هم هذه المرأة: كان همها واحدا وهو الضرب، وكان المانع منه إرادته هو وعجزها هي بهربه، وهاك الشواهد على القسمين

حكى الله عن المشركين في سورتي الانفال والتوبة أنهم (هموا باخراج الرسول) ﷺ من بلده مكة ولكنهم لم يفعلوا لانهم خافوا ان يستجيب له غيرهم من العرب فيقوى أمره، وحكى عن المنافقين أنهم (هموا بما لم ينالوا) إذ حاولوا أن

يشردوا به بعيره في العقبة منصرفه من غزوة تبوك ، فلم ينالوا مرادهم عجزا منهم وحفظا من ربه له ﷺ وفي معناه قوله تعالى له (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك) ولكنه قدم هنا لولا فكان دليلا على أنهم فكروا في ذلك وما قاربوا . وقال في بعض المؤمنين (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا) أي تتركا المضي مع الرسول للقتال يوم أحد جبنا واتباعا لعبد الله بن أبي ومن معه من المنافقين ، ولكن غلب عليهما داعي الايمان فلم تفشلا وهو المعبر عنه بقوله تعالى (والله وليهما) فرجحتا المانع من الفشل بالمقتضي للجهاد

وفي المسند والصحيحين وغيرها عن ابن مسعود ان النبي ﷺ هم أن يأمر رجلا يصلي بالناس ثم يأمر من يحرق على المتخلفين عن صلاة الجمعة بيوتهم - وفي حديث ابي هريرة في أبي داود والترمذي « ثم آتي قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » يعني ﷺ انهم يستحقون هذا حتى كان يفعله ولكنه امتنع ترجيحا للمانع على المقتضى

إذا علم هذا فمن الجلي أنه لا يصح تفسير (ولقد همت به) بهذا المعنى الذي أثبتناه بشواهد الكتاب والسنة الا بما قررناه ، وان ما قاله الجمهور باطل لمخالفته له ، بل للغة القرآن وهدايته ، وإنما خدعتهم به لروايات الباطلة ، وبيانه من وجوه (أولها) ان الهم لا يكون الا بفعل للهام والوقاع ليس من أفعال المرأة فتهم به وإنما نصيبها منه قبوله ممن يطلبه منها بتمكينه منه ، وهذا التمكين هو الذي يثبت به دخول الزوجية التي تستحق فيه المرأة النفقة من زوجها كما هو مقرر في الفقه (ثانيها) أن يوسف عليه السلام لم يطلب من امرأة العزيز هذا الفعل فيسعى قبولها لطلبه ورضاها بتمكينه منه هما لها ، فان نصوص الآيات قبل هذه الآية وبعدها تبرئه من ذلك بل من وسائله ومقدماته أيضا ، (ثالثها) لو أن ذلك وقع لكان الواجب في التعبير عنه ان يقال : « ولقد هم بها وهمت به » لان الاول هو المقدم بالطبع والوضع وهو الهم الحقيقي ، والهم الثاني متوقف عليه لا يتحقق بدونه (رابعها) أنه قد علم من القصة ان هذه المرأة كانت عازمة على ما طلبته طالبا جازما مصرة عليه ليس عندها أدنى تردد فيه ولا مانع منه يعارض المقتضي له ، فاذن

لا يصح ان يقال إنها همت به مطلقا حتى لو فرض جدلا انه كان قبولا لطلبه ومواتاة له ، اذ لهم مقاربة الفعل المتردد فيه ، وهو الذي يصح فيما حققناه من إرادة تأديبه بالضرب دون غيره ، فهذا هو المتبادر من نص اللغة ومن السياق وأقربه قوله عز وجل

٢٥ ﴿ واستبقا الباب ﴾ أي فر يوسف من أمامها هاربا الى باب الدار يريد الخروج منه للنجاة منها ترجيحاً للفرار على الدفاع الذي لا يعرف مداه ، وتبعته تبغي إرجاعه حتي لا يفلت من يدها وهي لا تدري أين يذهب اذا هو خرج ولا ما يقول وما يفعل ، وتكلف كل منهما ان يسبق الآخر ، فادركته ﴿ وقدت قميصه من دبر ﴾ إذ جذبته به من ورائه فانقد ، قالوا إن القد خاص بقطع الشيء طولا أو شقه والقط قطعه عرضا ﴿ وألفيا سيدها لدى الباب ﴾ أي وجدا زوجها عند الباب ، وكان النساء في مصر يلقين الزوج بالسيد واستمر هذا الى زماننا ، ولم يقل سيدهما لان استرقاق يوسف غير شرعي وهذا كلام الله عز وجل لا كلام الرجل المسترق له ، ولعله كان قد تبناه بالفعل ، فلما دخل ورآهما في هذه الحالة المنكرة ﴿ قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً ﴾ أي شيئا يسوءك مهما يكن صغيراً أو كبيراً ﴿ إلا ان يسجن ﴾ أي الا سجن يعاقب به ﴿ أو عذاب أليم ﴾ موجع يؤدبه ويلزمه الطاعة . وكان هذا القول مكراً وخداعا لزوجها من وجوه (أحدها) إيهام زوجها ان يوسف قد اعتدى عليها بما يسوءه ويسوءها (ثانيها) انها لم تصرح بذنبه لئلا يشتد غضبه فيعاقبه بغير ما تريده كبيعه مثلا (ثالثها) تهديد يوسف وإنذاره ما يعلم به أن أمره بيدها ليخضع لها ويطيعها ، فماذا قال يوسف في دفع التهمة الباطلة عنه وإسنادها اليها بالحق ؟ ولولاه لا سبل عليها ذيل الستر ، ؟

---

(٢٦) قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ (٢٧) وَإِنْ

كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٨) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٩) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ

هذه الآيات الاربع في تحقيق القضية وعلم زوجها به براءة يوسف وثبوت خطيئتها وبدىء ببيان جوابه الصريح المنتظر بعد اتهامها إياه بالتلميح وهو

﴿ آيات تحقيق زوجها في القضية ﴾

٢٦ ﴿ قال هي راودتني عن نفسي ﴾ فامتنعت وفررت كما ترى . فصارت النازلة أو القضية باختلاف قوليهما موضوع بحث وتحقيق وتشاور بين زوجها وأهلها لم يبين لنا التنزيل تفصيله لأن المقصود من القصة فيه بيان نزاهة يوسف وفضائله للعبرة بها وإنما علمنا أن هذا وقع بالفعل ، كما نعلم أنه كان متوقعا بحكم العادة والعقل ، من قوله تعالى ﴿ وشهد شاهد من أهلها ﴾ أي أخبر عن مشاهدة أو علم كالمشاهدة ، وقيل حكم وقد اختلفوا في هذا الشاهد كعادتهم في المبهمات التي يكثر فيها التخيل والاختراع هل كان صغيرا أو كبيرا أو حكيما أو من خاصة الملك أو حيوانا حتى رووا عن مجاهد انه قال ليس بآدمي ولا جان هو خلق من خلق الله : مع قول الله إنه من أهلها ، ولكن الرواية عن ابن عباس وسعيد ابن جبير والضحاك انه كان صبياً في المهد يؤيدها ما رواه احمد وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم » وابن جرير عن ابي هريرة قال « عيسى بن مريم وصاحب يوسف وصاحب جريج تكلموا في المهد » وهذا موقوف والمرفوع ضعيف وقد اختاره ابن جرير وحكاه ابن كثير بدون تأييد ولا رد ، وأما هذه الشهادة وفسرها بعضهم بالحكم فهي قوله

﴿ إن كان قميصه قد من قبل ﴾ أي من قدام ﴿ فصدقت ﴾ في دعواها انه أراد بها سوءاً فانه لما وثب عليها أخذت بتلابيبه فجاذبها فشقت قميصه وهما يتنازعان ويتصارعان

﴿ وهو من الكاذبين ﴾ في دعواه أنها راودته فامتنع وفرفتبعته وجذبته تريد

ارجاعه ﴿ وإن كان قميصه قد من دبر ﴾ أي من خلف ﴿ فكذبت ﴾ في دعواها

انه هجم عليها يريد ضربها ﴿ وهو من الصادقين ﴾ في قوله انه فر منها هاربا وهذه الشهادة ظاهرة على التفسير المختار الذى قررناه ، ومشكل على قول الجمهور كما صرح به بعض المدققين

٢٨ ﴿ فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن ﴾ أي ان هذا العمل ومحاولة التنصل منه بالاتهام من كيدكن المعهود منكن معشر النساء ، فهو لم يخص الكيد بزوجه فيقال إنه أمر شاذ منها يجب التروي في تحقيقه بأكثر مما شهد به أحد أهلها وهو لا يتهم في التحامل عليها وظلمها ، بل هو سنة عامة فيهن في التنصي من خطيئاتهن ، فقد أثبت خطيئتها مستدلا عليها بالسنة العامة لهن في أمثالها ﴿ إن كيدكن عظيم ﴾ لا قبل للرجال به ولا يفطنون لحيلكن في دقائقه

قال بعض المفسرين : ولربات القصور منهن القدح المعلى من ذلك لأنهن أكثر تفرغا له من غيرهن ، مع كثرة اختلاف الكيادات اليهن . وههنا يذكرون قوله تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) يستدلون به على ان كيد النساء أعظم من كيد الشيطان ، ولا دلالة فيه وإن فرضنا ان حكاية قول هذا أقراره ، فالمقام مختلف وانما كيد النسوان بعض كيد الشيطان ، ثم التفت اليها و لى يوسف قائلا

﴿ يوسف أعرض عن هذا ﴾ الكيد الذي جرى لك ولا تتحدث به ولا تخف من تهديدها لك ﴿ واستغفري لذنبك ﴾ أيتها المرأة وتوبي إلى الله تعالى

﴿ انك كنت من الخاطئين ﴾ أي من جنس المجرمين مرتكبي الخطايا المتعمدين لها

ولهذا غلب فيه جمع المذكر فلم يقل من الخاطئات . وقد استدل الكرخي بقول هذا الوزير الكبير لزوجه على أنه كان قليل الغيرة وزعم أبو حيان في البحر أن هذا مقتضى طبيعة تربة مصر وبيئتها ، وأنها لرخاوتها لا ينشأ فيها الأسد ولو دخل فيها لا يبقى . وهذا كلام غير مبني على علم صحيح ، فاما سبب عدم نشوء الاسد في هذا القطر فهو خلوه من الغابات والادغال التي يعيش فيها ، وأما كونه اذا أدخل لا يبقى ، فان صح بالتجربة في الماضي فسببه عدم وجود المأوى له ، وها نحن أولاء نرى الاسود والفهود والنمور تعيش وتتناسل في حديقة الحيوان بالجيزة ، وانما أشرنا الى هذا الرد على زاعميه والاطالة فيه ليست من موضوع التفسير

فتاوى المنار

أسئلة من بيروت بعد مقدمة في الاصلاح

(بسم الله الرحمن الرحيم)

صاحب الفضل والفضيلة المرشد العظيم الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا حفظه الله. السلام عليكم ورحمة الله تعالى ، وبعد فقد هدانا الله لاقتناء تفسيركم الجليل ومناركم الاغر على رغم من يخوفنا من التقرب اليكم أو مطالعة كتبكم أعداء الدين علماء السوء بدون أن يستطيعوا أن يبرهنوا بدليل معقول على مبدئهم السيء

نعم أصبحنا ولله الحمد نطالع كتبكم التي ينطق لسان حالها بما أمر الله به رسوله الكريم ﷺ بقوله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فنجد فيها كنزاً لا يفنى فنزداد بها حبا وندعو من نحبه لاقتنائها

قد عودتمونا أن لا نسير في الظلمات أو مكبين على وجوهنا ، وأن ننبذ التقليد ونجيل النظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذه دعوة سامية تهواها الفطرة ويقدسها العقل ، فأصبحنا ولله الحمد بترك التقليد أحراراً غير عبيد لعبيد . انما قد اعترانا بعض الصعوبات لتطبيق فكركم السامية تطبيقا كاملا شأن كل حديث

فالتجأنا إليكم لتهدونا إلى أقوم السبيل ، وما كنا بشاغلي فضيلتكم بالاجابة على سؤالنا لو وجدنا في كتب التفسير أو في أجزاء المنار الاخيرة بغيتنا بكاملها .

فهذه أسئلة كلها بقصد التعلم والاستفادة فتكرموا بالاجابة عليها في منارکم الاغر لتكون الفائدة عم ، إذ نرى أن من الصعب أخذ الاحكام من الكتاب والسنة لمن لا يتمكن من الانقطاع للتفقه ، خصوصا وقد اختلف في كثير منها كبار العلماء والائمة المجتهدون (رض) رغم انقطاعهم للعلم ، ولم يكن اختلافهم في الفروع المستنبطة من أحاديث غير متواترة فحسب ، بل في الاركان وأعمال أجريت من قبل الرسول الاعظم ﷺ ألوف المرات . فكيف بنا اليوم ونحن مضطرون للسعي لمعيشة عيالنا ، وتضحية أعظم أوقاتنا بذلك نظراً للضائقة المعلومة ، أليس من الضروري أن نحيط بعلم الحديث بكامله ؟ نعم ان آيات الاحكام في القرآن الكريم لا تتجاوز المائة وخمسين كما يقال ، ولكنها غير مفصلة ولا يمكن الاكتفاء بها دون السنة والحديث . فما العمل ياسيدي العلامة ؟

أما اذا أردنا أن نتبع ماقاله الامام الشوكاني (رح) من سؤال العامي للعالم عن المسألة ودليلها فيصبح المتعلم عاميا لعدم استطاعته تخصيص عمره لاستنباط ذلك من القرآن والسنة ، ومن جهة ثانية قلما نجد عالما يهدينا الى الدليل ولو طلبنا اليه ذلك ، وأكثر ما هنالك يقول كما في الكتاب الفلاني أو حاشيته ، فاهدونا هدانا الله وإياكم إلى طريقة نسير بها على نور ونطمئن بها في ديننا .

وكذلك نرجو من حضرة الاستاذ أن يجيبنا على مايلي :

١ — ما هو خير كتاب يجمع آيات الاحكام وأحاديث الاحكام

٢ — هل يوجد دليل شرعي للمقلد ينجيه يوم الحساب باتباعه من قلده اتباعا أعمى ؟ وما أقوى دليل للمقلدين غير (وأولي الامر منكم) لأنه لاحجة لهم بها ؟ فاذا كان الجواب سلبيا فكيف سكت عن هذا علماء كثيرون ممن ينتمي للمذاهب والذين ألفوا كتبا عظيمة حصروها في مذهبهم فقط ؟

٣ — رجل عنده دراهم لايشتغل بها ويحب أن يفيد الفقير البائس خصوصا في مثل هذا الوقت الضيق بأكثر من حصة الزكاة دون أن ينقص ماله ويعرض

نفسه للحاجة ، فهل اذا وضع تلك الدراهم في مصرف وأخذ عنها ربا وأعطاه لهذا الفقير يثاب على ذلك ؟ أو ان هذا الامر الذي لا ينبذه العقل يتبع قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المنافع ، ويعد من المفاسد !

٤ — ذكرتم في تفسيركم الجليل ان ابليس من الملائكة ، ولا يخفى ان الله تعالى سمى الملائكة رسلا ، والرسل معصومون من الخطأ ، فكيف توفق بين تسميته ملكا وعصمة الملائكة ؟

وختاما نسأل الله تعالى أن يقويكم لاتمام التفسير وطبعه بصورة موجزة وكذلك كتاب أحكام الربا الذي تفضلتم ووعدتم فيه ويديم نفعكم للمسلمين ويمد لنا في عمركم ودمتم خير مرشد تلميذكم عزت المرادي

(جواب المسائل البيروتية ٢٧ ـ ٣٠ وكلمة في مقدمتها)

(١) قولك في الذين يخوفونك من كتبنا ولا سيما تفسيرنا أذكرك في دفعه بأنه لا يوجد فيهم أحد يصح أن يسمى عالما من علماء التقليد فضلا عن علماء الاستقلال وإن كان دون إمامة الاجتهاد، وإنما هم أحد فريقين معمم جامد حاسد، أو عامي مقلد لحاسد ، ممن لا يميز بين الحق والباطل ، ويقل في كل منهما من اطلع على المنار أو تفسيره أو علم بما لهما من المكانة عند أكبر علماء الاقطار الاسلامية وأولها مصر فأكبر علمائها على الاطلاق يفضلون تفسير المنار على تفاسير المتقدمين والمتأخرين في الهداية وحاجة العصر اليه وغير ذلك كالعلامة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الازهر الأشهر والعلامة الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية وغيرهما ، ولا نعلم أنه يوجد عالم رسمي في مصر يصد عن سبيل الله التي يبينها المنار وتفسيره الا شيخ السوء الذي خذله الله خذلانا لم يسبق له في العالم الاسلامي نظير حتى أجمع أهل العلم وطلابه على إهانته وإسقاطه في الازهر وسائر معاهد العلم، وعدم الثقة بعلمه ولا بدينه ووافقهم جمهور الامة ، ولم يتبعه في ضلاله وإضلاله الا شيخ واحد أعمى البصيرة والبصر، وحسبكم (كتاب المنار والازهر) مبينا لهذه الحقائق ، وحسبكم من وصف هذا الاعمى افتراؤه الكذب الصريح

على من يحسده ويذمه ، وتفضيله كتب مقلدة المقلدين من الدرجة الخامسة على نصوص الكتاب والسنة وعلى كتب قدماء الأئمة ولاسيما حفاظ الحديث منهم ، ونصره البدع على السنة ، وأفظع من كل ذلك تكفيره لمن يؤمن بظاهر نصوص القرآن في صفات الله تعالى كالسلف الصالح بدون تأويلات بعض خلف المتكلمين ، ونحمد الله تعالى أن كفانا شر هؤلاء الحاسدين الجامدين ، وجعل لنا حظا من الوراثة المحمدية في قوله تعالى لرسوله ﷺ (إنا كفيناك المستهزئين) وكان آخر نصر لنا عليهم ظهور كتابنا (الوحي المحمدي) وما كان له من التأثير والتفضيل في العالم الاسلامي حتى انه طبع في العام الماضي الذي ظهر فيه مرتين وهو يطبع الآن الطبعة الثالثة قبل انتهاء السنة الثانية

(٢) ان ماندعوكم اليه من هداية الكتاب والسنة واجتناب التقليد المذموم بالنصوص لا يستلزم الاطلاع على جميع كتب الاحاديث ولا على أكثرها ، ولا القدرة على استنباط الاحكام منها ومن القرآن ، ولا على ترجيح بعض أقوال المجتهدين على بعض ، فأهم أحكام الدين الواجبة على كل مسلم هي المجمع عليها التي لا اجتهاد لاحد فيها ، وهي قسمان أعلاهما المعلوم من الدين بالضرورة الذي يعد جاحده كافراً كفر خروج من الملة ، ولا يعذر المسلم بجهله إلا اذا كان حديث عهد بالاسلام أو نشأ في شاهق جبل لم يعاشر المسلمين كما قال علماء العقائد والفقه جميعا ، والقسم الآخر يعذر بجهله العوام وقد فصلنا ذلك مرارا في المنار وفي تفسيره

وما زاد على الاحكام المجمع عليها وهو الاحكام الخلافية الاجتهادية فأمرها أهون لان جهلها لا ينافي الاسلام ، والعلم بالمنصوص منها أسهل ، وأخذه من كتب أهل الحديث أقرب من أخذه من كتب فقهاء التقليد ، وسنذكر لكم أهم كتبها

وأهم من هذه الاحكام الفقهية الاجتهادية هداية الكتاب والسنة في العلم بالله وتوحيده وأصول الايمان وشعبه وثمراتها من التقوى والتوكل والجهاد بالمال والنفس في سبيل الله وإعلاء كلمته وإعزاز دينه ، ولا تجد في كتب الفقه من هذا شيئا ، وكتب التصوف ممزوجة بالبدع والخرافات إلا قليلا منها ، فهذا أهم ماندعوكم اليه ، وكل سورة من سور القرآن حتى القصيرة تعطي متدبرها من هذه الهداية مالا

تغني غناءه الكتب الطويلة من دونها كما رأيتم في تفسيرنا للفاتحة وخواتيم سور القرآن ، ويمتاز تفسير المنار على جميع التفاسير بأنه مؤلف لاجل هذه الهداية من أقرب طرقها إلى الفطرة والعقل وصحيح النقل ، وقد شرعنا في (التفسير المختصر المفيد) الذي يسهل على كل قاريء فهم القرآن والاهتداء به ، فنسأل الله تعالى توفيقنا لاتمامه ونرجو من جميع اخواننا الدعاء لنا بذلك ، وكتاب واحد من كتب الصحاح أو السنن يكفي في هذه الهداية ، وخيرها صحيح مسلم لأنه أسهل من صحيح البخاري وأحسن جمعا وافادة ، وإن كان للبخاري مزايا أخرى

(٣) إن ماذكرتموه عن القاضي الشوكاني من سؤال العامي للعالم عن المسألة التي يجهلها وعن دليلها قد قاله غيره من دعاة الاتباع ، النهاة عن الابتداع ، وهو يقابل مايقوله المقلدون من وجوب سؤال علماء المذهب الذي ينتمي اليه والاخذ بما يقولونه له بغير دليل ، فانه بزعمهم ليس أهلا لفهم الدليل ، وهو زعم باطل بالبداهة فان العامي يكتفي من الدليل بالاجمالي ، حتى قول العالم ان في مسألته حديثا صحيحا صريحا ، أو ليس فيها نص فيعمل فيها بأصل البراءة ، وبحديث « وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها . وقد فصلنا هذه المسائل من قبل في مواضع من المنار وفي تفسير قوله تعالى (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) من سورة المائدة وقد جمعنا ما كتبناه فيها مع غيره في كتاب (يسر الاسلام) ومنه يعلم خلاف ما استشكله السائل هنا . ولكن المشكل الذي يعسر حله قلة علماء الكتاب والسنة واعتماد أكثر مدعي العلم على كتب المتأخرين ، وأكثر ما فيها آراء لمؤلفيها لا يعرف منها ماله أصل وما ليس له أصل من الكتاب والسنة فلا يشعر قارئها بأن له صلة بربه ولا يميز بينه وبين مازيد عليها من الخرافات والجهالات والبدع .

وأكبر شبهاتهم على إيثار هذه الكتب ان فهم الدين منها أسهل من فهمه من الكتاب والسنة وهي شبهة باطلة ، فان بيان الله أفصح وأجلى من كل بيان ، ويليه سنة رسول الله ﷺ الذي كلفه بيانه دون غيره

(٤) ان أولي الامر الذين أمر الله بطاعتهم بعد طاعته وطاعة رسوله إنما يطاعون في الحكم بما شرعه من الاحكام ، وجعل لهم حق الاجتهاد فيما لا نص

فيها من القضايا والمصالح ، ولم يجعل لأحد حقا في تشريع العقائد ولا العبادات ولا التحريم الديني . وهذه الكتب ممزوجة بما لاحق لاصحابها فيه من التشريع ، ومن شرع في الدين فقد جعل نفسه شريكا لله كما قال (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ؟)

﴿ أجوبة الأسئلة ﴾

(٢٧) خير الكتب في أحكام القرآن وأحاديث الأحكام

لا يعلم خير الكتب في هذا وغيره إلا من أحاط بها علما وفهما ، وحسب السائل أن يعرف الموجود المطبوع منها . وأشهر تفسير أحكام القرآن المطبوعة تفسير أبي بكر احمد بن علي الجصاص من كبار الحنفية والقاضي أبي بكر بن العربي من كبار المالكية ، وأشهر كتب أحاديث الاحكام (منتقى الاخبار) وشرحه (نيل الاوطار) للقاضي الشوكاني من علماء الحديث وهو مطبوع ومعروف للسائل . وكتاب (بلوغ المرام) للحافظ احمد بن حجر العسقلاني ، وهو أخصر من (منتقى الاخبار) ، ليس فيه من الضعاف مثل ما في المنتقى وله شروح أشهرها (سبل السلام) للعلامة المجتهد محمد بن اسماعيل الامير الصنعاني وهو مطبوع ايضا وخير منهما كتاب الالمام بأحاديث الاحكام وهو غير مطبوع

(٢٨) هل يوجد دليل شرعي على التقليد الأعمى

إن أصول عقائد الاسلام وضروريات أحكامه المجمع عليها كلها قطعية يجب على كل مسلم علم القطعي بها ولا مجال فيها لتقليد أحد ، والتقليد فيها مخالف لنصوص القرآن القضية ومن مفاسده ان أهله لا ثقة لهم بدينهم وانما هو رابطة جنسية أو اجتماعية لهم قد يترك كونها الترجيح رابطة أو منفعة أخرى عليها كما هو واقع في بلاد الترك من حكومتهم ومن أفراد كثير من في البلاد التي فشا فيها الالحاد والتفرنج .

وقد نقل الينا في هذه الايام ان أحد الوطنيين من طائفة المسلمين الجغرافيين قال لبطرك الموارنة في لبنان انه مستعد للتعمد بالنصرانية المورانية التي هو رئيسها اذا هو فزع مما يعارض به عميد فرنسة في سورية ولبنان في مسألة احتكار الدخان فمثل هذا القول لا يمكن أن يصدر من مؤمن بدين الاسلام لانه كفر صريح به لا يتوقف على التعمد المروني ، بل فقد قائله الشعور بشرف الرابطة الاسلامية

نفسها، ودعاة التقليد الاعمى من المعممين الجاهلين يحتجون على جواز التقليد وصحته بتعذر العلم الاستدلالي وفهم نصوص الاسلام في هذا العصر فلم يبق إلا التقليد ، وانما يعنون تقليد الناس لهم على جهلهم، ولو كانوا على علم بدينهم لأمكنهم أن يعلموا غيرهم ما يكونون به مثلهم ، ولما قالوا ان هذا العلم صار متعذراً ، وليس متعذراً في نفسه بل هو في منتهى اليسر ، واذا كان يغرهم ان بعض الاميين ومن في حكمهم من العوام يثق بما يقولون له إنه دين من غير بينة — أفلا يرون ان جميع المتعلمين في المدارس العصرية لا يقيم لعلمهم وزنا ، ولا يقبل منهم قولا ؟

وأما السؤال عن سكوت كثير من المؤلفين عن بيان هذه المسائل المهمة فسببه الجهل ، وما أهلك المسلمين وأضاع دينهم عليهم بعد أن لبس عليهم الحق بالباطل إلا أمثال هذه الكتب، التي ينقل بعض ملفقيها عن بعض ، ما ليس للناقل ولا للمنقول عنه به علم، وهل جاء قولهم بل اعتقادهم بتعذر العلم اليقيني بالاسلام إلا من اعتمادهم على هذه الكتب ، وهل يصدون أمثالكم عن كتبنا إلا لجهلهم وعجزهم هذا ؟

(٢٩) أخذ الربا من البنوك لانفاقه على الفقراء

من المعلوم بالدين بالضرورة ان الربا القطعي لا يجوز أخذه لاجل التصدق به لان التقرب إلى الله لا يكون بما حرمه الله فان هذا تناقض بديهي البطلان ، ولكن لاستغلال المال في الشركات المالية من المصارف وغيرها أعمالا ليست من الحرام القطعي قد بيناها من قبل وسيكون كتابنا الذي وعدنا بإكماله خير مفصل لها إن شاء الله تعالى

(٣٠) كون ابليس من الملائكة المعصومين

ان كون ابليس كان من الملائكة هو ظاهر الآيات في قصة السجود لآدم وقد قلنا إنه يعارضها آية سورة الكهف في استثنائه منهم (إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) وقلنا ان الجن اسم جنس لهؤلاء المخلوقات الخفية ومنهم نوع الملائكة المعصومين لقوله تعالى في العرب الذين كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) فالتحقيق إذن أن ابليس وذريته نوع من هذا الجنس أي الجن المكلفين غير المعصومين ومنهم أشرار كالشياطين

﴿ باب المقالات ﴾

خطبة الامام الملك ابن السعود الموسمية

(في وفود الحاج سنة ١٣٥٣)

(مقدمة) جرت عادة الامام عبد العزيز الفيصل ابن السعود منذ ولاه الله أمر الحجاز وأمنه أن يأدب لخواص وفود الحاج من جميع شعوب المسلمين مأدبة عظيمة تكون خير وسيلة لجمعهم في مكان واحد وتعارفهم وتآلفهم (ومن ذا الذي يستطيع جمعهم هذا غير ولي أمر البلاد ؟) وأن يلقي عليهم في هذا الجمع الحافل خطابا جامعا يذكرهم بما من الله به عليهم من إكمال دينه لهم وإتمام نعمته عليهم الذي أعلنه لهم في حجة الوداع رسوله محمد خاتم النبيين ﷺ الذي بعثه رحمة لجميع العالمين، ويلم في هذا الخطاب بحالهم العامة وما يجب عليهم من شكر هذه النعمة، باحياء ما أماتته البدع من هذه الهداية، ويذكر لهم خطته هو في الدعوة إلى التوحيد والوحدة الاسلامية وجمع كلمة المسلمين، ويسمح لكل من شاء منهم أن يتكلم ويبدي رأيه في قوله وعمله وغير ذلك مما يرى فيه المصلحة العامة، وإن هذه لسنة من أفضل السنن التي جرى عليها الخلفاء الراشدون، واهتدى بها السلف الصالحون، ثم أماتها الملوك المستبدون، حتى جهلها الخلف الطالحون

وقد أقام جلالته مأدبة هذا الموسم في يوم الاثنين سادس ذي الحجة الحرام (سنة ١٣٥٣) وبلغ عدد من لبوا دعوته اليها خمسمائة ونيفا من خواص مشارق البلاد ومغاربها نقلوا كلهم إلى القصر الملكي بالسيارات الخاصة، وكانت الموائد التي نصبت لهم ثلاثا رأس جلالته إحداها وسمو ولي عهده الامير سعود الثانية وسمو نجله ونائبه في الحجاز الامير فيصل الثالثة، وبعد فراغهم منها صعدوا إلى الطبقة العليا من القصر حيث ألقى عليهم جلالته خطابه الحكيم، وتلاه من تلاه من الخطباء، مشيدين بالحمد لله ثم الثناء عليه، وإقرار ما فيه من دعوة الحق الى الاصلاح، فنحن ننقل ذلك عن جريدة أم القرى الغراء:

نص خطبة الامام الملك

قال جلالته بعد ان حمد الله وشكره على نعمائه :

إننا في غنى عن التنوية بعظمة هذا اليوم فان الله سبحانه وتعالى قد جعل اجتماع المسلمين فيه لأداء فريضة الحج الذى هو ركن من أركان الاسلام من جهة وللتعارف والتآلف من جهة ثانية ، وقد هدانا الله جل شأنه الى الصراط السوي في معاش الدنيا و (حياة) الآخرة ، فقال في كتابه العزيز : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا) ، فلاعتصام بحبل الله واجب على كل فرد من أفراد المسلمين ، لان العز كله والخير كله بذلك ، فاذا نحن حدنا عن هذا السبيل خسرنا الدنيا والآخرة

والحقيقة ان حبل الله عز وجل هو كلمة لا اله الا الله ، إذ لامعبود سواه فهو الاول والآخر ، وعبادته باتباع ملة ابراهيم قال تعالى في كتابه العزيز (واتبع(١) ملة ابراهيم حنيفاً) فمن واجب كل انسان ان يعمل بما أمر الله به وأن يطيع مولاه صاحب النعمة عليه ولا يكون ذلك إلا بالعمل بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام . وقد أرسل الله الرسل لهداية الامم والشعوب ، وإنقاذهم من الضلالة ، وكانت هداية نبينا عليه الصلاة والسلام ان أرسله الله جل شأنه في أحسن القرون وان بعثه الى جميع الامم وقد أزال الله ببعث النبي الكريم الشبهة والضلال ، فكانت بركة الله ثم بركة رسوله علينا عظيمة لاتعد ولا تحصى .

وقد امرنا الله تعالى على لسان نبيه بأمور عظيمة الشأن لو عملنا بها لكان حالنا اليوم غير مانرى . لقد جعل أركان الدين الحنيف خمسة وهي شهادة أن لااله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ، فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعمل بها مع الاخلاص النقي والنية الحسنة ، فاذا صدعنا باوامره جل شأنه غفر ذنوبنا وأولانا نعماءه ،

فاذا فهمنا ذلك وعلمنا ان الخير بحذافيره بما أمرنا الله وجبت علينا طاعته ،

---

١) أول الآية (٤ : ١٢٥) ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا)

وطاعته كما قلت هي الاعتصام بحبل الله، وذلك باجتماع المسلمين وتعاضدهم وتكاتفهم بأن يكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضهم بعضاً، ولكننا أضعنا أوقاتنا في شقشقة اللسان بدون فائدة. لقد تراشقنا بالكلام فتنا بذنا، فكانت هذه الفرقة، وهذا الهوان. ولو تركنا هذه الامور التي لا طائل تحتها لكانت رحمة ربي علينا عظيمة

يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا، فعلى كل انسان ان يحاسب نفسه فيجتنب المعاصي والمنكرات ويتبع أوامر الله عز وجل

هنالك احزاب تتطاحن، على أي شيء؟ لا أدري؟ لقد ادخل الشيطان وساوسه في عقولنا، فتركنا حبل الله المتين، فتفرقنا ايدي سبا

أما نحن فتعرفون يا إخواني سيرتنا، ليس لنا من المقاصد والغايات الا ان تكون كلمة الله هي العليا. نحن سرنا في الجادة ولم يكن عندنا مال ولا رجال، نحن نعمل بأدبية، وان تشاهدونا اليوم لم يكن الا من بركة الله تعالى، نحن نعاهد الله سبحانه وتعالى على السير في هذا الطريق مهما وجدنا فيه من العقبات، نعاهد الله ونقسم أمامكم على ذلك، واننا ان نتنكب عن الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق

ان الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو أمر صغير في ذاته ولكنه كبير وعظيم، هو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله به ورسوله

ان أحب الاشياء الينا ان يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم، ثم بعد ذلك ان يجمع كلمة العرب فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير، واذا نحن أردنا ذلك فلسنا نروم اتمامه في ساعة واحدة، لان ذلك يكون مطلباً مستحيلا، كما اننا لا نرمي من وراء ذلك الى التحكم بالناس. وإنما غايتنا أنه اذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير فلا يكون لنا من ورائه شر على الاقل.

كلكم يذكر حوادث العام الماضي، وهذا السيد عبد الله بن الوزير وهذا السيد الحسن الادريسي، الجاسان الآن بجانبي، ما كنا نظن ان يكون بيننا وبينهم عداوة وبغضاء، ولكن الاشرار فرقوا بيننا. والله عز وجل قد جعل

بعد هذا التباغض ألفة بيننا (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) لقد خشي المسلمون عاقبة هذا التنابذ الذي حصل بيننا ولكنه أفضى الي خير جم طرب له المسلمون . جاء ابن الوزير الى هنا . وحدثني في هذا المكان الجالس فيه الآن بشأن الخلاف ، فقلت له ماذا تبغون ؟ اذا أنتم قتلتموني من يخسر ؟ أنا وحدي؟ واذا أنا قتلتكم من يخسر ؟ أنتم وحدكم ؟ لا ، لا ـ الخسارة علينا وعليكم على حد سواء ولما عرفت اننا وإياهم متفقون على ان نتائج هذه الفرقة الخسران، وان هذا الخسران واقع علينا جميعاً ، أمرت بالقرطاس والقلم وجلست أنا وإياه وحدنا ، ووضعنا مواد المعاهدة التي اطلعتم عليها والتي قابلها المسلمون بالارتياح . فالى مثل هذا التضامن أدعو المسلمين اليه والعمل به .

أكثر الناس يقولون ان الاغيار هم الذين ضربونا بالصميم ففرقوا بيننا . هذا كلام . ماذا عمل الاغيار ؟ الحق ان الضرر والخسران لم يأت الا من أنفسنا، فنحن المسئولون عن ذلك . نحن نسعى للتفرقة ، ونحن نعمل للبغضاء . أذكر لكم مثلا بسيطا يعرفه كل واحد منكم : ان صحفنا وجرائدنا اذا تكلمت عن مسلم أو عربي تكلمت عنه بشدة وقسوة ، وبلاذع القول ، ولكنها إذا تكلمت عن غربي تكلمت بآداب واحترام فلماذا ؟

يا إخوان وجب علينا ان نحترم أنفسنا ونتكاتف ونتعاضد، فاذا نحن سرنا على هذه الطريق وفقنا الله سبحانه وتعالى ، واحترمنا العدو قبل الصديق يجب أن نداوي أنفسنا بطاعة الله سبحانه وتعالى فطاعته مصدر كل عز وخير لنا .

هذا ما عن لي ذكره والله أسأل ان يوفقنا وإياكم لصالح الاعمال إه .

(المنار) هذه الخطبة تدعو الى توحيد الملة في العقيدة والاتباع، واجتناب الابتداع، وتوحيد الأمة بجمع كلمة شعوبها وقبائلها، واجتناب الشقاق والتفرق بينها، وضرب له خير مثل باتفاقه مع اليمانيين، الذي حمده وسر به جميع المسلمين ، واعجب به غير المسلمين من الغربيين والشرقيين ، كما ابتهجت الامة العربية بما صرح به في هذا الموسم لكشافة العراق وغيرهم من بذل جهده لجمع كلمة الامة العربية وستبينه بعد

خطبة الاستاذ التفتازاني

ثم قام الاستاذ الفاضل السيد محمد الغنيمي التفتازاني فالقى خطبة رنانة كان لها تأثير عظيم وهذا نصها

يارجل العرب

لقد شاء الله ولا راد لمشيئته ان تكون رجل الساعة، وأن نصبح نحن الذين كنا بالامس من ألد أعدائك وخصومك في مقدمة من يناصرونك عن حب وإجلال واكبار .

ولم يكن ذلك غلوا أو وليد شهوة مستعرة أو اربة عاجلة، ولكن مجلسك الذي تجلسه الآن تستطيع ان تقدر من مظاهره مبلغ فضل الله عليك

أليس من أكبر دلائل فضل الله عليك ان يكون آل الادريسي عن يمينك ووزراء اليمن عن شمالك والتفتازاني خطيب محفلك الآن ، وقد كان هؤلاء جميعاً بالامس سيوفا عليك .

شهد الله انك أرضيت الله، واعليت كلمة الله، واحييت ما اندرس من شرعة الله ، وامنت السبيل الى بيت الله، فلم يكن بد من ان يجزيك الله سبحانه وتعالى أحسن الجزاء جزاء هذه المنن الخوالد .

يارجل العرب

منذ أربعة عشر قرنا بعث الله من بين هذه الجبال الجرد والهضبات المتواضعة رجلا يحمل المشعل الاول ، يخرج الناس على ضوئه من الظلمات الى النور، وينزع عن أعناقهم أطواق الرق التي أصارت منهم طبقات غير متلاصقة هي اشبه بالسوائم، حتى اذا ما أنقذ البشرية ضوء ذلك المشعل، كانت إثر ذلك النكبة الشاملة، إذ تعامى المسلمون عن ذلك النور فغشيتهم ظلمته فأنستهم الله فأنساهم أنفسهم، فهم الآن كمريض كله قروح ، وكل قرحة داء مختلف * وكلما داويت جرحا سال جرح *

والآن وقد أراد الله ان يدوي صوت أخاذ لينفذ الي أعماق القلوب من بدوي صقله الطبع المحض، وهذبته الغريزة البريئة ، فهو في بلد محمد ليستعيد مجد دين محمد.

وما كان موقفك الاخير مع اليمن الا موقف الاخوة الاسلامية والنبل العربي المحض ، وقد قضيت على دس الدساسين وكيد المغرضين، واتبعت سياسة الباب المفتوح ، فلا اغلق الله لك بابا .

ياجلالة الملك

ان الحجاز معبد يفد اليه المسلمون طواعية لذلك التحنان الذي يحسونه بين جوانحهم،وكان لزاما أن يجدوا فيه انسهم وراحتهم ، وانك ولله الحمد لتسمع من كل وافد مبلغ مايحسه من غبطة واعتزاز ازاء هذا الامن الشامل من مشارف الشام الى أقاصي اليمن ، ومن البحر الاحمر الى الخليج الفارسي . فقد شهدت بعيني رأسي كيف تستطيع الفتاة العذراء ان تجتاز درب المدينة آمنة على ما تحمل من مال، بينما كانت تلك الدروب بالامس مباءة إجرام ومصدر إذلال

يارجل العرب

ان للمسلمين أمانة على كاهلك ، لئن آدت بها الجبال فلن يئود بها هذا الكاهل الذي استطاع ان يحمل التبعة جميعاً، هي ان تصافيهم، وان تواصل الجهد في تأمين سبيلهم الى حج بيت الله وزيارة مسجد رسول الله ﷺ ، وان العرب في أنحاء العالم ليحسون الاعتزاز بكل مايرونه من مواقفك المجيدة في سبيل نصرتهم، والدفاع عن قضيتهم، فأنت منهم واليهم

ان الاسلام هو جنسية شاملة لا يعرف شعوبية ولا اقليمية يستلزم بنيه ان يؤدوا حقوقه على أن يقوموا بواجباته أيضا، وانك لحامل العلم اليوم في سبيل نصرة العرب والاسلام حفظك الله وآزرك بروح من عنده ووفقك ورجال دولتك الذين عرفناهم ، فعرفنا جنوداً يطيعون قائدهم عن حب واكبار لا عن قسر وخوف، والحب هو دعامة الحياة اه

ثم تقدم الشيخ اسماعيل الغزنوي فترجم خطاب جلالة الملك الى اللغة الاردية

ثم اعقبه جلالة الملك أمان الله خان ملك الافغان السابق ، فالقى خطابا باللغة الفارسية ترجمه الى اللغة الاوردية الشيخ اسماعيل الغزنوي وهذا نصه :

﴿ خطاب أمان الله خان ملك الافغان السابق ﴾

أخي الملك:

كيف يمكنني ان أكتم مايجيش في قلبي من الاعجاب بدراية جلالتكم وحنكتكم في اجتياز تلك المفاوز التي أوجدتها أيدي أبالسة الانس وأحاطتها باشواك حداد طالما اعترت من قبلها الامم الاسلامية التي تخضبت أكنافها بالدماء، ولكن إيمانكم وحزمكم أيها الاخ الذي اؤتمن على أرواح المسلمين حال دون إهراق الدماء. فهنيئا للاسلام ببطل مثلك، وهنيئا لي بصداقتك التي غدت إعجابا وتقديراً عظيما.

هذا وإني لاتمنى لو أن المسلمين ممن حضروا ناديكم العامر يعون ماتفضلتم به من النصائح الثمينة، ويأتمرون بها فيما بينهم في كل عام، إذن لكان الاسلام بخير بل بألف خير.

وليس كبيراً على جلالتكم ان ترشدوا المسلمين بآرائكم الصائبة وأن تبثوا بينهم هذه الفكرة الحميدة، حتى يعلموا أننا اذا عبدنا الله حق عبادته لايسهل على أحد ان يستعبدنا، وأن يسترق أعناق المسلمين في بطاح هذه الارض التي ضاقت بما تشاهد من شذوذنا الحاضر عن الجادة القويمة، حتى أودى الاسلام في عزيز أوطانهم، وذهب أكثرها معائم لمن كانوا معائم لنا طيبة، يوم انشقوا على أنفسهم واختلفوا في دينهم ودنياهم.

ويزيد نصائح جلالتكم قوة ان كل ماتفضلتم به لم تتصحوا المسلمين والعرب باتباعه الا بعد ان ضربتم لهم المثل العالي بانفسكم بحرصكم على الاخوة العربية والاسلامية في المعاهدة الشريفة التي عقدتموها.

وإني لاعانق جلالتكم باسم من عقدوا على أعمالكم الخناصر وأصافحكم على البر والخير الدائم ان شاء الله. اهـ

وعقبه سعادة وزير الافغان المفوض السيد محمد صادق المجددي فالقى الخطاب القيم التالي

(خطاب وزير الافغان المفوض في المملكة العربية السعودية وفي مصر)

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون) والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي قرنت البركة بذاته الشريفة ومحياه، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * وعلى آله وصحبه ومن والاه الى يوم يبعثون

أما بعد فأستسمح من صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية أن القي كلمة في هذا المحفل الاسلامي : ياصاحب الجلالة أحييكم بتحية الاسلام باسم جلالة ملكنا المعظم المتوكل على الله محمد ظاهر شاه أيده الله، وباسم الشعب الافغاني، واستمنح من جلالتكم ان تأذنوا لي بأن أوجه خطابي الى إخواني المسلمين، إخواني حجاج بيت الله الحرام ووفود الملك العزيز العلام :

مافرضت هذه العبادة الا لأداء ركن من أركان الاسلام ولحكم تتعلق بالسفر الى المشعر الحرام الا وهي التعارف، والاستفسار عما يحتاج اليه المسلمون في أمور معادهم ومعاشهم ولا يحصل ذلك الا بتبادل الافكار والآراء من أولي الابصار، فعارجو منكم أيها الاخوان أن تستسيغوا من هذا المنهل العذب الذي (هو) سائغ شرابه، وتعاونوا على البر والتقوى، وتعاضدوا لاعلاء كلمة الله كي تفوزوا برضاة الله، واتبعوا سنة نبيكم سيدنا محمد رسول الله المنزل عليه — (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) — ولا تضيعوا هذه الفرصة فانه تعالى يقول — (ما تدري نفس ملذا تكسب غداً وما تدري نفس باي أرض تموت إن الله عليم خبير)

ها أنتم على وشك ان تقفوا في عرفات والمزدلفة وتبيتوا في منى ثلاثة أيام بلياليها، فهل تريدون ان تنتفعوا أو تنفعوا إخوانكم بالسؤال عن موجبات تأخر المسلمين، وان تكبحوا جماح وساوس الشياطين، وتأخذوا في جد واجتهاد لاعلاء كلمة الدين، والله سبحانه هو نعم المولى ونعم المعين ؟

قال سيدنا رسول الله ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد والسلام عليكم ايها

الخطب الاكبر بانتهاك حرمات الله

(في يوم الحج الاكبر، بعد تلك الخطب الجامعة في محفل الحاج الاكبر)

في يوم العيد الاكبر، الذي سماه الله يوم الحج الاكبر، في الشهر الحرام، في البلد الحرام، في البيت الحرام، بين الركن والمقام، عند طواف ركن الاسلام، يظهر ثلاثة رجال بلباس الاحرام، من حجر اسماعيل عليه السلام، ويهجمون بخناجرهم اليمانية ليغمدوها في صدر رجل الاسلام، مقسم شعائر الاسلام، حافظ مشاعره العظام، كافل الامن فيها لاهل الايمان، من عدوان أمثالهم الخارجين عن شرع الله، أي رجل ارادوا أن يغتالوا قاتلهم الله ؟

الامام عبد العزيز الذي أعزه الله وأعز به الاسلام، ابن عبد الرحمن الفيصل الذي رحم الله به جزيرة العرب وجعله فيصل التفرقة، بين الاسلام والزندقة، وبين السنة والبدعة، ابن السعود الذي اسعد الله به العرب وأعزهم وأذل من يحاول إذلالهم، تصدى لهذه الجناية هؤلاء الثلاثة من المنتهكين لحرمات الله، المستحلين لأقدس ماحرمه الله، النابذين لكتاب الله، المستبيحين لأشرف ماحظره الله، المؤثرين لطاعة شيطانهم من الانس والجن على طاعة الله، في قوله (يا أيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من الله ورضوانا) وناقضي عهده وسنته في قوله ممتنا على خلقه (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) لامغتالا ومقتلا، وناكثي وعده واستجابة الدعاء لخليله ابراهيم ﷺ في سورته وسورة البقرة بأن يجعل هذا البلد آمنا، ومتعمدي عصيان رسوله خاتم النبيين إذ قال في مثل هذا اليوم في منى من حجة الوداع مبلغا لأمته، خطيبا على ناقته «أي يوم هذا ؟» قال الراوي فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه سوى اسمه قال « أليس يوم النحر ؟» قلنا بلى، قال «أي شهر هذا ؟ فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه، فقال : أليس بذي الحجة ؟» قلنا بلى، قال « فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد منكم الغائب، فان الشاهد عسى أن يبلغ

من هو أوعى منه » الحديث متفق عليه وهـذا لفظ البخاري في كتاب العلم . والاحاديث في حرمة مكة، وانه لايجوز أن يقتل في أرض الحرم كله صيد ولاينفر حتى من ظل يستظل به ، ولا يقطع شجر ، كله مشهور عند المسلمين ، ومشهور أن المشركين كانوا في جاهليتهم يحترمون البيت الحرام والشهر الحرام ، وان الرجل كان يرى قاتل والده في الحرم فلا يعرض له بأذى مادام فيه ، على ما تواتر عنهم من تقديس أخذ الثار والاستهانة بسفك الدماء

كان أولئك الثلاثة شراً من عبدة الاصنام فيما حاولوا من اغتيال إمام المسلمين وحامي بيت ربهم ، وسكانه والوافدين اليه من حجاجه وغيرهم ، في أقدس مكان منه، في أقدس زمان منه، عند أداء أقدس نسك فيه وهو طواف الافاضة، فاي عدو لله ولرسوله ولدينه ولحرماته هم ؟ هذا امر إمر ، وجرم نكر ، هذه جناية لا افظع ولا أكبر منها في لاسلام، اذ لايمكن وقوع مثلها في غير هذا الزمان وهذا المكان وهذا العمل، وهذا الرجل ،الا وهو الامام عبد العزيز ملك المملكة العربية الذي فعل في تأمين الحرمين الشريفين ماعجزت عن مثله دول الاسلام من بعد الخلفاء الراشدين الى عهده حماه الله وأيده ونصره وخذل كل عدو له واذلهم

هذا شأن الجناية في نظر الدين وحكم كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، وأما شأنها في نظر السياسة العامة من اسلامية ودولية فقد كان فيها من الخطر لو ظفر هؤلاء الاشرار الفجار الذين هموا بما لم ينالوا كما فعل أئمتهم من المنافقين في غزوة تبوك من الهم بتشريد راحلة النبي ﷺ به لقتله صلوات الله وسلامه عليه ـ مما لا يسهل على أحد أن يحيط به ، وأقربه من الفكر كما قال وكتب كثير من الحجاج أن يختل الامن العام في ذلك اليوم العظيم ويقع من المذابح في الحجاج ما تسفك فيها دماء الالوف منهم ، وقد يقضي ذلك الى اختلال الأمن في الحجاز وتدخل دول اوربة فيه لحفظ رعاياهم

تبا لمغري هؤلاء الاغرار الفجار ومشتريهم لاحداث هذه الفتنة التي هي أعظم خطر على الاسلام والمسلمين في حرم الله ومشاعره وإقامة ركنه ، فلعلهم

لو نالوا ما اقدموا عليه لكان وراء ذلك من الخطر على استقلال الحجاز ووضعه تحت مراقبة دول الاستعمار مالا يعقله هؤلاء الاشرار ولا يبالي به فيما يظهر شيطانهم المجهول المختار إذ لا يعقل أن يقدم هؤلاء العوام الاغمار على تعريض أنفسهم للهلاك في الدنيا والاخرة من تلقاء أنفسهم وهاك ما صدر من بلاغ رسمي عنهم

البلاغات الرسمية

(رقم ٢٤)

نبدأ بحمد الله الذي أخزى أعداءه في كل موقف ، وأفسد كل تدبير لهم ، وآخر ذلك أنه عند ما كان جلالة الملك المعظم يطوف طواف الافاضة الساعة الواحدة عربية من صباح يوم الجمعة العاشر لشهر ذي الحجة ، وبينما هو في الشوط الرابع عند الحجر الاسعد تقدم منه شخص معه خنجر وهمَّ بطعن جلالته وكذلك كان اثنان آخران من الخلف يحملان الخناجر ، فالتقط سمو الامير سعود الرجل الامامي ليرمي به بعيداً فعجل أحد رجال حرس جلالته الرجل برميه بالبندقية فقتلته ، وهم أحد النفرين اللذين كانا في الوراء بطعن سمو الامير سعود ولكنه أصيب برصاصة من الحرس فقتلته ، كذلك قتل الشخص الثالث ، وثبت أن هوية الفاعلين من زيود اليمن ، والتحقيق جار لمعرفة أسباب الحادث والدافعين له . ونحمد الله على أن جعل كيد أهل الكيد في نحورهم ، وجلالة الملك وسمو ولي عهده أتما الطواف كأن الحادث لم يقع وهما من فضل الله بكل خير وعافية ، ويستقبلان وفود المهنئين بالعيد السعيد كجاري العادة ،

١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٣

(رقم ٢٥)

في الساعة الواحدة عربية من صباح يوم الجمعة الواقع في العاشر من ذي الحجة شرع حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وحضرة صاحب السمو الملكي ولي العهد ورجال حاشيتهما وحرسهما الخاص وثلة من الشرطة بقيادة مفوض شرطة الحرم

في طواف الافاضة . وكان الحرس والشرطة تواكب جلالة الملك وسمو ولي العهد من الامام واليمين والخلف وكان البيت على اليسار ولا يفصل بينه وبين جلالته وسموه أحد من الحاشية والحرس ، وبعد انتهاء الشوط الرابع التزم جلالة الملك الحجر الاسود وتقدم في سيره إلى أن حاذى باب الكعبة واذا برجل يخرج من فجوة حجر اسماعيل الشامية منتضياً خنجره وهو يصيح بصوت مرتفع وبكلام غير مفهوم تماما فقابل لدى خروجه أفراد الشرطة الذين يسيرون في مقدمة الموكب الملكي فسك به أحدهم قاصداً رده ولكن المجرم عاجله بطعنة من خنجره فوقع الشرطي الشجاع احمد بن موسى العسيري على الارض ودمه يقطر ، فأمسك بالمجرم شرطي آخر مجدوع بن شبياب ولكنه أصيب بطعنة من خنجر المجرم فمال إلى جانب رفيقه . وفي هذه اللحظة شوهد رفيق المجرم الاول يتقدم من خلف الموكب والظاهر أنه خرج من الفجوة الاخرى لحجر اسماعيل وجاء من جهة الركن اليماني إلى قرب الحجر الاسود فاستعد رجل الحرس الملكي ببندقيته إلا ان جلالة الملك أصدر أمره المطاع في تلك الساعة الرهيبة الحرجة بأن لا يستعمل الحرس البنادق والرصاص إلا حين الضرورة القصوى . فلما ثبت ان المجرم قد طعن شرطيين باسلين وان المجرم الثاني على وشك أن يصل إلى سمو ولي العهد تقدم عبيد الله البرقاوي أحد الحارسين الشخصيين لجلالة الملك من المجرم الاول وأطلق عليه بندقيته قبل أن يتمكن من ارتكاب جنايات أخرى فخر صريعا عند مدخل حجر اسماعيل ، وأما المجرم الثاني فانه تقدم مشهراً خنجره أيضاً وكاد أن يطعن سمو ولي العهد طعنة نجلاء إلا ان خير الله الحارس الشخصي لسموه عاجله برمية من بندقيته فأردته قتيلا في الوقت الذي لامس خنجره أسفل الكتف اليسرى لسمو الامير سعود فلم تحدث الطعنة سوى خدش بسيط ولله الحمد والمنة . وحينما رأى المجرم الثالث ماحل برفيقيه وكان قد خرج على مايظهر من حجر اسماعيل مع المجرم الثاني واتجه من جهة الركن اليماني إلى جهة الحجر الاسود أطلق رجليه للريح قاصداً النجاة بنفسه فصرعه رصاص بنادق الشرطة والحرس الملكي فسقط

على الارض وهو ينازع وظل على قيد الحياة مايقرب من ساعة تمكن المحققون في أثنائها من معرفة اسمه وهو علي .

ولم يمكن أن يعرف عن الجناة ساعة الحادثة شيء يدل على هويتهم إلا أن ملابسهم وخناجرهم تدل على انهم من الزيود اليمانيين وتتراوح أعمارهم بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين

وفي هذه الاثناء أخطر مدير الشرطة العام مهدي بك بالامر في منى فحضر على رأس قوة كافية من الشرطة وشرع في إجراء التحريات والتحقيقات لمعرفة شخصية الجناة والتحقيق عن الاسباب الدافعة لهم على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء وسط بيت الله الحرام وبقرب الكعبة الشريفة وفي ذلك اليوم المبارك .

وقد حصل هياج شديد بين حجاج بيت الله الحرام واشتدت نقمة الجند والشعب حينما عرف أن الجناة من أهل اليمن وكاد أن يحصل مالا تحمد عقباه لولا أن تدارك جلالة الملك الامر بحكمته وأصدر أمره الكريم المشدد إلى قواد جنده الموجودين في مكة وإلى مدير الشرطة العام بالاهتمام بصيانة أرواح الحجاج اليمانيين من الاعتداء واتخاذ كافة التدابير التي تقضي على كل من تحدثه نفسه بتخديش حرمة الحرم وإقلاق حجاج بيته الحرام، وكان لهذه التدابير العاجلة أحسن الاثر في منع وقوع أي حادث من حوادث الاعتداء فقضى الناس مناسكهم وأتموا حجهم بكل راحة وطمأنينة ولله الحمد والمنة

وقد بث مدير الشرطة العام عيونه وارصاده بين حجاج اليمن الذين ثبت ان الجناة منهم فتوصل قبل كل شيء إلى معرفة ان ثلاثة من الزيود كانوا يقيمون بخلاف سائر رفاقهم الزيود مع الشوافع من الحجاج اليمانيين عند امرأة في جبل أبي قبيس فلفت ذلك الامر نظره فحقق عنهم فوجد انهم متغيبون عن منزلهم ولم يعودوا اليه منذ يوم الوقفة وأرسل على الفور قوة إلى المكان وفتش الغرفة التي كانوا فيها فعثر على ملابسهم وفيها جوازات باسم ثلاثة أشخاص هم :

(١) النقيب علي بن خزام الحاضري مستخدم في الجيش اليماني المتوكلي ونمرة جوازه (٩٨) تاريخ ١ شوال ١٣٥٣ وهو صادر من مأمور الجوازات بصنعاء ومصدق عليه من عامل صنعاء

(٢) صالح بن علي الحاضري شقيق الاول جوازه رقم (٣٤) بتاريخ شوال ١٣٥٣ وحرفة المذكور مزارع، الجواز صادر من مأمور الجوازات ومصدق عليه من عامل صنعاء

(٣) مسعد بن علي سعد من حجر برقم ٦٣ تاريخ ٥ ذي القعدة ١٣٥٣ والجواز صادر من أمير الحج اليماني السيد محمد غمضان وصاحبه عسكري في الجيش اليماني المتوكلي. ولذا عرضت جثث القتلى على الامرأة التي كانوا في دارها عرفت أحدهم صالحا وميزت ملابس الاثنين الآخرين نظراً لتغير منظر الوجه في الاثنين المذكورين وذكرت ان أخت مطوف الشوافع أسكنتهم عندها، ولدى التحقيق مع هذه صادقت على أقوال الاولى وقد أجرى مدير الشرطة العام التحقيق من جهة أخرى مع شيخ اليمانيين بجدة فاعترف بانه أعطى ورقة التصريح للسفر من جدة باسم مبخوت وذلك بواسطة أخيه علي بن مبخوت الفران بجدة، وقد استجلب هذا وحقق معه وعرضت عليه جثث القتلى وصورهم الفوتوغرافية فعرفهم واحداً واحداً وذكر ان أحدهم مبخوت بن مبخوت الحاضرى هو شقيقه بينما الاثنان الآخران هما صالح بن علي وعلي بن الحاضرى وكلاهما شقيقان وشهد هذا الفران بأنه اجتمع مع أخيه بجدة وبات أخوه عنده ثم حضر معه إلى مكة وبات مع أخيه والاثنين الآخرين من الجناة في جبل أبي قبيس وهو ذهب إلى عرفات، أما الثلاثة فانهم تأخروا في مكة ولم يحجوا ولم يجتمع بهم إلا في يوم العيد في الطواف وبعد الطواف ذهب هو إلى مقام ابراهيم بينما الثلاثة ذهبوا ومكثوا في داخل حجر اسماعيل.

ولم يعثر للآن على مسعد العسكري المستخدم في الجيش المتوكلي كما انه لم يعلم للآن السبب الذي حدا به إلى ترك جوازه مع المجرمين وقد دفنت جثث المجرمين أمس بعد أن عرفت شخصياتهم وما يزال الفران في السجن.

١٤ ذي الحجة سنة ١٣٥٣

﴿ تأثير الحادثة في العالم ﴾

اضطربت أمصار الشرق والغرب وتجاوبت برقياتها من الملوك والرؤساء والعظماء والجماعات مهنئين لملك العرب وزعيم المسلمين، ومن جلالته شاكرا لهم - ومن شركات الاخبار البرقية والجرائد السياسية في العالم مذيعة للنبأ العظيم مستفظعة للجناية

شارحة لتأثيرها كأنها حدثت لتعظم شأن الرجل وتعلي قدره، وترفع ذكره، وقد أكبر حاضروها ومستمعو خبرها ما كان من رباطة جأشه وقوة عزيمته إذ أتم طوافه وكان أول شيء فعله العناية بحجاج اليمن والمبالغة في تأمينهم على أنفسهم والظهور لمقابلة المهنئين باقباله وبشاشته المعتادة، وكان أسر ما سر جميع المخلصين للامة العربية البرقيات المتبادلة بين جلالته وجلالة الامام يحيى الذي استنكر الجناية أشد الاستنكار، وكرر التهنئة بأبلغ عبارات الاخلاص.

(تشرف الكشافة العراقية بلقاء جلالته وخطابه لهم)

في الساعة الثالثة والدقيقة ١٥ من يوم السبت زارت الكشافة العراقية يتقدمها كامل بك الكيلاني القائم بأعمال المفوضية العراقية بجدة القصر العالي حيث تشرفوا بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم، وقد شملهم جلالته بعطفه وعنايته ومكثوا لدى جلالته مايقرب من ثلاثة أرباع الساعة، ألقى خلالها رئيسهم خطبة ضافية فشكر لحكومة جلالته العطف الذي شمل اخوانه منذ أن دخلوا في بلاد جلالته ثم أنشدت الكشافة (نشيد العيد) و(نشيد الوطن) وحيوا جلالة الملك ثلاثا. ثم تكلم جلالته فألقى عليهم من درره ما كان له أكبر الاثر في نفوسهم، فقال أيده الله:

﴿ خطاب جلالته على كشافة العراق ﴾

(وعهده العام للاسلام والعرب والعراق)

«أنا مسرور من هذه النهضة العلمية المباركة التي ظهرت في العراق والتي سيكون لها أكبر الاثر في تقدم العرب، وأنا مسرور أيضا بمشاهدتكم في بلادي لتزداد بالتعارف الصلة التي تربط بلادنا ببلادكم وشعبنا بشعبكم، ويتضاعف سروري بلقياكم لانكم أول بعثة تأتينا من العراق، فذكرى هذه البعثة ستبقى في نفوسنا.

«ترد الينا في كل يوم من النهضة في العراق مايسر الخاطر ويشرح الصدر، ونحن اذا فرحنا لذلك فانما نفرح لانفسنا لاننا نحن والعراق واحد، ترتبطنا به روابط كثيرة، وأهمها اننا والعراقيون عرب، وخصائصنا واحدة فكل مايسر العراق يسرنا، وكل مصيبة تصيب العراق هي مصيبة لنا، نألم لألم العراق ونفرح لفرحه، وكذلك مصالحنا مشتركة فالعراق هو في الحقيقة سدنا يحول دون توغل

أحد في بلادنا ، فلا عجب اذا نحن عنينا بأمره عنايتنا بأمورنا

«لذلك أنا أقول لكم في هذا المحفل الحاشد : إنني أعاهد الله على ثلاثة أمور

١ — نحن دعاة ندعو المسلمين لان تكون كلمة الله هي العليا أعاهد الله ثم أعاهد المسلمين على ان لا أحيد عن ذلك قط

٢ — أعاهد الله على ان أكون أنا وعيالي وجندي مجاهدين في سبيل العرب وفي نصرة العرب

٣ — أعاهد الله على أن سأبقى مازلت حيا محافظا على الود مع العراق بنفسي وشيمتي

هذا كلام من مسلم عربي يعاهد الله عليه في بيت الله الحرام أمام هذه البعثة»

ثم ودعت البعثة جلالته وغادروا القصر إلى الصيوان الخاص بسمو ولي العهد حيث هنأت سموه بالنجاة، وألقى الاديب عبد الهادي افندي الشماع أبياتا عامرة نالت استحسان الجميع ، ثم تكلم سمو ولي العهد فقال :

(كلمة ولي العهد الامير سعود)

«ان هذه الحادثة لا تهمنا، لا يهمنا إلا اعلاء الشريعة الاسلامية وكلمة التوحيد أولا ، وتأمين الامن في بيت الله الحرام ليتمكن الوافدون من اداء مناسكهم بطمأنينة ثانيا ، فمن واجب العرب أن يكونوا يداً واحدة لنصرة هذا الدين الحنيف ، ولا حياة للعرب إلا بنصرة الدين ، وبالاتحاد المتين ، وبغير هذا لا يتم شيء قط .

« ونحن نرحب باخواننا أبناء العراق ، ونتمنى للعراق كل خير وهناء» اهـ

ثم أنشدت الفرقة نشيد (بلاد العرب) وودعوا سموه قاصدين صيوان سمو الامير فيصل فقدموا لسموه واجبات التهاني والولاء ، وألقى الاستاذ نعمان الاعظمي افندي خطبة فياضة كان لها الوقع العظيم ثم تكلم سمو الامير فقال :

(كلمة نائب الملك على الحجاز الامير فيصل)

« لقد عبر الاخ الخطيب عن شعور الجميع ، وردد صدى ماتكنه النفوس من العواطف المتبادلة بين الشعوب العربية، والحقيقة أن العرب جسم واحد وبلادهم واحدة ، فاذا نزل أحدهم في بلدة من البلدان العربية فلا يشعر أنه غريب عن بلده ، وأنتم يا اخواني أحبيكم وأحيي فيكم هذه النهضة القويمة ، وأرجو أن لا تعتبروا أنفسكم إلا في بيوتكم الخاصة، فهذه البلاد هي بلادكم والشعب اخوانكم»

﴿ محاريب المساجد ومذابح الكنائس ﴾

اعلم أن المحراب يطلق في اللغة على معان، الغرفة وصدر البيت واكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك فيتباعد عن الناس، الاجمة وعنق الدابة (قاموس) والمذبح عند أهل الكتاب هو المحراب بالمعنى الاول وهو مقصورة داخل حجرة أمام المعبد تسمى تلك الحجرة الهيكل يصعد اليها بسلم ذي درجات قليلة لا يدخلها إلا الكهنة ومن يأذنون لهم من المذنبين الذين يطلبون المغفرة وهذه المقصورة عبارة عن أربعة أعمدة لا تزيد ارتفاعها عن متر إلا قليلا وفوقها سقف تحته خلاء توضع فيه القرابين ودم المسيح في زعمهم وبعض ماء المعمودية للصلاة عليها يوم العيد ثم يخرجها الكاهن ويوزعها على من في المعبد تبركا وعليها ستارة فهي كالمقصورة التي توضع على قبور بعض أموات المسلمين بدون فرق غير أن المذابح أقل منها طولا وأصغر منها حجما . وأما محراب مساجد المسلمين فهو علامة بمثل حص في وسط حائط المسجد غير مجوفة : أو تجويف في وسطه يبلغ ارتفاعه أزيد من متر ين ليكون دليلا على جهة القبلة لمن لم يعرفها كالبوصلة (بيت الابرة) التي اتخذت لذلك وليكون مقيما لمقام الامام من صف المأمومين لأن السنة أن يقوم الامام أمام وسط الصف ، فهي مخالفة لمذابح أهل الكتاب شكلا ووضعا وصورة وغرضا كما يعلم من بيان كل من رؤية المحاريب في المساجد والمذابح في الكنائس فاني رأيت ثلاثة مذابح في الكنيسة المرقسية بالاسكندرية على الشكل والوضع اللذين بينتهما أولا وعرفت الغرض منها بواسطة أحد كهنة الكنيسة القس (فِلِبُّس) والمنهي عنه بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما المروي عن سالم بن أبي الجعد (اتقوا هذه المذابح) وقوله ﷺ في حديث موسى الجهني « لا تزال هذه الامة أو أمتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح كمذابح النصارى » هو المذبح أي المحراب بالمعنى المخصوص وهو المقصورة المخصوصة لانه الخاص بكنائسهم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه « انما كانت للكنائس فلا تتشبهوا بها » لا مطلق محراب لأن الغرض ابعاد المسلم عن التشبه بهم فيما هو من اختصاصهم دينيا أو دنيويا ولذا أتى النبي ﷺ في حديث

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما باسم اشارة لمحسوس وأل العهدية وأتى في حديث موسى الجهني بأداة التشبيه وعبر فيهما بالمذابح ولم يعبر بالمحاريب

لا يقال إن النبي ﷺ ترك وضع هذه العلامة في المساجد مع قيام المقتضي فتركها سنة وفعلها بدعة لان النبي ﷺ غرز خشبة في مسجد قوم أسامة الجهني بعد أن خطه لهم لتكون دليلا على القبلة كما روى الطبراني في الاوسط عن جابر ابن أسامة الجهني (رض) فانه قال في حديثه « فأتيت وقد خط - أي النبي ﷺ - لهم مسجدا وغرز في قبلته خشبة فأقامها قبلة » اه من المنهل المورود عن السيوطي في رسالة في هذا الموضوع فدل ذلك على مشروعية وضع علامة للقبلة لارشاد الضال فهي من قبيل التعاون على البر ولا خصوصية للخشبة إلا بدليل

وعسى أن يكون هذا مستند عمر بن عبد العزيز (رض) في وضع محراب وعلامة ثابتة للقبلة في وسط حائط مسجد النبي ﷺ على شكل يخالف مذابح أهل الكتاب وان لم نقف على صورته مجوفا أو غير مجوف والمشهور انه لم يكن لمسجده ﷺ محراب في زمنه

ولكن روى البيهقي في السنن الكبرى عن وائل بن حجر قال حضرت رسول الله ﷺ حين نهض إلى المسجد فدخل المحراب ثم رفع يديه إلى التكبير ثم وضع يمينه على يساره على صدره ، وهو يدل على انه كان لمسجد النبي ﷺ في زمنه محراب يدخله غير انه كان مخالفا لمذابح أهل الكتاب بدليل النهي عنها ولا معنى لتأويل المحراب في حديث البيهقي بصدر المسجد وأشرف مكان فيه والا لقال دخل المسجد وقف في صدره وأشرف مكان فيه لان المناسب لصدر المسجد الوقوف فيه لا الدخول الذي هو نقيض الخروج ، فلم يحدث عمر بن عبد العزيز (رض) حدثا في الاسلام لم يكن في زمن النبي ﷺ ولا في زمن السلف الصالح ويبعد كل البعد أن يجهل عمر بن عبد العزيز وسلف الامة مذابح أهل الكتاب وكنائسهم في الشام فلا ينبغي اذا أن يجعل محراب مسجد النبي ﷺ مثلها مع ورود النهي عن التشبه بهم خصوصا في شعائرهم الدينية ثم يقره المسلمون على ذلك مع شدة حرصهم على اتباع السنة والانكار على من خالفها . نسأل الله أن يوفقنا الى اتباع السنة ويهدينا سواء السبيل ؟

(عمر الجندي بمعهد الاسكندرية)

العبرة بسيرة الملك فيصل

رحمه الله تعالى

(١٠)

كان آخر ما كتبته عن عملي مع الملك فيصل الخاص بالوحدة العربية أنني أطلعته على البرنامج الذي وضعته لها فقبله كله وجزم بقبول إخوته الثلاثة له وأن يكونوا إلبا واحداً على والدهم ليقبله ، وانني اتفقنا على عقد جلسات خاصة بيني وبينه للمباحثة في وسيلة تنفيذه ، وأن نكتم ذلك عن كل أحد (قال جلالته) حتى إحسان بك الجابري - أي رئيس أمنائه ، على أن إحسان بك حلف لي يمين جمعية الجامعة العربية في اليوم التالي لهذا الاتفاق (أي ٨ شوال سنة ١٣٣٨ الموافق ٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٠) فصار عندي أمينا على كل عمل يعمل للامة العربية ولكن هذا لا يبيح لي أن أفشي له ما هو خاص بالملك فيصل إلا باذنه

وأقول هنا ان فيصلا كان مخلصا معي في السعي للوحدة العربية لأنه أعقل من والده وإخوته الذين اختبرهم ان السعود ويئس من اخلاصهم ومن صدقهم كما كتب لي في الملحق الذي كتبه بخطه ووضعه في كتابه واطلع عليه فيصل كما تقدم ففهم منه انه لا يصدقه هو أيضا فعذره ولم يرجع عن رأيه في السعي معي للاتفاق معه قبل كل أحد .

ثم عرض في هذا الشهر (يوليو) ما شغلنا عن عقد هذه الجلسات وهو تصدي فرنسة للعدوان على استقلال البلاد وسلوك الملك فيصل ووزارته مسلكا غير مرضي المؤتمر العام ولا لحزب الاستقلال الذي هو حزبه المعلن الاستقلال ولنصبه ملكا للبلاد ، وكان الشعب كله مع مؤتمره ومع الحزب والجمعية الوطنية ، ولهذا تحول عن الملك فيصل حتى يصح أن يقال انه لم يبق معه إلا أفراد من الموظفين الرسميين عنده ومن المتهمين بالاتصال به لأجل المنافع الشخصية

وقد بينت من قبل أنه لم يكن لي حظ من المكث في الشام وراء سعي للاتفاق معه على الوحدة العربية إلا اقناعه وإقناع حكومته بمشروع تنظيم قوى العشائر

السورية والقبائل العربية السورية للدفاع الوطني وان هذا لم يتم لي

وقد كتبت في صفحة المفكرة الاجمالية لشهر يونيو (حزيران) أربع مسائل (الاولى) منها هذا نصها : لم أر في الشام عملا اصلاحيا قط لا في الحكومة ولا في الاهالي فالحكومة ضعيفة يغلب على أفرادها ماطبعتهم عليه الادارة التركية من المداراة والجري على ماتعودوا والخضوع للملك وإن كان كفيصل سهل القياد ولو كان الوزراء على شيء من الابتكار وحب الاصلاح لعملوا عملا عظيما واستعانوا عليه بفيصل

«والمسألة الثانية في وصف إرادة فيصل وإدارته وحاله في حلمه وغضبه وسيرته مع الامة والحكومة والحزب والجمعية ومعيشته الخاصة ونفقاته بين نفوذ إحسان بك الجابري وصفوة باشا العوا ، وليس شرحها من مشرب المنار .

والمسألة الثالثة في وزارة هاشم بك الاتاسي الذي وصفته فيها بالطيب القلب الحيي وذكرت مكانته عند الملك فيصل وخصصت بالذكر من أعضاء وزارته الدكتور شهبندر ويوسف العظمة العضوين الجديدين اللذين كنا اقترحنا إدخالهما في هذه الوزارة في جلساتنا الخاصة مع الملك فيصل لما نرجو فيهما من قوة الشباب التي يعتدل بها ضعف الشيوخ ، وجملة ما قلته فيها ان الآمال قد خابت فيها .

والمسألة الرابعة في الاستاذ الشيخ كامل قصاب رئيس الجمعية الوطنية الذي كان في الشام أنشط عامل مستقل برأيه ، واثق بنفوذه ، غير مبال بمن يخالفه ، ولكنه أشد من فيصل في هذا ؟

ومما كتبته من المذكرات الخاصة باختلال بطانة الملك فيصل وظهارته في يوم السبت ١٠ يوليو مانصه:

سرقة دفتر يومية خزينة البلاط

علمت ان أمين صندوق البلاط الملكي (محمود الحلبي) سرق دفتر يومية البلاط وأن فيه قيوداً لما كان يبذله لاعانة العصابات وأمثال ذلك من النفقات الجنونية . وان صفوة باشا العوا ناظر الخزينة الخاصة أراد أن يحقق ويبدأ باستنطاق

من هنالك ليلة الجمعة السابقة التي سرق فيها الدفتر (أي ٢ يوليو) فخال احسان بك الجابري رئيس لامفاء دون استمرار التحقيق وفر الجاني ولم يبحث عنه أحد، ولا يختلف اثنان في أنه أعطى الدفتر للفرنسيين

وقد سرق مثل هذا الدفتر قبل الآن عند ما كان صفوة باشا في مكة المكرمة كما أخبرني هو نفسه اه

هذا ما كتبته بنصه في ٢٣ شوال ١٠ يوليو (١٩٢٠) والذي أتذكره أن الدفتر سرق من جيب الملك فيصل، ولقد كان هذا الدفتر أكبر حجج الجنرال غورو في إنذاره الطاغي المرهق الذي أنذر به الملك فيصلا زحفه على الشام، وكنت أسمع أخبار بذل فيصل المال للعصابات التي تخرج على السلطة الفرنسية وتقاتلها في حدود لبنان وكذا على الانكليز في حدود فلسطين ، وأسمع ان بعض شبابنا من أعضاء الجمعية والحزب كانوا من سماسرة هذه الاعمال الصبيانية ، فلا أكلمه ولا أكلم أحداً منهم في شيء من ذلك لاعتقادي أنه من العبث

ولهذا لم يكن عندي رجاء في شيء من أمر هذه الدولة إلا ما حاولته مع فيصل من السعي للوحدة العربية مع أمراء الجزيرة وزعمائها وإقناع والده بذلك قبل كل شيء لانه يتوقف عليه كل شيء ، وإلا مشروع توحيد العشائر والقبائل الذي يئست منه قبل اليأس من هذا ؟

ولو نفذوه لما كان استيلاء الجنرال غورو على دمشق بما علم الناس من السهولة بل لأمكن للبلاد أن تقاوم زمنا طويلا كما علم بعد ذلك من الثورة التي خسر الفرنسيس فيها ألوفا كثيرة من القتلى وملايين كثيرة من الفرنكات ، ولكان يرجى أن تدخل بالمطاولة في طور جديد ينتهي بخير مما انتهت به ثورة العراق

على ان فيصلا قد استفاد من أغلاطه الكثيرة في سورية فوائد عظيمة أفادته في سياسة العراق فوائد جزيلة ، وبلغني انه كان يعترف بهذا ، وسيعلم المطلع على ما نجمله من خاتمته المؤسفة في دمشق شيئا من مرونته العجيبة وصبره، وعجز اليأس أن يطرق باب قلبه

تأبين أحمد زكي باشا

ألفت في القاهرة لجنة من رجال الادب لتأبين أحمد زكي باشا المشهور في الاقطار (بلقب شيخ العروبة) وكان الاحتفال بعد تمام الاستعداد له بدار (الاوبرة الملكية) في مساء ١٣ شوال الماضي الموافق ١٨ يناير (كـ ٢) سنة ١٩٣٥م تحت رعاية وزير المعارف أحمد نجيب بك الهلالي ألقيت فيها بضع خطب وبضع قصائد لادباء العربية في مصر وغيرها من الامصار. وكان موضوع كلمتي (أحمد زكي باشا والدين) وهذا نصها بالتقريب

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة والسيدات

لا تنتظروا أن تسمعوا مني تأبينا بليغا للمرحوم أحمد زكي باشا كالذي تسمعون من إخواني الخطباء أعضاء لجنة التأبين ، فليس هذا من دأبي، وموضوع كلمتي لايدخل في باب المناقب ولا يتسع لها ، ولا تباح فيه المبالغات الشعرية ، فانه خاص بما كان بينه وبين ربه عز وجل

جعل إخواني أعضاء اللجنة مناقب الفقيد العلمية والعملية موضوعات معدودة واقتسموها بين الخطباء منهم ، ورغبوا الي أن أختار لنفسي موضوعا أقول فيه كلمة أقضي بها حق مودته علي ، وبعد اعتذار لم يقبلوه مني اخترت أن أجعل عنوان كلمتي (أحمد زكي باشا والدين) ولعلهم لم يذكروا هذا في مناقبه لانهم يريدون بتأبينه أن يعرضوا على الناس ما كان له من صلة بهم وخدمة لهم

ولكن رأيي واعتقادي أنه يجب الالمام فيه بجميع جوانب تاريخه ، وأنه لو أمكن أن يستشار الآن فيما يذكر به لكان ذكر صلته بربه آثر عنده وأحب اليه، وان الذين يحبون معرفة سيرة رجل مثله يودون أن يعرفوا هذا الجانب منها وهو أعلاها ، وربما يظن كثير منهم أن الرجل المدني العصري مثله يكون غير متدين

وأظن أنني أعلم أصدقاء أحمد زكي بما كان من مكانة الدين من نفسه ، فان أول عهدي بمعرفته أن التقينا في سنة ١٩١٦ هـ ١٨٩٩م عند المرحوم ابراهيم باشا نجيب وكيل الداخلية ، وقد أخبره الباشا أن الذي عقد عروة التعارف بيننا هو

الرجل العظيم الشيخ محمد عبده إذ طلب منه أن يرشده إلى عالم يعرف الدين معرفة صحيحة معقولة ليكلفه تلقينه لنجليه (مصطفى واسماعيل) فكان هذا التعريف سببا لتوادنا ورغبته في قراءة المنار ، ودامت الموادة بيننا لم يعرض لها انفصام (وكان من قضاء الله تعالى وقدره أن كان المتكلم هو الامام للذين صلوا على الفقيد صلاة الجنازة ، ولم يذكر هذا في الكلمة بل سبق ذكرها فيما كتبت عن وفاته

فأنا ألقي على حضرتكم كلمة وجيزة فيما خبرت من تدينه بعد مقدمة مختصرة في بيان أن للدين أعظم تأثير في أعمال الناس الخاصة والوطنية وأنواعها ، حتى العسكرية والسياسية منها ، وأعظم تأثيره هو الاخلاص والصدق والامانة ، فان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر والجزاء فيه قلما يعمل إلا لمنافعه الشخصية من المال والجاه

أما هذه المقدمة فهي شهادة على معنى قولي هذا شهد بها رجل من أعظم رجال أوربة الذين قاموا بأعظم الاعمال السياسية للدولة لامتهم ووطنهم وهو البرنس بسمارك مؤسس الوحدة الالمانية ، نقلها لنا عنه أعظم رجال أمتنا في مصر وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رجل الاصلاح الديني والوطني الاكبر ، الذي ربى كثيرا من رجال الدين والوطنية ومنهم الزعيم الوطني العظيم سعد باشا زغلول ، والعلماء الذين لا يرجى إصلاح الازهر إلا بهم ، ترجمها الامام من (كتاب وقائع بسمارك التي نشرها بعد وفاته مين سره موسيو بوش) ونشرت ترجمتها في (رمضان سنة ١٣١٦ هـ يناير سنه ١٨٩٩) من السنة الاولى للمنار

اتفق على هذه الشهادة أعظم رجال الشرق والغرب ، ولخصت منها اليوم على اختصارها ما يكفي لاثبات ما أريد عرضه هنا للغرض الذي ترجمها الامام ونشرها لاجله ، إذ قال بعد ذكر اطلاعه على كلام بسمارك :

« فاستحسنت ترجمته ليطلع عليه من لم يعن بقراءة هذا الكتاب من شبابنا الذين يرون أن النسبة الى دينهم سبة ، والظهور بالمحافظة عليه معرة ، وليعلموا أن الايمان بالله وبوحي إلهي إلى أنبيائه ليس نقصا في الفكر ، ولا ضلة عن صحيح العلم ، ولا عيبا في الرياسة ، ولا ضعفا في السياسة »

كان هذا الكلام من البرنس بسمارك على مائدة الطعام عنده وكان سببه

سقوط شيء من مرق الطعام على غطائها فقال البرنس كلاما خلاصته أن قلب الجندي يشرب الايمان فيغوص فيه كما غاص هذا المرق في نسيج هذا الغطاء فيكون هو الذي يحمله على بذل روحه في الدفاع عن وطنه

فقال أحد جلسائه : أتظن سعادتكم أن الجندي يخطر بباله هذا في ميدان القتال ؟ قال لو كان يخطر بباله لما كان هو ذلك الوجدان الفطري » الخ

ثم قال بسمارك في سياق حديثه ما نص ترجمته بالعربية مختصرا :

« إنني لا أفهم كيف يعيش قوم وكيف يمكن لهم أن يقوموا بتأدية ما عليهم من الواجبات ، أو كيف يحملون غيرهم على أداء ما يجب عليه إن لم يكن لهم إيمان بدين جاء به وحي سماوي ، واعتقاد بإله يحب الخير ، وحاكم ينتهي اليه الفصل في الاعمال في حياة بعد هذه الحياة » ثم قال

« لو نقضت عقيدتي بديني لم أخدم بعد ذلك سلطاني ساعة من زمان ، اذا لم أضع ثقتي في الله لم أضعها في سيد من أهل الارض قاطبة ، . . .

« لو لم يكن لي ايمان بالعناية الالهية التي قضت بان يكون لهذه الامة الالمانية شأن كبير ، وأثر في الخير عظيم ، لطرحت لساعتي ما حملته من اثقال وظائف الحكومة

ماذا أقول ؟ بل لولا ذلك الايمان لما قبلت شيئا من هذه الوظائف ، لأن الرتب والالقاب لا بهاء لها في نظري ، لولا يقيني بحياة بعد الموت ما كنت من حزب الملكية ، لو لم يكن هذا اليقين لكنت جمهوريا بالفطرة ، يتبين ذلك من الغارات التي أشنها على هنات (خصال الشر) رجال الحاشية من مدة تزيد عن عشر سنين من هذا يظهر أن إيماني قد بلغ من القوة أعلاها حتى حملني بقوته على أن أكون ملكيا اسلبوني هذا الايمان تسلبوني محبتي لوطني ، اه المراد منه

وقد استدل على كلامه بثروته الموروثة ومجده المورث ومحبته للحياة الخلوية الزراعية حتى قال إن الاسرة المالكة في بلاده ليست أنبل من أسرته

بعد هذا التمهيد أذكر لكم ثلاث شهادات وجيزة على تدين فقيدنا في أول عهدي به ووسطه وآخره (الاولى) اننا كنا في أول عهدنا نتلاقى كثيرا في ليالي رمضان مع جماعة من الاصدقاء كلهم يصومون ويصلون ، وكان أكثر سمرنا فيها

البحث في المسائل الدينية إذ كانوا يسألون من تعجبهم أجوبته عن المشكلات التي تثيرها المعارف العصرية على الدين، فكانت هذه المباحث وقراءة المنار هما الباعثان للفقيد رحمه الله تعالى على المراجعة الخاصة بيننا في المسائل الدينية عند الحاجة. ومنها أنه دارت بينه وبعض علماء الشرائع والقوانين الفرنسيس بباريس في صيف سنة ١٩٠٤ محاورة في عشر مسائل سألوه عن رأيه فيها، منها بحث الاجتهاد في الفقه، ومعنى اقفال بابه عند العامة وعند أهل التحقيق، ومعنى القانون والفرق بينه وبين الشريعة، فاستمهلهم ريثما يكتب الى بعض اولي الاختصاص في مصر ويدلي اليهم بجوابهم عنها، وارسلها الى صاحب المنار فأجبته عنها وأرسلتها اليه فترجمها لهم ثم أخبرني بأنها كانت كافية ومقنعة، وهي منشورة في المجلد السابع للمنار سنة ١٣٢٢ تحت عنوان (الاسئلة الباريسية) والغرض من هذا أنه كان يهتم بالدفاع عن الاسلام وباقامة حجته فهذا بعض عهدي به في وسط عشرتنا شهدت به

وأما آخر ما أشهد به كغيري فهو ماسبقني الى التنويه به في قصيدته الاستاذ خليل بك مطران، وهو انه عني في آخر عمره ببناء هذا المسجد المحكم على أحدث قواعد الفنون ليذكر به بعد موته الى ماشاء الله من عمر الدنيا

فان قيل ان في هذا مافيه من حب الشهرة فانني أكاشف هذا الجمع، بسر أفضى به إلي قلما يعرفه أحد، وهو انه قد فعل في هذا القبر، بباعث الشعور الديني الكامن في أعماق النفس، حتى أشربته في أخفى مكان من سويداء القلب، مالعله لم يخطر في بال أحد من الغلاة في التبرك بآثار الانبياء والصالحين وأقول إنه ليس بمشروع في هذ الشرع المبين

ذلك أنه عند ماكان في مكة المكرمة كلف المرحوم الشيخ عبد القادر الشيبي أمين مفتاح بيت الله الحرام أن يرسل إلى غار حراء من يكنسه ويجمع كناسته ويحفظها في وعاء ففعل، فأخذها وبذل له من الجعل أو الاكرام مابذل، ثم جاء بهذه الكناسة ووضعها في القبر الذي أعده لدفنه تبركا بها، للقدوم على الله في الدار الآخرة معفرا بغبار الغار الذي كان يتحنث فيه ونزل عليه الوحي أول موة وهو فيه رسوله محمد خاتم النبيين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم الى يوم الدين، آمين

ثورة الازهر ومنتهى علاجها

ظهر لكل ذي بصر وبصيرة ان المجلس الأعلى للازهر والمعاهد الدينية لما يفقه ان هذه الالوف الكثيرة من طلبة العلوم الدينية في حالة ثورة فكرية وجدانية أثارها شيخه الظواهري بسوء سيرته ومظاهر سريرته ، فمنه بدأت الفتنة واليه تعود ولا علاج لها إلا إخراجه من المشيخة ، والمجلس الأعلى لقبا لا حكما ورأيا لم يحاول علاجها الا باخضاعهم له تعبيداً وقهرا ، مع العلم بدرجة احتقارهم له اعتقاداً ووجدانا ، وإصرارهم على مقته ولعنه سرا وإعلانا ، وندائهم باسقاطه جهرا في الازهر وملحقاته كلها ، وفي كل مسجد ومعهد وموقف ومقعد وسوق وشارع . وبأنهم مثلوا لجنازة تبرأ اليهود والنصارى والمسلمون من تشييعها ودفنها في مقابرهم ، ويعلمون أن جمهور العلماء والمدرسين في الازهر ومعاهده موافقون للطلبة في رأيهم وشعورهم

قرر المجلس ما قرر من الطرد لبعضهم وتبليغ الحكومة ما يقتضي ذلك من وجوب تجنيدهم فلم يخضعوا ، وهدد من لم يحضر الدرس في موعد عينه فلم يحضروا ، ولكنه اخترع شبهة قبلها كثير من الناس على علاتها وهي أنهم يتحدون أولياء الامور ويملون عليهم إرادتهم مطالبين لهم بعزل رئيسهم ولا يعقل أن تقبل حكومة أو رياسة أن تكون مأمورة ورعيتها الآمرة ، فنصح لهم بعض الزعماء الذين يحترم رأيهم وتقبل نصيحتهم أن يعودوا إلى دروسهم ويفسحوا للحكومة الرشيدة المجال لحل الاشكال ففعلوا ، وعادوا وقلوبهم لم تخرج من صدورهم ، واعتقادهم وشعورهم ووجدانهم لا تزال صاحبة السلطان على ألسنتهم وحركاتهم وسكناتهم ، فرأى الشيخ أنهم لم يحضروا الدروس خضوعا لرياسته ، ولا توبة عن إهانته ، فأمر مجلسه الاعلى باصدار قرار بتعطيل الدروس في الازهر والمعاهد كلها وإلغاء هذه السنة من حسابه ، فاءتمر ، وليكن الدين وعلومه وعشرة آلاف طالب من طلابه ومئات الالوف من الجنيهات تنفقها الحكومة والاوقاف عليهم ، فداء للشيخ الظواهري بغيض الامة والملة ولا حرج ، ولكن الظواهري سيخرج من الازهر مذموما مدحورا ، ولا يجد له من مجلسه ولا من غيره وليا ولا نصيرا ، وانما مطالبة الطلبة بعزله أخرته الى أجل كما نصحنا لهم في تصدير كتابنا (المنار والازهر)

(كريم اميركاني ينشر الوحي المحمدي في الشرق)

وكريم مصري نشره في الغرب

لما زار مصر مستر كراين الاميركاني صديق العرب والاسلام الشهير آخر مرة في الربيع الماضي كنت قد أصدرت الطبعة الثانية من كتاب الوحي المحمدي ، فأخبرته بموضوعه ، وبأني قد أهديته إلى كل من عرفت عناوينهم من علماء أوربة المستشرقين ، وأحب أن أهديه إلى علماء أمريكة منهم ، وأرغب اليه أن يتفضل علي بعناوين من يعرف منهم ومن غيرهم . ولما سافر من القاهرة إلى الاسكندرية بعد أن تغدينا مع بعض أصدقائه على مائدته في فندق (الكونتيننتال) كعادته في كل زيارة ، عهدت عند توديعه إلى صديقه ومساعده على مشروعاته النافعة الاديب المعروف (جورج أنطونيوس) أن يذكره بمسألة هذه العناوين بعد ستراحته في الاسكندرية ، ثم لما طال الامد على سفره من الاسكندرية إلى أوربة فأميركة أرسلت طائفة من نسخ كتاب الوحي إلى مكتبه المعروف في نيويورك مع خطاب له أرجوه فيه أن يتولى هو إيصال هذه النسخ إلى المستشرقين الذين يرغبون في قراءة أمثال هذه الكتب الاسلامية في بلاده ، ومر فصل الصيف والخريف ولم يبلغني عنها شيء ، وما كان من اللائق أن أسأله عنها بالكتاب ، وقد كان أخبرنا هنا أنه يريد أن ينقطع عن كل عمل حتى بدون مذكراته في بلده

بيد أنني نسيت وهو لم ينس ، فقد جاءني في أوائل شهر (شوال الماضي الموافق يناير سنة ١٩٣٥) كتاب من الاستاذ جورج انطونيوس من القدس يبلغني فيه انه لم يقصر في تنفيذ ما كنت عهدته اليه في أمر هذا الكتاب ، وفيه تحويل بمبلغ مائتي دولار من جناب مستر كراين يقول انه يرغب أن تكون ثمنا لنسخ من كتاب الوحي المحمدي ترسل إلى المعاهد العلمية في الشرق لاجل تعميم هداية الدين الحنيف ، بهذا الاسلوب العصري الطريف ، فشكرت لكل من المحسن بماله والمحسن بمقاله ووساطته فضله ، وسيكون لجميع المعاهد العلمية والاندية الادبية حظ من هذه النسخ في الاقطار العربية والهندية والملاوية وسائر الاعجمية حتى الصين فوق ما سبق لي إهداؤه من الكتاب مما لا أحصيه ، فليعتبر بهذا مستر كراين والمنار الماطلون وغيرهم من المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم بما حمدت به نفسك. وباسمك أشرع في الثلث الأول من هذا التفسير المختصر لكتابك العزيز، الذي كثر على الالحاح بطلبه من المؤمنين الراضين عن (تفسير المنار) المطول. المفضلين له على غيره. بتحريه بيان ما أنزلته لاجله من الهدى والاصلاح للبشر في أمري الدين والدنيا، وموافقته لحاجة هذا العصر في معارفه، واقامة حجة الاسلام والدفاع عنه، بالجمع بين صحيح المأثور والمعقول، أحبوا أن أكتب لهم على نهجه تفسيراً وجيزا يسهل على كل ذي حظ من اللغة العربية أن يتدبره ويهتدي به، وعلى كل عالم أن يقرأه كله لطلاب العلم في زمن قصير، فاياك استعين على إتمامه بما تحب وترضى من بينات الهدى والفرقان. وإياك أسأل أن تؤتيني به وفيه الحكمة وفصل الخطاب، وأن تعلمني من لدنك علما، وتهب لي فهما وحكما. حتى يكون القرآن حجة لي لا حجة علي، واهد اللهم به كل من قرأه بنية صحيحة، واحفظنا جميعا من زيغ من يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله

واني أنصح لقارئه أن ينوي بالنظر فيه الاستعانة به على تدبر القرآن والتفقه فيه والاتعاظ به لاصلاح نفسه، والاستعداد لاصلاح غيره، بالدعوة الى الحق وفعل الخير وإقامة العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى بين الخلق، وجمع كلمة المسلمين، دون المراء والجدل في الدين ونصر المختلفين فيه

وسيجدني إن شاء الله أتحرى أن أصور له المعاني الصحيحة التي تدني اليه هذه المقاصد مجتنباً ما يشغله عنها من مباحث اللغة كاشتقاق الألفاظ، وذكر الحقيقة والمجاز، ووجوه الاعراب، واصطلاحات الفنون، وأصول الكلام والفقه. الا ما كان إشارة يسهل فهمها على جمهور القراء. ككلمة تعليل وتمثيل، وإجمال وتفصيل، ومجمل ومبين، ومطلق ومقيد. وشرط وجواب، واستئناف لبيان. وحديث مرفوع مثلا. فان وجدت خفاء أو إشكالا في بعض العبارات أو المسائل وأردت كشف الغطاء عنها، أو الوقوف على ما فيها من الأحكام والحكم بالتفصيل، فراجع لفظها أو معناها في تفسير المنار المطول مستعينا بفهارسه. وبعدد الآيات والسور. وأرجو ان يكون ما هنا أقرب إلى الصواب مما قد يخالفه هنالك، وأذكر القراءات المتواترة بدون عزو إلى رواتها للاختصار، مع بيان معانيها وحكمتها بالايجاز. إلا ما يتوقف على التلقي بأداء حفاظ القراء كالامالة وتسهيل الهمزة مثلا، وقد قدرته بثلاثة أجزاء كل ثلث من القرآن في جزء، وكنت بدأت بالثلث الثاني من قبل، وأسأل الله أن يعينني على إتمامه كما يحب ويرضى في زمن قصير، وهو على كل شيء قدير ؎ وكتبه محمد رشيد منشيء المنار بمصر في ذي القعدة سنة ١٣٥٣

الكلمة الاخيرة لمشتركي المنار المطل

أحمد الله انني وقفت حياتي على خدمة الاسلام بالدعوة اليه والدفاع عنه وبيان حقيقته من كتاب الله بأهدى تفسير له وأصحه وأوضحه ، وباحياء سنة رسوله خاتم النبيين ﷺ وإماتة ماخالفها من البدع ، وبانتقاء المؤيدة بالدلائل في كل مايشكل على المسلمين من أمر دينهم وما يتعلق به من أحكام دنياهم ، وبالرد على خصوم الاسلام من الماديين والملحدين ودعاة النصرانية ، وببيان مقاصد أعدائهم من المستعمرين وتنبيههم لما يجب من مقاومتها ، وقد شرحت هذه المقاصد في ٣٤ مجلداً من المنار ، و١٢ جزءاً من تفسير القرآن الحكيم ، وكتبا أخرى آخرها (الوحي المحمدي) وليس لي على هذه الاعمال مساعد بل أكلف فوقها أعمالا كثيرة منها الاجوبة على مشكلات كثيرة ترد علي من جميع الاقطار وغير ذلك ككتابة مقالات للجرائد والمجلات وإلقاء محاضرات ومناظرات في الاندية والجمعيات ، وكتابة فتاوى لبعضهم وارسالها اليهم في البريد ، بله المسألة العربية وأعمالها

وانني لشواغلي هذه قصرت منذ ربع قرن أو أكثر في أعمالي الادارية والمالية حتى كثرت الديون لي وعلي فطالبت المشتركين في المنار بما يسهل عليهم من أداء أو تقسيط أو صلح على بعض المطلوب مع من يعسر عليهم أداء جميعه ، أو طلب اسقاطه كله ممن يعجز عن بعضه ، وكررت هذا في السنتين الماضيتين فلم يستجب لي إلا أقلهم

واذا كان هذا جزاء صاحب المنار من أكثر قرائه على خدمة الاسلام وهم أجدر المسلمين بتقديرها والمساعدة عليها بقيمة الاشتراك القليلة أو بعضها فأي عنوان يكونون لأمتهم ؟ وكان خطر ببالي أن أطلب منهم اجازة سنة لأصدر للامة السفر الاول من (التفسير المختصر المفيد) الذي يرون مقدمته هنا واجعل ثمنه للاوفياء منهم نصف ثمنه من غيرهم فلما قاربت السنة عزمت على الثبات والجمع بين إصدار التفسير بن المطول والمختصر والمنار ، راجيا منهم قضاء حقه بقدر الاستطاعة فقط

انني سأنشر أسماء أكثرهم دينا للمنار في ملحق للتذكير به لانه يثقل علي الكتابة لكل واحد منهم ، وأنصفهم فيما يجيبون به ، ومن أصر على المنع والسكوت فانني أقطع عنهم المنار والله يتولى جزاءهم في الدنيا والآخرة وهو حسبي ونعم الوكيل

(الجزء العاشر) ١٣٥٤ (المجلد الرابع والثلاثون)

المنار

١٣١٥

الاشتراك: عن سنة ١٠٠ قرش صحيح دفعا في سائر البلاد ويكون دائما عن سنة كاملة ولطلاب العلم نصف القيمة

تنبيه: يجب ان يكون وصل الاشتراك مختوما بختم الادارة الخاص وموقعا عليه بتوقيع منشىء المجلة أو ختمه وامضاء المتسلم

مجلة اسلامية تبحث في جميع شئون الاصلاح الديني والمدني والسياسي

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

سنتها عشرة أشهر وتهدي إلى من يدفع الاشتراك كاملا قبل انقضاء السنة

كتابا أو رسالتين عوضا عن جزئي الشهرين

عنوانها البريدي: دار المنار بشارع الانشاء بمصر عدد ١٤

والتلغرافي «المنار بمصر» . رقم التليفون: ٤٣٣٤٩

خطاب مهم للمشتركين السابقين

المرجو من حضرتهم أن يقرؤا في هذا الجزء مافصلناه من خلاصة تاريخ المنار وعلاقتنا بهم وما عرضناه عليهم من عقد الصلح وتجديد عهد التعاون على الاصلاح والتعاون على نشر دعوة الاسلام وهدايته العامة وجمع كلمة المسلمين . وأن يتفضلوا علينا بالجواب

يجب أن تكون جميع المكاتبات والرسائل والحوالات باسم صاحب المجلة السيد محمد رشيد رضا

فهرس الجزء العاشر م ٣٤ من المنار

تفسير القرآن الحكيم

حادثة مكر النسوة بامرأة العزيز ومكرها بهن ٧٢١
إكبارهن ليوسف وتقطيع أيديهن ٧٢٥
اعترافها بمراودته واستعصامه وتهديده بالسجن إن لم يطعها ٧٢٧
تفضيله السجن ودعاؤه به واستجابته بصرف كيدهن عنه ٧٢٩
دخوله السجن وفتيان معه وقص كل منهما رؤياه عليه لتأويله ٧٣٧
تصريحه لهما بمعجزته ودعوتهما الى التوحيد وتأويله لرؤيا كل منهما ووصيته للساقي منهما بأن يذكره عند الملك ونسيانه للوصية ٧٤٤
رؤيا الملك وعجز ملئه عن تأويلها ٧٤٨
تأويل يوسف لها بما يجب عمله ٧٥١
طلب الملك ليوسف ومسألة النسوة واعترافهن بعصمته واعتراف امرأة العزيز بمراودته وما عزاه المفسرون الى يوسف خطأ ٧٥٣

فتاوى المنار

(٣١) تحكيم العقل في الدين ٧٥٨
(٣٢—٣٥) التلفيق في تقليد المذاهب وحديث أصحابي كالنجوم ، وكلمة من قلد عالما ٧٥٩
(٣٨) احاديث الدجال ٧٦٠
(٣٩) « نزول المسيح «
(٤٠) الحقن تحت الجلد ومفطرات الصائم «
(٤١) حكم الانتفاع بالرهن «
(٤٢) حكم بيع الوفاء «
(٤٣) حكم الصلاة والصيام في جمهة القطبين ٧٦١
(٤٤) حديث من خرج في طلب العلم ٧٦٣

باب المقالات

الأزهر الازهر . الانقلاب الاكبر ٧٦٤
حكمة الفصل بين الرياستين ٧٦٦
حجور الازهر أمس وثورته اليوم ٧٦٨
نصيحتي الثانية للازهر ٧٦٩
تأثير تولية المراغي الازهر ٧٧١
كلمة الاستاذ الاكبر للازهر ٧٧٢
خليج العقبة وطمع الانكليز فيه) ٧٧٤
العقبة بين مصر والحجاز وانكلترة)
الشقاق بين العرب المسلمين . شر ما آل اليه في فلسطين ٧٨٢
كتاب حياة محمد (ص) ٧٨٧
إقرار هيكل لدرمنغام على شبهات الوحي النفسي ٧٨٨
رسالة منكر على كتاب حياة محمد ٧٨٩
أمهات المسائل المنكرة من كتاب الدكتور هيكل ٧٩٠
اختلاف وجهتي النظر في كتاب حياة محمد ٧٩١
الخوارق والمعجزات بين قراء كتاب هيكل ٧٩٢
استدراك على تفسير ج ٩ و ١٠ في القراءات ٩٩٣
تجديد جهاد المنار بينه و بين قرائه ٧٩٤
كلمة الاستاذ الامام وكلمتان لخليفته المراغي في المنار ٧٩٥
الجناية المالية على المنار ٧٩٧
المنار في طوره الجديد ٧٩٩ — ٨٠٠

(الجزء العاشر) ٧٢١ (المجلد الرابع والثلاثون)

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

أنشئ ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

٣٠ المحرم ١٣٥٤ برج الثور سنة ١٣١٣ هـ ش ٣ مايو سنة ١٩٣٥

تفسير القرآن الحكيم

تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي

(حادثة مكر النسوة بامرأة العزيز ومراودة يوسف)

(٣٠) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣١) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ، فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣٢) قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ

فَٱسْتَعْصَمَ ، وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَآ آمُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ (٣٣) قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ، وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٣٤) فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٥) ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ

هذه الآيات الخمس في حادثة النسوة من كبار بيوتات مصر اللائي مكرن بامرأة العزيز لتجمعهن بهذا الشاب الذي فتنها جماله ، وأذلها عفافه وكماله ، حتى راودته عن نفسه وهو فتاها ، ودعته إلى نفسها فردها وأباها ، خشية وطاعة لله ، وحفظا لأمانة السيد المحسن اليه أن يخونه في أعز شيء لديه ، لعله يصبو اليهن ، ويجذبه من جمالهن الطارىء المفاجيء له ، مالم يجذبه من جمالها الذي ألفه قبل أن يبلغ أشده ، وكان نظره اليها نظر الرقيق لسيدته ، أو الولد لوالدته ، وقد جاءت في السورة بأبدع صورة من الايجاز والبلاغة ، وأعلى تعبير من الادب والنزاهة ، وهو :

٣٠ ﴿ وقال نسوة في المدينة ﴾ النسوة جمع قلة للمرأة من غير مادة لفظها ولم يبين لنا التنزيل عددهن ولا أسماءهن ولا صفاتهن لان الفائدة في العبرة محصورة في أن عملهن عمل جماعة قليلة يعهد في العرف ائتمارهن واتفاقهن على الاشتراك في مثل هذا المنكر ، في مدينة كبيرة كعاصمة مصر ، التي بلغت منتهى فتن الحضارة ، وما تقتضيه من التمتع بالشهوات والزينة ، ولفظ النسوة مفرد مذكر فيجوز تذكير ضميره للفظه وتأنيثه لمعناه

ومن غريب فتنة الروايات الباطلة أن يدعي بعضهم أن اللواتي أجبن دعوتها الآتية منهن كن أربعين امرأة ، وهو مردود بالتعبير عن العاذلات كلهن بجمع القلة ، وكذا ماعلم من قرينة الحال والمقال أنهن من بيوتات كبار الدولة ، فان نساء

البيوت الدنيا وكذا الوسطى لا يتسامين بعد الانكار على امرأة العزيز كبير وزراء الملك، إلى الوصول اليها بالمكر والحيلة، لمشاركتها في فتنتها بل نعمتها، أو سلب عشيقها منها: ويؤيد ذلك ما يأتي من عاقبة حادثتهن، وكان من الطبيعي المعهود أن يعرفن نبأها معه، ويكون حديثهن الشاغل لهن في مجالسهن الخاصة، وكان خلاصته الوجيزة المؤدية لمرادهن منه ما حكاه التنزيل عنهن وهو قولهن ﴿ امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ﴾ هذا خبر يراد به لازمه وهو التعجب والانكار من النواحي أو الجهات الأربع (١) كون المتحدث عنها امرأة عزيز مصر وزير الملك الاكبر في علو مركزها (٢) كونها تهين نفسها وتحقر مركزها بأن تكون مراودة لرجل عن نفسه وشأن مثلها إن سخت بعفتها أن تكون مراودة عن نفسها لا مراودة لغيرها كما تقدم (٣) أن الذي تراوده عن نفسه هو فتاها ورقيقها (٤) أنها بعد ان افتضح أمرها وعرف بها سيدها وزوجها، وعاملها بالحلم، وأمرها باستغفار ربها، لا تزال مصرة على ذنبها، مستمرة على مراودتها، وهو ما أفاده قولهن (تراود) وهو فعل المضارع الدال على الاستمرار ﴿ قد شغفها حبا ﴾ أي قد اخترق حبه شغاف قلبها أي غلافه المحيط به، وغاص في سويدائه، فملك عليها أمرها، حتى انها لا تبالي ما يكون من عاقبة تهتكها، واللائق بمقامها الكتمان، ومكابرة الوجدان ﴿ إنا لنراها في ضلال مبين ﴾ أي إنا لنراها بأعين بصائرنا غائصة في غمرة من الضلال المبين الظاهر البعيد عن محجة الهدى والصواب فهو من حكم الرأي. وهن ما قلن هذا انكارا للمنكر، وكرها للرذيلة، ولا حبا في المعروف ونصرا للفضيلة، وإنما قلنه مكرا وحيلة، ليصل اليها فيحملها على دعوتهن، وإرائتهن بأعين أبصارهن، ما يبطل ما يدعين رؤيته بأعين بصائرهن، فيعذرنها فيما عذلنها عليه، فهو مكر لا رأي

٣١ ﴿ فلما سمعت بمكرهن ﴾ وكان من المتوقع أن تسمعه لما اعتيد بين هذه البيوتات، من التواصل بالزيارات، واختلاف الخدم من كل منها الى الآخر،

وهن ما قلنه الا لتسمعه فان لم يصل اليها عفوا، احتلن في إيصاله قصدا ، فكان

ما أردنه ﴿ أرسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا ﴾ أي دعتهن الى الطعام في دارها ، ومكرت بهن كما مكرن بها ، بأن أعدت وهيأت لهن ما يتكئن عليه اذا جلسن من الكرامي والأرائك وهو المعتاد في دور الكبراء قال تعالى في صفة الجنة (متكئين فيها على الأرائك) وكان ذلك في حجرة مائدة الطعام ، وأعطت كل واحدة منهن سكينا ليقطعن به ما يأكلن من لحم أو فاكهة، وروي عن بعض مفسري السلف تفسير المتكأ بالطعام الذي يتكأ عليه لأجل قطعه أي يعتمد عليه كالجامد والنشديد القوام ، دون الرخو كالموز الناضج من الفاكهة والحساء من الطعام ، والاتكاء على الشيء هو التمكن بالجلوس عليه أو الاعتماد عليه باليد أو اليدين ، قال في المصباح المنير : وتوكأ على عصاه اعتمد عليها واتكأ جلس متمكنا وفي التنزيل (وسررا عليها يتكئون) أي يجلسون وقال (وأعدت لهن متكأ) أي مجلسا يجلسن عليه . قال ابن الاثير : والعامة لا تعرف الاتكاء الا الميل في القعود معتمدا على أحد الشقين ، وهو يستعمل في المنيين جميعا ، يقال اتكأ اذا أسند ظهره أو جنبه الى شيء معتمدا عليه ، وكل من اعتمد على شيء فقد اتكأ عليه وروى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير تفسير المتكأ هنا بالاترج أو الاترنج [1] لانه لا يقطع الا بالاتكاء عليه ،

وفي السنة أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأكل وهو متكيء ﴿ وقالت اخرج عليهن ﴾ أي أمرت يوسف بالخروج عليهن وكان في حجرة أو مخدع في داخل حجرة الطعام التي كن فيها محجوبا عنهن ، ولو كان في مكان خارج عنها لقالت ادخل عليهن ، فعلم من هذا أنها تعمدت أن يفجأهن وهن مشغولات بما يقطعنه ويأكلنه عالمة بما يكون لهذه الفجاءة من تأثير الدهشة، وهو ما حكاه التنزيل عنهن من قوله تعالى

(١) الاترج بالجيم المشددة ويقال اترنج وترنج ثمر من جنس الليمون الحامض كبير مستطيل بشكل بطيخ الشام يسميه العوام الكباد (بتشديد الباء) حامضه في جوفه قليل وسائره يؤكل بعد ازالة قشرة سطحه اللاصقة بحجمه الذي يؤكل اذا نضج

﴿ فلما رأينه أكبرنه ﴾ أي أعظمنه ودهشن لذلك الحسن الرائع، والجمال البارع، وغبن عن شعورهن ﴿ وقطعن أيديهن ﴾ بدلا من تقطيع ما يأكلن، ذهولا عما يعملن، بأن استمرت حركة السكاكين الارادية بعد فقد الارادة على ما كانت عليه قبل فقدها، ولكنها وقعت على أكف شمائلهن وقد سقط منها ما كان فيها من استرخائها بذهول تلك الدهشة فقطعتها أي جرحتها، ولولا استرخاؤها لأبانتها، والظاهر ان مضيفتهن تعمدت جعلها مشحوذة فوق المعهود في سكاكين الطعام مبالغة في مكرها بهن، لتقوم لها الحجة عليهن بما لا يستطعن انكاره، واختلف المفسرون في هذا القطع هل كان قطع إبانة انفصلت به الكف من المعصم أو الاصابع من الكف؟ أم قطع جرح أطلق فيه لفظ بدء الشيء على غايته من باب المبالغة، وهو ما يسميه علماء البيان بالمجاز المرسل؟ الاكثرون على الثاني وهو مستعمل الى اليوم بالارث عن قدماء العرب فيمن يحاول قطع شيء فتصيب السكين يده فتجرحها يقول كنت أقطع اللحم أو الحبل (مثلا) فقطعت يدي، كأنه يقول كاد ما اردته من قطع اللحم يكون بيدي مما أخطأت، ولا يقال فيمن جرح عضوا منه أو من غيره كالطبيب قاصدا جرحه إنه قطعه إلا إذا بالغ فيه، يقال أراد أن يجرح رجله ليخرج منها شظية نشبت فيها فقطعها، يريد أنه بالغ فكاد يقطعها، وقد أشار الزمخشري الى مثل هذا القيد في استعمال القطع بمعنى الجرح فقال: كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي، يريد فاخطأت فجرحتها حتى كدت أقطعها ﴿ وقلن حاش لله (١) ما هذا بشرا ﴾ اي قلن هذا تعجبا وتنزيها لله تعالى أن يكون خلق هذا الشخص العجيب في جماله وعفته من نوع البشر وهو ما لم

١) كلمة حاش لله قرئت في السبع المتواترة بالالف (حاشا) و بدونها على ظاهر رسم المصحف الامام وهي حرف تفيد معنى التنزيه والبراءة في باب الاستثناء يقال أخطأ القوم حاشا زيد وزيدت فيه اللام للخطاب كما تقدم في: هيت لك.

يعهد له في الناس مثل، إنه ليس بشرا مثلنا ﴿ إن هذا إلا ملك كريم ﴾ أي ماهذا إلا ملك من الملائكة الروحانيين تمثل في هذه الصورة البديعة التي تدهش الابصار وتخلب الالباب (كما كان يصورلهم صناعهم الرسامون والنحاتون أرواح الملائكة والآلهة بالصور والتماثيل لتكريمها وعبادتها) وأحسن كلمة رويت في الآية عن مفسري السلف قول ابن زيد بن أسلم المدني : أعطتهن أترنجا وعسلا فكن يحززن الترنج بالسكين ويأكلنه بالعسل ، فلما قيل له : اخرج عليهن خرج فلما رأينه أعظمنه وتهيمن به حتى جعلن يحززن أيديهن بالسكين وفيها الترنج ولا يعقلن ولا يحسبن الا انهن يحززن الاترنج قد ذهبت عقولهن مما رأين وقلن (حاشا لله ماهذا بشرا) ماهكذا يكون البشر ماهذا إلا ملك كريم اهففسر قطع الايدي بحزها والحز أقل ما يحدثه السكين كالفرض في الخشبة ، وهنا يتساءل المتسائلون: ماذا قالت لهن، وقد غلب مكرها مكرهن ؟ وصار حالها وحالهن كما قال الشاعر :

أبصره عاذلي عليه ولم يكن قبلها رآه
فقال لي لو عشقت هذا ما لامك الناس في هواه
فظل من حيث ليس يدري يأمر بالعشق من نهاه

٣٢ ﴿ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ﴾ أي حينئذ قالت لهن ما يعلم شرحه من قرينة الحال، لما جاء في التنزيل من ايجاز واجمال، اذا كان الامر مارأيتن بأعينكن، وما أكبرتن في أنفسكن ، وما فعلتن بأيديكن ، وما قلتن بألسنتكن ، فذلكن هو الامر البعيد الغاية الذي لمتنني فيه، وأسرفتن في عذلي عليه ، إذ قلتن من قبل ما قلتن، فالمشار اليه بكاف البعد هو أمر لومهن لها ، أو يوسف البعيد في حقيقته البديع في صورته عما تصورونه به، فما هو عبراني أو كنعاني مملوك، وخادم صعلوك ، قد شغف مولاته الملكة لرقه حبا وغراما ، فهي تراوده عن نفسه ضلالا منها وهياما ، بل هو أكبر من ذلك وأعظم ، هو ملك روحاني ، تجلى في شكل انساني، أوتي

حسن روعة الجمال ماخلب ألبابكن في الوهلة الاولى من ظهوره لكن ، فما قولكن في أمري معه وافتتاني به، وانما ترعرع في داري،وبلغ أشده واستوى بين سمعي وبصري ، فأنا أشاهده في قعوده وقيامه ، ويقظته ومنامه ، وطعامه وشرابه ، وحركته وسكونه ، وأخلوبه في ليلي ونهاري ، فأراه بشراً سويا ، إنسيا لاجنيا، وجسداً لاملكا روحانيا ، فأتراءى له في زينتي ، وأعرض على نظره ماظهر وما خفي من محاسني ، فيعرض عنها احتقاراً ، فأتصباه بكل ماأملك من كلام عذب يخلب اللب ،ولين قول وخشوع صوت يرقق القلب،فلا يصبو إليّ ، وأمد عيني إلى محاسنه جامعة فيهما كل ما يكنه قلبي من صبابة وشوق وخلاعة ، مع فتور جفن ، وانكسار طرف ،وطول ترنيق وتحديق ، فلا يرفع إلي طرفا ، ولا يميل نحوي عطفا ، بل تتجلى فيه الروح الملكية بأظهر مجاليها ، والعبادة الالهية بأكمل معانيها ، أمثل هذا الملك القاهر يسمى عبداً طائعا ، ومثل هذه المرأة المقهورة تسمى سيدة مالكة ، تأمر بل تشير فتطاع ، وينكر عليها ان تراود فتردد ، ثم تريد إظهار سلطانها فتعجز ؟ لقد انكشف القناع ، فلا أمر لمن لايطاع

﴿ ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ﴾ أي استمسك بعروة عصمته التي ورثها عمن نشأوا عليها، كأنه يطلب مزيد الكمال منها، والله ما عجبي من يوسف راودته فاستعصم وأن قالت له «هيت لك» فقال « أعوذ بالله » فكم قال هذا من ليس له مقامه في معرفته بالله ومراقبته لله ، وقد روي أن رجلا راود أعرابية في ليلة ليلاء ، وقال انه لايرانا غير كواكب هذه السماء ، فقالت وأين مكوكبها ؟

وإنما عجبي بل اعجابي بيوسف عليه السلام أن نظره إلى الله أو نظر الله اليه لم يدع في قلبه البشري مكانا خاليا لنظرات هذه العاشقة التي شغفها حبا ، لتصبيها له قبل أن يخونها صبرها فتنفره بمصارحتها ، وان من أقوى غرائز البشر حب الانسان لمن يعتقد انه يحبه، وان كان مشغول القلب عنه بحب من لايحبه. كما قيل

ونظرة المحبوب للمحب والله عن انسان عين القلب

وأما الخالي فلايكاد يسلم من تأثير التحبب في اسمائه كما قالت علية بنت المهدي العباسي * تحبب فان الحب داعية الحب * فالحب أقوى غرائز البشر، وأكبر مايفتن الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وان من الحب لصادقا وكاذبا ، وان من العشق لمذريا وفاسدا وان مفاسده في الحضارة لكبيرة، وان فتنه لعظيمة وسنعقد له فصلا في باب العبرة بالقصة في اجمال تفسير السورة ﴿ ولئن لم يفعل ما آمره ﴾ به، أقسم لكن آكد الايمان، ولتسمع ذلك منه الاذنان ﴿ ليسجنن وليكونن من الصاغرين ﴾ أي الاذلة المقهورين ، تعني ان زوجها العزيز يعاقبه بما تريد من إلقائه في السجن وهو المدبر له المتولي لأمره، ومن جعله كغيره من العبيد بعد تكريم مثواه وجعله كولده ، وهذا أشد مما أنذرته أولا إذ قالت لزوجها عند التقائهما به لدى الباب (ماجزاء من أراد بأهلك سوءآ إلا أن يسجن أو عذاب أليم) هنالك أنذرته أحد العقابين : سجن غير مؤكد، أوعذاب أليم نكرة غير معرف ، فيحصل ذلك السجن المطلق بأخف صوره وأقلها ، والعذاب المنكر بأهون أنواعه وألطفها ، فذاك بحبسه في حجرة من الدار، وهذا بلطمة يحتدم بها ما في خديه من الاحمرار، وهنا أنذرته الجمع بينهما، وأكدت السجن بالقسم وبنون التوكيد الثقيلة، وفسرت العذاب بالصغار الذي تأباه الانفس الكبيرة واكتفت فيه بالنون الخفيفة ، وهو أشق على مثل يوسف من العذاب الاليم بالاعمال الشاقة ، لانها أهون على كرام الناس من الهوان والصغار باحتقار النفس، وفعله صغر كتعب، وأما صغر كضخم فهو خاص بصغر الجسم، ومن الاول قوله تعالى (٩ : ٢٨ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)

وفي هذا التهديد من ثقة هذه المرأة بسلطانها على زوجها الوزير الكبير على علمه بأمرها ، واستعظامه لكيدها ، ماحقه أن يخيف يوسف من تنفيذ إرادتها، ويثبت عنده عدم غيرته عليها، كما هو شأن كثير من الوزراء المترفين، ولاسيما العاجزين عن

إرضاء أزواجهن، والمحرومين من نعمة الاولاد منهن، وماذا فعل يوسف وما قال وقد علم ان هذه المرأة الماكرة قد عيل صبرها، وهتكت سترها، وكاشفت نسوة كبار بلدها بما تسر وما تعلن من أمرها؟ ورأى أنهن تواطأن معها على كيدها، وراودنه عن نفسه كما راودته عن نفسها، وهو تؤاطؤ لا قبل لرجل به إلا بمعونة ربه وحفظه

---

٣٣ ﴿ قال رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه ﴾ أي قال: أي ربي، الغالب على أمري، العالم بسري وجهري، ان الحبس والاعتقال في السجن مع المجرمين حيث شظف العيش أحب الى نفسي وآثر عندي على ما يدعوني اليه هؤلاء النسوة من الاستمتاع بهن في نعمة هذه القصور وزينتها، والاشتغال بحبهن عن حبك، وبقربهن عن قربك، وبمغازلتهن عن مناجاتك، ويمكن أن يشرح هذا بما يعلم من سياق القرآن، ومن طباع الرجال والنسوان، ومن التاريخ العام، والسنن الاجتماعية والاخلاق والعادات، دون حاجة الى ما لا سند له ولا دليل عليه من الروايات، وهو أنه ليس في السجن إلا الاعتبار بأحكام الملوك وأعوانهم من الوزراء والقضاة على من يسخطون عليهم بحق أو بغير حق، مما يزيد في إيماننا بقضائك، وصبراً على بلائك، وشكراً لنعمائك وعلما بشئون خلقك ويفتح لي باب الدعوة الى معرفتك وتوحيدك، والاستعداد لاقامة الحق، ونصب ميزان العدل، فيما عسى أن تخولني من الامر، اذا مكنت لي كما وعدتني في الارض

هذا ما يتبادر الى الفهم من توجيه التفضيل في الحب تدل عليه حالة يوسف وسابق قصته ولاحقها بغير تكلف ولا تحكم، كما هو دأبنا في كل ما نفسر به هذه القصة وغيرها، وهو يصدق في جعل اسم التفضيل هنا لا مفهوم له أو على غير بابه كما يقال، فليس المراد ان ما يدعونني اليه محبوب عندي والسجن أحب إلي منه، وانما معناه ان هذين الامرين اذا تعارضا وكان لا بد من أحدهما فالسجن آثر وأولى بالترجيح لان ما فيه من المشقة له فائدة عاجلة، وعاقبة صالحة، وأما مجاهدة هؤلاء النسوة مع المكث معهن، فهو أشق على المؤمن العارف بربه، وليس له من الفائدة والعاقبة ما للسجن، فهو أي اسم التفضيل من قبيل قول المحدثين في بعض الاحاديث الضعيفة

هو أصح ما في هذا الباب ، يعنون أقوى ما فيه وإن كانت كلها غير صحيحة ، بل أو هو كقوله الآتي (أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)

وقيل يجوز أن يكون المراد من التفضيل ترجيح الاحب بمقتضى الايمان وحكم الشرع ، على المحبوب بمقتضى الغريزة وداعية الطبع ، فان الانبياء والصلحاء كسائر البشر يحبون النساء ويشتهون الاستمتاع بهن ، ولكنهم يكرهون أن يكون من غير الوجه المشروع ، وشره الاعتداء على نساء الناس ، ولما قال النبي ﷺ للفقراء « وفي بضع أحدكم صدقة » قالوا يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال « أرأيتم اذا وضعها في حرام كان عليه وزر ؟ كذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر » رواه مسلم من حديث أبي ذر . وفي حديث السبعة الذين يظلهم في ظله حيث لاظل إلا ظله في موقف القيامة « ورجل دعته امرأة ذات جمال ومنصب الى نفسها فقال اني أخاف الله » وهو حديث متفق عليه . وذلك بأن للمرأة ذات المنصب سلطانا على قلب الرجل فوق سلطان الوضيعة في طبقتها وان كانت جميلة الصورة فيثقل على طبعه وتضعف ارادته أن يرد طلبها فكيف بها اذا جمعت بين سلطان الجمال وسلطان المنصب ثم ذلت له ودعته الى نفسها ؟

(فان قيل) إن المرأة إذا ابتذلت نفسها فبذلها الرجل بذلا ، وتحول دلها عليه مهانة وذلا ، فانه يحتقرها ، وتتحول رغبته فيها رغبة عنها (١) وكلما تمنعت عليه ازداد حبا لها وشوقا اليها ، كما قال الشاعر :

(١) قد جرى بحث علمي خلقي في هذه المسألة في محفل أدبي من استاذي المدارس فقلت انني استغرب أن يهبط فساد الفطرة البشرية ببعض الفساق فيقودهن الى مواخير البغاء كيف لا يقرفون من رؤية من فيها وان تصور حالهن أو رؤية تبذلهن حقيقة بأن تنفر الطبع السليم من جنس النساء ، فقال استاذ خبير بحال هذه الطبقات صار بعد ذلك من كبار رجال وزارة المعارف : إن افسق هؤلاء الأرذلين فطرة لا يكاد يغشى هذه المواخير الا وهو سكران ، لا يشعر بشيء يمتاز به الانسان على الحيوان ، وانما اذكر امثال هذه المسائل في تفسير القرآن الشريف لانه هداية وعبرة لجميع المكلفين فيجب أن يكون للدعاة الى هدايته علم بكل ما ابتلوا به من فساد ، وهذه السورة من سوره هي المبينة للقدوة العليا في موضوع افتتان الرجال بالنساء والنساء بالرجال ،

منعت شيئا فأكثرت الولوع به أحب شيء الى الانسان ما منعا

(قلت) نعم ان هذا مقتضى الطبع السليم كما ان ردذات الجمال والمنصب من ضعف الرجل أمام المرأة، ولكن المراودة قلما تبلغ من هؤلاء حد الوقاحة في الصراحة فتكون منفرة، وقد علمت انها احتيال ومراوغة لتحويل الارادة، وان لنساء الأكابر في الامصار التي أفسدتها الحضارة كيداً فيها وخداعا، وإن لأستاذهن الشيطان مسالك من إغوائهن والاغواء بهن يخر أقوى الرجال تجاهها صريعا، ولكن عباد الله المخلصين ليس له عليهم سلطان، وعناية ربهم بهم تغلب غوايته ومكر النسوان، وقد لجأ يوسف عليه السلام إلى هذه العناية، إذ عرض له كيد بضع نسوة من ذوات الجمال والمنصب لا بضاعة لهن إلا أبضاعهن، فقال ﴿وإن لا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾ يعني إن لم تحول عني ما ينصبنه لي من شراك الكيد، ويمددنه من شباك الصيد، باءيثاسهن مني، لم أسلم من الصبوة اليهن، وهي الميل إلى موافقتهن على أهوائهن، يقال صبا يصبو صبواً وصبوة إذا مال إلى اللهو وما يطيب للنفس اتباع الهوى، ومنه ريح الصبا وهي التي تهب على بلاد العرب من مشرق الشمس لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها، حتى ان تغزل شعرائهم بها ليضاهي، تغزلهم بعشيقاتهم رقة وصبابة، ولاسيما اذا اقترنا وامتزجا كقول بعضهم:

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه

وإياكما ذاك النسيم فانه اذا هب كان الوجد أيسر خطبه

﴿وأكن من الجاهلين﴾ أي من صنف السفهاء الذين تستخفهم أهواء النفس فيعملون السوء بجهالة وهي ما يخالف مقتضى الحلم والأناة، أو مقتضى العلم والحكمة، فان من يعيش بين أمثال هؤلاء النسوة الماكرات المترفات مثلي لا مفر له من الجهل الا بعصمتك وحفظك بما هو فوق الاسباب المعتادة، وهذا نص صريح منه (ع. م) بأنه ما صبا اليهن، ولا أحب أن يعيش معهن، وإنما سأل ربه أن يديم له ما عوده في قوله (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء)

٣٤ ﴿فاستجاب له ربه﴾ ما دعاه به وطلبه منه الذي دل عليه هذا الابتهال

والالتجاء اليه وطوى ذكره إيجازاً ﴿ فصرف عنه كيدهن ﴾ فلم يصب البهن ، فيحتاج إلى جهاد نفسه لكفها عن الاستمتاع بهن ، وعصمه أن يكون من الجاهلين باتباع هواهن ﴿ انه هو السميع ﴾ المجيب لمن أخلص له الدعاء ، جامعا بين مقامي الخوف والرجاء ﴿ العليم ﴾ بصدق ايمانهم ، وما يصلح من أحوالهم ، فعطف استجابة ربه له وصرف كيدهن عنه بالفاء الدالة على التعقيب وتعليلها بأنها مقتضى كمال صفتي السمع والعلم ، دليل على أن ربه عز وجل لم يتخل عن عنايته بتربيته اقصر زمن يهتم فيه بأمر نفسه ومجاهدته ، ومؤيد لقوله تعالى في أول سياق هذه الفتنة (والله غالب على أمره)

٣٥ ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ﴾ بدا هذه من البداء (بالفتح) لا من البدو المطلق ، أي ظهر لهم من الرأي ما لم يكن ظاهرا من قبل ، ومنه كلمة سيدنا علي البليغة [فما عدا مما بدا] أي فما عداك وصرفك عما أنت فيه مما بدا لك الآن وكان خفيا عنك قبله ، ولذلك عطفت الجملة بثم التي تفيد الانتقال مما كانوا فيه الى طور جديد بعد التشاور والتروي في الامر ، وضمير [لهم] يرجع الى أهل دار العزيز وامرأته ومن يعنيه أمرهما كالشاهد الذي شهد عليها من أهلها ، والمراد بالآيات ما شهدوه واختبروه من الدلائل على أن يوسف انسان غير الأناسي التي عرفوها في عقيدته وايمانه وأخلاقه من عفة ونزاهة واحتقار للشهوات والزينة والاترف المتبع في قصور هذه الحضارة ، ومن عناية ربه الواحد الأحد به كما يؤمن ويعتقد ، فمن هذه الآيات أن تفتن سيدته في مراودته لم تحدث أدنى تأثير في جذب خلسات نظره ، ولا في خفقات قلبه ، بل ظل معرضا عنها متجاهلا لها ، حتى اذا ما صارحته بكلمة [هيت لك] اقشعر جلده ، واستعاذ بربه ، رب آبائه الذين يفتخر باتباع ملتهم ، وغيرها بالخيانة لزوجها (ومنها) انها لما غضبت وهمت بالبطش به هم بمقاومتها والبطش بها وهي سيدته ، وما منعه من ذلك الا ما رأى من البرهان في دخيلة نفسه ، مؤيدا لما يعتقده من صرف ربه السوء والفحشاء عنه (ومنها) انها لما انهمته

بالتعدي عليها وأرادوا التحقيق في المسألة شهد شاهد من أهلها هو جدير بالدفاع عنها ، بما تضمن الحكم عليها بأنها كاذبة في اتهامها اياه بارادة السوء بها ، وانه صادق فيما ادعاه من مراودتها اياه عن نفسه (ومنها) مسألة انتشار خبرها معه وخوض نساء المدينة في افتتانها به وإذلال نفسها ببذلها له مع إعراضه عنها (ومنها) مسألة أمكر هؤلاء النسوة وأعلمهن كيداً معه ، إذ حاولن رؤيته وتواطأن عن مراودته ، ودهشتهن مما شاهدن من جماله ، حتى قطعن أيديهن بدلا مما في أيديهن وهن لا يشعرن . فجميع هذه الآيات تثبت أن بقاءه في هذه الدار بين هؤلاء النسوة مثار فتنة للنساء لا تدرك غايتها ، وان الحكمة والصواب في تنفيذ رأيها الاول في سجنه وإن كانت سيئة النية ماكرة فيه — لإخفاء ذكره ، وكف ألسنة الناس عنها في

أمره ، فأقسموا ﴿ ليسجننه حتى حين ﴾ أي الى أجل غير معين حتى يكونوا مطلقي الحرية في طول مكثه وقصره وإخراجه ، ويروا ما يكون من تأثير السجن فيه وحديث الناس عنه . وهذا القرار يدل على أن هذه المرأة كانت مالكة لقياد زوجها الوزير الكبير تقوده بقرنيه كيف شاء هواها ، وانه كان فاقدا الغيرة كأمثاله من كبراء الدنيا صغار الأنفس عبيد الشهوات . وقد أعجبني فيه قول الزمخشري على قلة ما أعجبني من أقوال المفسرين في هذه القصة التي شوهتها عليهم الروايات الاسرائيلية المخترعة والعناية باعرابها . قال في تفسير ما رأوا من الآيات : وهي الشواهد على براءته ، وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها ، وفتلها منه في الذروة والغارب[1] وكان مطواعة لها ، وجعلا ذلولا زمامه في يدها ، حتى أنساه

---

١) مثل يضرب لمن يتلطف في خداع غيره حتى يتمكن من تذليله وقياده ، والذروة بالكسر والضم أعلى الشيء والمراد هنا أعلى سنام البعير ، والغارب ما بين العنق والسنام منه وهو الذي يلقى عليه الخطام وهو بالكسر حبل يوضع في عنقه ويثنى في خطمه أي أنفه ليقاد به بسهولة . وأصل هذا الفتل فيهما ان يجيء الرجل بالخطام فيخفيه عن البعير لئلا يمتنع من وضعه ويأخذ بفتل ذروته وغاربه فيلذ له ذلك حتى يأنس به فاذا تمكن منه وضع له الخطام وقاده به فانقاد

ذلك ما عاين من الآيات ، وعمل برأيها في سجنه لالحاق الصغار به كما أوعدته ، وذلك لما أيست من طاعته لها ، وطمعت في أن يذلله السجن ويسخره لها اه

وجملة القول في هذه الحادثة ان يوسف (ع.م) كان أكمل مثل للعفة والصيانة والامانة من أولها الى آخرها ، وهي في سفر التكوين ناقصة ومخالفة لما هنا في دعوى المرأة ، والله اعلم من مؤلف سفر التكوين المجهول *)

﴿ عبارة سفر التكوين في الحادثة من الاصحاح ٣٩ ﴾

*) وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها إلى يوسف وقالت: اضطجع معي ٨ فأبى وقال لامرأة سيده هوذا سيدي لا يعرف معي مافي البيت وكل ماله قد دفعه الى يدي ٩ ليس هو في هذا البيت أعظم مني . ولم يمسك عني شيئا غيرك لانك امرأته . فكيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطيء الى الله ١٠ وكان اذ كلمت يوسف يوما فيوما انه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها

١١ ثم حدث نحو هذا الوقت انه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت ١٢ فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معي . فترك ثوبه في يدها وهرب وخرج الى خارج ١٣ وكان لما رأت انه ترك ثوبه في يدها وهرب الى خارج ١٤ انها نادت أهل بيتها وكلمتهم قائلة : انظروا قد جاء الينا برجل عبراني ليداعبنا دخل الي ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم ١٥ وكان لما سمع اني رفعت صوتي وصرخت انه ترك ثوبه بجانبي وهرب وخرج الى خارج

١٦ فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده الى بيته ١٧ فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل الي العبد العبراني الذي جئت به الينا ليداعبني ١٨ وكان لما رفعت صوتي وصرخت انه ترك ثوبه بجانبي وهرب الى خارج

١٩ فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك ان غضبه حمي ٢٠ فأخذ يوسف سيده ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان اسرى الملك محبوسين فيه . وكان هناك في بيت السجن

٢١ ولكن الرب كان مع يوسف و بسط اليه لطفا وجعل نعمة له في عيني رئيس بيت السجن ٢٢ فدفع رئيس بيت السجن الى يد يوسف جميع الاسرى الذين في بيت السجن . وكل ماكانوا يعملون هناك كان هو العامل ٢٣ ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئا البتة مما في يده لان الرب كان معه ومهما صنع كان الرب ينجحه اه

(ما فعل يوسف عليه السلام في السجن)

(٣٦) وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا، وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ، نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي، إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٨) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ

هذه الآيات الثلاث في إظهار معجزة النبوة ، والتمهيد لدعوة الرسالة

٣٦ ﴿ ودخل معه السجن فتيان ﴾ هذا عطف على مفهوم ما قبله أي فسجنوه ودخل معه السجن بتقدير الله الخفي الذي يعبر عنه جاهلوه بالمصادفة والاتفاق : فتيان مملوكان تبين فيما بعد انهما من فتيان ملك مصر . روي عن ابن عباس ان أحدهما خازن طعامه والآخر ساقيه ، فماذا كان من شأنه معهما ؟ ﴿ قال أحدهما اني أراني أعصر خمرا ﴾ أي رأيت في المنام رؤيا واضحة جلية كأني أراها في اليقظة الآن وهي انني أعصر خمرا ، أي عنبا ليكون خمرا لا ليشرب الآن ، وقراءة ابن مسعود وأبي في الشواذ « أعصر عنبا » تفسير لا قرآن ، وما كل العنب يعصر لأجل التخمير فما نقل من أن عرب غسان وعمان يسمون العنب خمرا فمحمول على هذا النوع المخصوص منه لكثرة مائه وسرعة اختماره ، دون ما يؤكل في الغالب تفكها لكبر

حجمه واكتناز شحمه وقلة مائه ﴿ وقال الآخر اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه ﴾ الطير جمع واحده طائر، وتأنيثه أكثر من تذكيره ، وجمع الجمع طيور وأطيار ﴿ نبئنا بتأويله ﴾ أي قال له كل واحد منهما نبئني بتأويل ما رأيت ، أي بتفسيره الذي يؤول اليه في الخارج إذا كان حقا لا من أضغاث الاحلام ، ويصح إعادة الضمير المفرد على الكثير كاسم الاشارة بمعنى المذكور أو ماذكر ، ومنه قول الراجز:

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجسم توليع البهق

﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ علاوا سؤالهم إياه عن أمر يهمهم ويعنيهم دونه ، برؤيتهم إياه من المحسنين بمقتضى غريزتهم الذين يريدون الخير والنفع للناس وإن لم يكن لهم فيه منفعة خاصة ولا هوى ، وقيل من المحسنين لتأويل الرؤى ، وما قالا هذا القول إلا بعد أن رأوا من سعة علمه وحسن سيرته مع أهل السجن ماوجه اليه وجوههما ، وعلق به أملهما . وهذا من ايجاز القرآن الخاص به

اقترض يوسف (ع . م) ثقة هذين السائلين بعلمه وفضله وإصغاءهما لقوله واهتمامهما بما يسمعان من تأويله لرؤاهما فبدأ حديثه بما هو أهم عنده وهو دعوتهما وسائر من في السجن إلى توحيد الله عزوجل ، فعلم من هذا أن وحي الرسالة جاءه بعد دخول السجن لحقق قوله (رب السجن أحب إلي مما يدعونني اليه) كما ان وحي الالهام جاء عند إلقائه في غيابة الجب على ما سبق ، وحكمة هذا من ناحيته عليه السلام ظاهرة بما بيناه من أن الله تعالى جعل له في كل محنة ظاهرة ، منحة باطنة ، وفي كل بداية محرقة ، نهاية مشرقة ، تحقيقا لما فهمه أبوه من اجتباء ربه له الخ . وحكمته من ناحية دعوة الدين ان أقوى الناس وأقربهم استعدادا لفهمها والاهتداء بها : هم الضعفاء والمظلومون والفقراء ، وأضعفهم وأبعدهم عن قبولها هم المترفون والمتكبرون ، بدأ يوسف بالدعوة بعد مقدمة في بيان الآية الدالة على صدقه والثقة بقوله وهي إظهار ما من الله به عليه من تعليمه ماشاء من أمور الغيب وأقربها الى اقتناعهم مايختص بمعيشتهم ، فكان هذا مايقتضيه المقام وتوجبه الرسالة من جوابهم ، وهو :

٣٧ ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه ﴾ وهو مالا تدرون من حيث لا تدرون ،

وإني وإياكم في هذا السجن لمحجوبون ﴿ إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ﴾ أي أخبرتكما به وهو عند أهله وبما يريدون من إرساله وما ينتهي اليه بعد وصوله اليكما: أنبئكما بكل هذا من شأن هذا الطعام قبل أن يأتيكما ، روي أن رجال الدولة كانوا يرسلون الى المجرمين أو المتهمين طعاما مسموما يقتلونهم به وأن يوسف أراد هذا، وما قلته يشمل هذا إذا صح ، وهو ما يفهم من تسمية إنبائهما به تأويلا ، فان التأويل الاخبار بما يؤول اليه الشيء وهو فرع معرفته ، ولذلك قال بعضهم إنه سماه تأويلا من باب المشاكلة لما سألاه عنه من تأويل رؤياهما ، وقال بعضهم ان المراد لا تريان في النوم طعاما يأتيكما إلا نبأتكما بتأويله، وهو بعيد . وفسر الزمخشري ومن قلده تأويله [ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معناه] اه وهو تكلف مرى اليه من مفهوم التأويل في اصطلاح علماء الكلام وأصول الفقه لا من صميم اللغة ﴿ ذلكما مما علمني ربي ﴾ أي ذلك الذي أنبئكما به بعض ما علمني ربي بوحي منه إلي، لا بكهانة ولا عرافة ولا تنجيم ، ولا ما يشبهها من طرق صناعية أو تعليم بشري يلتبس به الحق بالباطل ، ويشتبه الصواب بالخطأ ، فهو آية له كقول عيسى لبني إسرائيل من بعده (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) ﴿ إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ﴾ خالق السموات والارض وما بينهما كما يجب له من التوحيد والتنزيه ، أي تركت دخولها واتباع أهلها من عابدي الأوثان المنتحلة على كثرة أهلها ودعوتهم اليها ، وليس المعنى أنه كان متبعا لها ثم تركها ؛ فقوله تعالى (أيحسب الانسان أن يترك سدى ؟) أي بعد موته فلا يبعث ، ليس معناه أنه كان سدى قبله ، فترك الشيء يصدق بعدم ملابسته مطلقا ، وبالتحول عنه بعد التلبس به ، ويفرق بينهما بقرينة الحال أو المقال أو كليهما كما هنا . والمتبادر أنه أراد بهؤلاء القوم الكنعانيين وغيرهم من سكان أرض الميعاد التي نشأ فيها ، والمصريين الذين هو فيهم وبينهم ، فانهم اتخذوا من دون الله آلهة معروفة في التاريخ أعظمها الشمس واسمها عندهم (رع) ومنها

فراعنتهم والنيل وعجلهم (أبيس) وإنما كان التوحيد خاصا بحكامهم وعلمائهم ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ أي وهم الآن يكفرون بالمعنى الصحيح للآخرة فان المصريين وان كانوا يؤمنون بالآخرة والحساب والجزاء الذي دعا اليه الانبياء إلا أنه فشا فيهم تصوير هذا الايمان بصور مبتدعة ومنها ان فراعنتهم يعودون الى الحياة الاخرى بأجسادهم المحنطة ويعود لهم السلطان والحكم ولهذا كانوا يدفنون أو يضعون معهم جواهرهم وغيرها، ويبنون الاهرام لحفظ جثثهم وما معها ، ولعله لهذا أكد الحكم بالكفر بها بإعادة الضمير « هم » ليبين ان ايمانهم بالآخرة على غير الوجه الذي جاءت به الرسل فهو غير صحيح

٣٨ ﴿ واتبعت ملة آبائي ﴾ أنبياء الله الذين دعوا الى توحيده الخالص ، وبين أسماءهم من الأب الأعلى الى الادنى بقوله ﴿ ابراهيم وإسحاق ويعقوب ﴾ فلفظ الآباء يشمل الجدود وإن علوا ، وبين أساس ملتهم التي اتبعها وراثة وتلقينا فكانت يقينا له ولهم ووجدانا ، بقوله ﴿ ما كان لنا ﴾ أي ما كان من شأننا معشر الانبياء (١) ولا مما يقع منا ﴿ أن نشرك بالله من شيء ﴾ نتخذه ربا مدبرا أو إلها معبودا معه لا من الملائكة ولا من البشر (كالفراعنة) فضلا عما دونهما من البقر (كالعجل أبيس) أو من الشمس والقمر ، أو ما يتخذ هذه الآلهة من التماثيل والصور ﴿ ذلك من فضل الله علينا ﴾ بهدايتنا إلى معرفته وتوحيده في ربوبيته وألوهيته بوحيه وآياته في خلقه ﴿ وعلى الناس ﴾ بإرسالنا اليهم ننشر فيهم دعوته ، ونقيم عليهم حجته ، ونبين لهم هدايته ﴿ ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ نعم الله عليهم ، فهم يشركون

١) في سفر التكوين الذين يعدونه من التوراة أن عيسو بن اسحق البكر كان يعبد الاصنام وان اباه كان يفضله في الحب على أخيه وتوأمه يعقوب الموحد لله ، وان يعقوب احتال على ابيهما اسحق حتى اعطاه بركة البكورية التي هي حق عيسو لأنه خرج من بطن أمه قبله ، فتأمل الفرق بين هداية القرآن وهدايته !!!

به أربابا وآلهة من خلقه ، يذلون أنفسهم بعبادتهم ، وهم مخلوقون لله مثلهم أو أدنى منهم ، ثم صرح لهما ببطلان ما هما عليه من الشرك ونبههم إلى برهان التوحيد فقال

(٣٩) يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٤٠) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

﴿ الدعوة الى التوحيد الخالص ببرهانه ﴾

٣٩ ﴿ياصاحبي السجن﴾ أضافهما إلى السجن بمعنى ياساكني السجن أو بمعنى ياصاحبي في السجن كما قيل * ياسارق الليلة أهل الدار * أي سارقهم فيها ﴿أأرباب متفرقون﴾ هذا استفهام تقرير بعد تحبير ، ومقدمة لأظهر برهان على التوحيد ، وكان المصريون المخاطبون به يعبدون كغيرهم من الامم أربابا متفرقين في ذواتهم ، وفي صفاتهم المعنوية التي ينعتونهم بها ، وفي صفاتهم الحسية التي يصورها لهم الكهنة والرؤساء بالرسوم المنقوشة والتماثيل المنصوبة في المعابد والهياكل ، وفي الاعمال التي يسندونها اليهم بزعمهم ، فهو يقول لصاحبيه «أأرباب متفرقون» أي عديدون هذا شأنهم في التفرق والانقسام ، وما يقتضيه بطبعه من التنازع والاختلاف في الاعمال ، والتدبير المفسد للنظام ، هو ﴿خير﴾ لكما ولغيركما من الافراد والاقوام ، فيما تطلبون ويطلبون من كشف الضر وجلب النفع ، وكل ما تحتاجون فيه إلى المعونة والتوفيق من عالم الغيب ﴿أم الله﴾ الواجب الوجود ، الخالق

لكل موجود ﴿ الواحد ﴾ في ذاته وصفاته وأفعاله، المنفرد بالخلق والتقدير والتسخير، الذي لا ينازع ولا يعارض في التصرف والتدبير ﴿ القهار ﴾ بقدرته التامة وإرادته العامة، وعزته الغالبة، لجميع القوى والسنن والنواميس التي يقوم بها نظام العوالم السماوية والارضية، كالنور والهواء والماء الظاهرة، والملائكة والشياطين الباطنة، التي كان الجهل بحقيقتها، وسبب اختلاف مظاهرها، هو سبب عبادتها والقول بربوبيتها؟ الجواب الذي لا يختلف فيه عاقلان أدركا السؤال: بل: هو الله الواحد القهار، لا رب غيره ولا إله سواه، ولذلك رتب عليه قوله

٤٠ ﴿ ما تعبدون من دونه ﴾ أي غير هذا الواحد القهار ﴿ إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ﴾ من قبلكم أي وضعتموها لمسميات تحلتموها صفات الربوبية وأعمال الرب الواحد، فاتخذتموها أربابا وما هي بأرباب تخلق ولا ترزق، ولا تضر ولا تنفع، ولا تدبر ولا تشفع، فهي في الحقيقة لا مسميات لها بالمعنى المراد من لفظ الرب الاله المستحق للعبادة، حتى يقال إنها خير أم هو خير ﴿ ما أنزل الله بها ﴾ أي بتسميتها أربابا على أحد من رسله ﴿ من سلطان ﴾ أي أيّ نوع من أنواع البرهان والحجة فيقال إنكم تتبعونه بالمعنى الذي أراده تعالى منه، تعبداً له وحده وطاعة لرسله، فيكون اتباعها أو تعظيمها غير منافٍ لتوحيده، كاستلام الحجر الاسود عند الطواف بالكعبة المعظمة مع الاعتقاد بأنه حجر لا ينفع ولا يضر كما ثبت في الحديث — فهي تسمية لا دليل عليها من النقل السماوي فتكون من أصول الايمان، ولا دليل عليها من العقل فتكون من نتائج البرهان

وأقول إنه لما قامت هذه الحجة على النصارى ببطلان ثالوثهم الذي اتبعوا فيه ثالوث قدماء المصريين والهنود ادعوا أن له أصلا من الوحي الذي أنزله الله على المسيح عيسى بن مريم أو تلاميذه، وأنه بهذا لا ينافي التوحيد فالثلاثة واحد والواحد ثلاثة، والذي حققه علماء الافرنج المؤرخون تبعاً للمسلمين أنه لا أصل له

من الوحي ، وان كلمات الآب والابن وروح القدس لها معان عند الذين آمنوا بالمسيح في حياته هي غير المعاني الاصطلاحية عند كنائس الكاثوليك والارثوذكس والبروتستانت الجامعة لاكثر النصارى ، والاحرار العقليون من نصارى الافرنج يرفضونها كلهم وهم ملايين ولكن ليس لهم كنيسة جامعة ، وإنما يقولون في المسيح ماقرره الاسلام فيه وأكثرهم لا يعلمون ذلك ، ولو عرفوا حقيقة الاسلام لكانوا كلهم مسلمين ، ولكنهم سيعلمون ويسلمون اتباعا ، كما أسلموا فطرة وعقلا

﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ أي ما الحكم الحق في الربوبية ، والعقائد والعبادات الدينية ، إلا لله وحده يوحيه لمن اصطفاه من رسله ، لا يمكن لبشر أن يحكم فيه برأيه وهواه ولا بعقله واستدلاله ، ولا باجتهاده واستحسانه ، فهذه القاعدة هي أساس دين الله تعالى على ألسنة جميع رسله لا تختلف باختلاف الازمنة والامكنة

ثم بين أول أصل بنى عليها لانه أول ما يجب أن يسأل عنه من عرفه فقال

﴿ أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ﴾ بل إياه وحده فادعوا واعبدوا ، وله وحده فاركعوا واسجدوا ، واليه وحده فتوجهوا ، حنفاء لله غير مشركين به ملكا من الملائكة الروحانيين ، ولا ملكا من الملوك الحاكمين ، ولا كاهنا من المتعبدين ، ولا شمسا ولا قمرا ، ولا نجما ولا شجرا ، ولا نهرا مقدسا كالكنج والنيل ، ولا حيوانا كالعجل أبيس ، فالمؤمن الموحد لله لا يذل نفسه بالتعبد لغير الله من خلقه بدعاء ولا غيره ، لايمانه بأنه هو الرب المدبر المسخر لكل شيء ، وأن كل ماعداه خاضع لارادته وسننه في أسباب المنافع والمضار ، لا يملك لنفسه ولا لغيره غير ما أعطاه من القوى التي هي قوام جنسه ومادة حياة شخصه (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) فاليه وحده الملجأ في كل مايعجز عنه الانسان أو يجهله من الاسباب ، واليه المصير للجزاء على الاعمال يوم الحساب

﴿ ذلك الدين القيم ﴾ أي الحق المستقيم الذي لا عوج فيه من جهالة الوثنيين ، الذي دعا اليه جميع رسل الله أقوامهم ومنهم آبائي : ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب

﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ ذلك حق العلم لاتباعهم أهواء آبائهم الوثنيين ،

الذين اتخذوا لأنفسهم أربابا متفرقة ليس لها من الربوبية أدنى نصيب

ومن العجيب أن هذه الحقيقة التي بينها القرآن في مئات من الآيات البينات تتلى في السور الكثيرة بالاساليب البليغة، صار يجهلها كثير من الذين يدعون اتباع القرآن، فمنهم من يجهل حقيقة التوحيد نفسه فيتوجهون إلى غير الله إذا مسهم الضر أو عجزوا عن بعض ما يحبون من النفع فيدعونهم خاشعين راغبين من دون الله، ويسمونهم شفعاء ووسائل عند الله، كما كان يفعل من كان قبلهم من المشركين، ومنهم من يعرف معنى التوحيد ولكنهم يجهلون أن جميع رسل الله دعوا اليه جميع الامم، زاعمين ان هذه الدعوة انفرد بها ابراهيم والرسل من ذريته فقط كما يفهمون من كتب أهل الكتاب والافرنج، فهم يكتبون هذا في الصحف وفي أسفار التاريخ وفيما يسمونه فلسفة الدين أو فلسفة التفكير، فهم يزعمون ان البشر نشئوا على الاديان الوثنية حتى كان اول من دعاهم الى التوحيد ابراهيم عليه السلام من زهاء أربعة آلاف سنة، والقرآن حجة عليهم بتصريحه ان الله تعالى أرسل في جميع الامم رسلا دعوهم إلى التوحيد أولهم نوح عليه السلام، فان قومه كانوا أول من عبد الصالحين الميتين واتخذوا لهم الصور والاصنام، وكان البشر قبلهم على الفطرة وتوحيد آدم عليه السلام(١)

(فان قيل) ان يوسف عليه السلام لم يدع صاحبيه في السجن وسائر من كان معهما فيه إلى غير التوحيد من شرع آبائه فما سبب ذلك؟ (قلت) ان أهل مصر كانوا أصحاب شريعة تامة لم يبعث لنسخها ولا لتغييرها، وهي في الاصل سماوية وإنما طرأت الوثنية على توحيدهم لله تعالى وأحدثوا تقاليد خيالية في البعث، فهو قد دعاهم الى أصل الدين الذي كان عليه جميع رسل الله وهو التوحيد والآخرة وما فيها من الحساب والجزاء، وقد طرأ عليها عندهم ما أشرنا اليه آنفا في تفسير قوله

(١) عند كتابة هذا جاء في الجزء ٨:٦ من مجلة الشبان المسلمين التي صدرت في شهر المحرم سنة ١٣٣٤ فاذا فيه مقالة عنوانها (الاسلام منذ ٨٠٠٠ سنة في وادي النيل) ذكر فيها كاتبها ان سكان مصر الاولين كانوا قبائل همجية على الفطرة وان الوافدين اليها من غرب آسية (اي بلاد العرب) كانوا على شيء من المعارف الدينية وغيرها وهم الذين ادخلوها الى هذه البلاد واهمها التوحيد والبعث

(وهم بالاخرة هم كافرون) يعني كفرهم بأن الجزاء يكون في عالم آخر بعد فناء هذه الاجساد وبعثهم في نشأة أخرى لا في هذه الدنيا كما يزعمون ، وعقائدهم في هذه المسألة مدونة في التاريخ المأخوذ من آثار الفراعنة وأشهرها انهم كانوا يحنطون أجسادهم لاجل أن تعود اليها الحياة التي فارقتها ، وكان ملوكهم يحفظون في أهرامهم وغيرها من قبورهم حليهم وحللهم ومتاعهم لاجل أن يتمتعوا بها في النشأة الاخرى حيث يعودون ملوكا كما كانوا ، فهذه أباطيل طرأت على العقائد الاصلية المنزلة ، وتقاليدهم هذه منقوشة من مواضع من الاهرام وتوابيت الموتى وصفائح القبور ؛ ومنها ما هو خاص بنعيم العوام ومنه أنهم يتشكلون بالصور التي يحبونها . وتشكل الارواح في الصور هو الاصل العلمي المعقول لعقيدة البعث في هيكل أثيري يلبس جسدا كثيفاً كالجسد الدنيوي كما روي عن الامام مالك رحمه الله ، ومنه ما صح في الحديث من تشكل أرواح الشهداء في صور طير خضر تسرح في الجنة . وانما يكون التشكل على أكمله في الجنة جعلنا الله من خير أهلها

وأما الركن الثالث من دين الرسل وهو العمل الصالح وترك الفواحش والمنكرات فكان يوسف عليه السلام يكتفي منه بما كان خير قدوة فيه كما علم من قصته في بيت وزير البلاد وفي السجن ثم في ادارته لأمور الملك ، وكان يقرهم على سائر شريعتهم كما سيأتي في احتياله على أخذ أخيه الشقيق بمقتضى شريعتهم الاسرائيلية بقول الله تعالى (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) الخ وبعد أن أدى يوسف رسالة ربه عبر لصاحبيه رؤياهما بقوله

---

(٤١) يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ، وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ، قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤٢) وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ

﴿ تأويله لمنامي صاحبي السجن ووصيته للناجي منهما ﴾

٤١ ﴿ يا صاحبي السجن أما أحدكما ﴾ وهو الذي رأى أنه يعصر خمرا ﴿ فيسقي ربه خمراً ﴾ يعني بربه مالك رقبته وهو الملك لا ربوبية العبودية فملك مصر في عهد يوسف لم يدع الربوبية والالوهية كفرعون موسى وغيره، بل كان من ملوك العرب الرعاة الذين ملكوا البلاد عدة قرون ﴿ وأما الآخر ﴾ وهو الذي رأى أنه يحمل خبزا تأكل الطير منه ﴿ فيصلب فتأكل الطير من رأسه ﴾ اي الطير التي تأكل اللحوم كالحدأة، وهذا التأويل قريب من أصل رؤيا كل منهما وقد يكون من خواطرهما النومية وتأويلهما على كل حال من مكاشفات يوسف ويؤكدها قوله ﴿ قضي الامر الذي فيه تستفتيان ﴾ فهذا نبأ زائد على تعبير رؤياهما ورد مورد الجواب عن سؤال كان يخطر ببالهما أو أسئلة في صفة ذلك التعبير وهل هو قطعي أم ظني يجوز غيره ومتى يكون؟ فهو يقول لهما ان الامر الذي يهمكما أو يشكل عليكما وتستفتياني فيه قد قضي وبت فيه وانتهى حكمه . والاستفتاء في اللغة السؤال عن المشكل المجهول ، والفتوى جوابه سواء أكان نبأ أم حكما ، وقد غلب في الاستعمال الشرعي في السؤال عن الاحكام الشرعية ، ومن الشواهد على عمومه (افتوني في رؤياي) وهي مشتقة من الفتوّة الدالة على معنى القوة والمضاء والثقة

قلت ان هذه الفتوى من يوسف عليه السلام زائدة على ما عبر به رؤياهما داخلة في قسم المكاشفة ونبأ الغيب مما علمه الله تعالى وجعله آية له ليثقوا بقوله وهم أولو علم وفن وسحر، ومعناها انه علم بوحي ربه أن الملك قد حكم في امرهما بما قاله لامن باب تأويل الرؤيا على تقدير كون ما رأيا من النوع الصادق منها لامن أضغاث الاحلام [وسنبين الفرق بينهما في التفسير الاجمالي لكليات السورة ان شاء الله تعالى]

٤٢ ﴿ وقال للذي ظن أنه ناج منهما ﴾ وهو الذي اول له رؤياه بأنه يسقي ربه خمرا ، وتأويلها يدل على نجاته دلالة ظنية لا قطعية ، فان كانت فتواه بعده عن وحي نبوي كما رجحنا لا تتمة لتأويلها فيجوز أن يكون التعبير عن نجاته

بالظن لان ما علم من قضاء الملك بذلك يحتمل ان يعرض ما يحول دون تنفيذه ، وقد بينا في الكلام على رؤيا يوسف ومافهمه أبوه منها من أمر مستقبله ان علم الانبياء ببعض الامور المستقبلة إجمالي الخ وقال جمهور المفسرين ان الظن هنا بمعنى العلم وفي هذه الدعوى نظر وقد بينا تحقيق الحق في الفرق بين الظن والعلم لغة واصطلاحا في موضع آخر فلا محل لاعادته هنا ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ أي عند سيدك الملك بما رأيت وسمعت وعلمت من أمري عسى أن ينصفني ممن ظلموني ويخرجني من السجن ، وهذا الذكر يشمل دعوته إياهم إلى التوحيد وتأويله للرؤيا وإنباءهم بكل ما يأتيهم من طعام وغيره قبل إتيانه، وآخره فتواه الصريحة فهي جديرة بأن تذكره به كلما قدم للملك شرابه ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ أي أنسى الساقي تذكر ربه وهو أن يذكر يوسف عنده على حد (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) ﴿ فلبث في السجن بضع سنين ﴾ منسيا مظلوما ، والفاء على هذا للسببية وهو المتبادر من السياق، والجاري على نظام الاسباب ، ويؤيده قوله تعالى الآتي قريبا (وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة) أي تذكر ، إلا أن هذا الاستعمال يحتاج الى حذف وتقدير. ووجهوه بأنه أضاف المصدر اليه لملابسته له، أو انه على تقدير : ذكر إخبار ربه ، فحذف المضاف وهو كثير كما ان الاضافة لأدنى ملابسة كثير في كلامهم

وقيل ان المعنى ان الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه وهو الله عز وجل فعاقبه الله تعالى بابقائه في السجن بضع سنين(١) وقالوا إن ذنبه الذي استحق عليه هذا العقاب انه توسل الى الملك لاخراجه ولم يتوكل على الله عز وجل ، وجاؤا عليه بروايات لا يقبل في مثلها إلا الصحيح المرفوع أو المتواتر منه، لانها تتضمن الطعن في نبي مرسل ، ولكن قبلها على علاتها الجمهور كعادتهم وهو خلاف الظاهر من وجوه:

(الاول) عطف الانساء على ما قاله للساقي بالفاء يدل على وقوعه عقبه ، ومفهومه أنه كان ذاكرا لله تعالى قبله الى أن قاله فلو كان قوله ذنبا عوقب عليه لوجب

(١) استشهدت بهذا القول المشهور في تفسير (إنه ربي أحسن مثواي) وهو خطأ

أن يعطف عليه بجملة حالية بأن يقال : وقد أنساه الشيطان ذكر ربه — أي في تلك الحال — فلم يذكره بقلبه ولا بلسانه ، فاستحق عقابه تعالى باطالة مكثه على خلاف ما أراده من ملك مصر وحده

(الثاني) أن اللائق بمقامه أن لا يقول ذلك القول إلا من باب مراعاة سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات كما وقع بالفعل فانه ماخرج من السجن إلا بأمر الملك ، وما أمر الملك باخراجه إلا بعد أن أخبره الساقي خبره ، وما آتاه ربه من العلم بتأويل الرؤى وبغير ذلك مما وصاه به يوسف ، فاذا كان قد وصاه بذلك ملاحظا انه من سنن الله في عباده متذكراً ذلك وهو اللائق به ، فلا يعقل أن يعاقبه ربه تعالى عليه ، وعطف الانساء بالفاء يدل على وقوعه بعد تلك الوصية فلا تكون هي ذنبا ولا مقترنة بذنب فيستحق عليها العقاب

(الثالث) إذا قيل سلمنا انه كان ذاكراً لربه عند ما أوصى الساقي ما أوصاه به ولكنه نسيه عقب الوصية واتكل عليها وحدها (قلنا) إن زعمتم انه نسي ذلك في الحال واستمر ذلك النسيان مدة ذلك العقاب وهو بضع سنين أو تتمتها كنتم قد اتهمتم هذا النبي الكريم تهمة فظيعة لاتليق بأضعف المؤمنين ايمانا ، ولا يدل عليها دليل ، بل يبطلها وصف الله له بأنه من المحسنين ومن عباده المخلصين المصطفين ، وبأنه غالب على أمره ، وانه صرف عنه السوء والفحشاء ، وكيد النساء

وإن زعمتم أن الشيطان أنساه ذكر ربه برهة قليلة عقب تلك الوصية ثم عاد إلى ما كان عليه من مراقبته له عز وجل وذكره فهذا النسيان القليل ، لا يستحق هذا العقاب الطويل ، ولم يعصم من مثله نبي من الانبياء كما يعلم من الوجهين الرابع والخامس

(الرابع) جاء في نصوص التنزيل في خطاب الشيطان (١٥ : ٤٢ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) وقال تعالى (٧ : ٢٠١ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) فالتذكر بعد النسيان القليل من شأن أهل التقوى

(الخامس) ان النسيان ليس ذنبا يعاقب الله تعالى عليه ، وقد قال تعالى لخاتم

النبيين (٦:٦٨ وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) يعني الذين أمره بالاعراض عنهم إذا رآهم يخوضون في آيات الله

(السادس) إنهم ما قالوا هذا إلا لأنهم رووا فيها حديثا مرفوعا على قلة جرأة الرواة على الاحاديث المرفوعة المسندة في التفسير وهو ما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير الآية عن سفيان بن وكيع عن عمرو بن محمد عن ابراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال قال النبي ﷺ «لو لم يقل يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله» ونقول ان هذا الحديث باطل، قال الحافظ ابن كثير وهذا الحديث ضعيف جداً: سفيان بن وكيع ضعيف وابراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضا. وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما. وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن والله أعلم اه

وأقول أولا إن ما قاله في هذين الراويين للحديث هو أهون ما قيل فيهما ومنه أنهما كانا يكذبان، وثانيا إنه يعني بقوله [ههنا] الطعن في نبي مرسل بأنه كان يبتغي الفرج من عند غير الله وهو الجدير بأن لا تحجبه الاسباب الظاهرة عن واضعها ومسخرها وخالقها عز وجل. ويعني بقوله [لو قبل المرسل من حيث هو] ما هو الصحيح عند علماء الاصول وهو عدم الاحتجاج بالمراسيل وسنتكلم على المراسيل في التفسير في الكلام الاجمالي عن روايات هذه السورة وأمثالها في الخلاصة الاجمالية لتفسيرها ان شاء الله تعالى، وما رواه الكلبي وغيره عن وهب ابن منبه وكعب الاحبار من خطاب الله تعالى وخطاب جبريل ليوسف وتوبيخه على الاستشفاع بآدمي مثله فهي من موضوعات الراوي والمروي عنهما جزاهما الله ما يستحقون فتبين بهذا أن التفسير المأثور في الآية باطل رواية ودراية وعقيدة ولغة وأدبا

وقد اختلف المفسرون في مدة لبث يوسف في السجن بناء على الاختلاف في تفسير البضع واختلاف الرواة. فالتحقيق ان البضع من ثلاث الى تسع، وأكثر ما يطلق على السبع، وعليه الاكثرون في مدة سجن يوسف من أولها الى آخرها، وما قالوه من أن السبع كانت بعد وصيته الساقي وانه لبث قبلها خمس سنين فلا دليل عليه

(٤٣) وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ، يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (٤٤) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (٤٥) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٦) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ، لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٧) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٩) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ

(رؤيا ملك مصر وتأويل يوسف لها بالقول والفعل)

كان ملك مصر في عهد يوسف من ملوك العرب المعروفين بالرعاة [الهكسوس] كما يأتي في التفسير الاجمالي، وقد رأى رؤيا عجز رجال دولته من الوزراء والكهنة والعلماء عن تأويلها، فكان عجزهم سبباً للجوء إلى يوسف عليه السلام واتصاله بالملك وتوليه منصب الوزير المفوض عنده كما بين في الآيات مبدأ وغاية، قال تعالى

٤٣ ﴿وقال الملك﴾ هذا السياق عطف على سياق صاحبي السجن وما قالاه في قص رؤياهما على يوسف ﴿إني أرى﴾ أي رأيت فيما يرى النائم رؤيا جلية مائلة

أمامي كأني أراها الآن ﴿ سبع بقرات سمان ﴾ جمع سمينة وكذا سمين كما يقال رجال ونساء كرام وحسان ﴿ يأكلهن سبع عجاف ﴾ أي سبع بقرات مهازيل في غاية الضعف والهزال، وهو جمع عجفاء سماعا لا قياساً فان جمع أفعل وفعلاء وزان فعل بالضم كحمر وخضر، وحسنه هنا مناسبته لسمان ﴿ وسبع سنبلات خضر ﴾ عطف على سبع بقرات وهي جمع سنبلة كقنفذة ما يخرجه الزرع كالقمح والشعير فيكون فيه الحب ﴿ وأخر يابسات ﴾ عطف على ما قبله، واليابس من السنبل ما آن حصاده، واستغني عن إعادة سبع هنا بدلالة مقابله في البقرات عليه ﴿ يا أيها الملأ ﴾ يخاطب رجال دولته وأشراف قومه ﴿ أفتوني في رؤياي ﴾ ما معناها وما تدل عليه فيكون ما آلا لها ﴿ إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ أي تعبرونها ببيان المعنى الحقيقي المراد من المعنى الخيالي، كمن يعبر النهر بالانتقال من ضفة الى أخرى فاللام فيها للبيان والتقوية، فعبرها وعبورها بمعنى تأويلها وهو الاخبار بما آلها الذي يقع بعد

٤٤ ﴿ قالوا أضغاث أحلام ﴾ أي هي أو هذه الرؤيا من جنس أضغاث الاحلام أي الاحلام المختلطة من الخواطر والأخيلة التي يتصورها الدماغ في النوم فلا ترمي إلى معنى مقصود، وأصل الاضغاث جمع ضغث بالكسر وهو الحزمة من النبات أو العيدان، والاحلام جمع حلم بضمتين ويسكن للتخفيف وهو ما يرى في النوم. يقال حلم كنصر واحتلم، ومنه بلوغ الحلم، والحلم قد يكون واضح المعنى كالافكار التي تكون في اليقظة وقد يكون - وهو الاكثر - مشوشا مضطربا لا يفهم له معنى وهو الذي يشبه بالتضاغيث كأنه مؤلف من حزم مختلفة من العيدان والحشائش التي لا تناسب بينها، وهو ما تبادر الى أفهامهم من نوعي البقر والسنابل ﴿ وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ﴾ يحتمل قولهم هذا انهم ليسوا بأولي علم بتأويل هذه الاحلام المختلطة المضطربة وانما يعلمون تأويل غيرها من المنامات المعقولة المفهومة، ويحتمل نفي العلم بجنس الاحلام لانها مما لا يعلم أو مما لا يكون له معنى بعيد تدل عليه الصور المتخيلة في النوم وتنتهي اليه، كما ينكر أهل العلم المادي الآن أن

يكون لشيء من هذه الرؤى والاحلام تأويل صحيح ، ولكن قدماء المصريين كانوا يعنون بها وسنبين الحق في ذلك في الخلاصة الكلية لتفسير السورة كما تقدم

٤٥ ﴿ وقال الذي نجا منهما ﴾ أي من صاحبي السجن وهو الساقي أحد أركان القصة ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ أي والحال انه تذكر بعد طائفة طويلة من الزمن وصية يوسف اياه بأن يذكره عند سيده الملك فأنساه الشيطان ذلك (وأصل ادكر اذتكر - افتعال من الذكر أبدلت تاؤه دالا مهملة لقرب مخرجها وأدغمت فيها الذال المعجمة ، وهو الفصيح ، وقرئ في الشواذ بالذال المعجمة وهي لغة ﴿ أنا أنبئكم بتأويله ﴾ أي أخبركم به أو بمن عنده علم تأويله ﴿ فأرسلون ﴾ اليه أو الى السجن فهو فيه ، وروي عن ابن عباس ان السجن كان خارج البلد . وفي خطط المقريزي : قال القضاعي سجن يوسف ببوصير من عمل الجيزة أجمع أهل المعرفة من أهل مصر على صحة هذا المكان وفيه أثر نبيين أحدهما يوسف سجن فيه المدة التي ذكر أن مبلغها سبع سنين ، والآخر موسى ، وقد بني على أثره مسجد يعرف بمسجد موسى الخ وأمثال هذه الاخبار لا يوثق بها

٤٦ ﴿ يوسف أيها الصديق ﴾ أي قال فأرسلوني اليه فأرسلوه إليه فجاءه فاستفتاه فيما عجز عنه الملأ من تأويل رؤيا الملك ، مناديا له باسمه وما ثبت عنده من لقبه [الصديق] وهو الذي بلغ غاية الكمال بالصدق في الاقوال والافعال وتأويل الاحاديث وتعبير الاحلام ، شارحا له رؤيا الملك بنصها - وهو بسط في محله بعد إيجاز في محله - قائلا ﴿ أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴾ وعلل هذا الاستفتاء بما يرجو أن يحقق ليوسف أمله بالخروج من السجن وانتفاع الملك وملئه بعلمه فقال ﴿ لعلي أرجع الى الناس ﴾ أولي الامر ، وأهل الحل والعقد ، بما تلقيه إلي من التأويل والرأي ﴿ لعلهم يعلمون ﴾ مكانتك من العلم فينتفعون به ، أو يعلمون ما جهلوا من تأويل رؤيا الملك وما يجب أن يعملوا

بعد العلم به ، فالعمل الاولى تعليل لرجوعه اليهم بفتياه ، والعمل الثانية تعليل لما يرجوه من علمهم بها ، والرجاء توقع خير بوقوع أسبابه

٤٧ ﴿ قال تزرعون سبع سنين دأبا ﴾ أي قال يوسف مبينا للملأ ما يجب عليهم عمله لتلافي ماتدل عليه هذه الرؤيا من الخطر على البلاد والعباد قبل وقوع تأويلها الذي بينه في سياق هذا التدبير العملي ، وهذا ضرب من بلاغة الاسلوب والايجاز ، لاتجد له ضريبا في غير القرآن ، خاطب أولي الأمر بما لقنه للساقي خطاب الآمر المأمور الحاضر ، فأوجب عليهم الشروع في زراعة القمح دائبين عليه دأبا مستمرا كما قال تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) سبع سنين بلا انقطاع . قال الزمخشري [تزرعون] خبر في معنى الامر كقوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون) وإنما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به ، فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه ، والدليل على كونه في معنى الامر قوله ﴿ فما حصدتم فذروه في سنبله ﴾ أى فكل ما حصدتم منه في كل زرعة فاتركوه أي ادخروه في سنبله بطريقة تحفظه من السوس بعدم سريان الرطوبة اليه ؛ الحب لغذاء الناس والتبن لغذاء البهائم والدواب : ﴿ إلا قليلا مما تأكلون ﴾ في كل سنة من هذه السنين مع مراعاة القصد والاكتفاء بما يسد حاجة الجوع فان الناس يقنعون في سني الخصب والرخاء بالقليل ، فهذه السنين السبع تأويل للبقرات السبع السمان ، والسنبلات السبع الخضر على ظاهرها في كون كل سنبلة تأويلا لزرع سنة

٤٨ ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ﴾ أى سبع سنين شداد في محلهن وجدبهن ﴿ يأكلن ماقدمتم لهن ﴾ أى يأكل أهلهن كل ماقدمتم لهم ، وهو من إسنادهم الى الزمان والدهر ما يقع فيه ، ويكثر إسناد العسر والجوع الى سني الجدب : يقال أكلت لنا هذه السنة كل شيء ولم تبق لنا خفا ولا حافرا ، ولا سبدا ولا لبدا . أى لاشعرا ولا صوفا . وهذا تأويل للبقرات السبع العجاف وأكلهن للسبع السمان ، وللسنبلات اليابسات ﴿ الا قليلا مما تحصنون ﴾ أى تحرزون وتدخرون للبذر

٤٩ ﴿ ثم يأتي من بعد ذلك ﴾ الذي ذكر وهو السبع الشداد ﴿ عام فيه يغاث الناس ﴾ أي فيه يغيثهم الله تعالى من الشدة أتم الاغاثة وأوسعها وهي تشمل جميع أنواع المعونة بعد الشدة: يقال غاثه يغوثه غوثا وغواثا (بالفتح) وأغاثه إغاثة اذا أعانه ونجاه، وغوّث الرجل: قال «واغوثاه» واستغاث ربه استنصر وسأله الغوث، ويجوز أن يكون من الغيث وهو المطر اذ يقال غاث الله البلاد غيثا وغياثا اذا أنزل فيها المطر، والاول أعم وهو المتبادر هنا، ولا يقال ان الثاني لا يصح، لان خصب مصر يكون بفيضان النيل لا بالمطر فان فيضانه لا يكون الا من المطر الذي يمده في مجاريه من بلاد السودان، فاعتراض بعض المستشرقين من الافرنج وزعمه أن الكلمة من الغيث وأنها غير جائزة جهل زينه لهم الشيطان تلذذاً بالاعتراض على لغة القرآن ﴿ وفيه يعصرون ﴾ ماشأنه أن يعصر من الأدهان التي يأتدمون بها ويستصبحون كالزيت من الزيتون والقرطم وغيره، والشيرج من السمسم وغير ذلك، والاشربة من القصب والنخيل والعنب. والمراد ان هذا العام عظيم الخصب والاقبال، يكون للناس فيه كل مايبغون من النعمة والاترافه، والانباء بهذا زائد على تأويل الرؤيا لجواز أن يكون العام الاول بعد سني الشدة والجدب دون ذلك، فهذا التخصيص والتفصيل لم يعرفه يوسف إلا بوحي من الله عز وجل لامقابل له في رؤيا الملك ولا هو لازم من لوازم تأويلها بهذا التفصيل، وقرأ حمزة والكسائي تعصرون بالخطاب كتزرعون وتحصنون، وقراءة الجمهور عطف على يغاث الناس، وفائدة القراءتين، بيان المنة على الفريقين من غائب محكي عنه، وحاضر مخاطب بما يكون منه

(٥٠) وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ؟ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥١) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ

نَفْسِهِ؟ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ، قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥٢) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ

طلب الملك ليوسف وتمكثه في الاجابة لأجل التحقيق في مسألة النسوة

من المعلوم بالبداهة ان الرسول بلغ الملك وملأه ماقاله له يوسف عليه السلام وأنهم فهموا منه أن الخطب جلل، وان هذا الرجل ذو علم واسع، وتدبير لايستغنى عنه فيما يصفه من حالي السعة والشدة، وقد طوى ذلك ايجازا لأنه يعلم من قوله تعالى ٥٠ ﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾ لأسمع كلامه بأذني، وأختبر تفصيل رأيه ودرجة عقله بنفسي ﴿ فلما جاءه الرسول ﴾ وبلغه أمر الملك ﴿ قال ارجع الى ربك فاسأله ﴾ قبل شخوصي اليه ووقوفي بين يديه ﴿ ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴾ أي ماحقيقة أمرهن معي، فالبال الامر الذي يهتم به ويبحث عنه، فهو يقول سله عن حالهن ليبحث عنه ويعرف حقيقته فلا أحب أن آتيه وأنا متهم بقضية عوقبت عليها أو عقبها بالسجن وطال مكثي فيه وأنا غير مذنب فأقبل منه العفو ﴿ إن ربي بكيدهن عليم ﴾ وقد صرفه عني فلم يمسني منه سوء معهن، وربك لايعلم ماعلم ربي منه،

وفي هذا التريث والسؤال فوائد جليلة في أخلاق يوسف عليه السلام وعقله وأدبه في سؤاله (منها) دلالته على صبره وأناته، وجدير بمن لقي مالقي من الشدائد أن يكون صبورا حليما، فكيف إذا كان نبيا وارثا لابراهيم الذي وصفه الله بالاواه الحليم. وفي حديث أبي هريرة في المسند والصحيحين مرفوعا « ولو لبثت في السجن مالبث يوسف لأجبت الداعي » وفي لفظ لاحمد « لو كنت أنا لأسرعت الاجابة وما ابتغيت العذر » وأما ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة في تعجب النبي من صبره وكرمه وكونه لو كان مكانه لما أول لهم الرؤيا حتى يشترط عليهم أن يخرجوه من

السجن ، ولو أتاه الرسول لبادرهم الباب .. فهو مرسل لا يحتج به

(ومنها) عزة نفسه وحفظ كرامتها إذ لم يرض أن يكون متهما بالباطل حتى يظهر براءته ونزاهته (ومنها) وجوب الدفاع عن النفس وإبطال التهم التي تخل بالشرف كوجوب اجتناب مواقفها (ومنها) مراعاته النزاهة بعدم التصريح بشيء من الطعن على النسوة وترك أمر التحقيق إلى الملك يسألهن ما بالهن قطعن أيديهن وينظر ما يجبن به (ومنها) أنه لم يذكر سيدته معهن وهي أصل الفتنة وفاء لزوجها ورحمة بها لأن أمر شغفها به كان وجدانا قاهرا لها ، وإنما اتهمها أولا عند وقوفه موقف التهمة لدى سيدها وطعنها فيه — دفاعا عن نفسه فهو لم يكن له بد منه

٥١ ﴿ قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه ﴾ الخطب الشأن العظيم الذي يقع فيه التخاطب والبحث لغرابته أو إنكاره ومنه قول ابراهيم للملائكة (فما خطبكم أيها المرسلون) وقول موسى في قصة العجل (فما خطبك يا سامري؟) وقوله للمرأتين اللتين كانتا تذودان ماشيتهما عن مورد السقيا (ما خطبكما) وهذه الجملة بيان لجواب سؤال مقدر دل عليه السياق كأمثاله. والمعنى ان الرسول بلغ الملك قول يوسف وأنه لا يخرج من السجن استجابة لدعوته حتى يحقق مسألة النسوة فجمعهن وسألهن : ما خطبكن الذي حملكن على مراودته عن نفسه هل كان عن ميل منه اليكن ، ومغازلة لكن قبلها ، وهل رأيتن منه مواتاة واستجابة بعدها ؟ أم ماذا كان سبب إلقائه في السجن مع المجرمين ؟ ﴿ قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ﴾ أي معاذ الله ما علمنا عليه أدنى شيء يشينه ويسوءه لا كبير ولا صغير ، ولا كثير ولا قليل ، هذا ما يدل عليه نفي العلم مع تنكير سوء ودخول « من » عليها وهو أبلغ من نفي رؤية السوء عنه ﴿ قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق ﴾ أي ظهر بعد خفائه وانحسرت رغوة الباطل عن محضه ، وهو تكرار من حصه إذا قطع منه حصة بعد حصة (بالكسر) وهي النصيب لكل شريك فيه مثل كبكب وكفكف الشيء إذا كبه وكفه مرة أخرى ، فهي تقول ان الحق في هذه القضية كان في رأي الذين بلغتهم وزعة التبعة بيننا معشر النسوة وبين يوسف ، لكل منا حصة ، بقدر ما عرض فيها من شبهة ، والآن قد ظهر الحق في جانب واحد لا خفاء فيه ولا شبهة عليه ، فان كان

عواذلي شهدن بنفي السوء عنه وهي شهادة نفي، فشهادتي له على نفسي شهادة إثبات ؟ ﴿ أنا راودته عن نفسه ﴾ وهو لم يراودني ، بل استعصم وأعرض عني ﴿ وانه لمن الصادقين ﴾ فيما اتهمني به من قبل ، وحمله أدبه الأعلى ووفاؤه الاسمى لمن رباه وأحسن اليه — على السكوت عنه إلى الآن ، ونحن جزيناه بالسيئة على الاحسان ، وقد أقر الخصم وارتفع النزاع

٥٢ ﴿ ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ﴾ أي ذلك الاقرار بالحق له، والشهادة بالصدق الذي علمته منه، ليعلم الآن إذ يبلغه عني انني لم أخنه بالغيب عنه منذ سجن إلى الآن بالنيل من أمانته ، أو الطعن في شرفه وعفته ، بل صرحت لجماعة النسوة بأنني راودته فاستعصم وهو شاهد ، وها أنذا أقر بهذا أمام الملك وملائه وهو غائب، ﴿ وان الله لا يهدي كيد الخائنين ﴾ من النساء والرجال، بل تكون عاقبة كيدهن الفضيحة والنكال، ولقد كدنا له فصرف ربه عنه كيدنا، وسجناه فبرأه وفضح مكرنا ، حتى شهدنا له في هذا المقام السامي على أنفسنا ، وهذا تعليل آخر لاقرارها ثم إنها على تبرئة نفسها من خيانته بالغيب اعترفت في الآية التالية بأنها لا تبرىء نفسها من الكيد له بالسجن ، وان ذلك كان من هوى النفس الامارة بالسوء، لان المراد منه تذليلها ، وحملها على طاعتها ،

وفيها وجه آخر وهو انها تقول : ذلك الذي حصل أقررت به ليعلم زوجي أني لم أخنه بالفعل فيما كان من خلوتي بيوسف في غيبته عنا ، وأن كل ما وقع أنني راودت هذا الشاب الفاتن الذي وضعه في بيتي ، وخلى بينه وبيني ، فاستعصم وامتنع ، فبقي عرضه أي الزوج مصونا ، وشرفه محفوظا، ولئن برأت يوسف من الاثم فما أبرىء منه نفسي ، فان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي، وسيأتي ان من رحمته تعالى ببعض الأنفس صرفها عن الامر السوء وهو أعلى الدرجات، ومنه حفظها من طاعة الامر بوازع منها، وهي دون ما قبله ، ومنه عدم تيسر عمل السوء لها بامتناع من يتوقف عليه ذلك العمل على حدّ (ان من العصمة ألا تجد)

هذا هو المتبادر من نظم الآيتين المناسب للمقام بغير تكلف، ولكن ذهب الجمهور

تباعا الروايات الخادعة الى أنها حكاية عن يوسف عليه السلام يقول: ذلك الذي كان مني إذ امتنعت من إجابة الملك واقترحت عليه التحقيق في قضية النسوة ليعلم العزيز من التحقيق أني لم أخنه في زوجه بالغيب، وانه صرح بعد ذلك بأنه لا يبرىء نفسه من باب التواضع وهضم النفس، ولكن هذا المعنى يتبرأ منه السياق والنظم ومرجع الضمير. ومن العجب ان ابن جرير اقتصر عليه، ولكن قال العماد ابن كثير على كثرة اعتماده عليه مرجحا للقول الاول: وهذا هو القول الاشهر والاليق والانسب بسياق القصة ومعاني الكلام وقد حكاه الماوردي في تفسيره وانتدب لنصره الامام ابو العباس ابن تيمية رحمه الله فأفرده بتصنيف على حدة اهـ. وشيخ الاسلام ابن تيمة من أعلم المحدثين بنقد الروايات فهو ما نصر هذا القول إلا وقد فند روايات القول الآخر

وقد علم من جملة الكلام أن يوسف عليه السلام كان مثل الكمال لا نساني الاعلى للاقتداء به في العفة والصيانة، لم يمسه أدنى سوء من فتنة النسوة، وان امرأة العزيز التي اشتهرت في نساء مصر بل نساء العالم بسوء القدوة في التاريخ القديم والحديث كان أكبر اثمها على زوجها، وكانت هي ذات مزايا في عشقها الذي كان اضطراريا لا علاج له الا الحيلولة بينها وبين هذا الشاب الذي بلغ منتهى الكمال في الحسن والجمال، فمن مزاياها انها لم تتطلع إلى غيره من الرجال إجابة لداعية الجنسية للتسلي عنه بعد اليأس منه، وانها لم تتهمه بالجنوح للفاحشة قط، وكل ما قالته لزوجها إذ فاجأهما لدى الباب (ماجزاء من اراد بأهلك سوءا) تعني به همه بضربها، وانها في خاتمة الامر أقرت بذنبها في مجلس الملك الرسمي ايثاراً للحق وإثباتا لبراءة المحق، فأية مزايا أظهر من هذه لمن ابتليت بمثل هذا العشق؟ وفي تاريخ الفردوسي أديب الفرس أنه صنف قصة غرامية في زليخا ويوسف صور فيها العفة بأجمل صورها، وزليخا (بالفتح) اسم امرأة العزيز في أشهر تواريخنا وقيل إن اسمها راعيل. وسنفصل العبر في القصة، في التفسير الاجمالي للسورة إن شاء الله تعالى

تم تفسير الجزء الثاني عشر في العشر الاخير من المحرم سنة ١٣٥٤

وكان البدء به في المحرم سنة ١٣٥٣ والله نسأل توفيقنا لاتمام

سائر هذا التفسير بما يرضاه وله الحمد والمنة

فتاوى المنار

أسئلة من صاحب الامضاء ببيروت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة صاحب الفضل والفضيلة سيدنا ومولانا العالم العلامة الاستاذ الجليل السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الغراء حفظه الله تعالى . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فاني أرفع إلى فضيلتكم الاسئلة الآتية راجيا التكرم بالاجابة عليها ولكم عظيم الشكر:

(١) هل يجوز تحكيم العقل في المسائل الشرعية الدينية المنصوص عنها في الكتاب والسنة والاجماع والقياس المعتبرين ؟ فان كثيراً من الناس يحاولون تحكيم العقل في المسائل الشرعية الدينية فيقبلون منها ما يوافق عقولهم ويتركون ما يخالفها ،وإن كان في ذلك نص أو إجماع أو قياس . فهل هذا يجوز أم لا ؟

(٢) هل يجوز التقليد والتلفيق من مذاهب الائمة الاربعة ولو لغير ضرورة قبل العمل أو بعده في المعاملات والعبادات كالوضوء والغسل والتيمم والصلاة كمن توضأ وضوءاً واجباً أو اغتسل غسلا واجباً من ماء قليل مستعمل في رفع حدث مقلداً لمذهب الامام مالك ، وترك الدلك مقلداً لمذهب الامام الشافعي ، وترك النية مقلداً لمذهب الامام أبي حنيفة ، يكون وضوءه أو غسله صحيحاً أم لا ؟

(٣) هل هذان الحديثان الآتيان صحيحان معتمدان غير منسوخين يجوز العمل بهما أم لا ؟ وهما «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» «من قلد عالماً لقي الله سالما»

(٤) هل كتاب [لوائح الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية] تأليف الشيخ محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي وكتاب [المحلى] تأليف الامام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم صحيحان معتمدان يجوز الاعتقاد والعمل بجميع ما أتى فيهما أم لا ؟

(٥) هل ماورد بخصوص ظهور المهدي المنتظر والدجال والدابة ونزول سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام وحكمه بالشريعة الاسلامية صحيح معتمد يجوز اعتقاده أم لا؟

(٦) هل أعمال الحقنة في أحد السبيلين أو في الشرايين أو تحت الجلد أو التطعيم ضد مرض الجدري أو غيره أو استعمال المضمضة أو الدواء للثة أو الاضراس أو الاسنان لاجل تصليحها أو منع وتسكين الآلام والاوجاع عنها وتغير طعم الفم وبلع الريق مفطرة للصائم أم لا؟

(٧) هل يجوز للانسان أن يرتهن داراً أو دكانا بقيمة معلومة على أجل معلوم بشرط أن ينتفع المرتهن بالدار أو الدكان من سكنى أو ايجار أو غيره سواء كان الايجار من الراهن أم غيره أم لا؟

(٨) هل يجوز بيع الوفاء أم لا وما كيفيته تفصيلا؟

تفضلوا بالجواب ولكم الاجر والثواب عبد الحفيظ اللاذقي

(أجوبة المنار)

(٣١) تحكيم العقل في الدين

ماشرع الله الدين للناس إلا لانهم لا يستغنون عن هدايته بعقولهم، ومن كان يؤمن بدين منزل من عند الله لا يمكن أن يقبل مايوافق عقله منه ويرد مالا يوافقه من المسائل التي يعتقد ان الله فرضها عليه من الاعمال أو حرمها عليه من التروك، فمن فعل ذلك كان غير متبع لدين يؤمن به قطعاً، وإنما يكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله، فوظيفة العقل أن يعلم ويفهم ليعمل، لا أن يتحكم في دينه ولا في قانون حكومته الذي هو وضع بشر مثله

ثم ان عقول الناس تختلف اختلافا كثيراً فيما يوافق أصحابها وما لا يوافقهم وذلك يقتضي أن يكون لكل فرد ممن يحكمون عقولهم في الدين دين خاص به والمجموع أديان كثيرة بقدر عددهم إن صح أن يسمى اتباعهم لها دينا، وهو لا يصح. فتحكيم العقل في كل مسألة من مسائل الدين مخالف لحكم العقل الصحيح، وإنما المعقول أن يطلب العاقل الدليل على أصل الدين فمتى ثبت عنده وجب عليه

أن يتبع كل ماعلم أنه منه، فنحن قد أقمنا البرهان العقلي على نبوة محمد ﷺ ورسالته فمن آمن به وجب أن يتبعه في كل ماجاء به من أمر الدين ،ومنه ماهو قطعي مجمع عليه بين المسلمين لامجال للعقل في البحث عنه ولا عن أدلته ، ومنه ماليس كذلك فاختلفوا في إثباته ونفيه بالتبع للاختلاف في أدلته وفي وجه دلالتها عليه كما بيناه مراراً تارة بالتفصيل وتارة بالاجمال وآخرها مافي فتاوى الجزء الماضي من المنار، ومن ذلك الاختلاف في القياس هل هو دليل شرعي أم لا وفي حقيقته وفي صفة دلالته وموضوعه وغير ذلك فلكل مسلم أن يبحث بعقله عن ذلك من طريقه فيقبل ماصح منه بالدليل لابالهوى ،ولا يجب على أحد أن يقبل كل مايقوله له بعض مدعي العلم الديني وإن رآه غير معقول بدون دليل شرعي ، وليس من الدليل ذكر الحكم في كتاب من كتب المذاهب كما بيناه في الفتوى المشار اليها أخيرا (راجع ص٦٨٨)

(٣٢) التلفيق في تقليد المذاهب

الاصل فيمن قلد مذهباً أن يعرف أحكامه في المسائل ويعمل بها لثقته بأدلتها إجمالا أو تفصيلا أو وراثة ،ومن كان له نظر في الادلة فله أن يعمل بما اعتقد صحته في بعضها مخالفا لغيره وإن أدى ذلك إلى التلفيق بين الاقوال وعدم موافقة صلاته لمذهب واحد من المذاهب الاربعة كاختلافها في الماء المستعمل والقليل والكثير وأحكامها ،وفي وجوب قراءة المأموم للفاتحة مثلا ، لانه إنما يعمل بما يعتقد صحة دليله في الشرع في كل فرع ، لابقول فلان وفلان لذاته ، ولكن يشترط ألا يخالف الاجماع في ذلك ، وأما من عرف أقوال هذه المذاهب المختلفة دون أدلتها فاختار لنفسه من كل منها ما وافق هواه لسهولته مثلا فهو متلاعب بدينه متعبد بغير علم ولا تقليد لامام وثق بعلمه ودينه

(٣٣) حديث «أصحابي كالنجوم» أخرجه البيهقي عن ابن عباس وهو غير صحيح

(٣٤) جملة [من قلد عالما لقي الله سالما] ليست بحديث نبوي

(٣٥) كتاب لوائح الانوار الالهية للسفاريني من أجمع الكتب للعقائد الاسلامية وما روي من الاحاديث والآثار وأقوال السلف فيها ، ولايخلو من أقوال ضعيفة

وآراء مختلف فيها ، والعقائد يجب إثباتها بالادلة القطعية ، ودونها ماورد في أخبار آحاد ظنية صحيحة السند تسلم إذا لم يعارضها قطعي . وأما الروايات الضعيفة فلا يجوز اسنادها الى النبي ﷺ ولا الاحتجاج بها ولا العمل بها في المسائل العملية فضلا عن العقائد الدينية

(٣٦) كتاب المحلى في الفقه للامام ابن حزم من أجل كتب فقه الحديث على مذهب الظاهرية الذين لا يقولون بالقياس ، ولمؤلفه أفهام وآراء اجتهادية خالف فيها غيره من الفقهاء يخطيء فيها ويصيب كغيره من العلماء ، فمن اقتنع فيها برأيه وفهمه كان كمن اقتنع برأي غيره من أئمة الفقه فانه إمام مجتهد كغيره . فالعبرة بالدليل والعلماء نقلة ومرشدون

(٣٧) المهدي المنتظر : راجع الاحاديث المتعارضة والاختلاف فيه وفيها فقد بسطناه في الكلام على قيام الساعة واشراطها من أواخر تفسير سورة الاعراف (ص ٤٥١ — ٥٠٢ من جزء التفسير التاسع)

(٣٨) أحاديث الدجال ، راجعها في ص ٤٨٩ من الجزء المذكور أيضا

(٣٩) أحاديث نزول المسيح واعتقادها . راجع المسألة في ص ٧٥٣ من مجلد المنار الثامن والعشرين

٤٠ الحقن وما يفطر الصائم

أعمال الحقن بانواعها والمضمضة بالماء والدواء لا تفطر الصائم وبلع الريق بالاولى وانما يفطره بلع شيء غير الريق من مائع أو جامد لانه يعد من الطعام والشراب اللذين لا يتحقق الصيام إلا بالامساك عنهما مع نية التعبد ، وراجع تفصيل أحكام الصيام ومفطراته في تفسير آياته من جزء التفسير الثاني ولا سيما الفصول الملحقة به في الطبعة الثانية

٤١ حكم الانتفاع بالرهن

ارتهان الدار والعقار بالصفة المذكورة غير جائز لأنه من أكل أموال الناس بالباطل ، وإنما ورد في رهن المحلوب والمركوب أنه ينتفع بهما في مقابل نفقتهما

٤٢ بيع الوفاء

(٤٢) بيع الوفاء كنت أعهد له صورة في بلادنا يقول الفقهاء بصحتها فراجعوا المسألة في كتاب مجلة الاحكام العدلية لسهولته ، وليس من شأن المنار تفصيل المعاملات المدنية الاجتهادية

(حكم الصلاة والصيام في القطبين وكون طلب العلم في سبيل الله)

(س ٤٣ و ٤٤) من صاحب الامضاء في انكلترة

ماقولكم دام فضلكم فيما هو آت

(١) تعلمون ان الانسان كلما ذهب نحو القطب اختلفت ساعات الليل والنهار فهي عند خط الاستواء ١٢ ساعة ليلا و١٢ ساعة نهاراً، وعند القطب ستة أشهر ليل باستمرار وستة أشهر نهار باستمرار وتختلف فيما بين ذلك درجات

فما حكم الشرع في مسلم يسكن في أقصى شمال الكرة أو أقصى جنوبها ويريد إقامة أحكام الشرع الشريف من صلاة وصيام ؟

(٢) ورد في الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه «من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي ، فهل الخروج في طلب العلم كالخروج للمقاتلة في سبيل الله في الثواب فقط أو في سقوط أحكام الشرع الشريف عن الشخص المكلف من صلاة وصيام ؟؟

دكتور محمود زين الدين
طالب بانكلترا

(٤٣) حكم مواقيت الصلاة والصيام في القطبين وما يقرب منهما

قد بينا هذه المسألة في المنار وفي التفسير ومنها في تفسير الآية (٢:١٥٢ فمن شهد منكم الشهر فليصمه) الواردة في صيام شهر رمضان (ص ١٦٢ من جزء التفسير الثاني من الطبعة الثانية) وهذا نصه :

قال الاستاذ الامام : وانما عبر بهذه العبارة ولم يقل «فصوموه» لمثل الحكمة التي لم يحدد القرآن مواقيت الصلاة لاجلها ، وذلك ان القرآن خطاب الله العام لجميع البشر وهو يعلم أن من المواقع مالا شهور فيها ولا أيام معتدلة بل السنة كلها قد تكون فيها يوما وليلة تقريبا كالجهات القطبية ، فالمدة التي يكون فيها القطب الشمالي في ليل وهي نصف السنة يكون القطب الجنوبي في نهار وبالعكس، ويقصر الليل والنهار ويطولان على نسبة القرب والبعد عن القطبين ويستويان في خط الاستواء وهو وسط الارض

أرأيت هل يكلف الله تعالى من يقيم في جهة القطبين وما يقرب منهما أن يصلي في يومه (وهو سنة أو مقدار عدة أشهر) خمس صلوات إحداها حين يطلع الفجر، والثانية بعد زوال الشمس الخ ويكلفه أن يصوم شهر رمضان بالتعيين ولا رمضان له ولا شهور ؟ كلا ان من الآيات الكبرى على كون هذا القرآن من عند الله المحيط علمه بكل شيء لا من تأليف البشر ما نراه فيه من الاكتفاء بالخطاب العام الذي لا يتقيد بزمان من جاء به ولا مكانه ، ولو كان من عند النبي ﷺ لكان كل ما فيه مناسبا لحال زمانه وبلاده وما يليها من البلاد التي يعرفها ، ولم تكن العرب تعرف أن في الارض بلاداً نهارها كعدة أنهر أو أشهر من أنهرنا وأشهرنا وليالها كذلك

فمنزل القرآن وهو علام الغيوب وخالق الارض والافلاك خاطب الناس كافة بما يمكن أن يمتثلوه ، فأطلق الامر بالصلاة والرسول بين أوقاتها بما يناسب حال البلاد المعتدلة التي هي القسم الاعظم من الارض ، حتى إذا وصل الاسلام إلى أهل البلاد التي أشرنا إليها يمكنهم أن يقدروا للصلوات باجتهادهم والقياس على ما بينه النبي ﷺ من أمر الله المطلق — وكذلك الصيام ما أوجب رمضان إلا على من شهد الشهر وحضره ، والذين ليس لهم شهر مثله يسهل عليهم أن يقدروا له قدره . وقد ذكر الفقهاء مسألة التقدير بعد ما عرفوا بعض البلاد التي

يطول ليلها ويقصر نهارها ، والبلاد التي يطول نهارها ويقصر ليلها ، واختلفوا في التقدير على أي البلاد يكون ؟ فقيل على البلاد المعتدلة التي وقع فيها التشريع كمكة والمدينة ، وقيل على أقرب بلاد معتدلة إليهم وكل منهما جائز فانه اجتهادي لانص فيه .

(٤٤) حديث من خرج في طلب العلم » الخ

معنى الحديث أن من خرج في طلب العلم النافع كان خروجه في السبيل أي الطريق الموصلة إلى مرضاة الله كسائر أعمال البر ، فان كلمة سبيل الله عامة لا خاصة بالقتال ، وأحكام الشرع من الصلاة والصيام وغيرهما لا تسقط عن المقاتلين في سبيل الله لانهم مقاتلون ولا عن غيرهم لاجل تفضيل عملهم ، والصلاة أفضل الاعمال بعد الايمان ، وهي لا تسقط عند أحد من المكلفين إلا بعذر منصوص كالحيض والنفاس ، وتجب على المقاتلين حتى في حال القتال إلا أنه يسقط عنهم بعض أعمالها البدنية كما ورد في قوله تعالى (٢ : ٢٣٨ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ٢٣٩ فان خفتم فرجالا أو ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) أي فصلوا في حالة الخوف راجلين أو راكبين على مطاياكم وخيولكم ، ويسقط الصيام عن المريض والمسافر والحائض والنفساء وعليهم الاعادة ، فلا أدري من أين جاءت السائل شبهة سقوط الاعمال الشرعية عن المقاتلة في سبيل الله فسأل عن الخروج في طلب العلم هل هو مثل القتال في هذا أم لا ؟

هذا وان طلب العلم لايعد في سبيل الله إلا إذا كان مطلوبا في الشرع ، وكان الاشتغال به بنية شرعية صالحة ، ولم يكن سببا لارتكاب الطالب في أثناء طلبه شيئا من المعاصي أو تركه لبعض الفرائض كما يفعله أكثر طلاب العلوم الدنيوية من المسلمين في أوربة بدون عذر ، فهذا لايمكن أن يكون في سبيل الله

الازهر الازهر ، الانقلاب الاكبر

أحمد الله عز وجل أن حق رجائي وصدق مقالي الذي بسطته في تصدير كتاب (المنار والازهر) إذ بينت أن الشيخ الظواهري قد بلغ من إفساده الغاية وأنه لا يوجد في العلماء من هو أهل لرياسته وإصلاح هذا الفساد غير واحد يعرفه أهل الأزهر كلهم ويعرفه غيرهم، ووصفته بصفاته التي لا يجرأ أحد أن يدعيها لغيره ، بعد أن صرحت بهتاف مجاوري الازهر في ثورتهم باسمه ولقبه ثم نصحت لهم قائلا :

إخواني : إنكم ستنالون ماترضون: من تولي من تمقتون عنكم ، وتولية من تحبون عليكم ، لا بقوة مظاهرتكم لزيد وتظاهركم على عمرو، بل لأنه الحق والخير والمصلحة ، ولان الامة الاسلامية كلها معكم فيه ،ولأنكم في عهد وزارة تقدر هذه القوى الاربع قدرها ، وجديرة بأن ترضي الله بارضائها الخ ما قلنا وما هو ببعيد

نشرت هذا التصدير في الجزء السادس من منار هذا المجلد (٣٤) الذي صدر في آخر شهر شعبان (سنة ١٣٥٣) وحدث بعد ذلك من الأحداث ما جعل بعض الناس يظنون أن قدم الشيخ الظواهري في الازهر أرسخ من قدم محمد توفيق باشا نسيم في الوزارة ، وأن مجلس الازهر الاعلى ظافر في تأييد شيخه الظواهري وإخضاع العلماء والطلاب له أذلة مرغمين ،أو يحرمهم من كل ما لهم من حقوق العلم والدين، فقلت في آخر الجزء الذي قبل هذا وهو التاسع الذي صدر في سلخ ذي الحجة « إن الشيخ الظواهري سيخرج من الازهر مذؤما مدحوراً ، ولا يجد له من مجلسه الأعلى ولا من غيره وليا ولا نصيرا » وكذلك كان فقد قضى الله أن لا يمر هذا الشهر (المحرم سنة ١٣٥٤) حتى يخرج الظواهري منه مذؤما مدحورا ، ويتولى رياسته الاستاذ الاكبر المصلح الشيخ محمد مصطفى المراغي مؤيداً منصورا

لاغرو فما نحن ممن يرمي الاقوال على عواهنها ويتبع فيها هوى النفس ، وانما نتكلم عن سنن الله عز وجل في الاجتماع ، وما هذه الكلمة بالاولى في بابها

ولا هذه اليتيمة بالفذة بين أترابها ، فقد كتبت في الجزء الرابع من المجلد ٢٩ (الذي صدر في سلخ المحرم سنة ١٣٤٧) عن توليته للمشيخة بعد الثناء على دولة مصطفى باشا النحاس باختياره لها :

« ان بيان ما اجملته من الحكم بأن هذا المنصب لا يصلح له في هذا الوقت الا هذا الرجل يتوقف تفصيله على بيان حالة الازهر من نواحيها المتعددة، وبيان مزايا الشيخ العقلية والادارية، ومعرفته بحالة العصر من نواحيها المختلفة، وما يحتاج اليه الاسلام من التجديد والاصلاح ، وفوق هذا كله استقلاله في فهم الدين والعلم فهو في الذروة العليا من نجباء تلاميذ الاستاذ الامام (رح) فعسى أن يجعله الله هو المتمم لما بدأ به استاذه واستاذنا من إصلاح الازهر »

ونشرت في الجزء الخامس الذي صدر في سلخ ربيع الاول من تلك السنة مذكرة الاستاذ في إصلاح الازهر التي قدمها للحكومة وقرر فيها بما أوتي من الشجاعة « أن نتائج الازهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه، وقد صار من الحتم لحماية الدين لا لحماية الازهر أن يغير التعليم في المعاهد ، وأن تكون الخطوة الى هذا جريئة يقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصريخ فقد قرنت كل الاصلاحات العظيمة في العالم بصريخ »

وكتبت في الجزء السابع الذي صدر في سلخ جمادى الاولى منها مقالا في (إصلاح الازهر وما يتبعه من المعاهد) بينت فيها وجوه حاجته الى الاصلاح وتأثير رياسة المراغي في ذلك حتى تعلقت به آمال الشعوب الاسلامية وشخصت له أبصار الشعوب الاوربية

ثم نوهت في فاتحة المجلد الثلاثين الذي صدر في المحرم سنة ١٣٤٨ ببشائر الاصلاح والرد على الشامتين من دعاة النصرانية الذين صرحوا في بعض صحفهم وكتبهم بأن أفكار الشيخ محمد عبده التي تغلغلت في عقول المفكرين ، وكان لها المجال الواسع لدى الشبان المسلمين ، تلقى أشد الانكار من أرباب العمائم الجامدين ، قالوا « ولهذا نجد مريدي الشيخ عبده متضائلين لا يقدرون أن يجهروا بافكارهم لقلة عددهم ، ولشدة مقاومة الجامدين لهم »

ثم قلت « واننا نبشر هؤلاء الشامتين، الذين يتربصون ريب المنون بالاسلام والمسلمين ، بان طلائع النصر قد رفعت أعلامها على رءوس المصلحين، وانتهت رياسة علماء الدين الى أحد تلاميذ الاستاذ الامام ، ونوابغ مريديه الاعلام، وهو الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر . وقد لقي من جلالة ملك مصر وحكومته من المساعدة ، بقدر ما كان يلقي الشيخ محمد عبده نفسه من المناهضة والمعارضة الخ . ومنه أن رسالة التوحيد صارت تقرأ في القسم العالي من الطلبة النظاميين ، وتفسير المنار هو المرجع لمدرسي التفسير فيه »

على أن تلك السنة (١٣٤٨) لم تنتصف الا وقد انتصفت منا فتن الدهر باستقالة الشيخ المراغي من هذه الرياسة فكتبت في الجزء السادس الذي صدر في سلخ جمادى الآخرة منها صفحة واحدة ذكرت فيها ما راع العالم الاسلامي من نبأ استقالته وما أكبروه من خلقه العالي بها ، وصرحت بأنه « لا بد للمسلمين أن يستفيدوا من مواهبه في يوم من الايام »

نعم ، وها هوذا قد طلع صباحه وذر قرن شمسه ، وحق إلهام المنار وصدق قوله

حكمة الفصل بين الرياستين

كل ما قرره الاستاذ المصلح في مذكرته للحكومة من سوء حالة الازهر والمعاهد الدينية وشدة حاجتها إلى الاصلاح بل حاجة الدين الاسلامي اليه كان قليلا بالنسبة إلى ما أدخله عليه الشيخ الظواهري بعد ذلك من الفساد والافساد في التعليم والادرة ، والنفاق والشقاق في العقائد والأخلاق ، حتى قال أحد كبار العلماء الواقفين على الدخائل إنه لا يمضي على هذه الحال خمس عشرة سنة ويبقى في الازهر ومعاهده أحد يعرف حقيقة الاسلام ، وكان كلما اشتد الفساد اشتدت دعاية شيخ الأزهر في اطراء الازهر وتعليم الازهر ، وإصلاح الازهر ، ! !

لو أن الشيخ الظواهري عرف قدر نفسه وطور وقته فاستقال من رياسة الازهر والمعاهد عقب استقالة الوزارة الممقوتة رغم أنفها حتى لا يضطر إلى الاستقالة رغم أنفه لخفي على كثير من أهل الازهر وغيرهم كثير من مساويه

ومن ريائه ومن دعايته الباطلة التي كان يضل بها الناس عن إفساده ، ولما علم أعلم الناس بأخلاقه ودخائله ماعلموه باصراره على غيه من إقدامه على إذلال أهل الازهر كافة من الشيوخ المدرسين ومن الشبان المجاورين له أو حرمانهم من العلم والدين والرزق إذا لم يقبلوا الذل بالخضوع والخنوع لمن يعتقدون فساده وإفساده لهم ولمعاهدهم ، ولقد كان ظهور هذه الغاية السوءى لهم خيراً من بقائها خفية عليهم

ولو أن الشيخ الظواهري استقال من أول الامر لكان من الممكن أن يخلفه من لا يقدر على ادارة الازهر واصلاح ما فسد فيه من الشيوخ المشهورين فما أن تتجدد الثورة لمقاومته فيصدق جماهير الناس قوله وقول اعوانه في أهل الازهر إنهم ثوار متمردون ، وإما أن يخضعوا فيستمر الاستبداد ، وما ولده من الافساد ، وكل منهما شر مناف للمصلحة

فاصرار الظواهري على غيه وبغيه كان شراً له وخيراً للازهر ومعاهده وللاسلام والمسلمين ، وكان خير ما فيه ما انتهى اليه من اقتناع جلالة الملك كالحكومة والامة بأنه لا يوجد في العلماء أحد يصلح لهذه الرياسة الا الشيخ محمد مصطفى المراغي ، وان من الضروري أن يعهد بها اليه ويعطى حق الاستقلال فيها كما اشترطه في مشيخته الاولى التي استقال منها مختاراً عند ما نوزع في استقلاله

إن خير ما استفاد الأزهر من سوء سيرة الظواهري أنه تألم منها وشعر بسوء عاقبتها فثار في وجهها وهب لمقاومتها ، وخير من هذا أنه عرف الرجل الوحيد الذي يرجى أن ينقذه منها وصرح بطلبه وجعله الركن الركين لثورته ، فلم تكن كثورة الطفل الذي يشكو ألم المرض ويأبى الدواء ، بل عرف المرض وعرف الطبيب النطاسي الذي يجب تفويض أمر العلاج إليه ، وحاول الهدم لأجل البناء ، وجمع كما يقول علماؤه بين التخلية والتحلية ، فهذه فائدة ثورة الأزهر التي رجوت خيرها وكنت أرد على كل من يستنكرها وينكر على أهلها صورتها وشكلها ويخشى سوء عاقبتها ، وإن كانوا موقنين أنهم على حق فيها

ذلك بأن الازهر كان كالمصاب بداء السل أو مرض السكتة ، يبرح به الداء ويهوي به الى الفناء وهو لا يشعر ، وكان هوى السلطان يعبث به فيميل معه

كيف شاء ، ولقد جاء المصلح الحكيم الاول (الاستاذ الامام) فكان الشيوخ يواتونه ما كان السلطان راضيا عنه ، فلما رأوه معه بيّن بين صاروا يدارونه في الادارة لقوة حجته ولا ينفذون له ما يقتنعون به ، حتى إذا أظهر الامير له العداء تظاهروا كلهم عليه ، وأجمعوا على أن الازهر معهد ديني محض لايجوز الاشتغال فيه بغير العبادة وعلومها لا علاقة له بأهل الدنيا ولا بعلومها حتى رضوا أن يكون للقضاء الشرعي مدرسة مستقلة يدير أمر التربية والتعليم فيها ناظر مدني لا ديني ، ثم جاء طور آخر فوض أمره الى الحكومة ووضع له رجالها قانونا جديداً أخضع له جميع الشيوخ على علاته

جمود الازهر بالامس وثورته اليوم

كان الازهر يتقلب في هذه الاطوار ويعبث به الأمير وحده ثم تعبث به حكومته بأمره ، وشيوخه كما قلنا ليس لأحدمنهم في ذلك رأي ، والطلاب لا يشعرون بما يراد بهم من خير أو شر ، وعلم أو جهل ، فاستقال المصلح الحكيم الاستاذ الامام من ادارته ، فاهتز مسلمو الهند لاستقالته ، وأنحوا بالتثريب والتأنيب على الامير وحكومته ، وعلى علماء الازهر وعلى الامة المصرية ، ولم يرتفع للأزهر صوت ولو ثار أهله عشر ثورتهم هذه وأرادوا بها بقاء الامام وعدم قبول استقالته لتم لهم ما أرادوا ، فقد كانت الحرية يومئذ أتم منها اليوم

فالفضل الاكبر في إيقاظ الازهر من نومه وفي ثورته الحية الشريفة لسوء إدارة الشيخ الظواهري وعناده ، وإصراره على ما كان من استبداده ، ومطاردته للعلماء والمجاورين في الجامع الازهر نفسه ، حتى جعل الجند والشرطة يدخلونه بنعالهم ويخرجون طلابه من المسجد ومن حجراتهم مقهورين حاسري الرءوس حفاة الاقدام ، يعتلونهم الى السجون كقطاع الطرق والمجرمين عتلا ، ويسومونهم خسفاً وذلا ، (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)

لا أبغي الآن أن أعيد ذكر تلك المساوي لبيان ما كان من مفاسدها ، وانما أريد أن أحمد الله على حسن عاقبتها بخذلان فاعليها وابطال كيده للاسلام ومعاهده ،

وأن أذكر أهل الازهر بما يجب عليهم من حمد الله وشكره أن بدلهم بذلك الشر خيرا ، وبذلك الافساد إصلاحا ، فانه اذا أراد بقوم خيراً جعل لهم النقم عبرة ونعيصا، ومن النعم تربية وتأديباً، ووسد أمورهم الى أهلها ، ويسر لهم القيام بحقها

نصيحتي الثانية للأزهر

واني لاقول لهم كلمة نصح ثانية لعلهم لا يسمعونها من غيري في طور هذه النعمة، كالكلمة التي قلتها في حال اشتداد الثورة ، وإني لاشد يقينا بصحة هذه مني بتلك، وقد نطق الزمان بصدقها ، أقول إنكم نلتم خير ما طلبتم بثورتكم في خير الاحوال من نفي واثبات ، وسلب وإيجاب ، وهو ما أيدتكم به الامة ورضيته لكم واجابتها الحكومة وجلالة الملك إليه ، وهو أهون الامرين اللذين يتوقف عليهما إصلاح الازهر، وبقي أشقهما وأعسرهما ، وهو استعدادكم لقبول الاصلاح الذي اتفقتم والامة على أنه قد رسد الى خير أهله، وأقدرهم على النهوض بأعبائه، فما أنتم فاعلون اليوم؟

إنما يستفيد الناس في كل حال وزمان بقدر استعدادهم ، فقد نشأ السيد جمال الدين نابغة القرون في بلاد الافغان ولم يشعر بمزاياه الا بعض أمرائها ، ثم جاء مصر فاستفاد منه بعض المستعدين للانقلاب السياسي والمدني والادبي ، ولم يستفد من رأيه وتأثيره في الاصلاح الديني والعلمي الا الشيخ محمد عبده ، وله اعترف السيد بأنه خليفته في كل انقلاب دعا إليه ، وقد أتيح للشيخ من دعوة هذا الاصلاح وممارسته في إدارة الازهر الرسمية وفي تدريس التوحيد والتفسير والبلاغة والمنطق مالم يتح لاستاذه السيد، وكان الآخذون عنه أكثر عدداً، وأوسع زمنا، ثم كان من عاقبته فيما أشرنا اليه آنفا، وما أغنت عنه كثرتهم من الاصلاح شيئا، إذ لم يكونوا يبغون أخذ الاصلاح عنه ، لانهم لم يكونوا مستعدين له، وقل من كان منهم يفكر فيه

وها أنتم أولاء تجاه ثاني المصلحين وثالث القمرين، ولقد كان يطلب العلم في الازهر كما يطلبه غيره، ولكنه كان أقرب أهله اليهما في عقلهما وأخلاقهما، ولاسيما الشجاعة وعزة النفس ، واستقلال الارادة والفهم ، وبهذا كان أجدر من خلف الاستاذ الامام باصلاح الازهر، فيجب أن يكون حظه من استعدادكم في النصف الثاني من

القرن الرابع عشر أكبر من حظ استاذه واستاذنا من استعدادهم في النصف الاول منه ، عسى أن يكون متمما لما بدأ ، ولا يتسنى له هذا الا اذا كان استعدادكم للقبول متمما لاستعداده للايجاب ، فالمراغي لا يقدر على ان يخلق الازهر خلقا جديدا ، وغاية ما يرجى له من سعيه وجهده ، أن يبلغ به أحسن ما استعد له أهله بعد زوال المانع الذي كان يحول دون ذلك ، بل قال الحكماء الربانيون ان للرب الخلاق ذي القوة المتين سننا في التكوين يعد بها الشيء للشيء فيتعلق الايجاد بالاستعداد بمقتضى الحكمة في التقدير وامتناع الجزاف والخلق الأنف فيه . وهو معنى الايمان بالقدر ، ونص القاعدة الاجتماعية في قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وإن للمنار مقالة في هذا الموضوع عنوانها (الاصلاح والاسعاد على قدر الاستعداد) نشرت في المجلد الرابع منه (ص ٦٨١) سنة ١٣١٩

يوشك أن يكون الازهر اليوم أقل علما واخلاصا في الطلب مما كان في أول هذا القرن ، ومما كان في قرون التدلي التي قبله ، ولعله صار على ضعفه في العلم أشد شعورا بالحاجة الى الاصلاح أو استعدادا له ، ولا يصح هذا الرجاء عند الشيخ المراغي الا بقدر ما يرى في العلماء والطلاب من المشاركين له في الصفات الثلاث التي كان بها أهلا للاصلاح ، : الشجاعة وعزة النفس واستقلال الارادة والفهم ، وما وراءهن الا العلم بحقيقة الاصلاح ، وحسن النية فيه ، وطلب الغاية العليا منه ، وهي ما في الاسلام والقرآن من روح الانقلاب العام المصلح للبشر ، ومقاصده العشرة التي بيناها في كتاب الوحي المحمدي ، وهذه كلها امور كسبية تعليمية ، وأما تلك الصفات الثلاث فهي وهبية في الاصل ، وإنما تفيد فيها التربية الصحيحة للنابتة الجديدة تربية الارادة وجهاد النفس ، وأين أنتم من هذه التربية وأين هي منكم؟

قد ذكرتكم آنفا في هذا المقال بمذكرة الاستاذ التي قدمها للحكومة عقب توليته الأولى لرياسة الأزهر ، وقوله فيها إن الاصلاح الذي يحتاج إليه الاسلام كله لا الأزهر وحده يقتضي قلب نظام التعليم من أساسه الخ وعلمتم أنه كان وضع قانونه لاجل النهوض بهذا القلب والتجديد ، متوقعا ما يلزمه ويقترن به عادة من الصراخ والعويل ، فحيل بينه وبين ما يريد فاستقال ، وخلفه من نهض بضد ما أراد ، وهو

الهدم والافساد ، وأهمه سوء التصرف في مناهج التعليم ، وافناع المعلمين والمتعلمين بأن الترقي لا يكون الا بالنفاق والدسائس والسعاية ولا غاية له الا الامتاع الدنيا ، فاستشرى الفساد فصار الاصلاح أشق ، ولن يتم إلا بما قلناه إجمالا ، وسنفصله في مقال آخر إن شاء الله تعالى

تأثير تولية المراغي لرياسة الأزهر

لقد كان سرور الناس بهذه التولية عظيما في مصر وسيظهر أنه يكون عاما في جميع الاقطار الاسلامية، ورأينا تهاني الناس لهذا الامام المصلح أضعاف المعهود في تهاني أصحاب المناصب ولولا أن أكثر علماء الازهر أظهروا سخطهم على الظواهري من قبل لما أقمت وزنا الا لتهاني من نعرف رأيه وخلقه منهم، فالشيخ الظواهري نفسه قد هنأ المراغي أيضا ، ولكننا رأينا جميع طبقات الشعب من الامراء والوزراء والوجهاء والادباء وغيرهم مجمعين على هذا ، وانا لنرى الوفود تغدو وتروح الى داره في حلوان والى ادارة الازهر والمعاهد الدينية في القاهرة مثنى وثلاث ورباع وجماعات في كل يوم ولا ندري متى ينتهي هذا الزحام، وانني انقل عن الجرائد اليومية خبر وفود علماء المعاهد وكلمة الاستاذ الاكبر لهم على سبيل النموذج وهو ما نشر الاهرام في سياق التهاني والمقابلات قالت تحت عنوان (وفود العلماء) في ٣ مايو سنة ١٩٣٥

كانت إدارة المعاهد الدينية في أثناء هذه المقابلات قد اكتظت بوفود العلماء الحاشدة من مدرسي معاهد الاسكندرية وطنطا ودمياط ودسوق والزقازيق وأسيوط ومن العلماء المندوبين للتدريس في مختلف المعاهد الدينية ومن الطلاب والعلماء المفصولين الذين تقررت إعادتهم الى دروسهم ووظائفهم في جلسة المجلس الاعلى التي عقدت أول أمس ، وما إن لمحوا فضيلته قادما حتى احتاطوا بالسيارة من كل ناحية واخذت أصواتهم ترتفع بقولهم : فليحي الامام الاكبر . فليحي المصلح الاسلامي . فليحي والد الازهريين البار . وقد أرادوا أن يحملوا فضيلته على أعناقهم ولكنه أبى ، وكان يلح في الاباء كلما الحوا في الطلب ثم قال لهم :

أرجو أن تهدؤا قليلا حتى أتمكن من أن صعد على قدمي . وقد اجابوا فضيلته الى ما طاب وأخذوا يشقون له طريقا حتى تمكن من الصعود الى مكتبه

ثم تقدم بين يدي فضيلته خطباء هذه الوفود وشعراؤها واخذوا يلقون كلماتهم وقصائدهم وقد ذكروا مواقف معينة لفضيلته في اصلاح الاسر ورعايتها بمختلف القوانين والتشاريع وتنظيم الاجراءات القضائية الخاصة بالمحاكم الشرعية وغير هذا من ضروب الاصلاح والتجديد، وهنا وقف فضيلة الاستاذ الاكبر وقال

كلمة الاستاذ الاكبر

« اشكركم شكراً جزيلا على هذه العواطف الكريمة التي تجلت في أقوال خطبائكم وقصائد شعرائكم . وأرجو أن تنوبوا عني في تبليغ هذا الشكر الى جميع إخوانكم والى جميع الطلبة في معاهدكم، كما أرجو أن نستقبل جميعاً : علماء وطلابا بدء دراستنا وقد زال ما كان في قلوبنا

كان ضغن وكانت عداوة بين العلماء والطلبة وبين الطلاب والطلاب. ولكني اعتقد أن ذلك لم يكن الا في مقام اختلاف الرأي وتباين المذهب في صدد حادث طارىء ، ولكل وجهته ولكل رأيه ومذهبه . وأنا شخصيا ممن يقدسون حرية الرأي ويحترمون رأي الخصوم كاحترامهم لرأي الاصدقاء ، وأرجو أن تكون حرية الرأي صفة من صفات العلماء . وقد عهدتم في سيرة السابقين والسلف من العلماء انهم كانوا يحترمون آراء مخالفيهم . وما كان احدمنهم يخالف أو يخاصم الا وهو بعيد كل البعد عن الهوى والغرض . وعلى اساس حرية الرأي يبنى الدين وتبنى الاخلاق ويبنى العلم . ويكون البناء خير ما نشتهي ونود اذا كانت المخالفة في الرأي خالية من الهوى والغرض

لقد كانت فتنة وجدت أول الامر شرارة نارها في طريق الاتفاق والمصادفة ثم أراد بعض الناس أن يجعل العلماء وطلاب العلم حطب هذه الفتنة الشعواء ولكن الله سبحانه وتعالى وقى المسلمين شرها ، وخرجتم من هذه الفتنة لا اقول خرجتم من غير أن يظهر للناس بعض عيوبكم . فقد ظهرت عيوب في بعض الطلاب . وظهرت عيوب في بعض العلماء ، لان هؤلاء وهؤلاء قد قرنوا المطالبة بالاصلاح

بشيء من العنف، وشيء من الخروج عن الخلق الكريم : الخلق الكريم الفاضل الذي يجب ان يكون حلية طالب العلم الديني، وحلية العالم الديني

ويمكنني في هذا المقام أن أصرح لكم ولجميع المسلمين في مختلف الاقطار بأني أفضل وأوثر أن تخرج المعاهد الدينية رجلا ذا خلق وفيه جهالة على أن تخرج إماما من الأئمة وفيلسوفا جم البحث حاشد الذهن لا خلق له . وليس من الخير للدين ولا لاهل الدين ولا للمسلمين والاسلام أن يوجد علماء اشرار لاخلق لهم، لان مهمتكم التي وجدتم لها ووجدت لها المعاهد هي إيجاد رجل يقومون بحراسة الدين ويرضون الله بعملهم، يتجافون عن الدنيا ويعزفون عن أعراضها إذا وجدوا في طريقها الذلة والمهانة والمسكنة واهدار الخلق، والله سبحانه وتعالى لا يرضى عن عن طائفة من الطوائف وجدت لاعزاز دينه ثم استخدمت مواهبها لاذلال أهل هذا الدين الحنيف .

لكم في سيرة السلف من علماء المسلمين وفي آبائكم في الازهر الشريف قدوة خير، كانوا يرضون بالكفاف من العيش مقبلين على العلم إقبال المخلص لله ولرسول الله . ولست الآن من الواعظين الزاهدين الذين يرغبون في أن يباعدوكم عن الحياة، وأذا لبست هذا الثوب فقد تكذبني الظواهر، فانتم ترونني أستمتع بالحياة جهد ما استطيع، ولكني أدلكم على طريق المتاع: الزهد في الحياة طريق المتاع فيها.

وجهوا أنفسكم واجتهدوا أن تخلقوا في أبنائكم هذا الروح، روح الاقبال على العلم لله وللرسول، روح إرضاء العلم للعلم على أن تجعلوه مقصدا لا وسيلة العلم شريف لا يرضى المذلة والمهانة، فاذا أكرمتم أنفسكم رضي الله عنكم ورضيت الناس، ومتى رضي الله عنكم ورضيت الناس وجدتم من الدنيا اقبالا وسعت اليكم دون أن تسعوا اليها .

وكنت أحب أن أجعل هذا الحديث معكم طويلا، ولكن وقتي ضيق وعملي كثير، فاكتفي واقف عند هذا القدر، وأرجو في الختام أن تكونوا رسل خير للامة الاسلامية، وأن يوفقنا الله جميعا ويرشدنا للبر والخير والسلام اه

﴿ خليج العقبة الحجازي وطمع الانكليز فيه ﴾

خليج العقبة أعظم ثغر لدار الاسلام الاولى في جزيرة العرب التي بناها رسول الله ﷺ وخلفاؤه وأوصاهم في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان، ومهد السبيل لفتح سياجها الشمالي باسرائه الى المسجد الاقصى وغزوته لتبوك. وأتم عمله خليفتاه أبو بكر وعمر (رض) بفتح بيت المقدس والشام، فهذا الثغر الحجازي هو الحلق الذي يدخل منه الى جوف هذه الدار، والخط الممتد منه الى معان وتبوك فالشام فالعراق هو حبل الوريد لحياة هذه الدار. ولم يكتف الانكليز بالسيطرة على فلسطين وشرقي الاردن باسم الانتداب حتى أرادوا التوسل بذلك الى السيطرة الحربية والتجارية على هـذا الثغر وهذا الخط لتكون حياة الحجاز ونجد في قبضتهم مع القسم الشمالي من دار الاسلام حتى لا يبقى للاسلام دار مستقلة، واستعمالهم لعلي وعبد الله ابني الملك حسين لهذه السيطرة ومنازعة الملك عبد العزيز ابن السعود لهم فيها معروفة، وتأجيل الفصل في هـذا النزاع الى مفاوضة ثانية بعد مفاوضة بحره معروف، ولكن الانكليز يمهدون السبيل لهذا الغرض القديم مرة بعد أخرى وقد أحدثوا في هذا الربيع حدثا مخيفا بزيارة رئيس أركان الحرب العامة للعقبة وحدود شرق الاردن أوجب على الجرائد تجديد البحث فنشر المقطم في ٢٨ مارس سنة ١٩٣٥ برقية في الموضوع علق عليها محرر المباحث العربية فيه المقال الآتي في اليوم التالي:

﴿ العقبة بين مصر والحجاز وانكلترا ﴾

لخص مكاتب المقطم اللندني في برقياته أمس رسالة نشرتها جريدة المورننج بوست لمكاتبها من عمان جاء فيها «ان منطقة العقبة وقد كانت تابعة لمصر من مدة طويلة ستكون موضوعا لمباحثات دولية، وان السر ارشيلد منتغمري مسنبرد رئيس هيئة أركان الحرب العامة يتعهد مواقع الدفاع في شرق الاردن ويحقق مسألة الخلاف بين الحجاز وشرق الاردن على الحدود ويطالب الملك ابن سعود أن تكون العقبة له»

والواقع أن زيارة رئيس هيئة أركان الحرب لفلسطين وشرق الاردن في مثل هذه الآونة من الحوادث التي استوقفت الانظار فقد استدل منها الناس على عناية البريطانيين بمستقبل تلك البلاد ورغبتهم في تحصينها والدفاع عنها إذا لزم الامر

ولكن هنالك ملاحظة تتعلق بالدفاع عن تلك البلاد نريد أن نلفت النظر إليها ونطرحها للبحث لمعالجتها من الوجهة الحقوقية والدولية، وخلاصتها ان فلسطين وشرقي الاردن ليست من ممتلكات التاج البريطاني فتحشد فيها الحكومة البريطانية القوات وتجعلها دار حرب وكفاح في حالة حدوث حرب بينها وبين دولة أجنبية، وانما هي وديعة أودعتها جامعة الامم لبريطانيا لكي تعدها للاستقلال وحكم نفسها بنفسها على أن تجلو عنها وتعيد اليها حريتها واستقلالها يوم تبلغ أشدها، وتصبح قادرة على حكم نفسها، وذلك بقرار تصدره جامعة الامم نفسها كما جرى مع العراق فقد تحررت من الانتداب بموجب قرار أصدرته الجامعة في سنة ١٩٣٢

وفضلا عن ذلك فان صك الانتداب البريطاني لفلسطين وشرق الاردن الذي أقرته جامعة الامم في سنة ١٩٢٢ لا يخيل بريطانيا هذا الحق ولا يعترف بجعل البلاد جزءاً من أجزاء ممتلكاتها فقد جاء في المادة ١٧ من هذا الصك ما نصه :

« يجوز لحكومة فلسطين أن تنظم على قاعدة اختيارية القوات اللازمة للمحافظة على السلم والنظام وللدفاع عن البلاد بشرط أن تكون تحت إشراف الدولة المنتدبة ولا يجوز لحكومة فلسطين استخدام هذه القوات لاغراض غير ما تقدم إلا بموافقة الدولة المنتدبة وفي ما عدا هذا لا يجوز لادارة فلسطين أن تجمع قوات عسكرية أو بحرية أو جوية أو تبقيها عندها

« وليس في هذه المادة ما يمنع إدارة فلسطين من الاشتراك في نفقات القوات التي تكون في فلسطين، ويحق للدولة المنتدبة في كل وقت أن تستخدم طرق فلسطين وسككها الحديدية وموانئها لحركات القوات المسلحة، ونقل الوقود والمهمات »

هذا ماورد في صك الانتداب خاصا بالعلاقات العسكرية بين الدولة المنتدبة والبلاد المشمولة بالانتداب، والمقصود بها هنا (فلسطين وشرق الاردن) وهي لايجيز لهذه الدولة أن تجعلها قاعدة من قواعدها الدفاعية ولا أن تزجها في حرب إذا خاضتها وإن لم يك هنالك ماينذر بقرب اعلان هذه الحرب -- لانها بلاد مستقلة ذات سيادة ولانها ليست سوى وديعة موقتة بيد بريطانيا ، ولايجوز للمودع (بالفتح) أن يتصرف بالودائع ويغيرها أو يبدل شكلها إلا لضرورة

ومع كل ما يكتب ويقال فاننا نعتقد أنه ليس هنالك مايبعث على التشاؤم وإنما أردنا التذكير من وجهة عامة ، ولفت نظر ذوي الشأن إلى أن البلاد التي ينتدب لها لاتعد جزءاً من ممتلكات الدولة المنتدبة ليجوز لها أن تتصرف بأمورها، وإنما هي وديعة موقتة أودعت تحت يدها لاجل تسميه جامعة الامم وتحدده

مصر والعقبة

ولقد كانت العقبة - وهي لاتبعد عن حدود مصر الشرقية في الوقت الحاضر سوى بضعة كيلو مترات والواقف في آخر هذه الحدود يشاهدها بالعين المجردة - جزءا من أجزاء مصر حتى عهد الخديو إسماعيل فتنازل عنها لتركيا ، ولما حددت الحدود نهائيا بين مصر وتركيا في سنة ١٩٠٦ أدخلت نهائيا ضمن الحدود العثمانية وألحقت بلواء الكرك (شرق الاردن اليوم) وصارت جزءا من أجزائه

الحجاز والعقبة

ولما نشبت الثورة العربية في أثناء الحرب العظمى احتل العرب هذا الثغر في سنة ١٩١٧ واتخذوه قاعدة لاعمالهم العسكرية في جنوب سورية فألحق من ذلك العهد بحكومة مكة ، وظل جزءا من اجزائها حتى يوم ١٨ مارس سنة ١٩٢٤ فأعلن الملك حسين تنازله موقتا عن إدارة معان والعقبة لامارة شرق الاردن، وفي يوم ١٨ يوليو سنة ١٩٢٥ أعلن الامير عبد الله ضم معان والعقبة نهائيا إلى امارته وذلك بناء على اتفاق عقده مع اخيه الملك علي وذلك في الوقت الذي كان فيه ابن سعود يهاجم الحجاز ويحاصر جدة

ابن سعود والعقبة

وأبى ابن سعود ان يعترف بماتم بين الملك علي والامير عبدالله بعد استيلائه على الحجاز وأعلن انه لايقر ماوقع بل يعده من قبيل التواطؤ ،وانه لايزال يعتبر معان والعقبة من اقطار الحجاز ،وان ماجرى بين الاخوين لايقيده ولايسري عليه

وأثيرت هذه المسألة في المفاوضات التي دارت في جدة بين الحكومة السعودية والحكومة البريطانية فتقرر الاحتفاظ بالحالة الراهنة فيها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية مسألتها تسوية نهائية مع الوعد من جانب الحكومة السعودية بأن لا تتدخل في إدارتها

هذا ماتم الاتفاق عليه في شهر مايو سنة ١٩٢٦ في جدة بين السر جلبرت كلايتن باسم بريطانيا ، والامير فيصل السعود باسم الحكومة العربية السعودية، وقد تعهدت فيه هذه الحكومة بأن تحترم الحالة القائمة في هذه القاطعة إلى أن تحين الظروف المناسبة ،فهل حانت هذه الظروف الآن ؟ وهل لذهاب رئيس هيئة أركان الحرب الآن إلى فلسطين وشرق الأردن - ويقولون إنه جاء ليحقق عن هذه المسألة - صلة بحلول هذه الظروف ؟ إننا نشك في صحة هذه الرواية وندعو الى مقابلتها بالاحتياط، فلم يرد في المصادر الاخرى مايدل على أن الحكومة السعودية أثارت هذه القضية أو انها تنوي اثارتها على الاقل ،كما انه ليس هنالك مايدل على أن بريطانيا تعيدها بسهولة الى الحكومة السعودية لاعتبارات معروفة بداهة، وإنما هي أقوال تقال،وإشاعات تشاع ،ويراد بها ذر الرماد بالعيون، وسنرى ما يكون

أمين سعيد

(المنار) الحق أن ثغر العقبة ثغر عربي حجازي في موقعه الجغرافي،فسكان ضفتيه ما زالوا من صميم عرب الحجاز ، وتصرف الدولة العثمانية في إدارة هذه البلاد كان من حقوق سيادتها على الحجاز وسورية الجنوبية (فلسطين) والشمالية ومصر ، ولما شعرت بطمع انكلترة فيه ألحقته بالحجاز نهائيا كما بينت ذلك في الجزء الثاني والثالث من مجلد المنار التاسع سنة ١٣٢٥ وهو

مسألة العقبة

(منقولة من ص ١٥٧ ج ٢ م ٩ منار الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥)

كان أهل الرأي في الدولة وأصحاب النفوذ في المابين يرون منذ شرع في سكة الحجاز الحديدية أن من الضروري إحداث ناشط لها ينتهي بفرضة العقبة في البحر الاحمر ، وقال بعضهم اذا عجزنا عن إيصال السكة إلى الحرمين ،فان ربحنا من السكة لايكون قليلا اذا استعضنا عن ذلك بايصالها إلى العقبة . وقد اجتهد الصدر الاعظم ومختار باشا الغازي وعزت باشا العابد وصادق باشا العظم اجتهاداً عظيما في إقناع السلطان بوجوب إنشاء هذا الناشط منذ سنين فكان يأبى ذلك ويحتج بأن هذا يكون وسيلة لتداخل الانكليز في بلاد العرب . فلما أعياه أمر ثورة اليمن اقتنع بأن إخضاع تلك الولاية وتمكين السلطة فيها من بعض فوائد ناشد العقبة من سكة الحديد فأمر به وأرسلت الجنود العثمانية الى العقبة لتمهيد العمل .فلما رأت انكلترا ذلك خافت من الدولة على مصر أضعاف ماكان يخاف منها السلطان على بلاد العرب.واعتقدت أنه مادفع السلطان على هذا العمل إلا ألمانيا الدائبة في مناهضة انكلترة وأنه لا يبعد أن يتفق السلطان مع عاهل الالمان على الزحف على مصر بعد وصول الناشط الى العقبة فارادت بناء معاقل عسكرية هناك باسم مصر فكانت الدولة بالمرصاد فمنعت الجنود المصرية من البناء بالتهديد فأنشأت انكلترة تعارض الدولة بان جنودها احتلت نقطة مما كانت سمحت به لمصر من أرض سيناء واشتدت في ذلك بلسانها وبلسان الحكومة الخديوية التي تنطق بوحيها على ان انكلترة قد غيرت حدود مصر في شبه جزيرة سيناء في الخرائط الجغرافية التي جددتها للمدارس المصرية منذ بضع سنين

﴿ مسألة العقبة ﴾

(منقولة من ص ٢٣١ ج ٣ م ٩ منار الذي صدر في ربيع الاول سنة ١٣٢٥)

بينا في الجزء الماضي أن حقيقة المسألة عسكرية لا إدارية تتعلق بالحدود فهي أول وليد ولدته لنا سكة حديد الحجاز فالدولة العلية ترى ان انكلترا تخاف عاقبة

هذه السكة على مصر فهي تريد اتقاء الخطر باقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء لان محاربتها في مصر اذا هي دخلت فيها غير معقول وهي تخاف من انكلترا على سورية والحجاز اذا هي جعلتها بقعة عسكرية باسم مصر ولذلك كان السلطان غير راض بانشاء ناشط من السكة إلى العقبة ولما اضطر الى ذلك باستفحال الثورة في اليمن رأى ان انكلترا أنفذت الجنود المصرية إلى العقبة للبناء كما قيل ورأت الجنود المصرية ومن يقودها من الانكليز أن العساكر العثمانية بالمرصاد، فظهر الامر وبدأ الخلاف بالشكل الذي عرفه الناس وهو أن الترك قد اعتدوا الحدود المصرية ولعل الذي نبه الترك إلى أخذ الحذر من الانكليز هو تعيين خمسة آلاف جنيه مصري في ميزانية مالية مصر باسم شبه جزيرة سيناء

فهم الانكليز من جعل العقبة تابعة لولاية الحجاز ان الدولة العثمانية تريد بذلك أن تمنعها منهم بسياج ديني وهو إثارة سخط المسلمين في مستعمراتهم وغيرها عليهم اذا مدوا أيديهم اليها وما كانت الدولة لتحسن استخدام هذه القوى المعنوية ولو كانت تريد ذلك لما حال دونه جعل العقبة تابعة لسورية لأنها على كل حال من جزيرة العرب التي أوصى النبي ﷺ في مرض موته بأن لا يبقى فيها دينان وأن يخرج منها يهود يثرب ونصارى نجران، وقد قاوم الانكليز ما توهموه من الدولة بايهام من جنسه فأنشأوا يوهمون شعبهم وسائر الشعوب الاوربية بأن السلطان يريد تهييج التعصب الاسلامي على المدنية الاوربية وربما وجدوا لايهامهم شبهة في ثرثرة احداث السياسة في مصر الذين جعلوا اسم الاسلام والخلافة ضيعة يستغلونها وإن أضاعوا الاسلام الذي لا يعرفون منه إلا اسمه

لولا ان الدولة العثمانية حذرة من عمل عسكري في سيناء باب سوريا والحجاز لما بالت أن تزيد في مساحة ما سمحت به لمصر منها، ولولا ان انكلترا حذرة من تركيا على مصر لما عظمت من أمر الحدود المصرية ما عظمت، ولولا انها تتوقع هيجان مسلمي مصر أو ثورتهم اذا استحكمت حلقات الخلاف بينها وبين تركيا لما أمرت بزيادة جيش الاحتلال. فاذا كان سبب النزاع هو ما يعبرون عنه بسوء التفاهم فما أسهل سبيل الاتفاق مع حفظ شرف الدولتين وهو أن تعترف تركيا

بحدود مصر التي ذكرت في فرمانات تعيين الخديويين وفي تلغراف الصدر الاعظم الملحق بفرمان عباس حلمي باشا الثاني وتتعهد انكلترا بأن لا تعمل في شبه جزيرة سيناء عملا عسكريا . وقد أساءت الدولة المدخل فعسى أن تحسن المخرج

نحن نعتقد ان الدولة العثمانية لا يخطر لها على بال — وهي في هذه الحال — أن تزحف على مصر ، أما انكلترة فلا يبعد أن تقصد إقامة المعاقل الحربية في شبه جزيرة سيناء باسم مصر باعتبار مصر حكومة اسلامية لا تعد اقامتها على أبواب الحجاز أو امتلاكها لجزء من الجزيرة مخالفة لوصية النبي ﷺ . وقد كان يكون ذلك بكل هدوء وسلام لو لم تعارضه الدولة العثمانية وتقاومها فيه انكلترا بعد عجز الحكومة المصرية — وانما نعني بالهدوء والسلام هدوء نفوس المسلمين وسلامة قلوبهم . وأن تظفر انكلترا بتركيا ظفراً مبينا وتلزمها بالاعتراف بالحدود كما تريد وتجعل بعد أرض سيناء معسكراً ولو مصريا فان كل مسلم في الدنيا يتألم ويضطرب قلبه ويظن بالدولة الانكليزية ظن السوء ويتوقع الاعتداء على الارض المقدسة كل يوم ، وقد عرفنا من حكمة هذه الدولة في السياسة البعد عن جرح الشعوب في قلوبها ، وإن هي جرحتها في أبدانها ورؤوسها (مصالحها وحكامها)

ان جميع عقلاء المسلمين يفضلون دولة انكلترة على جميع الدول واذا أيقنوا بأن قطراً من أقطارهم واقع تحت سلطان أجنبي وكان لهم اختيار في الترجيح فانهم يرجحون بريطانيا العظمى على غيرها . ويعتقد رجال الاصلاح منهم أنه لا يمكن الانيان بعمل يحيي الاسلام وينفع المسلمين في بلاد اسلامية غير مصر والهند بل لاحرية للمسلمين في الدعوة إلى كتاب ربهم المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، إلا في هذين القطرين فلبريطانيا العظمى أن تعتقد هذا الاعتقاد عونا لها على كل دولة تناوئها في الشرق ، وعليها أن تحافظ عليه وتتحامى مواقف الظنة فيه فان امتلاك القلوب بالحكمة ، خير من امتلاك الرقاب بالقوة ، ولتكن آمنة جانب المسلمين واثقة بتفضيلهم إياها على غيرها مادام دينهم محفوظا ومعاهده المقدسة آمنة من اعتداء الاجنبي عليها ، أو تداخل غير المسلم فيها ، ولا يصدنها عن هذا الاعتقاد تشدق المغرورين بالغوغاء ، فالزبد يذهب جفاء . وانما الناس بالعقلاء والفضلاء اه

هذا ما كتبته منذ ٢٩ سنة في تحذير الانكليز من الاعتداء على خليج العقبة باسم مصر التي كانت مستقلة تحت سيادة الدولة العثمانية وتذكيرهم بأن التدخل في أمرها يعده جميع المسلمين اعتداء على الدين الاسلامي نفسه ، وان الخوف على الحجاز الآن من جعل هذا الخليج تحت سيطرة الانكليز أشد مما كان في عهد الدولة العثمانية من جوانب كثيرة أهمها أنه يمكنهم من قتل الاسلام صبرا في عقر داره وجعل الحرمين الشريفين تحت سيطرتهم العسكرية بحجة الانتداب على شرق الاردن وخدمة أميره عبد الله ابن الملك حسين وهي حجة باطلة ، وما اعتدوا هم ولا غيرهم على الاسلام إلا بمساعدة الخونة من المسلمين ، فعلى ملك البلاد العربية السعودية أن يحفظ حق الاسلام ووصية نبيه ﷺ على هذه البلاد التي حرمها على غيرهم بوصيته في مرض موته ، وما فعله علي بن الحسين وهو محصور في جدة من هبة العقبة ومعان لأخيه عبد الله لا قيمة له شرعاً ولا قانونا في ذاته كما قرره المؤتمر الاسلامي العام في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤ ولا في حيلة الانتداب كما بينه محرر المقطم وغيره — والعالم الاسلامي كله يؤيد الملك عبد العزيز الفيصل في حفظ حق الحجاز، وعلماؤه وخطباؤه وكتاب صحفه مستعدون لتأييده باقامة الثورة على هذه الدولة (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

كنا نعلم أن الملك عبد العزيز ليس له من القوة الحربية ما يمكنه من اخراج الانكليز من العقبة وما وراءها اذا أراد ذلك، وكنا نعلم أيضا أن الدولة الانكليزية لا تزحف بجنودها غير المسلمين لقتاله على حدود الحجاز ونجد، وأن تجنيدها بعض المرتزقة من فقراء المسلمين لقتاله باسم المحافظة على إمارة عبد الله بن الحسين البغيض لأهلها ولغيرهم لا يرجى لهم الظفر به ، وان هذا التهور إن تجرؤا عليه قد يفضي الى انفجار بركان الحقد من المسلمين عليهم في كل مكان، وظهور ما ليس في الحسبان.

وقد كانت زيارة رئيس أركان الحرب لهذه الحدود بدء تهييج للصحف الاسلامية عليهم في فلسطين وسورية ومصر ، ثم سكن الهياج بما نشرته حكومة شرق الاردن من بلاغ رسمي بأنه ليس في خط العقبة ومعان عمل عسكري . وكل ما يحتمل وقوعه فهو أهون من اقرار الانكليز على أي عمل أو سلطان على هذا الخليج.

الشقاق بين العرب المسلمين

شر ما آل اليه في فلسطين

العرب أقدم الامم لغة وحضارة وعمرانا فلهم العرق الواشج في حضارة قدماء المصريين والكلدانيين والفينيقيين، ووثبتهم الاسلامية قضت على ملك الفرس وامبراطورية الروم في الشرق في ثلث قرن ثم امتد سلطانها قبل انقضاء القرن من المحيط الغربي إلى الصين وطفق يناوش شعوب أوربة في الشمال، ثم لم يكن سبب تمزيق هذا الملك العظيم الا الشقاق والتنازع على الرياسة من أكبر مجتمعاته وهو الخلافة فالملك الى أصغرها وهي المناصب الدولية والعلمية والدينية فرياسة القبيلة والقرية، فرياسة العشيرة والأسرة، وقد آل بهم هذا الشقاق الى زوال سلطانهم عن الشعوب الاعجمية وضعف لغتهم فيها والجامعة الاسلامية التي تربطهم بها، ثم الى زوال استقلالهم في شعوبهم المحافظة على جامعتها العربية الممتدة من سلطنة مراكش في المغرب الى سلطنة مسقط وعمان في المشرق، وقعت كل هذه الكوارث كلها والعرب كلهم غافلون عن أسبابها وعللها، ومقدماتها ونتائجها، وكلها ترجع إلى الشقاق والتنازع في الرياسة

وقد بدؤا يستيقظون رويداً رويدا لما حل بهم فرأوا بعين بصيرتهم ثم بأبصارهم ان أكبر الكوارث الطارئة وأشدها خطرا كارثة تواطؤ أكبر دول الارض قوة وسلطانا وهي الدولة البريطانية وأقوى شعوب الارض عصبية وثروة وكيدا ومكرا وهو الشعب اليهودي — وتوجيه قواها الى انتزاع وطن عربي كامل من أهله وطردهم منه وإعطائه لليهود ليؤسسوا فيه ملكا جديداً بالرغم من ملتي عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام يكون فاصلا بين الشطر الافريقي والشطر الآسيوي من الامة العربية قبل أن ينجح دعاة وحدتها العامة في سعيهم فيحول دون اتحاد مصر أو اتصالها بفلسطين وما وراءها — الى غير ذلك من المقاصد التي لا محل لشرحها وأهمها مسألة الحجاز وجزيرة العرب

الواجب على الشعوب العربية كلها تجاه هذا الخطر الذي يهددها في فلسطين أن تهب كلها لدرئه ودفعه ، بل يجب على الشعوب الاسلامية غير العربية أن تساعدها على ذلك أيضا لمكانة المسجد الاقصى الذي لقب بحق « أولى القبلتين وثالث الحرمين » فيه ، ولما في وجود دولة يهودية تكفلها الدولة البريطانية من الخطر على الحجاز ونجد أو قوة المملكة العربية السعودية الحامية للحجاز وحافظة الامن فيه وكان المعقول أن تسمع الدعوة الى هذا من فلسطين

ونحمد الله أن وجد في فلسطين عقل مفكر ورأي مدبر سعى له سعيه ، ولم يقدر عليه غيره ، ألا وهو السيد محمد أمين الحسيني المفتي الاكبر للبلاد ، ورئيس المجلس الشرعي الاسلامي الأعلى فيها ، سعى الى تأسيس مؤتمر اسلامي عام يعقد في المسجد الاقصى في ليلة ذكرى الاسراء والمعراج ففاز ، وجعل المسألة الفلسطينية ركنا من أركان المسألة العربية الاسلامية العامة ، فصار زعيما إسلاميا عاما بعد ما كان زعيما فلسطينيا خاصا

اضطرب لدعوة هذا المؤتمر دول الاستعمار وخاطبوا زعيمتهم انكلترة بوجوب منعه أو تضييق الحرية على أعضائه ، واضطربت له دولة الترك اللادينية لما قيل من انه سيقرر إحياء منصب الخلافة الاسلامية التي ألغت صورتها الرسمية وكل ماله صلة شرعية بها من بلادها ، وتكره أن يتجدد لها ذكر في أي قطر من العالم الاسلامي ، واضطربت له الحكومة المصرية السابقة لما لا يعقل له سبب الا مثل الوهم الشيطاني فكانت فئتها فيه هي التي تولت الكيد له والسعي لخيبة مؤسسه والداعي اليه الزعيم الحسيني باغراء بعض أعضائها بما ظهر أثره منذ الليلة الاولى لعقده ، ثم في الجلسة التي اختاره فيها المؤتمر رئيسا له ثم في جلسات أخرى ، ثم باختلافهم الى زعيم الحزب الفلسطيني المناوىء لرئيسه السيد الحسيني وهو راغب بك النشاشيبي الذي كان رئيس بلدية القدس للتشاور والسعي لتخذيله ، ولقد كنت في مقدمة أنصاره لاجل المصلحة على أنه كان مقصرا معي هنالك وانا استاذه

كنت من أعضاء هذا المؤتمر ، وكنت أشعر بالدسائس التي كانت تدبر للكيد له وتدار من حوله فأتجاهلها ، ودعيت إلى حفلة الشاي التي أدبها النشاشيبي لأعضاء

المؤتمر فلم أستجب لها ، ولكنني كلمت بعض عقلاء فلسطين وأحرارها في السعي للصلح بين النشاشيبي والحسيني فقيل لي إنه لا سبيل إليه الآن أو مطلقا، فأمسكت عن الكلام فيه ، ثم كلمني بعض المخلصين في مصر بالسعي لذلك . فلم أجد له مجالا ولا منفذاً ، وإن أكره شيء إلي في العالم النفاق والشقاق للتنازع على الرياسة وحب الاهواء

آل أمر هذا التنازع بين النشاشبية والحسينية — وهو قديم — أن سقط راغب بك في انتخاب رياسة بلدية القدس وفاز عليه الدكتور حسين بك الخالدي من الاسرة الخالدية بمساعدة الحسينية فاتفقت هاتان الأسرتان الشريفتان وكانتا متنازعتين فسر محبو الاتفاق وجمع الكلمة وانحصرت معارضة الاصلاح في أسرة النشاشيبي والمنكرين على السيد أمين الحسيني والمجلس الاسلامي الأعلى للاختلاف في الرأي أو لأغراض شخصية، وحزب الحسيني أقوى من كل هؤلاء في فلسطين نفسها، ويؤيده أهل الرأي والمكانة في سائر البلاد العربية وفي الشعوب الاسلامية غير العربية ، ولا يعرف النشاشيبي ولا حزبه أحد في هذه البلاد والشعوب إلا أفراد في مصر ممن كانوا شايعوه على إسقاط السيد الحسيني من رياسة المؤتمر الاسلامي لغرض عارض ، وكلهم يوافقونه على مقاومة اليهود وعلى جمع كلمة المسلمين على هذا العمل وغيره ، وإذاً لا يجد المعارضون له الآن في مصر ولا غيرها وليا ولا نصيراً

على أن هذه العاقبة السوءى لم تقل من حد حزبهم بل زادته مضاء وتهوراً حتى كان من عقابيل هذه الحمى كتاب نشر في جريدة الجامعة الاسلامية الفلسطينية طبعت صورته بالزنك وقيل إنه من خط الامير شكيب أرسلان بامضائه إلى السيد أمين الحسيني يدعوه به إلى نشر الدعاية في البلاد لدولة إيطالية ، وقد رأينا كل من اطلع على هذا الكتاب في هذه الجريدة ممن يعرفون خط الامير شكيب وممن يعرفون انشاءه وممن يعرفون مذهبه ومشربه السياسي في خدمة الأمة العربية والملة الاسلامية من سن الصبا إلى سن الشيخوخة أنه مزور عليه ، والظاهر أن المزورين له ظنوا أن القارئين له يصدقون فحواه المراد منه بشبهة ما كتبه الامير من تنفيس السنيور موسوليني بسعيه عن مسلمي طرابلس وبرقة برد المبعدين منهم

عن ديارهم إليها وفتح أبواب الرزق لهم بعد أن دب الفناء إليهم ، ومن منع دعاة الكنيسة من الطعن في دينهم ومحاولة تنصيرهم ، وغير ذلك مما قد اشتهر ولم يقدر على تكذيبه أحد ، إلا أن بعض الناس كرهوا هذا التصريح من الامير المجاهد في سبيل العرب بعدما كان من شدة جهاده لايطالية في تنكيلها بهؤلاء من قبل ؛ فقال بعضهم إنه أي التصريح يجوز أن يكتبه غيره ولا يجوز أن يكتبه هو وإن كان يعلم أنه حق ، وطعن آخرون به عليه عن رأي أو وجدان ، أو هوى وشنئآن

نحن لا ندخل في هذا ولا نجامل فيه بما نعلم ـ ومنه تودد ايطالية للدولة العربية السعودية ، مع بقاء التودد الى دولة الامام اليمانية ـ لانه ليس من موضوعنا لا مجاراة لمن يرون أنه لايجوز الاعتراف للمستعمر بحسنة ولا بالرجوع عن سيئة ، وإنما نقول إن هذا الكتاب المتفق على أنه مزور قد أريد به هدم زعامة السيد أمين الحسيني بالذات ، وهدم زعامة الامير شكيب بالعرض أو الوسيلة ، وكل منهما حصن حصين للعرب وللاسلام ، أحكمت بناءه سنن الله في الاجتماع بما أوتي كل منهما من استعداد عقلي وخلقي ، وعمل سياسي أو قلمي ، ومواتاة لحوادث الزمان وما أتيح له من ثقة الناس به ، فبات خصوم البلاد العربية والملة الاسلامية من اليهود ودول الاستعمار يحسبون لهما كل حساب ، فهدم كل منهما جناية على الامة والملة والاوطان العربية ، وخدمة للصهيونية والدول الاستعمارية ، لايقدر أحد أن يدعي أن محاولي هدمهما يستطيعون إيجاد أحد يغني غناءهما ويبلي بلاءهما ، أو يوجدوا في فلسطين زعيما يحل مكان أمين الحسيني في عقله وتدبيره وتأثيره في مجاهدة الصهيونية ، دع مكانته في الشعوب الاسلامية ، ولا كاتبا بليغا سياسيا مؤرخا يقوم مقام الامير شكيب في بلاغة قلمه وقوة حجته وثقة الامة العربية والشعوب الاسلامية برأيه وإخلاصه ، ولا أبرأهما في هذا من الخطأ في بعض الرأي أو القول ، وسبحان المنزه عن كل عيب

وإنما الامر الثابت بادي الرأي ان هذا الطعن فيهما بالباطل ومحاولة التشكيك في إخلاصهما هو خدمة لليهود وللانكليز وعون لهما على طرد العرب من هذا الوطن العربي وما فيه من الخطر على الشعوب العربية كلها وعلى مصلحة الدين الاسلامي ، وهو أخس مظاهر الشقاق الذي افتتحنا هذا المقال بالتذكير

بمضاره ، وانا اعتقد أن الظفر المعنوي فيه سيكون — بل هو كائن — للزعيمين المجاهدين ليس للحزب المالي المناوىء لهما منه شيء ، وحسبك من زيادة الشقاق تعديه من الافراد الى الجرائد العربية التي يجب اتفافها في هذا العهد على مصلحة البلاد، وقد بلغني ان خصومها قد اقترصوه وشرعوا في تأليف حزب جديد لهدم زعامة الحسيني وأنصاره . اذ علموا أن حزب النشاشيبي سيقتل نفسه بمناوئته ، ولا بد لحزب الحسيني من حزب آخر يجهز عليه أو يحاول اسقاطه ...

فأنا بما فطرت وربيت عليه من مقت الشقاق، ومن كراهة العصبية للافراد والاحزاب، ومن التدين بالدعوة الى الاصلاح ، أدعو عقلاء الفلسطينيين الى جمع الكلمة واصلاح ذات البين ، معتقداً أن أشرف ما يفعله حزب النشاشيبي ورئيسه راغب بك والاستاذ الفاروقي صاحب جريدة الجامعة الاسلامية أن يبدؤا باستنكار الكتاب المزور والبراءة منه واستهجان مضمونه ، وأن يكف الفريقان عن الطعن في أنفسهما هجوما ودفاعا ، وما طعن الانسان بأخيه إلا طعن بنفسه ، كما قيل في تفسير قوله تعالى (ولا تقتلوا انفسكم) وقد بلغني ممن لا أتهمه أن الاستاذ الفاروقي ما نشر الكتاب المزور الا بعد ان شهدت له لجنة اعتمد عليها بانه صحيح ، ولو صحت شهادتها لما كان له ان ينشره وهو ضار مفرق للكلمة ، وقد بالغ الامير شكيب في تفنيده دفاعا عن نفسه بالحق ، ولكنني كرهت من هذه المبالغة انها كانت ضراما في نار الشقاق وتخريب العرب بيوتهم بأيديهم كما وصف الله اليهود في عصر التنزيل بقوله (٥٩ : ٢ يخربون بيوتهم بايديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار) وقوله بعده (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بانهم قوم لا يعقلون) بل صرنا اليوم وقد اجتمعت كلمتهم علينا شرا مما كانوا يومئذ ، فعلى الفريقين أن يكفوا عن هذه المطاعن وأن يفوضوا لأهل الرأي المخلصين وضع اساس للصلح المعقول الذي يحفظ كرامة كل منهم على قاعدة قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) وليستبق كل إلى الجاه والمجد فيما لا يضر الأمة كما يشاء، وإلا كان الجميع على الباغي المزور ، وكاتب هذا أول من يستجيب لذلك ويسعى اليه سعيه مع الساعين (إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)

كتاب حياة محمد (ص)

﴿ الحكم بين المختلفين فيه ﴾

(١)

ألف بعض كتّاب الاوربيين مصنفات في تاريخ سيدنا محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ أو ترجمة حياته عرف غير واحد منها باسم (حياة محمد) كان آخرها فيما علمنا للكاتب الفرنسي البليغ موسيو درمنغام ، ويقال إنه أقربهم إلى صحة الرواية لانه اعتمد على المصادر الاسلامية وأوسعها عنده سيرة ابن هشام ، وأجدرهم بحسن النية فيما أخطأ فيه فانه حاول الجمع بين اعتقاده واعتقاد المسلمين والتقريب بينهما بقدر ما تعطيه بلاغته الفرنسية في مدح النبي ﷺ وتصوير فضائله

أعجب بهذا الكتاب الدكتور حسين بك هيكل الكاتب المصري الشهير ولسان حزب الاحرار الدستوريين في جريدتهم (السياسة) فطفق يترجمه وينشره في صحيفة السياسة الاسبوعية الخاصة بالعلم والادب والفنون متصرفا في الترجمة تصرف «عرض ونقد» فكان لما ينشره أحسن تأثير في قلوب قرائها من المسلمين سرهم منه أن رأوا هذا الكاتب العصري صار من أنصار الدين ينشر لهم أمثل ما كتب الافرنج في النبي ﷺ وما هو خير منه ، بعد أن كان لجريدة السياسة من المقالات ما أوقع بينها وبين المنار ما لم ينسه قراؤهما ثم اتفقنا ولله الحمد وكانت أشد الصحف تعاونا معنا على اصلاح الازهر

ثم اتفق في أثناء عرض الدكتور هيكل لهذا الكتاب (حياة محمد) أنني كنت أكتب بحث (الوحي المحمدي) في تفسيري لسورة يونس (ع.م) وكان غرضي الاول منه دحض شبهات القائلين من الافرنج وغيرهم بالوحي النفسي يعنون انه نابع من نفس النبي وصادر عن استعداد عقله الذي يعبرون عنه في هذا العهد بالعقل الباطن ، ونعني نحن به الروح الغيبي المعبر عنه بقوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ ولكن هؤلاء الماديين لا يؤمنون بعالم الغيب ولا بأن للانسان روحا مستقلا نفخ فيه من ذلك العالم ، فهم يسندون كل

ما ثبت عندهم من مدارك الانسان غير الحسية ولا العقلية المنطقية إلى اسم جديد سموه العقل الباطن ، ومنه ماثبت من إخبار المنومين بالتأثير المغنطيسي بالغيب ، وما يسمونه قراءة الافكار ومراسلة الافكار. وقد رأيت أن مانقله هيكل عن درمنغام من الكلام على بدء الوحي المحمدي ومقدماته قد جمع فيه جميع الشبهات التي يمكن الاحتجاج بها على أن هذا لوحي نفسي ،وقد لخصته في عشر ، رددت عليها بقوى رد ،ثم أثبت أن وحي القرآن من عالم الغيب ، بما بسطته من كليات مقاصد القرآن العشر ، واستحالة كونها من عقل محمد واستعداده ، واستحالة ان يكون مادونها من العلم والفهم والعمل مما وقع أو يقع مثله لاحد من البشر في سن الكهولة

لم أقرأ كل مانشره هيكل من هذا الكتاب ، ولكن علمت أنه يضع كتابا مستقلا في ذلك فتح بابا للاشتراك فيه ،ثم صدر هذا الكتاب مطبوعا أحسن طبع، ونشرت له دعاية واسعة في الصحف فكان له تأثير حسن ، وتفضل علي المؤلف بنسخة منه جاءت في وقت حاشد بالشواغل الكثيرة : منها إتمام المجلد ٣٤ من المنار ، والجزء الثاني عشر من التفسير ، وما يقتضيانه من خاتمة وفهارس وتصدير ، ومنها الشروع في الطبعة الثالثة لكتاب الوحي المحمدي، والشروع في (التفسير المختصر المفيد) اختصاراً وطبعاً وقد اشتد الالحاح بطلبه، لهذا أرجأت مايوجبه علي سروري به من مطالعته وتقريظه إلى فراغ أرى أن انتظاره لايعدو شهرين، بيد أنني تصفحت مقدمته وبحث مقدمة بدء الوحي منه فعجبت لمؤلفه كيف أقر درمنغام مؤلف الاصل على مزاعمه فيها بعد تفنيدي لها في كتاب الوحي المحمدي وقد اطلع عليه وذكره في الكتب التي استمد من مباحثها في مصنفه ، فان أدري أغفل عن تفنيدي لشبهاتها العشر وإثبات الوحي الالهي بكليات مقاصد القرآن العشر أم ماذا ؟فهذه المسألة أنكر المنكرات في أصل الكتاب ولم يفطن لها الجمهور فيه ولا في فرعه ، ولا لفروعها المنكرة وهي كثيرة وقد أنكروا ما هو دونها

ثم رأيت من علماء الازهر وغيرهم من يسألني عن رأيي في هذا الكتاب، ومنهم من يطالبني بالرد على ما أنكروا عليه منه ،ورأيت بعضهم رد عليه في بعض الصحف فلم أقرأه ، ثم جاءني رسالة بعد رسالة يوجب علي مرسلها الرد عليه «وإنقاذ الدين مما

يثيره من الشك فيه ، الفاتن للشباب العصري بتنميقه » ويرى كغيره أني أولى الناس به وأقدرهم عليه ، وهو في حسن ظنه هذا يشير إلى سوء ظن باحتمال أن أحابي المؤلف بالسكوت عن الانكار عليه ، فصار السكوت بعد السؤال من كتمان العلم الذي أوجب الله بيانه ، وحظر كتمانه ، ولعن أصحابه

فأنا أنشر ألطف الرسالتين نقداً وأحسنهما أدباً ، وأذكر من الثانية المنكرات التي أشار اليها بأرقام صفحاتها ، وما عدا هذا من طعن في الكاتب والمقرظين لكتابه فلا يجب نشره ، وربما يكره وقد يحرم ، ولا يتوقف عليه إنكار المنكر ولا إحقاق الحق ، وأجيب عنه بما أعتقد انه الحق الواجب بالايجاز ، ولعلي أعود إلى تقريظ الكتاب ونقده في جملته ، من مسائله وأسلوبه ولغته ، لانه جدير بذلك بشهرة مؤلفه وتأثيره ، عسى أن يكون النقد العادل عوناً على تنقيحه ، فيكون النفع به منقحا في طبعة أخرى أتم وأعم

﴿ الرسالة الأولى للاستاذ العالم الباحث صاحب الامضاء ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة صاحب الفضيلة العالم الشهير السيد « محمد رشيد رضا » منشىء المنار الاغر

السلام عليكم ورحمة الله . أما بعد فان كتاب الدكتور هيكل « حياة محمد » ﷺ حين كان ينشر على صفحات جريدة السياسة الاسبوعية كان الذين يتحرجون عن وصمة سوء الظن بلا موجب يحسنون الظن بصاحبه ويقولون لعله أخذت بيده العناية الالهية فوضعته في صفوف الذابين عن الحقائق الدينية ، الناشرين لمحاسن الشريعة المحمدية ، فأنشأ يبرز للناس مخدرات عرائس السيرة في ثوب قشيب يلائم ذوق العصر ، ويتناسب والثقافة الحاضرة حيث لم يتح لهم إذ ذاك أن يقفوا على جله فضلا عن كله ، فلما ظهر في عالم المطبوعات ماعتموا أن تهافتوا على اقتنائه بناء على ذلك الظن ، ثم طفقوا يقرؤنه بفضل عناية وكمال تدبر ، فما لبثوا أن بدا لهم منه مالم يكونوا يحتسبون من تشويه للحقائق القطعية ، وتمويه على الضعفاء بالاغراق في إلباس الباطل ثوب الحق ، وصوغ الخيالات في قالب الحقائق ، وإقرار ماليس بثابت عند أئمة الدين ، وانكار ماهو معلوم للخاصة

والعامة من المسلمين . وحسبنا الآن توجيه ثاقب نظركم إلى أمر واحد هو أساس لجميع أخطائه أوجلها، ألا وهو انكاره جميع المعجزات المحمدية سوى القرآن ، ولو أنه اقتصر على مجرد هذا الانكار لتأولنا لحضرته وقلنا لعله أراد أن القرآن العظيم هو المعجزة العظمى التي تتضاءل في جنبها سائر المعجزات ، ولكنه قد علل الانكار المذكور بأن تلك المعجزات بأسرها مخالفة لسنن الله عز شأنه ، وأن تجويز شيء منها مناف لما نطق به القرآن من أن تلك السنن لا تتبدل ، وزعم أن أحاديث المعجزات كلها موضوعة إما لمحاولة أن يجعل له ﷺ من الآيات مثل ما لموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وإما لتشكيك من يؤمنون بقوله تعالى (ولن تجد لسنة الله تبديلا) فهذا نص لا يحتمل تأويلا في أنه لا يدين بشيء من المعجزات الكونية، فانه قرر أن وقوع شيء منها تبديل للسنن الالهية وأنه محال ، وياليت شعري ماذا يصنع بالآي القرآنية المتضمنة لمعجزات لانبياء من نحو انقلاب العصا حية ، وفلق البحر لموسى ، وإبراء الأكمه والابرص وإحياء الموتى لعيسى عليهما الصلاة والسلام

لهذا نلجأ إلى عظيم غيرتكم ، وعلي همتكم، أن تغيثوا الدين بمثل ماعودتموه من استئصال شأفة الالحاد ببواهر البراهين الساطعة ، وصوادم الحجج القاطعة، على وجه يروق للكافة ، ويخلب ألباب الخاصة والعامة

وإلى الحق تعالى نضرع أن يؤيدكم وكل من يقوم لله في نصرة الحق بروح منه، إنه تعالى نصير المجاهدين المخلصين والسلام عليكم ورحمة الله

محمد محمد زهران

منشيء مجلة الاسعاد سابقا

هذا نص الرسالة الاولى، وأما المنكرات المعينة في الثانية فهذا نصها :

(١) قصة أبرهة والكعبة في الصفحة ٦٤ (٢) أسطورة شق الصدر هكذا عنوانه ـ ص ٧٢ (٣) بدء الوحي ٩٥ ـ ٤) ما نسبه إلى السيدة خديجة (٥) ما قال في الاسراء ص ١٥٣ وما بعدها (٦) ما عقب به معجزة الغار (٧) تلبيسه في قصة سراقة ١٧٩ وما بعدها (٨) دعواه أن النبي ﷺ أقر المنكر ٤٣٣ (٩) عزوه إلى عائشة ما لا يليق

﴿ جواب المنار ﴾

مقدمة وتمهيد

إن العدل وإيثار الحق على الخلق يوجب علي قبل النظر في هـذه المسائل لأعلم مافيها من حق وباطل ، أن أقول انني حسن الظن في خطة الدكتور محمد حسين هيكل الدينية الجديدة ، وأعتقد أنه يريد بها خدمة الاسلام ومناهضة الالحاد والاباحة على انني كنت بينت فيما نشرته من الرد على المتهمين به في المنار وفي جريدة كوكب الشرق أنني أعني بالالحاد معناه المستعمل في القرآن وهو الزيغ الذي قد يكون بما دون الـكفر المخرج لصاحبه من الملة ، وأرى أن هذا الـكتاب يجذب كثيراً من الزائغين إلى الايمان بنبوة محمد خاتم النبيين : الذي أكمل الله ببعثته وبكتابه المنزل عليه الدين ، من المفتونين بالافكار المادية وتقليد أهلها ، وان من هؤلاء من يعرف له ما أنكره عليه غيرهم ، وإن أكبر خطأ رأيته فيه تبعا لأصله الفرنسي من شبهات الوحي النفسي يخفى على أكثر قرائه أو على من لم تتمكن هذه الشبهات من نفسه قبل قراءته ، فان موسيو درمنغام نفسه ينقل رواية رؤية النبي ﷺ لملك الوحي والتلقي عنه ، والدكتور هيكل زاد هذه المسألة بسطا ، وإن أخطأ كل منهما فيما ذكرا من مقدماتها باجتهادهما ، وما اعتمدا عليه من رواياتها الباطلة لقلة اطلاعهما ، أو عدم اضطلاعهما بالتمييز بين الراجح والمرجوح منها ، وأنى لهما أن يعلما أن ابن هشام وأستاذه ابن اسحاق أخذا بالرواية المرسلة في حديث بدء الوحي وأنه كان رؤيا منامية فخالفا رواية الصحيحين المسندة المرفوعة الى النبي ﷺ وقد حاول بعض الحفاظ أن يجمع بين الروايتين فأخطأ ؟

وأما ما ادعاه الناقد من انكار المؤلف لجميع معجزات النبي ﷺ وتشكيكه في القرآن وما دون ذلك من المنكرات فسننظر فيها بعيني الحق والعدل ولا أشك في اختلاف وجهة نظر الاستاذ الناقد وأمثاله من واسعي الاطلاع على كتب المناقب والسير وهو أن الاصل عندهم أخذ كل ما فيها أو جله بالتسليم وعدم تمييز أكثرهم

بين ما هو صحيح منها وما هو موضوع أو منكر — ووجهة نظر الدكتور هيكل وأمثاله في قاعدة الاصل في الاشياء الشك فالتحليل والنقد ، وعدم وقوفهم على قواعد علماء الاصول والمحدثين في ذلك الذي يعبرون عنه بالتعادل والترجيح . والواجب على مثلي أن يكون وسطا بين الفريقين ، وهو موقف دقيق فان من كل منهما من يعد بعض ما يؤيد به الدين عند الآخر نافيا له او مشككا فيه ، وانما المهم الاعظم التمييز في البحث بين ما هو قطعي في الدين يعد جحوده خروجا من ملة الاسلام وما ليس كذلك ، وبين ما يعد سنة وما يعد ابتداعا ، وما دون ذلك مما لا يجب علمه ، ولا يضر جهله وان صح أصله

يعلم أهل الحديث أن أكثر ماروي من الخوارق وما في معناه لا يثبت برواية قطعية متواترة يعد حجة على النبوة يجب الايمان بها ، بل لا يصح بحديث مسند مرفوع يتخذ دليلا ظنيا عليها ، وأن المحدثين تساهلوا في رواية الضعاف والمنكرات منها لانهم عدوها من باب المناقب التي تنفع أو لا تضر ، وأن بعضهم لم يتحاموا رواية الموضوعات أيضا ، ألم تر أن أشد المتأخرين منهم عناية أو تساهلا في تصحيح مالا يصح أو تقويته كالسيوطي يقول في الروايتين الطويلتين في المولد النبوي إنهما منكرتان شديدتا النكارة ، ولولا أنني رأيت الحافظ أبا نعيم ذكرهما في كتابه (دلائل النبوة) لما ذكرتهما ، يعني في خصائص النبوة . وهاتان الروايتان عليهما مدار قصص المولد الرائجة بين الناس ، ولعل أكثر الذين يسمون العلماء أو كبار العلماء يجهلون نكارتهما وبطلانهما ، ولعل من يتجرأ على هذا الانكار عند الجمهور يتهم بالكفر أو بالتقصير في حب المصطفى على الاقل ، وإنه ﷺ لغني عن تأييد نبوته أو حبه بالباطل بل لا يجوز ذلك ، وإنا لنعلم أن كل ما وجهه اليه أعداء الاسلام من الطعن فيه أو أكثره فهو من هذه الروايات الباطلة ، وأكثر علماء عصرنا يجهلون هذا ويعجزون عن الرد عليه بالادلة القطعية ، حتى إن كثيرا من قراء كتاب الدكتور هيكل يرون أنه من أقوى المدافعين عن الاسلام حجة من حيث يراه آخرون أشدهم طعنا عليه وهدما له !! أفما لهذا التباعد بين المسلمين من حد ؟ بلى ولكن من ذا الذي يضع هذا الحد الفاصل بين الحق والباطل ؟

أهم ما ينكره الازهريون والطرقيون على هيكل أو أكثره مسألة المعجزات أو خوارق العادات وقد حررتها في كتاب الوحي المحمدي من جميع مناحيها ومطاويها في الفصل الثاني وفي المقصد الثاني من الفصل الخامس بما أثبت به أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد ﷺ بالذات ونبوة غيره من الانبياء وآياتهم بشهادته لا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها، وأن الخوارق الكونية شبهة عند علمائه لا حجة، لانها موجودة في زماننا ككل زمان مضى، وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل ، وبينت سبب هذا الافتتان ، والفروق بين ما يدخل منها في عموم السنن الكونية والروحية وغيره . فعسى أن يطلع عليها المختلفون في كتاب هيكل لان حكمنا بينهم لا يكون فاصلا بدونها

﴿ استدراك على تفسير ج ٩ و ١٠ في القراءات ﴾

ذكرنا في تفسير (إذ قال يوسف لأبيه يا أبت) تصرف العرب في هذا النداء وفاتنا ذكر القراءات فيه ، وقد فتح التاء ابن عامر في جميع القرآن بناء على أن أصلها يا أبتا فحذفت الالف ، وكسرها الآخرون بناء على أنها عوض من ياء المتكلم وتناسبها الكسرة ، وقلبها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب هاء في حال الوقف . و (غيابة الجب) قرأها نافع في الموضعين (غيابات) بالجمع . وحذف بعضهم همزة (الذئب) في حال الوقف . و (هيت لك) قرأها ابن كثير بالضم كحيث ، ونافع وابن عامر بكسر الهاء كغيظ وهي لغة ، والباقون بفتحها معاً . وغرضنا من ذكر القراءات اللغوية أن تعرف فلا تنكر إذا سمع من القراء غير المشهور عندهم ، ومن المعنوية بيان معانيها وحكمتها

ووقع في تفسير هذين الجزئين ما اقتضى بعد طبعه تصحيحا أو تنقيحا عند طبعه على حدته

﴿ الشيخ عبد المحسن الكاظمي ﴾ الشاعر العراقي الشهير توفي قبيل انتهاء هذا الشهر (المحرم) وسننشر له ترجمة في الجزء الآتي رحمه الله تعالى

منار المجلد الخامس والثلاثين

﴿ تجديد جهاده ونظامه، والتعاون عليه بيننا وبين كرام قرائه ﴾

وخلاصة تاريخه المؤثرة

ماقصر منشىء المنار في شيء مما وقف عليه حياته من خدمة الملة والامة وأشار الى مقاصدها الجامعة في فاتحة العدد الاول، بل شمر واستبق، فكان له من التأثير عند خواص العقلاء العارفين بما أصاب المسلمين من الوهن والضعف والتفرق وبما يحتاجون من الاصلاح الذي تتوقف عليه حياتهم أو نجاتهم من الذل والاستعباد مالم يسبق له نظير الا في صيحة (العروة الوثقى) التي تجلت فيها روح موقظ الشرق وحكيم الاسلام (السيد جمال الدين الافغاني) ببلاغة الاستاذ الامام (الشيخ محمد عبده المصري) وكان كل ما صدر منها ١٨ عددا، هزت القلوب وأيقظت العقول. وكان الغرض من إنشائها إثارة العالم الاسلامي وجمع كلمته لدفع عبودية الاستعمار الاوربي وتجديد دولة اسلامية عزيزة تتولى في ظل حريتها ما يجب من الاصلاح الديني والدنيوي — وكان رأي السيد جمال الدين أن الثورة أقرب الوسائل لتجديد الملة بالعلم الصحيح والعمل المفيد في ظل الاستقلال والقوة

وأما غرض المنار فهو إعداد الامة لهذا التجديد وأول وسائله بيان أمراض الامة وأسبابها ووصف علاجها وتأليف الجماعات للتعاون على المعالجة المطلوبة، وكان الاستاذ الامام أول من ناط أمله به في الاصلاح المطلوب كله، وكان يصرح به في مجالسه لمن يراهم أهلا لفهمه أو استعداداً لطلبه، وهو الذي أغناه عن كتابة وصيته للامة، اذ الوصية لا تكون الا كلاما مجملا، لما انشىء المنار لبيانه مفصلا، والناس لا يفهمون من الكلام الا بقدر ما استعدوا لفقهه والاعتبار به، ولا يكون ذلك الا بالتدريج كما أشار اليه في آخر عبارة له من كتاب كتبه لنا في سنة ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م وقد نشرناها بخطه منقولا بالعكس الشمسي منقوشا بالزنك في ص ١٠٢٣ من تاريخ الاستاذ الامام وهي

(خط الاستاذ الامام)

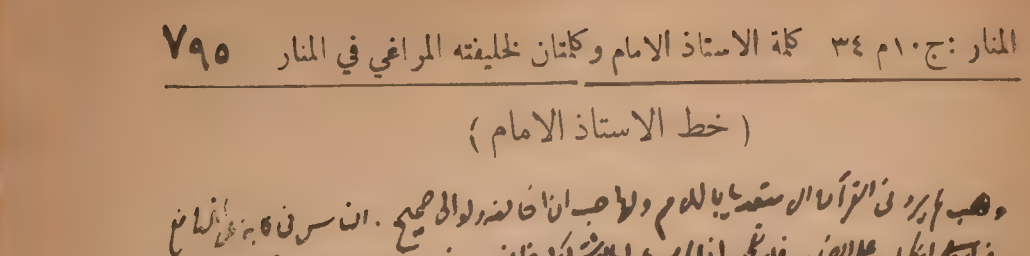

﴿ كلمة الاستاذ الامام في المنار والاشتراك فيه من آخر السطر الاول ﴾

« الناس في عماية عن النافع وانكباب على الضار ، فلا تعجب اذا لم يسرعوا بالاشتراك في المنار فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر ، بما هو أصلح للآجل وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلا ، والفقراء لا يستطيعون الى البذل سبيلا ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل ، والسلام ، في ١١ سبتمبر سنة ١٩٠٢ محمد عبده

مضى المنار لطيته ، وما زال بتوفيق الله وحوله وقوته ، يرتقي في كل معراج من معارج عمله ، دون كسبه ونظام معيشته ، فمنشؤه قد نشأ وشب وشاب على الزهد في الدنيا وجدانا وعملا ، لا رأيا وعقلا ، فهو يرى أن الزهد لا يجوز أن يتجاوز شعور القلب ، الى التقصير في الكسب ، لكن قال رسول الله ﷺ « كل ميسر لما خلق له » متفق عليه ، وروى بزيادة ـ اعملوا في أوله ـ وبهذا الزهد يسر الله له أن ينصرف بكل قواه الى الاصلاح والتجديد الاسلامي علما وبحثا ، ودعوة وحجة ، ودفاعا واقناعا ، حتى صار موضع ثقة خواص المسلمين غير الخرافيين في العالم الاسلامي كله في إصلاحهم ، كما قال الاستاذ المراغي شيخ الاسلام الاكبر ، وخليفة الاستاذ الامام على إصلاح الازهر ، لمولوي مشير قدوائي من كبراء مسلمي الهند . وقد سأله أن يروي عنه لمسلمي الهند كلمة فيما يجب عليهم من الاصلاح فقال ما خلاصته :

إن المسلمين لا يرجى لهم صلاح الا بالقرآن على الوجه الذي يفسره به المنار، اه فان كان سبقه إلى مثل هذه الكلمة أحد فضلاء الهند منذ ثلث قرن (وهو مولوي محمد إنشاء الله) فالاستاذ الاكبر يقول في إصلاح جميع البشر بدعوة الاسلام التي بثها المنار كلمة أكبر من كلمته للفاضل الهندي وهي ما كتبه بعد مطالعة (كتاب الوحي المحمدي) في كتاب لمؤلفه وهي

« أستطيع بعد أن فرغت من قراءة كتابكم (الوحي المحمدي) أن أقول انكم وفقتم لفتح جديد في الدعوة الى الدين الاسلامي القويم ، فقد عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية عرضا قل أن يتيسر إلا لفرع من فروع الشجرة النبوية المباركة وقد استطعتم أن توفقوا بين الدين والعلم توفيقا لا يقوى عليه إلا العلماء المؤمنون، فجزاكم الله عن الاسلام أحسن ما يجازى به المجاهدون » الخ

لقد أكبر آخرون من أئمة الامة في الحكم وفي العلم، وخواصها في الرأي والفهم (كتاب الوحي المحمدي) حتى قال بعضهم ان هذا الكتاب إلهام إلهي لا علم كسبي لمؤلفه، جديد من علوم القرآن جاء مصداقا لحديث « لا تنقضي عجائبه » وانه معجزة جديدة للنبي ﷺ نفثها في روعه أو نفخها في روحه جده (ص) وقالوا أقوالا أخرى كثيرة كبيرة ، ولكنها تصغر تجاه كلمة الشيخ الاكبر الوجيزة «عرضتم خلاصته من ينابيعه الصافية » الخ فلو أن غيره ألقى كلمة « خلاصته » لقيل لعله لم يحط بمعناها علما

تلك فائدة زهد منشيء المنار في دنياه له وللناس وهي علمية خالصة ، وأما مضرة هذا الزهد له فهي مالية خاصة به ، ذلك أنها أوصدت أمامه باب طلب الرزق ، وفتحت عليه باب الدين ، حتى كادت تقضي على المنار الذي كان مفتاح كل خير ، فاني لم أستطع ان أعنى بنظام ادارته وضبط حسابها ولا مراقبته بنفسي ، وانما تركتها من أول يوم لمن لم أحاسبهم عليها ، فتعاقب عليها أفراد كان أضرهم بي أقربهم مني ، وأشدهم حبا لي ومشاركة لي في السراء والضراء ، ولكنهم أجهل مني بالدنيا وأعجز عن كل عمل لها ، فأنا تركت مطالبة قراء المنار بما له عليهم من حق للنفقة عليه لاجل أن أوفيهم حقهم وحق الامة كاملا بقدر استطاعتي ، وهؤلاء تركوا مطالبتهم بهذا الحق بغير بدل من علم أو عمل ، فكانوا يقبلون من أهل الوفاء

منهم ما يؤدونه من تلقاء أنفسهم، ولا يطالبون غيرهم من المشتركين ولا يذكرونهم، ولا يدعون أحدا الى الاشتراك بل لا يرسلون المنار إلى كل من طلبه، ويقل في الناس من يؤدي حقا لا يطالب به إلحاحا وإلحافا، ولا سيما ناسنا المحروم أكثرهم من التربية الدينية العالية، ومن النظام المالي والتعاون على الاعمال العامة، والاهتمام بالاصلاح الملي، وقد سبق لنا في بعض المجلدات بيان درجات المسلمين في الوفاء وتفاضل شعوبهم وتفاوت أصنافهم وطبقات كل شعب فيه وكان أفضلهم عرب الجزيرة ومسلمو روسية من التتار وغيرهم ومسلمو السودان، ويليهم مسلمو جاوه وما حولها من العرب والوطنيين، وقد حالت الحرب العامة بيننا وبين مسلمي روسية ثم أجهزت البولشفية عليهم في دينهم ودنياهم، وصار ديننا على مسلمي جاوه بل اندونسية كلهم اكثر من غيرهم، ولم نقطع المنار عن الماطلين منهم، بل أفسدت الحرب سائر الشعوب في كل شيء، كل على قدر استعداده وحاله، حتى كادوا يكونون ماديين اباحيين، أو حيوانات شهوانيين، او وحوشا مفترسين، وسنحت الفرصة لاصلاح هذا الفساد العام بالاسلام، وهو ما تصدينا له بكتاب (الوحي المحمدي) واردنا تجديد جهاد المنار لاجله وشرعنا في تجديد جماعة له، ولكن هل يجدد قراؤه مساعدته عليه؟

الجناية المالية على المنار

لحق أقول إن أشد الناس جناية على مالية المنار هو منشئه المنفرد بتحريره وتصحيحه، ويليه من تولوا ادارته من أهله، ويليهم غيرهم ممن تولوا عملا فيها من كتبة ومحصلين، وكانوا في أول أمرهم غير مخربين ولا معمرين، وكانت اساءة المسيء منهم خفيفة الضرر، ثم كان بدء الاهمال والاختلال منذ رحلتي الى هند فالعراق فسورية (سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م) فاستغرقت هذه الرحلة بضعة أشهر أخرج أخي في أثنائها كاتب الادارة منها ولم يستبدل به غيره ولا قام بعمله، وكذلك فعل من تولى الادارة بعده من أهلي، ولم ينفعهم نصحي، أو لم يطيعوا أمري، ولكنهم وعدوا وأخلفوا، وهموا وسوفوا فاسرفوا، وما كنت أعلم قدر جنايتهم تفصيلا، ولا عجز دخل المنار عن نفقته إلا قليلا، إذ كانوا يأخذونه من دخل المطبعة والمكتبة، حتى اذا ما اشتدت العسرة، وانحصر عمل المطبعة فيما تطبعه لانفسنا، وعجزت المكتبة عن نفقتها ونفقتنا، وكثر الدين علينا، اضطررت

الى البحث عن مشتركي المنار فوجدت (وقد ذهبت كوارث الحرب بخيرهم وفاء) ان عدم مطالبة الادارة للباقين بقيمة الاشتراك ، قد اتخذه أكثرهم عذرا لعدم الوفاء ، بل ربما حسب بعضهم انه يرسل اليهم بالمجان ، فاستنجدتهم فلم أجد منجدا ، بل استغثتهم فلم أجد غواثا الا عند قليل منهم ، حتى رأيتني مضطرا الى وقف اصدار المنار في سنته القابلة سنة ١٣٥٤ ولو على سبيل التجربة ، عسى أن أجد له من يقوم بنفقته من الاوفياء منهم ، وكيف أجد بتركه مالم اجده به؟

رجحت هذا الرأي من أول سنة ١٣٥٣ حتى اذا قاربت الانتهاء عظم علي الامر ، وقد ربانى الدين على التثبت واتقاء إبطال عمل أشرع فيه ، فرأيت أخيرا أن أكاشف القراء بحقيقة الامر ، فان أكثرهم لا يعرفه ، وقد يعذر نفسه بتقصيرنا ولا يعذرنا ، أو يظن كل مقصر منهم ان تقصيره لا يضر المنار لكثرة من يؤدى له حقه أو يزيدون عليها من اهل الغيرة على الاسلام ، وقد علمت ان تأخير صدور بعض اجزائه عن موعدها او ضياع بعضها على أفراد منهم قد جعلوها ، سببا لمنع إرسال الاشتراك عدد سنين ، وهو منع لحقنا الكثير الثابت بدون عذر للمانع بحجة منعنا لحقه القليل الذي لم يثبت له وقد يكون بعذر صحيح لنا . فان حق الاشتراك يثبت في كل سنة بدخولها ، وقد يكون لعدم سقوط بعض الاجزاء اسباب غير تقصير الادارة الذي قد يكون لعذر ايضا ، ولم يطلب احد من المشتركين جزءا إلا ارسلناه إليه ، وقد جرت العادة ان الذي يقضي ما عليه هو الذى يقتضي ماله ، وإنما يسكت عن المطالبة بما له من يفر من مطالبته بما عليه ، والحق حق ، عند من يؤمن بالحق ،

﴿ الدعوة الى الصلح والاصلاح ، وتجديد خدمة الاسلام ﴾

انني وقد بينت مالي وما علي أدعو قراء المنار إلى الصلح عما مضى بمنتهى ما يرضيهم من السماح والفضل ، وتجديد عهد التعاون على خدمة الملة والامة بالوقوف على سواء العدل ، بأن يلتزم كل منهم تجديد الاشتراك فيه كتابة يلتزم فيها دفع القيمة في أول السنة كما تفعل الامم التي سادت بهذا النظام علينا ، أو في أثنائها وإن كان درجة دون ما قبلها

وأما العهد الماضي فلكل منهم أن يطالبنا بما لم يصل اليه من الاجزاء فنرسله

اليه كاملا، وله في المتأخر عليه من قيمة الاشتراك أن يحاسب نفسه عليه بينه وبين الله تعالى ، ثم يؤدي ما يعتقد أنه حق عليه وان نقص عما عندنا في دفاترنا ، وأن يكون الاداء بحسب استطاعته ناجزا أو مقسطا بالاسابيع أو الشهور أو السنين ، وله أن يصالحنا عليه ان كان معسرا بانظاره الى الميسرة ، بأن يلتزم ما يتيسر له نقدا أو نسيئة مؤجلة ، ونبرىء ذمته من الباقي إن طلب الابراء ، ومن كان عاجزا عن أدائه كله أو بعضه الآن أو عجز بعد الالتزام ، وطالبنا بالعفو عنه أو الحط منه أجبناه ، مصدقين له فيما يشهد عليه الله الرقيب على كل شيء ، والاصل عندنا في قراء المنار حسن الظن والتماس العذر

وقد اخرنا هذا الجزء استعدادا لهذه التسوية ، وأحصينا ديوننا على الماطلين لاجل نشرها فيه فكانت مخجلة فان على كثير منهم عشر سنين او عشرين سنة أو أكثر ، فتركنا نشرها ، واخترنا ما بيننا ، وإنا مرسلون فيه وثائق طلب الاشتراك مطبوعة لكل منهم لاجل إمضائها وإعادتها الينا ، ونرجو أن يكتب إلينا بما يختار من امر الماضي . وسنرسل الجزء الاول من المجلد ٣٥ لمن يعيدونها الينا موقعة بخطوطهم ، متعاونين معنا على تجديد الاصلاح ، متعاهدين على الوفاء والنظام ، وتجديد هداية الاسلام . وسنعرض عليهم نظام الدعوة وجمع الكلمة الذي مهدنا سبيله في العام الماضي

المنار في طوره الجديد

كنت أرجو عند إنشاء صحيفة المنار أن تكون ميدانا تتبارى فيه جياد الاقلام فيكون لسان حالهم في مسائل الاصلاح وجدد التجديد الديني والاجتماعي والادبي كما صرحت بذلك في بيان المقاصد العامة من فاتحتها . ولكن كاد يشتهر في الناس أن المنار وقف أهلي حبس تحريره على صاحبه ، وإنما هو وقف خيري عام للمصلحين والمجددين فأنا أدعوهم وقد كثر في هذا العهد عددهم الى ما دعوتهم اليه منذ بضع وثلاثين سنة اذ كانوا قليلي العدد ، وأحتكر لنفسي تفسير القرآن الحكيم المطول والتفسير المختصر المفيد لكثرة إلحاح الامة علي بانجازهما على المنهج الذي فضلوه على غيره ، وكذا الفتوى العامة بالدليل الا أن يتصدى احد لمساعدتي عليها ، واقتحم سائر الابواب لمن أراد دخولها من أهلها ، اذ لم يعد وقتي يأذن لي باعطائها حقها ، وأرى الامة في أشد الحاجة الى ما يأتي منها

(باب دفع الشبهات وحل المشكلات)

ويدخل فيه ماينشر في الصحف اليومية والمجلات من المسائل الروحية وخوارق العادات والفروق بينها وبين آيات الانبياء عليهم السلام ، وما هو من اصول الايمان وما ليس منها ، وما يؤيد الشريعة وما يعارضها، فيجب بيان ذلك بأدلته

(باب نقد المطبوعات الجديدة)

من المطبوعات الجديدة ماله رواج عند اهل هذا العصر لموضوعه او لتأثير اسلوبه وفيه اغلاط واخطاء علمية او دينية ضارة فيجب نقدها بما يليق بها وبمكانة مؤلفيها وتأثيرهم ادبا وحجة واسلوبا، ومراعاة لاستعداد القراء فهما وذوقا وافتناعا، وإنا نرى الناس يسرفون في تقريظ الكتاب لواحد مدحا وذما والمطلوب الاعتدال

باب البدع و الخرافات و التقاليد و العادات

فتحنا هذا الباب في المنار منذ إنشائه ، وقد تجدد للناس من العادات الضارة ما أفسد عليهم عقائدهم وآدابهم وقطع روابط الزوجية والارحام، وأدناهم من الاباحة المطلقة ، وناهيكم بمفاسد السينما التي يشكو منها حكماء جميع الامم وحكوماتهم وقد حذروا في تلافيها، وأما رجال الدين فقد جاهدوها جهادا كبيرا، ولم يجاهدها منا احد

باب الادب و الاخلاق

أدب النفس وأدب اللسان أكبر انصار الدين على التهذيب وتكوين الاخلاق وقد صارا في عصرنا من أكبر مفسدات الاحداث من البنين والبنات بما استحدث المفسدون فيهما باسم الادب المكشوف وإطراء الجديد والتجديد وذم كل قديم يخالفه وقاعدة الاصل في الاشياء الشك ، وبطلان الثقة في كل شيء

فنحن نفتتح هذه الابواب في المنار لحزب الاصلاح والتجديد من مريدي الاستاذ الامام والسيد جمال الدين وانصار المنار ، ونمد لهم في صحائفه عند الحاجة، ونخص منهم بالذكر اهل الازهر بعد ان زال عنهم الحجر الخرافي وأطلقت لهم حرية العقل والعقيدة البرهانية، والعلوم العصرية، وقد أعدت لهم امتياز الاشتراك بنصف القيمة . وكذا سائر طلاب العلوم، وبهذا نختم مجلد هذا العام حامدين شاكرين لله تعالى داعين له، مصلين على رسوله خاتم النبيين، وسلام على المرسلين وورثتهم المصلحين

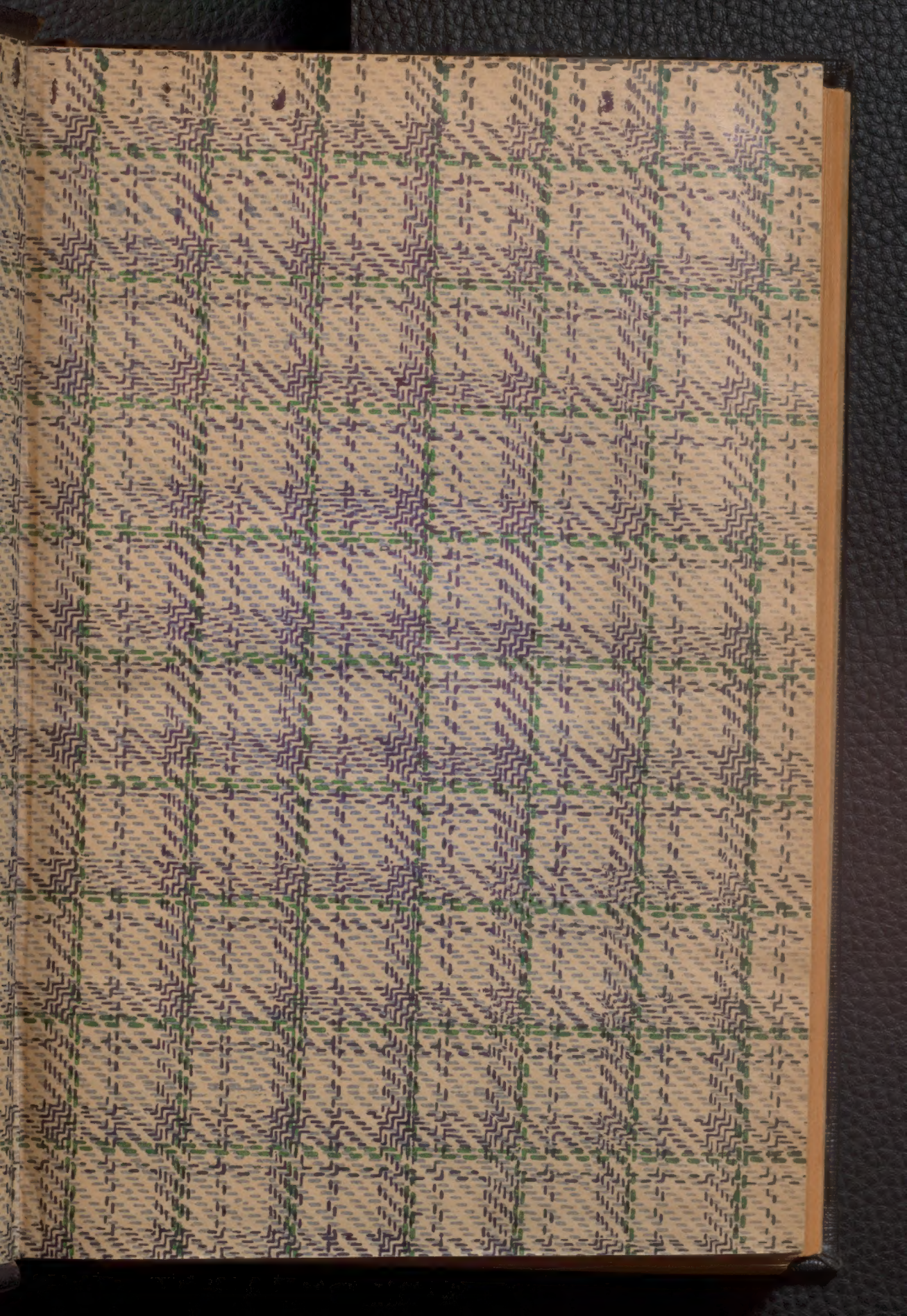

Author
Title al-Manār
AP

For Reference

Not to be taken from this room

NO.705